

الْكَوَاكِبُ الدَّرِيَّةُ
فِي
تَرَاجِمِ السَّادَةِ الصُّومُفِيَّةِ

تألِيفُ شَيخِ الْإِسْلَامِ زَيْنِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذَارِقِ
الموافق ١٤٢٦

تقديم وتعليق
أحمد فريد المذري

الجزء الأول

الْكَوَافِرُ الدَّرَرِيَّةُ

فِي تَرَاجُمِ الْمَسَاوِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ
أَوْ طَبَقَاتِ الْمَسَاوِيِّ الْكُبْرَى

تألِيفُ

الشَّيخِ الْإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَنَawi

المُجْلِسُ الْأَقْلَى

خَصَّاً وَقَدْ لَهَا عَلَى حِواشِيهَا

دَكْفُورُ عَبْدِ الْجَيْدِ صَالِحُ حَمْدانٌ

الْكَوَاكِبُ الدُّرَّيَّةُ
فِي

تَرَاجِمِ الْسَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ

أَوْ
طَبَقَاتُ الْمَنَاوِيِّ الْكَرِي

تَأْلِيفُ

الشَّيخِ الْإِمَامِ عَبْدِ الرَّوْفِ الْمَنَاوِيِّ

الْجَزءُ الْأُولُ

حَقَّهَا وَقَدَّمَ لَهَا وَعَلَقَ حَوَّا شِيرَها

دَكْوُرُ عَبْدِ الْجَمِيدِ صَالِحِ حَمْدَانٌ

مقدمة الحق

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه ، وروح أرواح أهل وداده وأصفيائه ، أحمسه حمدا كثيرا على ما أسبغ وأنعم ، وأشكره شكرًا جزيلا على عظيم فضله وإحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما .. وبعد ..

فهذا كتاب جليل من كتب تراجم السادة الصوفية التي وصلتنا ، والتي وصل فيها من كتابة التراجم أوجها ونها . وكتب التراجم من المؤلفات العربية التي تضم الكثير من المعلومات عن الأحوال السياسية والاجتماعية والأدبية التي سادت العالم الإسلامي ، ويطلق عليها أيضا اسم كتب الطبقات . وهي تتألف من سير طائفة معينة من طوائف الفقهاء أو العلماء أو الأدباء أو الصوفية أو غيرهم جيلا بعد جيل . وهي تعتبر من المؤلفات التاريخية بل هي أثبتت صور التعبير التاريخي وأشهرها حيث كانت سيرة الرسول ﷺ منبعا ومصدرا لكتابه سير الخلفاء والولاة والعلماء ، وتدوين حياتهم وصفاتهم وخبراتهم ، وبذلك أصبح التاريخ في أذهان الكثيرين مرادفا تقريبا للتراجم وسير الرجال .

وقد تبادرت كتب التراجم تباعاً لموضوع البحث والمعالجة ، ولكن ظل العنصر المشترك الوحد بينها هو تاريخ وفيات أصحاب التراجم ، فهو التاريخ الثابت في حياة الشخص ، أما تاريخ الميلاد فقلما كان معروفا إلا إذا كان المترجم نفسه قد أخبر به . وقد عُنيت كل طائفة بوضع تراجم لكتاب رجالها وصفوة علمائها والإشادة بهم وتخليل ذكرهم . ومن هذه الكتب تراجم الصوفية عامة ، التي حظيت بعدد كبير منها ، لحصرهم على التعريف بهم وبربيتهم وأعمالهم لكي

تكون نبراساً للمربيدين والساكين .

وكتاب « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » من هذه الكتب الخالدة التي سهر مؤلفها الإمام عبد الرءوف المُناوى على جمعها ونشر تفاصيلها ، فجاءت شاملة مانعة ومجموعاً جموعاً .

نبذة عن تاريخ حياة المؤلف :

يُعد الإمام عبد الرءوف المُناوى - طيب الله ثراه وروحه الطاهرة وأثار ضريحه - من العلماء الأفذاذ المكثرين ، ومن عظماء المجددين في الإسلام ، فهو قد جمع بين الشرعية والحقيقة ، وبين علوم الظاهر والباطن ، فجاء فريد عصره ووحيد نسجه .

وقد ولد شيخنا الجليل الإمام عبد الرءوف ابن تاج العارفين ابن على بن زين العابدين بن يحيى بن محمد ، زين الدين الحدادي المُناوى القاهري الشافعى بالقاهرة سنة ٩٥٢ هـ . ونشأ في بيت علم وأدب ، وبين أسرة كلها صلاح وتقوى ، وكان أجدادها قد انتقلوا إلى مصر في القرن السابع الهجرى ، قادمين من قرية حدادة من أعمال تونس (ومن هنا جاءت نسبة الحدادي) ، واستقرروا في مُنيّة بنى خصيب بالوجه القبلي من مصر (ومن هنا جاءت نسبة المُناوى) . وانكب منذ صغره على العلم ، وتفقه على علماء عصره وأخذ عنهم ، وبيع في العلوم الدينية ، وتتلمذ على يد الشيخ عبد الوهاب الشعراوى ، وأخذ عنه التصوف . وتقلد نيابة الشافعية لبعض الوقت إلى أن انقطع عن مخالطة الناس ، وانعزل في منزله ، وأقبل على التأليف ، فصنف في غالب العلوم . ولما خرج من عزلته تولى التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، وتخرج عليه عدد كبير من العلماء الأفذاذ . واختاره الله إلى جواره سنة ١٠٣١ هـ ، بعد حياة حافلة بالمؤلفات العديدة التي تربو على المائة ، نالت ذيوعاً واسعاً في حياته وتخاطفتها الأيدي وما زالت ^(١) .

(١) انظر ترجمته في المحيى ، خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٤١٣ - ٤١٨ .

مؤلفات الإمام المناوى :

وأما تأليفه فمنها :

- شرح الفن الأول من كتاب التقایة ^(١).
- وكتاب فى فنى المنطق والكلام سماه إعلام الأعلام بأصول فنى المنطق والكلام .
- وشرح النخبة ^(٢) شرحين كباراً سماه نتيجة الفكر على نخبة ابن حجر وصغيراً في نحو كراسة .
- وشرح شرح النخبة وسماه اليواقيت والدرر بشرح شرح نخبة ابن حجر .
- وشرح الجامع الصغير ^(٣) شروحاً ثلاثة ، الكبير سماه : فيض القدير بشرح الجامع الصغير .
- والوسط سماه : فتح الرعوف القدير بشرح الجامع الصغير .
- والصغير سماه : التيسير بشرح الجامع الصغير .
- وكتاب في الحديث سماه : الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور جمع فيه ثلاثين ألف حديث معقباً كل حديث ببيان رتبه ومميز ما وقع فيه من الزيادات على الجامع الكبير لجلال السيوطي .
- وكتاب آخر في الأحاديث القصار سماه : المجموع الفائق من حديث خير الخلق ، رتبه على حروف المعجم ، وعقب كل حديث ببيان رتبته .
- وكتاب آخر سماه : كنز الحقائق في حديث خير الخلق ، جمع عشرة آلاف حديث في عشر كراريس ، كل حديث في نصف سطر .

(١) وكتاب التقایة هذا من تأليف الإمام جلال الدين السيوطي ، حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ١٩٧٠ / ٢ .

(٢) أي نخبة الفكر في مصطلح أهل الآخر لابن حجر ، حاجى خليفة ، المرجع السابق ، ١٩٣٦ / ٢ .

(٣) الجامع الصغير من حديث البشير التنبير ، للإمام السيوطي .

- وكتاب انتقاء من لسان الميزان ^(١) مما بين فيه أنه موضوع أو منكر أو متروك .
- وشرح نبذة الشيخ أبي الحسن البكري في ليلة النصف من شعبان .
- وكتاب آخر في فضل ليلة النصف من شعبان سماه : التبيان في فضائل ليلة النصف من شعبان .
- وكتاب في الأحاديث الواردة في فضل تلاوة القرآن .
- ورسالة فيما ورد من الأحاديث في فضل قضاء حوائج الناس .
- وكتاب في ليلة القدر سماه : إسفار البدر عن ليلة القدر .
- وشرح الأربعين النووية .
- ورتب كتاب الشهاب للقضاعي ^(٢) وسماه : إسعاف الطلاب بترتيب الشهاب ، وشرحه شرحين ، صغيرا ، وكبيرا سماه : فتح الرؤوف الوهاب بشرح ترتيب الشهاب .
- وشرح متن الشهاب وسماه : رفع النقاب عن كتاب الشهاب .
- وكتاب في الأحاديث القدسية سماه: الإتحافات السنّية بالأحاديث القدسية.
- وكتاب في المعراج سماه : نخبة الابتهاج بفوائد الإسراء والمعراج وأخر أوسع منه ، بالتماس الفقير سماه : إتحاف التاج بفوائد الإسراء والمعراج .
- وشرح الباب الأول من كتاب الشفاعة ^(٣) .
- وشرح الشمائل للترمذى شرحين أحدهما مزج والآخر قولات .

(١) ابن حجر العسقلانى وهو ملخص ميزان الاعتداال للإمام الذهبي .

(٢) شهاب الأخبار في الأحكام والأمثال والأداب للقضاعي ، أبو عبد الله محمد المتوفي سنة ٤٥٤ هـ .

(٣) للقاضى أبي الفضل عياض المتوفى سنة ٤٥٤ هـ .

- وشرح ألفية السيرة لجدها الولى العراقي شرحين أحدهما مزج سماه : الفتوحات السبعانية بشرح نظم الدرر السنّية في السيرة الزكية ، والآخر قولهات .
- وشرح الخصائص الصغرى ^(١) شرحين ، صغيرا سماه : فتح الرؤوف المجيب بشرح خصائص الحبيب ، وكبيرا سماه : توضيح فتح الرؤوف المجيب .
- واختصر شمائل الترمذى وزاد عليه أكثر من النصف وسماه : الروض الباسم في شمائل المصطفى أبي القاسم .
- وخرج أحاديث القاضى البيضاوى .
- وكتاب فى الأدعية سماه : الأدعية المأثورة بالأحاديث المشهورة .
- وأخر سماه : المطالب العلية فى الأدعية الزهية ^(٢) .
- وكتاب فى أوراد العبادة سماه : مفتاح السعادة بتأثير أذكار العبادة .
- وكتاب فى الأوراد سماه : كنز الطالبين لأوراد الأولياء والمساكين .
- وكتاب فى أذكار المناسب سماه : إتحاف الناسك بأذكار السفر والمناسب .
- وكتاب فى اصطلاح الحديث سماه : بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح الحديثين .
- وشرح الورقات لإمام الحرمين ونظمها لشيخ الإسلام ابن أبي الشرييف شرحين مزج قولهات .
- وكتاب فى الأوقاف سماه : تيسير الوقوف على غرامض أحكام الموقف .
- وشرح زيد ابن أرسلان سماه : فتح الرؤوف الصمد في شرح صفوة الزبد ^(٣) .

(١) للإمام جلال الدين السيوطي .

(٢) تحت الطبع بتحقيقنا .

(٣) السخاوي ، الضوء الالمع ، ٢٨٢/١ .

- وشرح كتاب لشيخ الإسلام زكريا^(١) سماه : إحسان التقرير بشرح

التحرير .

- وشرح كتاب عماد الرضا وسماه : فتح الرؤوف القادر .

- وشرح العباب للمجز^(٢) وسماه : إسعاف الطلاب بشرح العباب ، انتهى

فيه إلى كتاب النكاح .

- وشرح المنهج ، انتهى فيه إلى كتاب الضمان .

- وشرح هداية الطالب للشيخ أبي الحسن البكري وسماه : عين الراغب

شرح هداية الطالب ..

- وكتاب في الألغاز والخيل وسماه : بلوغ الأمل في الألغاز والخيل .

- وكتاب في الفرائض سماه : البنية السنية في علم المواريث الفرضية .

- وكتاب في الفقه طرره بمسائل اختلف فيها الشافعى وأبو حنيفة رضى الله عنهما .

- ورسالة في أحكام المساجد سماه : تهذيب التسهيل .

- وكتاب في مناسك الحج على المذاهب الأربع سماه : إتحاف الناسك

بأحكام المناسك .

- وشرح البهجة الوردية^(٣) وسماه : الفتح السماوى بشرح بهجة الحاوى^(٤)

كتب منه نحو النصف ثم اختصره فى نحو ثلث حجمه .

- ورتب فتاوى جده شيخ الإسلام يحيى المناوى وسماه : نزهة الحاوى

فتاوى الشرف المناوى .

(١) الشيخ زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ .

(٢) كتاب العباب للباعونى فى الفقه الشافعى ، حاجى خليفة ، المرجع السابق ، ٤٢٢/٢ .

(٣) حاجى خليفة ، المرجع السابق ، ٢٥٩/١ .

(٤) حاجى خليفة ، المرجع السابق ، ٦٢٧/٢ .

- وفتاوى السيد السمهورى وسماه : الروضۃ الزہیۃ بالفتاوی السمهوریة .
- وجامع فتاوى أهل القرن التاسع : الجلال البکری والکمال ابن أبي شریف وأخیه البرهان وشیخ الإسلام زکریا ، ورتب ذلك على أبواب الفقه وسماه : مجمع الفوائد بفتاوی الأئمۃ الأماجد .
- ورسالة في الدراریم والدناریں المشروطة في كتب الأوقاف .
- ورسالة البسملة والحمد لله .
- وانتقى كتابا من الأنوار سماه : الأزهار في مسائل الأنوار .
- ورسالة في أحكام الحمام سماها: الترفة الزہیۃ في أحكام الحمام الطیبة والشرعیة^(۱) .
- وشرح الشمعة المضية في علم العربية بخلال السیوطی وسماه : المحاضر الوصیة على الشمعة المضية .
- وشرح الأجرومیة وسماه : مدخل المبتدی بنحو المتھی .
- وكتاب جمع فيه عشرة علوم : علم المنطق ، فأصول الدين ، فأصول الفقه فالفرائض فالتحو ، فالتشريع ، فالطلب ، فالهیئة ، فأحكام النجوم ، فالتصوف ، وسماه : إتحاف المهرة بالعلوم العشرة .
- وكتاب في فضل العلم وأهله .
- وشرح القاموس^(۲) ، انتهى فيه إلى حرف الذال وسماه : إیناس النفوس بشرح القاموس .
- وكتاب زيادات على القاموس ، وصل فيه إلى حرف الذال أيضا .

(۱) . صدر في القاهرة بتأثیرنا ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ۱۹۸۷ .

(۲) . القاموس المحيط للفیروزابادی .

- واختصر الأساس للزمخشري ورتبه كالقاموس وسماه : إحكام الأساس .
- وكتاب الأمثال سماه : عmad البلاغة في أمثلة أولى اليراعة .
- وكتاب في أسماء البلدان .
- وكتاب في التعريف سماه : التوقف على مهامات التعريف ^(١) .
- وكتاب في أسماء الحيوان سماه : قرة عين الإنسان بذكر أسماء الحيوان .
- وكتاب في المواليد الثلاث سماه : غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد ^(٢) .
- وكتاب في التفضيل بين الملك والإنسان .
- وكتاب الأنبياء سماه : فردوس الجنان في مناقب الأنبياء المذكورين في القرآن .
- وطبقات كبرى أسمها : الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ^(٣) .
- وصغرى سماها : إرغام أولياء الشيطان بذكر أولياء الرحمن .
- وكتاب الصفوحة بمناقب بيت آل النبوة .
- وأفرد السيدة فاطمة بترجمة
- وكذا الإمام الشافعى .
- والشيخ على الخواص شيخ الشيخ عبد الوهاب الشعراوى .
- وشرح منازل السائرين ^(٤) .

(١) صدر بتحقيقنا عن دار « عالم الكتب » ، القاهرة ١٩٩٠ .

(٢) يصدر قريبا بتحقيقنا عن « دار الغد العربي » ، القاهرة .

(٣) وهو الكتاب الذي بين أيدينا .

(٤) للشيخ عبد الله إسماعيل الهروى المتوفى سنة ٤٨١ هـ .

- وحكم ابن عطاء الله السكندرى وسماه : الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية ، وشرح ترتيبها للشيخ على المتقي وسماه : فتح الحكيم الحكم بشرح ترتيب الحكم .
- وشرح المواقف النفرية وسماه : تنبية الواقف في حل ألفاظ المواقف .
- وشرح رسالة الشيخ ابن علوان في التصوف وسماه : الجوهرة الفاخرة في بيان أصل الطريق إلى معرفة الدنيا والآخرة .
- وشرح رسالة ابن سينا في التصوف .
- والقصيدة العينية نظم ابن سينا في الروح .
- ورسالة سماها : منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين .
- ورسالة في التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده .
- ورسالة سماها : البرهان في دلائل خلق الإنسان .
- وشرح ألفية ابن الوردي في المنامات .
- وشرح منظومة ابن العماد^(١) في آداب الأكل وسماه : فتح الرؤوف الجواد بشرح منظومة ابن العماد .
- وكتاب في الآداب سماه : تذكرة أولى الألباب بمعرفة الآداب .
- وآخر في آداب الملوك وسماه : الجواهر المضية في الآداب السلطانية^(٢) .
- ورسالة في الطب سماها : بلغة المحتاج إلى أصول الطب والعلاج .
- وكتاب في ذم البخل ومدح الجود سماه : الدر المنضود .
- وكتاب تاريخ الخلفاء .

(١) ابن العماد الأقهosi .

(٢) يصدر قريباً بتحقيقنا عن « دار الغد العربي » ، القاهرة .

هذا ما كمل ، وما لم يكمل فتفسيراتهى فيه إلى معظم البقرة وحاشية على تفسير المفتى ، وشرح على شرح العقائد لسعد التفتازانى سماه : غاية الأمانى بشرح شرح عقائد التفتازانى . وشرح نظم العقائد لابن أبي شريف . واختصر التمهيد للإسنوى . وشرح زوائد الجامع الصغير وسماه : مفتاح السعادة بشرح الزيادة . واختصر كتاب عماد الرضا فى أدب القضا . وأيضاً كتاب العباب ، وكتب حاشية على العباب ، وحاشية على شرح المنهاج ، وحاشية على شرح المنهاج للجلال المحلى . وشرح هدية الناصح للشيخ أحمد الزاهد^(١) وشرح تصحيح المنهاج الصغير للقاضى عجلون . وشرح مختصر الإمام المزنى . واختصر الجزء الأول من المصباح فى علم المفتاح للجلدى ، وشرح التحفة فى الفرائض وتذكرة عظيمة ينبغى أن يفرد كل منها بالتأليف .

كتاب الكواكب الدرية أو طبقات المناوى الكبرى

فرغ الإمام المناوى من تأليف هذه الموسوعة سنة ١٠١١ هـ ، وصدرها بمقيدة في الكرامات ، ثم أتبع ذلك بآبوباب في سيرة الرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين ، تتلوها ترجم السادة الصوفية ، مفرداً طبقات كل قرن على حدة حسب سنى وفياتهم ومرتبة على حروف المعجم ، فجاءت إحدى عشرة طبقة ، وبلغت فى مجموعها ٩٠٢ ترجمة ، وقد حوت هذه الترجم نشأة من ترجم لهم ، وتربيتهم وشيوخهم وتلاميذهم وأسفارهم ومؤلفاتهم ، وتاريخ وفاتهم ، وتوج كل سيرة بطاقة من أقوال صاحبها وكراماته . وأطال الإمام المناوى حيث اقتضى الأمر التطويل وأوجز حيث اقتضى الحال الإيجاز ، معتمداً فى ذلك كله على أمهات المصادر والراجع الذى تدل على سعة علمه ومعارفه وموضوعاته . وهذا الكتاب ، رغم أنه من المراجع التاريخية الأصلية ، لم يحظ بالعناية

(١) يصدر قريباً بتحقيقنا عن « دار الغد العربى » ، القاهرة .

اللائقة ولم ينشر نشرا علميا محققا^(١). فاستخرت الله سبحانه وتعالى وطلبت منه العون على إتمام هذه العمل الجليل وتحقيقه تحقيقا علميا . وقد اعتمدت في ذلك على مخطوطتي برلين (ب ١ و ب ٢) ومخطوطة شسترية ، دبلن (ش ١) ، (انظر اللوحات ١ - ٥) .

وقد استعنت في تحقيق الجزء الأول بنشرة المرحوم الشيخ محمود حسن ربيع ، مع إدخال التعديلات والتصويبات بعد المضاهاة والمقابلة مما اقتضته أصول التحقيق .

وقد زودنا الكتاب بالفهارس لتكون عونا لكل العلماء والباحثين والدارسين .

والله أعلم أن يغفر لي ولمؤلفه ، وأن ينفع به القاصي والداني من الآخيار والصالحين ، وهو على كل شيء قادر ، وهو حسيبي ونعم الوكيل .

دكتور عبد الحميد صالح حمدان

دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية

(جامعة باريس)

(١) قام فضيلة الشيخ محمود حسن ربيع ، رحمه الله ، وهو من علماء الأزهر الشريف بإخراج جزأين فقط في عام ١٩٣٨ ، وصل فيما إلى ترجم من مات بعد الخمسين .

كتاب الكوكب الدري في تاجم الصحف للعنف
لبيه الله الرحمن الرحيم
 للحمد لله كشاف الغطا فياض العطا مقرئ اهل
 الصفا من حضره الوفا أحدثه حمد من زوال عن الخفا داشكه
 شكريه أنا العنف الخفا وشهاده أنا للله الله وحده لا شريك
 له شهادة عبد به تحقق ربه يكتفى وان محمد عبده ورسوله
 قدوة السالكين المصطفى صلى الله عليه وسلم عليه وعلي ابيه آدم
 وما بينهما من الانبياء والمرسلين اهل العناية وادن مصطفى والد
 كل ومحبهم وسائر الاولياء والصالحين وتابعوهم في كل
 نوع على الوفا صلاتاً وسلاماً دائرين متلا زمان ما زال الحن
 تقدس ويفرب من عند عفار بجهد فهد العصبة الخامس من
 الكوكب الدريه بين مات بعد الاربعينيات الى اخر القرن الخامس
 وهو ثمانينه عشر ابراهيم القرشي امام مسجد الزبير ابراهيم ابو سحق الشيرازي
 احمد الشعبي للسن ابو علي الدقاقي للحسن ابن بشير الجوهري

ابو عيسى

اللوحة رقم (١) عن مخطوطة برلين (ب ١)

۲۰۷

قال الوكيل نفع الله عن
دكان العرائش من تعيينه
وزير الثاني في سنتها
الحادي عشر والفن
والرسول رب العالمين وحسنا
المرء نعم الوكيل وصلى الله
على النبأ لخاتمة الرسل
الظاهر كل ملئي خاتم الأنبياء
والرسولين والواعظين بآية
الجنة

من الغرب الى زفاف فريدة بالجبيهة فاستوطنها ثم ولدها صاحب الترجمة
خفرة القرآن وأخزعن والده السقوف وتسلى على يده ومن ادابه
ان قال ما رأيتك بصرك لوجه والدي من ذلوك علمي ولا جلس بحضوره
ولا فاكلة ولا جاريته للهياكل العاديم ثم تحول من مصر فاستوطن بولاق
وأقام على العبادة ولله مواعظه حسنة وتربيته نافعه واذا كان يوم الطلاق
اي يوم اشارة ارشاده بيات قوانينة واحاديث نبوية وربما لا يبعض كلمات
القديم وخرجه على مصطلحهم وبايده فكتابات شصيته وعظم امره وقد
بالترك والدع او اقبلت عليه اركان الدلائل واراد ذكر من اخلصهم الله بالصال
ذكره وامدهم بوعايد بوره والطعنه عليهم مكونة سره يكثر ويطول لانه تقدس
سباقا مشهورا في السباق لما اسرعهم من خطا به برقه فاستيقظ المطرادات الى
السمى مرجعكم جميعا مات سنة مئتين عشرة واثنتين بالمحرو او هذه اشتهرت باعلمه
من الغرض المطلوب بحسب ما تيسر وحضر وقد اودعاه من فرائد الفوارس
ما اشتغل الاسماع ويوحظ القلوب وسات جامع الناس يوم لاريب فيه ان يتحم
خوننا المفترقة في اودية الدنيا على هايرنل لدويه ويرمنه وان يخلف اعمالنا لوحده
لكلام وما يك من هنا له يسرفه لذاك بلطف وجوده وتلافيه ويحتم لباب المسنى
بل الخدام الاجل ويدخلنا الجنة ورحمته فائز لي يدخلها احد بعمل اى لكن واعمل
له و كان الزاغ من شيخ هذه النسخة المباركة هنا ^{بره}
٤٧٠ السبت للناس والعشر من شهر شعبان

البخاري مختصر سبعين
سنة ١٤٩ و ميلادي
الله عليه سيدنا محمد وعلی

مِنْ الدُّوَلَيْمَاءِ حَقِيقَتْ

وَاللَّهُمَّ

العاشر

四百一

اللوحة رقم (٢) عن مخطوطة برلين (ب ١)

نشرها فتلت لا وجه الا العذق فتلت ان ايا على دمنه المجلة وقال
 اهلها التي من غير علم الشيء موانا اخاكم ولا يمكن مخالفته فاشر بامر فاخره
 ايجوه من لام للحرين فلما تضيئت لساه المبرور في نتفن الدبور فقل
 اهل اليه وقال النببي كان السعي واخر العجلة وتمعا ينه قيل بخوازن
 دلم ركتاب ساه حقائق التفسير ليته لم يفتد فاما تجربين ذرق طيره فله
 الكتاب شرعي الحج قال السكري ولا ينبي لروضه بالجلالة ثم يدعى فيه
 التحريرية وتفسيره كثر الكلام فيه من حسنة اثرا اقتصر على ايات وآيات في لام
 للصوفية ينسو عنه ظاهر اللند ذكر لام المحجة اذا بلغت درجة واحد
 الشكر فلا يالي صاحبها بعمر ولا بنار ولا شار فتليه لا يلتفت اليه
 شيء ما في هذه الدار قلب طيار وبدنه سيار وقال المحجة اذا اغلبت على
 صاحبها يرمي الاشیاء كلها بمئنة صورة محبوبه مات ستة اثنى عشرة
 واربعين ایام المظفر بن ازديش البابادي ابو منصور الزاهد العابد اليه
 كان من احن الناس كلاما في الوعظ والتعزى وارشتم عباره ولحرم
 اشاره اخذ عذر اهروغيره وعنه ابن ابي الأغفار مات سنتين
 واربعين واربعاً ية دين كلامه لا تلذنا اذن الحيات بجياني المتبر
 ش خارج انا افهامكم افعى لكم وحياتكم ما اكلتم من العرام ايام حيتكم
 هذا وقد نجز الخزد الاول من المؤلوك البريس

بعون رب البرية علي بن الفقيه الكبير

الراجمي رحمة الله تعالى وسخامة

سيد الائمه نعم صالح بن

الجاجي صالح بن جعفر

الاذل عنهم

الراحل عنهم

دعواهم

يا الله

الله رب العالمين
الله اكمل الامان
الله اكمل العز والجل
الله اكمل العزة والجل
الله اكمل العزة والجل
الله اكمل العزة والجل

三

اللوحة رقم (٥) عن مخطوطة سستر بلتي ، دبلن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى سقى أولياءه وأعظم عباده من كأس وداده ، ما أذهلهم عن الشهاد والكري ، وشغلهم به عما سواه ، فهاموا لما استهامتوا ، وما كانت الأغيار عندهم إلا حديثا يفترى ، وأنالهم من عواطفه ، ومنحهم من موهبه ، ما غيبهم عن الورى ؛ وتوعد من ناوأهم ، وآذن من عاداهم بحرب من الله ورسوله ، فيما له من وعید ما أشدء لمن عقل ودرى ، والصلوة والسلام على سيد الأولياء ، ومسوّد خلاصة الأصفياء ، الذى ارتقى به سبعا شدادا ، وأباد من أضمر الباطل اعتقادا ، وحمى أولياءه بما ضرهم من عاد إلى الباطل وكاد وعادى ، سيدنا محمد والله وصحابه الذين تسابقوا فى حلبة الهدى جهادا ، وجمعت جواهر حكمهم على جيد الزمان مثنى وثلاث وفرادى ؛

ویعـد

فإن الله تعالى أوجب على المؤمنين محبة الأولياء والعلماء والأمجاد ،
وذمّ من ينقصُ بعضهم لموالاة بعضهم جهلاً لسوء الاعتقاد ، كيف وهم أمناء
لإيمان ، وحكماء الأنام ، وشموس الإسلام ، عين أعيان خاصة الملك العلام :
أولئك القوم إن عدواً لمكرمة ومن سواهم فلغو غير معدود
والفرق بين الورى جمعاً وبينهم كالفرق ما بين معدوم و موجود
لكن عادم الشوق لا يصل إلى عيان الجمال ، وفاقد الشم لا ينال عرف
الوصال :

ومن لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد
وانى كنت قبل أن يكتب الشباب خط العذار ، أردد ناظرى فى أخبار

مقدمة

الكرامة ظهور أمر خارق للعادة على يد الولي مقرن بالطاعة والعرفان ، بلا دعوى نبوة ، وتكون للدلالة على صدقه وفضله ، أو لقوة يقين أصحابها أو غيره ، وهى جائزة وواقعة عند أهل السنة ولو بقصد الولي على الأصح وإن كان الغالب خلافه ، ومن جنس المعجزات على الصواب لشمول القدرة الإلهية ، وذلك لأن وجود المكانت مستند إلى قدرته تعالى الشاملة لكلها ، فلا يمتنع شيء منها على قدرته ، ولا يجب غرض فى أفعاله ، ولا ريب أن الكرامة أمر ممكن ؛ إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته فهى جائزة بل واقعة حسبما نطق به النص القرأنى والحديث النبوى ؛ أما القرآن فقصة أهل الكهف حيث أقاموا فيه ثلاثة سنة وأزيد نیاماً أحياء بلا آفة ولا غذاء ، وليسوا بأنبياء بإجماع الفرق ، وقصة مريم حيث حملت بلا ذكر ، ووجد الرزق عندها بلا سبب ، وتساقط عليها الرطب من شجرة يابسة بلا موجب ، وقصة آصف حيث أحضر عرش بلقيس من مسافة بعيدة فى طرفة عين ؛ وجعل الأول معجزة لزكريا أو إرهاصا ليعسى ، والثانى معجزة لسليمان . لا يقول به منصف : لأن المعجزة يجب قرناها بالتحدي وظهورها للقوم ، وحصولها بحضورتهم ، وحضرت النبي . ليتمكن الاستدلال ، وليس شيء منها كذلك ، كيف ولو كانت معجزة لزكريا لعلم كيفية حدوثها وهو منتف لقوله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » الآية^(١) ولأنها لو كانت إرهاصا ليعسى لما علمت مريم من أين حصل ذلك ، على أن الحوادث سيقت لتعظيم حال مريم ، ولا ذكر فيها لزكريا ولا عيسى . وأما سليمان فلم تظهر على يده مقارنة لدعوى النبوة ، وأما السنة

الأولياء الأخيار ، وأتتبع موقع إشارات حكم الصوفية الأبرار ، وأترقب أحوالهم
وأسير أقوالهم :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

حتى حصلت من ذلك على فوائد عاليات ، وحكم شامخات ساميات ،
فالهمت أن أقيد ما وقفت عليه في ورقات ، وأن أجعله في ضمن التراجم ،
كما فعله بعض الأعظم الأثبات ، فأنزلت الصوفية في طبقات ، وضربت لهم في
هذا المجموع سُرّادقات ، ورتبتهم على حروف المعجم عشر طبقات ، كل مائة سنة
طبقة ، وجَمَعْتُهُمْ كواكبَ كلها معالم للهدى ، ومصابيح للدجى ، ورجوم
للمسترقة ؛ لكنى لم أستوعب ، بل اقتصرت على جمع من النساك المشتهرين
بالزهد ، المتحققين بالإرشاد والرشد ، من له كلام عالٍ في الحقائق ، وياشر
الأحوال والطرائق ، وظهرت عليه الكرامات والخوارق ، وقاطع القواطع
والعلاقات ، فإن القصد بهذا التعليق ، النفع بما لهم من الكلام في الحقائق ،
والحكم والأحكام ، وما سواه بالنسبة إليه تتمات ، وإن كانت في نفسها من
أنفس المهمات ، فدونك مجموعاً جموعاً ، اشتمل على حكم عالية المقدار ،
وإشارات بدعة رفيعة المنار ، وحكايات ليس فيها شكايات ، ونواذر في ضمنها
زواج ، ومواعظ تصمت اللاظف ، ويتوسّل لها الفاجر ، وفوائد يسود بها
القرطاس ، ويؤود لوزيد فيه سواد القلب والبصر ، وتسود بها الأوراق ، فتصبح
أسود من الشمس والقمر .

وسميته الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية « وأنا أفتر
عباد الله وأحوجهم إلى ألطافه الخفية ، محمد المدعو عبد الرءوف ، سليل
العصابة المناوية ؛ والله أسائل أن يجعلنى من جملة أحبابه ، ولا يؤاخذنى
بالتقصير في خدمة جنابه ؛ وقبل الشروع في المقصود ، لا بد من مقدمة ، فأقول
مستمدًا من بحر جود واجب الوجود :

في ذلك ..

السابع : أنها لا تتميز عن السحر .

فأجيب عن الأول : بأن المعجزة تقارن دعوى النبوة ، والكرامة لا تقارنها ، بل يجب قرнها بالانقياد للنبي وتصديقه والسير على منهاجه ، فلا التباس .

وعن الثاني : بأن ذلك لا يقتضي سفسطة فإن ما ذكروه يرد عليهم في زمن النبوة فإنه يجوز ظهور المعجزة منه بذلك ولا يؤدي إلى سفسطة ، على أن التجويزات العقلية لا تقدح في العلوم العادية .

وعن الثالث : بأن الكرامة لا توجب العصمة للولي ولا تصدقه في كل أمر ، وقد سئل شيخ الطريق الجنيد أينى العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرًا مقدوراً^(١) ، وهب أن الظن حاصل بصدقه في دعواه ، لكن الشارع جعل لثبت الدعوى منهاجا مخصوصا ، ورابطه معروفا لا يسوغ العدول عنه ، ألا ترى أن كثيرا من الظنون التي تكاد تقرب من اليقين لا يجوز الحكم بها لخروجها عن الضوابط الشرعية ؟ .

وعن الرابع : بأن كثرتها تكون استمرا را لنقض العادة فلا نسلم كونها خروجا عنه ، والكرامة وإن توالّت على الولي حتى ألفها واعتادها ، لا تُخرجه عن طريق الرشاد ووجه السداد .

وعن الخامس : بأن المقارنة للدعوى تفيد القطع بالصدق عادة .

وعن السادس : بأن الكرامة تفيد جلالة قدر الأنبياء حيث بلغت أحدهم ذلك ببركة الاقتداء بهم فلا إخلال .

فكم حديث جريح الراهب الذى كلمه الطفل الرضيع حين قال له : ياغلام ! ، من أبوك ؟ إلخ كما فى الصحيحين ^(١) وكحادي ث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة كما فيهما أيضا ، وحديث البقرة التى حمل عليها صاحبها أو ركبها فالتفت إليه وكلمته وقالت : إنى لم أخلق لهذا كما فيهما أيضا .

فهذه نبذة من أدلة أهل السنة . وأما إنكار المعتزلة والأستاذ أبي إسحاق والخلصى منا للكراهة محتاجين بأمور :

الأول : أنها توجب التباس النبي بغيره لعدم قيizها عن العجزة فلا تدل العجزة على النبوة .

الثانى : أنها تفضى إلى السفسطة لاقتضائها انقلاب الجبل ذهبا بريزا والبحر دما غبيطا ^(٢) ونحو ذلك .

الثالث : أنه لو ظهر لولي كرامة بجاز الحكم له بمجرد دعواه أنه يملك حبة بر أو فلسا واحدا بغير بينة لظهور كرامته المؤذنة بعلو درجته عند الله المانعة لكتابه سيماء فى تافه وهو باطل بإجماع المسلمين المؤيد بقول إمام المرسلين « البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر » ^(٣) .

الرابع : أن ظهورها يوجب نقض العادة لتکثرها بتکثر الأولياء فيخرج عن كونه خارقا فيصير عادة .

الخامس : أنها تسد باب إثبات النبوة لاحتمال كون العجز إكراما لا تصدقها فيطوى بساط النبوة رأسا .

ال السادس : أنها تخل بجلال كمال الأنبياء لمشاركة الأولياء لهم

(١) قصة جريح الناسك وردت فى الصحيحين عن أبي هريرة .

(٢) قولهم « أغبط السماء » أى دام مطراها .

(٣) « البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر ، إلا فى القساممة » ، حديث شريف أخرجه البيهقي فى سننه ، وابن عساكر عن ابن عمر .

وعن السابع : بأنها تفارقه وتتميز عنه بأنها لا يجدها فيها التعلم والتعليم ، ولا تكون المعارضة ولا تجتمع شره النفس ، ولا تكون بمناولة أعمال مخصوصة بخلافه ، وبذلك تم الانفصال ، وانزاح غيوب الإشكال ، واستبيان أن ما ذكروه قويه لا طائل تحته ، وقوعة لا حاصل لها ؛ ومن قام الكلام في هذا المقام أن أهل القبلة اتفقوا على أن الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجورة ، بل على المؤفيين البررة ، وبذلك لاح أن الطريق إلى معرفة الأنبياء لا تنسد ، فإن الولي ينقاد للنبي إذا ظهرت المعجزة على يديه . ويقول : عشر الناس هذا نبي الله فاتبعوه ، ويكون هو أول منقاد وأما قول القاضي الباقلاني^(١) بجواز ظهور خارق على يد فاسق استدراجا ، وظهوره على الرهبان ، وأهل الصوامع المقيمين على الكفران ، فقد قال إمام الحرمين^(٢) : إن فيه نظرا قال ، ولسنا ثبت لراهب كرامة ، ولا حب ولا كرامة ، نعم قد تظهر على يد فاسق إنقاذاً له مما هو فيه ، ثم يتوب بعدها ويصير على أحسن حال وينتقل إلى الهدى بعد الضلال ، بدليل قصة أصحاب الكهف فإنهم كانوا عبدة أوثاناً ثم حصل لهم ما حصل إرشاداً وتبصرة ثم ما ذكره الخصم من حديث اشتباه معجزة النبي بغيره إذا وافقت المعجزة الكرامة قد استبيان الانفصال عنه ، قال السiski^(٣) : وأقول معاذ الله أن يتخدني نبي بكرامة ظهرت على يد ولبي ، بل لابد أن يأتي النبي بما لا يوقعه الله على يد الولي ، وإن حاز وقوعه فليس كل جائز في قضايا العقول واقعاً ، ولما كانت رتبة النبي أعلى وأرفع من الولي كان الولي منعوا مما يأتي به النبي على وجه الإعجاز والتحدي أدباً معه . ثم أقول : حديث الاشتباه والانسداد على بطلانه إنما يقع البحث فيه حيث لم تختتم النبوة ، أما بعد خاتم النبيين المثبتة نبوته بأوضح البراهين ، وإخباره بأنه لأنبياً بعده ، فقد أمن الاشتباه ، فلو صح ما

(١) القاضي أبو بكر الباقلاني البصري ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .

(٢) إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجوني ، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

(٣) الإمام تاج الدين السiski ، صاحب طبقات الشافية الكبرى .

ذكره لكان فى أولياء الأمم الماضية لا فى أولياء هذه الأمة لأمنهم وتقنهم أنه لأنبي بعد نبيهم ، هذا لو صح ومعاذ الله أن يتورهم عاقل صحة ترهاطهم التي منها أنه لو كان للكرامات أصل كان أولى الناس بها أهل الصدر الأول وهم صفوة الإسلام وقادة الأنام ، والمفضلون على الخليقة بعد الأنبياء عليهم السلام ، ولم يؤثر عنهم من ذلك أمر مستفيض ، وما ذكره تعلي بالأمانى والمحال ، وهو مقال مرذول مردود عند من له أدنى نظر ، فضلا عن فحول الرجال ، والعقل يأبه ، والوجدان لا يرضاه ، ولو حاول متتبع استيعاب كرامات الصحابة لأجدهم الأنفاس ، وملا القرطاس ، فمن ذلك تسبيح الحصى بحضور الصديق ، وإخباره فى مرض موته بمولود يولد له بعده وهو أنثى ، وتكثيره للطعام القليل ، وأكله هو وأضيفه من قصعة صغيرة حتى شبعوا فصار ما فيها أكثر مما كان قبل . ومخاطبة عمر وهو على منبر المدينة النبوية سارية ، وهو بنهاوند^(١) مخاطبة من معه (بيسارية الجبل) تحذيرا له من كمين فيه ، فسمع سارية ، وجيشه صوته فحدروا فنجوا ؛ وجرى النيل بكتابه لما كانت عادة أهل مصر أن يلقوا فيه أوان الزيادة جارية بکرا ، فتركتوا ذلك بأمره فلم يزد حتى أشرف أهلها على الهلاك فكتب للنيل كتابا فيه : « إن كنت تجري من قبلك فلا حاجة لنا بك ، وإن كان الله هو مجريك فسألة ذلك » ، فألقى فيه فزاد فوراً ، وضرره للأرض بدرته لما ارتجت ، وقوله أقرى ألم أعدل عليك ، فقررت وسكنت حالا ، وحبسه للنار التي كانت تخرج من الجبل فتحرق ما أصابت فخرجت في زمانه فأمر أبا موسى أو تميا فجعل يسوقها برداه حتى دخلت الكهف فلم تعد بعد ؛ ورده لطائفة من الجيش مرة بعد أخرى لما عرضوا عليه فتبين آخرأ أنه كان فيهم قاتل عثمان وعلى ؛ وكقول عثمان لرجل لقى امرأة في الطريق فتأملها بشهوة : يدخل على أحدكم وفي عينيه أثر الزنا ! وكقول أمير المؤمنين المرتضى لرجل جف أحد شقيه بدعاء أحد أبويه : قم بإذن الله فقام صحيحاً كما كان ؛ وقال : لولا

(١) مدينة في قبلة همدان ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ٣١٣/٥

علمت رضا أبيك عنك ما فعلته ، وكقول سعد في شاعر قال فيه مقالاً فبلغه : اللهم اكفنا لسانه ويده ، فخرس لسانه ، وشلت يده ، وكان لا يدعو إلا أجيبي ، وكقول ابن عمر لأسد قطع الطريق على قافلة هو فيها : تنح ! فبصبعه بذنبه وذهب ، وكمشي العلاء الحضرمي على الماء هو وجيشه لما كان في غزوة وحال بينه وبين مقصد़ه البحر . وكدعائه أن لا يرى أحد جسده إذا مات ، فلم يوجدوه في اللحد ؛ وكمشي جعفر بن أبي طالب في الهواء ؛ وكتسبِح القصعة أو ما فيها من الطعام بين يدي سليمان وأبي الدرداء ؛ وكسماع عمران بن حصين تسبِح الملائكة إلى أن اكتوى ؛ وكشرب خالد السم فلم يضره ؛ وكإضاعة السوط كالمصباح بين يدي أسيد بن خضير وعباد بن بشر لما خرجا من عند المصطفى صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ، وكان حبيب بن عدى أسيرا عند المشركين بمكة فكان يؤتى بعنْب يأكله وليس بمكة عنْبٌ واحدة ؛ وعرض لسفينة مولى المصطفى صلى الله عليه وسلم الأسد فقال له : أنا رسول الله ! فمشي الأسد معه حتى أوصله لمقصده . وكان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبره حالاً ؛ ودعا سعيد بن زيد على أروى لما كذبت عليه بالعمى فعميت ؛ وطلب الأسود العنسي لما ادعى النبوة أبا مسلم الخولاني فقال له : ألا تشهد أنى رسول الله ، فقال : لا ، قال : تشهد أن محمداً رسول الله قال : نعم ، فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه قائماً يصلى وقد صارت عليه برداً وسلاماً ، فكان عمر ابن الخطاب يقول : الحمد لله الذي لم أمت حتى رأيت من أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل ! وكان عامر ابن عبد قيس يأخذ عطاه في كمه فلا يجد سائلاً إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجئه إلى بيته فيجد الدرهم كلها كاملة ، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر . قال الإمام أحمد بن حنبل : وإنما كانت الكرامات بعد زمن الصحابة أكثر لأن قوة إيمانهم لا يحتاج معها إليها ولأن الزمان الأول كان كثير النور فلو حصلت لم تظهر كل الظهور لاضمحلالها في نور النبوة بخلاف من بعدهم ، ألا ترى أن القنديل لا يظهر نوره بين

القناديل ، بخلاف الظلام ، والنجوم لا يظهر لها نور مع ضوء الشمس ! وقال القيصري^(١) : كانت كراماتهم أعظم لكتهم أقوى من غيرهم ، فملوك الأحوال ولم تملكون الأحوال ، وغيرهم ملكتهم الأحوال لضعفهم عنهم ظهرت عليهم آثار الأحوال . قال السبكي : وإنى لأعجب كل العجب من منكر الكرامة ، وأخشى عليه المقت ، ويزداد تعجبى عند نسبة إنكارها إلى الأستاذ الإسفرايني^(٢) ، وهو من أساطين أهل السنة والجماعة ، على أن نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كذب ، والذى ذكره الرجل فى كتبه أنها لا تبلغ مبلغ خرق العادة ، وقال : كل ما جاز معجزة لنبي لا يجوز مثله كرامة لولى ، وإنما غاية الكرامات إجابة دعوة أو شريةماء فى مفارقة أو كسرة فى منقطعة أو ما يضاهى ذلك . وجرى على نحوه القشيري^(٣) فقال : إن الكرامة لا تنتهى إلى وجود ابن بغير أب ، وقلب جماد بهيمة ولكن الجمصور على الإطلاق ، وقد أنكروا التفصيل على قائله حتى ولده أبو نصر فى المرشد ، وإمام الحرمين فى الإرشاد ، وقال : إنه مذهب متروك ، وبالغ النوى فقال : إنه غلط ، وإنكار للحس ، وإن الصواب وقوعها بقلب الأعيان ونحوه .

وقد عدَ بعض الأئمة الأنواع الواقعية من الكرامات عشرين ، وهى أكثر بكثير :

النوع الأول : إحياء الموتى وهو أعلىها ، فمن ذلك أن أبا عبيد البسى غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها حتى يرجع إلى بلده فقامت تنفس أذنيها . فلما بلغ بلده سقطت ميتة (ومنه) أن مفرجا الدمامي الصعيدي أحضر له فراخ مشوية فقال : طيرى بأذن الله تعالى فطارت ، وكان للشيخ الأهدل هرة ضربها خادمه فماتت ، فرمها ، فسأل الشيخ عنها بعد ثلاثة

(١) الشيخ داود القيصري ، صاحب « شجرة اليقين فى علم التصوف » المترفى سنة ٧٥١ هـ .

(٢) الشيخ أبو حامد الإسفرايني ، المتوفى سنة ٤٠٦ هـ .

(٣) الأستاذ أبو القاسم القشيري ، صاحب الرسالة المتوفى سنة ٤٦٥ هـ .

أيام فقال : لا أدرى فناداها فجاءت تجرى^(١) . ووضع الكيلانى يده عدجاجة أكلها ، وقال لها : قومى بإذن الله الذى يحيى العظام فقامت لتلميذ أبي يوسف الدهمانى ولد فجزع عليه فقال له الشيخ : قم بإذن اوعاش طويلا . وسقط من سطح الفارقى طفل فمات فدعا الله فأحياه .

النوع الثانى : كلام الموتى وهو أكثر مما قبله بكثير وقع ذلك لابن جماعة آخرين منهم بعض مشايخ السبکى ، وكان جدنا شيخ الإسلام المناوى يخاطب الإمام الشافعى فيكلمه من قبره .

النوع الثالث : انلاق البحر وجفافه حتى وقع أن بعضهم اعتدى المركب ومات ، وجهز ، فلما أريد إلقاءه فى البحر انشق نصفين ونزلت الأرض وحفر له قبر ودفن ، فلما تم استوى الماء وسارت المركب (ومن المشى عليه ، وذلك كثير ، ومن وقع له ذلك ابن دقيق العيد .

النوع الرابع : انقلاب الأعيان ، ومنه ما ذكر عن الهاhtar اليه أرسل إليه بعض المستهزئين بياناين من خمر فصب من أحدهما عسلا والأخر وأطعم الحاضرين .

النوع الخامس : انزواء الأرض لهم . حكوا أن بعضهم كان به طرسوس فاشتاق لزيارة الحرم ، فأدخل رأسه فى جيبه ثم أخرجها فى والقدر المشترك فى هذا بالغ مبلغ التواتر ، ولا ينكره إلا مباهت .

النوع السادس : كلام الحيوان والنبات والجماد ولا شك فى (منه) أن ابن أدهم قعد تحت شجرة رمان فقالت : يا أبا إسحاق ! أبا بكلك منى فأكل منها ، وكان رمانها حامضا ، فحلا ، وحملت فى العام مر وسميت رمانة العابدين . وأراد الشبلى أن يأكل من شجرة فلما مد يده قال لا تأكل منى فإننى ليهودي ؛ وجاء إلى القمولى رجلان يختصمان فى بقرة ، (١) وردت معظم هذه الكرامات فى تضاعيف هذا الكتاب . وقد أوردها التاج السبکى كذلك فى الكجرى .

قاضيا بالصعيد فأقام كل منهما بينة بأنها له ، فقالت له : أنا لهذا . ومن ذلك أن جدنا الشرف المناوى زار الشرف الأنصارى وجلس معه بمنظرته بيته ببولاق فشكى إليه كثرة زرق الطيور على الكتب والفرش فرفع رأسه إليها وقال : يا أيها الطيور لا ت homosexوا حول هذا الحمى إلا بخير ، فلم تعد بعد ذلك .

النوع السابع : إبراء العلل ، كما روى أن الجيلانى قال لصبي مقعد مفلوج أعمى : قم بإذن الله تعالى فقام لاعاهة به .

النوع الثامن : طاعة الحيوان لهم كما حكى أن المھینی وغيره كان يركب الأسد بل وأطاعه الجماد كما في قول ابن عبد السلام في واقعة الفرنج للريح : يا ريح خذيمهم فأخذتهم .

النوع التاسع ، والعشر ، والحادي عشر : طيُّ الزمان ونشره ، وإجابة الدعاء ، وذلك كثير جدا .

النوع الثاني عشر : إخباره ببعض المغيبات والكشف ، وهو درجات تخرج عن حد المحرر ، وذلك موجود الآن بكثرة ولا يعارضه قوله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيه أحدا * إلا من ارتضى من رسول »^(١) لأننا لا نسلم عموم الغيب فيجوز أن يخص بحال القيامة بقرينة السياق .

النوع الثالث عشر : الصبر على عدم الطعام والشراب ، الأمد الطويل ، وهو كثير مشاهد .

النوع الرابع عشر : مقام التصريف ، وهو كثير في كل زمن ، ولا ينكره إلا معاند .

النوع الخامس عشر : القدرة على تناول الكثير من الغذاء كما نقل عن الشيخ دمرداش أن بعض الأمراء عمل له وليمة ، ودعاه وجماعته فتوجه إليه

وحده ، فتشوش لعدم حضور القراء ، وقال : من يأكل الطعام !! فمد السماط فأكله الشيخ كله .

النوع السادس عشر : الحفظ عن الحرام أن يدخل الجوف ، كما حُكى عن المحدث الحاسبي أنه كان إذا حضر إليه طعام فيه شبهة تحرك فيه عرق ، وكان المرسي يتحرك منه كل عرق .

النوع السابع عشر : رؤية الأماكن بعيدة من وراء الحجب فمن ذلك أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي كان يشاهد الكعبة وهو في بغداد .

النوع الثامن عشر : الهيبة التي لبعضهم بحيث مات من شاهده عن^(١) رؤيته كما حصل لأبي يزيد البسطامي مع ذلك الفقير ، ووقع للشيخ أحمد البدوي وغيرهما .

النوع التاسع عشر : قسم الله تعالى لم يريد بهم سوءاً ، كما وقع لبعضهم أنه زاحم رجلاً فضرره على وجهه فطارت يده مع الضربة فأبصره رجل فشدد النكير عليه وقال له : كف بكتف إن هذا لظلم عظيم فقال : والله ما أرددته ، وإنما رب الجنة غار عليها .

النوع العشرون : التطور بأطوار مختلفات وأشكال متباعدة ، ومنه ما وقع لقضيب البان الموصلى أن فقيها أنكر عليه لكونه لم يره يصلى فتطور له على الفور في صور مختلفة فقال : في أي صورة من هذه الصور لم ترن أصلى !! وسيجيء في ترجمته ، والصوفية يثبتون عالماً متوسطاً بين عالم الأجساد والأرواح يسمونه عالم المثال وعالم الخيال واستأنسوا له بآية « فتتمثل لها بشراً سوياً »^(٢) ووقع أن بعض العلماء^(٣) رأى فقيراً يتوضأ في المدرسة السيوفية

(١) « مجرد في ش ». .

(٢) سورة مرثي ، الآية ١٧ .

(٣) هو عمر بن الفارض ، انظر ترجمته في هذا الكتاب .

وضوءاً مشوشًا غير مرتب ، فقال حرام عليك فقال : لم أتوضأ إلا مرتبًا ، وإنما أنت أعمى لو أبصرت لأبصرت هكذا ! وأخذ بيده فأرآه الكعبة والطائفين وهو بمصر ، قال في روض الرياحين^(١) : وقد سمعنا سامعاً محققاً أن جماعة شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافاً محققاً ، قال : ورأيت من شاهد ذلك من الثقات الأتقياء بل من السادات العلماء ، وقال ابن عربى : كنت أنا وصاحب لى بساحل البحر المحيط فرأيت رجلاً وضع حصيراً في الهواء ووقف يصلى عليه فوقت تحته وقلت :

شغل الحبيب^(٢) عن الحبيب بسره في حب من خلق الهوا وسحره
العارفون عقولهم معقولة عن كل كون ترتضيه مطهّره
فهم لديه مكرمون وعنده أسرارهم محفوظة ومحرّره

فأوجز في صلاته وقال : إنما فعلت ذلك لهذا المنكر الذي معك وأنا الخضر ، قال ابن عربى : ولم أكن أعلم أن صاحبى ينكر كرامات الأولياء ، فقلت له : أكنت تنكر ؟ قال : نعم وما بعد العيان إلا الإذعان ! والأخبار في ذلك كثيرة ، وإنما ذكرنا هنا جملة مجملة وسيأتي بعض ذلك مفصلاً في التراجم ، وقدمناها ليتحرج الناظر في تصاعيف الكتاب ، ويلزم الأدب فلا ينكر فيحل به العطّب . وقد قال في الإحياء^(٣) : ما حكى عن المشايخ من سماع صوت الهواتف وفنون الكرامات خارج عن الحصر والمحاكاة لا تنفع الجاحد مالم يشاهد في نفسه ، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل ، والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران :

أحدهما : عجائب الرؤيا الصالحة الصادقة فإنه ينكشف به الغيب ،

(١) للإمام البافاعي ، صاحب « مرآة الجنان » .

(٢) جاءت « المحب » في « ش » .

(٣) للإمام أبي حامد الغزالى : إحياء علوم الدين .

وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم شغلها بالمحسوس ، وكم من متيقظ لا يسمع ولا يبصر لشغله بنفسه .

والثاني : إخبار الرسول عن الغيب وأمور آتية ، وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره ، إذ النبي رجل كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص يكافش بالحقائق ولا يستغله بإصلاح الخلق وهذا يسمى ولها لا نبيا .

تنبيه

قال بعض الكاملين : إظهار الكرامة وإخفاؤها على حسب النظر لأصلها وفرعها فمن عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة مع ربه ومن عبر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء ! وقد صر إظهار الكرامة من قوم وثبت العمل في إخفائها من آخرين كالمرسي في الإظهار وابن أبي جمرة في الإخفاء حتى قال بعض أتباع ابن أبي جمرة : إن طريقهما مختلف فبلغه فقال : والله ما اختلفت قطر طريقتنا لكنه بسطه العلم وقبضني الورع ! وقال بعضهم : من الناس من يغلب عليه الفناء بالله فيظهر الكرامات ، وينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام ولا توقف فيدعى بحق عن حق لحق في حق كالكيلاتي وأبي يعزى وعامة متأخرى الشاذلية ، ومنهم من يغلب عليه الفقر إلى الله فيكل لسانه ويقف مع جانب الورع ، ومنهم من تختلف أحواله فتارة وтارة ، وهو أكمل الكمال لأنه حال المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لما أنه أطعمن ألفا من صاع وشد الحجر على بطنه .

تتمة

قال في روض الرياحين : الناس في الكرامات أقسام ، منهم من ينكرها مطلقاً وهم أهل مذهب معروفون وعن التقى والهوى مصروفون ، ومنهم من يصدق بكرامات من مضى دون أهل زمنه وهم كبني إسرائيل صدقوا بموسى حين لم يروه وكذبوا محمداً حين رأوه مع كونه أعظم ، ومنهم من يصدق بالأولياء في زمانه لكن لا يصدق بأحد معين ، وهذا محروم من الإمداد ؛ لأن من لم يسلم بأحد معين لا ينتفع بأحد أبداً .

خاتمة

لا يبلغ ولئن درجة النبي خلافاً لما زعمه بعض الـ^(١) الكرامية عنه التكاليف بكمال الولاية كما ادعى بعض أهل الإلحاد والاتحاد ، أن الولي إذا بلغ الغاية في المحبة وصفاء القلب وكمال الإخلاص سقط عنـه الأمر والنهي ، ولم يضره ذنب ولا يدخل النار بارتکاب الكبائر ، وذلك باطل بإجماع المسلمين ، ولا تكون ولاية غير النبي أفضل من النبوة بحال ، وإنما الكلام في ولايته فقيل : هي أفضل من النبوة لما فيها من معنى القرب وكمال الاختصاص ، وقيل : يا نبوته لما فيها من الوساطة بين الحق والخلق والقيام بصالح الدارين مشاهدة الملك وغير ذلك . ثم إن ظهور الكرامة لا يدل على أنها بل على فضله ، وقد يكون غيره أفضل منه ، فالأفضلية وكمال العرفان ، ولهذا قال سيد الطائفـة الجنيد : مش بالعطش أفضل منهم ، والله تعالى أعلم .

وهذا أوان الشروع في المقصود فأقول مـ

(١) أتباع محمد بن كرام السجستاني ، انظر المقربي خـ

فَعَلِمْنَا أَنَّ وَقْنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ لِرَضَاتِهِ أَنَّ سِيدَ الْأُولَيَاءِ وَمَسْوَدَ سَادَاتِ
الْأَخْفَيَاءِ وَجُوهرَ عَقْدِ الرِّسَالَةِ الْأَنْظَمِ ، وَالْقَامُوسُ الْخَضْمُ الْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ، الَّذِي
مِنْهُ الْمَدُ بِدَوَامِ الْمَدِ ، هُوَ الْمَصْطَفِيُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، فَلَنْ يَبْتَدِئَ بِذَكْرِ
شَيْءٍ مِنْ تَرْجِمَتِهِ وَإِنْ كَانَ مَفْرَدةً بِمَجْلِدَاتٍ^(١) ، بَلْ هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصَىُ ، وَأَكْبَرُ
مِنْ أَنْ تَسْتَقْصِيُ ، وَيَنْحُصُرُ الْمَقْصُودُ هُنَا مِنْ ذَلِكَ فِي ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ :

السيرة والتاريخ والحديث وغيرها ، ولا سيما سيرة ابن هشام لابن إسحاق
للسهيلي ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ، وإنسان العيون ، المعروف
بن الحلي (٤٤٠ هـ) ، وسبل الهدى والرشاد أو السيرة الشامية لمحمد
اللدني للقسطلاني ، وابن قيم الجوزية في زاد المعاد في هذه خير
ومغلطائي بن قليع في الزهر الباسم ؛ ونور النبراس لابن خليل
كالكامل لابن الأثير ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ
النبيه للذهبي .

الباب الأول

في

سيرة صلى الله عليه وسلم

من ولادته إلى وفاته

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهذا مجمع عليه ، ورفع نسبة إلى آدم كرمه الإمام مالك وغيره لعدم ثبوته ، ولد بمكة في شهر ربيع الأول يوم الاثنين عام الفيل . ورأت أمه آمنة حين وضعه نوراً خرج منها أضاءت له قصور بصرى ، ووضع وبصره مرتفع إلى السموات ، ومات أبوه وعمره عامان وثلث ، وقيل : كان حملًا ، وأرضعته ثوبية جارية عمه أبي لهب وبعدها حليمة السعدية فأقام عندها في بنى سعد أربعة أعوام فأتاه جبريل فشق صدره فخافت عليه فردهه إلى أمه فخرجت به إلى المدينة لزيارة أخواله فمرضت وهي راجعة به فماتت ودفنت بالأبواء وعمره نحو ست سنين ، فحملته أم أمين إلى جده عبد المطلب بمكة فكفله إلى قام ثماني ومات فأوصى به إلى عمه أبي طالب فافتخر بشرف كفالته وتربيته وأمر الله تعالى بشأنه إسرافيل عليه السلام أن يقوم بلازمته بطريق المراقبة والمقارنة ، فكان قرينه إلى أن تم له إحدى عشرة سنة ، ثم أمر جبريل عليه السلام بلازمته بطريق المراقبة والمقارنة والحفظ لكن لم يظهر له ولم يكلمه وسافر مع عمه إلى الشام حتى وصل بصرى فرأه بحيراً الراهب فرأى منه علامات النبوة فقال لعمه : ارجع به لثلا تقتله اليهود ، وكان عمره اثنين عشرة سنة ، ثم سافر إلى الشام مع ميسرة في تجارة لخديجة

فباع واشتري ورأى منه ميسرة العجائب وما خص به من المواهب ، فأخبر خديجة فخطبته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين وهى بنت أربعين ، وصار يدعى بالأمين فلما تم له خمس وثلاثون سنة بنت قريش البيت فاختلفوا فيمن يضع الجحر محله وتنازعوا ثم رضوا بأنه الذى يضعه ، فوضعه بيده ، وصار من يومئذ يسمع صوتاً أحياناً ولا يرى شخصاً ، ثم صار يرى نوراً ، ولما قربت أيام الوجه أحب الخلوة والانفراد ، فكان يختلى في جبل حراء بالذكر ، وزعم أنه كان بالفكر لا التفات إليه : لأن خلوة طلاب طريق الحق على أنواع :

الأول : أن تكون لطلب مزيد علم من الحق لا بطريق النظر والفكر ، وهذا غاية مقاصد أهل الحق ؛ لأن من خاطب في خلوته كونا من الأكون أو فكر فيه فليس في خلوة ، قال رجل لبعض الأكابر : اذكرني عند ربك في خلوتك فقال : إذا ذكرتك فلست معه في خلوة ، وشرط هذه الخلوة أن يذكر بنفسه وروحه لا بنفسه ولسانه .

الثاني : أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر ليصح نظرهم في طلب المعلومات وهذه لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل ، وذلك الميزان في غاية اللطافة وهو بأدنى هوى يخرج عن الاستقامة وطلاب طريق الحق لا يدخلون هذه الخلوة بل خلوتهم بالذكر وليس للذكر عليهم سلطان ، ومهما وجد الفكر طرقاً إلى صاحب هذه الخلوة فليعلم أنه ليس من أهلها فيخرج منها ، وأنه ليس من أهل العلم الصحيح الإلهي ؛ إذ لو كان من أهلة حالت العناية الإلهية بينه وبين دوران رأسه بالتفكير .

الثالث : خلوة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والشغل بما لا يعني .

الرابع : خلوة لطلب زيادة توجد فيها وخلوة حضرة الرسالة من النوع الأول فكان بعيداً من المخالطات حتى من الأهل والمال واستغرق في بحر الأفكار

القلبية فانقطع عن الأضداد بالكلية وظهر له من الأنس والجلوة بتذكر من له الخلوة ولم يزل في ذلك الأنس ومرأة الوحي تزداد من الصفاء والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال والمراد ، ظهرت تباشير صبح الدجا وأشرقت ، وانتشرت بروق السعادة وتلألقت ، وصار لا يرى بشجر ولا حجر إلا قال بلسان فصيح : السلام عليك يا رسول الله فينظر يينا وشمالا فلا يرى شيئا ولا خيالا ، فيبينما هو كذلك - وذلك عند مضي أربعين عاما من عمره - قائم على جبل حراء إذ ظهر له شخص فقال : أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة ثم أخرج له قطعة نطف من حرير مرصعة بجوهر فوضعها في يده وقال : اقرأ فقال : ما أنا بقاريء ! فضممه وغطه حتى بلغ منه الجهد ، ثم قال : اقرأ ! فقال : لست بقاريء ! فغطه كذلك ثلاثة ثم قال : « اقرأ باسم ربك - إلى قوله - مالم يعلم ^(١) ثم قال : انزل من على الجبل فنزل معه إلى الأرض فأجلسه على درنوك أبيض وعليه ثوبان أحضران ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضا جبريل وأمره أن يفعل ك فعله ثم أخذ كفا من ماء فرش به وجه الرسول ثم صلى به ركعتين وقال الصلاة هكذا وغاب فرجع إلى مكة وقص على خديجة رضي الله عنها وقال قد خشيت على نفسي فثبتته وصدقته فكانت أول من آمن ، ثم أتت به ورقة بن نوفل فقص عليه ما رأى فصدقه فكان أول رجل آمن به وقال : هذا الناموس الذي أنزل على موسى عليه السلام ، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك ، قال أو مخرجني هم ؟ قال : ما جاء أحد بمثل ماجئت به إلا عودي ، ثم أسلم على وأبو بكر رضي الله عنهما ، ثم أقام بمكة ثلاثة عشرة سنة يدعوا الناس إلى الدين وكان يستقبل في صلاته بيت المقدس ثم بعد الهجرة حولت القبلة للécoute ، ولما كثر المسلمون اتخذوا دار الأرقام فاختفوا فيه ثلاثة سنين ثم أمر بإظهار الدين فدعا إلى الإسلام جهرا وأنزل الله القرآن فتحداهم بسورة منه فلم يقدروا ، فمن قائل : هذا سحر ، ومن قائل : في أذنى وقر ، وأقر الوليد بن

المغيرة والنضر وعقبة والأنس وأبو جهل ، بأنه غير مفترى وأنه ليس من كلام البشر ، ولكن غلبت عليهم الشقاوة ، واستهزاً به جماعة فاهموا وكفاه الله شرهم ، ولما فشا الإسلام مشى كفار قريش إلى عمه أبي طالب وشكوا ما سمعوه منه من سب آلهتهم وذم دينهم وتكرز ذلك وهو يذب عنه ، وفي آخر المرار قالوا : أعطنا محمداً نقتله وخذ بده عمارة بن الوليد فتبناه فقال : أكفل ابنكم وأعطيكم ابني لتقتلوه !! هذا لا يكون فمضى يجهر بالتوحيد فاجمعت قريش أن يقولوا ساحر وقعدوا بالطرق أيام الموسم يحذرون منه الناس ، فافترقوا وقد شاع أمره وسار ذكره ؛ فأخذوا في إيزائه وتعذيب من أسلم وطلبو منه آية فأراهم انشقاق القمر فزاد الذين آمنوا إيماناً والكافر طغياناً ، ولما اشتد على المسلمين البلاء هاجر جمع منهم للحبشة فاقاموا بها خمس سنين ثم بلغهم إسلام قريش فعادوا فوجدوه باطلاً فرجعوا فعظمت معاداة قريش له ولصاحبه ، فكتبوا كتاباً أن لا ينأكحوا بني هاشم ولا يوالوهم ، ولا ولا ، وعلقوه بالكعبة وحصروه بالشعب ثلاثة سنين حتى اشتد بهم البلاء ، وسمعت أصوات صبيانهم يتضوعون من الجوع ، وأطلع الله نبيه على أن الأرضة أكلت ما في الصحيفة من جور وظلم وبقي ذكر الله فأخبرهم فأخرجوها فوجدت كذلك وشلت يد كاتبها ؛ فقام رجال من الكفار في نقضها فلبسو السلاح وأخرجوهم ؛ ثم مات عمه أبو طالب ثم خديجة فحزن لذلك ثم بعد عام ونصف أسرى به من مكة للقدس على ظهر البراق ، ثم علا إلى السماء ومعه جبريل فأتى الأنبياء كل واحد في سماء ففرحوا به ثم علا إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام بالأقدار ، ثم دنا فتدى ، ففرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة فلم يزل يراجعه ويسأله التخفيف بإشارة موسى حتى جعلها خمساً ، فلما أصبح أخبرهم فصدقه الصديق رضي الله عنه وكذبه الكفار وسألوه عن صفة بيت المقدس ولم يكن رآه قبل فرفعه إليه جبريل عليه السلام حتى وصفه لهم ، فلم يكن لهم تكذيبه لكن جحدوا عناها ، ولما اشتد الأذى للمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، عرض نفسه على القبائل يطلب من يؤويه

ويحميه ليبلغ رسالة ربه ، فكل منهم يعرض ويهرأ به حتى أتاح الله له الأنصار ، فصار الواحد منهم يسلم فيسلم جميع عشيرته ففسى الإسلام بالمدينة فهاجر إليها المسلمين ، وأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يهاجر فمنعه حتى هاجرا معاً فخرجوا إلى غار ثور ، ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما وابن أريقط يدل على الطريق سلكوا طريق الساحل وأعمى الله عنهم العدو فرأهم سرقة فتبعهم يريد قتلهم فدعا عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فساخت فرسه في الأرض فناداه الأمان يا محمد ، فدعا له فخلص ، وحلف أن لا يدل عليه أحداً فرجع فلقه الكفار يطلبونه فقال : ارجعوا فقد استبرأت لكم ثم مروا بخيمة أم معبد فاستسقوها لبنا فقالت : ما عندى ، فنظر المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، إلى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه ؟ قالت : شاة أضر بها الجهد ، وما بها لبن ، فمسح ضرعها فحلبت وشربوا وسافر حتى وصل إلى قباء يوم الاثنين من ربيع الأول فأقام بها أربعاً ، ثم رحل يوم الجمعة فصلى بمسجد الجمعة وهي أول جمعة صلاها ثم ارتحل للمدينة فبركت ناقته بمحل مسجده الآن ، فنزل بدار أبي أيوب حتى بني مسجده ومنازل زوجاته وبني صحبه حوله ، وكانت المدينة كثيرة الربا ، فزال ونقل الله منها الحمى إلى الجحفة فأقام بها شهراً ثم نزل عليه إقام الصلاة أربعاً ، وأقام من ربيع الأول إلى صفر يبني مسجده ، وفي هذا العام كان ابتداء الأمر بالأذان ، وفي الثاني فرض الصوم وزكاة الفطر والمال وحولت القبلة للküبة وغزا بدراً ، وفي الثالث أخذوا ، والرابع بنى النضير وقصرت الصلاة وحرم الخمر وشرع التيمم وصلاة الخوف ، والخامس الخندق وبني قريظة والمطلق ، والسادس عمرة الحديبية وبيعة الرضوان وفرض الحج ، والسابع خيبر وعمره القضاء ، والثامن وقعة مؤتة وفتح مكة وحنين ، والتاسع تبوك وحجة الصديق ، رضي الله عنه ، ويسمى عام الوفود ، والعشر حجة الوداع ، والحادي عشر وفاته .

الباب الثاني في صفاته الطاهرة

كان ، صلى الله عليه وسلم ، ربيعا لا بالطويل ولا بالقصير ، لكنه إلى الطول أقرب ، بعيد ما بين المنكبين أزهر اللون عظيم الهامة . واسع الجبين . أزج الحاجبين أبلج ما بينهما كأن ما بينهما الفضة المخلصة أدعج العينين ، فيهما توج من حمرة ، مفلج الأسنان يفتر عن مثل حب الغمام . شعره غير جعد ولا قطط بل وسط ، أحسن الناس عنقا . لا يناسب إلى طول ولا إلى قصر ، ما ظهر من عنقه للريح والشمس كأنه إبريق فضة مشرب ذهباً ، عريض الصدر لا يعده لحم بعض بدنـه بعضا كالقمر في بياضه ، موصول ما بين لبته وسرته بشعر كالقضيب ليس في صدره ولا بطنـه غيره ، وله عـكن ثلاثة يغطي الإزار منها واحدة وتظهر اشتتان ، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم رؤوس العظام واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة مما يلى منكبه الأعين ، فيه شامة سوداء ، تضرب إلى صفرة حولها شعرات متواالية كأنها عرف فرس ، عَبِلُ العضدين والذراعين ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، سايلُ الأطراف كأن أصابعه قضبان فضة ، كفه ألين من المخز كأنه كف عطار ، يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان برياحها على رأسه ، عَبِلُ ما تحت الإزار من الفخذ والساقي ، معتدل الخلق في السمن ، بدن في آخر عمره ، وكان لحمه متamasكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن ، وكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر^(١) من صبب ، يخطو تكتيماً وينمشي هونا بغير تبخر ، إذا التفت التفت جميعاً ولا يلوى عنقه ، عرقه كاللؤلؤ في البياض والمسك في الريح ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله .

(١) « ينحط » في ش .

الباب الثالث

في

صفاته الباطنة وأخلاقه الظاهرة وأدابه الباهرة

قد زينه الله بالخلق الكريم ، ثم أضاف ذلك إليه ، فقال سبحانه : « وإنك على خلق عظيم »^(١) فمن مكارم أخلاقه ومحاسن آدابه أنه كان أحلم الناس وأشجعهم وأعدلهم وأعفّهم ، وأجودهم ، لا يبيت عنده درهم ولا دينار ، وإن فضل ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل ، لا يأوي منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاجه . وما سئل قط فقال لا ، وكان أصدقهم لهجة ؛ وأشدّهم تواضعاً وألينهم عريكة وأكرّهم عشرة ، وأعظمهم حياء ؛ لا يثبت بصره في وجه أحد ، أسكت الناس في غير كبير ، وأفصحهم وأبلغهم في غير تطويل ، يقبل الهدية ولو جرعة لبن ، وفخذ أربن ، ويكافئه عليها بأكثر وأأكلها ، ولا يأكل الصدقة ، يغضب لربه لا لنفسه ، ينفذ الحق وإن عاد بالضرر عليه ، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، خافض الطرف من رأه بدبيهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف في وجهه غضبه ورضاه ، وإذا ألهه أمر أكثر من مس لحيته ، يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من سمعه ، ويعيد الكلمة ثلاثة أحياناً لتعقل عنه ، وكان متواصل الأحزان ، دائم الفكر ليست له راحة ، لا يتكلم في غير حاجة ، كثير البكاء والضراوة ، يمشي مع المسكين والأرملة لقضاء حوائجهما ، وبخصف نعله ويرفع ثوبه ، وينقى الهوام منه ، ويحلب شاته ويخدم أهله ، ويمشي منتعلاً وحافياً ، ويعود المرضى حتى بعض الكفار وأهل النفاق ، ويشهد الجنائز ، ويزور قبور المؤمنين ، ويسلم عليهم ويستغفر لهم ، ويركب الفرس والبعير والحمار بأكاف وعرباً . لكن أكثر ركوبه

(١) الآية رقم ٤ سورة القلم .

للأولين ، وأما البغل ، فكان قليلاً في بر العرب لكن أهدى له فركبه ، ويركب منفداً ، ويرد أحياناً خلفه عبده وزوجته وغيرهما ، ويجالس الفقير ، ويأكل المسكين ، ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف ، فكان يتواضع لا كابر الكفار للتألف ، ولكونهم مظاهر العزة الإلهية ويقول : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ، ولا يواجه أحداً بما يكره ، ويذبح ولا يقول إلا حقاً ، ويورى ولا يقول في توريته إلا صدق ، ويجلس للأكل مع العبيد ويأتي إلى بساتين إخوانه إكراماً لهم ، ويشى وحده بين أعدائه بلا حارس ، لا يهوله شيء من أمر الدنيا ، لا يحقر مسكيناً لفقره ، ولا يهاب ملكاً لملكه ، يدعوه هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً ، وقيل له : ادع على الكفار فقال : إنما بعثت رحمة ، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون ، ولم يكن فحاشاً ولا لعاناً ولا بخيلاً ، ولا جباناً ولا صخباً في الأسواق ، يختار أيسر الأمور . ولا يضحك إلا تبسم ، يعجب مما يعجب منه جلساً ، ويضحك مما يضحكون ، ويدركون ما كان منهم في الجاهلية فيتبسم ، قد وسع الناس خلقه صنعته ؟ ولا في شيء تركه لم ترتكبه ، بل يقول لو قدر كان ، ولا ضرب بيده أحداً إلا في الجهاد ، مجلسه مجلس حلم وصبر ، وحياة ، من فاوذه حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده فيرسلها حتى يرسلها الآخر ، ولا يجلس إلا على ذكر الله ، وكان أكثر جلوسه مستقبلاً ، محبياً بيديه ، وكان حسن العشرة لأزواجه ويسوئ بينهم في الإيواء والنفقة ، وأما المحبة فيقول « اللهم هذا قسم في مما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » يعني المحبة والجماع ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام حتى الصبيان ويؤثر الداخل بوسادته ، ويبسط له ثوبه ، فإن أبي عزم عليه حتى يفعل ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق وإذا وعظ أحمرت عيناه وعلا صوته كأنه منذر جيش ، وإذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكان يقدم أصحابه أمامه وينع أن يمشي أحد خلفه ، ويقول : خلوا ظهرى للملائكة ، ولا يجزى سيئة بمثلها بل يغفو ويصفح ، جمع

الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة الكاملة ، وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ،
نشأ ببلاد الجهل فى فقر ، وفى رعاية الغنم يتيمًا من أبويه . فعلمه الله مكارم
الأخلاق وأدبه فأحسن تأديبه .

فصل

وكان خلقه فى الطعام أنه يأكل ما وجد ، ولا يتكلف ما فقد ، وإذا
حضر طعام لا يرده ، وما عاب طعاماً قط بل إن أعجبه أكله وإلا تركه . وأكل
لحم الإبل ، والبقر ، والغنم ، والدجاج ، والسمك ، والرطب ، والتمر ، وشرب
اللبن حليباً ومزوجاً ، وأكل الخبز بتمر ، والخبز بخل ، والخبز بشحم وكبد الغنم
مشوياً ، والقديد ، والدباء ، وكان يحبها ويتبعها من جوانب القصعة ، والجبن
والشريذ والخبز بزيت والخبز بزید ، وإذا لم يجد شيئاً صبر حتى شد الحجر على
بطنه ، وكان أحياناً لا يجد من الدَّقْلِ ما يملأ بطنه ، وكان يأكل لحم الطير الذى
يصاد ولا يتبعه ، ولا يصيده ، وكان إذا أتى طعامه بسط السفرة على الأرض
ووضعه عليها ولم يأكل على خوان ، ولا في سكرجة ، ويأكل بثلاثة أصابع
وربما استعن بالرابع ونهى عن الأكل بأصبع وقال : أكل الشيطان ، وباثنين
وقال : أكل الجباره وأكل اللقمة الساقطة ويقول : لا ندعها للشيطان ، ويلحس
القصعة ويقول : تستغفر للاحسها ، ويتبع ما سقط من السفرة ويقول من فعله
غفر له ، ويسمى الله أول طعامه وإذا فرغ حمده ، ولا يأكل متكتئاً بل مقعياً ،
ويقول : أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ، ويحب اللحم ويعجبه
الذراع وسم فيه ، والعجوة والعسل ، والحلوى ، وأحب الفاكهة إليه العنبر
والبطيخ ، قال الغزالى رحمة الله : وكان يأكل البطيخ بخبز ويسكر ويستعين
بديه جميماً ، وربما أكل العنبر خرطاً ، وكان أكثر طعامه التمر والماء ، وكان
يحب الهندباء ، والبقلة الحمقاء وهي الرجلة ، وكان يعاف الضب والطحال ، ولا

يحرمهما ، وأتى بلبن وعسل فى إناء فرده وقال أدمان فى إناء !! لا آكله ولا أحمره لكنى أكره الفخر وكان فى بيته يقوم ويأخذ ما يأكل بنفسه ، ولا يشتهى على أهل بيته طعاما ولا اقتربه وكان لا يأكل وحده ، ولا يجمع بين سمك ولبن ، ولا بين لبن وشىء من الخواص ، ولا بين غذائين حارين ، ولا باردين ولا قابضين ، ولا مسهلين ، ولا غليظين ، ولا بين لحم مشوى ، ومطبوخ وقديد . ورطب ، وحليب ولحم . ولا يأكل طعاما حارا . ولا يابسا . ولا ما فيه عفونة كالملوحات . وكان يدفع ضرر بعض الأطعمة ببعض كتمر بزید ، وبطيخ أو قثاء ، بربط ، وينقع التمر ويشرب ماءه لهضم الطعام . وأمر أن يؤكل ما تيسر قبل النوم ؛ وأن لا يؤكل الخبز وحده . ونهى عن النوم عقب الأكل وقال : أذيبوا طعامكم بذكر الله ، ولا تناموا عليه فتقسووا قلوبكم ، وكان يشرب فى ثلاثة أنفاس ويمض مصا ولا يعب ، ويقول : الكباد من العب ، ولا يتنفس فى الإناء ، ويشرب قاعدا غالبا ، ويشرب قائما لعذر ، وكان يحب شرب البارد ، ويكره الحار ، وإذا شرب دفع البقية لمن عن يمينه ، وإن كان من عن يساره أشرف أو أسن قال لصاحب اليمين : الشربة لك ، فإن شئت آثرته .

فصل

وأما خلقه فى اللباس فكان يلبس ما وجد كتنا أو صوفا أو قطنا والغالب القطن قميصا أو رداء أو إزارا أو غيرها ، ويحب الثياب الخضر ، ولبس البردة والخبرة والجلبة والخلة الحمراء ، والقباء ، والثوب السادج ، والأسود والفرو المعلم على أطرافه بسندس ، وكان أحب الثياب إليه القميص وفي خبر ضعيف أنه لبس السروال ولبس جبة خسروانية مفرحة عليها سجف من ديماج ، والطيلسان حال الحر كما فى اليوم الذى أمر بالهجرة فيه ، وكان له ثوبان لل الجمعة ، ويرد أخضر للعيد ويلبس العمامة البيضاء والسوداء ، والاكثر

البيضاء بغير قلنوسوة وبها ، وقلنسوة بغير عمامة ، ويجعل لها غالباً عَدَبَةً بين
كتفيه ، ولم تكن عمامته كبيرة تؤذى الرأس ، ولا صغيرة تقص عن وقاية الحر
والبرد ، ولم يتحرر في طولها وعرضها شيء وما وقع للطبرى أن طولها سبعة
أذرع في عرض ذراع وأنها من صوف لم يثبت ، وكان له عمامة تسمى السحاب
فوهيبها على رضى الله عنه ، فكان إذا قدم فيها يقول أتاكُم عَلَىٰ في السحاب ،
وكانت ثيابه كلها فوق الكعبين ، وربما جعلها لنصف الساق ، ويلبس ثوبه من
ميامنه ، وينزعه بالعكس ويقول عند لبسه الحمد لله الذي كسانى ما أستر به
عورتى وأتجمل به ، وإذا لبس جديداً أعطى الخلق مسكتينا ، وكان له ملحفة
مبسوقة بزغفران أو وَرْسٍ ، وكان له خاتم من فضة وفضه منه ونقشه محمد
رسول الله ، وكان يتختم في خنصر يمينه ويساره لكن اليمين أكثر ، ويلبس النعال
السبtie ، والتاسومة ، والخف ، وكان فرشه من أدم حشوه ليف طوله ذراعان
وشيء وعرضه ذراع ونحو شبر ، وكان له عباءة تفرش له حيشما ينتقل يثنى
طاقة^(١) تحته ، وربما نام على حصير وعلى الأرض جراءه وما عاب مضطجعاً قط
إن فرش له اضطجع وإلا نام على الأرض ، وكان يحب الطيب وإذا عرض عليه لا
يرده : ويكره الريح الكريهة ، ويتطيب بغالية ومسك وسک ، ويتبخر بكافور
وعود ، ويكتحل بالإثمد ثلاثة في كل عين ، وكان له جوار وعبيد ، وعتقاهم من
الغلمان أكثر ، وكان يبيع ويشتري ، لكن الشراء بعد البعثة أغلب والبيع نادر
وبعد الهجرة لم يحفظ البيع إلا في ثلاث صور والشراء كثير ، وأجر واستأجر
والاستئجار أغلب ، وأجر نفسه قبل النبوة لرعى الغنم ، ولخديجة للاتجار ، وشارك
ووكل وتوكل ، والتوكيل أكثر ، وأهدى له وقبل وعوض ، ووهب له وقبل ،
واستعار واشتري بنقد وبنسيئة وضمن عن الله ضماناً خاصاً وعاماً وشفع وشفع
إليه وشفع لعبد عند امرأته ليراجعها^(٢) فلم تقبل ولم يغضب ، وكان يكثر القسم

(١) طاقين في « ش » .

(٢) وفي « ش » جاءت العبارة على النحو التالي : « وشفع لمغيث عند امرأته ببررة ليراجعها » .

بالله ، والثابت منه يزيد على ثمانين موضعا ، وكان أكثر دعائه : يامقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك ، وكان يسمع الشعراء ويعطيهم وبهفهم الخلع ،
لأن كل ما قالوه ويقولونه إلى يوم القيامة قطرة من بحر كماله ، فعطاؤه لهم على
قول حق ، وأما مدح غيره فغالبا زور وبهتان وكذب صراح ، لا جرم قال : احثوا
في وجوه المداحين التراب ، فزعم التدافع غلط ، وسابق على قدميه ، وصارع ،
وطلق ، وأآلى ، وزعم أنه ظاهر غلط قبيح ، وضاف وأضاف ، وداوى وتداوي
بأدوية مفردة ومركبة ، ورقى واسترقى ، وحذر من التخمة وكثرة الأكل ، وعالج
الأمراض بالأدوية الطبيعية والإلهية ، صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع

في

عجزاته

وهي كثيرة ، منها أنه أنشق له القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، فشرب العسكر كلهم وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن بسط يده فيه وحن إليه الجذع الذي كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر حتى سمع منه الناس كصوت الإبل فضمه إليه فسكن ، وزويت له الأرض وسبع الحصى بكفه والطعام بحضرته وسلم الحجر والشجر عليه وكلمه الذراع وشكى إليه البعير وسلمت عليه الغزالة وشهد له الذئب بالنبوة وذهبت إليه الشجر من مغارسها وندرت عين قتادة فردها فكانت أحسن عينيه ، وتفل في عين على وهو أرمد فبرئت وسعت ولم يرمد بعد ، ومسح رجل ابن أبي عتيك لما انكسرت فصحت ، وأخبر أنه يقتل أبي بن خلف فخدشه يوم أحد خدشا يسيرا جدا فمات ، وعد في بدر مصارع الكفار قبل الواقعة فقتل كل منهم فيما عينه ، وقال في عثمان : تصيبه بلوى عظيمة فكان ما كان ، وأخبر بمقتل الأسود العنسي في صنعاء ليلة قتله وبأن كسرى قتل بفارس في يوم قتله ، ودعا على بذهاب الحر والبرد فلم يحس بهما بعد ، ولابن عباس بالفقه في الدين وعلم التأويل فصار بحرا ، ولأنس بكثرة المال والولد وطول العمر فرزق كثرة ولد وعاش مائة عام ، وصارت نخله تحمل في العام مرتين ، ودعا على عتبة بن أبي لهب فقال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد . وأطعم ألفا في غزوة الخندق من أقل من صاع ورمي الكفار يوم حنين بقبضة من تراب فامتلأت أعينهم منها وانهزموا ، وأخبر بأن عمara تقتلها الفتنة الباغية فقتله جيش معاوية ، وخرج على مائة من قريش ينتظرونها ووضع على رءوسهم ترابا ولم يروه ، وقال لنفر من صحبه مجتمعين : أحدكم في النار

فماتوا كلهم مسلمين إلا واحدا ارتد ، وأطعمن السم فمات الذي أكله معه وعاش هو أربع سنين ، وأنذر بأن طوائف من أمته يغزون البحر فوقع « وأخبر » بأن فاطمة أول أهلة لحقها به فكان ، وبأن أطول نسائه يدا أسرعهن لحقها به ، فكانت زينب أطولهن يدا بالصدقة وأولهن لحقا به ، ومسح ضرع شاة حائل فدرت ، وجاءه الحكم بن أبي العاص مرتعشا مستهزئا ، فقال : كذلك فكن ! فلم يزل يرتعش حتى مات ، وخطب امرأة فقال أبوها : بها برص امتناعا من إجابتة ، ولم يكن بها فقال : فليكن كذلك فبرقت حالا .

الباب الخامس

في

خصائص

وهي أنواع :

الأول - الواجبات عليه :

وهي الضحى والوتر وراتبة الصبح والأضحية ، والسوال ومشاورة العقلاء ، وتغيير منكر مطلقا ومصايرة العدو في الحرب وإن كثر ، وقضاء دين ميت مسلم معسر وطلاق كارهته وتخثير زوجاته بين الطلاق والمقام ، والتهجد ثم نسخ .

الثاني - المحرمات :

وهي الصدقة ولو نفلا ، والكفاراة وتعلم الخط القراءة والشعر وروايته وزرع لامته إذا لبسها قبل القتال ومد عينيه لمتاع غيره والإيماء إلى فعل مباح ققتل وضرب مع إظهار خلافه ، وتزوج الكتابية والأمة والمن ليستكثرا .

الثالث - المباحات :

وهي التزوج فوق تسع وتزوجه محurma ولا ولى وشهود وبلفظ الهبة إيجابا لا قبولا ووجوب إيجابته على امرأة خلية رغب فيها وتزوجه من شاء لمن شاء ومن نفسه متوليا للطرفين ومكثه بالمسجد جنبا وإدامة قضاء نافلة وقت الكراهة والوصال ، وأخذ صفي المغن والغنيمة وخمس خمسها مع سهمه كغانم ، وشهادته لنفسه ولفرعه وحكمه لهما ، وجواز الشهادة له بما ادعاه مع عدم علم الشاهد وشهادته كاثنين وحمى الموات لنفسه ، وأخذ طعام وشراب احتاجه من مالكه المحتاج إليه ولا ينتقض ظهره بالنوم وكذا الأنبياء .

الرابع - الإكرام :

فمن ذلك تحريم زوجاته وساريه على غيره وأنه خاتم الأنبياء وأفضلهم وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يقع بباب الجنة ومن يدخلها ثم الأنبياء ، وأول شافع ومشفع ، وأرسل إلى الشقلين وأقسم الله بحياته ، وكان لا ينام قلبه ويرى من خلفه ويبصر في الظلم كما يبصر في الضوء ، ولا فييء له في شمس ولا قمر ، ولا يقع الذباب على جسده وأجر تنفله بالصلة قاعداً كقائم ، وبخاطبه المصلى في تشهده وتلزمته إجابتـه إذا دعاـه وهو في الصلاة ولا تبطل بذلك ، ويحرم رفع الصوت عنـه ونـداءـه باسمـه ومن وراءـ الحـجرـاتـ والتـكـنىـ بـكـنيـتـهـ ، ولا يورث .

الباب السادس

في

كلام

وهو لا يحصيه إلا الله ..

لكن نتبرك بمائة* حديث منه بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف يعمل به في الفضائل . قال عليه الصلاة والسلام : « الأجر على قدر النسب » وقال : « من عادى لي ولها فقد آذنته بالحرب »^(١) وقال : اتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم دولة يوم القيمة »^(٢) وقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور »^(٣) وقال : « كونوا في الدنيا أضيافا واتخذوا المساجد بيوتا وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا التفكير والبكاء »^(٤) وقال : « كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنظر غدا لا يبلغه »^(٥) وقال : « كما تدين تدان »^(٦) وقال : « ابن آدم لك ما نويت وعليك ما اكتسبت وأنت مع من أحببت » وقال : « قل الحق وإن كان مرا » وقال : « يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا ويشروا ولا تنفروا »^(٧) وقال : « كل ميسر لما خلق له »^(٨) وقال :

* بلغ العدد مائة وثمانية حديث .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن الحسين بن علي .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن بن عمر ، وأحمد في مسنده والترمذى وابن ماجه في سننهما .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن الحكم بن عمير .

(٥) أخرجه الديلمى في مسنـد الفردوس عن ابن عمر .

(٦) لابن عدى في الكامل عن ابن عمر .

(٧) أخرجه أحمد في مسنـد والبخاري ومسلم والنـسائي عن أنس .

(٨) أخرجه أحمد في مسنـد والبخاري ومسلم في الصحيحين وأبو داود عن عمران بن حصين .

« حسن الجوار عمارة الديار وزيادة الأعمار ، ومن آذى جاره أورثه الله داره »
 وقال : « لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله وبيتليك »^(١) وقال : « لا يغنى
 حذر من قدر »^(٢) وقال : « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمانك ، إذا
 سألت فاسأل الله ، وإذا استعن فاستعن بالله ، واعلم بأن الأمة لو اجتمعت على
 أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك لم
 يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف »
 وقال : « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما
 أصابك لمن يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب :
 « وأن مع العسر يسرا »^(٣) وقال : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في
 أيدي الناس يحبك الناس »^(٤) وقال : « أتكم عقلاً أشدكم من الله خوفاً »^(٥)
 وقال : « أجملوا في طلب الدنيا فإن كلام ميسر لما خلق له »^(٦) وقال : « احذروا
 الدنيا فإنها أسرح من هاروت وماروت »^(٧) وقال : « اخزن لسانك إلا من
 خير »^(٨) وقال : « أخلص العمل يجزك منه القليل »^(٩) وقال : « ادعوا الله
 وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل
 لاه »^(١٠) وقال : « أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك »^(١١) وقال :

(١) أخرجه الترمذى عن وائلة وقال : حديث حسن .

(٢) المحاكم فى مستدركه عن عائشة .

(٣) أبو القاسم بن بشران فى أماليه عن أبي هريرة .

(٤) أخرجه ابن ماجه فى سننه والطبرانى فى الكبير والحاكم فى مستدركه والبىهقى فى شعب الإيمان عن
 سهل بن سعد .

(٥) أخرجه الغزالى ، انظر كنز الحقائق فى حديث خير المخلوق للمناوي ، ١٠ / ١ .

(٦) وهذا الحديث هو : أجملوا في طلب الدنيا فإن كلام ميسر لما كتب له منها ، أخرجه ابن ماجه فى
 سننه والحاكم فى مستدركه ، والطبرانى فى الكبير عن أبي حميد الساعدى .

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا فى ذم الدنيا ، والبىهقى فى شعب الإيمان عن أبي الدرداء .

(٨) أخرجه الطبرانى ، كنز الحقائق ١٣ / ١ .

(٩) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس ، كنز الحقائق ١٢ / ١ .

(١٠) أخرجه الترمذى فى جامعه ، والحاكم فى مستدركه عن أبي هريرة .

« إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صباً »^(١) وقال : « إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره »^(٢) وقال : « إذا أراد الله بعد خيراً زهده في الدنيا وبصره بعيوب نفسه وفقهه في الدين »^(٣) وقال : « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح » وقال : « إذا ترك العبد الدعاء للوالدين انقطع عنه الرزق في الدنيا » وقال : « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » وقال : « إذا حدثتم العباد عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعزب عنهم ويشق عليهم »^(٤) وقال : « إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغناء مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته »^(٥) وقال : « إذا رأيتم من يزهد في الدنيا فاذدوا منه فإنه يلقى الحكمة »^(٦) وقال : « إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معاصيه فاعلموا أنه استدرج »^(٧) وقال : « إذا سبب الله لأحدكم رزقاً بوجهه فلا يدعه حتى يتغير ويتنكر »^(٨) وقال : « إذا غضبت فاسكت »^(٩) وقال : « إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحزن حتى يكفرها »^(١٠) وقال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت »^(١١) وقال : « إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش »^(١٢) وقال : « إذا وقع القضاء عمى البصر »^(١٣) وقال : « إذا وقف العباد نادى المنادى ليقام من أجره على الله فيقوم العافون عن

(١) أخرجه البخاري في تاريخه ، وأبو داود والترمذى والحاكم في مستدركه عن أبو هريرة والدارقطنى في سننه ، والطبرانى في الكبير عن أبي أمامة .

(٢) أخرجه الديلمى في مسنده الفردوس ، كنز الحقائق ١٤/١ .

(٣) أخرجه الديلمى في مسنده الفردوس عن أنس ، الجامع الصغير للسيوطى ١٨/١ .

(٤) أخرجه البيهقى في شعب الإيمان عن أنس عن محمد بن كعب القرظى مرسلة .

(٥) وجاء بظاهر آخر في سنن ابن ماجه وفي الحلية لأبي نعيم والبيهقى في شعب الإيمان عن أبي هريرة « إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهداً في الدنيا وقلة منطق ، فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة » .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس بلطف آخر « إذا غضب أحدكم فليسكت » .

(٧) أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة .

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة ، وأبو يعلى في مسنده والبيهقى في شعب الإيمان عن أنس .

الناس » وقال : « ازدد عقلاً تزدد من الله قريباً » وقال : « سل الله العفو والغافية »^(١) وقال : « استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود »^(٢) وقال : استعينوا على كل صنعة بأهلها »^(٣) وقال : « استفت قلبك وإن أفتوك »^(٤) وقال : « اسمح يسمح لك »^(٥) وقال : « أشد الناس عذاباً يوم القيمة إمام جائز »^(٦) وقال : « أشد الناس عذاباً يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه »^(٧) وقال : « أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحل لكم من عفا عند القدرة »^(٨) وقال : « أصب بطعمك من تحب في الله »^(٩) وقال : « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »^(١٠) وقال : « أعظم الناس خطايا اللسان الكذوب »^(١١) وقال : « أعظم الناس خطايا أكثرهم خوضاً في الباطل »^(١٢) وقال : « مفاتيح أرزاق العباد يازأ العرش فمن كثُر كُثُر له ومن قلل قلل » له وقال : « ارحموا ترحموا »^(١٣) وقال : « الخلق كلهم عباد الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله »^(١٤) وقال : « أفضل الأعمال أن يسلم الناس من لسانك ويدك وما

(١) سل الله العفو والغافبة في الدنيا والآخرة ، أخرجه البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن جعفر .

(٢) أخرجه العقيلي في الضعناء ، وابن عدى في الكامل ، والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الخلية ، والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كنز الحقائق ٢٩/١ .

(٤) وفي لفظ آخر « استفت نفسك وإن أفتاك المفتون ، أخرجه البخاري في صحيحه عن واصبة ، كنز الحقائق ٣٠/١ .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس .

(٦) أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، وابو نعيم في الخلية عن أبي سعيد .

(٧) أخرجه الطبراني في الصغير ، وابن عدى في الكامل ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة .

(٨) ابن أبي الدنيا في ذم الغضب ، عن علي .

(٩) ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان عن الصحاح مرسلًا .

(١٠) أخرجه البيهقي في شعبه ، كنز الحقائق ٣٤/١ .

(١١) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كنز الحقائق ٣٤/١ .

(١٢) أخرجه أحمد في مسنده ، والبخاري في الأدب ، والبيهقي في شعبه ، عن ابن عمر .

(١٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ، والبزار عن أنس ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود .

عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت مؤنة الناس عليه »^(١) وقال : « ما تنزع الرحمة إلا من شقى » وقال : « ما من كلمة أفضل من كلمة عدل عند إمام جائز » وقال : « مطلب الغنى ظلم »^(٢) وقال : « مداراة الناس صدقة »^(٣) وقال : « ملاك الدين الورع » وقال : « من سعادة المرء حسن الخلق » وقال : « نوم الصبح يمنع الرزق » وقال : « ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله »^(٤) وقال : « لا تحدثوا أمتى من أحاديثي إلا بما تحتمله عقولهم » وقال : « لا تزال لا إله إلا الله ترفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفة دنياهم على آخرتهم » وقال : « لا تكثرا همك ما قدر يكن وما تُرزق يأتوك »^(٥) وقال : « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع متلا بأس به حذرا مما به بأس » وقال : « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه »^(٦) وقال : « أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتكم الربح بلا بضاعة » وقال : « أيها الناس ألا تستحيون ، تجتمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون » وقال : « يا بن آدم ارض من الدنيا بالقوت فإن القوت لم يموت كثير » وقال : « لا عقل كالتدبر ولا حسب كحسن الخلق »^(٧) وقال : « أحذرك الدنيا وحلوة رضاعها ومراة فطامها » وقال : « ياعجبنا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور » وقال : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم » وقال : « يُحشر الجبارون يوم القيمة في صورة الذر » وقال : « يقول الله : اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري » وقال : « اليسر مين والعسر

(١) أخرجه الطبراني ، كنز الحقائق . ١ . ٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأصحاب السنن الأربع عن أبي هريرة .

(٣) ابن حبان في صحيحه ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر .

(٤) أخرجه الدبلمي في مستند الفردوس ، كنز الحقائق . ١٥٥ / ٢ .

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن عبادة ، وفي القدر عن ابن مسعود .

(٦) « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه بعد عزها بالدين » ، أخرجه أحمد في مستنته ، كنز الحقائق . ١٩٢ / ٢ .

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي ذر .

أن تستجاب دعوته وتكشف كريته ، فليخرج عن معسر » وقال : « من أرضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله » وقال : « تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فإن من كانت الدنيا أكبر همه أفسى الله تعالى ضياعته وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله تعالى أمره ، وجعل غناه في قلبه ؛ وما أقبل عبد على الله إلا جعل قلوب المؤمنين تغدو إليه بالود والرحمة »^(١) .

(٣) أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء .

شئم » وقال : « اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار » وقال : « ما امتلأت دار حيرة إلا امتلأت عبرة وما كانت فرحة إلا تبعتها ترحة » وقال : « ما أوحى الله إلى أن اجمع المال وكن من المتجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين » وقال : « إنك لن تدع لله شيئا إلا عوضك الله خيرا منه » وقال : « ما جبل الله ولها إلا على السخاء وحسن الخلق »^(١) وقال : « حق على الله أن لا يرفع شيئا من أمر الدنيا إلا وضعه » وقال : « ما من أحد ذى غنى ولا فقر إلا ود يوم القيمة أنه كان أوتى من الدنيا قوتا » وقال : « ما هو بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » وقال : « ما من يوم تصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط مسكا تلفا » وقال : « مت فقيراً ولا تمت غنيا »^(٢) وقال : « ما يسر الله على عبد في الدنيا إلا يسر عليه في الآخرة » وقال : « من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه » وقال : « من سعادة المرء حسن الخلق » وقال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقال : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب المعيشة » وقال : « من آذى جاره فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » قال : « من آذى مسلما بغیر حق فکائفا هدم بيت الله » وقال : « من اتقى الله عاش قويا وسار في بلاد عدوه آمنا » وقال : « من أحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده » وقال : « من أحب قوما حشر معهم » وقال : « من أحب شيئا أكثر من ذكره » وقال : « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فاثروا ما يبقى على ما يفني » وقال : « من اتقى ربه كل لسانه ولم يُشف غيظه »^(٣) وقال : « من أحب أن تسره صحيفته فليكتثر من الاستغفار » وقال : « من أراد

(١) أخرجه ابن عدي ، كنز الحقائق . ٨٧/٢

(٢) أخرجه الطبراني ، كنز الحقائق . ٩٢/٢

(٣) أخرجه ابن عدي ، كنز الحقائق . ٨٧/٢

الباب السابع

في

ذكر شيء من أدعيةه

وهي أربعون^(١) :

الاول : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع ، وقلب لا يخشى ، ودعا لا يسمع .

الثاني : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً .

الثالث : اللهم توفنـى فقيرا ولا توفـنى غـنيـا واحـشرـنى في زـمرة المـساـكـينـ وإنـ أـشـقـيـاءـ منـ اـجـتـمـعـ عـلـيـهـ فـقـرـ الدـنـيـاـ ، وـعـذـابـ الـآـخـرـةـ .

الرابع : اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع ، ومن صلاة لا تنفع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن قلب لا يخشى .

الخامس : اللهم اجعلـنـى شـكـورـا واجـعـلـنـى صـبـورـا ، واجـعـلـنـى في عـيـنـى صـغـيرـا ، وـفـىـ أـعـيـنـ النـاسـ كـبـيرـاـ .

السادس : اللهم إني أسألكـ منـ الخـيـرـ كـلـهـ مـاـ عـلـمـتـ مـنـهـ وـمـاـ لـمـ أـعـلـمـ وأـعـوـذـ بـكـ مـنـ الشـرـ كـلـهـ مـاـ عـلـمـتـ مـنـهـ وـمـاـ لـمـ أـعـلـمـ .

السابع : اللهم استر عورتـىـ ، وـآـمـنـ روـعـتـىـ ، وـاقـضـ دـيـنـيـ .

الثامن : اللهم أـحـسـنـ عـاقـبـتـنـاـ فـىـ الـأـمـورـ كـلـهاـ ، وـأـجـرـنـاـ مـنـ خـزـىـ

(١) أورد الإمام المناوى هذه الأدعية فى كتابه الموسوم بـ « المطالب العلية فى الأدعية الزهية » ، وهو قيد الطبع بتحقيقينا بدار الغد العربى ، القاهرة ، وانظر كذلك إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج ٣١٨ / ٢ - ٣٢٨ ..

الدنيا وعذاب الآخرة ، من كان ذلك دعاءه مات قبل أن يصيبه البلاء .

الحادي عشر : اللهم لا تخزنا يوم القيمة ولا تفضحنا يوم اللقاء .

العاشر : اللهم إلينك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى ، أم إلى صديق ملكته أمرى ، إن لم يكن بك سخط على فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الكريم ، الذي أضاءت له السموات ، وأشرقت له الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تحل على غضبك ، أو تنزل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

الحادي عشر : اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعيينى من المخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

الثاني عشر: اللهم اغنى بالعلم ، وزينى بالحلم ، وكرمنى بالتقوى ، وجملنى بالعافية .

الثالث عشر : اللهم عافنى فى قدرتك ، وأدخلنى فى رحمتك ، واقض أجلى فى طاعتك ، واختم لى بخير عملى واجعل ثوابه الجنة .

الرابع عشر : اللهم إنى أعوذ بك من شر الريح ، ومن شر ما يجئ به الريح ومن ريح الشمال فإنه الريح العقيم .

الخامس عشر : اللهم آمن روعتى واستر عورتى ، واحفظ أمانتى .

ال السادس عشر : اللهم إنك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه إلا بك فأعطينا منك ما يرضيك عنا .

السابع عشر : اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء في دار المقام فإن جار البدية يتتحول .

الثامن عشر : اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا

أسأوا استغفروا .

الحادي عشر : اللهم متعنی بسمعی وبصری واجعلهما الوارث منی
وانصرنی علی من ظلمنی وخذ منه بثأری .

العشرون : اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيمة .

الحادي والعشرون : اللهم اغفر لى ذنبی ووسع لى فی داری وبارك لى
فی رزقی فسئل عنهن فقال : وهل تركن من شئ .

الثاني والعشرون : اللهم لك الحمد ، كثيرا طيبا مباركا فيه .

الثالث والعشرون : اللهم اجعل لى لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا .

الرابع والعشرون : اللهم اغفر لى خطئتی ، وجھلی وإسرافی فی أمری
وما أنت أعلم به منی .

الخامس والعشرون : اللهم اغفر لى وارحمنی ، وألحقنی بالرفیق الأعلى .

السادس والعشرون : اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليک توکلت ،
وإليک أنیت وبك خاصمت ، اللهم إنى أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنی
أنت الحی الذي لا يموت ، والجنة والإنس میوتون .

السابع والعشرون : اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ،
وفجأة نقمتك وجميع سخطك .

الثامن والعشرون : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والكسيل ، وعذاب
القبر .

الحادي والعشرون : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين
معاصيك ، ومن طاعتک ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا
مصابی الدنیا ، ومتعنی بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحیيتنا واجعله الوارث منا

واجعل ثارنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

الثلاثون : اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء .

الحادي والثلاثون : اللهم انفعنى بما علمتني ، وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما ، الحمد لله على كل حال .

الثانى والثلاثون : اللهم اجعلنى أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك وأسمع نصيحتك ، وأحفظ وصيتك .

الثالث والثلاثون : اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء .

الرابع والثلاثون : اللهم رب جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، أعوذ بك من النار .

الخامس والثلاثون : اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه .

ال السادس والثلاثون : اللهم إنى أسألك الصحة والعفة والأمانة ، وحسن الخلق والرضا بالقدر .

السابع والثلاثون : اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والضلاله والفقير الذى يصيب بنى آدم .

الثامن والثلاثون : اللهم اغفر لنا ، وارحمنا وارض عنا وتقبل منا وأدخلنا الجنة ونجنا من النار وأصلح لنا شأننا كله ، قالوا : زدنا ، قال ، أولسن قد جمعن الخبر ؟ .

العاشر والثلاثون : اللهم اغفر لى ذنبى وخطاياى وعمدى ، اللهم إنى
أستهديك لأرشد أمرى وأعوذ بك من شر نفسي .

الأربعون : الهم انصرنى على من بعى علىَ ، وأرنى ثارى من ظلمنى ،
وعافنى فى جسدى ، ومتعنى بسمعى ، وبصرى ، واجعلهما الوارث منى .

الحادي والأربعون : اللهم أعنى على الموت وهو نه علىَ .

الباب الثامن

فى

وفاته

لما أكمل الله تعالى له ولأئته الدين ، وأتم عليهم النعمة نقله إلى دار كرامته شهيداً من أكله من الذراع المسموم الذي أهدى له بخيبر ليجمع الله له بين شرف النبوة والشهادة ، فابتدأ به مرضه في العشر الأخير من صفر سنة إحدى عشر في بيت ميمونة ، فلما اشتد وجده تحول لبيت عائشة رضي الله عنها وأقام مريضاً نحو اثنى عشر يوماً ، وتوفي يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول عند الجمehور ، وغسله على وال Abbas وابناه قشم والفضل يعيناهما . وأسامة بن زيد وشقران يصبان الماء ، وأوس بن خولي الحزرجي ينقل الماء من بئر غرس ، ولم يجرد من قميصه ، وجعل على رضي الله عنه على يده خرقه وأدخلها تحت قميصه فغسله ودلّكه بما وسدر ثلاث غسلات ، ثم كفّن في ثلاث ثياب بيضاء فيها قميص ولا عمامه ثم صلى الرجال عليه فرادى فوجاً بعد فوج يدخل فوج فيصلون ثم يخرجون ، ويدخل غيرهم ، ثم صلى النساء ثم الصبيان ، ثم دفن في البقعة التي قبض فيها لكونه كان قال : « ما قبض النبي إلا دفن حيث يقبض » فرفع فراشه وحفر له تحته ودخل القبر الجماعة المذكورون ، وقيل : إلا أسامة وأوس ، وفرش له في قبره قطيفة كان يلبسها ، ويفترشها فقالوا : لا يلبسها أحد بعده ، وهي كساء له خمل بجوانبه ، وقيل : أخرجت قبل الإهالة ، وألحدوا له لحذا أى شقوا له في جانب القبر ، ونصبت عليه تسع لبنيات ثم أطبقت عليه وجعلوه مسطحاً لا مُسَنّماً ولا لاطيا بالأرض ، ورشوا عليه ماء بارداً ، واشترك الناس كلهم في العزاء وطاشت العقول وخربت الألسن وأظلمت الدنيا ، ودفن ليلة الأربعاء وقيل : ليلة الثلاثاء ، وكانت ليلة ليلاء أى مظلمة لفقد

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانقطاع الوحي ، قال أنس رضى الله عنه : « ما نفينا أيدينا من ترابه حتى أنكرنا قلوبنا » وكان موته ، صلى الله عليه وسلم ، أعظم المصائب ، وأفظع الدواهى ، وارتدى كثير من الناس ، بل قالوا : ما بقى مسجد إلا ارتد بعض أهله إلا ثلاثة مساجد ، ثم أدرك الله الأنام بططفه وخذل الإحاطة بها علما ، لأنها خلاصة عدة أسفار ، وشرحها يحتمل مجلدات وهي جديرة بأن تفرد وتحفظ ، والله أعلم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

لِيَحْمِلُنَا اللَّهُ أَثْرَكُ الْجَمِيعِ

الحمد لله الذي أذاق أولياءه من لذة معرفته ما شغلهم عن الكري والأرق
ناض عليهم من مواهبه ما أذهب عنهم كل حزن وفرق ، وأتاهما من حلاوة قربه
هيج عندهم الشوق والقلق ، والصلة والسلام على أفضل من بالشهادة نطق ،
ه وصحبه ومن لهم اتبع وبهم اعتنق ، صلاة وسلاما يدومان ما دام الضوء
غسل .

وبعد .. فهذه هي الطبقة الأولى ، من الكواكب الدرية ، فيمن مات
القرن الأول من نساك الصحابة وزهادهم وهم ستة وثلاثون رجلا ، وقد رأيت
أقدم منهم الخلفاء الأربععة لما لهم من التميز على غيرهم ، ثم أرتب البقية على
روف المعجم ، وبالله المستعان ، وهؤلاء الستة والثلاثون إجمالا :^(١)

الإمام أبو بكر الصديق ، الإمام عمر الفاروق ، الإمام عثمان ذو
برين ، الإمام على . أبي بن كعب . أبو الدرداء أبو ذر . أبو هريرة . أبو موسى
سعري . أبو عبيدة بن الجراح . بلال المؤذن . قيم الداري . جعفر الطيار .
بفترة بن اليمان . الحسن بن علي . الحسين ابنه ، سعيد الجمحى . سلمان
الarse . شداد بن أوس ، صهيب الرومى . عاصم الأنصارى . عامر بن
فرة . عامر بن ربيعة . عبد الله بن عمر . عبد الله بن مسعود . عبد الله بن
س . عبد الله بن الزبير . عبد الله بن جحش . عبد الله بن رواحة . عبد الله
لنجادين . عتبة بن غزوان . عثمان بن مظعون ، عمار بن ياسر . عمير بن
مصعب بن عمير . معاذ بن جبل ، المقداد بن الأسود . رضوان الله تعالى
بهم أجمعين .

(١) الإمام أبو بكر الصديق^(١) (رضي الله تعالى عنه)

توحد في الأحوال بالتحقيق ، مختار الاختيار من دعاه إلى الطريق ، حتى صار للمحن هدفا ، وللبلاء عرضا ، وزهد فيما عن له جوهرًا كان أو عرضا ، تفرد بالحق عند الالتفات للخلق . حتى جمع بين الجمع والفرق ، وقد قيل : إن التصوف الاعتصام بالحقائق عند تبادين الطرائق ، وقيل : أحوال قاهرة ، وأخلاق ظاهرة ، وحقائق ظاهرة ، واسمه عبد الله أو عتيق لعتيقه من النار كما ورد في حقه عن سيد الأخيار في عدة أخبار ، أو لعتاقة وجهه أى حسنه ، أو لعتاقة نسبة أى طهارته ، أو لأن أمه كان لا يعيش لها ولد . فلما ولدته استقبلت به الكعبة وقالت : اللهم هذا عتيق من الموت فهبه لي ، وأجمعوا على تسميته بالصديق لمبادرته لتصديق المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وزوجه للصدق والوفاء ، وكان يقال له : الأواه ، لشدة رأفته وكمال تقواه ، وأكرم بسماعه مناجاة جبريل للمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، لكنه كان لا يراه ، ولو في الإسلام المواقف العالية ، منها قصة يوم ليلة الإسراء ، وثباته وجوابه للكفار في ذلك ، وهجرته مع الرسول تاركا للمال والعيال والأطفال ، وفداءه بنفسه في الغار ، ثم كلامه يوم بدر ، ويوم الحديبية ، وثباته حين اشتبه الأمر على غيره في تأخر دخول مكة ، ثم فهمه وبكاؤه بشدة حين قال المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، : « أن عبدا خيرا الله بين الدنيا والآخرة فاختار ما عنده » ثم ثباته عند المصيبة العظمى التي خرس عندها فصحاء فحول الرجال ، ولذلك قال بعض أهل الكمال : إنه أشجع الصحابة في الأقوال والأفعال ، فإنه لما توفي المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ذهل من ذهل ، وخرس من خرس ، وأقعد من أقعد ، وقال

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، الترجمة ٤٨٠٨ ، وابن الأثير ٢/١٦٠ ، والطبرى ٤/٤٦ ، وصفة الصفة ١/٨٨ ، والرياض النضرة ٤٤ - ١٨٧ ، ومنهاج السنة ٣/١١٨ وما بعدها .

ورضى الله عنه وقد سَلَّ سيفه : من قال إن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مات ضربت عنقه بسيفي هذا ، فصعد أبو يكر المنبر وقال : (أما بعد) فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» ، وكان رضى الله عنه يتوصى بعد الوفاء ، إلى أرفع مواقف الصفاء ، وقد قيل : التصوف ، تفرد العبد بالواحد الصمد الفرد ، وكان من أخلاقه الفاضلة ، وأحواله الشريفة الكاملة ، العزوف عن العاجلة للأزوف من الآجلة ، وقد قيل : التصوف تطليق الدنيا بتاتا ، والإعراض عن منالها ثباتا ، استنسقى يوما فأتيك إيانه فيه ما ، وعسل فبكأ وأبكى من حوله فسكت وما سكتوا ، ثم عاد فبكى حتى علا النحيب ، وتواجد البعيد والقريب ، ثم أفاق من غشيتها ، ومسح وجهه ببردته فقالوا : ما هاجك على ذلك ؟ حتى ظن كل منا أنه هالك ، قال : كنت مع المصطفى ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجعل يدفع عنه شيئا ويقول : إليك عنى إليك عنى ، ولم أر معه أحدا فسألته فقال : « هذه الدنيا قتلت لى بما فيها فزجرتها ففتحت وقلت : أما والله إن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدي » فخشيت أن تكون لحقتنى بذلك الذى أبكاني ، وكان لا يفارق الجد ولا يجاوز الحد ، وقد قيل : التصوف الجد فى السلوك إلى ملك الملوك ، وكان يقدم على المضار لما يؤمل من المسار ، وقد قيل : التصوف السكون إلى اللهيـب فى الخـين إلى الحـبيب ، وكان يقدم الحـيرـمعـتـاضـا للـخـطـيرـ ، وقد قيل : التصوف وقف الـهمـ على مولـى النـعمـ ، أـتـى المصـطـفـىـ ، صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، بـصـدـقـتـهـ فـأـخـفـاـهـاـ ، وـقـالـ : لـىـ عـنـدـ اللهـ عـنـدـىـ مـعـادـ ، وـجـاءـ عـمـرـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ بـصـدـقـتـهـ فـأـفـشـاـهـاـ ، وـقـالـ : لـىـ عـنـدـ اللهـ مـعـادـ ، فـقـالـ المصـطـفـىـ ، صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : يـاعـمـرـ قـدـ وـتـرـتـ قـوـسـكـ بـغـيرـ وـتـرـ ، ماـ بـيـنـ صـدـقـتـيـكـماـ كـمـاـ بـيـنـ كـلـمـتـيـكـماـ ، وـكـانـ فـيـ المـصـافـاةـ صـافـيـاـ ، وـفـيـ الـمـوـافـاةـ وـافـيـاـ ، وقد قـيلـ : التـصـوـفـ اـسـتـنـقـاذـ الطـوقـ فـيـ مـعـانـاتـ الشـوقـ ، وـتـرـجـئـةـ الـأـمـورـ عـلـىـ تـصـفـيـةـ الصـدـورـ ، وـكـانـ أـحـزـمـ النـاسـ رـأـيـاـ ، وـأـعـلـمـهـ بـتـعـبـيرـ الرـؤـيـاـ ،

وأكمل الصحابة عقلاً وأكثراهم صواباً ، قوله وفعلاً ، وكفاه شرفاً وفضلاً ، قول إمام المسلمين : إن الله يكره فوق سمائه أن يخطىء أبو بكر الصديق ، وكان أعلم الناس بالله ، وأخوفهم له حتى كان يخرج من جوفه ريح الكبد المشوية ، وكان يحتاط في مأكله ومشربته أشد احتياط وإذا أكل أو شرب ما فيه شبهة ثم علمه استقامه بإفراط ، شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال : تكهنست لقوم فأعطوني فأدخل إصبعه في فيه وتقايأ حتى ظن أن نفسه ستخرج ثم قال : اللهم إني أعذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء ، قال في الإحياء وكان يطوى ستة أيام ، وكان لا يزيد على ثوب واحد ، وكان يأخذ بطرف لسانه ، ويقول هذا الذي أوردني الموارد ، وقال : لا خير في قول لا يراد به وجه الله ولا في مال لا ينفق منه في سبيل الله ، ولا فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا فيمن يخاف في الله لومة لائم ، وقال : إذا دخل العبد العجب بشيء من زينة الدنيا مقتله الله حتى يفارق تلك الزينة ، وقال : وجدنا الكرم في التقوى والغناء في اليقين ، والشرف في التواضع ، وقال من ذاق من خالص المعرفة شيئاً شغله ذلك عمما سوى الله واستوحش من جميع البشر ، وقال : من مقت نفسي في ذات الله أمنه الله من مقته ، وقال : فاز بالمرؤة من امتنع التغافل ، وهان على القربى من عرف باللحاج . وقال : إياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب ثم إليه يعود ؛ ثم يأكله الدود ، وقال : لا خير في خير بعده النار . ولا شر في شر بعده الجنة ، ودخل حائطاً فإذا بطير في ظل شجرة فتنفس الصعداء وقال : طوبى لك يا طير تأكل الشمر ، وتستظل بالشجر ، وتصير إلى غير حساب ، ياليت أبا بكر مثلك . وكان إذا مدح قال : اللهم أنت أعلم مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم فاجعلنى خيراً مما يظنون واغفر لي مالاً يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون ، وكان إذا قام في الصلاة كأنه عود مقطوع لما يعتريه من الخشوع ، وقال : وددت أنى شجرة تؤكل وتتعضد ، ورأى أم رومان وهي تتمايل في صلاتها فزجرها زجراً عظيماً وقال لها : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إذا قام أحدكم

فِي صَلَاتِهِ فَلِيُسْكِنَ أَطْرَافَهُ ، وَلَا يَتَمَاهِلْ قَبَيلَ الْيَهُودَ ، فَإِنْ سَكُونَ الْأَطْرَافِ مِنْ قَبَامِ الصَّلَاةِ » وَلَا مَرْضٌ قَبِيلٌ لَهُ : أَلَا نَدْعُوكَ طَبِيبًا ، فَقَالَ : قَدْ رَأَيْتَ ، قَالُوا : فَمَا قَالَ ؟ قَالَ : إِنِّي فَعَالٌ لِمَا أَرِيدُ . ثُمَّ دَعَا عُمْرًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَعَظَهُ حَتَّى أَبْكَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيتِي فَلَا يَكُونُ غَائِبًا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتَيْكَ ، وَإِنْ ضَيَعْتَهَا فَلَا يَكُونُ غَائِبًا أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنْهُ ، وَلَسْتُ بِمَعْجَزَةٍ ، ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ : أَوْصِيَكُمْ بِاللَّهِ لِفَقْرِكُمْ وَفَاقْتُكُمْ أَنْ تَتَقَوَّهُ وَأَنْ تَشْنَوْا عَلَيْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَأَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ كَانَ غَفارًا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(وَعَنْ أَبِي الطَّاهِرِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى ابْنِ عَطَاءِ الْمَقْدِسِيِّ عَنْ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ أَبَا بَكْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يَغْسِلَهُ بِالْكَفِ الَّذِي غَسَلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا حَمَلَهُ عَلَى السَّرِيرِ اسْتَأْذَنُوا فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ فِرَأْيَتِ الْبَابَ قَدْ فُتِحَ ، وَسَمِعَتْ قَائِلًا يَقُولُ : أَدْخِلُوا الْحَبِيبَ إِلَى حَبِيبِهِ فَإِنَّ الْحَبِيبَ إِلَى حَبِيبِهِ مُشْتَاقٌ ، رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ)^(١) ، ماتَ سَنَةً ثَلَاثَ عَشَرَةً عَنْ ثَلَاثَ وَسْتِينَ سَنَةً عَلَى الْأَصْحَاحِ .

(١) ما بين المقوفيتين ساقطة في ش ، ش ١ .

(٢) الإمام عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق^(١)

ذو المقام الثابت المأنيق . أيد الله به دعوة الصادق المصدوق لما قال عليه الصلاة والسلام .. « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر ، أو بأبى جهل ابن هشام ، فأسلم بعد تسعه وثلاثين رجلا » وهو أول من جهر بالإسلام ، كما رواه الأئمة الأعلام ، فصار للدين معلنا ، ولأعمال البر مبطنا ، وقد قيل : التصوف الوصول بما علن إلى ظهور ما بطن ، قال له المصطفى صلى الله عليه وسلم : استره يا عمر ، فقال : والذى بعثك بالحق نبيا لأعلننه ، كما أعلنت الشرك ، قال ابن عباس : لما أسلم عمر رضى الله عنه نزل جبريل عليه السلام على سيد البشر صلى الله عليه وسلم فقال : قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر رضى الله عنه ، استدعاه المصطفى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « ادن ياعمر ، فدنا فقال : قد كنت شديد الشَّغَبَ علينا أبا حفص ، فدعوت الله أن يعز الدين بك أو بأبى جهل فكنت أحبهما إلى فأنت معى في الجنة ثالث ثلاثة من الأئمة » فأعظم بها من منه ، وجمع الله بما منحه من الصولة ما تشتبث من شمل الدولة ، فعلت بالتوحيد أصواتهم بعد التخافت ، وثبتوا في أحوالهم بعد التهافت ، وغلب كيد المشركين بما لزم قلبه من اليقين ، لا ينظر إلى كثريتهم ولا يكتثر بمعنعتهم واتحاد كلمتهم اتكالا على منشئهم ، وانتصارا بقادتهم وشائئهم ، محتملا لما احتمل الرسول مصطبرا على المكاره لما يؤمل من الوصول ، المخصوص من بين الصحابة بمعارضة المبطلين ، والموافق في الأحكام لرب العالمين ، السكينة تنطق على لسانه ؛ واليقين يسكن في جنانه كان بالحق صائلا ، وللائق حاملا ، وقد قيل : التصوف ركوب الصعب في جلاء الكرب ،

(١) لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق وكناه بأبى حفص ، الإصابة ، الترجمة رقم ٥٧٣٨ ، وحلية الأولياء ٣٨/١ ؛ وصفوة الصفة ١٠١/١ .

ومن مناقبه المنيفة ، ومزاياه الشريفة إنه ما هاجر أحد إلا مختفيًا إلا هو فإنه لما هم بالهجرة تقلد بسيفه وتنكب قوسه ، وانتصب بيده أسلحتها وأتى الكعبة ، وأشراف قريش بفنائهما فطاف وصلى ثم أتاهما حَلْقَة حَلْقَة ، وقال : شاهت الوجه من أراد أن تشكله أمه ويبيت ولده ، وترمل زوجته فليتبعني خلف هذا الوادي فما تبعه أحد ، ولما استطاع أبو سفيان والد معاوية يوم أحد على المسلمين بلسانه ورفع من شأن أوثنانه ، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : أجبه يا عمر فخصه من بين الصحابة لما اختص به من الصولة والمهابة وما علمه من ملازمته للتفريد ، ومحاماته عن معارضه التوحيد ، وأنه لا ينهنه عن مصاولتهم العدة والعديد ، ولما ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم فتاناً القبر فقال عمر رضي الله عنه أترد إلينا عقولنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : بفيه الحجر ، وكان إذا أذن في بيته لم يجلس على فراشه إلا العباس وأبو سفيان بن حرب ويقول : هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا شيخ قريش . وكان مختصاً بالسكينة في الإنطاق ، محترزاً من القطيعة والفرقان ، مشتها في الأحكام بالإصابة والوفاق ، وقد قيل : التصوف المموافقة للحق في المفارقة للخلق ، وناهيك بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في شأنه مخبراً عن ربه : إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وفي حديث أخرجه الترمذى بسنده معتبر : « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر » وكان يقول : « اقتربوا من أفواه المطهعين ، واسمعوا منهم ما يقولون : فإنه يتجلى لهم أمور صادقة » وكان للمصطفى صلى الله عليه وسلم في حياته وفيها مجامعاً ، ولما اختاره له في يقطنه ومناصمه متابعاً ، يقتدى به في كل أحواله ، ويتأسى به في جميع أفعاله ، وقد قيل : التصوف استقامة المناهج ، والتطرق إلى المباحث ، قال الغزالى رحمة الله : ولما ولّى الخلافة كانت له زوجة يحبها ، فطلقتها خيبةً أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها ، وهذا من ترك ما لا يأس به مخافةً مما به يأس ودخلت له بنته وهو يقسم مال بيت المال ، فأخذت درهماً فنهض في طلبها حتى سقطت ملحوظة عن أحد

منكبيه ، ودخلت الصبية البيت تبكي وجعلت الدرهم فى فيها ، فأدخل إصبعه فأخرجه وطرحه على الخراج ، وقال : « أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما لل المسلمين قربهم ويعيدهم » وكسر أبو موسى بيت المال فوجد درهما فمر به بنى لعمر فأعطاه له فرأه فى يده فقال : أعطانيه أبو موسى فقال : يا أبو موسى ما كان فى أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد إلا طالبنا بمظلمتة ؟ ورد الدرهم لبيت المال . وكان يستهدى عيوبه من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ، وعرفه ذنوبه ، وقال فى خطبته : « لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرتون ما كنتم تصنعون ؟ » فسكتوا فكره فقال على رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين إذن نستتب لك ، فإن تبت قبلناك ولا ضرينا الذى فيه عيناك ، فقال الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من إذا أوججنا أقام أودنا وكان على غاية من التقشف يخطب وهو خليفة بإزار فيه اثنتا عشرة رقعة وقميص فيه أربع رقاع وليس له غيرهما ، وابطاً يوما عن الخروج للجمعة ثم اعتذر بأنه كان يغسل ثوبه وليس له غيره ، وكان بالحقائق لهجا وعن الأباطيل منعجا ، وقد قيل : التصوف دفع دواعي الردى ما يرقب من نفع الصدا ، وكفاه شرفا قول أصدق قائل : هذا عمر رجل لا يحب الباطل ، وهكذا سبيل الأبراء من الشرك والعناد ، الأصفياء بالمعرفة والوداد ، ردت عليه امرأة ، وهو فى خطبته على ملا ؛ ونهاه عن الحق فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل ، وقال : « إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم ، فإن كل محب يخوض فيما أحب » وقال : ما أصابنى الله بصيبة إلا رأيت أن لله تعالى على فيها ثلات نعم ، (الواحدة) حيث لم تكن فى دينى (الثانية) حيث لم تكن أكبر منها ، (الثالثة) ما وعد الله من الشواب عليها ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنه (أما بعد) فإن الخير كله فى الرضا فإن استطعت أن ترضى إلا فاصبر ، وكان يقسم بالذلة لولاه ليفوز بالقوة والتعزز ويترك فى إقامة طاعته الرفاهية والتلذذ ، وقد قيل :

التصوف النبو عن رتب الدنيا . والسمو إلى المرتبة العليا ، وكان إذا استعمل عاماً شرطاً عليه لا يركب بربونا ، ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه عن ذوي الحاجة . فإن فعل حلّت به العقوبة ، وأرسل إليه قيسار ملك الروم رسولاً ، فدخل المدينة فقال : أين الملك ؟ قالوا : ما لنا ملك بل أمير . وقد خرج إلى ظاهر البلد فأتاه فوجده نائماً في الشمس على الرمل الحار قد جعل ذراعه وسادة والعرق يتتساقط من جبينه حتى بل الشري . فقال : رجل فرقت جميع الملوك من هيبته . وهذا حاله لكنك عدلت فأمنت فنمت . وخرج إلى بلاد الشام بعد ما فتحت وهو خليفة فأتوا مخاضة فنزل عن ناقته ، وجعل حُقْيَه على عاتقه ، وأخذ بزمامها فخاض فقال له أبو عبيدة رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين تفعل هذا !! ما يسرني أن أهل الشام استشرفوك . فقال : أوه لو يقل ذا غيرك يا أبو عبيدة جعلته نكلا للأمة ، إننا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا به أذلنا ، ونظر إلى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدرة وقال : لا قت علينا ديننا أماتك الله ، وكان يتعاهد العميان والزماني والعجائز والصبيان ليلاً ويحمل إليهم الماء والخطب بنفسه ويخرج عنهم الأذى فيقول له بعض الناس : دعني أحمل عنك فيقول : من يحمل عنى يوم القيمة ذنبي ؟؟ لقيه عروة بن الزبير وهو يحمل قرية على عاتقه ، فقال : يا أمير المؤمنين لا ينبغي هذا ، قال : لما جاءتنى الوفود سامعين مطعين دخلت نحوه فأردت إذلالها ومضى بالقرية إلى دار امرأة من الأنصار أرملة وكان فانياً عن الملاذ منتهياً ولباقي المعاد مبتغياً ، يلازم المشقات ، ويفارق الشهوات ، وقد قيل : التصوف حمل النفس على الشدائيد للري من أشرف الوارد ، وكان يأكل عام الرمادة ، الزيت حتى أسوّد جلده بعد ما كان أبيض ، وحرم على نفسه اللحم والسمن واللبن ، وقال : « كفى بالمرء شرفاً أن يأكل كل ما يشتهي » وقال : « إياك والبطنة ، فإنها ثقل في الحياة وتنهى في الممات » ، وقال : الصفح عن الإخوان مكرمة ومكافأتهم على الذنوب إساءة . وقال : « لم يعط العبد بعد

فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك ؛ ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محلا ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده ، وعليك بإخوان الصدق تعش في أكتافهم فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة في البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك ، ولا تعرض فيما لا يعني ولا تسأل عما لم يكن ، فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجة من لا يحب نجاحها لك ، ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله ، ولا تصحبن الفجار فستعلم من فجورهم ، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله ، وتخشع عند القبور فإن الله يقول : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »^(١) ، وقال : ما أبالي أصبحت على يسر أو عسر لأنى لا أدرى أيهن خير لي ، واستأذنه رجل أن يعظ الناس فمنعه ، فقال : أتفعلني من نصيحة الناس ؟ قال : أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الشريان فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيمة ، ولقيه عروة بن الزبير وهو يحمل قرية ماء على عاتقه فقال : يا أمير المؤمنين لا ينبغي هذا ، قال : لما جاءنى الوفود سامعين مطاعين دخلت نحوة فأردت إذلالها ومضى بالقرية إلى دار امرأة من الأنصار أرملا ، وقال : كونوا أوعية الكتاب ، وينابيع العلم وسلوا الله قوت يوم بيوم ، وقال : « احذروا أن تكونوا من الذين يجعلون ما رزقهم الله في بطنهم وعلى ظهورهم » ، وقال : « زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ، وتزيدوا للعرض الأكبر يومئذ لا تخفي منكم خافية » ، وقال : « اعتزل عدوك واحتذر من خليلك ولا تصحب الفاجر ولا تفتش سرك إليه » ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ عَبَادًا يَمْيِتُ الْبَاطِلَ بِهِجْرَةٍ ، وَيَحْيِي الْحَقَّ بِذِكْرِهِ رَغْبَاً فِرَهْبَاً » و قال : « أَشْفَى الْوَلَّةُ مِنْ شَقِّيْتَهُ رَعِيْتَهُ » ، وقال : « اتقوا من تبغضه قلوبكم » و قال : « لَا تؤخِّرْ عَمَلَ يَوْمَكَ لِغَدَكَ » و قال : « لَىٰ عَلَىٰ كُلِّ خَائِنٍ أَمِينَنَّ الْمَاءَ وَالْطَّينَ » و قال : « أَكْثَرُوا مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَنْ تَرْزَقُونَ » و قال : « مَنْ لَمْ يَعْرِفْ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرَ أَنْ يَقعَ فِيهِ »

الكفر شر من امرأة حديدة اللسان ، سيئة الخلق » وكان يشتتهى الشيء وثمنه درهم فيؤخره سنة ، وكان إذا مر بمزيلة وقف عليها ، وقال لصحابه : هذه دنياكم التي تحرضون عليها ، وأتى يوماً بباء بارد بعسل فجعل يدبر الإناء في كفه ويقول : أشربها تذهب حلاوتها وتبقى تبعتها . ثم تركه مع علمه بأن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، كان يحب الحلوي والعسل فلم يقسن نفسه عليه ، ودخل على ولده عبد الله فوجده يأكل لحماً مأدوة باسم فعلاه بالدرة ، وقال : لا ألم لك كُلُّ يوماً خبزاً ولحماً ، ويوماً خبزاً وسمناً ، ويوماً خبزاً وملحاً ، ويوماً خبزاً قفاراً . فهذا هو الاعتدال ، وأتى بمسك من الغنائم ليعرض عليه فمسك بأنفه ثلاثة ينال من رائحته شيئاً دون المسلمين فيسأل عن ذلك ، وشرب لبنا من إبل الصدقة خطأ فأدخل إصبعه وتقايأ حتى كاد يتلف ، ودخل عليه ابنه وعليه ثياب حسنة فضربه بالدرة حتى أنكاه ، وقال :رأيته قد أعجبته نفسه فأردت أن أصغرها إليه : ولما ولى الخلافة كان لا ينام ليلاً ولا نهاراً ويقول : إن فت النهار ضيعت الرعية ، أو الليل ضيعت نفسي ، ومن مفاريد أقواله الدالة على حقائق أحواله ما قال : وجدنا خيراً عيشنا الصبر . وقال : الصفح عن الإخوان مكرمة ، ومكافأتهم على الذنوب أساة وقال : لم يعط عبد بعد الكفر شراً من امرأة حديدة اللسان سيئة الخلق ، وقال : لا يعجبنكم طنطنة الرجل ولكن من وعي الأمانة وكف عن أعراض الناس فهو الرجل ، أخرجه أحمد في الزهد وقال : إن الرجل ليشيب عارضاً في الإسلام وما أكمل لله صلاة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لا يتم خشوعها ولا تواضعها ولا إقباله على الله فيها ، وقال : من سلك مسالك التهم فلا يلومن من أساء به الظن ، وقال : من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين لهم بغير ما يعلمه الله من قلبه شأنه الله ، وقال : إنني أتزوج النساء ومالى إليهن حاجة ، وأطأهن ومالى إليهن شهوة رجاء أن يخرج من ظهرى من يكثُر هذه الأمة ، وقال : الطمع فقر واليأس غنى ، والرجل إذا يئس من شيء استغنى عنه ، وقال : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله

وقال : « ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع ، وقلماً أذهب شيء فأقيل » وقال : « غمض عن الدنيا عينيك واقلب عنها قلبك ، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك » وقال : « احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، فلهى أخوهما عليك أن تستدرجك وتخدعك » وكتب إلى ابنه : أما بعد ، فإن من اتقى الله وقاها ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن أقرضه جزاه ووفاه ، ومن شكره زاده ، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا مال لمن لا رفق له ، ولا جديداً لمن لا خلق له والسلام » ، وقال : « من كثرة ضحكه قلت هيبيته ، ومن مزاح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثرة كلامه كثرة سقطه ، ومن كثرة سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورمه ، ومن قل ورمه مات قلبه » وقال : أتدرون لم سمي المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق وقال : « لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح » ، وقال : « المزاح مسيلة للنهي مقطعة للأصدقاء » وقال : « من خدعنا في الله انخدعنا له » ، وقال : « من أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه ، فإنما أظهر نفاقاً على نفاق » وقال : « لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له » وقال : « لا تسكنوا نساءكم الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة وعودوهن لا ، فإن نعم تجرئهن » وقال : « الدنيا أمل مخترم ، وأجل منتقص ، وبلغ إلى دار غيرها ، وسبيل إلى الموت فرحم الله امراً فكر في أمره ونصح لنفسه فراقب ربه واستقال ذنبه » وقال : « إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة مفسدة للحس ، مؤدية إلى السقم » وقال : « السيد هو الجواب حين يسأل والحليم حين يستجهل والبار بن يعاشره » وقال : « أفلح من حفظ من الطمع والغضب والهوى نفسه » وقال : « لو ماتت شاة بشط الفرات ضائعة لظننت أن الله سائلها عنها » واستعمل أبي الدرداء رضي الله عنه فاتخذ كنيفاً أنفق عليه درهرين فكتب إليه عمر رضي الله عنه قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفى به عن عمران الدنيا حين أذن الله بخرابها فإذا أتاك كتابي فقد سيرتك أنت وأهلك إلى دمشق فلم يزل بها حتى مات ، ورأى

رحا يطأطىء عنقه ، فقال : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب ، إنما هو فى القلب . ودخل عليه عدى بن حاتم فكانه رأى منه جفاء ، فقال : أما تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال بلى والله أكرمك الله بالمعرفة أسلمت إذ كفروا ، وعرفت إذ نكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أذروا فقال : حسبي حسبي يا أمير المؤمنين وبكيا حتى علا نحيبهما ، وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء ، وكان يمر بالآية فى ورده فيبكى حتى يسقط ، وسمع قارئا يقرأ « إن عذاب ربك لواقع » ^(١) ، فصاح صيحة خر مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا شهرا ، وكان إذا رأى على أحد قميصين علاه بالدرة وقال : دعوا هذه الرفات للنساء ، وخرج مرة للحج أو العمرة ، فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم : لا تنسانا يا أخي من دعائك ، وحج وهو خليفة فلم يضرب له خيمة ، ولا خباء حتى رجع ، وكان على الرتبة فى الحكمة استعظم رجل الشطرنج عنده : وقال : إنها مختصرة ثم يقع فيها أنواع غير متناهية من اللعب ، فقال : رقعة الوجه أصغر من رقعته ، ولكل عضو من أعضاء الوجه موضع منه لا يتغير ، فالعين لها موضع معين ، وكذا الأنف والفم ، ومع ذلك يقع فيه من الاختلاف ما لا يتناهى فإنك لا ترى إنسانين فى جميع المشرق والمغارب مماثل صورتهم من كل الوجوه ، قال الإمام الرازى : وهذا دال على كمال علمه وحكمته .

(ومن كراماته) العلية المقدار ما جاء فى بعض الأخبار ومرت الإشارة إليه إنه أمر سارية على جيش وجهزه إلى بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال ، وهو يحاصر نهاوند ، وكثرت جموع الأعداء ، وكاد المسلمون ينهزمون وعمر بالمدينة فصعد المنبر ونادى بأعلى صوته : يا (سارية الجبل) فسمع الجيش صوته وهم بنهاؤند ، فلجموا إلى الجبل فنجوا وانتصروا وكان على حاضرا ، فقيل له : ما هذا الذى يقوله أمير المؤمنين وأين سارية منا ؟ فقال كرم الله وجهه : دعوه مما دخل فى أمر إلا وخرج منه ، ثم تبين الحال بالأخرة ، ومنها أنه قال لرجل :

ما اسمك ؟ قال جمرة ، قال ابن من قال ابن شهاب ، قال : من ؟ قال : من الحرقـة ، قال أين مسكنك ، قال الحرة ، قال : بأيـها ؟ قال : بذات لـظـى ، فقال عمر : أدرك أـهـلـكـ فقد اـحـتـرـقـواـ ، فـكـانـ كـذـلـكـ ، وـمـنـهـاـ أـنـهـ كـانـ إـذـاـ جـاءـ أـوـانـ زـيـادـةـ نـيـلـ مـصـرـ لـأـيـجـرـىـ حـتـىـ يـلـقـواـ فـيـهـ بـكـرـاـ مـزـيـنـةـ بـالـخـلـىـ وـالـخـلـلـ ، فـلـمـ فـتـحـتـ ، وجـاءـ وـقـتـ الـزـيـادـةـ ، وـقـالـواـ لـعـمـرـ بـنـ الـعـاصـمـ ذـلـكـ فـأـبـىـ ، فـلـمـ يـجـرـ النـيـلـ قـلـيلـاـ ولاـ كـثـيرـاـ حـتـىـ هـمـ أـهـلـ مـصـرـ بـالـجـلـاءـ فـكـتـبـ إـلـىـ عـمـرـ ، فـأـرـسـلـ إـلـيـهـ بـطـاقـةـ ، فـقـالـ : أـلـقـهـاـ فـيـ الـبـحـرـ وـفـيهـاـ مـنـ عـبـدـ اللـهـ عـمـرـ إـلـىـ نـيـلـ مـصـرـ ، أـمـاـ بـعـدـ فـإـنـ كـنـتـ تـجـرـىـ مـنـ قـبـلـكـ فـلـاـ تـجـرـ ، وـإـنـ كـانـ اللـهـ يـجـرـكـ فـأـسـأـلـ اللـهـ الـوـاحـدـ الـقـهـارـ أـنـ يـجـرـكـ ، فـأـلـقـىـ الـبـطـاقـةـ فـيـهـ ، فـزـادـ فـيـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ سـتـةـ عـشـرـ ذـرـاعـاـ ، وـمـنـهـاـ أـنـهـ إـذـاـ حـدـثـهـ أـحـدـ بـحـدـيـثـ فـيـكـذـبـ الـكـذـبـ فـيـقـولـ : اـحـبـسـ هـذـهـ ثـمـ يـحـدـثـهـ بـحـدـيـثـ ، فـيـقـولـ : اـحـبـسـ هـذـهـ فـيـقـولـ : الرـجـلـ كـلـ مـاـ حـدـثـكـ حـقـ إـلـاـ مـاـ أـمـرـتـنـىـ بـحـبـسـهـ ، حـجـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـعـشـرـينـ ، فـلـمـ نـفـرـ مـنـ مـنـيـ أـنـاـخـ بـالـأـبـطـحـ ثـمـ رـفـعـ يـدـيـهـ إـلـىـ السـمـاءـ وـقـالـ : اللـهـمـ كـبـرـ سـنـىـ وـضـعـفـتـ قـوـتـىـ وـأـنـتـشـرـتـ رـعـيـتـىـ فـاقـبـضـنـىـ إـلـيـكـ غـيـرـ مـضـيـعـ وـلـاـ مـفـرـطـ ، فـمـاـ اـنـسـلـخـ ذـوـ الـحـجـةـ حـتـىـ قـتـلـ شـهـيـداـ عـنـ ثـلـاثـ وـسـتـينـ سـنـةـ عـلـىـ الـأـصـحـ ، وـأـنـكـسـفـتـ الشـمـسـ لـمـوـتـهـ وـنـاحـتـ الـجـنـ عـلـيـهـ ، طـعـنـهـ أـبـوـ لـؤـلـؤـةـ عـبـدـ الـمـغـيـرـةـ اـبـنـ شـعـبـةـ فـيـ الـمـسـجـدـ لـمـ خـرـجـ لـلـصـلـاـةـ بـغـلـسـ بـخـنـجـرـ لـهـ رـأـسـانـ وـطـعـنـ مـعـهـ أـئـمـىـ عـشـرـ رـجـلـاـ مـاـتـ مـنـهـ سـتـةـ فـأـلـقـىـ عـلـيـهـ رـجـلـ ثـوـبـاـ فـلـمـ اـغـتـمـ قـتـلـ نـفـسـهـ ، ثـمـ حـمـلـ عـمـرـ إـلـىـ بـيـتـهـ ، وـأـتـىـ بـنـبـيـذـ فـشـرـيـهـ فـخـرـجـ مـنـ جـرـحـهـ فـلـمـ يـتـبـيـنـ ، فـسـقـوـهـ لـبـنـاـ فـخـرـجـ مـنـ جـرـحـهـ فـقـالـواـ : لـاـ بـأـسـ عـلـيـكـ ، قـالـ : إـنـ يـكـنـ بـالـقـتـلـ بـأـسـ فـقـدـ قـتـلـتـ فـجـعـلـ النـاسـ يـشـنـونـ عـلـيـهـ فـقـالـ : وـالـلـهـ لـوـ أـنـ لـىـ طـلـاعـ الـأـرـضـ ذـهـبـاـ لـافـتـدـيـتـ بـهـ مـنـ العـذـابـ ، وـكـانـ رـأـسـهـ عـلـىـ فـخـذـ اـبـنـهـ فـقـالـ : ضـعـهـ بـالـأـرـضـ ، فـقـالـ وـمـاـ عـلـيـكـ كـانـ عـلـىـ فـخـذـىـ أـوـ عـلـىـ الـأـرـضـ ؟ـ فـقـالـ : ضـعـهـ وـيـلـىـ إـنـ لـمـ يـرـحـمـنـىـ رـبـىـ ، وـقـالـ لـهـ اـبـنـ عـبـاسـ : أـبـشـرـ يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ إـنـ اللـهـ مـصـرـ بـكـ الـأـمـصـارـ وـدـفـعـ بـكـ التـنـافـقـ فـقـالـ : أـبـالـإـمـارـةـ ثـنـىـ عـلـىـ يـاـ بـنـ عـبـاسـ ؟ـ وـالـلـهـ لـوـدـدـتـ أـنـ خـرـجـتـ مـنـهـ كـمـاـ دـخـلـتـ

فيها لا أجر ولا وزر ، وقيل له : ألا تستخلف ولدك ؟ قال : يكفي واحد من آل الخطاب يجىء يوم القيمة ويداه مغلولتان إلى عنقه ، وقد جعلتها شورى في السيدة الذين توفى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عنهم راض ، ودخل عليه على وهو مُسجّى فقال : ما على وجه الأرض أحد أحب إلى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى ، وكان نقش خاتمه ، كفى بالموت واعظا ، ورؤى في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ثل ^(١) عرشى لولا أنى صادفت ريا كريما ، فرضى الله عنه وأرضاه ورضي عنا به .

لا يترك النظر في المصحف كل يوم ويقول : هذا كتاب ربى ولا بد للعبد إذا جاءه كتاب سيده أن ينظر فيه كل يوم ليعمل بما فيه ، ومن كلامه : إن لكل شيء آفة ، وإن لكل نعمة عاها ، وإن آفة الدين وعاها هذه النعمة عيابون طعانون يُبدون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون ، طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق ، وقال ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ، وقال : لو ظهرت قلوبنا لما شُبّعت من كلام الله وقل الهدية من العامل إذا عزل مثلها منه إذا عمل ، وقال : يكفيك من الحسد أنْ يغتم وقت سرورك وقال : خير العباد من عصم واستعصم بكتاب الله تعالى ، ونظر إلى قبرٍ فبكى وقال هو آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة فمن شدد عليه فما بعده أشد ، ومن هون عليه فما بعده أهون ، وقال : الناس إلى إمام فعال أحوج منهم إلى إمام قوله ، ولما حصر استسلم ثم قتل والمصحف بين يديه ، فتلوث بالدم وذلك سنة خمس وثلاثين عن نيف وثمانين سنة ، وقال ابن باطبيش^(١) في كتابه إثبات الكرامات قال عبد الله بن سلامأتيت عثمان رضي الله عنه يوما لا سلم عليه وهو محصور فقال : مرحبا يا أخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة ، فقال يا عثمان حصروك فقلت نعم ، قال : عطشك ؟ قلت : نعم قال : فأدلى لي دلوا فيه ماء فشربت من حتى رويت ، وقال : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنه ، فقتل ذلك اليوم انتهى عنده - قال الجلال السيوطي رضي الله عنه : وهذه القصة مشهورة مخرجة من كتب الحديث بالإسناد خرجها الحارث بن أبي أسامة وغيره ، قال : وقد فهم المصنف ابن باطبيش أنها رؤية يقطة وإلا لم يصلح عدها في الكرامات لأن رؤيا المنام يستوى فيها كل أحد وليس من الخوارق المعدودة في الكرامات ولا ينكرها من ينكر كرامات الأولياء انتهى ، لكن رأيت في بعض الروايات تقييدها بأنها اغفاء أو سنة .

(١) إسماعيل بن هبة الله بن سعيد بن باطبيش ، المتوفى سنة ٦٥٥ هـ ، السبكي ٥١٥ ، وشذرات الذهب لأبن العماد ٢٦٧٥ .

(٢) الإمام عثمان بن عفان الملقب بذى النورين

المدعو بذى الهجرتين ، رضى الله عنه ، كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، حظه من النهار الصيام والجود ، ومن الليل الركوع والسجود ، وقد قيل التصوف الإكباب على العمل ، تطرقا إلى بلوغ الأمل ، وكان مبشرا بالمحن والبلوى ، محفوظا فيها من الجزع والشكوى ، وتحرز من الجزع بالصبر ، وتبرز في المحن بالشکر ، وقد قيل : التصوف الصبر على مرارة البلوى ليدرك به حلاوة النجوى ، وكان بالمال إلى رضا الله متوصلا ، وببذلته لعباده متمنلا ، ولحظ نفسه متعللا ، وفي لباسه ومطعمه متقللا ، وقد قيل : التصوف ابتغا الوسيلة إلى منتهى الفضيلة ، أعتق نحو ألفين واشترى الجنة مرتين حين حفر بئر رومة ، وحين جهز جيش العسرة ، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ما على عثمان ما فعل بعد هذا ، ورأه يوم جيش العسرة ذاهبا وجائيا ، فقال : اللهم اغفر له ما أقبل وما أدبر وما أخفى وما أعلن وما أسر وما أجهر ، رضى الله عنه ، واستدعاه المصطفى صلى الله عليه وسلم يوما « فقال : ادن ادن فلم يزل يدنو حتى أصدق ركبتيه بركتيه ثم نظر إليه ، ثم نظر إلى السماء فقال : سبحان الله العظيم (ثلاثة) ثم نظر إلى عثمان رضى الله عنه ، فإذا أزراره محلولة فزررها بيده ، ثم قال : اجمع عطفى ردائك على نحرك ، فإن لك شأننا فى السماء أنت من يرد على الحوض وأوداجه تشخب دما ، وكان ينام بالمسجد ليس حوله أحد وهو خليفة ، ويردف غلامه خلفه ويخطب فى إزار عدنى غليظ ث منه أربعة أو خمسة دراهم ويطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل البيت فيما يأكل الخل والزيت ، ولم يمس ذكره بيسمينه منذ أسلم ، وكان إذا مر بقبر بكى حتى تبتل لحيته . وكان

(١) ابن الأثير ، حوادث سنة ٣٥٥ / ٥ ، والطبرى ، و تاريخ الخميس ٢٥٤ / ٢ ، والرياض الناصرة ٨٢ / ١٥٢ ، ولقب بذى النورين لأنه تزوج بنتى النبي صلى الله عليه وسلم ، رقية ثم أم كلثوم .

(تتمه)

فِي سبب قتله

روى ابن عساكر عن الزهرى قال : قتل عثمان رضى الله عنه مظلوماً ومن قتله كان ظالماً ومن خذله كان معذوراً ، وذلك أنه لما ولى كره ولايته نفر من الصحابة لمحبته لقومه ، وكان كثيراً ما يولى بني أمية من لم يكن له مع المصطفى صلى الله عليه وسلم صحبة ، فكان يجيء من أمراته ما ينكره الصحابة فلا يعزلهم ، فلما كان السبت سنين الأواخر استأثر ببني عمده فولاهم وما أشرك معهم : وأمرهم بتقوى الله ، ولـى عبد الله بن أبي سرح مصر فجاء أهل مصر يشكونه ، وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى ابن مسعود وأبي ذر ، وعمار ابن ياسر ، فكان بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها ، وحنت بنو مخزوم عليه وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب إليه يتهدده بما أفاد وقتل حامل الكتاب فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة فقام طحة وكلم عثمان رضى الله عنه بكلام شديد وأرسلت إليه عائشة رضى الله عنها تقول : يقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويسألونك عزل هذا الرجل فأبىت ، وهو قد قتل منهم رجلاً فأنصفهم من عاملك ، ودخل عليه علىٰ كرم الله وجهه فقال : إنما يسألونك رجلاً مكان رجل فاعزله عنهم واقض بينهم فقال لهم : اختاروا رجلاً أوليه عليكم فقالوا : محمد بن أبي بكر رضى الله عنهما فولاه عليهم وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار فلما كان على ثلاثة أيام من المدينة إذا بغلام أسود على بعير يخطب البعير خططاً كأنه يطلب أو يطلب ، قالوا : ما شأنك ؟ قال : أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر قالوا : هذا عامل مصر ، قال : ليس هذا أريد ، فأتوا به إلى ابن أبي بكر رضى الله عنه ، فقال : غلام من مُّرَّة ؟ قال أنا غلام أمير المؤمنين ،

ومرة مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان رضى الله عنه فقال له : إلى أين ؟ قال : إلى عامل مصر قال : بماذا ؟ قال : برسالة قال : معك كتاب ؟ قال : لا ؟ ومعه إداوة يبست وفيها شيء يتقلقل فشقواها فإذا بكتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح ففكه محمد بمحضر من المهاجرين والأنصار فإذا فيه إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك واحبس من يجئه إلى يتظلم منك ليأتيكرأيي ، ففرزوا وختم محمد الكتاب ودفعه إلى رجل منهم ورجعوا إلى المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا والصحابة ، وأقرأوهم الكتاب فلم يبق أحد إلا حنق على عثمان رضى الله عنه وقام الصحابة فلحقوا بمنازلهم وحاصر الناس عثمان رضى الله عنه وأجلب عليه ابن أبي بكر بيني قيم وغيرهم ، فبعث على إلى طلحة والزبير رضى الله عنهم ، ونفر من الصحابة كلهم بما جرى ثم دخل على على عثمان رضى الله عنه ، ومعه الكتاب والغلام والبعير ، فقال هذا الغلام غلامك والبعير بعييرك ؟ فقال : نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ فحلف بالله ما كتب ولا أمر ، ولا علم ، قال له على : فالخاتم خاتمك ، قال : نعم فقال : كيف يخرج غلامك بعييرك بكتاب عليه ختمك لا تعلم به !! فحلف أنه ما وجهه قط فعرفوا أنه خط مروان وسألوه أن يدفعه إليهم فأبى ، وكان عنده بالدار فخرجوه من عنده غضاباً وشكوا في أمر عثمان ولزموا بيوتهم ، فحاصر الناس عثمان رضى الله عنه ومنعوه من الماء ، فخرج مروان فأشرف عليهم ، وقال : أفيكم على ؟ قالوا : لا ، قال : لا أحد يبلغ علياً فيسقينا ، فبلغه فبعث إليه بثلاث قرب ، فما كادت تصله وجراحته بسببها عدة حتى وصلته ، فبلغ علياً رضى الله عنه أن عثمان رضى الله عنه يراد قتله : فقال : إنما أردنا منه مروان ، أما قتله فلا ، وقال للحسن والحسين رضى الله عنهما : اذهبَا بسيفي كما حتى تقوما على بابه فلا تدعَا أحداً يصل اليه ، وبعث الزبير رضى الله عنه ابنه ، وطلحة رضى الله عنه ابنه يعنون الناس أن يدخلوا على عثمان رضى الله عنه ويسألونه إخراج مروان فرمى الناس عثمان بالسهام ، حتى خضب

الحسن بالدماء على بابه فخاف محمد بن أبي بكر أن تغضب بنو هاشم فأخذ رجلين ، فقال : إن جاءت بنو هاشم فوجدوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان ، ويطل ما نريد . فتسور ابن أبي بكر وصاحباه من دار حتى دخلوا على عثمان رضى الله عنه وليس معه أحد إلا امرأته وجماعته فوق البيت فقال لهما محمد : مكانكما حتى أدخل فإذا أنا ضبطته فتوجيه حتى تقتلاه ، فدخل فأخذ بلحيته ، فقال له عثمان رضى الله عنه : لو رأك أبوك لساءه ذلك فترافت يده ، فدخل الرجالن فقتلاه وخرجوا هاربين ، فدخل الناس فوجدوه مذبوحا ، وبلغ الخبر عليا والزبير ، فخرجا وقد ذهبت عقولهما فدخلوا عليه فوجداه مقتولا فاسترجعا ، وقال على[ُ] كرم الله وجه لابنيه - رضى الله عنهم : كيف قتل أمير المؤمنين رضى الله عنه وأنتما بالباب ؟! وضربيهما وخرج وهو عضبان يقول : اللهم إنى أبراً إليك من دمه فإنى لم أرض ، وقد نهيت فعصونى ، وذلك فى أيام التشريق سنة خمس وثلاثين ، فكان قتله رضى الله عنه أول الفتنه ا ه

(٤) الإمام علي بن أبي طالب^(١)

باب مدينة العلوم والماهاب ، ولى المتقين وإمام العادلين ، أقدمهم إجابة وإيمانا ، وأقومهم قضية وإيقانا ، المنبي عن حقائق التوحيد ، المشير إلى لوعام بوارق علم التفريد ، ذو القلب العقول واللسان السئول ، والأذان الوعائية ، والعهود الواقية ، ختم الله به الخلافة كما ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة : الأخيسن في دين الله الممسوس في ذات الله ، وقد قيل : التصوف مرامة المودود ، ومصارمة المعهود ، قال حذيفة قالوا : يا رسول الله ألا تستخلف علياً ؟ قال : إن تولوا علينا وما أراكם فاعلين تجدوه هادياً مهدياً ، وسائل المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، عنه فقال : قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطيت تسعة والناس واحداً ، وقدم عليه يوماً ، فقال : مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين ، وقال : إن الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي ، وقال : من كنت مولاً فعلى مولاً ، اللهم وال من ولاه ، وعاد من عاداه . وقال : على مني وأنا منه ، وقال : أنا مدينة العلم وعلى بابها ، وقال : لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ، وقال : من آذى علياً فقد آذاني ، ومن سبه فقد سبني ، ومن أبغضه فقد أغضنى ومن أحبه فقد أحبني » . وقال : « على مع القرآن والقرآن مع على رضي الله عنه ، وكان إذا غضب المصطفى صلى الله عليه وسلم : لم يجرس أحد أن يكلمه إلا على ، وقال : لعلى ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة ، وقال يوم خيبر : لاعطين الرأبة رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله

(١) ابن الأثير ، حوادث سنة ٤٠ هـ ، والطبرى ٨٣/٦ ، والبداء والتاريخ ٧٣/٥ ، وصفة الصفوة ١١٨/١ ، ومقاتل الطالبين ١٤ ، والمسعودى ٢/٢ : ٣٩٠ . والإصابة ، الترجمة ٥٦٩ .

رسوله ، وجعل حبه علامة الإيمان وبغضه أمارة النفاق ، وقال الإمام أحمد : ما ورد لأحد من الصحابة من الفضائل ما ورد على رضي الله عنه رواه الحاكم وغيره ، وكان رضي الله عنه الانقياد والاستسلام شأنه ، والتبرى من الحول والقوة مكانه ، وقد قيل التصوف إسلام الغيوب إلى مقلب القلوب ، وإذا أردت أن تعرف منزلته من المصطفى صلى الله عليه وسلم فتأمل صنيعه في المؤاخاة بين الصحابة جعل يضم الشكل إلى الشكل والمثل إلى المثل فيؤلف بينهما إلى أن آخر بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهم : وادرخ علياً كرم الله وجهه لنفسه واحتصره بأخوته ، وناهيك بها من فضيلة وأعظم بها من شرف ، وكان على الأوراد مواظبا ، وللأرواد مناجيا ، وقد قيل : التصوف الرغبة في المحبوب في درك المطلوب ، وكان إذا لزمه في العيش الضيق والجهد أعرض عن الخلق وأقبل على الكسب والكد ، وقد قيل : التصوف الارتقاء في الأسباب إلى المقدورات من الأبواب ، وكان مزيناً بزينة العباد ، متحققاً بحلية الأبرار والزهاد ، زهد في الدنيا فكشف له الغطاء ، بل في الإحياء عن ابن عيينة أنه كان أزهد الصحابة ، وقد شهد له بكمال الزهد الإمام الشافعى رضي الله عنه لما قيل له : ما نفر الناس عن على رضي الله عنه إلا أنه كان لا يبالي بأحد فقال الشافعى رضي الله عنه كان عظيماً في الزهد والزاهد لا يبالي بأحد ، وكان بذات الله علیماً ، وعرفان الله في صدره عظيماً ، وقد قيل التصوف البروز من الاحتجاج إلى رفع الحجاب ، وما حفظ من رشيق عباراته ودقائق إشاراته : كانوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ، فإنه لن يقل عمل مع التقوى ، وقال : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك بل أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، وقال : احفظوا عنى لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ولا يستحقى جاهاً لأن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحقى عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم . وقال : الدنيا حيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب ، وقال : من رضى عن نفسه كثراً سخط عليه ، ومن ضيّعه الأقرب أتيح له الأبعد ، ومن بالغ في

الخصوصة أثم ، ومن قصر فيها ظلم ، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ،
وقال : من عظم صغار المصائب ابتلاء الله بكبارها ، وقال : إذا كان في الرجل
خلة رائعة فانتظر أخواتها وقال : الغيبة جهد العاجز ورب مفتون يحسن القول
فيه ، وقال ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة وآخره جيفة ، لا يرزق نفسه ولا
يدفع حتفه ، وقيل له : ألا نحرسك ؟ قال : حارس كل أمرىء أجله ، وقال :
من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داومه أربعين يوما قسا قلبه ، واشتري
لحما بدرهم وحمله فقيل له نحمل عنك قال : أبو العيال أحق بحمله ، وقال :
الدنيا تغر وتضر وقر إن الله لم يرها ثوابا لأوليائه ، ولا عقابا لأعدائه ، وقال :
طول الولد ينتهي في اثنين وعشرين سنة . وعقله في ثمان وعشرين سنة وما بعد
ذلك إنما هو تجارب إلى أن يموت ، وقال : من صارع الحق صرعه ، وقال : القلب
مصحف البصر ، وقال : كل مقتصر عليه كاف ومن لم يعط قاعدا لم يعط
قائما ، وقال : الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان
عليك فلا تضجر ، وقال : من طلب شيئاً ناله أو بعضه ، وقال : إذا قدرت على
عدوك فاجعل العفو عنه شكرنا للقدرة عليه ، وقال : الركون إلى الدنيا وما
يعانى فيها جهد ، والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالشواب عليه غبن ،
والطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز ، والبخل جامع لمساوي الأخلاق ، من
كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه ، وقال : الرغبة مفتاح النصب ،
والحسد مطية التعب ، وقال : إذا أقبلت الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفني ، وإذا
أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى ، وقيل له : ما بال العقلاء فقراء فقال :
عقل الرجل محسوب عليه من رزقه ، وقال : لبعض الملحدين المنكرين للميعاد :
إن كان الذي تظن أنت نجينا نحن وأنت إلا نجينا نحن وهلكت أنت وحدك ،
وقال لعمر رضي الله عنه أن أردت اللحوق بصاحبيك يعني رسول الله وأبا بكر .
فرقع القميص واكس الإزار واصصف النعل ، وقصر الأمل وكل دون الشبع فمن
تزيما بزى قوم فهو منهم ، وكان له سويق في إناء مختوم يشرب منه فقيل له :

ذلك بالعراق مع كثرة طعامهم ؟ فقال : أما إني لا أختمه بخلا بل أكره أن
فيه ماليس منه فيدخل بطني غير طيب ، وقال : القبر صندوق العمل .
للوت يأتيك الخبر ، وقال : العجب من يهلك ومعه النجاة قيل : وما هي ؟
الاستغفار ، وقال : السفر ميزان الرجال والحلם والأناة توأمان نتيجتها
همة ، وقال : ذهب المتقون بعاجل الدنيا وأجل الآخرة ، فشاركوا أهل
فى دنياهم ولم يشاركهم أهلها فى آخرتهم ، وقال : اتق الله بعض التقى
وأجعل بينك وبين الحرام سترا وان رق ، واتق المعاصى فى الخلوات فإن
د هو الحاكم ، وقال : القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكتبو .
عدة صبر على شدة ، وقال : ما هلك امرؤ عرف قدره ، وقيمة كل
ما يحسن ، وقال : المرء مخبوء تحت لسانه ومن عذب لسانه كثر
، وبالبر تستبعد الحر ، وقال : بشّر مال البخيل بحارث أو وارث ، وقال :
عند البلاء قام المحنة ، وقال : لا ظفر مع بغى ، ولا ثناء مع كبر ، ولا
مع النئم والتّحُم ، ولا شرف مع سوء أدب ، ولا راحة مع حسد ، ولا سُودَّ
قام ولا صواب مع ترك مشورة ، ولا مروءة لکذوب ، ولا شفيع أنجح من
، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا رأى أعيما من الجهل ، والممرء عدو ما
رحم الله امراً عرف قدره ولم يتعد طوره ، وقال : إعادة الاعتذار تذكرة
والنصح بين الملاً تقرير ، وأكبر الأعداء أخفاهم مكيدة ، والبخل جامع
العيوب ، وقال إذا خلت المقادير ضلت التدابير ، وقال : عبد الشهوة
عبد الرق ، وقال : الحاسد مفتاظ على من لا ذنب له ، وقال :
ان يقطع اللسان ، وأفقر الفقر الحمق ، وأغنى الغنى العقل ، وقال :
نفار النعم فما شارد بمردود ، وأكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع ،
دررت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه ، وقال : ما أضمر
 شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه ، وقال : من نظر في
الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه ، وقال : العفاف

زينة الفقر والشكر زينة الغنى ، وقال : الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه ، وقال : رد الحجر من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر ؛ وقال : أعظم الذنوب ما استخف به صاحبه ، وقال : كانت العلماء والحكماء والأتقياء يتکاتبون بثلاث ليس لهن رابعة : من أحسن سريرته أحسن الله علانيته ، ومن أحسن فيما بيته وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس ، ومن كانت الآخرة همة كفاه الله هم دنياه ، وقال : رأس الدين صحة اليقين وقال : الصبر يفضل الحدثان والجزع من أعوان الشيطان ، وقال لا تعمل الخير رباء ولا تتركه حياء وإن لم تكن حليما فتحلم فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم ، وقال : رسولك ترجمان عقلك وكتابك أبلغ ما ينطق عنك ، وقال : الأمانى تعىي أعين البصائر ، وقال : لو حننتم حنين الواله الشكلان وجاورتم جوار الرهبان ثم خرجتم من أموالكم وأولادكم فى طلب اقرب من الله وابتغا رضوانه ورفع درجة أو غفر سيئة كان قليلا ، وقال : قضم ظهرى رجلان عالم متهمتك وجاهل متنسك ، وقال رَوَّحُوا القلوب فإنها إذا كرهت عميت ، وقال : ويل لقاضى الأرض من قاضى السماء إلا من عدل وقضى بالحق ، وقال منْ أشد الأعمال مواساة الأخ فى المال ، وقال : خالطوا الناس بالستانكم وأجسادكم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم ، فإن للمرء ما كسب وهو يوم القيمة مع من أحب ، وقال : التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب . وقال : إن للنكبات نهايات لابد لأحد أن ينتهي إذا نكب إليها فينبغي للعاقل إذا نكب أن ينام لها حتى تنقضى مدتتها ، وقال : جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة . (فأتأه رجل فقال : يا أمير المؤمنين تصايرت على قضية ذهب فيها أهلى ومالي ، فخرج إلى الرعية فاجتمع عليه الناس فقال : ذمتى بما أقول رهينة وأنا به زعيم إن من صوحب به العبر عما بين يديه من المقولات حجرته عن تقدم الشبهات فان أشوى الناس رجل قتل علماء فى أول الناس بغير علم ولا دليل بكت فأسأيل ما قل منه خير ما كثر

حتى إذا ارتو من أحاد النمر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ملتبس على غيره فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدرى أصوب أم خطأ خباط عشوارات ، ركاب جهالات لم يعرض على العلم بضرس قاطع فيعلم ولم يسكت عما لم يعلم فيسلم تبكي من المواريث و تستحل بقضائه الفرج المحرام أولئك الذين حلت عليهم النياحة أيام حياتهم ^(١) ولما ضربه ابن ملجم دخل عليه الحسن يبكي . فقال احفظ عنى أربعاء وأربعاء : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الكرم حسن الخلق . قال والأربع الآخر . قال : إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد وببعد القريب ؛ ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، والتاجر فإنه يبيعك بالتأوه ، وجاء يهودي فقال : متى كان ربنا ؟ فقال لم يكن فكان هو كان ولا كينونة ، كان بلا كيف ، كان ليس له قبل ولا غاية ، انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية ؛ فأسلم ، وقال القريب من قريته المودة وإن بعد نسبة والبعيد من بعده العداوة وإن قرب نسبة ، ولا شيء أقرب من يد إلى جسد وإذا فسدت قطعت وحسمت ، وقال : الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم المعاصي ، ولم يؤمنهم عذابه ، وقال لا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا في علم لا فهم فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها ، وقال الدنيا قد ترحلت مدبرة ، والآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل منها بنون فكونوا من أبناء الآخرة لا الدنيا . فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل . وقال : كونوا ينابيع العلم ، مصابيح ، الليل خلق الشياط ، جدد القلوب ، تعرفوا به في السماء ، وتذكروا به في الأرض ، وقال : طوى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، وقال للمرائي ثلاث علامات يكسل إذا انفرد وينشط عند الناس . ويزيد في العمل إذا أثني عليه . وينقص إذا ذم . وسمع صوت ناقوس فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : يقول : سبحان

(١) ما بين المعقوقتين ساقط في ش ، ش ١ .

للله حقا ، إن المولى صمد يبقى ، وقال : إن دين الله بين الغالى والمقص
عليكم بالفرقة الوسطى فإن بها يلحق المقص وإليها يرجع الغالى ، قال
ل العسكري : لم يرو فى التوسط أحسن من هذا . وخرج يوما فإذا قوم جلوس قال
من ؟ قالوا : نحن شيعتك ، قال : سبحانه الله فماهى لا أرى عليكم سيماء
لشيعة عمش العيون من البكاء خمس البطون من الصيام ذبل الشفاه من
لدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة المخاشعين ، وقال : أوحى
للله إلى عيسى عليه السلام مر بنى إسرائيل أن لا يدخلوا بيوتى إلا بقلوب طاهرة
وأبصار خاشعة وأيد نقية فإنني لا أستجيب لأحد منهم ولا أحد عنده مظلمة ،
وقال : اطرح عنك واردات الغموم بعزم الصبر وحسن اليقين . وقال : إن كنت
جازعا على ماتفلت من يديك فاجزع عن كل مالم يصل إليك وقال : القلوب
أوعية فخيرها أوعواها ، الناس ثلاثة فعالم ريانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ،
وهمج رعاع أتباع كل ناعق يملون مع كل ريح وخطبة ، وقال لما قتل ابن آدم
أخاه بكى آدم عليه الصلاة والسلام ، وقال :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغير قبيح
تغير كل ذى طعم ولوطن وقل بشاشة الوجه المليح

أخرجه عنه الطبراني لكن نوزع بما أخرجه الثعلبي عن ابن عباس أن نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم والأئباء عليهم الصلاة والسلام كلهم في النهي عن
الشعر سواء وأخرج تاج الإسلام بسنده عن شريح رضي الله عنه قال : اشتريت
دارا بالكوفة فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه فقال : يا شريح اشتريت
دارا ؟ قلت : نعم قال : أشهدت عدوا قلت : نعم قال : اتق الله فإنه سيأتيك
من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بيتك . انظر ألا تكون اشتريت دارا من غير
مالك . وزنت مالا من غير حله فتخسر الدارين . ولو كنت حين اشتريت الدار
صرت إلى كنت أكتب لك الصك على هذه النسخة إذا ما كنت تشتريها بدرهمين

قلت : وما كنت تكتب ؟ قال : أكتب هذا ما اشتري العبد الذليل من ميت قد أزعج بالرحيل . اشتري هذه المفتون بالأمل . من المزعج بالأجل ، دارا بمحلة الغرور من الجانب الفانى فى عسكر الهالكين لها حدود أربعة . فحد منها ينتهى إلى دواعي الآفات . والثانى إلى دواعي العاهات والثالث إلى دواعي المصيبات . والرابع إلى دواعي الهوى المردى والشيطان المغوى ، وفي هذا الحد يشرع باب هذه الدار بالخروج من عز القنوع والدخول فى دار الخرص والفضول ، فما أدرك هذا المشتري من درك . فعلى مبلى أجساد الملوك سالت نفوس الجبارية ككسرى وقيصر ، وتبع وحمير . ومن بنى وشيد . شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى . والمعرفة إذا حللت من قيد المني وخطبه السلام ، وكان يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد وأنا نقطة الباء . أنا جنب الله الذى فرطتم فيه . أنا القلم أنا اللوح أنا العرش أنا الكرسى . أنا السموات السبع والأرضون السبع فإذا صع وارتفع عنه التجلى شرع يعتذر ويقر بالعبودية وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلهية . وكلامه أفرد بعدة أسفار كبار . وأما ما نقل عنه من التقلل والتزهد واشتهر به من الترهب والتعبد فكثير . وقد قيل : التصوف ، السلو عن الأعراض بالسمو إلى الأغراض . جاءه ابن التياح فقال يا أمير المؤمنين امتلأت بيت المال من صفراء وببيضاء فقال : الله أكبر فنادى فى الناس ففرق جميع ما فيه وهو يقول يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى ها وها حتى ما بقى فيه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحة وصلى فيه ركعتين . وما بنى لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة . وكان يلبس إزارا غليظاً أسود بخمسة دراهم . وكان يرقع قميصه فقيل له : يا أمير المؤمنين لم هذا ؟ قال : ليخشى القلب ويقتدى به المؤمن ، وأتى يوماً السوق فقال من عنده قميص بثلاثة دراهم فقال رجل : عندي فأتاوه به أعطاه فلبسه فإذا به يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع . وباع سيفه فى ثمن إزار وقال : والله لو كان عندي ثمنه ما بعثه ، فطالما كشفت به الكرب عن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ودخل ضرار على معاوية فقال صف على قال

أو تعفيني ؟ قال : لا قال : أما إذ لابد ، فكان والله بعيد المدى شديد القوى .
يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ،
يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، غزير العبرة ، طويل
الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام
ما خشن ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، لا يطعم القوى في باطله ولا ييأس
الضعيف من عدله . ١ هـ . أتاه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال :

أريد حياته ويريد قتلى عذيري من خليل من مرادي
هذا قاتلي ، فقيل له : ألا نقتله ؟ قال : ومن يقتلني ؟ !

ونختم ترجمة هذا الإمام بخبر رواه بعض الأعلام . وهو ما خرجه الحافظ
أبو نعيم بسند ضعيف جدا عن حذيفة مرفوعا « من سره أن يحيى حياته ويموت
ميتنى ، ويتمسك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله بيده ثم قال لها كوني فكانت
فليتول على بن أبي طالب ». قتله رضي الله عنه عبد الرحمن بن ملجم في
رمضان سنة أربعين . وقد نيف على الستين .

وقد ذكروا لقتله أسبابا منها أن ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال
لها : قطام فأصدقها ثلاثة آلاف وقتل على رضي الله عنه فخرج على كرم الله
 وجهه ، ينادي لصلة الصبح ، أيها الناس الصلاة ، فاعتربه ابن ملجم فضربه
بسيف فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه فشد عليه الناس فأمسك
 وأوثق وذلك في صبح الجمعة ، فأقام على رضي الله عنه الجمعة والسبت ومات
 ليلا الأحد ، ودفن بقصر الإمارة بالكوفة ليلا على أحد الأقوال . ثم قطعت
 أطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة وأحرق بالنار ، وأخرج بن عساكر عن عصمة
 العباد انه قال جلت في الفلوات فأبصرت ديرا فيه صومعة فيها راهب فقلت له
 حدثني بأعجب ما رأيت ؟ قال : بينما أنا ذات يوم هنا وإذا أنا بطائر أبيض
 كالنعام وقع على تلك الصخرة فتقينا رأسا ثم رجلا ثم ساقا وكلما تقينا عضا

من تلك الأعضاء التأمت بعضها إلى بعض أسرع من البرق حتى استوى رجلا ، فإذا هم بالنهوض نقره الطائر فقطع أعضاءه ثم يرجع فيبتلעה ، فلم يزل كذلك مدة فعجبت وازدت يقينا بعظمة الله وعلمت أن لهذه الأجساد حياة بعد الموت ، فقلت : أيها الطائر بحق الذي خلقك ، إلا ما أمسكت عنه حتى أسأله فيخبرني بقصته ، فقال الطائر بصوت عربي لرئي الملك وله البقاء أنا من الملائكة موكل بهذا الجرم ، فقال : يا رجل ما قصتك ؟ قال ابن ملجم قاتل على - ولما قتلتة أمر الله هذا الملك بعذابي فهو يفعل ما تراه . ثم سكت فنقره الطائر فتناثرت أعضاؤه فابتلעה عضوا عضوا ثم مضى . قال الجلال السيوطي : إسناده ليس فيه من تكلم فيه سوى أبي على شيخ قام ، فقد قال في الميزان متهم انتهى . قيل : ما خرج لصلة الصبح صاح الأوز في وجهه . فطير عنده فقال : دعوهن ، فإنهن بوائح . ومن نظمه رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك
وما عزى له أيضا من قصيدة طويلة رضي الله تعالى عنه :
دواوك فيك ولا تشعر ودواوك منك وتستخبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه قد طوى المضر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأخرج ابن عساكر عن أبي يزيد البسطامي قال : رأيت عليا في النوم فقلت : يا أمير المؤمنين علمتني كلمة تنفعني ، قال : ما أحسن تواضع الأغنياء للقراء قلت : زدني . قال : وأحسن منه تيه القراء على الأغنياء ثقة بما عند الله ، قلت : زدني ففتح كفه فإذا فيه مكتوب بالذهب :

كنت ميتا فصرت حيا وعن قليل تكون ميتا
فابن بدار البقاء بيتا واهدم بدار الفنا بيتا

حرف الهمزة

(٥) أبي بن كعب^(١)

المنبيء إذا سئل عن الغامض الصعب ، السيد القارى الأنصارى الخزرجى البخارى ، العقبي ، البدرى ، كان نحيفا قصيرا ، أبيض الرأس واللحية شهد العقبة الثانية ويدرا وما بعدها من المشاهد . وكان كاتب الوحي وأحد السادة الذين حفظوا القرآن على عهد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأقرأ الصحابة لكتاب الله . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن فبكى ثم تلا « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » وهذه منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة ، وناهيك بن سهان المصطفى صلى الله عليه وسلم سيد الأنصار وسماه الفاروق رضى الله عنه سيد المسلمين ، وقال له رجل : أوصنی فقال : اتخاذ كتاب الله إماما وارض به قاضيا وحكما ، وقال : ما من عبد ترك شيئاً لله إلا أبدله الله ما هو خير منه من حيث لا يحتسب . وقال : اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة ، مات بالمدينة ودفن بها سنة ثلاثين على الأصح ، وقيل : سنة اثننتين وعشرين ، وقيل غير ذلك . قال ابن حجر رحمه الله في مختصر التهذيب وصحيحة أبي نعيم رحمه الله : إنه مات في خلافة عثمان ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

(١) المعارف لابن قتيبة ، طبعة دار المعرف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ص ٢٦١ ، وطبقات ابن سعد ٣ ، القسم الثاني ، ٥٣ ، وصفوة الصحفة ١٨٨/١ ، وحلية الأولياء ١ ٢٥٠/١ ..

(٦) أبو الدرداء عويمر بن زيد الاتصاري^(١)

العارف المتفكر ، العالم المتبحر . العامل المتذكر ، داوم على العلم استباقا ، وأحب العمل اشتياقا . تفرغ من الهموم ففتح له الفهوم ، فصار صاحب الحكم والعلوم ، وقد قيل : التصور مكابدة الشوق إلى من جذب إلى فوق ، كان رضي الله عنه حكيناً لبيباً ونحريراً طبيباً . كلامه يكثراً وموعظته تغزير ، إذا نظر سبر ، وإذا ذكر خبر ، وكان أكثر عبادته التفكير والاعتبار ، ويفضل ذلك على غيره من الأذكار وكان يقعد إلى القبور فقيل له فيه فقال : أجلس إلى قوم يذكرونني معادى ، وإذا قمت من عندهم لم يغتابوني ، وكان إذا قيل له : كيف أصبحت يقول : بخير إن نجوت من النار ، وكان عطاوه أربعة آلاف ، ومع ذلك لما مات وجدوا له ثوباً واحداً فيه أربعون رقعة وقيل له : ما ت hubs من تحب ؟ فقال : أحب له الموت . قالوا : فإن لم يمت فقال أحب له قلة المال والولد وقال له بعضهم : أوصني فقال له : اذكري الله في النساء يذكري في النساء وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير ؛ وقال : أحب الموت اشتياقا إلى ربى . وأحب الفقر تواضعاً لربى وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي ، وقال إن نابت الناس نابذوك ، وإن تركتهم لم يتركوك وإن هربت منهم أدركوك ، فهو عرضك ليوم فقرك . وقال : لا تبغض من أخيك المسلم إذا عصى إلا عمله إذا تركه فهو أخوك . وقال : احذر أن تبغضك قلوب المؤمنين وأنت لا تشعر ، قال الفضيل رضي الله عنه : هو العبد يخلو بالمعاصي يلقى الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر ، وقال : إذا تغير أخوك واعوج فلا تتركه ، فإن الأخ يعوج تارة ويستقيم أخرى ، وقال : لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إلى من

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٦٨ ، والإصابة ، الترجمة رقم ٦٦٩ ؛ والاستيعاب بهامشها ١٥/٣ . وتاريخ الإسلام للذهبي ١٠٧/٢ .

مجالسة الأغنياء ، وقال : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فإن كان عمله تبعاً لهواه في يومه يوم سوء . وإن كان هواه تبعاً لعمله في يومه يوم صالح ، وقال : ما أمن أحداً على إيمانه أن يسلب إلا سلب ، وقال : من أحب أن يدخل الجنة وهو يضحك فليكن لسانه دائمًا رطباً بذكر الله . وقال : ما وجدت عبادة أشفي لصدر ولا أفضل من مجالس الذكر . وقال : من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر عذابه . وقال : كم من نعمة لله في عرق ساكن ، وقال : لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجودها . وحتى تمقت كل الناس في جنب الله ثم ترجع إلى نفسك فت تكون لها أشد مقتاً ، وقال : من فقه الرجل رفقه في معيشته ، وقال : اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ما ركبوا ظهر بغير إلا أدبروه ولا ظهر جواد إلا عفروه ولا قلب مؤمن إلا خربوه ، وقال : ذرورة الإيمان الصبر للحكم . والرضا بالقدر . وقال : اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله الذي يقذفه الله في قلوبهم على أستتهم . وقال : ياحبذا نوم الأكياس وإفطارهم ، وقال : ويل لكل جماع فاغر فاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عنده لو يمكنه لوصل الليل بالنهار ويله من حساب غليظ وعذاب شديد ، وقال : أخاف عليكم شهوة خفية في نعمة ملهمية ، وذلك حين تشعرون من الطعام وتتجوعون من العلم ، ومر بقوم يبنون فقال : تجددون الدنيا ، والله يريد خرابها والله غالب على ما أراد ، وقال : من لم يعد الصبر لفواجع الأمور يعجز ، وقال : موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعطا وبالدهر مفرقاً ، اليوم في الدور وغداً في القبور . وقال : من أكثر ذكر الموت قل فرحة وقل حسده ، وقالوا له : ادع الله لنا قال : لا أحسن السباحة وأخاف الغرق ، وقال : لا يزال العبد يزداد من الله بعداً كلما خشي خلقه ، وقال : إنا لنَبُشْ في وجوه أقوام وإن قلوبنا تلعنهم ، وقال : ويل من كذب وقع ونقض العهد الموثق فلا بر ولا صدق .

(ومن كراماته) أنه كان يأكل في قصعة مع سلمان ، رضي الله عنه ، فسبحت ، وكان يوماً يوقد تحت قدر وعنده سلمان ، رضي الله عنه ، إذ سمع في

القدر صوتا ثم ارتفع بتسبیح كهيئة صوت الصبي ثم انكفت ثم رجعت مكانها لم ينصب منها شيء ، فعجب سلمان رضي الله عنه وقال : انظر يا أبا الدرداء إلى مالا ينظر لثله قال : أما إنك لو سكت لرأيت من آيات الله الكبرى عجبا ، وروى الليث بن سعد رضي الله عنه عن بعض التابعين قال : رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه دخل المسجد ومعه من الأتباع مثل ما يكون مع السلطان وهم يسألونه عن العلم ، ومن شعره رضي الله عنه :

يريد المرء أن يعطى منياء ويأبى الله إلا ما أراد
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

ومرض فقيل له : ماذا تشتكى ؟ قال : ذنوبي ، قيل : فما تشتهى ؟
قال : مغفرة ربى ، قيل : أندعو لك طبيبا ؟ قال : الطبيب أمرضني ، ولما
احتضر جعل يقول : « من يعمل مثل يومي هذا من يعمل مثل ساعتى هذه من
يعمل مثل مضجعى هذا . » ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول
مرة »، مات سنة اثننتين وثلاثين ، رضي الله عنه .

(٧) أبوذر الغفارى^(١)

العايد الزهيد ، القانت الوحيد ، رابع الإسلام ، ورافض الأزلام قبل نزول الشرع والأحكام أول من حيا الرسول بتحية الإسلام ، لم تأخذه في الحق لائمة اللوام ، ولا تقرره سطوة الولاة والحكام ، أول من تكلم في علم البقاء والفناء ، وثبت على المشقة والعناء ، وحفظ العهود والوصايا ، وصبر على المحن والرزايا ، وخدم الرسول وتعلم الأصول ونبذ النضول ، وقد قيل : التصوف التأله عن غلبات التوله . اعزز الناس بالريبة دهرا طويلا ؛ وكانت تأتيه العطايا من الأمراء فغيرها . ولما مات ابنه ذر مر على قبره وقال : يا ذر ، قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ليت شعرى ما قلت وما قيل لك .

(ومن كلامه) تلدون للموت وتعمرن للخراب ، وتحرسون على ما يفني ، وتركون ما يبقى إلا حبذا المكرهات الموت والفقير ، وقال : نفس الإنسان مطيته إن لم يرفق بها لم تبلغه ، وكان للمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ملازمًا وجليسًا ، وعلى سؤاله والاقتباس منه حريصا ، وللقيام على ما استفاد منه أنيسا ، سأله عن الأصول والفروع ، وعن كل شيء حتى مس الحصى ، وكان من أخوف الصحابة وأكثرهم تفكرا في شأن المعاد ، ولا يدخل قوتا لغد ، ولا يعمر ما اندهم من داره ، ويقول : رب المنزل لا يدعنا نقيم فيه إلا قليلا . مات سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل غير ذلك ، رضى الله عنه .

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٥٢ ، وطبقات ابن سعد ٤/١٦١ - ١٧٥ ، والإصابة ٦٠/٧ ، وصفة الصفورة ٢٣٨/١ ؛ وحلية الأولياء ١٥٦/١ .

(٨) أبو هريرة عبد الرحمن أو عبد شمس أو غير ذلك^(١)

عريف من سكن الصفة من القاطنين ، ومن نزلها من الطارقين ، كان أحد أعلام الفقراء والمساكين صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الظل المدید ، أعرض عن غرس الأشجار . وجرى الأنهر ومخالطة الأغيار ، زهد في لبس اللِّين والحرير ، فعوض من حكم الخبير ، وقال : نشأت يتيمًا ، وهاجرت مسكيينا ، وكانت أجيرا لابنة غزوان بطعم بطني ، وعقبة رجلي ، أحدو لهم إذا ركبوا وأحتطب إذا هم نزلوا ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما ، وجعل أبا هريرة إماما وقال لابنته : لا تلبسي الذهب ، أخاف عليك اللهب ، وقال : حفظت عن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، خمسة جرب ، أخرجت منها جرابين ولو أخرجت الثالثة رجمتوني بالحجارة ، وقال : جلساء الله جدا ، أهل الورع والzed ، ووقف على حوض يسكن إبله فزوحه فأنكسر الحوض فقعد ، ثم اضطجع ، فقيل له فيه فقال : إن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، إمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فإن ذهب وإلا اضطجع ، ومر به رجل فقال له : أين تريد ؟ فقال : السوق قال : إن استطعت أن تشتري الموت قبل أن ترجع فافعل ، وقال : من دخل المقابر واستغفر لأهل القبور وترحم على الأموات فكأنما شهد جنائزهم والصلة عليهم ، ومن كراماته في تاريخ ابن النجاشي ، ورحلة ابن الصلاح عن الزنجاني الفقيه قال : حدثني الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب قال : كنا في حلقة المناظرة فجاء شاب خراساني يسأل عن المصاراة ويطلب الدليل فاحتاج عليه بخبر الشيفيين عن أبي هريرة فقال : وكان حنفيا أبو هريرة غير

(١) وقال : عمير بن عامر ، ويقال : سكين ، انظر المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، والتذهيب ٢٦٢ - ٢٦٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٧/٢ ، وتاريخ الإسلام ٣٣٢/٢ .

مقبول الحديث ، فما تم كلامه حتى سقطت عليه حية ، فتفرق الناس هاربين
فتبعثر الشاب دون غيره فقال : تبت تبت فلم ير لها أثر ، قال مالك في
الموطأ : بلغنا أن أبا هريمة جاء إلى وليمة وعليه ثياب رثة فردوه فاستعار له
ثيابا نفيسة وجاء ، فأدخلوه فلما وضعوا الطعام بين يديه غمس كمه في الطعام
وقال : كل فإنما أدخلوني لأجلك !!! ولما احتضر بكى فقيل : ما يبكيك ؟
قال : ما أبكى على دنياكم بل على بُعدِ سفرى وقلة زادى ، وإنى أصبحت فى
صعود مهبط على جنة أو نار ، ولا أدرى إلى أيهما يؤخذ بي ، مات سنة سبع
أو ثمان أو تسع وخمسين ، رضى الله عنه .

(٩) أبو موسى الأشعري^(١)

عبد الله بن قيس بن حضار صاحب القراءة والمزمار ، الرايض نفسه بالسياحة فى المضمار ، كان بالأحكام والأقضية عالما ، وفي أودية المحبة والمشاهد هائما ، ويقرأة القرآن فى الحنادس قائما ، وعلى مدى الأيام طاويا وصائما ، وقد قيل : التصوف رتوع القلب الهائم فى مرتع العز الدائم ، وهو الذى قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود » وكان عمر يقول له : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ فيُطرب الأسماع ويبكي كل بطل شجاع ، مات سنة أربع وأربعين وقيل : خمسين ، وقيل : اثننتين وخمسين .

(١) طبقات ابن سعد ٤/٧٩؛ والإصابة، ترجمة رقم ٤٨٨٩؛ وصفة الصفة ١/٢٢٥؛ وحلية الأولياء ١/٤٥٦.

(١٠) أبو عبيدة عامر بن الجراح^(١)

أمين هذه الأمة الأمير الشيد ، العالم الزهيد ، العابد الفريد أحد العشرة الكرام البررة كان لأ جانب المؤمنين وديداً وعلى أقاربه من المشركين شديداً ، صبر على الاقتصار على القليل ، إلى أن حان منه النقلة والرحيل ، وناهيك بن قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في حقه كما ورد في الأخبار الصحاح : إن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، قتل أباه كافراً غضباً لله ورسوله ، ولما قدم عمر الشام كان أبو عبيدة أميراً لها فتلقاءه فنزل فاعتنقه ثم دخل بيته فلم ير فيه إلا سيفه ورجله وترسه ، وكان يسير في العسكر ويقول : ألا ربُّ مُبِيض لثيابه مدنـس لقلبه ودينه ، ألا ربُّ مُكْرم لنفسه وهو لها مهين ، بادروا السينات القيادات ، بالحسنات الحديثات . مات رضي الله عنه سنة ثمان عشرة .

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ; وطبقات ابن سعد ، والإصابة والخلية ; وابن عساكر ١٥٧/٧؛ وصفة الصفة ١٤٢/١ ، وتاريخ الخميس ٢٤٤/٢.

حرف الباء الموحدة

(١١) بلال الحبشي المؤذن

وهو ابن رياح ، عتيق الصديق ذي الفضل والسماح ، السيد المتعبد ، الفقير المتجرد ، علم الممتحنين في الدين المعذبين ، خازن الرسول الأمين ، السابق الرامق ، المتسوكل الواشق ، وقد قيل : التصوف ، قطع العلائق ، والأخذ بالوثائق ، كان قديم الإسلام والهجرة ، بل قيل : إنه أول من أسلم وأظهر الإسلام ، شهد المشاهد كلها ، ولما أسلم توع عليه العذاب في الله فما تزلزل ، وناهيك بن قال الفاروق رضي الله عنه في شأنه : أبو بكر سيدنا وأعتقد سيدنا وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « نعم العبد بلال » وقال : « بلال سابق الحبش » اشتراه أبو بكر رضي الله عنه وهو يعذب على دخوله في الإسلام بخمس أوaci فضة وأعتقده فقال : إن كنت اعتقتني لله فدعني أعمل لله أو لتخذني خازنا فاتخذني ، فبكى وقال : إنما اعتقتك لله فاذهب فاعمل لله ، وكان يؤذن للمصطفى صلى الله عليه وسلم سفرا وحضرها ، وهو أول من أذن في الإسلام ، وكان يقتصر من الدنيا على ما يسد الرمق ، وتشاجر هو وأبو ذر رضي الله عنه فعيده بالسواد فشكاه إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبي ذر ما علمت أنه بقي في قلبك من كبر الجahليّة ، فألقى أبو ذر رضي الله عنه نفسه وحلف أن لا يرفعها حتى يطا بلال خده بقدمه ، وكان كثيراً ما يقول رضي الله عنه :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ١٧٦ ، وطبقات ابن سعد ٣/١٦٩ ، وصفة الصفة ١٧١/١ ، وحلية الأولياء ١٤٧/١ ، وتاريخ الخميس ٢٤٥/٢ .

ولما حضرته الوفاة ، قالت امرأته : واحزناه فقال : لا بل واطریاه
غدا نلقى الأحبةِ مهـدا وحزـنه
وفضائله جمة مات بدمشق سنة عشرين على الأشهر عن ثلات وستين
وقيل : سبعين سنة ودفن بباب الصغير ، وقيل : بباب كيسان ، وقيل : مات
وُدفن بحلب ، وجزم الحافظ ابن حجر رضي الله عنه بالأول .

حرف القاء المثناة فوق

(١٢) تقييم الدارى^(١)

الصحابى الكبير الشهير ويقال : الدارى والدارى ، فالدارى نسبة لجده والدارى نسبة إلى دير كان يتعبد فيه قبل الإسلام ، وكان نصرانياً أسلم سنة تسع من الهجرة ، ولازم التعبد ، وسلك طريق التزهد ، وفي صحيح مسلم عنه قصة الجساسة ، وتلك منقبة شريفة ، لم يشاركه فيها غيره ، كان كثير التهجد يقوم معظم الليل ، قام ليلة بآية من القرآن حتى أصبح يركع ويسجد ويبكي ، وهى « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ » الآية ، ونام ليلة عن تهجمه فصام سنة وقام سنة عقوبة لما صنع ، وهو أول من قص على الناس بإذن عمر رضى الله عنه ، وأول من أسرج المسجد ، مات بالشام ودفن ببيت جبريل من بلاد فلسطين .

(١) تهذيب ابن عساكر ٣٤٤/٣ ، وصفة الصفوة ٣١٠/١ ، والمقرizi ، « ضوء السارى فى معرفة خبر تقييم الدارى » .

حرف الهمزة

(١٣) جعفر بن أبي طالب^(١)

ذو المغناحين ، والهجرتين ؛ الجواد أبو الجواد الأسد الضراغم ؛ الباسل المقادم ، السخي المطعم ، خطيب العارفين ، مضيف المساكين ، مهاجر الهجرتين ، مصلى القبلتين . البطل الشجاع الجواد الشعشعاع . فارق الخلق . ورافق الحق . وقد قيل : التصوف الانفراد بالحق . عن ملامسة الخلق . كان يحب المساكين ، ويقعد معهم ويحدثهم ويحدثونه ، وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين ؛ وقصته مع النجاشي في أول اجتماعه به وقراءاته عليه سورة مريم قوله إن عيسى عليه السلام عبد الله وغير ذلك معروف مشهور . استشهد بمئتا من أرض الشام مقبلاً غير مدبر مجاهداً للروم في حياة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، سنة ثمان ؛ وأخبر ، عليه الصلاة والسلام ، أنه رأه في الجنة يطير مع الملائكة رضى الله عنه .

(١) أوجعفر الطيار ، الإصابة ٢٣٧/١ ؛ وصفة الصنوة ٢٠٥/١ ؛ ومقاتل الطالبين ٣ ، وحلبة الأولياء ١١٤/١ ، وطبقات ابن سعد ٢٢/٤ .

حروف الحاء المهملة

(١٤) حدیفة بن المهاجر^(١)

المتعبد على مدى الأيام والأزمات ، العارف بالمحن وأحوال القلوب .
الشرف على الفتن والآفات والعيوب . سأله عن الشر فاتقاه . وتحري الخير
فاقتناه . سكن عند الفاقة والعدم ، وركن إلى الإنابة والندم ، وقد قيل :
التصوف ، موافقة صنيع الرحمن والمرافقه مع المنع والحرمان ، وهو عبسى حليف
لبني عبد الأشهل ، أسلم هو وأبوه وأراد حضور بدر فأخذهما المشركون
فاستحلقوهما فحلف أن لا يشهداهما فقال لهم المصطفى ، صلى الله عليه وسلم :
نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم وشهادا أحدا ، وكان حذيفة صاحب سر
المصطفى صلى الله عليه وسلم في المنافقين يعلمهم وحده ، ولاه عمر رضي الله
عنه المدائن ، ومن كلامه أحب الأعمال إلى الله كثرة ذكره ، وقال : تعرض الفتنة
على القلوب ، فأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، وأى قلب أشربهَا
نكتت فيه نكتة سوداء حتى يصير القلب على قلبيين قلب أبيض كالصفا لا تضره
فتنة وأخر أسود مريد . قال : وكان الناس يسألون المصطفى صلى الله عليه
وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . وقال : ما الخمر صرفا
بأذهب لعقول الرجال من الفتنة ، وقال : شكوت لل المصطفى صلى الله عليه وسلم
ذرب لسانى فقال : أين أنت من الاستغفار . وقال : رُبٌ فاجر في دينه اخرق في
معيشته يدخل الجنة بسماحته . وقال : ما من يوم أقر لعيني ولا أحب لنفسى من
يوم آتى أهلى فلا أجد فيه طعاما . ولما ولى المدائن قدمها على حمار وبهذه

(١) ابن عساكر ٩٣/٤؛ وتهذيب التهذيب ٢١٩/٢؛ والإصابة ٣١٧/١؛ وحلية الأولياء ٢٧٠/١؛ وأسد الغابة ١٠٧؛ وصفة الصفوة ٢٤٩؛ والمعارف لابن قبيطة ص ٢٦٣.

رغيف وهو يأكل وقال : أخوف ما أخاف أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون ، وأن يضلوا وهم لا يشعرون ، وقال : ذهب النفاق فلا نفاق إنما هو الكفر بعد إيمان ، وقال : اسلكوا الطريق فإن سلكتموه فقد سبقتم سبقا بعيدا . وإن أخذتم ميينا وشمالا فقد ضللتم ضلالا بعيدا ، وقال : إن في القبر حسابا وإن في لقيمة حسابا ، فمن حوسب يوم القيمة عذب ، ولما حضره الموت قال : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . ودخل عليه أهله جوف الليل فقال : أى ساعة هذه ؟ قالوا : آخر الليل قال : أعوذ بالله من صباح إلى النار أجهشم بالأكفان فاللوا : نعم قال : فلا تغالوا فيها فإن يكن لصاحبكم خير عند الله فإنه يبدل بكسوته كسوة خيرا منها وإلا سلبها . مات بالمدائن سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان ، رضى الله عنه ، بأربعين ليلة .

(١٥) الحسن بن علي بن أبي طالب^(١)

سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته أمير المؤمنين وأخر الخلفاء بنص المصطفى . السيد المحبب ، والحبيب المقرب له في التصوف الكلام المشرق المرتب ، والمقال المونق المحقق المذهب وقد قيل : التصوف . تنوير البيان ، وتطهير الأركان . ولد في نصف رمضان سنة ثلث من الهجرة وقيل : في شعبان منها ، وقيل : سنة أربع وقيل سنة خمس وأولها أشهرها ، سنته أمه حريا ، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : بل هو الحسن ، ولم يكن هذا الاسم يعرف قبل ذلك في الجاهلية كما قاله العسكري ، وعُق عنده يوم سابعه وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة ، وكان أشبه الناس به عليه الصلاة والسلام أى من جهة أعلاه ، والحسين رضي الله عنه أشبه به من جهة أسفله كما قال بعض الأعلام جاما به بين ما روى عن الصديق : إن أشبه الناس به الحسن رضي الله عنه ، وما روى عن أنس رضي الله عنه وغيره أن الأشبه به الحسين رضي الله عنه ، فبذلك الجمع زال التعارض من بين . وحمله المصطفى صلى الله عليه وسلم على عاتقه وقال : « اللهم إني أحبه فأحبه » كما رواه الشيبخان عن البراء . « وجلس مرة على المنبر للخطبة وأجلسه بجنبه وصار ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ويقول : إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » كما رواه البخاري وغيره عن أبي بكرة « وأجلسه هو والحسين رضي الله عنهم يوما على وركيه ، وقال : هذان ابني وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما » رواه الترمذى عن أسماء « وسئل أى أهل بيتك أحب إليك ؟ فقال : الحسن والحسين » رواه الترمذى عن أنس « وأقبل مرة وقد حمل الحسن رضي الله عنه على رقبته الشريفة فلقىه رجل فقال : نعم المركب

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ٢١٠ - ٢١٢ : وتهذيب التهذيب ٢٩٢٥/٢ : والإصابة ٣٢٨/١ : واليعقوبي ١٩١/٢ : وتهذيب ابن عساكر ١٩٩/٤ : ومقاتل الطالبيين ٣١ : وابن الأثير ١٨٢/٣ : وحلية الأولياء ٣٥/٢ .

ـ كَبَتْ يَا غَلَامْ ، فَقَالَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ الرَّاكِبُ هُوَ « رَوَاهُ حَاكمُ عَنْ تَرْجِمَةِ الْقُرْآنِ » : « وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَلَىٰ وَفَاطِمَةَ وَمَعَهُمَا الْحَسَنَ وَالْحَسِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَرَضَعُوهُمَا فِي حَجَرِهِ فَقَبْلَهُمَا وَاحْتَضَنَ عَلَيْهِ بِإِحْدَى يَدِيهِ وَفَاطِمَةَ بِالْأُخْرَى وَجَعَلَ عَلَيْهِمَا كَسَاءَ أَسْوَدَ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ لَا إِلَهَ إِلَّا تُأْنِي رَوَاهُ أَحْمَدُ نَبَّىُ الْمَسْنَدِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَقَدْ فِي حَجَرِهِ يَوْمًا وَجَعَلَ أَصَابِعَهُ فِي لَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَفْتَحُ فَمَهُ ثُمَّ يَدْخُلُ لِسَانَهُ فِي فَمِهِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَحُبُّهُ فَأَحُبُّهُ وَأَحُبُّ مَنْ يَحْبِبُهُ ، قَالَهُ ثَلَاثًا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَكَانَ يَجْعَلُ وَأَتَاهُ وَهُوَ رَاكِعٌ فَفَرَجَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ حَتَّىٰ خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ » رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ لَزِيْرٍ . « وَأَتَاهُ الْحَسَنَ وَالْحَسِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرَّةً بَعْدَ صَلَاتِ الْعِشَاءِ فَجَعَلَ رَاهِدًا هَاهُنَا ، وَرَاهِدًا هَاهُنَا ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْهَبْ بِهِمَا إِلَى أَمْهَمَا ، قَالَ : لَا ، فَبَرَّقَتْ بِرَقَّةَ فَقَالَ الْحَقَا بِأَمْكَمَا فَمَا زَالَ يَمْشِيَانَ فِي ضَوَءِهَا حَتَّىٰ وَصَلَا » رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ، « وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ تَنْحُلَ أَبْنَاءُهَا فَجَاءَتْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِهِمَا فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ انْحِلْهُمَا فَقَالَ نَحْلَتْ هَذَا الْكَبِيرُ الْمَهَابَةُ وَالْحَلْمُ ، وَهَذَا الصَّغِيرُ الْمَحْبَةُ وَالرَّضِيُّ » رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ عَنْ أُمِّ أَيْمَنِ ، وَكَانَ سِيدًا كَرِيمًا حَلِيمًا ذَا سَكِينَةٍ وَوَقَارِ جَوَادًا مَدْحَاهِيَ كَرْهُ الْفَتْنَ وَالسَّيْفِ تَزَوَّجُ نَحْوَ سَبْعِمِائَةِ اِمْرَأَةٍ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ فَأَمْرَ مَنْادِيَ يَنْادِي فِي النَّاسِ : لَا تَزَوَّجُوا الْحَسَنَ إِنَّهُ مَطْلَقٌ فَمَا مِنْ بَاحِدٍ إِلَّا قَالَ بَلْ نَزَوْجُهُ فَمَا رَضِيَ أَمْسِكَ وَمَا كَرِهَ طَلاقُ ، وَلَمْ يَطْلُقْ اِمْرَأَةً إِلَّا وَهِيَ تَحْبِهُ وَأَمْتَعْ اِمْرَأَتَيْنِ بِعَشْرِينَ أَلْفًا وَزَقَاقَ مِنْ عَسْلٍ فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا : مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ . وَكَانَ يَجِيزُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ بِمَائَةِ أَلْفٍ ، وَتَزَوَّجُ بِامْرَأَةٍ فَأَرْسَلَ لَهَا بِمَائَةِ جَارِيَةٍ مَعَ كُلِّ جَارِيَةٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَحَجَ خَمْسَا وَعَشْرِينَ حَجَةَ مَا شِيَا مِنَ الْمَدِينَةِ وَالْجَنَابَ تَقادَ بَيْنَ يَدِيهِ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ كَلْمَةً فَحَشَّ قَطُّ إِلَّا مَرَّةٍ فَإِنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ عُمَرَ وَبْنِ عُثْمَانَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَلَامًا ، فَقَالَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَيْسَ لَهُ عِنْدَنَا إِلَّا مَا رَغَمَ أَنْفَهُ ، وَمَرْ بِصَبِيَانَ يَأْكُلُونَ

كسرا من الخبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم أنواعاً وكساهم وقال : اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمني ونحن نجد أكثر مما أعطيناهم ، وخرج من ماله لله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى إن كان ليعطي نعلاً ويمسك أخرى ويعطي خفاً ويمسك أخرى وقيل له : إن أبياً ذر يقول : الفقر أحب إلى من الغنى والقسم من الصحة فقال : رحم الله أبياً ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمتن غير الحال الذي اختاره الله له ، وهذا حد الوقوف على الرضى بما تصرف به القضا ، وكان يقول لبنيه وبنى أخيه : تعلموا العلم فإن لم تستطعوا حفظه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم . ورأى عيسى ابن مريم عليه السلام في المنام فقال : أريد أن أتخذ خاتماً فما أكتب عليه ، وقال : أكتب لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، فإنه آخر الإنجليل . بويغ له بالخلافة بعد قتل أبيه . فأقام بها ستة أشهر وأياماً ثم سار لحرية معاوية بن أبي سفيان فبأيع الحسن رضي الله عنه على الموت أربعون ألفاً ، فلما التقى الجيشان نظر الحسن إليهم أمثال الجبال من الحديد فقال : أيقتل هؤلاء بعضهم بعضاً في ملك من ملوك الدنيا لا حاجة لي به وأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه لا من قلة ولا من ذلة على أن تكون له الخلافة من بعده وأن يقضى عنه ديونه ، وأن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والمحجاز وال العراق بشيء مما كان أيام أبيه فأجابه معاوية إلى جميع ذلك واصطدحا وظهرت المعجزة النبوية بذلك ونزل عن الخلافة على تلك الشروط ، قال ابن بطال : ولم يوف له معاوية بشيء مما التزم ، ولما نزل عنها كان أصحابه يقولون له : يا عمار المؤمنين ، فيقول : العار خير من النار . وقال له رجل : السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال : لست بمذلهم ، لكنني كرهت أن أقتلكم على الملك ، وأتاه رجل فقال : يا مسُود وجه المؤمنين ، فقال : لا ترثيني فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بنى أممية يخطبون على منبره رجالاً فساده ذلك ، ثم رحل الحسن ، رضي الله عنه ، عن الكوفة إلى المدينة فأقام بها فصار أميرها مروان يسبه ويسب أبوه على المنبر وغيره ويبالغ في أذاه بما الموت

دونه وهو صابر محتسب ، وقال لرجل من يغلو فيهم أحبوا الله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصيناه فابغضونا ، فقال الرجل : إنكم قربة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأهل بيته فقال : وبحكم لو كان الله نافعا بقربة منه بغير عمل نفع بذلك من هو إليه أقرب إليه منا أباه وأمه ، والله إنى لأخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين .
مات رضى الله عنه بالمدينة ، سنته زوجته جعدة بنت الأشعث لعنها الله دس عليها يزيد بن معاوية أن تسمه ويتزوجها فلما قتلتة بعثت إليه أن ينجز الوعد فقال : إنا لم نرضاك للحسن فتضلاك لأنفسنا ، وجهد به أخوه أن يخبره بمن سمه فلم يفعل وقال الله أشد نعمة إن كان الذي أظن وإلا فلا يقتل بري ، ورأى الحسن رضى الله عنه بين عينيه مكتوبًا قل هو الله أحد فاستبشر به هو وأهل بيته فقصوها على ابن المسيب فقال : إن صدق رؤياه فما بقى من أجله إلا أياما فكان كذلك . ولما احتضر جزع فقال له الحسين رضى الله عنه : ما هذا أنك ترد على المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى كرم الله وجهه وهما أبوك وخديجة وفاطمة رضى الله عنهمَا وهما أماك فقال : إنى أدخل فى أمر من أمر الله لم أدخل في مثله وأقدم على سيد لم أر مثله وأرى خلقا من خلق الله لم أر مثلهم قط يا أخي إن أباك استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر رضى الله عنه ثم استشرف لها فصرفت عنه إلى عمر رضى الله عنه ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت عنه فلما قتل عثمان رضى الله عنه بوعي ثم نوزع حتى جرد السيف ما صفت له وإنى والله ما أرى أن يجمع الله فيما بين النبوة والخلافة فلا يستخفنك سفهاء الكوفة ، وكان عطاوه فى كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية عاما فاضاق ذرعا فدعا بدواة ليكتب لمعاوية ثم أمسك فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فشكى إليه ذلك ، فقال : أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك !! قل : اللهم اقذف فى قلبي رجاك ، واقطع رجاي عن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتي ، وقصر عنـه أملـي ،

ولم تزله رغبتي ، ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى ما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به ، يا رب العالمين ، فما ألح به أسبوعا حتى أتاه ألف ألف وخمسة ألف ، مات رضى الله عنه سنة تسعة وأربعين وقيل خمسين وقيل : إحدى وخمسين ودفن بالقبع فجعل ينبج كما تنجع الكلاب ثم مات فسمع من قبره يعوى ، أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن الأعمش ، ومنها أنه مر يوما بامرأة معها مولود فجاء عقاب فاختطفه فتعلقت أمه بالحسن رضى الله عنه وقالت : يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني فبسط يده ودعا فجاء العقاب وجعل ولدتها على يدها ولم يضره ، ومن كلامه أكياس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، وقال السداد دفع المنكر بالمعروف ، والشرف اصطناع العشيرة وحمل الجريمة ، وقال : المروءة العفاف واصلاح المال ، وقال : اللوم احرار المرأة نفسه وبذله عرسه ، وقال : السماح البذل في العسر واليسر ، والشح أن تر ما في يدك شرفا وما أنفقته تلفا ؛ وقال الإخاء المواساة في الشدة والرخاء ، وقال : الغنيمة الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا فذلك الغنيمة الباردة ، وقال : الحلم كظم الغيظ ، وملك النفس ، والغني رضا النفس بما قسم لها وإن قل ، والفقير شره النفس إلى كل شيء ، والكلفة كلامك فيما لا يعنيك وقال المجد أن تعطى في العدم وتعفو عن الجرم ، والعقل حفظ القلب كلما استوعيته . والثناء إتيان الجميل وترك القبيح ، والحزم طول الأنata والرفق بالولاة ، والسفه اتباع الدناءة ، ومصاحبة الغواة والغفلة ترك المسجد ، وطاعة المفسد ، والحرمان ترك حظك وقد عرض عليك ، وكان يقول الطعام أهون من أن يقسم عليه ، ونختتم ترجمته بفائدة غريبة وهي أنى رأيت في شرح مقدمة الوصول للشيخ إبراهيم المواهبي رحمة الله نقلها عن مشيخة العارف أبي المواهب التونسي رضى الله عنه أن أول من تلقى القطبانية من المصطفى صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء رضى الله عنها مدة حياتها ثم انتقلت منها إلى أبي بكر ثم

إلى عمر ثم إلى عثمان ثم على ثم الحسن رضى الله عنهم أجمعين هكذا ذكره ،
لكن سيأتي عن العارف المرسى أن أول الأقطاب مطلقاً الحسن بن على رضى الله
عنهمما .

(١٦) الحسين بن علي بن أبي طالب

سبط المصطفى ، صلى الله عليه وسلم وريحانته الذى قال فيه : « حسین
منی وأنا من حسین ، اللهم أحب من أحب حسینا ، حسین سبط من الأسباط »
رواه الحاکم عن يعلی العامری وصححه ، « وجلس يوما فی المسجد واحتبس ثم
قال لأبی هریرة رضی الله عنه : ادع لى لکاع فأتی بحسین رضی الله عنه يشتد
حتی وقع فی حجره ثم دخل بده فی لحیته فجعل المصطفی صلى الله عليه وسلم
يفتح فم الحسین رضی الله عنه ويدخل فاه فی فيه ويقول : اللهم إنى أحبه
فأحبه » رواه الحاکم ، ولد سنة أربع أو ست أو سبع وقيل : لم يكن بين الحمل
بالحسین بعد ولادة الحسن رضی الله عنہما إلا طھر واحد ، وكان شجاعا مقداما
من حين كان طفلا ، أتی عمر رضی الله تعالى عنه وهو يخطب على المنبر فصعد
إليه فقال : انزل عن منبر أبی واذهب إلى منبر أبیك ، فقال عمر رضی الله عنه
لم يكن لأبی منبر وأخذه فأجلسه معه وقال من علمك قال : والله ما علمني
أحد ، وكان ابن عمر رضی الله عنه جالسا فی ظل الكعبۃ إذ رأی الحسین رضی
الله عنه مقبلا فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم ، وكانت
إقامةه بالمدينة إلى أن خرج مع أبیه إلى الكوفة فشهد معه مشاهده وبقى معه
إلى أن قتل ثم مع أخيه إلى أن انفصل ، فرجع للمدينة واستمر بها حتی مات
معاوية فأخرج يزيد إليه من يأخذ بيته فامتنع وخرج إلى مکة فأتته كتب أهل
العراق بأنهم بايغوه بعد موت معاویة فأشار عليه ابن الزییر بالخروج وابن عباس
وابن عمر بعدهم فأرسل إليهم ابن عمہ مسلم بن عقیل فأخذ بيته وأرسل إليه
يستقدمه ، فخرج الحسین رضی الله عنه من مکة قاصدا للعراق ولم یعلم بخروجه

(١) تهذیب ابن عساکر ٣١١/٤ ; ومقاتل الطالبین ٥٤ ، ٦٧ ; وابن الأثیر ٤/١٩ ، والطبری ٢١٥/٦ ، والیعقوبی ٢١٦/٢ ; وصفة الصفة ٣٢١/١ ; والمعارف لابن قتيبة ص ٢١٣ - ٢١٤ .

ابن عمر فخرج خلفه فأدركه على ميلين من مكة فقال : ارجع فأبى فقال : إنى محدثك حديثا إن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وانك بضعة منه والله لا يليها أحد منكم أبدا ، فقال ان معى حملين من كتب أهل العراق ببيعتهم فقال : ما تصنع بقوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك فأبى إلا المضى فاعتنقه وبكي ، وقال : استودعتك الله من قتيل ولم يبق أحد بعكة إلا حزن لمسيره ولما بلغ أخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملا طستا بين يديه ثم سافر فكان ابن عمر رضى الله عنه يقول غلبنا حسين بالخروج ولعمري لقد رأى فى أخيه والله عبرة ، وكلمة فى ذلك أيضا من وجوه الصحابة جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد وغيرهم ، فلم يطع أحدا منهم وصمم على المسير فقال لها بن عباس والله انى لأظنك ستقتل بين نسائك ، وأبنائك وبيناتك كما قتل عثمان رضى الله عنه فلم يقبل فبكى ، وقال أقررت عين ابن الزبير فلما رأى ابن عباس ابن الزبير قال له لقد جاء ما أحبت هذا الحسين خرج وتركك والحجاز فعلم بزياد بخروجه . فأرسل إلى عبيد الله بن زياد واليه على الكوفة يأمره بطلب مسلم وقتله ، فظفر به فقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له : ارجع فإنی لم أدع لك خلفی خيرا وأخبره الخبر ولقى الفرزدق فسألته فقال له قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنی أمیة ، والقضاء ينزل من السماء فهم أن يرجع وكان معه أخو مسلم فقالوا لا نرجع حتى نصيب بشارة أو نقتل فساروا ، وكان ابن زياد جهز جيشا أربعة آلاف وقيل عشرين ألفا لمقاتلته فوافوه بكرياء فنزل ومعه خمسة وأربعون فارسا ونحو مائة راجل فلقى الجيش وأميرهم عمرو بن سعد بن أبي وقاص وكان ابن زياد ولاه الرى وكتب له بعهده عليها إن حارب الحسين رضى الله عنه ورجع فلما هم التقى وأرهقه السلاح قال له الحسين رضى الله عنه اختر مني إحدى ثلاث إما أن الحق بشرغ من الشغور ، وإما أن أرجع إلى المدينة ، وإما أن أضع يدى في يد ابن معاوية فقبل ذلك عمرو منه وكتب به إلى ابن زياد

فكتب اليه لا أقبل منه حتى يضع يده فى يدى فامتنع الحسين رضى الله عنه فتأهبا لقتاله ، وكان أكثر مقاتليه الكاتبين إليه والماياعين له ، ولما أيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد نزل من الأمر ماترون وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصباة الإناء ، وإن خسيس عيش كالمرعى الوسيل ، ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ، لييرغب المؤمن فى لقاء الله فإنى لأرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا جرماً ، فقاتلهم ، فكان آخر الأمر أن قتل رضى الله عنه ، وقتل معه سبعة عشر شاباً من أهل بيته ، وذلك بكر بلاء كما فى خبر رواه الطبرانى ، فإن قلت : ينافيه ما ورد عن الطبرانى أيضاً عن عائشة رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال : « أخبرنى جبريل عليه السلام أن الحسين رضى الله عنه يقتل بعدي بأرض الطف وجاءنى جبريل بهذه الترية وأخبرنى أن فيها مضجعه » وما رواه ابن سعد عن على أمير المؤمنين قال : « دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيشه تفيضان فسألته فقال أخبرنى جبريل عليه السلام أن حسيناً يقتل بشاطئ الفرات » قلت : لا تعارض لأن الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بأرض الطف وهي من بلاد كربلاء فالتأم الكلام واستقام على أحسن نظام : ولما قاتلوه جزوا رأسه الشريف ثم أتوا به إلى ابن زياد فأرسله ومن بقى من أهل بيته إلى يزيد ومنهم على بن الحسين كان مريضاً وعمته زينب رضى الله عنهما فلما قدموا على يزيد سر سروراً كبيراً وأوقفهم موقف السبى بباب المسجد وأهانهم وبالغ ، ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب على ثنياه بقضيب كان معه ويقول : لقيت بغيبك يا حسين وبالغ فى الفرح ثم ندم لما مقتله المسلمين على ذلك وأبغضه العالم ، قال الجلال السيوطى رحمة الله وغيره ، وحق لهم أن يبغضوه ، وقد أخرج أبو يعلى عن أبي عبيدة رضى الله عنهما مرفوعاً : « لا يزال أمر أمنى قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد » وأخرج

الروياني عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا : « أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد » وقد قال أحمد بن حنبل بكتفه وناهيك به ورعا يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لما ثبت عنده من أمور صريحة وقعت منه توجب ذلك ، وقد صنف جماعة من القدماء في مقتله تصانيف منها الغث والسمين ، وال الصحيح والسبق ، وفي هذه القصة المساقة غنى ، وقد صح عن إبراهيم النخعى رحمة الله أنه كان يقول : لو كنت من قاتل الحسين ، رضي الله عنه ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن عباس ، رضي الله عنهم :رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وسط النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت : يا رسول الله ، ما هذا ؟ قال : دم الحسين وصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم ، فكان ذلك اليوم فيه الذي قتل فيه رواه البهقى وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره ، وقت يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين وكشفت الشمس وقت قتله كسفة أبدت الكواكب نصف النهار وأحرمت آفاق السماء ستة أشهر يرى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة أيام كأنها علة والشمس على الحيطان كالملاحم العصفرة والكواكب يضرب بعضها ببعض ، وقيل : إنه لم يقلب حجر بيت المقدس يومئذ إلا وجد تحته دم غبيط ، وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً ، ونحرروا ناقة في عسكرهم فصاروا يرون في لحمها التيران وطبخوها فصارت كالعلقم ، ولما ساروا برأسه إلى ابن معاوية ، قعدوا في أول مرحلة يشربون الخمر ، فخرج عليهم قلم من حديد من حائط وكتب بدم ...

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

ثم إن ابن معاوية أمر برد أهله إلى المدينة ، وأن يطاف برأسه الشريف في البلاد ، وروى ابن خالويه عن الأعمش عن منهال بن عمرو الأسدى قال : والله رأيت رأس الحسين رضي الله عنه حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفَ وَالرَّقِيمَ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجِبًا » فنطق الرأس بلسان عربي فصريح وقال جهاراً أَعْجَبَ مِنْ أَصْحَابِ

الكهف قتلى وحملى ، وخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنه « أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم » إنى قتلت بيحىى بن زكرياء سبعين ألفا وإنى قاتل ابنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا » صححه الحاكم ، وقال الذهبي فى التلخيص على شرط مسلم وقال الحافظ ابن حجر رحمة الله وورد من طريق واه عن على عن المصطفى صلى الله عليه وسلم « قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا » (واعلم) إنهم اختلفوا فى رأس الحسين رضى الله عنه بعد مصيره إلى الشام إلى أين صار وفي أى موضع استقر ، فذهب طائفة إلى أنه طيف به فى البلاد حتى انتهى إلى عسقلان فدفنها أميرها بها فلما غلب الفرنج على عسقلان افتداها منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائها من عدة مراحل ثم بنى عليها المشهد المعروف بالقاهرة وإلى ذلك أشار القاضى الفاضل فى قصيدة مدح بها الصالح ، وصار آخرون منهم الزبير بن بكار ، والعلاء الهمданى إلى أنه حمل إلى المدينة مع أهله فকفن ودفن بالبقع عند قبر أمه وأخيه الحسن وذهب الإمامية إلى أنه أعيد الجثة ودفن بكربلاء بعد أربعين يوما من المقتل ، ورجع القرطبي الثانى قائلاً ما ذكر من أنه فى عسقلان فى مشهد أو بالقاهرة باطل لا أصل له انتهى ، والذى عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهرى ، ولكن ذكر لى يقص أهل الكشف والشهد ، أنه حصل له اطلاع على أنه دفن مع الرأس بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهرى لأن حكم باب البرزخ حكم الإنسان الذى تدللى فى تيار جار ، فيطاف بعد ذلك فى مكان آخر فلما كان الرأس منفصلاً طف فى هذا محل من المشهد الحسينى المصرى ، وذكر أنه خاطبه منه ، وذكر بعضهم أن القطب يزوره كل يوم .
(ومن كلامه) الزموا مودتنا أهل البيت ، فإن من لقى الله وهو يومنا دخل فى شفاعتنا ، إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نعما ، وقال : من جاد ساد ومن بخل رذل ، ومن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم على ربه غدا وقال الشافعى : مات ابن للحسين فلم نر عليه

كآبة ، فعوتب في ذلك فقال : إنما أهل بيته نسأل الله تعالى فيعطيانا فإذا أراد ما نكره فيما نحب رضينا والتزم يوم الركن الأسود وقال : إلهي نعمتني فلم تجذن شاكرا ، وابتليتني فلم تجذن صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، ولا أدمنت الشدة بترك الصبر ، إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم ، وأخرج ابن عساكر أن ابن عباس بينما هو يحدث الناس قام إليه نافع الأزرق وقال : تفتى الناس في النملة والقملة صف لى إلهك الذي تعبد فأطرق إعظاما لقوله وكان الحسين رضي الله عنه جالسا ناحية فقال إلى يا ابن الأزرق ؟ قال لست إياك أسألك قال ابن عباس إنه من بيته النبوة وهم ورثة العلم ، فأقبل نافع الحسين رضي الله عنه فقال : يانافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس ، سائلا ناكبا عن المنهاج ، وطاعنا بالاعوجاج ، ضالا عن السبيل ، قائلا غير الجميل ، أصف لك إلهي بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه ، لا يدرك بالحواس ؛ ولا يقاد بالناس ، قريب غير ملتصق ؛ بعيد غير منتقص ، يوجد ولا يبعض ، معروف بالآيات ، موصوف بالعلامات ، لا إله إلا هو الكبير المتعال انتهى ، ورزق من الأولاد خمسة ، على الأكبر وعلى الأصغر ، وله العقب ، وجعفر وفاطمة ، وسكينة المدفونة بالمراغة بقرب نفيسة رضي الله عنهم أجمعين كذا قال شيخنا الشعراوى رحمة الله : إنها دفنت بالمكان المذكور وليس ذلك بصحيح فقد قال الثقة الأعظم ، ولى الله المعلم ، واسطة عقد الشافعية شيخ الإسلام النووي رضي الله عنه بعد أن حكى في ذلك قولين أقوالاً الصحيح قول الأكثر أنها توفيت بالمدينة ، وعبارته قدمت سكينة دمشق مع أهلها ثم خرجت إلى المدينة ويقال عادت إلى دمشق وإن قبرها بها والصحيح ، قول الأكثرين أنها توفيت بالمدينة يوم الخميس لخمسة خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة ، وهذه عبارته فانظر كيف حكى القولين ، ولم يذكر غيرهما ، فدل على أن ما ذكر الشيخ لا أصل له ، وفي الواقع الأنوار « أن زينب المدفونة بقنطر السباع أخت الحسين رضي الله عنه » فليحرر ، انتهى

حرف السين المهملة

(١٧) سعيد بن عامر الجمحي القرشي^(١)

زهد في الفتنة السحارة ، ونظر إلى طلابها بعين الحقاره ، فرغب عن الدنيا مع تقلده الولايات وقيامه فيها برعاية العهود والأمانات ، وقد قيل : التصوف مصاورة المثون دون تحقيق الظنون ، وكان من عمال عمر رضي الله عنه على حمص دعاه فقال : إنني مستعملك فقال : لا تفتني يا أمير المؤمنين قال : والله لا أدعك قلد توها في عنقى وتتركنى ثم قال عمر رضي الله عنه : ألا نفرض لك رزقا ؟ قال : في عطائى ما يكفينى دونه فكان يخرج منه قوته ويتصدق بيقيته فتقول امرأته : أين فضل عطائك ؟ فيقول : أقرضته فأتأهله أناس فقالوا : إن لأهلك عليك حقا ، ولأصحابك عليك حقا ، فقال : ماأنا بذلك ممسوس رضا من الناس دون الله ، وبلغ عمر رضي الله عنه أنه يمر به كذا كذا ليلة لا يدخل في بيته فأرسل إليه بمال فأخذه في صرة فتصدق به ، مات سنة تسع عشرة من الهجرة .

(١) تهذيب التهذيب ٥١/٤ : وابن عساكر ١٤٥/٦ - ١٤٧ : وصفة الصفة ٢٧٣/١ : وحلية الأولياء ١/٢٤٤ : والإصابة ، الترجمة رقم ٣٢٦٣ : ونسب قريش ٣٩٩ .

(١٨) سعد بن أبي وقاص^(١)

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، كان مجاب الدعوة ما دعى بشيء إلا استجيب له ، أخرج الطبراني عن ابن عمر قال : «صلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة العصر بالناس فلما جلس في الركعتين الأولتين من كلب ليقطع عليه صلاته فأشفق أن يمر عليه فدعى سعد بن أبي وقاص على الكلب فأهلكه الله بقدرته ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من صلاته نظر إلى الكلب وقال من الداعي منكم على هذا الكلب فلم يتكلم أحد فأعاد الكلام فقال سعد : أنا الداعي عليه يا رسول الله بأبي أنت وأمي أشفقت أن يقطع عليك صلاتك ، فدعوت عليه ، قال : بماذا دعوت عليه يا سعد ؟ قال : قلت سبحانك لا إله إلا أنت ياذا الجلال والإكرام أهلك هذا الكلب قبل أن يقطع على نبيك صلاته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «لقد دعوت بشيء لو دعوت بهذه الكلمات على أهل المشرق والمغارب لاستجيب لك » رضي الله عنه .

(١) تهذيب ابن عساكر ٩٣/٦ ; وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٨٣/٣ ; والبداء والتاريخ ٨٤/٥
وطبقات ابن سعد ٦/٦ ; والإصابة ، الترجمة رقم ٣١٨٧ .

(١٩) سلمان الفارسي^(١)

ابن الإسلام رافع الألوية والأعلام ، الكادح الذي لا يريح والراخى الذى لا ينزع ، الحاكم الحكيم ، العالم العليم ، أحد الرفقاء والنجباء ، ومن إليه شتاق الجنة من الغرباء ثبت على القلة والشدائى ، لما نال من الصلة والزوايد ، وقد قيل : التصوف مقاسات القلق فى مراعاة العلق ، أصلة من أصحابه أو غيرها ، أسلم عند قدوم المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، وكان عبداً لبني قريظة أدى عنه المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، كتابه وأعتقه وهو عظيم المناقب ولو لم يكن من مناقبه إلا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « السباق أربعة وعده منهم قوله : « سلمان من أهل البيت » قوله : « إنه أحد الذين شتاق إليهم الجنة » قوله : « إن الله يحب من أصحابي أربعة وذكره منهم » لكتفى ، كان من أكابر الزهاد ، تزوج امرأة من كندة فدخل بيتها فوجده منجداً فقال : أمموم بيتكم أو تحولت الكعبة فى كندة أو صانى خلى المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، أن لا يكون متابعاً من الدنيا إلا كزاد الراكب فلم يدخل حتى نزع كل ستر في البيت ، سئل عنه رضى الله عنه فقال : أدرك العلم الأول والآخر بحر لا يترف ، ونزل هو وحديفة ، رضى الله عنه ، على نبيطة فالتمس منها مكاناً يصلى فيه فقالت طهر قلبك وصل حيث شئت ، فبكى وقال لحديفة رضى الله عنه : خذها حكمة من قلب كافر ، وأصاب جارية فارسية فقال لها : صل قالت : لا قال فاسجدى واحدة قالت لا يقبل له ماتغنى عنها سجدة قال لو سجدت صلت وليس من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له ، إذا جنه الليل

(١) طبقات ابن سعد ٥٣٤ - ٦٧ : وتهذيب ابن عساكر ١٨٨/٦ : والإصابة ، الترجمة رقم . ٣٣٥ .
وحلية أولياء ١٨٥/١ : والمسعودي ٣٢٠/١ : وصفة الصفة . ٢١٠/١ .

صلى فإذا أعيَا ذكر الله بـلسانه فإذا أعيَا بـكى فإذا أعيَا تـفـكـر فـي آيات الله وعـظـمـتـه ، ثم يـقـول لـنـفـسـه : استـرـحـتـى فـقـومـى فإذا صـلـى زـمـانـا قال لـلـسـانـه : استـرـحـتـ فـاـذـكـرـ وـهـكـذـا طـوـلـ الـلـيـلـ ، وـكـانـ عـطـاؤـهـ خـمـسـهـ آـلـافـ ، وـكـانـ أمـيرـاـ بـالـمـدـائـنـ ، عـلـىـ زـهـاءـ ثـلـاثـيـنـ أـلـفـاـ ، وـمـعـ ذـلـكـ يـخـطـبـ النـاسـ فـيـ عـبـاءـةـ يـفـتـرـشـ بـعـضـهـاـ ، وـيـلـبـسـ بـعـضـهـاـ ، وـلـمـ يـكـنـ بـيـتـ يـظـلـهـ وـإـنـاـ يـدـورـ مـعـ الـظـلـ حـيـثـ دـارـ ، وـكـانـ إـذـاـ خـرـجـ عـطـاؤـهـ فـرـقـهـ وـلـاـ يـأـكـلـ إـلاـ مـنـ كـدـ يـدـهـ فـيـ عـمـلـ الـخـوـصـ ، وـكـانـ يـجـمـعـ مـاـ عـمـلـهـ بـيـدـهـ فـيـشـبـهـرـىـ بـهـ لـحـمـاـ وـسـمـكـاـ وـيـدـعـوـ الـمـجـذـومـينـ فـيـأـكـلـونـ مـعـهـ ، وـكـانـ غـالـبـ النـاسـ يـسـخـرـونـهـ فـيـ حـمـلـ مـتـاعـهـ وـهـوـ أـمـيرـ لـعـدـمـ مـعـرـفـتـهـ بـهـ لـرـثـائـتـهـ ، وـأـرـسـلـ أـبـاـ الدـرـدـاءـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ يـخـطـبـ لـهـ اـمـرـأـ فـذـكـرـ لـأـهـلـهـاـ فـضـلـهـ وـسـابـقـتـهـ ، فـقـالـواـ : أـمـاـ سـلـمـانـ فـلـاـ نـزـوـجـهـ لـكـنـ نـزـوـجـكـ فـتـزـوـجـهـاـ فـخـرـجـ فـقـالـ لـهـ : قـدـ كـانـ شـىـءـ أـسـتـحـىـ أـنـ أـذـكـرـهـ ، قـالـ مـاـ ذـاكـ ؟ـ فـأـخـبـرـهـ فـقـالـ : أـنـاـ أـحـقـ أـنـ أـسـتـحـىـ مـنـكـ أـنـ أـخـطـبـهـاـ وـكـانـ اللـهـ قـدـ قـضـاـهـاـ لـكـ ، وـتـفـاخـرـتـ قـرـيـشـ عـنـهـ يـوـمـاـ فـقـالـ : لـكـنـىـ خـلـقـتـ مـنـ نـطـفـةـ مـذـرـةـ ثـمـ أـعـودـ جـيـفـةـ مـنـتـنـةـ ثـمـ إـلـىـ الـمـيزـانـ فـإـنـ ثـقـلـ مـيـزـانـىـ فـأـنـاـ كـرـيمـ وـأـنـ خـفـ فـانـاـ لـثـيمـ ، وـخـطـبـ عـمـرـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ مـرـةـ فـقـالـ اـنـصـتـوـاـ حـتـىـ أـسـمـعـكـمـ فـقـالـ سـلـمـانـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ وـالـلـهـ : لـاـنـسـمـعـكـ ، قـالـ : لـمـاـذاـ قـالـ لـأـنـكـ تـفـضـلـ نـفـسـكـ عـلـىـ رـعـيـتـكـ ، قـالـ : كـيـفـ ؟ـ قـالـ : عـلـيـكـ ثـوـبـانـ وـعـلـىـ الـخـاطـرـيـنـ ثـوـبـ وـاحـدـ ، فـقـالـ : مـهـلـاـ نـادـىـ بـابـهـ ، فـقـالـ : أـنـشـدـكـ اللـهـ أـمـاـ تـعـلـمـ أـنـ هـذـاـ الشـوـبـ الثـانـىـ ؟ـ قـالـ : اللـهـمـ نـعـمـ ، فـقـالـ سـلـمـانـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ : الـآنـ نـسـمـعـ لـكـ وـنـطـيـعـ ، وـدـخـلـ عـلـيـهـ أـبـوـ قـلـابـةـ رـحـمـهـ اللـهـ حـالـ إـمـارتـهـ وـهـوـ يـعـجـنـ فـقـالـ : لـمـ هـذـاـ ؟ـ قـالـ : قـدـ بـعـثـتـ الـخـادـمـ فـيـ عـمـلـ فـكـرـهـتـ أـنـ أـجـمـعـ عـلـيـهـ عـمـلـيـنـ ، وـدـخـلـ عـلـيـهـ رـجـلـانـ فـيـ خـصـ بـنـاحـيـةـ الـمـدـائـنـ ، وـهـوـ أـمـيرـهـاـ فـسـلـمـاـ ثـمـ قـالـاـ : أـنـتـ سـلـمـانـ ؟ـ قـالـ : نـعـمـ قـالـاـ : أـنـتـ صـاحـبـ رـسـوـلـ اللـهـ ، صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، قـالـ : لـاـ أـدـرـىـ ، فـارـتـابـاـ وـقـالـاـ : لـعـلـهـ غـيـرـ الـذـيـ نـرـيدـ فـقـالـ : أـنـاـ الـذـيـ تـرـيدـ أـنـ قـدـ رـأـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ ، صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـجـالـسـتـهـ وـإـنـاـ صـاحـبـهـ الـذـيـ يـدـخـلـ الـجـنـةـ ، وـدـخـلـ عـلـىـ مـرـيـضـ

يعوده وهو في النزع فقال : أيها الملك أرفق به فقال المريض إنه يقول : أنا بكل مؤمن رفيق ، وكتب إليه أبو الدرداء رضي الله عنه أن هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه أن الأرض لانقدس أحداً وإنما يقدس المرء عمله ، وقد بلغنى أنك جعلت طيبا فإن كنت تبرئ فنعم لك وإن كنت متطيبا فاحذر أن يقتل إنسانا فتدخل النار ، فكان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا قضى بين اثنين فأدبرا نظر إليهما وقال : متطلب والله أرجعا إلى أعيادا قصتهما .

(ومن كراماته) أنه خرج من المدائن ، ومعه ضيف فإذا بظباء تسير في الصحراء وطيور في الهواء فقال : ليأتيني من肯 طير وظبي فقد جاءني ضيف أحب إكرامه فأتياه فقال : الرجل سبحانه الله فقال : سليمان أتعجب هذا العجب هل رأيت عبدا أطاع الله فضيعبه .

(ومن كلامه) العلم كثير وال عمر قصير فخذ من العلم ما تحتاجه لدينك ودع ماسواه ، وقال : إنما تهلك هذه الأمة من قبل نقض مواثيقها ، وقال : مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقدم قال : المقعد أرى ثمرة فلا أستطيع أقوم إليها فاحملنى فحمله فأكل وأطعمه ، وقال : « لا تكون إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها رأيته » أخرجه مسلم عنه ، وقال له عبد الله بن سلام : إن مت قبلى فأخبرنى ما تلقاه وإن مت قبلك أخبرتك فمات سلمان قبله فرأه فقال : كيف أنت ؟ قال : بخير قال : أى الأعمال وجدت أفع ، قال : وجدت التوكل شيئاً عجيباً وفي رواية عليك بالتوكل نعم الشيء التوكل . ولما مرض دخل عليه سعد يعوده فقال : أبشر توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنك راض قال كيف وقد سمعته يقول : « لتكن لغة أحدهم من الدنيا كزداد الراكب » قال سعد : أعهد إلينا نأخذ به ، قال : أذكري ربك عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا أقسمت ، قيل له : أوصنا فقال : من استطاع منكم أن يموت حاجاً أو غازياً أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجراً ولا جابياً وفي راوية إنه بكى عند الموت فقيل

ما يكيرك ؟ قال : إنما يحزنني أن حبيبي عهد إلى حين فارقنا فقال : ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب فبيع متعاه كله بعد موته فبلغ أربعة عشر درهما ، مات سنة ست وثلاثين ، قيل سبع وثلاثين ، وقيل : أربع وثلاثين عن مائتين وخمسين سنة ، وقيل : ثلاثة وخمسين ، سنة أما مائتان وخمسون فليس فيها يشكون ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

(حرف الشين المعجمة)

(٤٠) شداد بن أوس - أخو حسان بن ثابت^(١)

سكن فلسطين ، وكان من أوتى العلم والحلم ، ولما دنت وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم قام ثم جلس وكره فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم : يا شداد ما سبب قلقك ؟ قال : يا رسول الله ضاقت بي الأرض ، قال : ألا إن الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح وتكون أنت وولدك أئمة بها ، فكان كذلك ، وكان ذا عبادة واجتهاد ، وولايته وبهاقه ظاهر للعباد ، مات سنة ثمان وخمسين عن خمس وسبعين سنة ودفن بباب الرحمة تحت سور المسجد الأقصى وقبره ظاهر هناك يزار .

(١) الإصابة ، ترجمة رقم ٣٨٤٢ : وتهذيب التهذيب ٣١٥/٤ : وصفة الصفو ٢٩٦/١ : وحلية الأولياء ٢٦٤/١ .

(حرف الصاد المهملة)

(٢١) **صهيب بن سنان الرومي^(١)**

السابق المهاجر ، المطعم المناجر ، أسرع الإجابة لله ولرسوله ، وصار بريه يجول ويصول ، قد قيل : التصوف ، الأخذ بالأصول والترك للفضول ، والتشمر للوصول ، وهو من السابقين الأولين المعذبين في الله تعالى ، كناه المصطفى صلى الله عليه وسلم أبا يحيى ، ولم يشهد مشهداً قط إلا وكان حاضره ، ولا بايع بيعة إلا وكان حاضرها ولا غزا غزوة إلا وكان عن يمينه أو شماله ، ومات سنة أو ثمان وثلاثين .

(١) طبقات ابن سعد ١٦١/٣ : وابن عساكر ٤٤٦/٦ : وصفة الصفة ١٦٩/١ : وحلية الأولياء ١٥١/١ : والإصابة ، ترجمة رقم ٤٠٩٩

(حرف العين المهملة)

(٢٢) عاصم بن ثابت الاتصاري^(١)

الظاهر الزكي العابد الوفى ، وفي لله فى حياته فحماه من المشركين بعد وفاته ، وقد قيل : التصوف المفر من البيونة إلى مقر الكينونة قتل فى سرية فأراد المشركون أن يبيعوا رأسه لسلامة بنت سعد وكانت نذرت حين أصيب ابنها يوم أحد إن قدرت على رأسه أن تشرب فيها الخمر فمنعه الدبر نهاراً ، ثم بعث الله الراوى ليلاً فاحتمله فانطلق به ، وكان أعطى الله عهداً أن لا يمس مشركاً ولا يسمه فمنعه الله بعد موته .

(١) حسن الصحابة ٢٩٦ و ٦٦ : والإصابة ، الترجمة رقم ٤٣٤ ، المعارف لابن قتيبة ، ١٦٠ .

(٢٣) **عامر بن فهيرة** ^(١)

المشروع رشه . المنزوع حسده ، المرفع جسده ، خدم المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وصحابه في الهجرة فلم يكن معه فيها إلا هو والصديق رضي الله عنهم وقد قيل : التصوف استطابة الہلک ، فيما يخطب من الملك ، قتل يوم بئر معونة قال عمرو بن أمية : إنه بعد ما قتل رفع إلى السماء جهاراً حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، وقال الزهرى رحمه الله : التمسوا جسده فلم يقدروا عليه فيرون أن الملائكة عليهم السلام دفنته ، أو رفعته رضي الله عنه .

(٢٤) عامر بن (ربيعة)^(١)

الزاهد في العطية والقطيعة ، شهد جميع المشاهد ، وعم بالذكر البقاع والمساجد . تحرز بما أيد به من الفتنة ، عن الواقع فيما امتحن به غيره من الفتنة ، عاش كريما ، ومضى سليما ، وهو من المهاجرين الأولين ، شهد بدرأ وما بعدها من المشاهد ، ولما وقعت فتنة عثمان ، رضي الله عنه ، قال لأهله : أوثقوني بالحديد فإني مجنون ، فلما قتل قال : خلوا عنى الحمد لله الذي شفاني من الجنون وعافاني من قتل عثمان ، رضي الله عنه ، مات سنة ثلاثة وثلاثين .

(١) عامر بن ربيعة بن كعب الغزى ، الإصابة ، الترجمة ٤٣٧٤ ؛ وحلية الأولياء ١٧٨/١ ، وتهذيب ابن عساكر ١٣٥/٧ ؛ وتهذيب التهذيب ٦٢/٥ ..

(٢٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب^(١)

المستغفر التواب ، الزاهد في الإمارة والراتب ، الراغب في القرية والمناقب ، المتعبد المتهجد ، نزيل الحصباء والمساجد ، طويل الرغبة في المشاهد ، وقد قيل : التصوف ، الرهبة من العتو ، والرغبة في العلو ، كان شديد الاتباع للمصطفى صلى الله عليه وسلم في كل شيء من الأحوال والأفعال والأقوال ، طلب للخلافة بعد مقتل أبيه بشرط أن لا يجري فيها محجم دم . قال جابر رحمة الله : مارأيت أحداً إلامالت به الدنيا أو مال بها ، إلا ابن عمر ، ومكث ستين سنة ، وكان إذا اشتد عجبه بشيء من ماله ، قربه إلى ريه ، ولما نزل (لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) الآية ، دعا بجارية فقال : والله إنني أحبك أنت حرفة فاذهبي . وزوجها لبعض مواليه فولدت ولداً فكان يعمد إلى نفسه ويقبله ويقول : واهـا إنى أجد ريح فلانة يعني جاريـه ، وكان إذا رأى من عبيده من يحسن الصلاة أعتقه فكانوا يحسنونها مراءـا له فيعتقهم فقيل له فيه أخراك الله فاشهدوا أنه حر ، كان ربيـا تصدق في مجلس بثلاثين ألفا ثم يأتي عليه شهر ما يـا كل ما فيه مزعة لـم ، وأتـه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس واحد فلم يقم حتى فرقـها ، وأعـقـ ألف إنسـان أو أكثر وأعـطـاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف دينار فقال : هو حر ، وبعـثـ له معاـوية بـمائة ألفـ فـماـ حالـ عليهـ الحـولـ وـعـنـهـ مـنـهـ شـيـءـ ، وـكـانـ شـدـيدـ الـورـعـ عـدـيمـ الطـمعـ كـثـيرـاـ ماـ يـقـولـ : لوـ صـلـيـتـ حـتـىـ تـكـوـنـواـ كـالـخـنـاـيـاـ وـصـلـيـتـ حـتـىـ تـكـوـنـواـ كـالـأـوتـادـ ، ماـ يـقـبـلـ ذـلـكـ مـنـكـ إـلـاـ بـورـعـ حـاجـزـ . وـأـجـتـمـعـ جـمـعـ عـنـدـ اـبـنـ عـامـرـ وـهـوـ فـيـ مـرـضـهـ فـأـشـفـقـ عـلـىـ نـفـسـهـ مـنـ

(١) الإصابة ، الترجمة رقم ٤٨٢٥ ؛ وتهذيب الأسماء ٢٧٨/١ ؛ وطبقات ابن سعد ١٠٥/٤ - ١٣٨ ؛ وحلية الأولياء ٢٩٢/١ ؛ وصفة الصفة ٢٢٨/١ ، ونكت الهميان للصفدي ١٨٣ .

ولايته فقالوا : إنا لنرجو أنك حفرت الآبار ، وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر رضى الله عنه ساكت فقال : ما تقول ؟ فقال : أقول : الخبيث لا يكفر وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا وقد أصبت منها شرًا ، وكان من البالغين فى التواضع لايأكل إلا مع المساكين حتى أضر ذلك بيديه . وكان لايأكل طعاما إلا ومعه يتيم ولا يرد سائلًا حتى إن المجنوم ليأكل معه وإن أصحابه لتقطر دما ، وأهدى إليه جوارش فقال : ما هذا ؟ قالوا : يهضم الطعام قال ماملات بطني منذ أربعين سنة ، فما أصنع به ؟ وكان لا يلبس إلا الخشن فأتى بشوب لين فقال : أحرير هذا ؟ فقيل : لا بل قطن فالبسه فقال : إنى أخاف أن يكون مختالا فخوراً والله لا يحبه ، وما وضع لبنة على لبنة قط ولا غرس نخلة منذ قبض المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وسئل عن اللباس فقال : البس مala يزدرىك به السفهاء ، ولا يعبك فقيل عليه العلامة وما ثمنه ؟ فقال : ما يساوى عشرين درهماً يعني فضة وكان إذا قرأ « ألم يأن للذين آمنوا » الآية بكى حتى يرحمه من حضره ، وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحى بقية ليلتها ، قال الغزالى رحمة الله : كان ابن عمر رضى الله عنه من زهاد الصحابة وعلمائهم ، وكان يفترط من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما قبل أن يصلى المغرب ثم يغتسل ، وذلك لتفريح قلبه للعبادة ، وإخراج عدة الشيطان منه حتى إنه جامع ثلاثة من جواريه في رمضان قبل العشاء ، وروى ابن عساكر عنه أنه قال : « لقد أعطيت ما أعلم أحداً أعطيه إلا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال معاوية بحضرته : من أحق بهذا الأمر ؟ قال : فأردت أن أقول له : أحق منك من ضربك عليه وأباك فخفت الفتنة ، ومن كلامه : ابن آدم صاحب الدنيا بيديك ، وفارقها بقلبك وهنك موقوف على عملك ، فخذ مما في يديك عند الموت يأتيك الخبر ، وقال : لا يكون الرجل عالماً حتى لا يحسد من فوقه ولا يحقر من دونه ولا يبتغى بالعلم ثمنا ، وقال : لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى بعد الناس حمقى في دينه ، قال البر شئ هين : وجه طلق وكلام لين ، وقال : لا يصيب

عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجته عند الله وإن كان عليه كريماً ، وقيل مات زيد بن حارثة وترك مائة ألف فقال : هي لم تتركه ، وقال رجل : لا تزال بخير ما أباقاك الله فقال : ثكلتك أمك وما يدريك ما يغلق عليه ابن أخيك بابه ، وقال : أحق ما طهر العبد لسانه ، وقال : الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فآخرجه منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها ، وكان لا يمر على صاحب بيضة ولا مسكين إلا سلم عليه ، وقيل له : هل كان الصحب يضحكون قال : نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال ، ومر برجل ساقط قال : ما شأنه قالوا : إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال : إننا نخشى الله ولا نسقط .

(ومن كراماته) أنه خرج في سفر فبينما هو يسير إذا أسد على الطريق قد حبس الناس فاستخف راحلته ونزل إليه فعرك بأذنه وبعده عن الطريق وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو لم يخاف ابن آدم إلا الله لم يسلط عليه غيره » رواه ابن عساكر ، ولما احتضر قال : كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وكان له مني شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدوا أنى زوجته ، مات بمكة سنة ثلاثة وسبعين بعد قتل ابن الزبير ، بثلاث أشهر رضى الله عنه .

(٢٦) عبد الله بن عمرو بن العاص^(١)

كان بالحقائق فائلاً ، وعن الأباطيل واللهم مائلاً ، ويعانق العمل ويفارق الجدل ، يطعم الطعام ، ويغشى السلام ، وقد قيل : التصوف التخلف بأخلاق الكرام والاستسلام لنوازل الأحكام ، وكان يقوم الليل ويصوم النهار، فبلغ المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : إن بجسدي عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً ورأى في نومه في أحد أصبعيه سمنا والآخر عسلاً وهو يلعقهما فذكره للمصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : تقرأ الكتابين التوراة والفرقان فكان يقرؤهما .

(ومن كلامه) لخير أعماله اليوم أحب إلى من مثيله أعماله مع المصطفى صلى الله عليه وسلم لأننا كنا معه تهمنا الآخرة دون الدنيا ، واليوم مالت بنا الدنيا وقال : دع ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك وأخزن لسانك كما تخزن رزقك ، وقال : مكتوب في التوراة : (من تحرأ فجر ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها) وقال : إن هذه النار تستجير من النار الكبرى أن تعاد فيها . ومر برجل نائم بعد صلاة الصبح فحركه برجله وقال : أما علمت أن الله يطلع في هذه الساعة إلى خلقه فيدخل ثلاثة منهم الجنة برحمته ، مات سنة ثلاثة أو خمس أو ثمان وستين ، رضى الله عنه .

(١) طبقات ابن سعد ، ج ٤ - ١٣ - ٨/٢ : والإصابة ، ترجمة رقم ٤٨٣٨ : وحلية الأولياء ، ٢٨٣/١ : وصفة الصفوة ٢٧٠/١ : والمغرب في حل المغارب ، ج ١ من الجزء الخاص بمصر ٥٤ - ٦٤ : تهذيب التهذيب ٣٣٧/٥ .

(٢٧) عبد الله بن مسعود^(١)

الكلف بالمعبود ، الشاهد للمشهود ، الحافظ للعهود المعروفة بالنسك ، صاحب السوار والسرار ، والسباق والبدر ، وقد قيل التصوف ، مشاهد المشهود ، رمراعة العهود ، ومحاماة الصدور ، جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه ، فقال : جئتك من عند رجل يملأ المصاحف عن ظهر قلب فغضب وقال : ويحك انظر ماذا نقول وأخذ الدرة في يده ، قال ما جئت إلا بحق من ؟ قال : ابن مسعود قال : ما أعلم أن أحداً أحق به منه ، وكان من عظماء الصحابة وفقهائهم ، استمع المصطفى صلى الله عليه وسلم لقراءته ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، وقال « تمسكوا بعهد عبد الله » وسئل عنه على رضي الله عنه فقال علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى به علما .

(ومن أحواله) الدالة على أقواله تحفظه من الأوقات ، وتردداته في الساعات ، وقد قيل : التصوف تصحيح المعاملة لتصحيح المنازلة ، دخل السوق يوماً يبتاع الدرهم في عمانته فلم يجدها فجعلوا يدعون على سارقها فقال : اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها أو جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنبه وخرج يوماً من منزله فاتبعه الناس ، فالتفت إليهم وقال : علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجال ، وقال : أكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل دنيا ولا آخرة ، وقال : ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك ومن يقرع بابه يوشك أن يفتح له ، وقال : ليس العلم بكثرة الرواية بل بالخشية ، وقال : إنني لا أحسب الرجل ينسى العلم للخطيئة يعملها ، وكان لفضول الدنيا من أهل وولد شانثاً وأحواله وأوراده راوياً ، ولما منحه الله

(١) والإصابة ، ترجمة رقم ٤٩٥٥ : والبدء والتاريخ ٩٧/٥ وصفة الصفة ١٥٤/١ : وحلية الأولياء ١٢٤/١ : والبيان والتبيين ٥٦/٢ ، والمعارف لابن قتيبة ٢٤٩ .

من توحيد راجيا ؛ وقد قيل : التصوف حد النفس على النجاء للاعتلاء على الخوف والرجاء ، وقال : ذهب صفو الدنيا وبقى كدرها والموت اليوم تحفة كل مسلم ، وقال : حبذا المكروهان ، الفقر والموت ، وقال : الرزق يأتي العبد في أى سيرة سار ، لا تقوى مقنعة تزيده ولا فجور فاجر ينقصه بينه وبين العبد ستر والرزق طالبه ، أخرجه عنه أبو على النيسابوري في فوائده ، وقال : كفى بالرجل إثما أن يقال له : اتق الله فيغضب ويقول : عليك نفسك وقال : ليس الجماعة بكثرة الناس ، بل من معه الحق فهو الجماعة ، وقال : لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ، ولا يحل بها حتى يكون الفقير إليه أحب من الغنى والتواضع من الشرف ويكون حامده وذاته سواء ، قال : ما منكم إلا ضيف ومالي عارية ، فالضيف مرتاح والعارية مؤداة ، وقال : الحق ثقيل مريء والباطل خفيف وبيء ، ورب شهوة ساعة تورث حزنا طويلا ، وقال والله ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان ، وقال : أنذركم فضول الكلام فحسب إمرئ ما بلغ له حاجته وقال : إن للقلوب شهوة وإقبالا ، وفتره وإدبارا فاغتنموها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها ، وقال يذهب الصالحون أسلفاً ويبقى أهل الريب من لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ، وقال : لا يقلد أحدكم دينه رجلا فإن كان ولابد فاقتدوا بالميت فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، وقال : تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، وقال : لا يكن أحدكم إمعنة يقول : أنا مع الناس ، إن أحسنتوا أحسنت وإن أساءوا أساءت لكن وطنوا أنفسكم إن أحسنتوا أن تخسروا وإن أسلموا أن لا تظلموا ، وقال : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السماء والأرض من نور وجهه ، قال : إن الرجل الدين ليدخل على السلطان فلا يخرج ومعه من دينه شيء ، وقال : ما أصبحت فتمنيت أن أكون على سواها ، رضا بما يفعل الله ، وقال : لو قام رجل بين الركن والمقام سبعين سنة يعبد الله وهو يحب الدنيا ليبعثه الله معها ، ولو أن رجلا عبد الله كذلك وهو يحب ظالمًا بعده الله معه ، وقال : خط لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم خطًا مربعا وخط وسطه

خطا و خط خطوطا إلى جانب الخط و خط خط خارجيا وقال : هنا الإنسان للخط ، وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا ، وذلك الأمل للخط الخارج ، قال : هذا المرء وهذه الح توف حوله سوارع إليه والهرم وراء الح توف والأمل وراء الهرم فهو يؤمن ، والحتوف سوارع إليه فائماً أمر بها أخذه فإن أخطأته الح توف قتله الهرم وهو ينظر إلى الأمل ، وقال : لو سخرت من كلب تخشيت إن أكون كلبا ، وقال : جاهدوا المنافقين بأيديكم فإن لم تستطعوا فبالستنكم فإن لم تستطعوا إلا أن تكروا في وجهوهم فافعلوا ، ولما مرض عاده عثمان رضي الله عنه فقال : ما تشتكى قال : ذنبي قال : ما تشتهي قال : رحمة ربى قال : نأمر لك بتطيب قال : الطبيب أمرضنى ^(١) مات بالكوفة سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين ، رضي الله عنه .

(٢٨) عبد الله بن عباس^(١)

مطعم الأناس ، ومكان الوفدين والجلاس ، قطب الفلاك وعنصر الأملاك ،
البحر الذخار ، والعين الحرار ، مفسر التنزيل ، ومبين التأويل وقد قيل :
التصوف ، المنافسة في نفائس الأخلاق ، وقصر النفس على أنفس الأعلاق ،
وكان يسمى ترجمان القرآن ، وحبر الأمة ، والبحر لكثرة علمه وكان مجرى
الدموع من خده كأنه الشراك البالى وكان في خديه خطان أسودان من البكاء
وشدت إليه الرجال من جميع البلدان ، ودعا له المصطفى صلى الله عليه وسلم
بالحكمة وقال له : « ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ
الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في رخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأله
الله ، وإذا استعن فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن » وحنكه بريقه حين ولد
وهم في الشعب وهو أحد العبادلة الأربع وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة
رواية عن المصطفى وقال : عطاء ما رأيت بيته قط أكثر علماء وخيراً من بيته ابن
عباس ، وكان عمر رضي الله عنه يدخله مع أشياخ بدر في المشورة ويقول : إن له
لساناً سئولاً وقلباً عقولاً وكان يجلس يوماً للتفسير ، ويوماً للحديث ، ويوماً
للفقه ، ويوماً للشعر ، ويوماً للمغازي ، ويوماً لأيام العرب ، ومن كلامه : إن
للله عباداً أصمتهم خشيته من غير بكم ولا صمم وإنهم الفصحاء غير أنهم إذا
ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم . وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا
اشتاقوا تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية ، وقال : صاحب المعروف لا يقع وإن
وقع وجد متوكاً ، وقال : الحرمان خير من الامتنان ، وقال : القرابة تقطع ،
والمعروف يكفر ولم نر كالمودة ، وقال : لا فما زاح سفيهاً ولا حلهاً فإن السفيه

(١) الإصابة ، ترجمة رقم ٤٧٧٢ : وصفة الصفة ٣١٤/١ : وحلية الأولياء ٣١٤/١ : وتاريخ الخميس ١٦٧/١ : ونكت الهبيان ، ١٨٠ : ونسب قريش ٢٦ ، والشذرارات ٧٥/١ .

بؤذيك والخليل يقليلك . واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالحسنات مأخذ
بالسيئات ، وقال : الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك ، وقال : العالم
برى الغيب ، ولكن من وراء ستار رقيق ، وكان إذا وجد حبة رمان فى الأرض
أخذها فأكلها فقيل له فيه فقال : بلغنى أنه ليس فى الأرض رمانة إلا تلقيح حبه
من حب الجنة فلعلها هذه وقال : مكتوب على الجرادة بالسريانية إنى أنا الله لا
إله إلا أنا وحدي لا شريك لي المجراد جند من جنودي أسلطه على من أشاء من
عبادى وقال : لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح أى لأن الغلمة تشغل القلب ،
وقال : أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى ، وقال : لما ضرب
الدرهم والدينار أخذه إبليس فوضعه على عينيه وقال : أنت ثمرة قلبي وقرة عينى
بك أطغى وبك أكفر وبك أدخل النار ، قال : يأتي على الناس زمان يخرج فيه
بعقولهم حتى لا تجده أحداً ذا عقل وقال له معاوية : أنت على ملة على . قال ولا
على ملة عثمان أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأستشاره عمر
رضى الله عنه فى توليته حمص رجلاً فقال : لا يصلح إلا أن يكون رجلاً منك
قال : فكنه ، قال : لا تنتفع بي لماذا ؟ قال : لسوء ظنني في سوء ظنك بي ،
وأسأله : ما الفرق بين الغم والغضب ؟ فقال : مخرجهما واحد واللفظ مختلف ،
فمن نازع من يقوى عليه أضمره غضباً ، ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه
حزناً ، وقال : إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف سطوطه فقل الله أكبر (ثلاثة) أعز
من خلقه جميراً الله أعز ما أخاف وأحذر ، وأعود بالله الذي لا إله إلا هو
المسك للسموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر فلان وجنده
وأتبعاه وأشياعه من الجن ، اللهم كن لى جاراً من شرهم ، جل ثناؤك وعز
جارك ، وتبارك أسمك ولا إله غيرك ، وقال أعمول أهل بيته المسلمين شهراً
أحب إلى من حجة بعد حجة ، وقال ، ذهب الناس ويقى النسناس قيل : ما
النسناس ؟ قال : الذين يشبهون الناس وليسوا الناس ، ولما وضع بالتعش
للصلة جاء طائر أبيض فدخل فى كفتنه فلم يخرج فالتمس فلم يوجد ولما سوى

عليه سمع صوت لا يرى شخصه ﴿يأيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾^(١) الآية ، مات بالطائف سنة ثمان وستين ، رضى الله عنه .

(٢٩) عبد الله بن الزبير^(١)

الصحابى ابن الصباحى أمير المؤمنين الصائل بالحق القائل بالصدق فيما
جل ودق ، المحنك بريق النبوة ، المجل بشرف الأمومة والأبوبة . السيف الصارم ،
الهمام الخازم . مبارز الشجعان ، وحافظ القرآن ، وقد قيل : التصوف التظاهر
بالحق على التكاثر بالخلق ، ولد بالمدينة بعد عشرين شهر من الهجرة وهو أول
مولود ولد في الإسلام للمهاجرين في المدينة ولدته أسماء بنت أبي بكر الصديق
رضي الله عنهمما بقباء ، وأتت به المصطفى صلى الله عليه وسلم فوضعته في
حجره ودعا بتمرة فمضغها ووضعها في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكان صواما وصولا للرحم كثير التعبد والمجاهدة
مكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره ، قال في الإحياء : كان يطوى ستة
أيام ، وكان عظيم الشجاعة جداً ، قال بانون البكالي : إنني لأجد في كتاب الله
ابن الزبير فارس الخلفاء ، وكان أول ما أفصح به وهو رضيع السيف ، وكان
لايضعه من فيه فيقول أبوه : ليكون لك منه يوم ويوم ، أعطاه المصطفى صلى
الله عليه وسلم دمه ليريقه فشربه فعلم صلى الله عليه وسلم فقال : ويل للناس
منك وويل لك منهم لا تمسك النار إلا تحله القسم ، ولما مات معاوية تناقل في
بيعة يزيد فبلغه فكتب إليه بعثت بسلسلة وجامة من فضة ، وقيدين من ذهب
وحلفت لتأتيني فيها فمزق كتابه وقال :

ولا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرس الماضي الحجر

(١) ابن الأثير ١٣٥/٤ : وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ٢١٠/١ : وتاريخ الخميس ٣٠١/٢ :
وحلية الأولياء ٣٢٩/١ ، واليعقوبي ٢/٣ : وصفة الصفوة ٣٢٢/١ : والطبرى ٢٠٢/٧ :
وتهذيب ابن عساكر ٣٩٦/٧ : وشذور العقود للمقرizi ، ٦ : وجمهرة الأنساب ١١٣ و ١١٤ :
والشذرات ٧٩/١ - ٨٠ .

لضريه بسيف فى عز أحب من ضربة بسوط فى ذل ثم فر إلى مكة وأظهر الخلافة فلما مات يزيد بوع له بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن وال العراق وخرسان ولم يخرج عنه إلا الشام ومصر غلبه عليهما مروان ثم ابنه وغزا أفريقيا وفتحها ، واستمر عكبة خليفة وعمر الكعبة حتى تغلب عبد الملك بن مروان فجهز لقتاله الحجاج فى سبعين ألفا فقتلته سنة ثلات وسبعين فى المسجد الحرام بعد مارمى الكعبة بالمنجنيق ، وصلبه على باب الكعبة وعلق بجانبه كلباً ميتاً ومنع من دفنه مدة ، ومر عليه ابن عمر مصلوب منكس ، فقال : رحمك الله فإنك ما علمت ، صواما قواما وإنى لأرجو ألا يعذبك الله أبداً أخبرنى أبو بكر رضى الله عنه أن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم قال : من يعمل سوءاً يجز به ، وكان له مائة غلام ، يتكلم كل منهم بلغة فيتكلم كلاماً منهم بلغته وكانت إذا نظرت إليه فى أمر دنياه قلت : رجل لم يرد غير الله طرفة عين أو فى أمر آخرأه قلت رجل لم يرد الدنيا طرفة عين ، وكان يطيل السجود حتى يسقط الطير على ظهره يظنه جداراً ، وكان يصلى فى الحجر والمنجنيق يصيب ثوبه فلا يلتفت إليه ، وكان أطلس لا حية له ، ومن كلامه أما بعد فإن لأهل التقى علامات يعرفون بها ويعرفونها من نقوسهم من صبر على البلاء ، ورضا بالقضاء ، وذكر للنعماء وذل حكم القرآن ، قتل فى ذى الحجة سنة اثنين وسبعين ، وحملت رأسه إلى خرسان ، رضى الله عنه وأرضاه ورضي عننا به ، ولعنة الله على قاتله ، ومن رضى بذلك آمين .

(٣٠) عبد الله بن جحش الأئسي^(١)

المقسم على ربه المشتهى بحبه ، أول من عقد له راية في الإسلام ، شهد بدرًا وصاهر المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، بأخته زينب وقد قيل : التصوف التماس الذريعة إلى الدرجة الرفيعة ، وهو أول أمير أمره صلى الله عليه وسلم ، وغنيمته أول غنيمة في الإسلام استشهد بأحد . وكان مجاب الدعوة دعا ربه أن يقتل وأن يقتل به ففعل الكفار به ذلك ، ودفن مع حمزة بأحد ، رضى الله عنهم .

(١) الإصابة ، الترجمة رقم ٤٥٧٤ ؛ وإمتاع الأسماء ٥٥/١ ؛ وحلية الأولياء ١٠٨/١ و ١٢٠/٥ ، وحسن الصحابة ٣٠٠ ، والمعارف لابن قتيبة ص ١٦٠

(٣١) عبد الله بن رواحة الاتصاري العقبي^(١)

المتفكر عند نزول الآيات ، المتبصر عند تناول الريات . استشهاد بأرض البلقاء . زاهداً في البقاء . راغباً في اللقاء . وقد قيل : التصوف ، الوطء على جمر الغضا . إلى منازل الأننس والرضا . شهد مع المصطفى صلى الله عليه وسلم جميع المشاهد إلا فتح مكة وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة كان أول خارج إلى الغزو وأخر قادم وكان أحد الشعراء المجيدين الذين اذابوا عن المصطفى صلى الله عليه وسلم والإسلام وال المسلمين . ولما أجمع على الخروج إلى مؤتة أتاه أهله للوداع فبكى فقيل له ما يبكيك قال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة لكم لكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « وإن منكم إلا واردہا » فعلمت أنی وارد ولا أدری كيف الصدور بعد الورود . قاتل هناك أشد القتال حتى قتل شهيداً سنة ثمان من الهجرة رضي الله عنه .

(١) تهذيب التهذيب ٢١٢/٥ : وإمتاع الأسماع ٢٧٠/١ : والإصابة الترجمة رقم ٤٦٦٧ ، وصنفه الصفرة ١٩١/١ : وحلية الأولياء ١١٨/١ : وابن عساكر ٣٨٧/٧ : وطبقات ابن سعد ٧٩/٣
القسم الثاني .

(٣٢) عبد الله ذو البجادين^(١)

المؤاخى للعمرىن ، الأواه التالى المتجرد من العرض الحالى . وضعه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حفرته لما قتله بتبوك وسفح عليه من عبرته . قال : رحمك الله إن كنت لأواها تلاة القرآن ثم استقبل القبلة رافعا يديه يقول : اللهم انى أمسيت عنه راضيا فارض عنه ، فقال ابن مسعود : ليتنى كنت صاحب الحفرة ، رضى الله عنه .

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ٣٢٢ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٤٧٩٥ ؛ وإمتناع الأسماع ٤٧٢/١ ؛ وسمط اللائى ٣٦٠ ، والفائق للزمخشري ٣٦/١ .

(٣٣) عتبة بن غزوان^(١)

الزاهد في الإمارة والسلطان ، والتارك لولاية المدن والبلدان . الشاهد
لبيعة الرضوان . شائع الإسلام والإيمان ، له الخطب المشهور في الدنيا
وتصرّمها . وتغير الأيام وتلونها . أسلم قدّيماً وهاجر الهجرتين وكان أول من نزل
البصرة وهو الذي اختطها . خطب يوماً فقال : أيها الناس إن الدنيا قد آذنت
ب Prism وولت حذاء . ولم يبق منها إلا صباة كصباة الإناء . وإنكم في دار أنتم
متحولون منها فانتقلوا بصالح ما عملتم وأعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً
وعند الله صغيراً مات سنة أربع أو خمس أو ست أو سبع عشرة عن سبع
وخمسين سنة ، رضى الله تعالى عنه .

(١) طبقات ابن سعد ٦٩/٣ و ١/٧ : وصفة الصفة ١٥١/١ : وحلية الأولياء ١٧١/١ :
والبداية والنهاية لابن كثير ٤٩/٧ ، والبلاذري ٣٥٨ ، وتهذيب الأسماء ٣١٩/١ : وإمتناع الأسماع
٥٧/١ .

(٣٤) عثمان بن مظعون^(١)

المتقدس المحزون ، كان في العبادة ناسكا ، وفي المحاربة فاتكا ،
تعجل المحبوب وتسلى من الهموم والكره ، فحصل على المطلوب ، وقد
قيل : التصوف تشوق الصادى عن الكدر إلى صفاء الورود من غير صدر ، أسلم
قدما ومات في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم فرأت أم العلاء عينا تجري له
فذكرته للمصطفى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك عمله ، ودخل عليه المصطفى
صلى الله عليه وسلم حين مات فانكب عليه يُقبله ودموعه تجري على خده ،
وماتت رقية بنته رضي الله عنها فقال : الحق بسلفنا الخير أو قال : الصالح
عثمان بن مظعون مات بعد سنتين ونصف من الهجرة ودفن بالبيع .

(١) طبقات ابن سعد ٢٨٦/٣ ; والإصابة ، الترجمة رقم ٥٤٥٥ ، وصفة الصفة ١٧٨/١ ; وحلية الأولياء ١٠٢/١ ؛ وتاريخ الخميس ٤١١/١ .

(٣٥) عمار بن ياسر أبو اليقظان^(١)

المملئ من الإيمان ، المثبت حال المحنة والافتتان ، الصابر على الذلة والهوان ، سبق من زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى قتال الطغاة و بقى إلى طuan البغاة ، مع الوصي رضي الله عنه وأرضاه كان له من المصطفى صلى الله عليه وسلم إذا استأذن البشاشة والترحيب ، والبشرة بالتطييب ، وكان لزينة الدنيا واصعا ، وينخوة النفس قانعاً ، ولأنصار الدين رافعا ، ولإمام الهدى تابعاً وهو أحد الأربعة الذين تشتابق إليهم الجنة ، ولم يزل يدأب لها ويحن إليها حتى لقى الأحبة محمداً وحزبه ، وقد قيل : التصوف تصور السور ، إلى التجلل بالغور ، وناهيك بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في شأنه : « عمار ملىء إيمانا إلى مشاشه » ومر به المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، والكفار يعذبونه وأهله فقال : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة ، واستأذن عليه فقال : ائذنا له مرحبا بالطيب الطيب ، ولما بنى ابن مسعود داره قال له : هلم النظر فنظر إليها فقال : بنيت شديداً ، وأملت بعيداً ، وموت قريباً مات سنة سبع وثلاثين ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

(١) الاستيعاب ، بهامش الإصابة ٤٦٩/٢ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٥٧٠٦ ؛ والطبرى ٢١/٦ ، وحلبة الأولياء ١٣٩/١ ؛ وصفة الصفوة ١٧٥/١ .

(٣٦) عمر بن سعد الاتصاري^(١)

الأوسي الزاهد العابد ؛ الرا��ع الساجد ، الحافظ للعهد ، الوافى بالوعد ، الملقب الحفيظ ؛ الخشن الغليظ ؛ جمال الولاه حجة الله على الرعاة يقال له نسيج وحده ، استعمله عمر رضى الله عنه على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره فقال ما أراه إلا خائنا فكتب إليه : أقبل بما عندك من الفئ فأخذ جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق فيه إداوته ، وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة على عمر رضى الله عنه : وقد شحب لونه وأغبر وجهه وطال شعره فقال عمر رضى الله عنه : ما شأنك ؟ قال : ما ترى من شأنى ألسنت صحيح البنية معى الدنيا أجرها بقرنها !!! فظن عمر رضى الله عنه أنه جاء به فال قال ما معك ؟ قال : جرابى وقصعتى وإداوتى وعنزتى أتوکأ عليها وأجادب بها فما الدنيا إلا تبعاً لمتابعي ، قال : جئت تمشى ؟ قال : نعم قال : ما من أحد تبرع لك ببداية ؟ قال : ما فعلوا وما سألتهم ، قال عمر رضى الله عنه : بئس القوم خرجت من عندهم ، قال : اتق الله يا عمر قد نهيت عن الغيبة قال فأين بعثتك وأى شيء صنعت ، قال : وما سؤلك جمعت صلحاء البلد فوليتهم جبابة المال فجمعته فوضعته مواضعه قال فما جئتني بشئ ؟ قال : لا ، قال : جددوا لعمير عهداً قال : والله لا علمت لك ولا لأحد بعدك أبداً ثم انصرف مات في آخر خلافة عمر رضى الله عنه وقيل : في خلافة عثمان رضى الله عنه وقيل : معاوية قال الذبيبي : له صحبة ورواية حديث ، رضى الله عنه .

حرف الميم

(٣٧) مصعب بن عمير الدرائي^(١)

المحب القارئ ، المستشهد بأحد ، سبق الركب وقضى النحب ، ورغم عن التسوف ، نغلبة الحنين والتلخويف ، وقد قيل : التصوف ، طلب التأنيس فى رياض التقديس ، وهو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل مقدم المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ونظر إليه يوم أحد مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تتنطق به فقال : نظروا إلى هذا الرجل الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغدوانه بأطيب الطعام ، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون ، ومر عليه المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وهو ميت حين رجع من أحد فوقف عليه أصحابه فقال : أشهد أنكم أحياه عند الله فزوروه وسلموا عليهم ، فو الذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه ، قتل فى يوم أحد أخاه من أمه وأبيه عزيز بن عمير أمام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكان لقى رسول الله فريداً فهجم عليه أخيه مصعب رضى الله عنه حتى جعله قطعاً قطعاً .

(١) نسبة إلى بنى عبد الدار ، انظر طبقات ابن سعد ٨٢/٣ ، والإصابة ، ترجمة رقم ٨٠٤ ، وصفة الصفوة ١٥٢/١ ؛ وأسد الغابة ٣٦٨/٤ ؛ وحلية الأولياء ١٠٦/١ .

(٣٨) معاذ بن جبل (١)

المحكم للعمل ، التارك للجدل ، مقدام العلماء ، إمام الحكماء ، مطعم الكرماء ، القارئ الفانـتـ ، المحب الثابت ، المولى المأمون الوفي المصون ، مؤمنـ على العباد والمـالـ مصـونـ منـ المـواـنـعـ فـيـ الـأـحـوـاـلـ ، وقد قـيلـ : التـصـوـفـ مـزاـوـلـةـ الأـنـفـ فـيـ رـيـاضـ الـقـدـسـ ، قالـ المصـطـفـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ «ـ مـعاـذـ أـعـلـمـ أـمـتـىـ بـالـحـلـلـ وـالـحـرـامـ »ـ وـقـالـ «ـ مـعاـذـ أـمـامـ الـعـلـمـاءـ يـرـثـوـهـ »ـ وـقـالـ : «ـ لـهـ يـاـمـعـاذـ إـنـيـ أـحـبـكـ ، وـيـعـثـهـ عـامـلاـ عـلـىـ الـيـمـنـ فـلـمـ قـدـمـ قـالـ كـيـفـ تـرـكـ النـاسـ بـعـدـكـ قـالـ لـأـهـمـ إـلـاـ هـمـ الـبـهـائـمـ ثـمـ قـالـ : فـكـيـفـ أـنـتـ إـذـاـ بـقـيـتـ فـيـ قـوـمـ عـلـمـوـاـ مـاـ جـهـلـ هـؤـلـاءـ وـهـمـمـ مـثـلـ هـمـ هـؤـلـاءـ »ـ وـمـنـ كـلـامـهـ : أـوـصـيـكـ بـأـمـرـيـنـ أـنـ حـفـظـتـهـمـ حـفـظـتـ إـنـهـ لـاغـنـيـ بـكـ عـنـ نـصـيـبـكـ مـنـ الدـنـيـاـ . وـأـنـتـ إـلـىـ نـصـيـبـكـ مـنـ الـآـخـرـةـ أـفـقـرـ فـآـثـرـ نـصـيـبـكـ الـآـخـرـوـيـ عـلـىـ الدـنـيـوـيـ . قـالـ : مـاـ عـمـلـ آـدـمـيـ أـنـجـيـ لـهـ مـنـ عـذـابـ اللـهـ مـنـ ذـكـرـ اللـهـ . وـقـالـ : ثـلـاثـ مـنـ فـعـلـهـنـ فـقـدـ تـعـرـضـ لـلـمـقـتـ . الضـحـكـ مـنـ غـيـرـ عـجـبـ . وـالـنـوـمـ مـنـ غـيـرـ سـهـرـ . وـالـأـكـلـ بـغـيـرـ جـوـعـ ؛ وـقـيلـ لـهـ : إـلـاـ تـجـمـعـ لـكـ آلـةـ تـبـنـيـ بـهـاـ مـسـجـداـ ؟ـ قـالـ : أـخـافـ أـنـ أـكـلـ حـمـلـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ عـلـىـ ظـهـرـيـ ، وـلـاـ اـحـتـضـرـ نـزـعـ نـزـعـاـ شـدـيدـاـ لـمـ يـنـزـعـهـ أـحـدـ فـكـانـ كـلـمـاـ أـنـاقـ مـنـ غـمـرـةـ فـتـحـ طـرـفـهـ ثـمـ قـالـ يـارـبـ اـحـتـفـنـىـ حـتـفـكـ فـوـعـزـتـكـ أـنـكـ تـعـلـمـ أـنـ قـلـبـيـ أـحـبـكـ ، مـاتـ مـطـعـونـاـ سـنـةـ ثـمـانـ عـشـرـةـ عـنـ خـمـسـ وـثـلـاثـيـنـ سـنـةـ تـقـرـيـباـ ، رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ .

(١) طبقات ابن سعد ١٢٠ / ٣ ، القسم الثاني ، والإصابة ، الترجمة رقم ٨٠٣٩ : وأسد الغابة ٤ / ٣٧٦ : وحلية الأولياء ٢٢٨ / ١ ، وصفة الصفة ١٩٥ / ١ : وانظر كتابي « إمام العلماء : معاذ بن جبل » . القاهرة ، ١٩٩٠ .

(٣٩) المقداد بن الأسود الكندي^(١)

السابق إلى الإسلام ، والفارس يوم الحرب والإقدام ظهرت له الدلائل والأعلام فأعرض عن العمارات ، ولازم الجهاد والعبادات ، كان من عذبتهم المشركون ، وألبسوهم أدراج الحديد وأصهروهم بالشمس ، وناهيك بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم على المقداد ، وأبو ذر ، وسلمان » قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه شهدت : من المقداد رضي الله عنه : مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى ما في الأرض ، كان المصطفى صلى الله عليه وسلم إذا غضب أحمرت عيناه ووجنتاه فأتأهله المقداد رضي الله عنه ، على تلك الحال فقال : أبشر فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ه هنا قاعدون ، لكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، مات رضي الله عنه سنة ثلاثة وثلاثين عن نحو سبعين سنة خرج له الستة ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ورضي عنا بهم ، وأدخلنا تحت مددهم وفي زمرتهم .

(١) الإصابة ، الترجمة رقم ٨١٨٥ : وتهذيب التهذيب ٢٨٥ / ١٠ ، وصفة الصفة ١٦٧ / ١ : وحلية الأولياء ١٧٢ / ١ ، ومجمع الزوائد ٣٠٦ / ٩ .

الطبقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

الحمد لله الذي قسم عطاهم بين خلقه في الظاهر والباطن بإحكام ، فالعارفون أودعهم لطائف سره فهم أهل المحاضر والأفهام ، والعاملون وفقهم لخدمته فهجروا طيب المنام ، ونبه هممهم فاستقاموا وقاموا في جنح الظلام ، والمحبون أذاقهم لذلة قربه وأنسنه فشغلهم به عن جميع الأئم ، والصلوة والسلام على سيد الأصفياء ومسود الأولياء الفخام ، وعلى آله وصحبه السادة العظام .

وبعد .. فهذه هي الطبقة الثانية من الكواكب الدرية ، في تراجم السادة الصوفية ، وهم من مات في القرن الثاني أو قبيله من التابعين أو الآخذين عنهم المذكورين بالنسك والتعبد ، المعروفين بالتقلل والتزهد ، المعرضين عن الدنيا وغورها ، المستروحين إلى العبادة وحبورها وهم كثيرون اقتصرنا منهم على نفر من مشاهيرهم وهم مائة وخمسة وستون إنسانا ، رضى الله تعالى عنهم أمين .

حرف الهمزة

إبراهيم بن أدهم ، إبراهيم التيسى ، إبراهيم النخعي ، أسلم الجهنى ، أوس القرنى ، أبو الجوزاء الريعى ، أبو بادريس الخولانى ، أبو بكر بن عياش ، أبورجاء العطاردى ، أبو حازم سلمة المخزومى ، أبو عمران الجوني ، أبو عبيدة الخواص ، أبو مسلم الخولانى ، أبو عاصم البصري ، أبو عثمان الخراسانى ، أبو ريحانة بن مطر ، أبو حبيب البدرى ، أيوب السختيانى ، آمنة الرملية ، أم حسان الكوفية ، أم سفيان الشورى ، أخت الفضيل بن عياض ؛ أمة الله زوجة رباح ، أم هارون ، أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، أم طلق ؛ ألف الموصلىة

آمنة الموصليّة ، (حروف الباء) بدليل بن ميسرة ، بشر بن منصور ؛ بكر بن عبد الله المزنى ، بكر بن عمر الناجي ، بلال بن سعد ، بردة الصرميّة ، بحيرة العابدة ، (حروف الثاء) ثابت البناني ، (حروف الجيم) أبو الشعشعاء جابر بن زيد ، جعفر الصادق ، (حروف الحاء) الحسن البصري ، الحسن بن صالح الكوفي ، حبيب الفارسي ، حذيفة المرعشى ، حماد بن سلمة ، حماد بن زيد ، حبيبة العدوية . (حروف الخاء) خالد القسري ، خالد بن معدان ، خيثمة بن عبد الرحمن . (حروف الدال) داود الطائى . (حروف الراء) رياح العبسى ، الريح ابن خيثم ، الريح بن راشد ، الريح بن مرة ، ربعى بن خراش ، رابعة العدوية ، رابعة بنت اسماعيل الشامية ، رقية الموصليّة ، ريحانة المجنونة . (حروف الزاي) زر بن حبيش ، زرازة الحرشى (حروف السين) سالم بن عبد الله بن عمر ، سلام ابن أبي مطیع ، سابق الجنون ، سعيد بن المسيب ، سعيد بن جبیر ، سفيان الثورى ، سفيان بن عيینة ، سليمان الخواص ، سليمان بن طرخان ، سليمان بن المعتمر ، سليمان بن دینار . (حروف الشين) شعبة بن حجاج ، شریخ الکندی ، شقيق البلخي ، شقيق الكوفى ، شمیط بن عجلان ، شیبان الراعی ، شعوانة العابدة . (حروف الصاد) صالح المرى ، صفوان بن سليم ، صفوان بن محزز ، صلة العدوی . (حروف الضاد) ضیغم بن ملک . (حروف الطاء) طاوس الحميرى ، طلحة الهمدانی . (حروف العین) عامر بن قیس العنبری . عبد العزيز بن أبي دؤاد ، عبد الله بن ثوب الخولانی ، عبد الله بن غالب ، عبد الله ابن زید الجرمی ، عبد الله بن عون ، عبد الله بن المبارك ، عبد الله الصوری ، عبد الله العمري . عبد الله بن عمرو الأوزاعی ، عبد العزيز بن سلمان ، عبد الواحد بن زید البصري ، عبید بن عمیر ، عتبة الغلام ، عروة بن الزبیر ، علقمة ابن قیس ، العلاء بن زياد ، على بن الحسين زین العابدین ، على بن الفضیل التمیمی ، عمران القصیر ، على بن بکار الشامی ، عمر بن عبد العزیز . عمر ابن عتبة الكوفی ، عمرو بن قیس الملائی ، عون بن عبد الله ، عاتكة الغنویة .

عائشة بنت الصادق ، عبيدة بنت أبي كلاب ، عفيرة البصرية ، عمرة زوجة حبيب . (حرف الفاء) فرقد السبعى ، الفضيل بن عياض ، فتح الموصلى .
 (حرف القاف) القاسم بن محمد ، قتادة بن دعامة الدوسى . قاسمة بن زهير .
 (حرف الكاف) كعب الأحبار . (حرف الميم) مالك بن دينار ، مالك بن أنس ،
 مجاهد بن جبير ، محمد بن سيرين ، محمد القرطى ، محمد بن واسع ، محمد
 ابن السماك ، محمد بن النضر الحارثى ، محمد بن مسلم الزهرى ، محمد الباقر ،
 محمد بن المنكدر ، محمد بن يوسف الأصبهانى ، مخلد بن الحسين ، مسروق بن
 عبد الرحمن ، مطرف بن عبد الله ، مسلم بن يسار ، معاوية بن قرة ، المنذر بن
 مالك ، مورق العجلى ، مسعد بن كدام ، مكحول الشامى ، منصور بن زاذان ،
 منصور بن المعتمر ، موسى الكاظم ، ميمون بن مهران ، موفقة الموصلىة ، ماجدة
 العدوية ، مريم البصرية ، معاذة العدوية ، ميمونة المجنونة ، ميمونة المصرية ،
 (حرف النون) الإمام أبو حنيفة ، (حرف الهاء) هارون الأسدى ، هرم بن حبان ،
 (حرف الواو) وكيع بن الجراح ، وهب بن منبه ، وهيب بن المورد . (حرف الياء)
 يحيى بن أبي كثير . يحيى بن سعيد القطان ، يزيد بن عبد الله الشخير ، يزيد
 ابن أبان الرقاشى ، يوسف بن أسباط ، اليمان بن معاوية .

حرف الهمزة

(٤٠) إبراهيم بن أدهم^(١)

الحازم الأحزم العارف الأعزز ، كان عن المقطوع المرذول ذاهلا ، وبالمرفوع الوصول متشاغلا ، وكان شرع الرسول منهاجه ، واختياره عليه الصلاة والسلام مزاجه ، ألف الميمون الموصول ، وخالف المفتون المغذول ، وقد قيل : إن التصوف ، التكرم والتظرف ، والتنسم والتنطف ، أصله من أولاً ملوك بلخ فخرج يتصيد فهتف به هاتف من قربوس سرجه ما لهذا خلقت ولا به أمرت ، فنزل عن فرسه ونزع ثيابه ، ولبس جبة وساح ، وفي رواية أنه بينما هو يركض فرسه سمع صوتا فوقه « أفحسبتم أنها خلقناكم عبشا » ، اتق الله وعليك بالزاد ليوم المعاد فرفض الدنيا وعمل للآخرة ، وهام بالبادية ، وفي رواية أنه لما سمع النداء نزل عن فرسه ودفع ثيابه لصياد وأخذ ثياب الصياد ومر هائما فرأى على الأثر إنساناً وقع عن قنطرة فقال له وهو في الهواء : قف فوقك في الهواء لا يسقط ولا يصعد حتى وصل إليه فأخذ بيده وألقاه على القنطرة سالماً وما ذاك إلا لكمال صدق توبته وعظيم حسن نيته فأعظم بها من كرامة ما أنسناها ومرتبة ما أعلىها ، ولقي الحضر عليه السلام بالبادية فعلمته الاسم الأعظم وقال له : لا تدع به على أحد بينك وبينه عداوة فتهلكه في الدنيا والآخرة واعبد ربك على تحقيق المشاهدة والمراقبة واعلم أنه أقرب إليك من حبل السوريد ، ثم دخل مكة وصاحب الفضيل وسفيان الثوري ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده كالمحصاد وحراسة البساتين ، ومر

(١) حلية الأولياء ٣٦٧/٧ - ٣٩٥ : وطبقات الشعراني ٨١/١ : والرسالة القشيرية ٩ : وصفة الصفة ١٢٧/٤ - ١٣٢ : والشذرات ٢٥٥/١ : وفوات الوفيات ٣/١ ، ومرأة الجنان ٣٤٩/١ : وتهذيب التهذيب ١٠٢/١ : والسلمي ، ٢٧ - ٣٨ .

به جندى ، وهو يحرث كرماً فاستطعمه عنبا فأبى فعلاه بالسوط فطاطاً رأسه وقال : اضرب رأسا طالما عصى الله فأعجز الرجل منه ، وكان يخلط الدقيق بنحو الثالث رماداً ويعجنه ويقول هيئات أن يقوم أحدنا بقيراط من شكره وكان به علة البطن فقام في ليلة واحدة نيفاً وسبعين مرة وفي كل مرة يتوضأ ويصلى ركعتين ، وكان يلبس مرقة زنتها ستون رطلاناً ليلة عن ورده فتقدر فنودى في سره كن عبداً لنا تستريح فإن أقمناك قم وإن أثناك نم وليس لك في الوسط شيء ، قال الغرالي رحمة الله : وكان ابن أدهم والشوري رضي الله عنهما يطوبان ثلاثاً ثلاثة ويأكلان في الرابع ، قال : وليس ذلك خارجاً عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالمجاهدة ، ولما قدم سفيان الشوري رضي الله عنه الرملة أرسل إليه ابن أدهم رحمة الله ان تعال فحدثنا فجاءهم فقيل له : تبعث إليه بمثل هذا هكذا قال : أردت أن أنظر كيف تواضعه ، وسئل عن لبس المرقة فقال : إن قلت اختياراً تكون دعوى ، أو اضطراراً تكون شكوى ولكن لبستها عارية ، وصاحبها رجل فلما أراد مفارقتها قال : يا إبراهيم إن رأيت في عيباً فنبهني فقال : لم أره فيك لأنني لحظتك بين الوداد فاستحسنست منك ما رأيت فاسأل غيري ، وسمع قارئاً يقرأ : إذا السماء انشقت فاضطربت أوصاله وارتعدت ، ومر براعي غنم فقال هل شرية من ماء أو لبن قال أيهما أحب إليك ؟ قال : الماء فضرب بعصاه حبراً فانجس منه الماء فشرب فيقي متعجبًا فقال الراعي : لا تعجب إن العبد إذا أطاع مولاه أطاعه كل شيء .

(ومن فوائد) ان الرجل الحر الكريم من تخرج نفسه عن الدنيا قبل أن يخرج منها ، وقال : لو علم الملوك مانحن فيه من النعيم والسرور ولذة العيش وقلة التعب بحالدونا عليه بالسيوف طلبوا الراحة والنعيم فأخطلوا الصراط المستقيم ، وقال : من قال لأخيه : أعطني من مالك فقال : كم تريد فما قام بحق الأخوة ومن دعاه أخوه إلى حاجة فقال : إلى أين فما قام بحق الصحبة ، وقال : طلب الملوك شيئاً ففاتها وطلبناه فوجدناه ما يجاوز همي كسائل ، وقال : تعلمـتـ

المعرفة من راهب دخلت عليه صومعته فقلت منذ كم أنت هنا قال : منذ سبعين سنة قلت : ما قوتك ؟ قال : ياحنفى حمصة كل ليلة قلت : أتراها تكفيك والبلد بحذائك قال : إنهم يأتونى كل عام يوما فيزبون صومعتى ويعظمونى لذلك ، فكلما تشاغلت عن العبادة تذكرت تلك الساعة فأحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنفى جهد ساعة لعز الأبد ، وقال : ذهب السخاء والكرم والجود فمن لم يواس الناس بذلك فليواسهم ببسط الوجه وحسن الخلق ، وقال : قال لقمان عليه السلام لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا في الحرب ولا الإخوان إلا عند الحاجة ، وقال من لؤم الرجل أن يرفع يده من الطعام قبل أصحابه ، وقال يوما وهو على جبل هو وأصحابه : يبلغ المؤمن من كرامته على الله أن لو قال للجبل تحرك لتتحرك الجبل فقال : ما إياك عنيت وفي رواية ضربه برجله وقال له : اسكن إنا ضربتك مثلا لأصحابي ، وسافر في مركب فأشرف على الغرق فخافوا فسمعوا صوتا من الجو أتخافون وفيكم إبراهيم ؟ وسافر فيه مرة أخرى فأشرف السفينة على الغرق وأيقنوا به فرفع رأسه وقال : يا حنى حنى لا حنى ، ويا حنى قبل كل شيء ، ويا حنى بعد كل شيء ، يا حنى يا قيوم يا محسن يا مجمل قد أريتنا قدرتك فارنا عفوك فهدأت السفينة فورا وسلموا ، وقال : طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر ، وقال : من تعود أخذ النساء لا يجئ منه شيء ، وهاجت ريح عاصفة في البحر فقال له أهل السفينة : ما ترى هذه ؟ قال : إن الشدة الحاجة للناس ، وقال له إبراهيم ابن بشار : أذهب اليوم أعمل في الطين قال يا ابن بشار : إنك طالب ومطلوب ، يطلبك من لا تفوته وتطلب ما يفوتك أما رأيت حريصا محروما وضعيفا ممزوجا فقلت : إن لي دانقا عند البقال قال : قل لك دانقا وتطلب العمل ، ومن مناجاته : اللهم إني لم آت الذنوب جراءة عليك ولا استخفافا بحقك ، ولكن جرى بذلك قلمك ونفذ به حكمك والمعدنة إليك ، ولقيه جندى بالبادية فقال : دلنى على الديار والمدينة فذهب به إلى المقابر فأوقفه عليها ، وقال : هذه الديار فضربي

على رأسه فأدماه فرفع رأسه ، وقال : اللهم إني أعلم أنك تؤجرنى وتوزره فلا تؤجرنى ولا توزره ، وبكى رحمة له فعرفه بعد ذلك فجاءه مستغفراً معتذراً فقال له : الرأس التي تحتاج إلى اعتذارك تركته يبلغ !!! أى إن نخوة الشرف وكثير الرياسة كان في رأسى حين كنت أجول في ميدان الخيلاء على قوس حب الماجا وزينة الدنيا في بلخ والآن قد خرج ذلك من رأسى ، وقال وقف على قبر فانشق عن شيخ خضيب فقال : يا إبراهيم سل فإن الله أحيانى من أجلك قلت : ما فعل بك قال : لقيته بعمل قبيح فقال لي : غفرت لك بثلاث لقيتنى وأنت تحبلى من أحب ، ولقيتنى وليس في صدرك مشقال درة من حرام ، ولقيتنى وأنت خضيب وأنا استحي من شيبة الخضيب أن أعذبها بالنار ، ثم التأم القبر عليه وقال : إعامل الله بيريك العجائب ، وقال سبانا إبليس من الجنة بخطيئة فهل لسبى من راحة حتى يرجع إلى ما سبى منه ، وقال خلا المطاف ليلة فطفت وصرت أقول يارب أسألك الحفظ من المعاصي فهتف بي هاتف : يا إبراهيم أنت تسألنى الحفظ وكل عبادى يسألونى ذلك فإذا حفظتهم من المعاصى فعلى من أتفضل ، وقال ما على أحدكم إذا أصبح وأمسى أن يقول اللهم : احرسنا بعينك التى لا تنام ، واحفظنا بركنك الذى لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، ولا نهلك وأنت رجاؤنا وكان يقول :

نرق دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقال : إياكم والغرة بالله لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، وقال : أفقر مخزون عند الله في السماء يعدل الشهادة لا يعطيه إلا من أحب ، وسئل عما كان بين على رضى الله عنه ومعاوية فبكى كثيراً ثم رفع رأسه إلى السماء وقال من عرف نفسه اشتغل بها عن غيره ، وقال طلب الناس الدنيا بالرضى والغضب فلم ينالوا منها حاجتهم وإنه من أراد الآخرة كان الناس منه في راحة وقال لا يقل مع الحق فريد ولا يقوى مع الباطل عديد ، وقال : لا يتم الورع إلا بتسوية كل المخلق في قلبك والاشتغال عنهم بذنبك ، وعليك بالذكر

من قلب ذليل لرب جليل ، وفکر فی ذنک وتب إلیه يثبت الورع فی قلبك ، وقال : إنما يزول عن قلبك هوak ، إذا خفت من تعلم أنه يراك ، وقال : إنما حجيت القلوب عن الله لكونها أحبت ما أبغضه فمالت للدنيا وتركت العمل لدار فيها حياة الأبد ، وقال : الصائم القائم المصلى الحاج الغازى من أغنى نفسه عن الناس ، وقيل له : إن فلانا يتعلم النحو فقال : هو إلى تعلم الصمت أحوج ، وقال أحسم الطمع إلا من ربك وتب إلى الله ينبت الورع فی قلبك ، وقال حب لقاء الناس من حب الدنيا وتركهم من ترك الدنيا ، ومن أحب الشهرة لم يصدق الله في أعماله ، وقال : ما أغفل أهل الدنيا عنا ما في الدنيا أنعم عيشاً منا ، وقال : إذا بات الملوك على اختيارهم فبيت على اختيار الله لك وارض به ، وقال كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب ، وقال : كل سلطان لا يكون عادلاً فهو واللص ؛ منزلة واحدة وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب بمنزلة واحدة ، وكل من يخدم سوى الله فهو والكلب سواء ، وقال : مررت براهيب في صومعة على عمود على قلة جبل كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناديته : يا راهب فلم يجب فكررت وقلت : من حبسك في صومعتك إلا أجبتنى ؟ فقال : كم تنوح سميتنى باسم لست له بأهل قلت : ياراهب وإنما الراهب من رهب من ربه ، قلت بما أنت ؟ قال سجان سجنست سبعاً ضارياً قلت : ما هو ؟ قال : لسانى إن أرسلته مزق الناس يا حنيفى إن لله عباداً صما سمعاً ، بكلما نطقا عمياً بصراء سلكوا خلال ديار الظالمين ، واستوحوشوا مؤانسة المجهالين ، وشابوا ثمرة العلم بنور الإخلاص ، وكحلوا أبصارهم بسهر الليل ، فلو رأيتمهم وقد نامت العيون وهم يناجون من لا تأخذة سنة ولا نوم يا حنيفى عليك بطريقهم ، وقال في بعض الكتب الإلهية : من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكوا مصيبة نزلت به فإنما يشكوا ربه ، وقال : أطيب مطعمك ولا عليك أن تقوم الليل ولا أن تصوم النهار ، وقال : نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة ، وقال : ما بالنا نشكوا فقرنا مثلثاً ولا نطلب كشفه من ربنا ، وقال : اهرب من

الناس كهريك من السباع الضاربة ، وقال : لا تجعل بينك وبين الله منعما وعد نعمة غيره مغريما ، وقال : قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجزع ، وقال : رأيت ملكا نزل من السماء فسألته لم نزلت ؟ قال : لأكتب أسماء المحبين كمالك بن دينار ، وثبت البناني ، والسختيانى ، قلت : هل أنا منهم ؟ قال : لا ، قلت فاكتبهم واكتب تحتهم محب المحبين ، قال الساعة أمرت أن أكتب في أولهم ، وقال : رضينا من أعمالنا بالمعانى ، ومن التويبة بالتوانى ، ومن العيش الباقي بالعيش الفانى ، وقيل له : لم لا تكتب العلم ؟ قال : شغلنى ثلاث ، شكر النعمة ، وخوف العاقبة ، والعمل لما بعد الموت ، وقال : إنك تلقى ما أسلفت ولا تلقى ما خلفت فمهد لنفسك فإنك لا تدرى متى يفجئوك أمر ريك ، وقال لي : منذ عشرين سنة أطلب أخا إذا غضب على لم يقل إلا الحق فلم أجده ، وقال : أعرينا الكلام فلم نلحن ولخنا في الأعمال فلم نعرب ، وقال : لا تطمع في الأنس بالله مع الأنس بالخلق ولا في الحكم مع ترك التقوى ، وقال : سبحان من نظر إلى من يحب بالوصف الذي يحب فأحبه به ، وقال : اتخاذ الله صاحبا ، وذر الناس جانبا قل الله ثم ذرهم ، وقيل له : إنا ندعوا فلا نجاح ، والله سبحانه وتعالى يقول ادعونى أستجب لكم ، فقال ماتت قلوبكم في عشرة أشياء ، عرفتم الله فلم تؤدوا حقه ، وقرأتם كتابه فلم تعملوا به ، وزعمتم محبة رسوله وتركتم سنته ، وادعوتم عداوة الشيطان ورافقتموه ، وقلتم : نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وقلتم : نخاف النار ووهبتكم أنفسكم لها ، وقلتم : الموت حق ولم تستعدوا له ، واستغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم ، وأكلتم نعمة ريكم ولم تشکروها ، ودفتم موتاكم ولم تعتبروا فأنی يستجاب لكم ، وقال : لا تزال درجة الصلحاء حتى تجوز ست عقبات ، تغلق باب النعمة ، وتفتح باب الشدة ، وتغلق باب العز ، وتفتح باب الذل ، وتغلق باب الراحة ، وتفتح باب الجد ، وتغلق باب النوم ، وتفتح باب السهر ؛ وتغلق باب الغنى ، وتفتح باب الفقر وتغلق باب الأمل ، وتفتح باب

التائب للموت ، وقال : إن أحببت أن تكون ولها فلا ترحب في شيء من الدارين وفرغ نفسك لله وأقبل عليه يقبل عليك ، وقال : علامة نور القلب أن يكون أكثر هم صاحبه العبادة وأكثر كلامه الثناء على الله وحكايات الصالحين ، وقال : أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان ، ومن وفي بالعمل وفي له بالأجرة ومن لا عمل له لا أجر له ، وقال : إنني أقنى المرض حتى لا تتوجه على الصلاة في جماعة ولا أرى الناس ولا يرونني ، وقال مرت بحجر مكتوب عليه : أقلبني تعتبر فقلبته فوجدت مكتوبا عليه أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم مالا تعمل ، وقال : كن ذنبا ولا تكون رأسا في الضربة أول ما تقع في الرأس ، وقال : لقيت الخضر عليه السلام بمكة فقدم لي قدحا أخضر فيه سكباچ وقال لي : كُل فرددته ، فقال : سمعت الملائكة تقول : من سئل ولم يأخذ سأله ولم يعط ، وكان يبول الدم من شدة الوجد ويقول في بسطه : إن كنت وهبت لأحد من محبيك ما يستريح به فهو لك ، أسند عن جماعة من التابعين وتابعى التابعين أحاديث متعددة ، وروى عن يزيد الرقاشي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ومالك بن دينار ، وعن أبي إسحاق الفزارى ، وشقيق البلاخى وبقية ، قاله الذهبي ووثقه النسائي والدارقطنى ، وقال في التقريب : صدوق خرج له البخارى في الأدب والترمذى .

(ومن كراماته) أنه كان في رفقة فعرض لهم سبع فجاءه فجاء إلى السبع وقال إن كنت أمرت فينا بشيء فأمضه وإلا فارجع فرجع ، وأراد ركوب سفينه فأبى الملاح إلا أن يأخذ دينارا فصلى ركعتين وقال : اللهم إنهم سألوني ما ليس عندي وهو عندك كثير ، فصار الرمل دنانير فأخذ واحدا ودفعه لهم ولم يأخذ غيره ، ونام يوما في بستان فأتأت حية بطاقة نرجس فصارت تروح عليه بها حتى استيقظ ، مات بالجزيرة سنة اثنين وستين ومائة وحمل فدفن بصور ، وقبره بها مشهور وقال ابن عساكر : غزا في البحر ، فمات فيه فدفن في بعض جزائر البحر في بلاد الروم ، رضى الله تعالى عنه .

(٤١) ابراهيم التيمي بن يزيد الكوفي^(١)

كان سالكا طريق التصوف ، جاريا على منهاج التنسك والتقطش ، مكث أربعين يوما لم يأكل فيها إلا حبة عنب ، وكان يكره الشهرة ويرحب الخمول .

(ومن كراماته) أنه خرج يمatar لأهله طعاما فلم يقدر عليه فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله ففتحوها فإذا هي حنطة حمراء ، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا .

(ومن كلامه) كفى من العلم خشية الله ومن الجهل أن يعجب الرجل بعمله ، وقال : حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع ، وقال : المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمساك ، والفاجر إنما يرسل لسانه رسلا ، وقال : يهلك الناس في خترين فضول المال وفضول الكلام ، وقال : إن الرجل ليظلمنى فأرحمه ، وقال كم بينكم وبين القوم أقبلت عليهم الدنيا فهربوا ، وأدبرت عنكم فاتبعتموها ، وقال : ينبغي لمن يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، ولمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لقوله : « إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين » وقال : أعظم الذنب عند الله أن يحدث العبد بما ستره الله عليه ، وقال : شيطان قطعا عنى لذة الدنيا ذكر الموت وذكر الوقوف بين يديه تعالى ، حبسه الحجاج مغلولا في سلسلة حتى ضنى جسمه فمات سنة اثنتين وتسعين ، فسمع الحجاج في نومه قائلا يقول : مات الليلة بحبسك رجل من أهل الجنة فقال : انظروا من مات بالحبس فوجدوه فقال : حلم من الشيطان ، وأمر به فألقى على المزابل ولم

(١) طبقات ابن سعد : وتهذيب التهذيب ١٧٦/١ : وحلية الأولياء .

يبلغ أربعين سنة ، وكان من كبار المحدثين ، أخذ عن أبيه يزيد بن شريك ، والحارث بن سعيد ، وعمرو بن ميمون ، وعن بيأن بن بشر ويونس بن عبيد والأعمش وخلق ، وخرج له ستة .

(٤٢) إبراهيم بن يزيد النخعى^(١)

العامل العالم ، العابد الراهد ، كان للعلوم جاماً ولنحو النفس واضعاً ، ترك الصول ، وتبرأ من الحول ، وكان يخفى عمله الصالح خوفاً من الشهرة بحيث لا يجلس قط إلى اسطوانة .

(ومن كلامه) : أدركنا الناس وهم يهابون أن يفسروا شيئاً من القرآن ، والآن كل من أراد تفسيره جلس إليه ، وقال : إن زماناً صرت فيه فقيهاً لزمان سوء ، وقال : ما أتى أحد بعد الإيمان أفضل من الصبر على الأذى . وقال : لا بأس أن تبشع إلى الكافر إذا كانت لك إليه حاجة أو بينكمما معروف ، ولما احضر جزع وبكي فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : الساعة يأتينى رسول ربى فلا أدرى أيبشرنى بالجنة أم بالنار ، ولما دفن قال الشعبي : دفنتم ذلك الرجل الأفقه ، قيل : ومن الحسن قال ومنه ومن أهل البصرة والشام والمحجاز . أنسد عن جمع من الصحابة منهم أبو سعيد الخدري لكن أكثر رواياته عن التابعين ، وأراد أن يماشى الأعمش فقال الأعمش إن رأنا الناس معاً قالوا أعزور وأعمش قال : وما عليك أن يأثموا ونؤجر قال ما عليك أن يسلموا ونسلم قال أحسنت مات سنة بضع وتسعين رضى الله عنه .

(١) طبقات ابن سعد ١٨٨/٦ - ١٩٩ : وتهذيب التهذيب ١٧٧/١ : وحلية الأولياء ٢١٩/٤ : وطبقات القراء ٢٩/١ .

(٤٣) أسلم بن زيد الجهنفي^(١)

قال ابن أدهم رضي الله عنه : لقيته بإسكندرية فقال لي : من أنت يا نلام ؟ قلت : من خراسان ! قال : ما حملك على الخروج من الدنيا ؟ قلت : زهدا فيها ورجاء ثواب الله ! قال : إن العبد لا يتم رجاؤه للثواب حتى يحمل نفسه على الصبر ، وأدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال الأذى بالكاره فإذا كان محتملا لهما أورث الله قلبه نورا قلت : فما هذا النور ؟ قال : سراج يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والتشابه ، وقال : إياك إذا صحت لأخيار ، وجاريتك الأبرار أن تغضبهم عليك لأن الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضائهم ؛ وقال : إياك والبخل فقيل : وما البخل ؟ قال : أما عند أهل الدنيا فإن يكون الرجل ضئينا بآله ، وأما عند أهل الآخرة فمن يضن بنفسه عن الله ، إلا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث قلبه الهدى والتقوى ، وأعطي السكينة والوقار ، والعلم الراجح ، والعقل الكامل .

(١) السلمي ، ٣٢ ؛ وتهذيب التهذيب ٢٦٥/١ .

(٤٤) أُويس بن عامر^(١)

وقيل : ابن عمرو القرنی المرادی من بنی قرن خیر التابعین وسید العباد . وعلم الأصفیاء والأولیاء من الزھاد روی عن عمر وعلی ، وعنه ابن أبي لیلی وغیره ، سکن الكوفة قال ابن عدی : صدق ثقة ونعته كما أخرجه أبو نعیم عن أبي هریرة رضی الله عنه مرفوعاً أنه أشهل ، ذو صھویة ، بعيد ما بين المنکین . معتدل القامة آدم يضرب بذقنه إلى صدره ؛ واضح يینه على يساره ، يتلو القرآن ذو طمرین من صوف ، مجھول فی الأرض ، معروف فی السماء ، وتحت منکبه الأیسر لمعة بيضاء ، يقال للعباد يوم القيامة : ادخلوا الجنة ، ويقال له : قف فاشفع فيشفع فی عدد ربیعة ومضر ، وفيه « ياعمر ويا على إذا لقيتماه فاطلبوا إلیه أن يستغفر لكم » وفيه « إنهمما طلباه عشر سنین حتى لقياه بعرفة فسلما عليه و قال له : من الرجل ؟ قال : راعی إبل وأجیر قوم قالا : لسنا تسألك عن ذلك ما اسمك قال عبد الله قالا : قد علمنا أن أهل السماء والأرض كلهم عبید الله ما اسمك الذي سمتک به أمک ؟ قال : يا هذان ما تريدان منی ؟ قال : وصف لنا رسول الله صلی الله عليه وسلم أُویسا القرنی وقد عرفنا الشھولة والصھویة ثم نظر منکبیه فرأیا اللمعة ، فقالا : استغفر لنا قال ما أخص بالاستغفار أحدا ولکن للمؤمنین والمؤمنات فمن أنتما ؟ قال على كرم الله وجهه : أما هذا فعمر أمیر المؤمنین وأما أنا فعلی فاستوی أُویس قائما ، وقال : السلام عليك يا أمیر المؤمنین ويا ابن أبي طالب فجزاكم الله عن هذه الأمة خيرا ثم عرض عليه عمر رضی الله عنه کسوة ونفقه فقال : ما أصنع بهما أما ترى على

(١) طبقات ابن سعد ٦/١١١؛ وتأج العروس ٤/١٠٢؛ وابن عساکر ، ٣/١٥٧؛ ومیزان الاعتدال ١/١٢٩؛ وحلیة الأولیاء ٢/٧٩؛ ولسان المیزان ١/٤٧١؛ وتهذیب التهذیب ١/٣٨٦ ، والسلمی ، ٤٤٢ والحاشیة ب.

إزارا وردا من صوف متى ترانى أخرقهما ؟ وأخذت من رعايتها أربعة دراهم متى ترانى أكلها ، إن بين يدى ويديك عقبة كئودا لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول فضرب عمر رضى الله عنه بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه ، ياليتها كانت عاقرا لم تعالج حملها ، ألا من يأخذها بما فيها ، أهو وكان لباسه ما يتجده على المزابل من الخرق فيلقطها فيغسلها فى الفرات ، ويلفق بعضها إلى بعض ، وكان يتقوت ما يلتقطه منها من الكسر ونحوها فيأكل بعضها ويتصدق ببعضها ويقول : اللهم إنى أبرا إليك من كل كبد جائع اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذنى به فنبحه يوما كلب على مزيلة فقال له أوس رضى الله عنه : كل ما يلريك وأنا أكل ما يلينى إنى دخلت الجنة فأنا خير منك وإن دخلت النار فأنت خير منى . وكان أهله يقولون : هو مجنون وأقاربه به يهزأون والصغرى به يولعون وله بالحجارة يرجمون ، فصار لا يراه أحد إلا نحو كل عام مرة فكان شديد المحافظة على إخفاء ، وكان إذا مر بالصبيان فترجموه بالحجارة يقول يا إخوتاه إن كنتم تروننى فارمونى بأحجار صغار لثلا تدمونى فيحضر وقت الصلاة ولا أصب الماء ، وأتاه هرم بن حيان فقال له ما جاء بك قال : جئت لأنس بك فقال له كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره ، وقال له رجل : أوصنى فقال : توسد الموت إذا غبت واجعله نصب عينيك إذا قمت ، وقال : الدعاء بظهور الغيب أسلم وأفضل من اللقاء والزيارة ، وقال : لم يدع لى الأمر بالمعروف صديقا ، وقال : لا يبلغ الرجل مقام الخوف حتى يصير كأنه قتل جميع الخلق ، وقال له رجل : أوصنى فقال : فر إلى ربك قال : فمن أين المعاش قال أفالقلوب خالطها الشك يرزقك وأنت مدبر عنده ولا يرزقك وأنت مقبل عليه ، ومر به رجل فقال له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أحمد الله قال : كيف الزمان عليك ؟ قال : كيف هو على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسى وإن أمسى ظن أنه لا يصبح ، إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحا وإن علمه بحقوق الله في ماله لم يترك له مدخرا ، وإن قيامه لله بالحق لم يدع له صديقا ، وقال :

إن هذا القرآن لم يجالسه أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء من الله الذي قضاه شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ، وقال : عليك بذكر الموت فإن استطعت أن لا يفارقك طرفة عين فافعل ، وقال الفارسي : رأيت رجلاً أدم طوالاً والناس يتبعونه فقلت : من هذا ؟ قالوا : أوس فاتبعته فقلت : أوصني فكلح أى عبس في وجهي فقلت مسترشداً فأرشدنا أرشدك الله فقال : ابتغ رحمة الله عند طاعته وأحذر نقمته عند معصيته ، ولا تقطع رجاءك عنه في خلال ذلك ، ثم ولى وتركني ، وفي رواية لابن عساكر أنه قال له : أوصني فقال : مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ، ومات أبوك آدم وحواء وإبراهيم ونوح عليهم الصلاة والسلام وصيتي إليك كتاب الله وعليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين وإياك أن تفارق الجماعة ، فتفارق دينك ثم قال : اللهم إن هذا زعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله على في دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيا وأرضه باليسir ، ثم قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته لا تسأل عنى ولا تطلبني وأعلم أنك مني على بال وقال له رجل : أوصني فقال : فر إلى ربك ، قال : فمن أين المعاش قال : أَف لقلوب خالطها الشك يرزقك وأنت مدبر عنه ولا يرزقك وأنت مقبل عليه ، ومر به رجل فقال له : كيف أصبحت قال : أصبحت أَحْمَدُ اللَّهَ قَالَ : كِيفَ الزَّمَانُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : كِيفَ هُوَ عَلَى رَجُلٍ إِنْ أَصْبَحَ ظُنْ أَنَّهُ لَا يَمْسِي وَإِنْ أَمْسَى ظُنْ أَنَّهُ لَا يَصْبِحُ ؟ إِنَّ الْمَوْتَ وَذَكْرَهُ لَمْ يَتَرَكْ لِمُؤْمِنٍ فَرحاً ، وَإِنْ عَلِمَ بِحُقُوقِ اللَّهِ فِي مَالِهِ لَمْ يَتَرَكْ لَهُ مَدْخَراً وَإِنْ قِيَامَهُ لِلَّهِ بِالْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لَهُ صَدِيقًا .

(ومن كلامه) لقلع الجبال بالأبر أيسر من إخراج الكبر من القلوب ، ولما مات وجدوا معه في ثيابه أكفانا ووجدوا عنده قبراً محفوراً فيه محد في صخرة فكفنوه في تلك الثياب ودفنه فيه ، وروى سنان بن هارون عن حمزة الزيات حدثني بشر سمعت زيد بن علي يقول قتل أوس رضي الله عنه يوم صفين وفي حديث آخر أنه مات بالحيرة وقال ابن حبان : اختلف في موته ، فمنهم من

زعم أنه قتل يوم صفين في رجاله على بين يديه ، وقيل : قتل يوم نهاوند ، ومنهم من زعم أنه مات بجبل أبي قبيس بمكة ، وقيل : مات بدمشق ويحكون في مرض موته قصصاً تشبه العجزات ، وقد كان بعض أصحابنا ينكرونه في الدنيا ويرده ما أخرجه أحمد بسنده معتبر عن سيد البشر « خير التابعين أويس القرني » وفي صحيح مسلم نحوه فيه رد ابن عدى وغيره على مالك رضي الله عنه إنكاره له ، وقيل : إنه اجتمع بعمر بالموسم وقال له : وددت لو صليت في الأقصى فجهزه له ثم رجع للكوفة وخرج منها غازياً لأرمينية فأصابه البطن فمات عند أهل خيمة فوجدوا معه جراباً وقعباً فنظروا في الجراب ثوابين ليسا من ثياب الدنيا وذهبوا ليحرفوا له قبراً فوجدوا قبراً مجهزاً في صخرة فدفنوه فيه ، فلما فرغوا من دفنه التفتوا فلم يروا شيئاً .

(٤٥) أبو الجوزاء أوس بن عبد الله^(١)

الرابع المجانب للأراء والأهواء المفارق للتلاعن والأسوء ، ما لعن شيئاً
قط ، ولا أذى أحداً قط ، ولم يكذب قط ، وكان يواصل سبعة أيام بليلاتها ، ثم
يقبض على ذراع الشاة فيكاد يحطمها .

(ومن كلامه) نقل الحجارة أهون على المناق من قراءة القرآن ،
وقال : الشيطان يأزم بالقلب حتى ما يستطيع صاحبه يذكر الله وما له عن القلب
طرد إلا قول : لا إله إلا الله « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على
أدبارهم نفوراً » أسنده عن ابن عباس وغيره ، وخرج مع ابن الأشعث فقتل أيام
الجامجم .

(١) من ربعة الأزد ، تهذيب التهذيب ٣٨٣/١ - ٣٨٤ .

(٤٦) أبو إدريس الخولاني^(١)

الزاهد العابد الريانى ، كان معروفاً بالتأله ، مشهوراً بالتصوف ، له القبول التام بين الخاص والعام .

(ومن كلامه) : لا يهتك الله ستر عبد وفى قلبه مثقال ذرة من خير ، وقال : ليس بفقيره من لم يعمل بما علم وقال : المساجد بيوت الكرام ، وقال : قلب تقى فى ثياب دنسة خير من قلب دنس فى ثياب نقية ، وقال : إعراب اللسان يقيم جاهلك عند الناس وإعراب القلب يقيم جاهلك عند الله ، وكان يعلق سوطه فى محل تهجده فإذا وجد من نفسه كسلا ضربها به ويقول : أنا أحق بالسلط من الدواب .

(ومن كراماته) أنه كان يمشى على ماء الدجلة ، والناس ينظرونه فلا تبتل رجله ، أُسند عن معاذ وغيره .

(٤٧) أبو بكر بن عياش^(٢)

القارىء الهشاش ، العابد البشاش ، المشهور بالحديث والفقه والتزهد ، المعروف بين الصدر الأول بالتهجد والتجرد ، كان فى القراءة واحداً وفى العبادة شاهداً ، وقيل : إن التصوف أغتراب لا اقتراب ، وانتساب فى ارتقاب ، قالوا : لم يضع جنبه الأرض أربعين سنة ، ونزل الماء فى إحدى عينيه فأقام

(١) تذكرة الحفاظ ١/٥٣ : وتهذيب التهذيب ٥/٨٥ ، وحلية الأولياء ٥/١٢٢ : وتهذيب ابن عساكر ٢٠٣/٧ .

(٢) المعارف لابن قتيبة ٩٥٠ و ٤٥٩٩ : والشذرات ١/٣٣٤ .

عشرين سنة لم يعلم بها أهله .

(ومن كلامه) : مسكين ابن آدم يضيع منه دينار فيظل نهاره يسترجم ، وتقع منه الذنوب فيذهب عمره فلا يحزن عليه ، وقال : أدنى ضرر المنطق الشهرة وكفى به بلية وحسنة ، وقال من لم يطلب العلم لم يرزق عقلا ، وقال :رأيت عجوزا شوهاً تصفق وخلائق يتبعونها فقال لي : أوه لو ظفرت بك فعلت بك كهؤلاء قلت : من أنت ؟ قالت : الدنيا ، وختم القرآن ثمانية عشر ألف مرة ، وقال : أود لو كان سببا للصفح عن ذلة واحدة ، وقال : جئت يوما إلى زمزم فاستقيت دلوا فشربت منه لبنا وعسلا ، وقال : الخلق أربعة معذور ، وممحور ، ومجبور ، ومثبور ، فالمعذور البهائم ، والممحور ابن آدم ، والمجبور الملائكة ، فإنها جبرت وجابت على الطاعة ، والمشبور إبليس ، وقال : أدنى نفع السكوت السلامة ، وكفى بها عافية ، وقال : خلص رقبتك في الدنيا ما استطعت من رق الآخرة فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدا ، مات سنة ثلاث وتسعين ومائة عن ثلات وتسعين سنة .

(٤٨) أبو رجاء العطاردي^(١)

عمران بن ملحان إمام فاضل ، وصوفى بسهام السنة يناضل ، وافر الديانة والصلاح ، مشكور فى العدو إلى الخيرات والروحان ، نعم وكان من أكابر العباد والفحول ، أدرك أول الدعوة إلى الرسول فأجاب إلى التصديق والقبول وثبت على الإقبال والوصول ، وقد قيل : التصوف قبول الرسول للتوصل إلى الوصول ، وكان يقول : أدركت بحمد الله من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم صدرا حسنا كانوا يخافون على أنفسهم النفاق ، قال ابن الجوزي رحمه الله : أنسد أبو رجاء عن عمر وابن عباس ، وأم قومه أربعين سنة ، وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزىز ، رضى الله عنه .

(٤٩) أبو حازم سلمة بن دينار^(١)

المخزومي المديني ، الأعرج العابد ، الوعظ الزاهد ، كان فقيه النفس ثقة نبيلاً زاهداً كثير العلم كبير القدر عالم المدينة وإمامها ، ورئيسها المقدم وذمامها كان ذا مجد أثيل وقدر يجل عن المشيل ، ورتبة أثيرية ، ومناقب محسانها كثيرة ، وسماع ورواية وتصوف ودرائية ، قال ابن خزيمة : لم يكن في زمانه أحد مثله ، أدخل على سليمان بن عبد الملك فقال له : يا أبو حازم مالنا نكره الموت فقال : لأنكم أخرستم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنقلوا من العمran إلى الخراب ، فقال : كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المحسن فكفايات يقدم على أهله وأما المسيء فكآباء يقدم به على مولاه ، وقال له بعض الخلفاء : ما حالك يا أبو حازم ؟ قال : الرضى عن الله والغنى عن الناس .

(ومن كلامه) : كل عمل تكره الموت لأجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت ، وقال : انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم والذي تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم ، وقال : لا يكون ابن آدم في الدنيا على حال إلا ومثله في العرش على تلك الحالة فقال بعض من سمعه : هذا عظيم ، قال : فنظر الله إليك وأنت مطيع أو عاصٌ أعظم ولو نظر إليك وجوه أهل الأرض أحبت أن يروك على ما تحب دون ما تكره ، فكيف برب العزة الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وقال : لا يحسن عبد فيما بيته وبين الله إلا أحسن الله ما بيته وبين العباد ، ولا يعور ما بيته وبين ربه إلا أغور ما بيته وبين العباد ، لصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها ، وقيل له : ما النجاة من هذا الأمر ؟ قال : هين لا تأخذ شيئاً إلا من حلها ، ولا تضعه إلا في

حقه وهذا هين ملن أيده الله بالسلامة من الهوى ، وقال له : سليمان : أوصنى قال : أوصيك وأوجز ، عظم ريك ونزعه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك ، وقال له عمر بن عبد العزيز : عظني فقال له : اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك فدعاه الآن ، فعلل تلك الساعة قريبة ، مات سنة أربعين ومائة ، رضى الله تعالى عنه .

(٥٠) أبو عمران الجوني^(١)

عبد الملك بن حبيب الوعاظ اليقطان ، موقظ الوسنان ، ومنفر الشيطان ، وقد قيل : التصوف التيقظ والانتباه ، والتبصر في رفع التوهم والاشتباه .

(ومن كلامه) لا يغرنكم من الله طول النسيئة ولا حسن الطلب فإن أخذه أليم ، وقال في وعده : جعل الله في قلوبنا وقلوبكم المودة لذركه وجعل فيها أوطاراً تحن إليه وأجري علينا وعليكم المغفرة كما جرت علينا وعليكم الذنوب ، وقال : ليس بين الجنة والنار منزل لأحد من أخطأته الجنة صار إلى النار ، وقال : ليت شعري أي شيء علم ربنا من أهل الأهواء حين أوجب لهم النار ، وقال : من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يديه ، وقال : لست أجزع من الموت بل أن يبس لسانى من ذكر الله عند الموت ، وقال : كان لموسى عليه الصلاة والسلام ثلاث بنات فقال : إن بني إسرائيل سيعرضون عليكن الدنيا فلا تقبلن والقطن السبل فافركنه وكلنه وتبلغن به إلى الجنة ، وقال : مر سليمان بن داود عليه السلام في موكيه والطير تظله والجن والإنس حوله بعايد من بنى

إسرائيل فقال قد أوتيت يا ابن داود ملكا عظيما ، فقال : لتسبيحة في صحيفة أفضل مما أوتيت ، ما أوتيته يذهب وتسبيحة تبقى ، وقال : كان سليمان يطعم المذومين واليتمامى النقى ويأكل الشعير ، ولم يترك يوم مات دينارا ولا درهما ، وقال : إذا كان يوم القيمة انقطع كل وصل ليس وصلا في الله ، وقال : لم ينظر الله قط إلى إنسان إلا رحمه ولو نظر لأهل النار لرحمهم ، لكنه قضى أن لا ينظر إليهم ، وقال : أدركت من أدركت كان يكره أحدهم أن يقول : اللهم اعتقدنا من النار لأنك إنما يعتق منها من دخلها ، ويقولون : نستجير بالله من النار نستعيذ به منها ، أسنده عن أنس بن مالك ، وأبى بربة ، وجندب وآخرين .

(٥١) أبو عاصم البصري

عارف كامل ، وإمام عامل ، طلبه الحجاج فلما وقف جماعته بالباب قال لزوجته : ادفعيني فدفعته من ظهره فإذا هو على جبل أبي قبيس وأقام مدة ، فلما حضر سأله عبد الواحد بن زيد ، رضي الله عنه ، كنت تأكل ماذا ؟ قال : الرعي凡 اللذان كنت آكلهما بالبصرة قيس الله بإحضارهما عجوزا تأتيني بهما كل يوم وقت فطري قال عبد الواحد رحمة الله : تلك الدنيا أمرها الله تخدم أبا عاصم .

(٥٢) أبو عبيدة الخواص

المشهور بين العوام والخواص ، المعروف بين السلف الصالح بالاجتباء والاختصاص ، واسمه بين العباد عباد ، وكان إذا غرق في الوجود اترز بمئزر

وارتدى بخرقة ، ويقول : واسوقاه إلى من يرانى ولا أراه ، ولم يرفع رأسه إلى السماء سبعين سنة حياء من الله وحيرة بما وجد ، مكث أربعين سنة لا يضحك وكان يقبض على حيته ويبكي ويقول :

هذا ولهم وكم كتمت الولها صوناً لحديث من هو النفس لها

(ومن كلامه) عليكم بسيرة السلف الصالح فاهاهروا بهديهم فإنكم في زمن قل فيه الورع وحمل العلم فيه مفسدوه وأحبوا أن يعرفوا بحمله فتطقوه فيه بالرأي ليزبنوا ما دخلوا فيه من الخطأ فذنوبهم ذنب لا يستغفر منها ، ولذلك كانوا من أشد الناس عذابا .

(٥٣) أبو مسلم الخولاني^(١)

العالم الريانى العابد الزاهد على البرهان ، التابعى الكبير الشأن ، ريحانة الشام ، وجهد الأولياء الفخام ، هاجر فى خلافة الصديق رضى الله عنه ، رووى عن عمر ومعاذ وغيرهما ؛ وكان يكثرا أن يرفع صوته بالذكر فرأه رجل فقال : مجنون فسمعه فقال : يا ابن أخي ليس هذا بجنون لكنه دواء للجنون .

(وله مناقب غزيرة وكرامات كثيرة) منها أن الأسود العنسي ألقاه فى النار فنجا منها ولم تضره ، ووضعت له جارته السم فى طعامه فأكله فلم يضره ، وخببت عليه امرأة زوجته فدعا عليها فعميت ، وغزا الروم فكان يعرضهم النهر العظيم فيقول باسم الله ويرى بين أيديهم على وجه الماء فيمررون عليه خلفه فلا يبلغ من الدواب إلا إلى الركب أو بعض ذلك فإذا جاوزوا قال

(١) تذكرة الحفاظ ٤٦/١ : وتهذيب التهذيب ٢٣٥/١٢ : وحلية الأولياء ١٢٢/٢ : وفوات الوفيات ٢٠٩/١ : واللباب ٣٩٥/١ : وتهذيب ابن عساكر ٣١٤/٧ .

للناس : هل ذهب لكم شيء ، من ذهب له شيء فأنا له ضامن فألقى بعضهم مخلة عمدا ، فلما جاوز قال مخلاتي وقعت في النهر فقال له : ابتغها فإذا هي تعلقت ببعض أغواود النهر ، وما كان بأرض الروم بعث سرية وقت لهم وقتنا فأبطأوا عنه فاهتم وجلس يتوضأ وهو يحدث نفسه بأمرهم فوقع غراب على شجرة مقابلة وقال : لا تهتم فإنهم غنموا وترد عليكم يوم كذا قال : من أنت ؟ قال : إرفينائيل مفرح قلوب المؤمنين فجاءوا في الوقت الذي عينه ، وجلس يوما وهو في الروم مع أصحابه فقالوا : نشتتهي لحما فلو دعوت ، فقال : اللهم قد سمعت قولهم وأنت على ما سألكوا قادر فلما كان إلا أن سمعوا صياح العسكر فإذا بظبي أقبل حتى مر به فوثبوا فأخذوه ، وأقطع الناس في زمن معاوية فقال له : ترى ما حل بالناس فادع الله لهم ، فقال : على تغضب أفعل ، فقام وعليه برنس فكشفه عن رأسه ثم رفع يديه فقال : اللهم إنا منك نستنصر وقد جئت إليك بذنبي فلا تخيبني فما انصرفوا حتى سقوا ، رواه كله أحمد ، وكان له سبحة يسبح بها فنام وهي في يده فاستدارت فالتفت على ذراعه وجعلت تسبح ، فالتفت أبو مسلم ، والسبحة تدور في ذراعه وهي تقول : سبحانك يا منبت النبات وبما دائم الثبات فقال : هلمي يا أم سلمة وانظر إلى أعجب الأعاجيب فجاءت والسبحة تدور تسبح بذلك ، أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، وكان يقال له : حكيم هذه الأمة ، وكان يقوم الليل فإذا أدركه العياء ضرب نفسه بقضبان كانت عنده ويقول لرجليه أنت أحق بالضرب من دابتني أتظنني أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دوننا والله لازاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا ، وكان إذا وقف على خربة قال يا خربة أين أهلك ؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم وانقطعت الشهوة وبقيت الخطيئة ، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة ، وكان يقول : ما عملت عملا قط أبالي أن يطلع عليه الناس إلا أثاني أهلى والبول والغائط ، قال الغزالى : وهذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه يكره اطلاع الناس عليها سيماما تختلج به

الخواطر في الشهوات والأمانى ، أدرك أبا بكر وعمر رضي الله عنهم ، وأسند عن معاذ وعبادة ، ومات في خلافة معاوية أو ابنه .

(٥٤) أبو عثمان الخراسانى

ما ثات على التزود للأجلة ، المنفر عن الاغترار بالعاجلة ، كان فقيها كاملا ، وواعظا عاملا ، تزود للارتفاع ، وتهيأ للانتقال ، وقد قيل : النصوف تصبر في الرشاد وتشمر للمعاد وتسابق إلى العباد ، قال : ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام هذه الأمة وقصر آجالهم وشرف رتبهم عند الله فقيل له : بم ذلك ؟ قال : بكلمة جرت على ألسنتهم استصعبت على الأمم قبلهم كلمة الشهادة .

(٥٥) أبو ريحانة عبد الله بن مطر

صاحب الأحوال العالىات ، والكرامات الظاهرات ، منها أنه ركب البحر وكان يخيط فيه بإبرة كانت معه فسقطت إبرته في البحر فقال : عزمت عليك يا رب إلا ردت على إبرتي فظهرت حتى أخذها ، واشتد عليهم البحر ذات يوم وهاج فقال : اسكن أيها البحر ، فإنما أنا عبد حبشي ، فسكن حالا حتى صار كالزيت يختلج .

(٥٦) أبو حبيب البدوى

الراعى العابد الزاهد كان له همة فى اجتهاد وافرة ، وعزمة عن أرباب الدنيا نافرة ، وكان الشورى رضى الله عنه يزوره ويتبرك به قال : أتيته لأسلم عليه ولم أكنرأيته فقال : أنت سفيان الذى يقال ؟ قلت : نعم نسأل الله بركة ما يقال ، قال : يا سفيان ، ما رأينا خيراً قط إلا من رأينا قلت : أجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر خيراً قط إلا منه ؟ ثم قال : منع الله عطاء منه لك وذاك أنه لم يمنعك من بخل ولا من عدم ، ولكن إفأمنعه نظر منه واختبار ثم أقبل على غنيمته وتركنى ، رضى الله عنه .

(٥٧) أبو أيوب السختياني^(١)

أعنى ابن كيسان فتى الفتىان ، وسيد العباد والزهاد والرهبان ، كان فقيهاً محجاجاً ، وناسكاً حجاجاً ، منخلق آيساً ، وبالله آنساً ، نعم وكان جهيد العلماء وسيد الفقهاء الفخماء ، جاء أبو قلابة رضى الله عنه إلى الحسن رضى الله عنه يستودعه كتبه فقال أودعها سبط الفتىان أباً أيوب ، وذكر عند أبي حنيفة رضى الله عنه فقال : شاهدت منه مقاماً عند منبر المصطفى صلى الله عليه وسلم لا أذكر ذلك المقام إلا أقشعر جلدي ، وقيل لأبى أيوب : لم أقللت الحديث عن الحسن رضى الله عنه ، قال : كنت إذا قمت عن مجلسه قال : هذا سيد الفتىان فتركته ، وكان إذا ذكر الحديث بكى حتى يرحمه من حضر ، وحج

(١) الشذرات ١٨١/١ : وتذكرة الخفاط ١٢٢/١ - ١٢٤ : والسلمى ، ص ٤٥٢ .

أربعين حجة ، وكان صديقاً ليزيد بن الوليد فلما ولى الخلافة تركه وقال : اللهم أنسه ذكرى .

(ومن كلامه) : لا ينتهي عبد حتى يكون فيه خصلتان اليأس مما في أيدي الناس والتغافل عما يكون منهم ، وقال : والله ما صدق عبد الأسرة أن لا يشعر بمكانته . وقال ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعده ، وقال : إن قوماً يتعمقون ويترفعون وبأبي الله إلا أن يضعهم ، وإن قوماً يتواضعون وبأبي الله إلا أن يرفعهم وقال : لا خبيث أخبث من قارئ فاجر ، وقال : النزد سوقك فإنك لا تزال كريها على إخوانك ما لم تحتاج إليهم ، وقال : ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال : إذا لم يكن ما تريده فأرد ما يريده ، وعوتب على طول قميصه فقال : الشهرة فيما مضى كانت في تطويله وهذا اليوم في تشميره ، وقال : بينما أنا في بدايتي أسير في طريق الشام إذا بأسود يحمل خطباً فقلت : من ربك ؟ فقال : لشلي يقال هذا ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : إلهي حول الخطيب ذهباً فإذا هو ذهب ثم قال : اللهم اردد خطباً فصار خطباً فخجلت منه فقلت : أمعك شيء من طعام فأشار بيده فإذا جام فيه عسل ، وقال : كلوا فليس من بطن نحل فعجبنا فقال : ليس بعارف من يعجب من الآيات فمن عجب منها فهو بعيد من الله ، ومن عَبَدَ الله على رؤية الآيات فهو جاهل به .

(ومن كراماته) أنه كان بطريق مكة فعطش الناس وخافوا فقال لرفقته : أتكتمون على ؟ قالوا : نعم فدعوا وحول رداءه فنبع الماء فوراً وسقو الدواب ثم مر بيده على الموضع فكان كما كان ، وكان مرة بمكة على جبل حراء فعطش رفيقه فغمز برجله الجبل فنبع الماء من تحتها ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة في الطاعون عن ثلاط وستين سنة ، رضي الله عنه .

(٥٨) آمنة الزهرمية

ذات الرتب العلية ، والمقامات الكشفية ، كانت من أصفياء العباد ، وأكابر الزهاد ، وكان بشر بن الحارث يتربد إليها ، ومرض فعادته وعنده أحمد ابن حنبل رضى الله عنه ، فقال : من هذه ؟ قال : آمنة قال : سلها تدعوا لنا فقالت : اللهم أن بشرا وأحمد يستجيران بك من النار فأجرهما ، فقال أحمد رضى الله عنه : فلما كان الليل نزل على ورقة من الهواء فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد أجرنا كما من النار ولدينا مزيد .

(٥٩) أم حسان الكوفية

كانت ذات اجتهداد وعبادة ، وورع وتصوف وزهادة ، وكان سفيان الثوري وابن المبارك رضى الله عنهمَا وغيرهما يزورونها ، ودخل عليها الثوري رحمه الله مرة فلم ير في بيتها غير قطعة حصير خلق ، فقال لها : لو كتبت رقعة إلى بعض بنى عملك لغيرها من سوء حالك ، فقالت : يا سفيان قد كنت في عيني أعظم وفي قلبي أكبر منه ساعتك هذه ، أني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها فكيف أسألها من لا يقدر عليها ولا يحكم ؟ يا سفيان والله ما أحب أن يأتي على وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله بغيره ، فأبكت سفيان حتى انتصب ويقال : إنه تزوجها ، رضى الله عنه .

(٦٠) أم سفيان الثوري

كانت من أكابر الصالحات قالت له : يابنى أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزى ،
وقالت له : يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في
مشيك وحالك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك .

(٦١) اخت الفضيل^(١)

كانت من العابدات الزاهدات ، الورعات الناسكات .

(ومن كلامها) الآخرة أقرب من الدنيا ، وذلك أن الرجل يهتم بطلب
الدنيا فلعله ينشئ لذلك سفرا فيه تعب بدنه وإنفاق ماله ثم لعله لا ينال
بغيته ، والرجل يطلب الآخرة فمنتها طلبه في حسن نيته حيثما كان من غير
أن ينشئ سفرا أو ينفق مالا أو يتعب بدنًا ما هو إلا أن يجمع على طاعة الله
فإذا هو قد أدرك ، وقالت : ما بيننا وبين أن نرى سفرات السرور ، أو ننادي
باللويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان ، فانظروا إلى عبيده يكونون
حيينذ ، قال الفضيل رحمه الله : ما رأيت رجلا ولا امرأة قط أطول حزنا منها
رحمة الله عليها .

(٦٢) أمة الله زوجة رياح القيسي

كانت على الخير مثابرة ، وللنفس والشيطان غالبة قاهرة ، تقوم الليل
كله فإذا مضى ربعه قالت لزوجها : قم ، فإذا لم يقم قامت لنصفه ثم تقول له :
قم فإذا لم يقم قامت لثلاثة أرباعه ، ثم تقول له : قم فإذا لم يقم قامت للربع

الرابع ثم تقول له : قم للصبح فقد مضى عسکر الليل وأنت نائم ، من كان غرنى بك يا رياح ، وكانت تأخذ تبنة من الأرض وتقول : والله للدنيا وشهواتها أهون عند الله من هذه ، وكانت إذا صلت العشاء تزيينت وتعطرت وتجملت وقالت لزوجها : ألك حاجة فإن قال : لا ، صلت إلى الصبح ، رحمة الله عليها .

(٦٣) أم هارون

كانت من العابدات القانتات ، الصابرات على مر المجاهدات ، تأكل الخبز وحده لا قبله ولا بعده وتقول : ما أفرح إلا بدخول الليل فإذا أطلع النهار جاءني الهم والغم إذا دخل السحر دخل قلبي الروح ، وكانت إذا كشفت وجهها يضئ كالقمر ، وكانت سواحة فإذا عرض لها الأسد يقول : إن كان لك في رزق فكلني ! فيفر ويولى راجعا ، رحمة الله عليها .

(٦٤) أم البنين^(١)

أخت عمر بن عبد العزيز ، كانت صوامة قوامة عابدة زاهدة .

(ومن كلامها) أف للبخيل لو كان قميصا ما لبسته ، ولو كان طريقا ما سلكته ، وكانت تتصدق بالكثير ، وتقول الصلة والمواساة أحب إلى من الطعام الطيب على المجموع ، ومن الشراب البارد على الظماء ، وكانت تقول : هل نوال الخير إلا باصطناعه ؟ وكانت تعتق في كل جمعة رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله ودخلت عليها عزة فقالت : لها ما يقول كثير .

قضى كل ذي دين فوقى غريمها وعزّة مخطوط معنى غريمها

فما هذا الدين ؟ فاستحيت وقالت : وعدته قبلة فخرجت منها ، فقالت : أخزيها له وعلى إثمهما ، فأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة ، وكانت إذا ذكرتها

بكت ، وتقول : ليتنى خرست ولم أتكلم بها .

(ومن كلامها) : ما تحلى المتحلون بشئ أحسن عليهم من عظم مهابة الله فى صدورهم رحمة الله عليها .

٦٥) أم طلاق

كانت من العابدات الخيرات الزاهدات ، وكان وردها كل ليلة أربعينائة ركعة ، وسمعت أبنها يقرأ فقالت : ما أحسن صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالا .

(ومن كلامها) : النفس ملك إن تبعتها ، وملوك إن اتبعها ، وقالت : ماملكت نفسى مما تشتهى منذ جعل الله لى عليها سلطانا ، رحمها الله .

٦٦) أوف الموصلية

كانت من أكابر عباد الموصل ، تشد إليها الرحال ، خطبها رجل من أشراف الموصل فقالت لرسوله : قل له مايسرنى أنك لى عبد وجميع ما تملكه لى وأنك شغلتني عن الله عز وجل طرفة عين ، رحمها الله .

٦٧) أمية بنت أبي المودع الموصلية

العايدة الزاهدة القاننة الساجدة ، قال رياح : ما رأيت قط مثلها ، وكانت إذا ذكرت النار قالت : ادخلوا النار ، وأكلوا من النار وشربوا من النار ، وعاشوا ؟ ثم تبكي ، وكانت كأنها حبة على مقلى ، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت ، رحمة الله عليها أمين .

حرف الباء الموجدة

(٦٨) بديل بن ميسرة العقيلي

المخلص العابد ، المجتهد الزاهد ، صوفى أطرب الأسماع بأقواله ، وبلغ المريد نهاية آماله ، وكان مجيداً فى تقرير الحقائق ، مرسلاً من كلامة ما يخلى القلب الغاسق ، شديد الخوف من الخالق ، بكى حتى ذهب بصره .

(ومن فوائده) من أراد بعمله وجه الله أقبل الله بوجهه عليه ؛ وأقبل بقلوب العباد عليه ، ومن عمل لغيره صرف الله عنه وجهه وصرف قلوب العباد عنه ، وقال : الصيام معقل العابدين ، أسنداً الحديث عن أنس وغيره من الصحابة ومات سنة ثلاثة ومائة ، رحمة الله تعالى عليه .

(٦٩) بشر بن منصور السليمي^(١)

العبد الزاهد ، صوفى ، لو رأاه أبو القاسم القشيرى لأقسم بحياته ، ولو أدركه الجنيد لأنس به فى خلواته ، وكان من الذين إذا رأيت وجهه ذكرت الآخرة ، ولم تفته التكبيرة الأولى قط .

(ومن كلامه) أقل من معرفة الناس فإنك لا تدرى ما يكون ، فإن كان شئ يعني فضيحة فى القيامة كان من يعرفك قليلاً ، وقال : إنى لأذكر الشئ من أمر الدنيا ألهو به عن ذكر الآخرة أخاف على عقلى ، ورؤيت رابعة رضى الله عنها فى النوم فقيل لها : ما فعل ضيغم ؟ قالت : يزور الله متى شاء ، قيل لها : فما فعل ببشر ؟ قالت : بخ بخ أعطى فوق ما يؤمل ، أسنداً الحديث عن الشورى وغيره .

(١) الشذرات ٢٩٣/١ ؛ وحلية الأولياء ؛ وتهذيب التهذيب ٤٥٩/١ - ٤٦٠ .

(٧٠) بكر بن عبد الله المزنى ^(١)

الناصح الراذكي ، الواثق الغنوي ، كان مجتب الدعوة معروفاً بالنسك ولزوم الخلوة ، وحيداً في وصفه ، فريداً في تقشفه ولطفه ، حسن التربية والأخلاق ، كثير الشفقة على أهل الفاقة والإملاق ، وكانت قيمة ثيابه أربعة آلاف ويجالس المساكين ويحدثهم ، وكان يقول : أعيش عيش الأغنياء وأموت موت الفقراء ، فمات وعليه الدين ، وكان إذا رأى شيئاً قال : هذا خير مني عبد الله قبلى ، وإذا رأى شاباً قال : هذا خير مني ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب .

(ومن كلامه) إذا وجدت من إخوانك جفاء فتب إلى الله فإنك أحدثت ذنباً ، وقال : إذا رأيت الرجل موكلًا بعيوب الناس خبيراً بها فاعلم أنه مكر به : وقال لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقياً الطمع تقياً الغضب ، وقال : إذا رأيت قبيحاً من ناسك فاللفظه ، وإذا رأيت حسناً من فاتك فاحفظه ، وقال : لو نادى مناد من السماء لا يدخل الجنة منكم إلا رجل واحد ، كان ينبغي لكل إنسان أن يتلمس ذلك الواحد ، ولو نادى أنه لا يدخل النار منكم إلا رجل واحد ينبغي لكل أن يعرف ذلك الواحد ، وقال إن الله ليجرع عبده المرأة لما يريده من صلاح عاقبته ، وقال : المرأة توجر ولدها توجر الصبر لصلاحه ، وقال : البسو ثياب الملوك وأميتوها قلوبكم بالخشية ، قال الغزالى رحمة الله : إنما خطاب به قوماً يطلبون التكبر بثياب الصالحين ، وقد قال عيسى عليه الصلاة والسلام : « مالكم تأتونى وعلىكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى !! البسو ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية » وقال : « مامن ميت ميت إلا وروحه فى يد ملك الموت فيغسلونه ويفكرونها وهو يرى ما يصنع أهله . فلو قدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل » وقال : حدثت أن الميت يستبشر

بتعميله إلى المقابر ؛ وقال : كان فيمن قبلكم ملك متمرد فغزاه المسلمون فأخذوه
فقالوا : لنذيقه طعم العذاب فجعلوه في قمقم وأوقدوا عليه ناراً فجعل يدعو
الله واحداً واحداً : يا فلان يا كنْت أعبدك أنقذوني من النار ، فلم يغنو عنه
فلما لم يغنو عنه رفع رأسه فقال لا إله إلا الله مخلصاً فصب عليه من السماء
ماء بارداً فأطضاً النار ، وأحتمل الريح القمقم فجعل يدور بين السماء والأرض
وهو يقول لا إله إلا الله فقد ذهاب الله إلى قوم لا يعبدونه وهو يقول : لا إله إلا الله
فأخبرهم بقصته فآمنوا » أُسند عن إبراهيم وأنس وجابر وغيرهم

« فائدة » روى ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب أن رجلاً من آل عاصم الجحدري رأه في النوم بعد موته فقال له : أليس قد مت ؟ قال : بلى ، قال : فأين أنت ؟ قال : في روضة من الجنة أنا ونفوس أصحابي نجتمع كل ليلة جماعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى فتلاقى أحيا ، كم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال : هيئات بليت الأجسام وإنما تلاقى الأرواح ، قال : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال : نعلم بها عشية الجمعة ويومها كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت : فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال : لفضل يوم الجمعة وعظمته ، مات سنة ثمان ومائة .

(٧١) بكر بن عمر الناجي

كان في العبادة سابقاً ، وفي الليادة صادقاً ، إذا وعظ أطرب الأسماء بصوته الحسن ولفظه الفصيح وحير الأفكار بقراءته السريعة وإيراده الصحيح ، قال : « خرج سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام يوماً يستسقى فمر بنملة مستلقية رافعة قوائمهما إلى السماء تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك ورزقك ، فأما أن ترزقنا وتسقينا أو تهلكنا ، فقال ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم » وفي رواية « فقد استجيب لكم من شأن النملة » وسمع قارئاً يقرأ « وأنذرهم يوم الآزفة » فاضطرب ثم صاح أرحم من أنذرته ولم يقبل

عليك بعد النذير ، أنسد الحديث عن أبي سعيد الخدري وغيره .

(٧٢) **بلال بن سعد** (١)

الموفي للعهد ، الصابر على الجهد ، وناهيك بقول ابن المبارك في شأنه : كان بالشام ومصر كمحل الحسن رضي الله عنه بالبصرة ، وكان يقول : واحزناه على أن لا أحزن ، وقال : لا تكن ولينا لله في العلانية وعدواً له في السر ، وقال : يا أهل الخلود ويا أهل البقاء إنكم لم تخلقوا للفناء وإنما خلقتمن للخلود والأبد لكنكم تنقلون من دار إلى دار ، وقال : ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة ، وقال : رب مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك وقد حق له أنه من وقود النار ، وقال : لا تنظر إلى صغر الخطيئة لكن انظر من عصبت .

(ومن كراماته) أن الناس خرجوا يستسقون فقام وحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعاشر من حضر ألسنت مُقرّين بالإساءة ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال اللهم إنا سمعناك تقول : ما على المحسنين من سبيل ، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مفترتك إلا مثلنا ؟ ، اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا ، ورفع يديه فرفعوا أيديهم فسقوا فورا ، أنسد عن أبيه عن عبد الله بن عمر وعن جابر ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

(٧٣) **بدرة الصريمية**

كانت من أجلاء العباد ، وأكابر الزهاد بكت حتى عميت ، وكانت إذا قيل لها : كيف أصبحت ؟ تقول : أصبحنا أضيفاً منتجعين بأرض غربة ننتظر أجابة الداعي ، وكانت تقوم الليل فإذا سكتت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت حزين : هدأت العيون وغارت النجوم وخلا كل حبيب بحبيبه وقد خلوت بك يامحباب ، أتراك تعذبني وحبك في قلبي ، لا تفعل يا حبيبا .

(٧٤) بحيرة العابدة

كانت من المجتهدات في العبادة قد أضر بها الجوع ، فكثت أربعين يوما لا تأكل إلا نحو حمصة ، وكان لها مجلس تذكر فيه ، وإذا تكلمت اضطررت واقشعرت ، وكانت تبكي وتقول : تركتك وأنا رطبة وأتيتك وأنا حشقة ، فأقبل الحشقة على ما كان منها ، وكانت بدعة الجمال .

(ومن كلامها) : إذا ترك القلب الشهوات ألف العلم واتبعه ، وأحتمل كل ما يرد عليه ، رحمة الله عليها .

حرف الشاء المثلثة

(٧٥) ثابت بن أسلم

الإمام الريانى أبو محمد البنانى^(١) المتبعذ الناحل ، المجتهد الذابل ، وقد قيل : التصوف محافظطة الحرمة ، ومداومة الخدمة ، قال فى الإحياء : كان من أولياء الله ، وقال أنس رضى الله عنه إن للخير مفاتيح وإن ثابت من مفاتيحه ، وأوصى له ب مثل نصيب ابنه فلم يقبله ، وما روى عن الحسن رضى الله عنه أنه أوسع لأحد قط فى مجلسه إلا لثابت ، وكان أعبد أهل زمانه يصوم الدهر كله ويقوم الليل أجمع ولا يير بمسجد إلا دخله وصلى فيه ركعتين ، وكان إذا مرروا بقبره سمعوا منه قراءة القرآن ، وكان قال فى حياته : اللهم إن كنت أعطيت أحداً أن يصلى فى قبره فأعطينى ، فلما دفن سقطت لبنة فأرادوا إخراجها فرأوه يصلى فيه حالاً وشهد ذلك من حضر جنازته ، ونقل صاحب الخلية أن صاحب الترجمة كان يسلم على الملائكة الكاتبين إذا سلم من صلاة الصبح وإذا سلم من صلاة

(١) نسبة إلى بُنَانَة ، وهم بنو سعد بن لؤي - مولاهم ، خلاصة تهذيب الكمال ٤٨ : والسلمي ٢٠٧ ، والشذرات ١٦١/١ : والمعارف لابن قتيبة ٤٧٦ : وتهذيب التهذيب ٤ - ٢/٢ .

المغرب فما مات حتى كلما شفاهها وصارا يخبرانه عن أحوالهما في السموات ، وصورة سلامه عليهما ، السلام على الملائكة الكريين الكاتبين الحافظين ، اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، أعلم أن الله على كل شيء قادر ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم أشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد ورسوله وأشهد أن الجنة وأن النار حق وأن الساعة لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، اللهم إني وهذا اليوم وهذه الليلة خلقان من خلقك فلا تبتليني فيه أو فيها إلا بالتي هي أحسن ، ولا ترين لي فيه جراءة على محارمك ولا ارتکابا لعصيتك ولا استخفافا بحق ما أفرطت على ، اللهم إني أعوذ بك في هذا اليوم أو هذه الليلة من الزيف والزلل ومن البلا والبلوى ومن الظلم ومن دعوة المظلوم ومن شر شماتة الأعداء ، ومن شر كتاب قد سبق ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي ولا يبلغ علمي ولا مصيبتي في ديني ولا تسلط على بذنبي من لا يرحمني يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين .

(ومن كلامه) الصلاة خدمة الله في الأرض لو علم شيئاً أفضل منها ما قال (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي)^(١) وقال : كابت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة ، واشتكت عينه فقال له الكحال : اضمن لي أن لا تبكي تبراً عينك ، فقال : لا خير في عين لا تبكي ولم يفعل ، وقال : ما على أحدكم أن يذكر الله كل يوم ساعة فيريح يومه ، وقال : إني لا أعلم حين يذكرني ربي ، قيل له : كيف ، قال : إذا ذكرته ذكرني ، وأعلم حين يستجيب لي ، وذلك إذا وجل قلبي واقشعر جلدي وفاضت عيناي وفتح لى الدعاء ، وقال : إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى الذكر وعليهم من الآثام أمثال الجبال فيقومون لا شيء

عليهم منها وقال : طوبي لمن ذكر الله ساعة الموت وما أكثر عبد ذكره إلا ربىء في عمله ، وقال : نية المؤمن أبلغ من عمله إنه ينوى أن يقوم الليل ويصوم النهار ويخرج من ماله فلا تشياعه نفسه عليه فنيته أبلغ منه ، وقال : كان داود عليه الصلاة والسلام إذا ذكر الله تخلعت أوصاله لا يشدتها إلا الإزر فإذا ذكر رحمته تراجعت ، وقال : ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليهمما السلام فرأى عليه تعاليق من كل شيء فقال : ما هذه ؟ قال تعاليق الشهوات التي أصيب بها بنى آدم ، قال : هل لي منها شيء ؟ قال : ربما شعبت فثقلناك عن الصلاة والذكر ، قال : لله على أن لا أملاً بطنى أبداً ، قال إبليس : والله على ألا أنصح مسلماً أبداً ، وقال الليل والنهر أربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتى على ذى روح إلا وملك الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب ، أستد عن ابن عمر ، وابن الزبير وأنس في آخرين ، مات في ولاية خالد بن عبد الله ، رضى الله عنه على العراق سنة ثلاثة أو سبع وعشرين ومائة .

حرف الجيم

(١) (٧٦) جابر بن زيد

المتسللى بذكره في الوعورة والوعثناء ، العابد الزاهد أبو الشعثاء ، كان للعلم عيناً معيناً ، وفي العبادة ركناً مكيناً ، وكان مفتى البصرة على عهد الصحابة رضي الله عنهم ، ولقبه عمر رضي الله عنه في الطواف فقال : يا جابر ، إنك من الفقهاء وإنك تستفتحي فلا تفتني إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، وإلا هلكت وأهلكت ، فاتّق الله .

(ومن كلامه) : نظرت في أعمال البر فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد

(١) تهذيب التهذيب ٣٩ - ٣٨/٢ : والمعارف لأبن قتيبة ٤٥٣ : والسير للشماخي ٧٧ - ٧٧ : وتنكرة الحفاظ ٩٣/٩ - ٩٥ ، وحلية الأولياء ٨٥/٣ : والبداية والنهاية ، ٦٧/١ .

المال والصوم كذلك والزكاة تجهد المال والحج يجهدهما فرأيت أنه أفضل ، وقال : لا تماكس في ثلات ، في الكراء بمكة وفي ثمن الأضحية ، وفي الرقبة للعتق ، وقال لي ناقة أقف عليها بعرفة ما يسرني أن لي كل بغير في الدنيا مكانها ، وقال : إن ملك الموت عليه السلام كان يقبض الأرواح بغير وجع فسبه الناس لعنوه فشكى إلى ربه ، فوضع الأوجاع ونسى ملك الموت ، أُسند عن عمر وابن عباس ، مات سنة ثلاثة وستين ، ولما دفن قال قتادة : اليوم دُفِنَ عَالَمُ الأرض .

(٧٧) جعفر الصادق^(١)

ابن محمد الباقي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، وأمهما أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكان يقول : ولدنا مرتين ، كان إماماً نبيلاً أخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه ، وعروة وعطاء ، ونافع والزهري ، وعنده السفيانان ومالك والقطان ، خرج له الجماعة سوي البخاري ، قال أبو حاتم : ثقة ، لا يسأل عن مثله .

(وله كرامات كثيرة) . ومكاففات شهيرة ، (منها) أنه سعى به عند المنصور فلما حج أحضر الساعي وأحضره وقال للساعي : أتحلف ؟ قال : نعم ، فحلف فقال جعفر للمنصور : حلفه بما أراه ؛ فقال : حلفه فقال : قل : برئت من حول الله وقوته والتجرأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا ، فامتنع الرجل ثم حلف فمات حتى مات مكانه (ومنها) أن بعض الطغاة قتل مولاًه فلم يزل ليته يصلى ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الضجة بموته ، (ومنها) أنه لما بلغه قول الحكم بن العباس الكلبي في عميه زيد :

(١) نزهة المجلس للموسوي ٣٥/٢ : ووفيات الأعيان ١٠٥/١ : والبعقوبي ١١٥/٣ : وصفة الصفة
٩٤/٢ ، وحلية الأولياء ١٩٢/٣ ، وتهذيب التهذيب ١٠٣/٢ - ١٠٥ ، والباب ٤٤/٢ .

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصب

قال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ، فافتسره الأسد ، (ومنها) ما
خرجه الطبرى من طريق ابن وهب قال : سمعت الليث بن سعد رضى الله عنه يقول
حججت سنة ثلاثة عشرة ومائة فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا رجل
جالس يدعوه فقال : يارب يارب حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا حى يا حى حتى
انقطع نفسه ، ثم قال : إلهى إنى اشتهى العنبر فأطعمنيه وإن بردى قد خلق
فاكسنى ، قال الليث رضى الله عنه : فما تم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة
عنبر وليس على الأرض يومئذ عنبر ، وإذا ببردين لم أمر مثلهما فأراد الأكل
فقلت : أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمن ، قال : كل ولا تخبي ولا تدخر ، ثـ
دفع إلى أحد البردين فقلت : لى عنه غنى ، فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، ثـ
أخذ الخلقيين ونزل فلقىيه رجل فقال : اكسنى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدفعهما إليه فقلت : من هذا ؟ فقال : جعفر الصادق (ومنها) أن ابن عم
عبد الله بن الممحض كان شيخ بنى هاشم وهو والد محمد الملقب بالنفس الزكية بغير
آخر دولة أراد بنى أمية بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه وأرسلوا بجعفر ليبايعهم
فامتنع ، وقال : ليست لى ولائهم أنها لصاحب القباء الأصغر يلعب به
صبيانهم ، وكان المنصور العباسى حاضرا وعليه قباء أصفر فكان كذلك ، وكـ
مجاب الدعوة فإذا سأله شيئا لا يتم قوله إلا وهو بين يديه .

(ومن كلامه) : لا يتم المعروف إلا بثلاث أن تصغره في عينك وتستـ
وتعجله وقال : إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محسن غيره ؛ وإذا أدبرـ
عنه سلبته محسن نفسه ، وقال لاما أعود من العقل ، ولا مصيبة أعظم مـ
الجهل ، ولا مظاهر كالمشاورة إلا وإن الله يقول إني جواد كريم لا يجاورنـ
لثيم ، وقال : من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك لأنـ
كان على شيء كان محمولا أو في شيء كان محصورا ، أو من شيء كان محدثـ
وقيل له : ما بالنا ندعوا فلا نجاح قال : لأنكم تدعون من لا تعرفون ، وكـ

يلبس جبة تحت ثيابه ويقول : نلبس الجُبَّ لله ونلبس الخز لكم ؛ فما كان لله أخفيتكم وأنا مالكم أظهرناه ، قال لأبى حنيفة رضى الله عنه بلغنى أنك تقيس فى الدين وأول من قاس إبليس ، قال : إنما أقيس فيما لم أجده فيه نصًّا ، وقال : لا تأكلوا من يَدِ جاعت ثم شبعت وقال : « إذا أذنت فاستغفر فإنما هي خطايا مطوقة في عنق الرجال قبل أن يخلقوا ، وإياك والإصرار ، وقال أوحى الله إلى الدنيا من خدمتني فاخدميه ومن لم يخدمتني فاستخدمته ، قال : لا مروة لکذوب ولا راحة لحسود ولا خلة لبخيل ، ولا إخاء لللؤل ، ولا سؤدد لسيئ الخلق : وقال : كف عن محارم الله وامتنع أوامره تكون عابداً وارض بما قسم لك تكون مسلماً ، وأصحاب الناس على ما تحب أن يصحبوك تكون مؤمناً ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ، وشاور في أمرك الذين يخشون الله وقال : من أراد عزا بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان ، فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وقال : من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم ، وقال : حكمة تحريم الربا أن يتمانع الناس المعرف ، وقال : موعدة يوم صلة ، وموعدة شهر قربة ، وموعدة سنة رحم ثابتة . من قطعها قطعه الله ، وقال : من أدخل قلبه صافى خالص حب الله شغلة عما سواه وقال الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطنه فإن يجدوا ارتحلا ، قال : عزت السلامه حتى لقد خفى مطلبها فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الحمول ، فإن لم توجد فيه ففى التخلى وليس كالمحمل فإن لم تكن فيه ففى الصمت فإن تكن فيه ففى كلام السلف الصالح والسعيد من وجد في نفسه خلوة ، مات مسموماً سنة ثمان وأربعين ومائة ، وله ولد اسمه القاسم ولقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهو المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه ، رضى الله عنهم .

حُرْفُ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ

(٧٨) حاتم الاصم^(١)

المؤثر للأدوم والأعم ، والأخذ في السن الأقوم ، تحقق فسكن ، وأيقن فرken ، وقد قيل : إن التصوف التنقى من الشكوك ، والترقى في السلوك ، اعتزال الناس في قبّةٍ له منذ ثلاثين سنة لا يحتاج إلى الناس في شيء ولا يكلمهم إلا جواباً لضرورة .

(ومن كلامه) من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله ، أولها الثقة بالله ، ثم التوكل ، ثم الإخلاص ، ثم المعرفة والأشياء كلها تتم بالمعرفة ، وقال : تعهد نفسك في ثلاثة ، إذا عملت فاذكر نظر الله إليك ، وإذا تكلمت فانظر سمع الله منك ، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك ، وقال من ادعى ثلاثة بغير ثلاثة فهو كذاب ، من ادعى حب الله بغير ورع فهو كذاب ، ومن ادعى حب الجنة بغير إنفاق فهو كذاب ، ومن ادعى حب رسول الله بغير حب الفقراء فهو كذاب ، وقال رأس الزهد الثقة بالله ، ووسطه الصبر ، وأخره الإخلاص وقال : اصحاب الناس كما تصحب النار ، خذ من فنعتها واحذر أن تحرقك ، وقال : من دخل في مذهبنا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت ، موتاً أبيض ، موتاً أسود ، موتاً أحمر ، موتاً أخضر ، فال أبيض الجوع والأسود احتمال الأذى ، والأحمر مخالفة النفس ، والأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض ، وقال : أصل الطاعة ثلاثة ، الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ثلاثة ، الكبر ، والحرص ، والحسد . وقال : الكسل عون على الزهد ، وقال له رجل : عظنى ، قال : إن كنت تريد أن تعصى مولاك

(١) حلبة الأولياء ٧٣/٨ : وصفة الصفو ٤/١٣٤ - ١٣٧ : والرسالة القشیرية ، ٢٠ : وطبقات الشعراوی ٩٣/١ : وتاريخ بغداد ٢٤١/١ : والشذرات ٨٧/٢ : ومراة الجنان ١١٨/٢ : والسلمي

فاعصه فى موضع لا يراك ، وأسند عن بعض أتباع التابعين .

(٧٩) الحسن البصري^(١)

حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والشجن ، عديم النوم والوسن ، كان لحصول الدنيا وزينتها نابذا ، ولشهوة النفس ونحوتها واقذا ، وقد قيل : التصوف التقنية من الدرن ، والتلوّقية من الدخن ، والتوفيقية من البدن للتبقيبة في العدن ، كان أبوه من نسان فسبى فهو مولى للأنصار ، ثم صار من رؤوس العباد الأخيار ، صلى الغداه بوضوء العشاء أربعين سنة ، وكان أكثر مشية حافيا ، ومع ذلك له هيبة عظيمة ، وكان أشبه الناس سريرة بعلانية وقولا بفعل ، وإن أمر بأمر كان أول عامل به أو نهى عن شئ كان أترك الناس له ، وكان إذا قعد بين الناس يقعد ذليلا وإذا تكلم بكلام رجل أمر به إلى النار كأنها لم تخلق إلا له ، وكان كثير البكاء والحزن ما رأه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة ، قال الغزالى رضى الله عنه كان الحسن أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء وأقربهم هديا من الصحابة اتفق العلماء فى حقه على ذلك ، وقال ابن عربى رضى الله عنه : الحسن عندنا من أئمة أهل طريق الله جل جلاله ومن أهل الأسرار والإشارات ، وقال الحافظ : كان يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفقه الناس إلا الحسن وأفصحهم إلا الحسن ، ونظر إليه راهبان فقال أحدهما لصاحبه مل بنا إلى هذا الذى سمته سمة المسيح فعدلا إليه فألفياه مفترشا لذقنه ، ظاهر كفه ، وهو يقول يا عجبا لقوم أمروا بالزاد وأذنوا بالرحيل ما الذى ينتظرون .

(١) خلاصة تهذيب الكمال ، ٦٦ : والسلمي ، ٢٥٢ : وتهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ - ٢٧٠ : والمعارف لابن قتيبة ، ٤٤١ - ٤٤٠ : والشذرات ١٣٦/١ - ١٣٩ ، وميزان الاعتadal ٢٥٤/١ : وحلية الأولياء ١٣١/٢ .

(ومن كلامه) : يحق لمن علم الموت مورده ، وال الساعة موعده ، والقيامة مشهده أن يطول حزنه ، وقال : لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل ، وقال أدركت سبعين بدرها لبأسهم الصوف لو رأيتموه قلتم مجانيـ . ولو رأوا خياركم قالوا : مالهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، وقال التفكـر يدعو إلى الخير والعمل به ، والنـدم على الشر يدعو إلى تركه وليس مايفنى وان كثر يعدل ما يبقى ، فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة التي قد تزيـنت بخدعها وغرت بغرورها ، وقال عقوبة العلماء موت القلوب وموتها طلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقال : هجران الأحمق قربة إلى الله ، وقال : ابن آدم نفسك نفسك إنما هي نفس واحدة إن نجـت نجـوت وإن هلكـت هـلكـت ولم ينفعك من نجا ، كل نعـيم دون الجنة حـقـير ، وكل بلـاء دون النار يـسـير ، وقال : إذا أراد الله بعد سوءا خـتـم له بـأـسـوـأـ عملـهـ ثم توـفـاهـ عـلـيـهـ ، وقال جـريـنا وجـربـ المـجـريـونـ فـلـمـ بـغـيرـ ، وـسـئـلـ أـيـنـاـمـ إـبـلـيسـ فـتـبـسمـ ، وـقـالـ : لـوـنـامـ لـوـجـدـنـاـ رـاحـةـ ، وـقـالـ مـنـ اـنـقـطـعـ إـلـىـ اللهـ فـيـ مـسـجـدـ لـلـذـكـرـ وـالـصـلـاتـ أـقـامـ اللهـ لـهـ الدـنـيـاـ خـادـمـةـ ، وـقـالـ المـقـيمـ فـيـ مـسـجـدـ مـرـابـطـ عـلـىـ طـاعـةـ اللهـ يـدـفـعـ اللهـ بـهـ وـبـدـعـائـ الـبـلـاءـ عـنـ الـعـبـادـ وـالـبـلـادـ ، وـقـالـ : وـدـدـتـ أـنـىـ أـكـلـتـ أـكـلـةـ فـصـارـتـ فـيـ بـطـنـيـ أـجـرـةـ فـقـدـ قـيلـ : إـنـهـ تـكـثـ فـيـ الـمـاءـ أـكـثـرـ مـنـ أـلـفـ عـامـ ، وـقـالـ : الدـنـيـاـ دـارـ عـلـمـ مـنـ صـحـبـهاـ بـالـبـغـضـ لـهـ وـالـزـهـدـ فـيـهاـ سـعـدـ بـهـ وـنـفـعـتـهـ صـحـبـتهاـ ، وـمـنـ صـحـبـهاـ بـرـغـبـةـ وـمـحـبـةـ شـقـىـ بـهـ وـأـسـلـمـتـهـ إـلـىـ مـالـاـ صـبـرـ لـهـ عـلـيـهـ ، وـقـالـ غـداـ كـلـ اـمـرـئـ بـاـ يـهـمـهـ وـمـنـ هـمـ بـشـئـ أـكـثـرـ مـنـ ذـكـرـهـ ، إـنـهـ لـاـ عـاجـلـةـ لـمـنـ لـاـ أـجـرـ لـهـ وـمـنـ آـثـرـ دـنـيـاهـ عـلـىـ آـخـرـتـهـ فـلـاـ دـنـيـاـ لـهـ وـلـاـ آـخـرـةـ ، وـقـالـ : لـوـ كـنـتـ مـنـ رـضـىـ بـقـتـلـ الـحـسـينـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ وـعـرـضـتـ عـلـىـ الـجـنـةـ مـاـ قـبـلـتـهـ حـيـاءـ مـنـ الـمـصـطـفـىـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ سـلـمـ ، وـقـالـ : عـجـباـ لـقـوـمـ أـمـرـواـ بـالـزـادـ وـنـوـدـيـ بـالـرـحـيـلـ فـيـهـمـ وـحـبـسـ أـوـلـاهـمـ عـنـ أـخـراـهـمـ وـهـمـ قـعـوـدـ يـلـعـبـونـ ؟ـ !!ـ اـبـنـ آـدـمـ السـكـينـ تـعـدـ ، وـالـتـنـورـ يـسـجـرـ ، وـالـكـبـشـ يـعـلـفـ كـفـىـ بـالـتـجـارـبـ وـيـتـقـلـبـ الـأـيـامـ عـظـةـ

ويذكر الموت زاجراً عن العصية ، ذهبت الأيام ، وبقيت الآثام قلائد في الأعناق ، وقال ما أعطى رجل شيئاً من الدنيا إلا قيل له : خذه ومشله من المحرض ، وقال : أشد الناس صرفاً يوم القيمة رجل سن ضالة وأتبع عليها ، ورجل سُيءَ الملكة ، ورجل فارغ استuhan بنعم الله على معاشه ، وقال المؤمن كالعنيزة يكفيه كف من حشف وقبضة من سويق وجرعاً من ماء ، والمنافق كالسبع الضارى بلعاً بلعاً وشرط شرطاً لا يطوى بطنه بحاره ولا يؤثر أخاه بفضله ، وجهوا هذه الفضول أمامكم ، وقال بذل المجهود في بذل الموجود منتهي الجود ، قال حَقْ النور حول الرجال قلماً يثبت له القلوب الحمقاء ، وقال عجب لابن آدم يغسل الخراء بيده مرة أو مرتين ثم يتکبر يعارض جبار السماء وقد قال : « وفي أنفسكم أفلاتبصرون »^(١) ، وقال لا يغرنك قول من يقول ، المرأة مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم ، وقال الغزالى رضى الله عنه هذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع ورأى ناساً في يوم عيد يضحكون ويلعبون فقال : إن الله جعل الصوم مضمار العباد ليستبقوا إلى طاعته ولو كشف الغطاء لشغل كل محسن باحسانه وكل مسىء بإساءاته عن تجديد ثواب أو ترجيل شعر ، وقال ما رأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ، وقال وقد عوتب على تخويفه الناس بوعظه أن من خوفك حتى تلقى الأمان خير من أمنك حتى تلقى الخوف ، وقال له رجل : بنيت داراً أحب أن تدخلها وتدعو فدخل فنظرها ثم قال أخربت دارك ، وعمرت دار غيرك ، غرك من في الأرض ومقتك من في السماء ، ورأى رجلاً يأكل بين المقابر فزجره ووبخه وقال : أما في حال هؤلاء الأموات ما يكفيك عن تذكرة الأكل ، ورأى آخر كذلك ، فقال له والله إنك منافق أناكل بين المقابر !!! ومر بدار بعض المهاوبة فقال رفع الطين ووضع الدين ، وقال أدركت أقواماً ماتطوى لأحدهم في بيته ثوب

قط ولا أمر في بيته بصنعة طعام قط ، وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط ، وقال : ما الدنيا كلها من أولها إلى آخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في نومه ما يحب ثم انتبه وقال رجل : الفقهاء يقولون كذا فقال هل رأيت فقيها إنما الفقيه الراهد في الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة ربه ، وقال : بلغنا أن الله يقول يا ابن آدم خلقتك وتعبد غيري ، وتذكّر بي وتنسانى إن هذا إلا ظلم في الأرض ، وقال : إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك ، وقال فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذى لب فرحا ، وقال والله ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله ، وقال رجل : أريد سفرا فأوصنـى قال حيشـما كنت فأعزـ أمر الله يعزـك ، وقال ضحك المؤمن غفلة من قلبه ، وقال الإسلام أن يسلم قلبك لله ويسلم منك كل مسلم وكل ذي عهد ، وقال : إياكم وماشـلـ من الدنيا فـأنـهاـ كـثـيرـ الأـشـغالـ لاـيفـتحـ رـجـلـ علىـ نـفـسـهـ بـابـ شـغـلـ أـلـاـ يـوـشكـ ذـلـكـ الـبـابـ أـنـ يـفـتحـ عـلـيـهـ عـشـراـ ، وقال رـحـمـ اللهـ رـجـلـ لـايـغـرـهـ مـاـ يـرـىـ مـنـ كـثـرـ النـاسـ ، ابنـ آـدـمـ قـوـتـ وـحدـكـ وـتـدـخـلـ الـقـبـرـ وـحدـكـ وـتـبـعـثـ وـحدـكـ وـتـحـاـسـبـ وـحدـكـ أـنـتـ الـمـعـنىـ إـيـاكـ يـرـادـ ، وقال : بـشـسـ الرـفـيقـانـ الدـرـهـمـ وـالـدـيـنـارـ لـاـ يـنـفـعـانـكـ حـتـىـ يـفـارـقـانـكـ ، وقال ابنـ آـدـمـ طـأـ الـأـرـضـ بـقـدـمـكـ فـإـنـهاـ عـنـ قـلـيلـ قـبـرـكـ ، إـنـكـ لـمـ تـزـلـ فـىـ هـدـمـ عـمـرـكـ مـنـذـ سـقـطـتـ مـنـ بـطـنـ أـمـكـ وـقـالـ لـاتـخـالـفـواـ اللـهـ عـنـ أـمـوـهـ فـأـنـ خـلـاقـكـ عـنـهـ عـمـارـةـ دـارـ قـضـىـ اللـهـ عـلـيـهـ بـالـخـرـابـ ، وـقـالـ هـاـنـواـ عـلـىـ اللـهـ فـعـصـوـهـ وـلـوـ عـزـواـ لـعـصـمـهـ ، وـقـدـ سـئـلـ عـنـ حـدـيـثـ : «ـ الإـيمـانـ الصـبـرـ وـالـسـماـحةـ »ـ فـقـالـ : الصـبـرـ عـنـ مـعـصـيـةـ اللـهـ وـالـسـماـحةـ بـأـدـاءـ فـرـائـضـهـ ، وـقـالـ فـضـلـ الـفـعـالـ عـلـىـ الـمـقـالـ مـكـرـمـةـ ، وـفـضـلـ الـمـقـالـ عـلـىـ الـفـعـالـ مـنـقـصـةـ ، وـقـالـ مـنـ أـقـبـلـ بـقـلـبـهـ عـلـىـ اللـهـ أـقـبـلـ بـقـلـوبـ خـلـقـهـ إـلـيـهـ وـقـالـ لـوـ نـادـيـ مـنـادـ بـالـمـسـجـدـ لـيـخـرـجـ أـفـسـقـ النـاسـ وـأـقـلـهـمـ حـيـاءـ مـنـ اللـهـ مـاـ سـبـقـنـىـ لـلـخـرـوجـ أـحـدـ ، وـقـالـ : يـسـتـعـانـ عـلـىـ دـفـعـ وـسـوـسـةـ إـبـلـيـسـ بـالـذـكـرـ وـالـقـرـاءـةـ وـالـنـفـسـ بـالـصـومـ وـالـصـلـاـةـ وـالـمـجـاهـدـةـ وـالـرـياـضـةـ ، وـقـالـ : إـذـاـ أـذـنـبـ عـبـدـ ثـمـ تـابـ لـمـ يـزـدـدـ مـنـ اللـهـ إـلـاـ قـرـباـ ، وـهـكـذـاـ كـلـمـاـ أـذـنـبـ لـأـنـهـ دـائـمـ السـيـرـ بـذـنـبـهـ وـبـغـيرـهـ حـتـىـ يـصـلـ لـلـآـخـرـةـ ، وـقـالـ لـهـ رـجـلـ : إـنـ قـلـبـيـ قـسـاـ فـقـالـ :

عليك بمجالس الذكر والإحسان لليتيم ، وقال : أدركت قوما كانوا فيما أحلى الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله ، وقال طمع العالم في الدنيا يشينه ويده بحرمته من القلوب ، وقال : ذم الرجل نفسه مدح لها ، وقال ليس أخيك من تحتاج إلى مداراته ، وكان إذا قعد بين الناس يقعد ذليلا وإذا تكلم بكلام رجل أمر به إلى النار كأنها لم تُخلق إلا له ، وقال : قد عبد بنو إسرائيل الأوثان بعد عبادتهم الرحمن بحبيهم الدنيا ، وقال أرى رجالا ولأرى عقولا أسمع أصواتا ولا أدرى أنيسا ، وقال : خصلتان إذا صلحتا صلح ما سواهما وإذا فسستا فسد الركون إلى الظلمة والطفيان في النعمة ، وقال جمع الله الخير والشر كله في آية واحدة « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » الآية وقال لو علم العابدون إنهم لا يرون ربهم يوم القيمة لما توا ، وقال : من لبس الصوف تواضعوا زاده نوراً في قلبه وبصره ، ومن لبسه إظهاراً للزهد وتكبراً كور في جهنم مع الشياطين ، وقال : ما كل الناس يصلح للبس الصوف لأنه يتطلب صفاء ومراقبة ، وقيل له : ألا تغسل قميصك ؟ قال الأمر أعدل من ذلك ، وقيل له : ما سبب لبسك الصوف فسئل فقيل له أفلأ تحبب قال : إن قلت زهداً زكيت نفسى ، أو فقرأ أو ضيقاً شكت ربى ، ولما بلغه موت الحاجاج سجد وقال : اللهم عقيرك وأنت قتلتة فأمات سنته وأرحا من عمله الخبيث ، وكان يقول لقاتل المؤمن عمداً فدس اليه عمرو بن عبيد رجلاً وقال قل له لا يخلو من أن يكون مؤمناً أو كافراً أو منافقاً أو فاسقاً فإن كان مؤمناً فإن الله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ وإن كان كافراً فإنه يقول : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يَغْفِرُ لَهُمْ﴾ الآية ، وإن كان منافقاً فإنه يقول : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ الآية وإن كان فاسقاً فإنه يقول : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فقال للرجل : من أين لك هذا ؟ قال اختلج في صدرى ، قال : محال أصدقنى فقال عمرو فقال الحسن عمرو وما عمرو إذا قام بأمر قعد به وإذا قعد بأمر قام به ورجع ، ومناقبه كثيرة مات سنة عشر ومائة ، ورأى بعض الأولياء ليلة موته أبواب السماء مفتوحة وكأن مناديا

ينادى ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنده راض .

(٨٠) الحسن بن صالح الكوفي^(١)

الهمدانى الإمام القدوة ، الفقيه الحجة ، كان من العباد الزهاد ، كثير الصدقة والاجتهاد ، ذا حرماء وافرة ، وتربية للمريدين عن الحسن السفارى سافرة ، ودين متين ولطف زائد ، وصلة نفعها على الرائد عائد ، وكان يستحبى أن يواجه أحداً بالنصح وإنما يكتب له فى ورقة وكان يتتنفس الدم لشدة خوفه من الله ، وإذا أبصر المقابر غشى عليه وإذا بكى سمع صراخه كأهل المصائب .

(ومن كلامه) أن الشيطان يفتح للعبد تسعه وتسعين بابا من الخير يريد بها بابا من الشر ، وقال : فتشنا الورع فلم نجده فى شئ أقل من اللسان ، وقال : عمل الحسنات يقوى البدن ، وينور الوجه والقلب والبصر والسيارات بالعكس ، وقال : أنا أستحبى من الله أن أتكلف النوم وإنما أجلس بين يديه حتى يصرعنى النوم ، وقال : لا يسمى رجل فقيها حتى يفرح إذا زويت الدنيا عنه ، مات سنة أربع وخمسين ومائة عن نحو أربع وخمسين سنة .

(٨١) حبيب الفارسي العجمي^(٢)

كان مجاب الدعوة حسن التربية والسياسة ، وافر الهمة والرياسة ، محافظاً على الخلوة لاكتساب المجلوء ، وكان من التجار فحضر مجلس الحسن رحمة الله وهو غافل لا يلتفت إلى شئ مما يقوله الحسن إلى أن التفت إليه الحسن رضى الله عنه يوماً فوعظه فخرج عن ما كان يملأه وجده واجتهد ، وكان يبكي

(١) تهذيب التهذيب ٢٨٥ / ٢ : وتهذيب الكمال والخلاصة : وميزان الاعتدال ٢٣٠ / ١ ، والشذرات ٢٦٣ - ٢٦٢ ، وفيها جاءت وفاته سنة ١٦٧ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٨٩ / ٢ ، وحلية الأولياء لأبي تعيم ، وذكره ابن حبان في الثقات .

الليل كله فتقول له أمه : ما هذا البكاء فيقول دعيني فإني أريد أن أسلك طريقاً
لم أسلكه قبل .

(ومن كلامه) : إن الشيطان ليلاعب بالقراء كما يلعب الصبيان
بالجوز ، وقال : لا تقدعوا فراغاً فإن الموت يليكم ، وقال : إن من سعادة المرأة
إذا مات ماتت معه ذنوبه ، وكان يخلو في بيته ويقول لا قرة عين لمن لم تقر
عينه بك ، ولا فرح لمن لم يفرح بك ، وعزتك إنك تعلم أنى أحبك .

(ومن كراماته) أن رجلاً شكى له ديناً فقال : أفترض وأنا أضمن
فضمن فطولب عند الأستحقاق فقال لرب الدين : اذهب فان وجدت في المسجد
شيئاً فخذه فذهب فإذا في المسجد صرة فيها ذلك وزيادة ، وعجبت أمه فذهبت
تأتي بنار لتخبزه فأتاها سائل فأعطاه العجين فجاءت فقالت : أين العجين ؟ قال
ذهبوا يخبرونه فأكثرت عليه فأخبرها فقالت لا بد شئ نأكله فإذا برجل لا يعرف
 جاء بجفنة عظيمة مملوقة خبراً ولحما فقالت ما أسرع ما ردوه عليك خبزوه وجعلوا
معه لحما ، وكان يحج من بلاد فارس إلى مكة في الهواء وكان يأخذ متاعاً من
التجار فيتصدق فأخذ مرة فلم يجد ما يوفيه فقال يارب ينكسر وجهي عندهم
فدخل فإذا هو بحوالق من الأرض إلى سقف البيت مملوقة دراهم فقال : يارب ليس
أريد هذا فأخذ حاجته وترك البقية ، وقال له رجل : لى عليك ثلثمائة قال : من
أين ؟ قال لى عليك قال اذهب إلى غد ثم قال : اللهم إن كان صادقاً فأد إليه
وإلا فابتله في بدنـه ، فجئ به محمولاً مفلوجاً فقال : التوبة فقال : اللهم إن كان
صادقاً فعافه فكأنـا نشط من عقالـ ، وأذاهـ رجلـ وأغلظـ فرفع يديهـ إلى السماءـ
وقال : اللهم إنـ هذا قدـ شغلـناـ عنـ ذـكرـكـ فأـرحـناـ منـهـ فـخـرـ مـيـتاـ ، وجـزعـ عندـ الموـتـ
جزـعاـ شـديـداـ وقالـ أـريدـ أنـ أـسـافـرـ سـفـراـ ماـ سـافـرـتـهـ قـطـ وأـسـلـكـ طـرـيقـاـ مـاسـلـكتـهـ

قط ، وأريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيمة ثم أوقف بين يدي الله تعالى فماذا أقول ، وكان مشغولاً بالتعبد فلم تعرف له رواية رحمة الله .

(٨٢) حذيفة بن قتادة المرعشى

العبد الزاهد صوفى أضاء نوره وعظمت مجاهدته ، وتضاعفت أجوره :
فصيح العبارة ، مليح الإشارة ، حسن الأخلاق ، جميل الأعراق ، صحب سفيان
الثورى وغيره ، وله كلام نافع فى التصوف العبادة .

(فمن كلامه) لو أصبت من يبغضنى على حقيقة فى الله لا أوجبت
على نفسي حبه ، وقال : إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل عملك فأنت
هالك ، وقال : لا تجالس من لم يرخص لك ويعطيك ، وقال : إن أطعت الله فى
السر أصلح قلبك شئت أو أبيت ، وقال : لو جاءنى رجل وقال : والله ما عملك
عمل من يؤمن بيوم الحساب لقلت له يا هذا لا تكفر عن يمينك فإنك لم تحنث ،
وقال لجماعته : إنى لأستغفر الله من كلامكم إذا خرجتم من عندي خمسين
مرة ، وقال إنما هى أربعة : عيناك . ولسانك . وهواك . وقلبك ، فانظر عينيك
لاتنظر بهما إلى مالا يحلّ ، ولسانك لا تقتل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك ،
وقلبك لا يكن فيك غلّ ، ولا دغل على أحد من المسلمين ، وانظر هواك لاتهوى
شيئاً فمالم تكن فيه هذه الأربع فالرماد على رأسك ، وقال : ثلاط خصال إن
كن فيك لم ينزل من السماء خير إلا كان لك فيه نصيب : يكون عملك لله
وتحب للناس ما تحب لنفسك ، وهذه الكسرة تحرّ فيها ما قدرت ، وقال : الخير
كله فى حرفين مداراة الخير من حله ، وإخلاص العمل لله حسبك ، وقال :
ما أصيّب أحد بمصيبة أعظم من قسوة قلبه ، وقال : إذا رأيت الرجل قد جلس
ليجلس إليه فلا تجلسوا إليه ، وقال : ما أعلم من أعمال البر أفضل من
لزومك بيتك ، وقال : إياكم وهدايا الفجار ، والسفهاء فإنكم أن قلبتموها

ظنوا أنكم رضيتم فعلهم ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائة ، قيل سبع ومائتين ،
وكان مشغولا بالرعاية عن الدراية ، وقد صحب الشورى رضي الله عنه .

(١) حماد بن سلمة (٨٣)

الشهر بالإمامية ، المعروف بالاستقامة ، كان لخطير الأعمال
مصطاعنا ، ويسير الأقوات مقتنعا ، وقد قيل : التصوف بذل الروح طول المدة ،
وتبدل الروح بالشدة ، وكان عظيم المجاهدة جدا ؛ ولم يُر ضاحكاً قط ، قال ابن
حيان : وكان من العباد المجابين الدعوة .

(ومن كلامه) : لو قيل لي : إنك قوت غدا ما قدرت أن أزيد في
العمل شيئاً ، وقال : من طلب الحديث لغير الله مُكرّبه ، وأسند الحديث عن خلق
لايحصرون من التابعين بل قيل : وعن أنس وخرج له الجماعة أجمعون ، ومات
سنة ثمان وستين ومائة وروى النووى رضي الله عنه بإسناده عن أبي عبد الله
التميمي عن أبيه : رأيت حماد بن سلمة في النوم فقلت : ما فعل بك ؟ قال :
خيراً ، قلت : بماذا قال طالما كدرت ، فالليوم أطيل راحتك وراحة المقربين من
أجلى بخ ماذا أعددت لهم ؟ !!

(٢) حماد بن زيد (٨٤)

الإمام الرشيد ، الآخذ بالأصل الوكيد ، المتمسك بالمنهج الحميد ، نزل من
العلوم بال محل الرفيع ، وتوصل إلى الوصول بالتصوف المنبع ، واقتبس الآثار عن
الأخير ، وأخذ الأعمال عن الأولياء ، قال عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت أحداً

(١) الشذرات ٢٦٢/١ وفيها توفي سنة ١١٦٧هـ : وتهذيب التهذيب ١١/٣ - ١٦ - ١٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/٣ - ١١ : والشذرات ٢٩٢/١ ، وفيها وفاته سنة ١٧٩هـ .

أعرف بالسنة منه ، أنسد عن خلق كثير من التابعين ، خرج حديثه الأئمة الستة
ومات سنة تسع وتسعين ومائة عن إحدى وثمانين سنة .

(٨٥) حبيبة العدوية

العايدة الزاهدة ، كان دأبها إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت
عليها درعها وخمارها فقالت : إلهي غارت النجوم ونامت العيون ، وغلقت
الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ،
إذا كان السُّرُّ قال اللهم هذا الليل قد أدررت وهذا النهار قد أسفرت فليت شعرى
هل قبلت مني ليلى فأهنا أم ردتها على فأعزى ، فوعزتك لهذا دأبى ودأبك
أبداً ما أبقيتنى ، وعزيزك لو انتهرتني ما برح من بابك ، ولا وقع فى قلبي غير
جودك وكرمك .

حرف الخام المعجمة

(٨٦) خالد بن عبد الله البصري^(١)

صوفى عظيم الرفعه ، بعيد الصيت والسمعة ، أجاد فى السلوك كل الإجاده ،
وعمر المریدين بسحائب الإرشاد والإفاده ، كان يقوم الليل ويصوم النهار .

(ومن كلامه) هل منكم من لا يحب أن يلقى حبيب ، فأحبوا ربكم
وسيروا إليه سيراً كريماً ، وقال : المؤمن لا تلقاء إلا فى ثلات خلال ، مسجد
يعمره أو بيت يستره ، أو حاجة من أمر دنياه لا يأس بها ، وقال : كلنا قد أيقن
بالموت وما نرى له مستعدا وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاماً ، وكلنا
أيقن بالنار وما نرى لها خائفا فعلام تعرجون ، وما عسيتم تنتظرون ، الموت وهو أول
وارد عليكم من الله بخير أو شر . فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً .

(١) تهذيب التهذيب ١٠١/٣ .

(٨٧) خالد بن معدان الكلاعي^(١)

كان من أكابر العارفين الزاهدين ، العابدين الورعين القانتين ، رفيع الرتب عارفاً بالتسلیک والأدب ، أخلاقه جميلة ، وأنوار معرفته لغیاہ الشکوك مزبله .

(ومن کلامه) مامن عبد إلا وله أربع أعين : عینان في وجهه يبصريهما أمر الدنيا ، وعینان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، وإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه فيبصري بهما ما وعد بالغیب فآمن بالغیب وإذا أراد بعد غير ذلك تركه على ما هو عليه ثم قرأ « أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا » الآية ، وقال : خلقت القلوب من طين فھی تلين في الشتاء ، وقال : لو كان الموت علما يستيق الناس إليه ما سبقني إليه أحد إلا رجل سبقنى بفضل قوله . وأخذ ابن عبد العزیز بيده وقال : ما علينا ، قال : عليكم أذن سمیعة وعین بصیرة ، فأرعد عمر وزرع يده ، أسند عن معاذ وعبادة وأبی ذر وغيرهم ، ومات سنة ثلاثة أو أربع ومائة .

(٨٨) خیثمة بن عبد الرحمن الكوفی^(٢)

المطعم للإخوان ، المكرم للخلان . كان بالنعم واثقا ، وللقائه تعالى تائقا ، وقد قيل : التصوف ، الانتقام من الأغراض للابتغاء من الأعراض .

(ومن کلامه) إذا طلبت شيئاً فوجدته فاسئل الله في ذلك اليوم الجنة فلعله يوم دولتك أو استجيب لك فيه ، ورث مائة ألف فرقها على الفقراء والفقهاء وأسند الحديث عن عدة من الصحابة ، ومات سنة ثمانين ولأبيه ولجده صحبة .

(١) تهذیب التهذیب ١١٨/٣؛ وحلیة الأولیاء ، والشذرات ١/١٢٦؛ وفيها وفاته سنة ٤١٠ هـ .

(٢) تهذیب التهذیب ٣/١٧٨ (٣٣٨) .

وستين سنة أعزبَ فقيل له : أما تستوحش ؟ فقال : حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا وأهلها ، وكان قد ورث من أمه أربعمائة درهم ، فمكث ينتقوت بها ثلاثين عاما ، وكان الغالب عليه الحزن .

(ومن كلامه) : إنما شُرع تعلُّم العلم ليعمل به الطالب أولا فأولا فإذا قطع عمره في تحصيله فمتى العمل ، وقال : علامة كمال الزهد في الدنيا ترك مجالسة أهلها وعيادتهم إذا مرضوا إلا بنية خالصة عن العلل ، وكان لا يتجرأ أن يسأل الله الجنة ويقول : وددت أنني أنجو من النار وأصير ترابا ، وقال له رجل : أوصنني قال : عسکر الموتى ينتظرك ، وقال له آخر : أوصنني قال أقلّ من معرفة الناس ، قال : زدني قال أرض بالقليل من الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بها مع فساد الدين ، وقال : إنما الليل والنهر مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل ، فتزود لسفرك واقض ما أنت قاضٍ فكأنك بالأمر قد بعثتك والسلام ، وقال : لا تهر الدنيا دينك فمن أمرها دينه زفت إليه الندم ، وسألته رجل أراد تعلم الرمي فقال : الرمي حسن لكنها أيامك فانظر بما تقطعها ، وقال : إن كان لك بيدينك حاجة ففر من الناس فرارك من الأسد فصغيرهم لا يوقرك وكبيرهم يحصى عليك عيوبك ، وقال : مسكن ابن آدم قطع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار ، وقال : اصحاب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤنة عليك وأكثرهم معونة لك ، وقال : إذا كنت تشرب الماء المبرد وتأكل الذيذ المطيب وتمشي في الظل فمتى تحب الموت والقدوم على الله ، وأناه رجل فقال ما حاجتك قال جئت لزيارتكم فقال : أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت لكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت فيزار ؟ ومن الزهاد أنت لا والله ، فمن العباد ؟ لا والله ، فمن الصالحين ؟ لا والله ، ثم أقبل يويغ ، نفسه يقول : كنت في الشبيبة فاسقا ، فلما كبرت صرت مريأة والله للمرأى شر من الفاسق ، وقال : إنني أستحي من الله أن يرانى أخطو خطوة ألتمس فيها راحة نفسى في

حرف الدال المهملة

(٨٩) داود بن نصير الطائى (١)

أبو سليمان الفقيه الوعى ، البصیر الرأوى ، العابد الطاوی ، أبصراً معتبراً وسبق مبتدراً ، تشمـر منتصباً ، وانتظر مرتقباً ، أضناه الغرق ، وأنهاه القلق ، وقد قيل : إن التصوف تـشـمـر للاستباق ، وتـضـمـر للحـاق ، وقد أثـنـى عليهـ كـثـيرـ منـ الأـعـيـان ، فـقـالـوا : كانـ رـفـيعـ المـقـدـارـ كـثـيرـ الـمـرـيـدـينـ وـالـأـنـصـارـ ، فـسـيـحـ الـأـرـكـانـ وـاضـحـ الـمـهـاجـ ، بـحـرـ عـلـمـهـ مـتـراـكـمـ الـأـمـوـاجـ ، أـخـذـ الـحـدـيـثـ عـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ عـمـيرـ وـعـرـوـةـ بـنـ هـشـامـ ، وـالـأـعـمـشـ ، وـعـنـهـ اـبـنـ عـلـيـةـ وـإـسـحـاقـ السـلـولـىـ ، وـأـبـوـ نـعـيمـ وـمـصـعـبـ بـنـ الـمـقـادـمـ وـجـمـاعـةـ ، قـالـ الذـهـبـىـ رـحـمـهـ اللـهـ : كـانـ إـمامـاـ فـقـيـهاـ ذـاـ فـنـونـ عـدـيـدةـ ؛ ثـمـ تـعـبـدـ وـأـثـرـ الـخـلـوـةـ وـالـوـحـدـةـ وـأـقـبـلـ عـلـىـ شـائـنـهـ ، وـسـادـ أـهـلـ زـمانـهـ اـنـتـهـىـ ، وـقـالـ غـيـرـهـ : كـانـ يـحـضـرـ مـجـلـسـ أـبـىـ حـنـيـفـةـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ فـقـالـ أـبـوـ حـنـيـفـةـ يـوـمـاـ فـىـ تـقـرـيـرـهـ ، أـمـاـ الـأـدـلـةـ فـقـدـ أـحـكـمـنـاـهـاـ فـقـالـ لـهـ دـاـوـدـ رـحـمـهـ اللـهـ : فـمـاـ بـقـىـ ؟ قـالـ : الـعـلـمـ بـمـاـ عـلـمـنـاـ فـاعـتـزـلـهـ وـتـزـهـدـ وـتـعـبـدـ وـانـقـطـعـ لـذـلـكـ حـتـىـ صـارـ فـىـ الـمـجـاهـدـةـ فـحـلـاـ مـنـ الـفـحـولـ ، هـجـرـ الـوـطـنـ وـوـقـفـ الـمـوـاقـفـ التـىـ تـهـوـلـ ، وـثـبـتـ حـيـثـ الـأـقـدامـ تـزـلـ وـالـأـحـلـامـ تـحـولـ ، وـأـتـاهـ بـعـضـ رـفـقـائـهـ فـىـ الـدـرـسـ فـقـالـواـ : يـاـ أـبـاـ سـلـيمـانـ جـفـوتـنـاـ ، فـقـالـ لـيـسـ مـجـلـسـكـ ذـاكـ مـنـ أـمـرـ الـآـخـرـةـ فـىـ شـئـ اـسـتـغـفـرـ اللـهـ ، اـسـتـغـفـرـ اللـهـ ثـمـ قـامـ وـتـرـكـهـمـ ، وـقـيلـ : إـنـاـ سـبـبـ تـوـيـتـهـ أـنـ اـمـرـأـ جـاءـتـ إـلـىـ أـبـىـ حـنـيـفـةـ رـحـمـهـ اللـهـ تـسـأـلـهـ عـنـ مـسـأـلـةـ فـأـجـابـهـاـ فـأـعـجـبـتـ بـجـوابـهـ ثـمـ قـالـتـ : هـذـاـ الـعـلـمـ ، فـأـيـنـ الـعـلـمـ ؟ فـأـثـرـ كـلـامـهـاـ فـىـ قـلـبـ دـاـوـدـ رـحـمـهـ اللـهـ فـاعـتـزـلـ وـتـعـبـدـ فـصـارـ عـظـيمـ الشـأـنـ عـلـمـاـ وـعـمـلاـ وـزـهـداـ وـورـعاـ ، وـكـانـ إـذـاـ خـرـجـ مـشـىـ فـىـ الـطـرـقـ الـمـهـجـورـةـ الـبـعـيـدةـ فـيـقـالـ لـهـ : الـطـرـيقـ مـنـ هـاـهـنـاـ أـقـرـبـ فـيـقـولـ فـرـ منـ النـاسـ فـرـارـكـ مـنـ الـأـسـدـ ، وـمـكـثـ أـرـبـعاـ

(١) داود بن نصير ، أبو سليمان الطائى ، المتوفى سنة ١٦٥ هـ ، تاريخ بغداد ٢٢١/١١ ؛ والسلمى ص ٨٥ : والشذرات ، ٢٥٦/١ ، وتهذيب التهذيب . ٢٠٣/٣

الدنيا حتى يخرجنى الله منها ، وقيل له : لو أصلحت سقف هذا البيت قال : أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر ، وقد كان فى سقف مجاهد خشبة مكسورة لم يشعر بها مدة ستين سنة ، وقال : ما خرج أحد من ذل المعاشرى إلى عز التقوى إلا أغناه الله تعالى بلا مال وأعزه بلا عشيرة وأنسه بلا أنيس ، وقال : كل نفس ترد على همها فمهما بخير ومهما بشر . وقال له رجل : دلنى على رجل أجلس إليه قال تلك ضالة لا توجد ، ورؤى يوماً بشاطئ الفرات واقفا مبهوتا فقيل له : ما يوقفك هنا ، قال : أنظر إلى الفلك كيف تجرى فى البحر مسخرات بأمره . وكان عامة ليلته لا يهدأ يقول : اللهم همك عطل على الهموم وحالف بيني وبين السهاد ، وشوّقني إلى النظر إليك وامتنعنى اللذات والشهوات فأنما فى سجنك أيها الكريم . وكان يتترن فى السحر بشئ من القرآن فيرى أن جميع تنعم الدنيا جمع فى ترفة تلك الساعة وكان لايسرق سرجا أبداً . وكان يقول : مانعُول إلا على حسنظن بالله لاستيلاء التفريط على الأبدان وقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد . ومن طال أمله ضعف عمله وكل آت قريب ، وكل ما شغلك عن ربك فهو عليك مشئوم ، وقال : إن أهل الدنيا جمِيعاً من أهل القبور وإنما يفرحون بما يقدِّمون ، ويندمون على ما يخلفون ، فما عليه أهل القبور ندموا عليه أهل الدنيا يقتلون وفيه يتنافسون ، وقيل له : ما تقول فى رجل دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بمعرفة ونهاهم عن منكر ؟ قال : أخاف عليه السوط قال : إنه يقوى قال : أخاف عليه السيف قال : إنه يقوى قال : أخاف عليه الداء الدفين العجب ، وكانت النملة تدور فى وجهه طولاً وعرضًا فلا يفطن لها من الهم والحزن والتفكير . وقال له أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضى الله عنهما : مارأيت أحداً رضى من الله بمثل ما رضيت به ، فقال من رضى بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة فقد رضى بأدون ما رضيت ، وقال محمد بن الحسن : كنت إذا جئته أسأله عن المسئلة فإن وقع فى قلبه أنها مما أحتاجه فى أمر ديني أجابنى وإن وقع فى قلبه أنها من مسائلنا هذه تبسم فى وجهى وقال : إن لنا شغلاً عن

ذلك ، وقيل له بعد ما انقطع واعتزل : كنت تلازم أبا حنيفة وصحبه ثم اعتزلتهم ، قال : إذا كنا دهرنا في جمع الآلات فمتى يكون البناء . وقال : إن ما يبغيه الأكباس ملك لا زوال له وعيش لاموت فيه ، وقال : صم الدنيا وافطر على الموت حتى إذا كان عند المعاينة أتاك خازن الجنان بشريبة من ما في الجنة تشربها على فراشك فتخرج من الدنيا وأنت ريان وتنزل القبر وأنت ريان وتخرج منه وأنت ريان ، ويكت الناس يتربدون في ظلمة القيامة جياعا عطاشا ما شاء الله وأنت ريان حتى تدخل الجنة وأنت ريان . قال : سبيل الناس كلهم إلى الموت فمن أبغض الدنيا تبعه ومن أحبها قلته ومن وثق بها خذلته ، فاتق الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ، وقال : لو أملت أن أعيش شهراً لرأيتني قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخالق ليلاً ونهاراً ، وبلغه أنه ذكر عند بعض الأمراء فأثنى عليه فقال : إنما نتبليغ ستة بين خلقه ولو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذل لنا لسان بذكر خير أبداً ، وقال له شعيب بن طلحة أريد : أشتري داراً بقربك ليكثر لقائي لك ، فقال : إن مودة يغيرها قلة اللقاء لمودة مدخلة . وقال ماتت بجواري ولم يكن لها كبير طاعة فقيل له : يا داود اطلع في قبرها فاطلعت فرأيت فيه نوراً عظيماً وفرشاً وطيناً وسرراً عالية فقلت : بما استوجبتك؟ هذا فنوديت : استأنست بنا في سجدتها فأنسناها في وحديتها ، وسبب مرض موته أنه مر بآية فيها ذكر النار فكررها فأصبح مريضاً فدخل عليه إخوانه وهو يبيت على التراب تحت رأسه لبنة ، فلما مات خرج في جنازته ألف حتى ذوات الخدور فقال ابن السمّاك رحمه الله : ياداود سجنـت نفسك قبل أن تسجنـ وحاسبتها قبل أن تحاسبـ ، وعذبتها قبل أن تعذبـ فالليوم ترى ثوابـ ما كنت ترجوـ ولهـ كنتـ تنصبـ فقالـ ابنـ عياشـ وهوـ علىـ شفـيرـ القـبرـ اللـهمـ لـاتـكـلـ دـاـودـ إـلـىـ عـمـلـهـ فـاستـحـسـنـواـ كـلامـهـ ، مـاتـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـسـتـيـنـ وـمـائـةـ فـىـ السـنـةـ الـتـىـ مـاتـ فـيـهاـ إـبـراهـيمـ بـنـ أـدـهـمـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـماـ .

حرف الراء المهملة

(٩٠) رياح بن عمرو القيسي

صاحب المجد والفخر ، القانت لله في السر والجهر ، كان للدنيا قالياً ومنها هارباً وفي الآخرة راغباً ولها خاطباً ؛ مطحراً للكلف راقياً بهمته إلى أعلى الغرف ، كان إذا دخل المسجد بكى وإذا دخل بيته بكى وإذا دخل الجبانة بكى فيقال له أنت دهرك في مأتم فيقول : يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا ، واتخذ له غلاً من حديد فإذا جئه الليل وضعه في عنقه وتضرع ويكتوي حتى يصبح ، وقال الحارث بن سعيد : أخذ رياح رضي الله عنه بيدي وقال : هلم نبك على ممر الساعات ونحن على هذا الحال فخرجنا إلى المقابر فلما نظرها صرخ وأغمى عليه فقعدت عند رأسه أبكي فأفاق ، فقال : ما يبكيك قلت : مأري بك ، قال : لنفسك فابك ثم قال وانفسها فغشى عليه وسقط .

(ومن كلامه) شأن العاقل لا يجعل لبطنه على عقله سبيلاً فإن أيام الدنيا قلائل ، وقال : إياكم والإكثار من اللحم فإنه يقسى القلب وقال تحويل جبل من مكانه أسهل من إزالة حب الرياسة إذا استحکم ، وقال : نحت الجبال بالأظفار أسهل من مخالفه الهوى إذا تمكن ؛ وقال : رحم الله إخواناً زاروا قبور إخوانهم بقلوبهم وهم في محاربهم ، وقال : إذا قال رفيقك قصعتي فليس برفيق حتى يقول قصعتنا ، وقال : كما لا ينظر بصر الخفافش نور الشمس لا ينظر قلب محب الدنيا نور الحكمة وقال : عليك بمحالس الذكر وحسن الظن بولاك وكفى بهما خيراً ، وقال : مما أوصى به الخضر موسى عليهما السلام إياك أن تتعلم العلم لغيرك فلا تعمل به فيكون لغيرك نوره وعليك وزره ، وقال : لا يبلغ رجل منزلة الصدقية حتى يدع زوجته كأنها أرمملة وأولاده كأنهم أيتام ويأوى

مزابل الكلاب وكان أدهمه الملح والخبز ويقول لنفسه أمامك طعام العز والجاه
والفرش في الآخرة .

(٩١) الربيع بن خثيم

المختبт الورع ، المثبت القنع ، الحافظ لسره الضابط بجهره ، المعترف
بذنبه المفتر إلى ريه ، وقد قيل التصوف ، مشارفة السرائر ، ومصارفة الظواهر .
قال له ابن مسعود رضي الله عنه لو رأك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك
وانتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الربيع وقال له ابن الكوى : دلني على
من هم خير منك ، قال : من كان منطقه تذكر ، وصيته تفكرا ، وسيره تدبرا فهو
خير مني ، وأقام عشرين سنة لا يتكلّم بكلمة إلا بكلمة تصعد وقال : من انتظر
الناس يرشدونه فقد ضل سعيه ، وقال : كن وصي نفسك وإلا هلكت ولا تشعر ،
وخرج في ليلة شاتية وعليه برس من خز فرأى سائلا فأعطاه إياه ، وتلا ﴿لَن تَنَالُوا
الْبَرَ حَتَّى تَنْفَقُوا مَا تَحْبُّونَ﴾ الآية ، وكان يصنع الطعام الطيب كالخبيص ويأتى
بجار له مصاب فيطعمه فيقال له : هذا لا يدرى ما يأكل فيقول : لكن الله يدرى
وما كان يتصدق إلا برغيف صحيح ويقول : أستحب أن تكون صدقتي كسرا ،
وأصابه فالج فقيل : تداوى ، فقال : التداوى مشروع لكن عن قريب لا يبقى
المداوى ولا المندادوى ، وقيل له مرة أخرى إلا تداويت فقال : عرفت أن الدواء حق
لكن ذكرت عادا وثمودا وقرعوا بين ذلك كثيراً كانت فيهم الأوجاع ولهم الأطباء
فهل بقي منهم أحد ، وقيل له : ألا تذكر الناس قال : ماأنا عن نفسي براض
فأتأفرغ من ذمها إلى ذم الناس ، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوا
على ذنوبهم وقيل له : كيف أصبحت قال : ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر
آجالنا ، وكان يبكي حتى تبتل حيته ويقول : أدركنا أقواما في جنفهم
لصوصا ، وقال من أستغفر الله كثيرا كتب في راحته آمن من العذاب ، وقال :

أكثروا من ذكر الموت الذى لم تذوقوا قبله مثله فإن الغائب إذا طالت غيبته رُجِى مجىئه وانتظره أهله وأوشك أن يقدم عليهم ، وقيل له قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيئنا إنما يجتمع أولياءه ، وجلس على باب داره فجاءه حجر فصاك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول قد وعظت يا رب فقام ودخل داره فما جلس ببابها حتى أخرجت جنازته ، وقال : كل ما لا يبتغى به وجه الله تعالى يضمحل ، وسرق له فرس أعطى فيه عشرين ألفا فقيل له : أدع عليه فقال : اللهم إن كان غنيا فاغفر له وإن كان فقيراً فاغنه ، وكان إذا سجد كأنه ثوب مطروح فيقع الطير عليه ، وكان إذا أتاه سائل قال : أعطوه سكرا فإني أحبه وكان يكنس الحش بنفسه فقيل له : إنك تكافاه قال : أحب أن آخذ بنصبى من المهنـة ، وكان إذا وجد بالناس غفلة خرج إلى المقابر وقال : كنا وكنتم ثم يحيى هناك الليل كلـه ، وقالت له بنته : ما لك لاتنام الليل قال : إن أباك يخاف البيـات وقد قـيل : من خاف البيـات لم تأخذـه السـيـئـات ، وكان قد حـفر في داره قبرا فإذا وجد بقلبه قساوة دخله واضطـبع ومكث ساعـة ثم قال : رب ارجعـون لـعلى أـعمل صـالـحا ثم يقول : يا ربـع قد رـجـعت فـاعـمل قـبـلـ أن لـاتـرـجـعـ ، مـاتـ فـى أـواخرـ أـيـامـ مـعاـوـيـةـ ، وـلـمـ مـاتـ قـالـتـ بـنـيـةـ جـارـهـ لأـبـيهـ : يـأـبـتـ الأـسـطـوـانـةـ التـىـ كـانـتـ فـىـ دـارـ جـارـنـاـ لـأـرـاـهـ الـلـيـلـةـ أـينـ ذـهـبـتـ ؟ـ قـالـ : ذـاكـ جـارـنـاـ العـبـدـ الصـالـحـ قـدـ مـاتـ فـكـانـ لـطـولـ قـيـامـهـ فـىـ الـصـلـاـةـ تـظـنـهـ سـارـيـةـ .

(٩٢) الربيع بن أبي راشد

كان من العلماء الصالحة الصوفية الأنجباب حتى أنك إذا رأيته قلت : إنه مخمور من غير شراب ، ومن كلامه : حال ذكر الموت بيـنى وبين ذكر ما أـريدـ ولو فـارـقـ ذـكـرـ قـلـبـيـ ساعـةـ لـخـفـتـ أنـ يـفـسـدـ قـلـبـيـ ، ولـوـلـاـ أـخـالـفـ منـ قـبـلـيـ كـانـتـ الجـبـانـةـ سـكـنـىـ إـلـىـ أـنـ أـمـوتـ ، وـرـأـيـ مـرـيـضـاـ يـتـصـدـقـ بـصـدـقـةـ عـلـىـ جـيـرـانـهـ فـقـالـ : الـهـدـيـاـ أـمـامـ الـزـيـارـةـ فـلـمـ يـلـبـثـ الرـجـلـ أـنـ مـاتـ فـبـكـيـ الـرـبـيعـ وـقـالـ : عـلـمـ أـنـهـ لـاـ

ينفعه من ماله إلا ما قدم ، وقال : لو لا ما يؤمل المؤمنون من كرامة الله لهم بعد الموت لانشقت في الدنيا مرائرهم ولتقطعت أجوافهم ، أنسد عن سفيان الثوري وغيره .

(٩٣) الربيع بن عبد الرحمن

ويعرف بالربيع بن مرة ، صوفي عرفانه معروف وصفاته مورده موصوف ؛ نعم من أكابر العباد وأعاظم الزهاد .

(ومن كلامه) رضيت لنفسك وأنت الحول القلب أن تعيش عيش البهائم نهارك هائم وليلك نائم والأمر أمامك جد ، وقال : نصب المتuron الوعيد أمامهم فنظرت إليه قلوبهم بتصديق وتحقق ، فهم في الدنيا منغصون ، وإلى الآخرة متطلعون ، وقال : قطعنا غفلة الآمال عن مبادرة الآجال ، فنحن في الدنيا حيارى لأنتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أثرها غفلة .

(٩٤) ربعي بن حراش^(١)

صوفي طما يم فضله وزخره ، وسما نجم زهذه وزهر ، وعارف سار ذكره واشتهر ، وطار خبره إلى الأنصار وانتشر ، كان من أعبد القوم ، وأكثرهم مجاهدة في الصلاة والصوم ، ولم يكذب قط ، وكان له ابنيان عاصيان أيام الحاجاج فطلبهما الحاجاج ليقتلهما فلم يجدهما فقيل له : إن أباهما لم يكذب قط فأرسل إليه يسأله عنهما فقال : هما بالبيت فقال عفت عنهما لصدقك .

(ومن كلامه) من فوائد الجموع أنه يبت الهوى ، ويصفى الفؤاد ، ويورث فهم دقائق العلوم ، وقال : من شبع من حلال يوشك أن يشبع من حرام وألزم نفسه أن لا يضحك حتى يعلم أين مصيره إلى جنة أو نار فضحك على

(١) تهذيب التهذيب ٢٣٦/٣ - ٢٣٧ : والشذرات ١٢١/١ .

مغتسله ، وقال : قدمت على رب كريم ، وقال : إن استطعت أن لا تعرف في هذا الزمان فافعل ، مات سنة أربع و مائة .

(٩٥) رزين بن حبيش أبو مريم

وفد ليعلم ، وغزا ليغنم ، وتحمل الكلال طالبا للرفة في المال ، فحفظ من المال ، وثبت في الوصال ، وقد قيل : التصوف التحمل للكلال ، والتحرز من المال ، وعاش مائة وعشرين سنة ، وأدرك الخلفاء الراشدين ، واقتبس من زهاد الصحاب ، رضي الله عنهم والتابعين .

(٩٦) رابعة العدوية^(١)

القيسية ثم المصرية رأس العبادات ، ورئيسة الناسكات القانتات ، الحائفات الوجلات ، كانت في عصر الحسن البصري رضي الله عنه وهي إحدى النساء اللاتي تقدمن ومهن في الفضل والصلاح ، كأم أيوب الأنصارية وأم الدرداء ، ومعادة العدوية ؛ وهي من بينهن المشهورة بعظيم النسك ومزيد العبادة ، وكمال النزاهة والزهادة ، وكانت تصلي ألف ركعة في اليوم والليلة فقيل لها ماتطلبين بهذا ؟ قالت : لا أريد به ثوابا وإنما أفعله لكي يسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيمة فيقول للأتباء : انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها ، وكانت تصلي العشاء وتصلف قدميها للصلاة وتقول : قد نامت العيون وغفل الغافلون وبقيت رابعة الخاطئة بين يديك فلعلك تنظر إليها نظرة تمنعها بها من النوم عن خدمتك ثم تقول : وعزتك وجلالك لأنما عن خدمتك في ليل ولا نهار إلا غلبة حتى ألقاك ، وروى أنها كانت تصلي الليل كله فإذا طلع

(١) وفيات الأعيان ١٨٢/١ : والدر المنشور ٢٠٢ : والشذرات ١٩٣/١ : وانظر كتاب مرجريت سميث « رابعة العدوية » بالإنجليزية : وطبقات الشعراوي ٥٦/١ ، والبداية والنهاية ١٨٦/١٠ .

الفجر هجعت في مصلاها قليلا حتى يسفر الفجر ثم تثب وهي فزعة وتقول : يا نفس كم تنامين وإلى كم تقومين ؟ يوشك أن تنامى نومة لا قومة لها إلا لصرخة يوم النشور ، وكتب محمد سليمان الهاشمي وكانت غلة ملكه كل يوم ثمانين ألف درهم إلى كبراء أهل البصرة ، في امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة رضى الله عنها فكتب إليها : أما بعد ، فإن الله ملكني كل يوم ثمانين ألف درهم وأنا أصيরها مثلها ومثلها اليك فاجبيبني إلى ما سالت ، فكتبت إليه أما بعد فإن الود في الدنيا راحة البدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فهبي مزادك وقدم لعادك ، وكن وصي نفسك ولا يجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تركتك وصم الدهر واجعل فطرك الموت ، وأما أنا فلو خولني الله أمثال ما خولك وأضعافه ما سرني أنأشتغل عن ذكر الله تعالى طرفة عين والسلام .

(ومن كراماتها) أن لصا دخل حجرتها وهي نائمة فحمل الثياب وطلب الباب فلم يجده فوضعها فوق جده فحملها فخفى عليه فأعاد ذلك مرارا كثيرة ثم هتف به هاتف : دع الثياب فإننا نحفظها ولا ندعها لك وإن كانت نائمة ، قال العارف البوئي : وهذا تحقيق التمكين بقوله تعالى « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحظونه من أمر الله »^(١) الآية ، وخاطت بعض قميصها في ضوء شعلة سلطانية ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فمزقت القميص فعاد قلبها ، وسئللت متى يكون العبد راضيا فقالت : إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة ، وكانت شديدة الخوف جدا فإذا سمعت ذكر النار أغمى عليها ، وكانت : تقول لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنيا قيل لها كيف ؟ قالت : لأنها تفني ، قالوا : مكثت أربعين سنة لا ترفع رأسها إلى السماء حياء من الله ، وكانت تقول : ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي يوم القيمة ، وما رأيت الثلوج إلا ذكرت تطوير الصحف وما رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر ، وقالت : استغفارنا يحتاج إلى استغفار لعدم الصدق فيه وذم بعضهم الدنيا عندها فقالت : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، ذكركم لها دليل على بطالة قلوبكم إذا لو كنتم غرقى في غيرها ما ذكرتقوها ، وأتهاها رجل بأربعين دينارا ف قال : استعيني بها على بعض حوائجك فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت : هو يعلم أنني أستحي منه أن أسأله الدنيا وهو يملکها فكيف آخذها من لم يملکها ، وكانت إذا قال لها إنسان : أدع لى ترتعد وتقول : من أنا أطع ربك وادعه فإنه يجيب المضطر ، وقيل لها : هل عملت عملاً ترين أن يقبل منك ؟ قالت : إن كان فخوفي أن يرد على ، وأخذ سفيان رضي الله عنه ييد بعض إخوانه وقال نذهب إلى المؤدبة التي لا أحد أستريح إليها إذا فارقتها فلما دخل عليها رفع سفيان رضي الله عنه يديه وقال : اللهم إني أسألك السلامة فقال : ما يبيك ؟ فقالت : عرضتنى للبكاء أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت فيها متلطخ بها ، وقالت له : إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل ، وقيل لها : ما حقيقة إيانك قالت ما عبدته خوفاً من ناره ولا طمعاً لجنته فأكون كالأخير السوء عبدته حباً له وشوقاً إليه وقال مالك بن دينار أتيتها فإذا هي تقول : كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت بعثتها يارب أما كان لك عقوبة ولا أدب غير النار !! ، ومن مناجاتها إلى الله تحرق بالنار قلباً يحبك فقيل لها : لا تظننى بنا ظن السوء وكانت رضي الله عنها تنشد .

إنى جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحث جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وكانت كل ليلة تتطيب وتتأتى زوجها وتقول : أللّه حاجة فإنّ كانت له قضى وطره وتظهرت ونصبت أقدامها إلى الصباح ، وكان كفنها لم يزل عندها ويجدون محل سجودها كالماء المستنقع من كثرة البكاء ، وقال لها رجل : إنّى أكثرت من المعاصي فلو تبت هل يتوب على ؟ قالت : لا بل لو تاب هو عليك

لتبث « ثم تاب عليهم ليتوبوا » وسمعت سفيان الثورى رضى الله عنه يقول :
واحزناه فقالت : لا تكذب قل : واقلة حزناه لو كنت حزينا ما هناك عيش ،
وقالت له مرة : نعم الرجل أنت لولا رغبتك فى الدنيا قال : فيماذا رغبت قال :
فى الحديث ، وقالت سبحت ذات ليلة تسبيحات من السحر ثم نمت فرأيت شجرة
حضراء نضرة لا يوصف حسنها وعظمها وعليها ثلاثة أنواع من الشمر لا تشبه
ثمار الدنيا قدر ثدي البكر ثمرة بيضاء وثمرة حمراء وثمرة صفراء وهن يلمعن
كالأقمار أو الشموس فى خلال خضرة الشجرة فاستحسنت تلك الشجرة وقلت : لمن
هذه ؟ فقيل بتسبيحك آنفا ثم طفت حولها فرأيت ثمرة منتشرة فى لون الذهب فقلت
لو كانت هذه الثمرة مع الشمار التى فى الشجرة لكان أحسن فقيل لي : قد كانت
ثابتة فى الشجرة ولكن لما سبحت تذكرت العجين هل اختمر فسقطت ، ومرضت فقال
لها : عوادها : ما سبب علتكم ؟ قالت : نظرت بقلبي إلى الجنة فإذا ذانى فتبت لا أعود .

(ومن كراماتها) أنها زرعت زرعا فوقع عليه الجراد فقالت : إلهي
رزقى تكفلت به فإن شئت فأطعمنه أعداءك أو أولياءك فطار الجراد كأنه لم
يكن ، وبحجت على بعير فمات فى الطريق قبل بلوغها منزلها فسألت الله أن
يحييه فأحياءه فركبته إلى أن بلغ دارها فخر ميتا ، وقالت لسفيان الثورى رضى
الله عنه ، ما تدعون السخاء فيكم ؟ قال : أما عند أبناء الدنيا فمن يوجد به
وعند أبناء الآخرة من يوجد بنفسه قال أخطأتم قال لها بما السخاء عندك ،
قالت أن تعبدوه جُبًا له لا طلب جزاء ولا مكافأة ، وأصاب رأسها ركن جدار
فأدماه فلم تلتفت إلى ذلك فقيل لها : أما تحسين بالألم فقالت : شغلنى بموافقة
مراده فيما جرا شغلنى عن الإحساس بما ترون ، وسمعت قارئا يقرأ « إن
 أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون » فقالت : مساكين أهل الجنة فى شغل هم
وأزواجهم ، وعاب عليها العارف ابن عربى رضى الله عنه . المقالة وقال : إنها
المسكينة فإن شغلهم إنما هو بالله ، وقال : وهذا من مكر الله الخفى بالعارفين فى
تجريح الغير ببادئ الرأى والتعريض فى حق نفوسهم بأنهم متزهون عن ذلك لكنه

مع ذلك بالغ فى موضع آخر فى مدحها ، وقال : إنها فى رتبة الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فقال : السائرون إلى الله بعزم الأمور المشروعة على قسمين ، طائفة ربطت همتها على أن الرسول أفاد جاء منها ومعلما بالطرق الموصلة إلى جناب الحق فإذا أعطى العلم بذلك زال من الطريق وخلى بينهم وبين الله فهؤلاء إذا سارعوا أو ساقوا إلى الخيرات لم يروا أمامهم قدم أحد من المخلوقين لأنهم قد أزالوه من نفوسهم وانفردوا إلى الحق تعالى والطائفة الأخرى جعلوا فى نفوسهم إنهم لا سبيل لهم إليه تعالى إلا والرسول هو الحاجب فلا يشهدون أمرا إلا رأوا قدم الرسول بين أيديهم هكذا قال ثم قال والحالة الأولى هي حالة العارف عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه والعارف أبي السعود بن شبل ورابعة العدوية ومن جرى مجراهم انتهى ، قال بعضهم : كنت أدعوا لرابعة العدوية رضى الله عنها فرأيتها فى النوم تقول هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور ؛ ماتت رضى الله عنها سنة ثمانين ومائة وقيل غير ذلك ، ورأتها خادمتها فقالت : مرينى بأمر أقترب به إلى الله تعالى فقالت عليك بكثرة ذكره أوشك أن تغبطي به فى قبرك ، وقد أفرد ابن الجوزى لمناقبها وكلامها مؤلفا حافلا ^(١) .

(٩٧) رابعة بنت إسماعيل ^(٢)

أم الخير العدوية البصرية مولاة آل عقيل ورابعة هذه بمنشأة تحتية وهى شامية والتى قبلها بمحمد تحتية وهى مصرية فافترقا ، كانت فى عصرها بالولاية مذكورة ، وبالصلاح والعبادة مشهورة وكانت تقوم الليل كله وتقول إذا عمل عبد بطاعة الله أطلعه على مساوى عمله فاشتغل بها دون مساوى غيره ، وقالت ما سمعت آذانا قط إلا ذكرت منادى يوم القيمة ولا ذلت حرًا إلا

(١) « شذور العقود فى تاريخ العهود » لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٢ هـ .

(٢) هذه الترجمة تخص السيدة رابعة بنت إسماعيل العدوى ، وهنا تكرار .

ذكرت حر المحشر ؛ وكانت ترى الجن عيانا وقالت : رأيت الحور العين يذهبن فى دارى ويجهن ويسترن مني بأكمامهن ، ورابعة هذه كانت زوجاً لابن أبي الحوارى رضى الله عنه ، قال : قالت لها وقد قامت بليل : قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه فما رأينا من يقوم الليل من أوله فقالت سبحان الله : مثلك يتكلم بهذا ؟ إنما أقوم ، وكانت إذا طبخت قدراً تقول لى : كل والله ما أنضجها إلا التسبیح قال وجلست آكل وجعلت تذکرني فقلت دعينا يهنينا طعامنا قالت ليس أنا وأنت من يتتنفس علىه الطعام عند ذكر الآخرة ، وقالت لى : أى أخي أعلم أن العبد إذا عمل بطاعة الله أطلاعه الجبار على مساوى عمله فتشاغل به دون مساوى خلقه ، وكانت لها أحوال شتى ، فمرة يغلب عليها الحب ، ومرة الأنس ومرة الخوف ، وكانت تقول : إنى لا أطمئن باللهم الطيبة أطعمها نفسى ، وأنى لأرى ذراعى قد سمن فأحزن ، وكان إذا أراد زوجها جماعها نهاراً قالت له : أسألك بالله لاتفطرنى اليوم وإذا أراد ليلاً قالت أسألك بالله إلا ما وهبتنى لله الليلة ، وقال : دفعت إلى خمسة آلاف درهم وقالت تزوج بهذا أو تسر فإنى مشغولة عنك .

(ومن مناجاتها) إلهى تحرق بالنار قلباً يحبك ، فقيل لها : لا تظنى بنا ظن السوء ، وقالت : اكتموا حسناتكم وأنشدت :

إنى جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحث جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانسى وحبيب قلبي في الفؤاد جليسى

(ومن كراماتها) أنها قالت : نحوا عنى هذا الطشت فإنما عليه مكتوب مات هارون الرشيد فنظروا فإذا هو قد مات ذلك اليوم ، وناداها زوجها يوماً فلم تجبه ثم بعد مدة أجبته وقالت : إنما منعني أن أجيبك أن قلبي كان امتلاء فرحاً بالله فلم أقدر أن أجيبك ، ماتت رضى الله عنها سنة خمس وثلاثين ومائة وقيل سنة تسع وعشرين ومائتين ودفنت برأس زيتاً ببيت المقدس عند تصعد

عيسى من جهة القبلة وقبراها مأنوس يقصد بالزيارة وقيل : المدفونة هناك : إنما هى الأولى .

(٩٨) رقية الموصلية

كانت من ذوى الهمم العلية .

(ومن كلامها) : إلهى ومولاي لو عذبتنى بعذابك كله لكان ما فاتنى من قربك أعظم من العذاب ولو نعمتني بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك فى قلبي أكثر ، وقالت : إنى لأحب ربى حبا شديد فلو أمرتى إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبه ، وقالت : حرام على قلب فيه رهانية المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان شغلا قلوبهم بالدنيا عن الله ولو تركوها بحالت فى الملائكة ورجعت إليهم بظرف الفوائد ، وقالت : تفهوموا فى مذاهب الإخلاص ولا تفهوموا فيما يؤدىكم إلى الركوب على البغال والقلاص^(١) رضى الله عنها .

(٩٩) ريحانة المجنونة

العايدة المشهورة بالخوارق والكلام الفائق .

(ومن كلامها) رضى الله عنها ما قال أوس الأعور رأيت ريحانة المجنونة ليلة تدعوا وتقول فى دعائهما : أعود بك من بدن لا ينتصب بين يديك ، وعميت عينان لاتبكيان شوقا إليك ، وجفت شفتان لاتبتھلان بالتضرع إليك ، وكانت كثيراً ما تنشد :

يا حبيب القلوب أنت حببى لم تزل أنت منيتي وسروري
وقال صالح المرى رضى الله عنه : رأيت ريحانة المجنونة وقد كتبت من

(١) قلاص وقلائص وقلص جمع قلوص ، وهى الإبل .

وراء جيبيها :

أنت أنسى ومنيتي وسروري
 يا حبيبي ومنيتي واشتياقى
 طال شوقى متى يكون لقاكما
 ليس سؤلى من الجنان نعيمًا
 غير أنى أريدها لأراكا
 وكانت تقوم الليل كله ثم تنشد
 قاد الفؤاد من السرور يطير
 قام المحب إلى المؤمل قومة
 وبعد انقضاء الليل كله تصيح : واسلياه واحزناه وتنشد .
 ذهب الظلام بأنسه وبالفه لبت الظلام بأنسه يتجدد

حرف الزاي

(١٠٠) زراة بن أوفى الحرشى (١)

صالح ، عبادته لا تنكر ، وزهده أشهر من أن ينكر ، ومناقبه غير
 محصورة ، وهمته على فعل الخير مقصورة ، كان من حزب الله المفلحين ،
 معودوا من الأولياء والصالحين ، نافراً عن الناس ، معرضًا عن مواطن
 الألتباس ، يألف المسجد كثيراً ، ويترك الهناء هناء ليرى ثم نعيمًا وملكاً كبيراً ،
 نعم وكان عابداً زاهداً شديد الخوف من الله وكان يقص في داره على عهد الحاجاج
 فصلى يوماً في المسجد فقرأ « فإذا نقر في الناقور » (٢) فخر ميتاً فحمل إلى
 داره ، ثم جهز ودفن . أنسد الحديث عن جمع من الصحابة ، منهم ابن عباس
 وأبو هريرة رضي الله عنهما ، مات سنة ثلاثة وتسعين ومائة رضي الله تعالى عنه .

(١) زراة بن أوفى العمرى الحرشى أبو حاجب البصرى القاضى ، تهذيب التهذيب ٣٢٢/٣ ; والشنرات ١٠٢/١ .

(٢) سورة المدثر : آية ٨ .

حرف السين / المهملة

(١٠١) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب^(١)

الفقيه المتخلص ، الرهاب الإمام الشهير التابعى الكبير ، كان لله خاشعا ، وفي نفسه متواضعا ، وبما يدفع به وقته قانعا ، وقد قيل : التصوف لزوم الخضوع والقنوع ، والتبرئ من المجموع والهلوع ، وكان مبالغا في التقشف حتى كان يلبس الثوب بدرهمين . قال له الوليد بن عبد : الملك ما أحسن جسمك مما طعامك ؟ قال : الكعك والزيت ، قال : وتشتهيه ؟ قال : أدعه حتى أشتهيه فإذا اشتتهيه أكلته ، وقال : إياكم وإدامة اللحم ، فإن له ضراوة كضراوة الشراب ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أعلم يا عمر أن عون الله تعالى للعبد بقدر نيته فمن ثبتت نيته تم عون الله له ، ومن قصرت عنه نيته قصر عون الله له بقدر ذلك ، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن اكتب لى من رسائل عمر رضي الله عنه فكتب إليه : اذكر الملوك الذين تفتقأت أعينهم التي كانت لاتنقضى لذتها ، وانفقأت بطونهم التي كانوا يشبعون بها وصاروا جيفا في الأرض لو كانت بجنب مسكن لتأذى بريحها ، وكان لا يمر بغير إلا سلم عليه ، مات سنة ست ومائة رضي الله تعالى عنه .

(١) تهذيب التهذيب ٤٣٦/٣ - ٤٣٨ ; والشذرات ١٣٣/١ : وتذكرة الحفاظ : والسلمى ص ٤٣٥ . والحاشية د .

(١٠٢) سلام بن أبي مطیع ^(١)

الشاكر الرفيع ، والشاهد السميع ، شكر فارتفع ، وشهد فاستمع ، وقد قيل : ان التصوف ارتفاع لازدياد ، واستماع فى استشهاد ، قال ابن حنبل رضى الله عنه : كان سلام إذا قام يصلى كأنه شيء ملقي لا يتحرك .

(ومن كلامه) : كن لنعمة الله عليك فى دينك أشكراً منك لنعمته عليك فى دنياك ، أسنـد الحديث عن مالك بن دينار ، وسمع من قتادة ، رضى الله عنه .

(١٠٣) سابق العبادانى المجنون

كان يسكن المقابر والخرابات والغياض ، مستوحشاً عن الخلق .

(ومن كلامه) خوفاً لا يشغلك عن الرجاء فإنك إن ألمت قلبك الرجاء أشغلته عن الخوف ، وفر إلى الله ولا تفر منه فإنه مدركك ولا تعجزه ولا تطع المخلوق في معصية الخالق واعلم أن الله يوماً تشخص فيه الأ بصار ، وقال : إن آخذ الكلام للقلوب ما جاء من القلوب وإن أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ، وقال له رجل : أوصنى فقال : قل : اللهم اجعل نظري عبرة وسكتوى فكرة ، وكلامي ذكراً ، ثم ولى مسرعاً .

(١٠٤) سعيد بن المسيب ^(٢)

إمام يقتدى بأفعاله ، وبهتدى إلى طريق الخير بأقواله ، أدرك القصد والأمل ، وقرن بين العلم والعمل وكان كاسمه بالطاعات سعيداً ، ومن المعاصي

(١) المعارف لابن قتيبة ١٧٠ : والشذرات ٢٨٢/١ - ٢٨٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٨٨/٥ : والوفيات ٢٠٦/١ : وصفة الصفة ٤٤/٢ ، وحلية الأولياء ١٦١/٢ : والشذرات ١٠٢/١ - ١٠٣ ، وفيها جاءت وفاته في سنة ٩٤ هـ .

والجهالات بعيدا ، وقد قيل : التصوف ، التمكן في الخدمة والتحفظ للحرمة ، كان يسمى فقيه الفقهاء إمام التابعين ، صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة ، وحج أربعين حجة ، وكان لا يقبل من أحد شيئا ؛ وزوج ابنته بدرهمين ، وقال له عبد الملك بن مروان صرت أعمل الخير فلا أسر به وأعمل الشر لا أساء به قال : الآن تكامل فيك الموت أى موت القلب ، ومر بقوم يصلون ويتصدقون فقيل له ألا تتبعيد مع هؤلاء ؟ قال إنها غير عبادة ، العبادة التفكير في أمر الله والورع عن محارمه وأداء فرائضه ، وسئل : ما يقطع الصلاة قال : الفجور وكانت نفسه أهون عليه في ذات الله من الذباب ، وله كرامات منها إنه كان في أيام الحر يسمع الأذان بإذنه من قبر رسول الله صلى الله في أوقات الصلاة وكان لا يدع أن يقرأ سورة ص في كل ليلة فسئل فأخبر أن أنصاريا صلى إلى شجرة فقرأ « ص » فمر بالسجدة فسجد فسجدت الشجرة فسمعها تقول ، اللهم أعطني بهذه السجدة أجرا وضع عنى بها وزرا وارزقني بها شكرها وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدي داود عليه السلام .

(ومن كلامه) : ما أيس الشيطان من رجل إلا أتاه من قبل النساء ، وقال : ما أكرم عبد نفسه بمثل الطاعة ولا أهانها بمثل المعصية ، وقال : بلغت ثمانين سنة وذهب بصرى ، وما شئ أخوف عندي من النساء وقال : يد الله فوق عباده فمن رفع نفسه وضعه الله ومن وضعها رفعه الله ، وقال : لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يعطي منه حقه ويكتبه وجهه عن الناس ، وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، وقال : أصلاح قلبك والبس ما شئت ، وقال : ليس من شريف ولا وضيع ، ولا عالم ، ولا جاهل إلا وفيه عيب لكن من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله ، وقال : الناس تحت كنفه يعملون فإذا أراد فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عوراته ، وقال : الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل ، وأنزل منها من أخذها بغير حقها وطلبتها بغير وجهها ووضعها في غير سبلها ، وقال : لا تملأوا أعينكم من أعون الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم ،

وقال ابن حرملاة : ما سمعت ابن المسيب سب أحداً قط ، لكنه كان يقول : قاتل الله فلانا ، كان أول من غير قضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال الولد للفراش وللعاهر الحجر وما كان رجل يجترىء قلبه عليه أن يسأله حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير ، وكان يقول لنفسه : إذا دخل الليل قومي لعبادة ربك ياماً وي كل سوء وضربه عبد الملك بن مروان لما لم يبايعه وألبسه الوشوح وأقامه بالشمس ونهى عن مجالسته فما ازداد بذلك عند الخلق إلا رفعة وفي ذات الله إلا شدة وتصلبا ، وقال : من لم يعرف ما لله عليه في نفسه ولم يتأنب بأمره ونهيه ، فهو من الأدب في عزلة ، إذ حقيقة الأدب أن تعامل الله جهراً وسراً على وجه الصدق والإخلاص برأية الملة عليك فإن كنت كذلك كنت أديباً وإلا فلا ، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين عن نحو أربع وثمانين سنة رضي الله عنه .

(١٠٥) سعيد بن جبير الكوفي الأنصاري

الإمام المشهور، الذي شهد بزهده وورعه وعلمه الجمهور ، الفقيه البكاء ، العالم الداعاء ، كان كثير البكاء والنحيب ، له من كل سهم من الفضائل نصيب قال الزمخشري : كان يسمى جهذاً العلماء ومات وما على وجه الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه ، وكان له ديك يقوم يتهدج على صياده كل ليلة فلم يصح ليلة فنام عن ورده فدعا عليه فمات حالاً فأقسم أن لا يدع على أحد ثم صار يقوم الليل كله فقالت بنته : لم لا تنام ؟ فقال : إن جهنم لا تدعني أنام ، ومن كلامه من أطاع الله فهو ذاكر ومن عصاه فهو ذليل وإن أكثر التسبيح والتلاوة ؛ وقيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل أذنب كثيراً ثم تاب ، وكلما ذكر ذنبه احتقر عمله ، وكان إذا طلع الفجر لا يتكلم بغير الذكر حتى تطلع الشمس ، قتلته الحاجاج صبراً سنة خمس أو أربع وتسعين عن تسع وأربعين سنة أو

(١) وفيات الأعيان ١/٢٠٤؛ وطبقات ابن سعد ٦/١٧٨؛ وتهذيب التهذيب ٤/١١؛ وحلية الأولياء ٤/٢٧٢؛ وابن الأثير ٤/٢٢٠؛ والطبرى ٨/٩٣؛ والشذرات ١/١٠٨ - ١١٠.

تسع وخمسين سنة ، ولما قطعت رأسه صاحت بعد سقوطها لا إله إلا الله مرتين ثم الثالثة ولم تتمها ، وقال : اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي فمات بعد خمسة عشر يوما ؛ وقيل إنه لما أراد قتله قال له سعيد : أنا آخر الناس غبنا بك ؛ قال : قد قتلت أفضل منك ؛ قال : أولئك كانت قلوبهم متعلقة بالدار الآخرة فلم يبالوا بل كانوا أحقر الناس على قربهم منها وأنا قلبي معلق بنفسي ؛ فقتله ، فكان آخر قتل له بدعائه عليه فظهر الفرق وإن عاقبة كل أحد على حسب حاله ومعاملة الحق له على حسب انتسابه فافهم فإنه دقيق .

(١٠٦) سفيان بن سعيد التورى^(١)

سيد الحفاظ أمير المؤمنين في الحديث عالم الأمة في القديم والحديث ، الإمام الرضي ، والورع الزاهد الدرى له النكت الرائعة ، والاستنباطات الشريفة الفائقة ، والهمم التائقـة ، والنفس الشائقة العلم حليفه ، والزهد أليفه ، والفقـه عـريفـه ، والـفـقـر تـشـريفـه ؛ والـقـنـاعـة حـرـيفـه ، والـصـبـر قـرـينـه ، والـرـضـا خـدـينـه ، والـتـوـكـل مـسـلـكـه وـالـتـفـويـض مـطـلـبـه وـمـدـرـكـه ، وقد قـيل : التـصـوف بـرـاعـة فـي الـعـارـف وـبـلـاغـة فـي الـمـخـاـوف ، قال الـذـهـبـي رـحـمـه اللـهـ وـغـيـرـه : كان سـيد أـهـل زـمانـه لـم يـرـ مـثـلـ نـفـسـه ، قال : وـأـقـوـالـ الـأـثـمـة فـي فـضـلـه وـزـهـدـه وـعـبـادـتـه تـحـتـمـلـ مـجـلـدـيـنـ ، وـنـقـلـ السـهـرـوـرـدـي عنـه أـنـه كـانـ يـسـافـرـ مـنـ الـحـجـازـ إـلـى صـنـعـاءـ الـيـمـنـ بلاـ زـادـ وـيـعـتـمـدـ عـلـى السـؤـالـ فـي الطـرـيقـ وـكـانـ يـحـطـ عـلـى الـمـنـصـورـ فـظـلـمـه فـهـمـ بـقـتـلـه فـلـمـ يـمـهـلـ ، وـقـالـ يـحـيـيـ الـقـطـانـ سـفـيـانـ : فـوـقـ مـالـكـ فـي كـلـ شـيـءـ .

(ومن كلامه) : لا يتعلم أحد العلم حتى يتعلم الأدب ولو عشرين سنة ، وقال : إذا فسد العلماء فمن يصلحهم ؟ وقال : العالم طبيب الدين والدرهم داء الدين فإذا جره الطبيب إليه فكيف يداوى غيره ، وقال : من أنفق من الحرام في

(١) الوفيات لابن خلكان ٢١٠/١ ؛ وطبقات ابن سعد ٢٥٧/٦ ؛ وحلية الأولياء ٣٥٦/٦ ، وتهذيب التهذيب ٤/١١١ - ١١٥ ؛ والشذرات ١/٢٥٠ - ٢٥١ .

طاعة الله كان كمن طهر الشوب بالبول ، وقال من تصدى للعلم قبل الحاجة إليه فقد تعجل الذل ، وقال : عليك بإدخال الذكر ما استطعت فإن هذا زمان الخمول ، وقال : النجاة الآن في ترك الناس فإياك ومخالطة الأمراء ويقال لك : تشفع وتدفع عن مظلوم أو ترد مظلمة فإنه من خديعة إبليس ، وإنما اتخذ ذلك العلماء سلماً للقرب منهم واصطياد الدنيا به ، وقال : لو لم أعلم لكان أقل لحزني ، وقال : ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشغل به ، وقال : لو لا إن للشيطان فيه نصيباً ما ازدحتم عليه يعني العلم ، وقال : ليس شيء يقطع لظهور إبليس من قول : لا إله إلا الله ، وقال : إذا رأيت رجلاً يعمل عملاً اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنده ، وكتب إليه بعضهم عظني وأوجز ، فقال : الدنيا غمها لا يغنى وفرحها لا يدوم وفكرها لا ينقضى فاعمل لنفسك لتنجو ولا تتowan فتعطب والسلام ، وكان إذا قعد للعلم وأعجبه منطقه قطع الكلام وقام ويقول أخذنا ونحن لا نشعر ، وقال وقد طلبوا منه التحدث والله ما أرى نفسي لإملائه أهلاً ولا أنت لسماعه أهلاً وما مثلني ومثلكم إلا كما قيل : افتضحوا فاضطحلوا ، وترك الملوس للعلم فعوتب ، فقال : لو علمت أنهم يريدون وجه الله لأنتهم في بيوتهم لكن إنما يريدون المباحثات ، وقال : إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فإذا ولد له انكسر المركب ، وقال : شأن العاقل أن لا يزاحم غيره على الدنيا إذا كفاه غيره ، وقال : قال رجل ليعيسى عليه السلام : أوصني ، قال : انظر رفيفك من أين هو ، وقال رضي المتتجنى عليك غاية لا تدرك ، وقال : عليك بالرضى عن الله إذا منعك ما طلبت فإن منعه عطاء ، وقال : أحب لطالب العلم كونه في كفاية فإن الألسن تسرع إلى الواقعة فيه إذا احتاج وذل ، وقال : أظلم الظالمين لنفسه من قبل مدح من لا يعرفه وهو يعرف من نفسه ضد ذلك ، وقال : أئمة العدل خمسة ، الخلفاء الأربعه وابن عبد العزيز رضي الله عنهم ومن قال غير ذلك فقد اعتدى ، وقال : لرجل يخدم الولاة أبعد عنهم ، قال : ما أصنع بعيالي قال : ألا تسمعون هذا يقول : إنه إذا عصى الله رزق عياله وإذا أطاعه

ضيعهم ، وقال : لاتقتدوا بصاحب عيال فقلما سلم من تخليط ، وقال : حجة كل متهور في أكل الحرام والشبه قوله عيالي ، وقال : لو أن رجلا عبد الله بعبادة الشقلين وهو يحب الدنيا نودى عليه يوم القيمة على رؤوس الأشهاد هذا أحب ما أغض الله . وقال : أمسك ما بيده من المال بنية الإنفاق لا يضرك ذلك ، فإن من احتاج للناس لابد أن يبذل لهم دينه ، وقال لأخ له : أبلغك شيء مما تكره عن من لا تعرف ، قال لا ، قال : فأقلل من معرفة الناس فإن معرفتهم ما أبقيت لي حسنة ، وقال : ما رأيت للإنسان خيرا من أن يدخل جحره فقال يونس : اليوم ينبغي أن يدخل قبره ، وقال : ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة لأن الرجل يزهد في المال ويسلمه إذا نوزع وإذا نوزع في الرياسة لا يسلمها ، وقال : إياكم أن تدخلوا الصلاة وأنتم في حال ينافي الخشوع فإن من لم يخش في صلاته فسدت ، وقال : بلغنى أن بنى إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميطة والأطفال ، وكانوا يخرجون إلى الجبال ويضرعون فلا يقبل منهم ، فأوحى الله إلى أنبيائهم ، لو مشيتكم إلى بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء ، وتكل ألسنتكم من الدعا والتضرع لا أجيئ لكم داعيا ولا أرحم منكم باكيًا مالم تردوا المظالم إلى أهلها ، فعلوا فمطروا من يومهم ، وقال : لا تصحب من يتكرم عليك في السفر فإنك إن ساولته في النفة أضر بك وأن تفضل عليك استعبدك ، وقال : نظرت مرة للسماء ففقدت قلبي فذكرته لأخ لي فقال : لكونك لم تنظر إليها نظر اعتبار . وقال : عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك ، وقال : أصل كل عداوة اصطنان المعروف إلى اللثام ، وقال : إذا رأيت أخاك حريصا على أن تقدمه فآخره ، وقال : الزم نفسك ألا تضع لبنة على لبنة ؛ وقال : أبعد عن القراء الذين يحبون الدنيا فوالله ما نازعت قارئا في شيء إلا خفت أن يسعى في سفك دمى ، وقال : اذا كان لك عند قارئ حاجة فلا تذكر عنده أحدا من أقرانه بخير فإنه لا يقضى حاجتك ، وسئل عن الغوغاء فقال : الذين يطلبون بعملهم الدنيا ، وقال : إياكم وكثرة الإخوان فإنه من رقة

الدين ، وقال : من عرف الله تحقق في التوكل وتشوق إلى التنقل ، وقال : التوكل هدو الضمير عند هجوم التقدير ، وقال : من رأى نفسه على أخيه علماً أو عملاً حبط أجر عمله وعلمه ، وقال : إن الملائكة لتتجدد ريح الحسنة أو السيئة إذا عقد القلب على ذلك فكما لا يؤذونك لا تؤذهم ، وقال : كثرة النساء ليس من الدنيا لأن علياً كرم الله وجهه كان من ازهد الصحب أو أزهدهم ولو أربع نسوة وتسع عشرة سرية ، وقال : تعرف محبة الرجل للدنيا بكثرة تعلقه لأهلها وت فقدهم إذا غابوا ؛ وقال : إذا رأيتم جيران فقيه يحبونه فاعرفوا إنه مداهن . وكان شديداً على الولاة جداً لا يخاف في الله لومة لائم ، أدخل عليه المهدى وبهذه درج أبيض ، فقال يا سفيان أعطنى الدواة لاكتب ، قال : أخبرنى أى شيء تكتب فإن كان حقاً أعطيتك ، ولما خرج المنصور للحج بعث أمامة يقول : إذا رأيتم الشورى فاصلبوه ، ف جاء الخبر وهو نائم بالمسجد رأسه في حجر الفضيل بن عياض رضي الله عنه ورجلاه في حجر بن عبيدة رضي الله عنه ، فقالوا : تقد الله ولا تشمت بنا الأعداء واحتف فاستوى قاعداً ، وقال : برئت من هذه البنية إن هو دخلها ، فمات قبل دخوله مكة ، مات سفيان رضي الله بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة عن ست وستين سنة . قال : ابن مهدي : غسلته أنا ويعيني بن سعيد يوم مات فوجدت مكتوبًا في جسده فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ، وقد أفرد ابن الجوزي وغيره مناقبه بتأليف حافلة ، وروى النووي بإسناده عن قبضة قالت : رأيته في النوم فقلت : ما فعل بك ؟ فقال :

نظرت إلى ربى كفاحا ^(١)	قال لي هنيئاً رضى عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى	بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قرب أردته	وزرنى فإنى منك غير بعيد

(١٠٧) سفيان بن عيينة الكوفي^(١)

ثُمَّ الْكَيْ الْهَلَالِي مَوْلَاهُ الْإِمَامُ الْأَمِينُ ، ذُو الْعِقْلِ الرَّصِينُ ، وَالرَّأْيِ
الرَّاجِحِ الْمَكِينُ ، الْمُسْتَنْبِطُ لِلْمَعْانِي الْمُرْتَبِطُ لِلْمَبَانِي ، كَانَ عَالِمًا نَاقِدًا زَاهِدًا
عَابِدًا ، حَفِظَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبِعَ سَنِينَ ، وَكَتَبَ الْحَدِيثَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعَ ثُمَّ بَرَعَ
حَتَّى صَارَ أَوْحَدَ زَمَانَهُ عِلْمًا وَزَهَدًا وَوَرَعًا ، قَالَ : فِي الرَّبِيعِ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ
مَائَةً أَلْفَ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنَا لَكُمْ مِثْلُ جَبَلِ أَبِي قَبِيسٍ اصْعَدُوكُمْ عَلَى وَاطْلَعُوكُمْ عَلَى
الْتَّابِعِينَ ، وَكَانَ يَفْعُلُ مَا يَقُولُ وَلَا يَقُولُ مَا يَفْعُلُ .

(ومن فوائد) من زيد في عقله نقص من رزقه ، وقال : طلب مالا بد
منه ليس من حب الدنيا ، وقال : ما زمزم كالطيب لا ينبغي رده ، وقال :
العلم إن لم ينفع ضر ، وقال : عليكم بكتمان الفقر فإنه من العمل الصالح ،
وقال : الجهد عشرة أجزاء جهاد العدو جزء وجهاد النفس تسعه أجزاء ، وقال :
إنما عرف القوم لمحبتهم أن لا يعرفوا ولو أحبوها أن يعرفوا ما عرفوا ، وقال :
شرار أهل العام الماضي خير من خياركم في هذا العام ، وقال : الزهد الصبر
وارتقاب الموت ، وقال : حسب أمرىء من الشر أن يرى من نفسه فسادا ولا
يصلحها ، وقال : من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غيره شأنه ، وقال : إنما
أهل العلم الذين يعملون به ، وقال : من كانت معصيته في الشهوة فارجع له
الثوابة فإن آدم عصى مشتهيا فغفر له ، ومن كانت معصيته في كبر فخف عليه
اللعنة فان إبليس عصى متكبرا فلعن ، وقال : لو ظهرت قلوبنا ما شبعنا من
كلام الله ، وقال : خلقت النار رحمة يخوف الله بها عباده لينتهوا ، وقال :
العقل اذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثرة منها إلا شرا ، وقال : من
أحب القرآن فقد أحب الله ، وقال : عليك بالنصح لله في خلقه فإنك لن تلقاء

(١) تذكرة الحفاظ ٢٤٢/١ ; والرسالة المستطرفة ٣١ ; وصفة الصفوة ١٣٠/٢ ; وابن خلكان ١/٢١٠ ;
وميزان الاعتدال ٣٩٧/١ ; وحلية الأولياء ٢٧٠/٧ ; وطبقات الشعراني ٤٠/١ ; وتاريخ بغداد
١٧٤/٩ ; والشذرات ٣٥٤/١ .

يعمل أفضله منه ، وقال : لو نادى مناد من السماء إن الناس كلهم يدخلون الجنة وانى وحدي فى النار لكنت بذلك راجيا ، وقال : لا يمنعك من الدعاء ما تعلم من نفسك فإن الله تعالى أجاب شر الخلق ابليس إذ قال : « رب أنظرنى » الآية ، وقال : ما شكر الله عبد استعان بنعمته على معصيته ، وقال : ليس فى الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه لقوله تعالى « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب » الآية ، فهى لكل مفتر مبتدع إلى يوم القيمة ، وقال : العمل الصالح هو الذى لا تحب أن يحمدك عليه إلا الله ، وقال : عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وقال : ليس أحد إلا ولله عليه الحجة البالغة إما فى ذنب وإما فى نعمة قصر فى شكرها ، وقال : أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام أول من مات ابليس فإنه أول من عصى ، وإنما أعد من عصانى من الموتى ، وقال : لا يغرنك من اغتر بالله فمدحك بما تعلم من نفسك خلافه فإنه ما من أحد يقول في رجل شيئاً من الخير إذا رضى إلا قال مثله من الشر إذا سخط ، فاستأنس بالوحشة عن جلسء السوء ، وقال : أرفع الناس منزلة من كان بين الله وعباده وهم الأنبياء والعلماء ، وقال : أصابتنى رقة فبكيت وقلت في نفسي : لو كان بعض أصحابي حاضراً لرق معى فغفوت ، فأتأنلى آتٍ فرفستى ، وقال : خذ أجرك من أحبابك أن يراك ، وقال : قال لى الشورى في اليقظة في حياته وفي المنام بعد مماته : أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ، وقال : المدح لا يضر من عرف نفسه ، وقال : اسلكوا طريق الحق ولا تستوحوشوا من قلة أهلها ، وقال : الراضى عن ما لله لا يتمنى سوى المنزلة التي هو فيها ، وقال : كنت أتفكر في معنى حديث « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم » إلى آخره فلم أقف عليه حتى رأيت أن قائلًا يقول : الغنى إذا نابه شيء التجأ إليه ، إلى ماله وجاهه والفقير إذا نابه شيء لا يلتتجىء إلا إلى الله فيبقى كل واحد مع من التجأ إليه الغنى مع من له والفقير مع من له ، وقال : خصلتان يعسر علاجهما ، الطمع فيما بأيدي الناس وإخلاص العمل لله . مات رضى الله عنه بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة .

(١٠٨) سليمان الخواص

أبو أيوب العابد الزاهد الورع المجاحد المجمع على ولايته وإمامته ، وجلالته ومحاباته ، اقترب عمله بالصلاح وتشخص أمله فلاح منه نور الفلاح ، كان حسن الأخلاق لين الجانب جميل التربية جزيل المناقب ، لا يعبأ بالدنيا وحضرتها ولا يلتفت إلى نضارتها ونضرتها ، ولا يتكلف لمركوب ولا ملبوس ، ولا يشرئب إلى مزروع ولا مغروس ، وكان يقيم ببيت المسجد ، أخذ عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : يوسف بن أسباط ، ذهب ابن أدهم رضي الله عنه بالذكر وذهب سليمان الخواص بالعمل ، وقال بشر رضي الله عنه : الأئمة أربعة سفيان ، وسليمان الخواص ، وابن أدهم وأبن أسباط ، مات سنة اثنين وستين ومائة .

(ومن كلامه) : من عظ أخاه فيما بينه وبينه فهى نصيحة أو على رءوس الأشهاد فكأنما وبخه .

(ومن كراماته) أنه ركب حمارا فتعلق به الذباب وأذاه ، فصار يطأطئ رأسه فضربه على رأسه ، فرفع الحمار إليه وقال : اضرب فإنك على رأس تضرب.

(١٠٩) سليمان بن طرخان (١)

القيسى البصري التيمى المتبعد ، المتهجد ، المتثبت المتجرد . وقد قيل :

التصوف اغتنام الوقت ، والتزام الصمت . قال حماد بن سلمة : كنا نرى أنه لا يحسن أن يعصى الله ، مكت أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما ، ويصلى الصبح بوضوء العشاء . وطوى فراشه أربعين سنة ، وله امرأتان ، وقيل له : من مثلك ؟ فقال : لا تقولوا هكذا فإني لا أدرى ما يبدو لي من ربى ، وقد سمعته

(١) أو سليمان بن طهمان التيمى ، المعارف لابن قتيبة ٤٧٥ - ٤٧٦ ؛ والشذرات ٢١٢/١ .

يقول « ويدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » ، وكان بينه وبين رجل منازفة في شيء فغمز بطنه فجفت يد الرجل ، وقال أبو شعبة : ما رأيت أصدق منه ، وكان اذا حدد الحديث فرفعه للمصطفى صلى الله عليه وسلم تغير وجهه .

(ومن كلامه) : إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح عليه ذلته ، وقال : لو أخذت برخصة كل عالم أو ذلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله ، وقال : لو كشفت الغطا لعلمت القدرة إن الله ليس بظلام للعبيد ، ولما احتضر بكى فقيل له : أتجزع من الموت ؟ قال : لا ، لكن مررت بقدرى فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبنى ربى عليه . مات رضى الله عنه سنة ثلاثة وأربعين ومائة عن سبع وتسعين سنة وكان من أكابر المحدثين ، سمع أنساً وأبا عثمان النهدي ، وطاؤسا والحسن وجماعة وعنده السفيانان وشعبة وابن عاصم والأنصارى ، ويزيد بن هارون وخلق ، وخرج له ستة .

(١١٠) سليمان بن المعتمر^(١)

العبد الزاهد العالم العامل المجتهد الورع ، صوفى ورעה مشتهراً وزهده غير مستتر ، وفضيلته موصوفة ونفسه بالمعارف مشغوفة ، مكث أربعين سنة محافظاً على تكبيرة التحرم مع الإمام ، وكان يكرم الفقراء وبهين الأمراء مع احتياجه إلى لقمة .

(ومن كلامه) نقض العهد وفاء بالعهد لمن لا عهد له ، وقال : عالمة فساد الناس أن يُؤمّ عليهم شرارهم ، وقال : إذا متْ فاذهباً بي بغير إعلام أحد واطرحوني في لحدى فإني أحقر من أن يمشي أحد في جنازتي ، والله لو كانت نفسي بيدي لطرحتها في بيت الخلاء ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

(١) لعله سليمان بن طرقان التميمي أبو المعتمر البصري صاحب الترجمة السابقة ، انظر تهذيب التهذيب ٢٠١٤ - ٢٠٣ .

(١١١) سيار بن دينار^(١)

ويقال: ابن وردان أبو الحكم العنزي الواسطى ، كان رياضاً زهاداً ، ذكاراً شكاراً ، وقد قيل : التصوف تكسر الظاهر ، وتكسر الباطن ، اجتاز به أبو الهذيل وهو يبكي فقال : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي العابدين قبلى ، وبعث إليه بعض القضاة فأتاهم فقال : لم لا تجيء إلينا ؟ قال : إن أنت أدنيني فتنتنني وإن باعدتنى غممتنى ، وليس عندك ما أرجوه ولا عندى ما أخافك عليه ثم قام وتركه ، وكان له ثياب حسنة يلبسها ويلبس جماعته الصوف فدخل يوماً على مالك بن دينار فقال له مالك تلبس هذه الثياب فقال : ثيابى تضعني عندك أو ترفعنى قال : بل تضعك قال : هذا التواضع ياماً لك أخاف أن يكون ثوباك نزلاً بك من الناس مالم ينزلأ بك من الله تعالى .

(ومن كلامه) الدنيا والآخرة يجتمعان في قلب العبد فأيهما غالب كان الآخر تبعاً له ، وقال : نعم الشوب ثوب يضع صاحبه عند الناس ، وقال : قيل : ما حكمتك ؟ قال : لا أسأل عمماً كفيت ولا أتكلف مالاً يعنينى ، أنسد الحديث عن جماعة من التابعين ، رضى الله تعالى عنه .

حروف الشين / المعجمة

(١١٢) شريح بن الحارث الكندي^(٢)

أبو أمية القاضى ، كان حاله التسليم والتراضى ، والقيام على نفسه بالمحاسبة والتقاضى .

(ومن كلامه) الرضا هو السرور بمن القضا ، ومن عرف الله تحسّر على

(١) المعارف لابن قتيبة ٣٩٩ : وتهذيب التهذيب ٤٢١ / ٤ : والشذرات ٣٥٧ / ١ .

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٤٣٣ - ٤٣٤ : وتهذيب التهذيب ٤٢٦ / ٤ - ٣٢٨ : والشذرات ٨٥ / ١ - ٨٦ .

ما مضى ؛ وقال : ثبات الإيمان الورع ، وزواله الطمع ، أنسد الحديث عن على وعمر رضي الله عنهمَا وغيرهمَا .

(١١٣) شعبة بن الحاج^(١)

العتكى الأزدى الواسطى الإمام المشهور ، والعلم المنشور أمير المؤمنين في الرواية والحديث، وزين المحدثين في القديم والحديث ، له التقشف والتزهد ، والتكشف عن الأخبار والتشدد ، وقد قيل : التصوف التقى بالكافاف ، والترفع بالعفاف ، أصله من واسط ثم سكن البصرة وهو من أعاظم أتباع التابعين ، وأكابر المحدثين الشامخين ، ورؤوس الزاهدين ، أجمعوا على إمامته في الحديث وجلالته وتحريمه وإتقانه . وزهرده وعرفانه ، وناهيك بقول الشافعى رضي الله عنه لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وقول أحمد : كان أمة وحده فى هذا الشأن ، وكان من أعبد الناس عبد الله حتى جف جلده على عظمه واسود بدنه ، وكان يصوم الدهر ويلبس الخشن ويعتب على من ليس ثوبا قيمته ثمانية دراهم ، وقال : إن الشيطان صار يلعب القراء كما يلعب أحدكم بالكرة فكيف بغيرهم !؟ مات بالبصرة سنة ستين ومائة عن سبع وسبعين سنة رضي الله عنه .

(١١٤) شقيق بن إبراهيم البلخي^(١)

الزاهد العابد على الشأن ، العجيب البرهان ، من أكابر السادة وأعاظم مشايخ الطريق القادة ، كان يقول بطرح المكاسب والمطالب ، والتوجه في الأسباب

(١) تهذيب التهذيب ٤/٣٣٨ - ٣٤٦ : والشذرات ، ١/٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) حلية الأولياء ٨/٥٨ : طبقات الشعراني ١/٨٨ - ٨٩ : الرسالة القشيرية ص ١٦ : وفيات الأعيان ١/٢٨٣ : وفيات الوفيات ١/٢٤٠ : وصفة الصفوة ٤/١٣٣ ، والشذرات ١/٣٤١ : وميزان الاعتدال ١/٤٤٩ : ومرأة الجنان ١/٤٤٥ : والسلمي ، ١/٦٦ - ٦٧ .

والمذاهب ، قدم للمعاد ، وتنعم للوداد ، وثق بكافالة الكفيل فتوكل ، واجتهد فيما ألم به فتحمّل وحصل ، وقد قيل : التصوف الركون والسكنون وتحول الأعضاء والغضون ، والتخلي عن القرى والمحصون ، كان من أجل مشايخ خراسان له كلام حسن في التوكيل فاق به الأنوار ، طالما خاض في المجاهدة الغمرات ، واصطلي في الرياضة حرّ الجمرات ، حتى قامت الأدلة على فضله ، وأجلب إلى النفس والشيطان بخيله ورجله .

(ومن فوائد) عملت بالقرآن عشرين سنة حتى ميزت أعمال الدنيا من أعمال الآخرة ووجتها في حرفين « وما أتيتكم من شئ فمتع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى » وقال : لا تتعب في طلب الدنيا فإنه إذا قسم لك الفقر لا تكون غنيا ، وقال : الفقراء إذا طمعوا في الأغنياء فقد اتخذوهم أربابا من دون الله ، وقال : إذا صار الفقير يخاف من الغنى كما يخاف من الفقر فقد تم زهده ، وقال : الرعاة في كل عصر العلماء والصوفية ، وإذا صار رعاة الغنم هم الذئاب فمن يحفظ الغنم ، وقال : جعل الله أهل طاعته أحياء في مماتهم وأهل العاصي أمواتا في حياتهم ، وقال : إن أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما يكون أوثق ، وقال : تعرف تقوى الرجل في ثلاثة ، في أخذه ومنعه وكلامه ، وقال : ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف بل في معرفة الله والرضا عنه وأن يكون بما في يده أوثق منه بما في يد الخالق ، وقال : ميز بين من تعطيه وبين من يعطيك فإن كان من يعطيك أحب إليك فأنت محب للدنيا أو تعطيه أحب إليك فأنت محب للأخرة ، وقال : من دار حول العلو في دار الدنيا فإذا يدور حول النار في الآخرة ، وقال اصحاب الناس كما تصحب النار خذ منها منفعتك واحذر أن تحرقك ، وقال العبادة عشرة أجزاء تسعة في الهرب من الناس وواحد في السكوت ، وقال : إن أردت أن تكون في راحة فكل ما أصبت ، وبالبس ما وجدت وارض بقضاء الله ، وقال : دخلت على أستاذى أبي هاشم الرمانى رضى الله عنه وبطرف كسائى شئ مصروف ، فقال : ما هذا ؟

قلت : لوizات دفعهن أخي ، قال : تفطر عليهم ، فقال : تحدث نفسك أنك تبقي إلى الليل لا أكلمك أبداً وأغلق في وجهي الباب ، وقال : إنماأغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء بأخذهم النعم وتركهم الشكر؛ ويتعلّمهم العلم للدنيا وتركهم العمل للراحة ، وبمسارعتهم إلى الذنب وتسيّفهم بالتربيّة إلى غد ، وبطول صحبتهم للصالحين ، وتركهم الاقتداء بأفعالهم ، ويدفنهم موتاهم وعدم اعتبارهم بهم ، وبأن الدنيا مدبرة عنهم وهم يتبعونها والآخرة مقبلة نحوهم وهم عنها غافلون ، أنسد الحديث وأخذ الفقه عن أبي حنيفة رضي الله عنه وغيره وعنده حاتم الأصم ، وأيوب بن الحسن الزاهد ، قال الذهبي رحمه الله : سافر مرة وفي صحبته ثلاثمائة فقير من العباد الزهاد ، وكان المؤمن بخراسان في أول أمره فتوسل إليه المؤمن حتى اجتمع به ، واجتمع به قبله أبوه الرشيد ، وقال : له أنت شقيق الزاهد ؟ قال شقيق ولست بالزاهد ؟ قال : أوصني قال إن الله قد أجلسك مكان الصديق وإنه يطلب منك مثل صدقه ، وأعطيك موضع الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله ، وأعدك مقعدي النورين ويطلب منك مثل حيائه وكرمه ، وأحلك محل على كرم الله وكهره ويطلب منك العلم والعدل كما كان ، فقال : زدني ، فقال : إن لله داراً تعرف بجهنم وإنه جعلك بباب تلك الدار ، وأعطيك ثلاثة أشياء ، بيت المال ، والسوط والسيف ، وأمرك أن تمنع الناس من دخولها بهذه الثلاث ، فمن جاءك محتاجاً فلا تمنعه من بيت المال ، ومن خالف أمر ربه فأدبه بالسوط ومن تل بغير حق فاقتله بالسيف ، فإن لم تفعل ما أمرك فأنت الزعيم لأهل النار ، والمقدم لدار البوار ، مات سنة أربع وتسعين ومائة ، وقيل غير ذلك .

(١١٥) شقيق بن سلمة الانسي^(١)

الковي التابعى ، المخضرم ، أدرك زمن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، اتفقوا على إمامته وورعه ، وكان من أخوف الناس لله وأعظمهم تعظيمًا للمساجد ، فكان لا يدخل الحجر فضلاً عن البيت ، وقال : رجل فلان متقي : وهل رأيت متقيا ؟ المتقي من إذا سمع بذكر النار ذهبت روحه ، وكان إذا سمع بذكر الله نهض قائماً وارتعد كالطير المذبوح ، وقال : أستحب من الله أن أخاف شيئاً دونه ، وقال : ما دمت تعلم أن الله يراك فأنت في ذكره ، وإن كنت بالسوق ، وقال : كم بينكم وبين القوم ؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها وأدبرت عنكم فتبعدتموها . مات سنة تسع وتسعين ومائة .

(١١٦) شميط بن عجلان^(٢)

صوفي سار إلى الآفاق صيته ، واشتهرت جواهر لفظه ويواقيته ، وطال في السلوك باعه ، وارتفع في تلك الفضائل شراعه .

(ومن كلامه) : بادروا بالصحة السقم ، وبالفراغ الشغل ، وبالحياة الموت ، وقال : بئس العبد عبدُ خلق للعبادة ، فصدقته الشهوات عنها ، بئس العبد عبدُ خلق للعاقبة فصدقته العاجلة عن العاقبة ، فزالت عنه العاجلة ، وشقى في العاقبة ، وكيف يعمل للأخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ، وقال : إن الله جعل قوة المؤمن في قلبه لا في أعضائه ، ألا ترى أن الشيخ الضعيف يصوم ويقوم والشاب يعجز عن ذلك ، وقال : من رضى بالفسق فهو من أهله ، ومن رضى أن يعصي الله لم يرفع له عمل ، وقال : رأس مال المؤمن دينه حيث مازال

(١) من أسد خزينة ، تهذيب الأسماء ، واللغات ٢٤٧/١ : وخلاصة تهذيب الكمال ص ١٤٣ : والسلمي ، ص ٢٠١ .

(٢) لعله سميط بن عمير ، انظر تهذيب التهذيب ٤/٢٤٠ .

زال معه لا يخلفه في الرجال ولا يأمن عليه الرجل ؛ وقال : من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها ، وقال : أبغض الساعة إلى الساعة التي أكل فيها ، وقال : إن الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المطين به ، وقال : المنافق عبد هواه عبد بطنه عبد فرجه عبد الدنيا ، عبد أهل الدنيا ، وكان إذا وصف أهل الدنيا قال : حيارى سكارى فارسهم يركض ركضا ، ورجلهم يسعى سعيا لا غنيهم يشع ولا فقيرهم يقنع ، دائم البطنة ، قليل الفطنة ، وقال : العاقبة سترت البر والفاجر فإذا جاء البلاء استبان عنده الرجال ، أسنده شميط عن جماعة من التابعين .

(١١٧) شيبان الراعي ^(١)

كان من رءوس الزهاد ، وأكابر العارفين الأمجاد ، نعم وكان في المجاهدة فائقا ، وفي التوكل على رب مبالغًا واثقا ، قال الغزالى في الإحياء : كان الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يديه كما يقعد الصبى في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا ، فيقال له : مثلك يسأل هذا البدوى !! فيقول إنه وفق لما علمناه ، قال في الفتوحات لما سأله ابن حنبل والشافعى رضى الله عنهما عن زكاة الغنم قال على مذهبنا أو على مذهبكم إن كان على مذهبنا فالكل لله لا فلك شيئا وإن كان على مذهبكم ففي كلأربعين شاة شاة ، وعن من نسى صلاة من الخمس لا يدرى عنها مايلزمها ، فقال : هذا قلب غُفل عن الله فيؤدب بإعادة الآية ، فهام على وجهه سنة ثم رجع فقيل له : لم هربت ؟ فقال : من الحساب الدقيق .

(١) محمد بن عبد الله المعروف بشيبان الراعي ، انظر السخاوي الحنفى ، تحفة الأحباب ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ، والنبهانى ، كرامات ، ٩٩/١ - ١٠٠ .

(٢) سورة الزلزلة آية ٧ .

(وله أحوال ساميات وكرامات ظاهرات) منها أنه كان إذا أجب ولا
ماء عنده جاءت سحابة فأظلته فاغتنى منها ، ومنها إنه كان إذا ذهب للجمعة
خط على غنميه خطوا وذهب فلا تتحرك ولا يعترضها وحش ولا إنس حتى يرجع ،
وكان هو وسفيان رضي الله عنهما مارين بطريق مكة فعرض لهما سبع ، فقال
سفيان : أما ترى السبع ؟ فقال شيبان : لا تخف وأخذ بأذن الأسد فعركه
في بصبص وانصرف ، فقال سفيان : ما هذه الشهرة فقال : لولا خوف الشهرة
لوضعت زادى على ظهرى إلى مكة . وكان أميا ومع ذلك إذا سئل عن شيء من
الفقه أو غيره أجاب عنه بجواب حسن ، ومرت به رابعة العدوية فقالت له : أريد
الحج فأخرج لها من كمه ذهبا وقال أنفقيه في الطريق فمدت يدها إلى الهواء
وقبضت منه فإذا هي مملوءة ذهبا وقالت أنت تنفق من الجيب وأنا أنفق من
الجيب ، فبح معها على التوكل من غير زاد ، وكتب إليه أبو على رضي الله
عنه الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره
في نفسه ، وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه فتشريف بذلك نفسه
ويستكملا وبصير عالما معقولا مضاها للعالم الموجود ويستعد للسعادة القصوى
في الآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية والعقل له مراتب واسماء بحسب تلك
الراتب فال الأول هو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية والصناعات
ال الفكرية ، وحده غريرة تهيأ بها إدراك العلوم النظرية ، ثم يترقى في معرفة
المستحيل والممكن والواجب ، ثم ينتهي إلى حد يقمع الشهوات البهيمية ،
واللذات الحسية ، فتتجلى له صور الملائكة إذا تخلى بحليتها ، فعابن الحقائق
الدائمة ، ويعلم بذاته ووضعه ولماذا خلق ، فأجابه بما نصه من شيبان الأبله
الأمى إلى الخبر أبي على وصل كتابك مشتملا على ماهية العقل وحقيقةه وقد
الفيتها وفيا بمقصودك لا بقصدك ، ولست من قنع عن الدُّرُّ بالصدف ، واقتني
علوما لم يؤمر بها فاستغرقت فيها همته حتى زلت به قدم الغرور في مهوات من
التلف ، وكلما تذروه راح الموت ، فالهمة تقتضي تركه والسلام .

(ومن كلامه) : حقيقة المحبة أرق بلا رقاد ، وجسم بلا فؤاد ، وتهتك في العياد وتشرد في البلاد ، مات بمصر ودفن بالقرافة بقرب الشافعى ! رضى الله عنه بالترية التي فيها المزنى وبينه وبين المزنى قبر الخياط ، كان رضى الله تعالى عنه من أكابر الصالحين .

(١١٨) شعوانة العابدة الزاهدة^(١)

ذات الكرامات والخوارق التي بفضلها شاهدة ، كانت شديدة الحزف من الله تعالى بحيث لا تفتر عن البكاء وتقول : وددت لو بكت الدم لا أشتفي ، وتقول : من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين ، فإن الباكي إنما يبكي لعرفته بذنوبيه وبما هو صائر إليه ، وكانت لا تسمع الذكر إلا بكث ، وكان يقال : إن كثرة الدموع وقلتها بقدر احتراق القلب ، فإذا احترق كله لم يشأ الحزين أن يبكي ، إلا بكى والقليل من التذكرة يجزئه ، وكانت تنادي : يا بنى الموتى وإخوة الموتى ، وكانت تردد هذا البيت وتبكي .

لقد أمن المغورو دار مقامه ويوشك يوماً أن يخاف كما أمن

وكان الفضيل رضى الله عنه يتrepid إليها ويسألاها الدعاء .

(ومن كراماتها) أنه كان لها ولد صغير فلما شب وترعرع قال : يا أماه هببني لله ، فقالت : يا بنى لا يصلح أن يهدى للملوك إلا أهل الأدب وأنت غرّ لم يأن لك ذلك ، ثم خرج يوماً يحتطب فنزل عن دابته ليجمع حطباً ، فرجع فوجد السبع افترسها فجعل يده في عنق السبع وقال : يا كلب الله بحق سيدى لأحملنك الحطب كما تعديت على دابتي ، فحمله وهو طائع مختار حتى دخل على أمه ، فقالت : الآن صلحت للخدمة اذهب فقد وهبتك لله فودعها وذهب ، وحكى أبو عثمان المغربي أنها قالت عند موتها : أنا أكره لقاء الله فقيل : لم ؟ قالت : لكتلة ذنبي .

حرف الصاد / المهملة

(١١٩) صالح بن بشر المزى^(١)

البصري المعروف بالتزهد ، المشهور بالتجدد العارف العابد ، حليف المساجد ، سلك الطريق ، وتكلم في علم الحقيقة ، وكان ذا رياضة ومجاهدة وسعادة ومساعدة ، وله أتباع وأصحاب ومريدون وطلاب نعم ، وكان صاحب قراءة وشجن ، ومكابدة وحزن ، وقد قيل التصوف تحرك الأخبار ، وتفرد الأسرار ، وكان صاحب حديث ، كثير الخوف من الله تعالى كثير البكاء والنحيب يبكي بكاء الشكلى ويجرأ جوار الرهبان ، ويرعد حتى تكاد مفاصله تتقطع ، وإذا رأى مقبرة مكث يومين أو ثلاثة مبهوتا لا يعقل ولا يتكلم ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يهدى ، وكان يسمع كلام الموتى ويخاطبونه ويعظونه ويقولون له : قد وجدناكذا حقاً وكذا ، وقال : قيل لى : إن أردت أن يستجاب لك ، فقل : اللهم إني أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الظاهر المطهر المقدس فما دعوت به إلا أجبت ، أنسد الحديث عن الحسن وغيره من كبار التابعين وروى عنه الترمذى وضعفوه ، مات سنة اثننتين وسبعين ومائة ، رضى الله تعالى عنه .

(١٢٠) صفوان بن سليم^(٢)

المشهور بالتوكل والتسليم ، كان في الدنيا الدنيئة زاهداً ، وعن الشهرة نائماً متبعداً ، يتهجد في الشتاء فوق السطح ، وفي الصيف في قعر البيت للا يأخذه النوم ؛ وناهيك يقول أحمد رضي الله عنه في حقه : هو من خيار عباد الله يستنزل بذكره القطر ، مكث ثلاثين سنة لا يضع جنبه الأرض مات وإنه بجالس ونقيت جبهته من كثرة السجود ، ورآه سليمان بن عبد الملك قاعداً بالمسجد

(١) تهذيب التهذيب ٤/٣٨٢ - ٣٨٣ : والمعارف لابن قتيبة ص ٤٢٠ : والشذرات ١/٢٨١ . . .

(٢) تهذيب التهذيب ٤/٤٢٥ - ٤٢٦ : والشذرات ١/١٨٩ ، وطبقات الشعراني ١/٣٣ . . .

فأعجبه سمه فأرسل إليه بـألف دينار ، فقال للقاصد : إنك غلطت فارجع فتشتب
ذلما ذهب هرب ، مات سنة اثنين وثلاثين ومائة ، رحمه الله .

(١٢١) صفوان بن محرز المازني^(١)

المتعبد البكاء ، المتوحد الدعاء ، كان له خص فيه جزع فانكسر فقالوا
له : ألا نصلحه لك ؟ فقال : دعوه إنما أموت غداً ، وكان يقول : إذا أصبحت
رغيفاً أشدُّ به صلبي وأثب إلى أهلِي فجزى الله الدنيا عن أهلها شراً وما زاد
على رغيف حتى فارق الدنيا ، وكان له سرب يبكي فيه ولا يخرج منه إلا
للعبادة ، وأسند الحديث عن ابن عمر ، وأبى موسى وحكيم بن حزام وأخرين ،
ومات بالبصرة في ولاية بشر بن مروان^(٢) ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

(١٢٢) صلة بن أشيم العدوى^(٣)

ابو الصهباء أحد زهاد الدنيا ، كان عند النوازل محتسباً صابراً وفي
الخandas منتصباً ذاكراً ، وقد قيل : التصوف ، شدة الانتساب والاكتساب برؤية
الاكتساب والارتفاع .

(قوله كرمات ظاهرة وأحوال باهرة) منها أن فرسه مات وهو في الغزو
قال : اللهم لا تجعل لخلقك على منة ودعا الله فأحياه له ، فلما وصل بيته قال
لولده : خذ سرج الفرس فإنه عارية فأخذه فسقط ميتاً ، وجاء يوماً وهو بالأهواز
فدعاه الله فوقع خلفه سلة رطب في ثوب حرير فأكل وبقى الثوب عند زوجته
زماناً ، وكان إذا جن الليل خرج إلى أجمة يعبد الله فيها ، ففطن له رجل فقام
في الأجمة لينظر عبادته فأتاها سبع فسلم ثم قعد ، فقال : قم أيها السبع فابتغ

(١) المعارف لابن قتيبة ٤٥٨؛ وتهذيب التهذيب ٤/٤٣٠ - ٤٣١؛ وطبقات الشعراوي ١/٣٠.

(٢) سنة ٧٤ هـ.

(٣) طبقات الشعراوي ١/٣١؛ والنبهاني ، جامع ، ٤٧/٢؛ والبداية والنهاية ٩/١٥ - ١٦ .

الرُّزْقُ فَتَمْطَطُ وَذَهَبَ وَإِنْ لَهُ زَائِرًا تَكَادُ تَتَصَدِّعُ مِنْهُ الْجَبَالُ ، ثُمَّ قَامَ لِعِبَادَتِهِ فَلَمَّا
كَانَ السُّحْرُ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ صَلَةَ لِيْسَ بِأَهْلِ أَنْ يَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ لَكَ سَتْرًا مِنَ
النَّارِ ، وَمِنْ بَقَاوَلَةٍ قَدْ جَبَسَهُمُ الْأَسْدُ فِجَاءَ حَتَّى مَسَّ فَمَهُ ثُمَّ وَضَعَ رَجُلَهُ عَلَى عَنْقِهِ
وَقَالَ : إِنَّمَا أَنْتَ كَلْبٌ مِنْ كَلَابِ الرَّحْمَنِ وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَخَافَ شَيْئًا
غَيْرَهُ وَمَرَّتِ الْقَافْلَةُ ، وَدَعَا اللَّهُ أَنْ يَهُونَ عَلَيْهِ الطَّهُورُ فِي الشَّتَاءِ فَكَانَ يُؤْتَى فِيهِ
بِالْمَاءِ لِهِ بَخَارٌ ، وَدَعَا رَبِّهِ أَنْ يَمْنَعَ قَلْبَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَهُوَ فِي الصَّلَةِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ
قُطُّ ، وَكَانَ يَصْلِي حَتَّى لَا يَكْنَهُ أَنْ يَأْتِي فَرَاشَهُ إِلَّا زَحْفًا ، وَقَالَ : طَلَبْتِ الْمَالَ مِنَ
وَجْهِهِ فَأَعْيَانِي إِلَّا رُزْقٌ يَوْمَ بَيْوَمٍ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ لِي ، وَقَالَ : لَهُ رَجُلٌ أَوْصَنَنِي ،
قَالَ : رَغْبَكَ اللَّهُ فِيمَا يَبْقَى وَزَهْدُكَ فِيمَا يَفْنِي وَوَهْبٌ لِكَ الْيَقِينُ الَّذِي لَا يَسْكُنُ إِلَّا
إِلَيْهِ ، وَلَا يُعَوِّلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فَهُمْ بِهِ أَصْحَابُهُ أَنْ
يَأْخُذُوهُ بِشَدَّةٍ فَقَالَ : أَنَا أَكْفِيكُمْ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ ، قَالَ مَا هِيَ ؟
قَالَ : تَرْفُعُ إِزَارَكَ فَقَالَ نَعَمْ وَكِرَامَةً ، فَرَفَعَهُ ، فَقَالَ : لِأَصْحَابِهِ لَوْ أَخْذَتُهُمْ بِشَدَّةٍ
قَالَ : لَا وَلَا كِرَامَةً وَشَتِّمَكُمْ ، مَاتَ سَنَةُ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ بِمَصْرٍ وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ
وَيَقَالُ : إِنْ قَبْرَهُ مَعْرُوفٌ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ لَقَى عَدَةٌ مِنَ الصَّحَّابَ تَعْلُمُ مِنْهُمْ وَاقْتَبَسُ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعُونَ .

حُرْفُ الضَّادِ / المُعْجمَةُ

(١٢٣) ضِيَفْمَ بْنُ مَالِكٍ

كَانَ رَأْسَاً عَظِيمَاً فِي الزَّهْدِ وَالْوَرْعِ ، وَالْخُوفُ : مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَفْضُ
الْطَّمَعِ ، كَانَ وَرَدَهُ كُلُّ يَوْمٍ أَرْبِعَمِائَةَ رَكْعَةً ، قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ أَتَحْبُّ الْمَوْتَ ؟ قَالَ : لَا
يَا أُمَّاهَ ، قَالَتْ : لَمْ ؟ قَالَ : لِكُثْرَةِ تَفْرِيْطِي وَغَفْلَتِي عَنِ النَّفْسِ .

(ومن كلامه) : لو يعلم الناس ما يستقبلونه غداً ما لذهم عيش ، وقال : أحذرك نفسك على نفسك فإني رأيت هموم المؤمن في الدنيا لا تنتهي ، وائم الله لئن لم تأت الآخرة للمؤمن بالسرور لقد اجتمع عليهم الدنيا وشقاء الآخرة ، قيل له : فكيف لا تأتيه بالسرور وهو ينصب لله في الدنيا ويدأب . فقال : فكيف لله بالقبول ؟ فكم من رجل يرى أنه قد صلح شأنه ، قد أصلح قرينه ، قد أصلح همته ، قد أصلح عمله فيجمع ذلك كلها يوم القيمة فيضرب به وجهه . رضى الله تعالى عنه .

حرف الطاء المهملة

(١٤٤) طاوس بن كيسان^(١)

المتفقد اليقظان ، المتبعد المخشن ، الإمام أبو عبد الرحمن الحميري اليماني التابعى الكبير . كان من فضلاء الصالحين ، وعلماء العابدين ، وعظ وتكلم على المنابر ، وحضر مجلسه الأعيان والأكابر ، أصله من الفرس وأمه حميرية ، وكان يسكن مدينة الجندي ويتربى إلى صنعاء ، وأدرك خمسين صحابياً ، صلى الصحيح بوضوء العشاء أربعين سنة ، وحج أربعين حجة ، قال الغزالى رحمة الله : وكان عظيم الورع جداً ففعل ابن له كتاباً على لسانه إلى عمر بن العزيز فأعطاه ثلاثة دينار ، فباع طاوس ضيعة له فبعث بها إلى عمر هذا مع أن السلطان مثل عمر ، قال الغزالى رحمة الله : فهذه هي الدرجة العليا في الورع ، ودخل على أخي الحاج في غداة بردة فقال لغلامه : هلم الطيلسان فألقه عليه فحرك كتفيه حتى سقط غضب غضباً شديداً فقيل له : كنت غنياً عن غضبه لو أخذته وتصدقت به ، قال : نعم لولا أن يُقال بعدى أخذه طاوس ولا يصنع ما

(١) تهذيب التهذيب ٨/٥ - ١٠ : والمعارف لابن قتيبة ص ٤٥٥ : وصفة الصفة ٢/١٦٠ ، وحلبة الأولياء ٣/٤ : وابن خلkan في وفيات الأعيان ٢٣٣/١ : والشذرات ١٣٣/١ - ١٣٤ .

أصنع به ، وأدخل على هشام بن عبد الملك فقال : كيف أنت يا هشام فغضب ، وقال : لم لا تخاطبني بإمرة المؤمنين قال : لأن جميع المؤمنين ما اتفقوا على خلافتك فخفت الكذب ، فمن أمكنه أن يتحرز هذا التحرز فليخالط الناس ، وإلا فاليرض بإثبات اسمه في جريدة المنافقين .

(ومن كلامه) لا تنزل حاجتك من يغلق دونك بابه و يجعل دونها حجابه بل أنزلها من بابه لك مفتوح ، وفضلة لك منوح ، وأمرك أن تدعوه ووعدك بالإجابة وبالفتح وقال : ما من شيء يأتي من ابن آدم إلا أحصى عليه حتى أنيه في مرضه ، وقال : لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ، واستأذن رجل عليه فخرج له شيخ ، فقال أنت الطاوس ؟ قال : ابنه قال : إن كنت ابنه لقد خرف ، قال : إن العالم لا يخرف ثم قال : إذا دخلت عليه فأوجز فدخلت فقال : إذا سألت فأوجز قلت : إن أوجزت لي أوجزت لك ، قال : إنـى أجمع لك فى مجلسك هذا علم التوراة ، والإنجيل والفرقان قال نعم قال خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه وارجه رجاء هو أشد من خوفك إيه ، وأحب للناس ما تحب لنفسك وقال : ارقص للقرد فى زمانه ، وقال : صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، وقال : لكل شيء غاية وغاية كل إنسان حسن عقله ، وقال : لما خلقت النار طارت أفتئدة الملائكة فلما خلقت سكنت ، ومر برجل نائم فى وقت السحر فقال : ما هذا ما كنت أظن أن أحدا من المسلمين ينام وقت السحر ، وكان معه رجل فنعق غراب فقال : خير على عادة الجهلة ، فغضب وقال : أى خير أو شر عنده يا جاهل ؟ !! الأمور كلها بيد الله منه مصدرها واليه مرجعها ليس لغيره فيها مشيئة ، وقعد إليه ولد سليمان بن عبد الملك وهو خليفة فلم يحتفل به ولم يلتفت إليه ، فقيل له : ابن أمير المؤمنين ؟ قال : أردت أعلمـه أنـى عباداً يزهدون فيه وفي أبيه وفيما بأيديـهم ، وحجـ عمر بن عبد العزيـ قبل أنـ يستخلف فـمـ بـطـاوـسـ وهو يـختـالـ فـمـ شـيـتهـ فـغـمـ جـنبـهـ بـأـصـبـعـهـ ، وـقـالـ : لـيـسـتـ هـذـهـ مـشـيـةـ مـنـ فـيـ بـطـنـهـ الـخـراءـ ، فـقـالـ :

كالمعتذر يا عم قد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ، وكان من أشد الناس ورعا بحيث لا يشرب من المياه التي أحدثتها الملوك بمكة وطرقها ، وكان إذا رأى ناراً طاش عقله ، ولما احتضر قال لولده : إذا وضعتنى باللحد ونصبت اللبن ولم يبق غير قليل انظر فإن وجدتني فإننا لله وإننا إليه راجعون ، وإن لم تجدرن فاحمد الله ، فعل ابنه ذلك فما عرف الناس الحال إلا بتلهل وجهه ، مات يوم التروية بزدلفة أو بمنى سنة ست ومائة على الأشهر عن بعض وسبعين سنة ، ولما حمل على النعش أخذ عبد الله بن الحسين بن على ، رضى الله عنهم ، بقائمة السرير فحمله وسار حتى وصل القبر ولم يدع أحداً يزاحمه عليه .

(١٢٥) طلحة بن مصرف الهمданى^(١)

الковي المحدث الصوفى كان من أعظم الناس ورعا وزهداً ، وأرفعهم منزلة ، وأسماهم سعداً ، له حرمة ومهابة ، وفضيلة وإصابة ، صوفى لاحت أنوار جماله ، وظهرت محسن جلاله ، ومسلك يستند إلى ركته ويعتمد على تربته ويلتمس من ينه .

(ومن كلامه) : أدركنا أقواماً نرى أنفسنا في جنبهم لصوصاً ونرى كثرة أعمالنا لعبا ، وقال : ما عاتب أحد أخاه على أمر إلا وقلاه بعد ذلك ، وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار ، وضحك يوماً فوثب على نفسه فقال : فيما الضحك إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط ولم يضحك بعدها قط ، أنسن الحديث عن أنس وغيره وخرج له الجماعة مات سنة اثنين عشرة ومائة ، رضى الله عنه .

(١) تهذيب التهذيب ٢٥/٥ - ٢٦ : المعارف لابن قتيبة ص ٩ : والشذرات ١٤٥/١

حرف العين المهملة

(١٢٦) عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبرى البصري^(١)

الراقب المستحى المسالم المستضى ، وقد قيل : التصوف انتصاب لارتقاء ، وارتقاء للتقاء ، وهو أحد الشمائلة الذين انتهى إليهم الزهد فى التابعين ، وقصدوا من الآفاق واشتهروا بين العالمين ، قال مالك بن دينار هو راہب هذه الأمة وكان يبيت قائماً ويظل صائماً ، وفرض على نفسه كل يوم وليلة ألف ركعة ، حتى انتفخت ساقاه من طول القيام ، ويقول : يا نفس بهذا أمرت ولهذا خلقت يوشك أن يذهب العنا ، وكان يقول لنفسه قومي : يا مأوى كل سوء وينادى : اللهم إن النار منعنتي من النوم فاغفر لى ، وكان إبليس يتمثل له كالحية فيتلوي في محل سجوده فإذا وجد ريحه نحاه بيده ، ويقول : لو لا تتننك لم أزل عليك ساجداً . وصلى يوماً فدخلت حبة من ذيله ، وخرجت من جيبه فقيل له : لم لا تنحيها قال : والله ما أعلم بها حين تدخل ولا حين تخرج وإنى لأستحب من الله أن أخاف غيره ، وجاءه أسد من خلفه فوضع يديه ، على كتفيه وهو يتلو « ذلك يوم مجموع له الناس » مما قطع تلاوته فلما وجده الأسد لا يكتثر به ذهب .

(ومن كلامه) أحببت الله حباً سهل على كل مصيبة ورضاني بكل قضية ، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه ، وقال : في الدين الله والحزن وفي الآخرة النار والحساب فأين الراحة والفرح ، وكانت تكتنفه السباع وتشب عليه فلا يكتثر بها ويقول : عظمت هيبة الله في صدرى حتى ما أهاب شيئاً غيره ، وقال : عليك بما يرغبك في الآخرة ويزهدك في الدنيا ويقربك إلى الله ، وقال : أصفى الناس إيانا يوم القيمة أشدهم محاسبة لنفسه ، وأشدتهم

(١) المعرف لابن قتيبة ص ٢٣٨ ! والاصابة : وتهذيب التهذيب ٧٧/٥ : وحلية الأولياء ٨٧/٢ والنهانى ، جامع كرامات الأولياء ٥١/٢ .

فرحاً في الدنيا ، أشدهم حزنا يوم القيمة ، وأكثراهم ضحكاً في الدنيا أكثرهم بكاء يوم القيمة ، ورأى ذمياً يظلم فخلصه ، كان شديداً في الأمر بالمعروف فكان ذلك سبباً لتسبيره فلما سير الشام شيعه أخوانه إلى ظهر المريد ، فقال : أني داع فأمنوا ، و قالوا : قد كنا نشتتهي هذا منك منذ زمان ، فقال : اللهم من وشا بي وكذب على وأخرجنى من مصر وفرق بينى وبين إخوانى فأكثرا ماله وولده وأصلح جسمه وأطال عمره .

(ومن كراماته) أنه سأله أن يهون عليه الظهور في الشتاء فكان يؤتى بالماء وله بخار ، وقيل له وقعت النار بدارك فقال : إنها مأمورة وأقبل على صلاته فلما بلغت النار داره عدلت عنها ، ومنها أنه كان إذا سافر صحب ركوة فإن شاء صب منها زيتاً أو ماء أو لبناً أو عسلاً أو غير ذلك ، وكان معه بعض دراهم ينفق منها على الفقراء ولا تنقص أبداً ، ومنها أنه كان في قافلة فاعتراضها أسد فحبسها فقال : مالكم ؟ قالوا : الأسد ، فمر إليه حتى وضع يده على فمه ومرت القافلة ومنها أنه عارض جيش الروم على بغلة وحده ورجع سالماً ، ومنها أنه كان يأخذ عطاه فيجعله في طرف ثوبه فلا يلقاء أحد إلا أعطاها ، فإذا دخل بيته رمى به اليهم فيجدوا له سواء لم ينقص منه شيء أخرجه ابن المبارك ، وقال : ووشى به إلى عثمان رضي الله عنه فأمر بنفيه إلى الشام على قتب فأنزله معاوية الخضرة وبعث إليه بجارية وأمرها أن تعلميه بحاله فكان يقوم الليل كله ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، فكتب معاوية إلى عثمان رضي الله عنه يعلمه بحاله ، فأمره أن يدنيه ويصله ، فقال : لا إرب لى فيكم ، وسأل الله أن ينزع من قلبه شهوة النساء فكان لا يبالى ألقى ذكرأً أم أثثى ، أورده في الإصابة فيمن أدرك المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وقال أبو موسى في الذيل الجاهليه : مات في خلافة معاوية ودفن ببيت المقدس قال ابن الجوزي روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية .

(١٢٧) عبد العزيز بن أبي رواه^(١)

العبد السجاد ، الشاكر العواد ، كان بالعبادة متنعماً ، وللمصائب والمحن متكتماً ، وقد قيل : إن التصوف تعداد العطایا وكتمان الرزايا ، ذهب بصره عشرين سنة ولم يشعر به أهله ولا ولده فنأنمه ابنه يوماً ، فقال : يا أبا ذهبت عينك ؟ فقال : نعم يابنى الرضا عن الله أذهب عين أبيك ، ومكث أربعين سنة لا يرفع طرفه إلى السماء وبينما هو يطوف حول الكعبة ، إذ طعنه المنصور فى الطواف بأصبعه فى خاصرته فالتفت إليه ، وقال : علمت أنها طعنة جبار ، وقيل له : كيف أصبحت ؟ فبكى ، وقال : أصبحت والله فى غفلة عظيمة عن الموت مع ذنب كثيرة قد أحاطت بي ، وأجل يسرع كل يوم فى عمري ، ولست أدرى على ما أهجم ثم بكى حتى بكى .

(ومن كلامه) : من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشئ الإسلام ، القرآن والمشيب ، وقال : أفضل العبادة طول الحزن ، وقال : أوحى الله إلى داود عليه السلام : بشر المذنبين وأنذر الصديقين ، فعجب ، فقال : نعم ، بشر المذنبين أنه لا يتعاظمنى ذنب أغفره وأنذر الصديقين لا يعجبوا بأعمالهم فإنى لم أضع عدى وحسابى على عبد إلا هلك ، أسنـدـ المـحـدـيـثـ عنـ عـدـةـ مـنـ التـابـعـينـ .

(١٢٨) عبد الله بن ثوب^(٢)

بضم ففتح الخولانى حكيم الأمة ومثلها ، ومديم الخدمة ومحرزها ، المتخللى عن الهموم ، المتسللى بالأوراد عن الغموم ، وقد قيل : التصوف التخللى عن المتضى الفانى ، والتسللى بالمحتذى الباقي ، كان لا يجالس أحداً تكلم فى شئ من الدنيا إلا تحول عنه ، وقد أدرك الجاهلية وسكن الشام بدرايا وأصله من البصرة وقيل : من اليمن وقيل : هو أبو مسلم الخولانى المتقدم .

(١) تهذيب التهذيب ٣٣٨/٦ : والشذرات ٢٤٦/١ : وطبقات الشعرانى ٥١/١ .

(٢) هو أبو مسلم الخولانى المتقدم ، انظر ترجمته ، والنبهانى جامع الكرامات ١٠٤/٢ .

(ومن كلامه) : كان الناس ورقا لا شوك فيه ، والآن شوك لا ورق فيه إن سببتهم سبّوك وإن تركتهم لم يتركوك ، وإن تفر عنهم يدركوك ، وقال : لو قيل لي : إن جهنم تسعر ما استطعت الزيادة في عملى ، وقال : ترك الخطيبة أهون من طلب التوبة ، وقال : لو رأيت الجنة عيانا ما كان عندي مستزاد ، وكان الظبي يير به فيقول الصبيان : ادع الله أن يحبسه علينا فييدعو فيحبس فيؤخذ باليد ، ودخل على امرأته فوجدها حزينة فقال مالك ؟ قالت لك منزلة من معاوية فاطلب لنا خادما فقال : اللهم من أفسد على امرأتك فاعم بصره وعندها امرأة ذكرت لها ذلك فعميت حالا فبكت واستغاثت فدعا الله فرد بصرها ، مات في زمن ابن معاوية .

(١٢٩) عبد الله بن غالب^(١)

العايد الراتب ، المتشمر الناجب ، المتشوق الطالب ، وقد قيل : التصوف الحذر من الدنيا والهرب والرعب في العقبى والطلب ، كان يصلى الضحى مائة ركعة ويقول لهذا خلقنا وبه أمرنا ، وكان يقص بمسجد الجامع زمن الحسن رضى الله عنه ، فيقول له : شفقت على أصحابك ، فيقول ما أرى أعينهم انفاقات ولا ظهورهم اندقت ، يا حسن الله يأمرنا أن نذكره كثيرا وأنت تأمرنا أن نذكره قليلا ، كلا لا تطعه واسجد واقترب ، ولما كان يوم الزاوية ، قال : إننى لأرى أمراً ما عليه صبر ، روحوا بنا إلى الجنة ، فكسر جفن سيفه ثم قاتل ، حتى قتل فكان يوجد من قبره ريح المسك .

(١٣٠) عبد الله بن يزيد الجرمي^(٢)

أبو قلابة الليب الناصح ، الخطيب الفاسق ، كبير إشفاقه فكثر إنفاقه ، وقد قيل : التصوف النصح في الإشفاق ، والفسح في الأخلاق .

(١) عبد الله بن غالب الحراني ، تهذيب التهذيب ٣٥٤/٥ - ٣٥٥ .
(٢) النبهانى ، كرامات ١٠٤/٢ : والشنرات ، ١٢٦/١ : وتدكرة المحفظ ٨٨/١ .

(١٣١) عبد الله بن عون

الحافظ للسانه ، الضابط لأركانه ، ذو القلب السليم والطريق المستقيم ، كان للقرآن تاليها وللجماعة مواليا ، أعرض عن أعراض المسلمين ، وأصبح وأمسى وهو عن جنى عليه عافيا ، وقد قيل : إن التصوف ، بذل الندا وحمل الأذى ، قال خارجة : صحبته أربعة وعشرون عاما فما علمت أن الملائكة كتبت عليه خطيئة ، وقال ابن عباد : ما رأيت أعلم منه ، وما حلف يمينا بارا ولا فاجرا حتى مات ، وقال مرة : كنا نعجب من ورع ابن سيرين وزهذه فأنساناه ابن عون ، وكان له جلالة عجيبة ووقع في النفوس فإنه كان إماما في العلم ، ورأسا في التأله والتعبد والتزهد ، والتربيض والتجرد ، حافظا لأنفاسه كبير الشأن ، نادته أمه يوما فأجابها فعلا صوته عليها فعتق رقبة ، وما دخل حماما قط ، وكان يقول : لا ينبغي أن تعاتب أحداً فإنك إن عاتبته أعقبه بما هو أشد ، وقال : لن يصيب عبد حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى ، أنسد الحديث عن أنس وغيره ، ومات سنة إحدى وخمسين ومائة خرج له ستة ، رضى الله تعالى عنه .

(١٣٢) عبد الله بن المبارك

المروزى فخر المجاهدين . قدوة الراهدين ، السخي الجoward ، المهد للمعاد ، المتزود من الوداد ، أوليف القرآن والمحج والجهاد ، جاد فساد ، ورجع فزاد ، وقد قيل إن التصوف اعتداد لازدياد ، واستعداد وارتياض ، وقد أجمعوا على جلالته وتقدمه في كل شيء ، وإنه من تستنزل الرحمة بذكره وتزجي المغفرة بحبه ، قال سفيان الثورى رضى الله عنه : جهدت جهدي على أن أكون فى السنة

(١) تهذيب التهذيب ٥/٤٦ - ٣٤٩ : والشذرات ، ١/٢٣٠ : وطبقات الشعراني ١/٥٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٥/٤٨٢ - ٣٨٧ : وتنكرة الحفاظ ١/٢٥٣ ، والرسالة المستطرفة ٣٧ : وحلية الأولياء ٨/١٦٢ ، والشذرات ١/٢٩٥ - ٢٩٧ .

(ومن كلامه) : إذا أحدث الله لك علما فأحدث له عبادة ولا يكن همك أن تحدث به الناس ، وقال : مامن أحد يريد خيراً أو شراً إلا وجد في قلبه أمراً وزاجراً ، وقال الزم سوقك فإن الغنى من العاقبة ، وووجد بعض أصحابه يشتري ثمناً رديئاً ، فقال : كنت أظن أن الله نفعك بمجالستنا أما علمت أن الله نزع من كل ردئ البركة ، وقال : ما شئ أطيب من الروح ما نزع من شئ ، إلا أنت ، وقال : ما أمات العلم إلا القصاص يجالس الرجل القاصص سنة فلا يتعلق منه بشئ ويجلس للعالم ساعة فلا يقوم حتى يتصلق منه بشئ ، وقال : يود قوم كانوا يكتبون في الدنيا أن أقلامهم كانت من نار ، وقال : لا تجالسو أهل الأهواء فربما غمسوكم في ضلالتهم أو ألبسو عليكم ما لا تعرفون ، وقال : مثل العاصي كالرجل وقع في بحر فما عسى أن يسبح حتى يغرق ، وقال له عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : عظني فقال : له من عهد آدم عليه السلام إلى وقتنا هذا لم يبق خليفة سواك ، قال : زدني ، قال : إن كان الله معك فمن تحالف ، وإن لم يكن معك فالى من تلتتجي ؟ فقال حسبي حسبي .

(ومن كراماته) : أنه خرج حاجاً في يوم صائف وهو صائم فأصابه عطش شديد ، فقال : اللهم انك قادر على أن تذهب عطشى من غير فطر ، فأظلته سحابة على قدره فامطرت عليه حتى بلت ثوبه وذهب عنه الظماء ، ولم يصب أحداً من رفقته شيء من المطر ، ولم يكن في عصره أحد أعلم منه بالقضاء فأذن به ، فهرب ومرض بالشام ، فأتاه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يعوده ، فقال : يا أبا قلابة تشدد لا يشمت بنا المنافقون ، أنسد عن أنس وغيره من الصحابة وأخذ عنه خلاائق ، ومات بالشام أربع أو خمس ومائة عن أربع وخمسين سنة .

ثلاثة أيام على ما كان عليه ابن المبارك فلم أقدر ، وسمع سفيان رجلا يقول : أين ابن المبارك عالم المشرق ، فقال : عالم المشرق والمغرب وما بينهما ، وقال الفراء . ابن المبارك إمام المسلمين أجمعين : وقال ابن معين : هو أعلم من سيفان الثوري رضي الله عنه ، وقال ابن عياش : ما على وجه الأرض مثله ، ما خلق الله خصلة من خصال الخير إلا وجعلها فيه وهو من أتباع التابعين ، وكان أبوه تركيا مملوكا لرجل من همدان ، وجمع الفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة ، والصيام والقيام وقلة الكلام فيما لا يعنيه ، وكتب الحديث عن مائة وألف شيخ ، وكان يسive وحده شديد الورع جدا بحيث سافر من مرو إلى الشام في رد قلم استعاره ونسيه في رحلة سافر ، وما دخل حماما قط لشدة تقشهه ، وقال له خياط أنا أخيط ثياب السلاطين فهل يخاف على أن أكون من أواعن الظلمة ، قال : لا إنما أواعن الظلمة من يبيع الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم ، قال الذهبي رحمه الله : كان يتجر وينفق على الفقراء في العام مائة ألف درهم .

(ومن كلامه) إذا قرأتم من القرآن ما تقييمون به صلاتكم فاشتغلوا بالعلم فإنه يطلع على معانى القرآن ، وقال : لا تسمى عالما حتى لا يخطر حب الدنيا بقلبك ، وقال : من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته ، وقال : علامه من عرف نفسه أن تكون عنده أذل من كلب ، وقال : رب عمل صغير يجعله النية كبيرة وعكسه ، وقال : خرج أهل الدنيا منها قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها ، المعرفة بالله ، وقال : أحب الصالحين ولست منهم ، وأكره الطالحين وأنا شر منهم ، وقال : من ختم بذكر كتب نهاره كله ذكراً ، وكان شديد التحرى لذلك ، وقال : الخبر في الشوب خلوف العلماء ، وقال : إن البصراء لا يؤمنون من أربع خصال : ذنب قد مضى لا يدرؤون ما يصنع به الرب ، وعمر قد بقى لا يدرؤون ما فيه من مهلكات ، وفضل قد أعطى لعله مكر واستدراج ، وضلاله قد زينت له فيراها

هدى ، وقال : لنا فى صحيح الحديث ما شغلنا عن سقيمه ، وقال : من بخل بالعلم إما أن يموت أو ينسى أو يلحق بالسلطان ، وقال : أربع كلمات انتخبت من أربعة ألف حديث لا تشق بامرأة ، ولا تحمل معدتك ما لا تطيق ، ولا تغتر بالولا تتعلم من العلم إلا ما تعلم أنك تعمل به ، وقال : كن محبا للخمول ، كارها للشهرة ، ولا تعتقد أنك تحب الخمول فتعظم نفسك وتقع في أشر منه ، وقال : دعوى الزهد تخرج عن الزهد ، وقال : سلطان الزهد أعظم من سلطان الرهبة فإن سلطانها لا يجمع الناس إلا بالعصا ، والزاهد يفر من الناس فيتبعونه ، وقال : التواضع التكبر عن الأغنياء ثقة بالله تعالى ، وقال : الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين ، وقال : كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين ، وقال : إمساك الدنيا لصون العرض عن ذل السؤال ولا يخرج عن الزهد ، وسئل من الناس ، قال : العلماء ، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد قيل : فمن السفلة قال : الذى يأكل الدنيا بيدينه ، وقال : قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرجوا يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش اتزر بأحداهم وارتدى بالأخرى ، فجلس بجنبى فسمعته يقول إلهى أخلقت الوجوه لكشة الذنوب ومساوية الأعمال ، وقد جبست عنا الغيث لتؤدب عبادك فأسألك يا حليم ذا الأناء ، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقىهم الساعة الساعة فلم يزل يكرر الساعة حتى اكتست الناس بالغمam وأقبل المطر من كل مكان وصحبه رجل سيء الخلق فى سفره ، وكان يختمله ويداويه ، فلما فارقه بكى فقيل له فيه ، فقال : أتررحم عليه ففارقته وخلقه معه لم يفارقه ، ولما احتضر فتح عينيه وضحك ، وقال : مثل هذا فليعمل العاملون ، مات قافلا من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة عن ثلاثة وستين سنة ودفن بهيت^(١) .

(١٣٣) عبد الله الصوري (١)

(١٣٤) عبد الله بن عبد العزيز العمري^(٢)

كان من أعبد الناس وأعلاهم همة وأوفرهم حشمة ، وأقواهم عزمه
يعامله أهل الدولة بالاعتقاد والتكريم ، ويقابلونه بالتبجيل والتفحيم ، ومع ذ
هجر الربع العاشر وسكن المقابر ، وكان يقول : ما رأيت أوعظ من قبر ولا أس
لّ الدين من الوحدة ، وقال : من ترك الأمر بالمعروف خوفا من مخلوق نزعته
هيبة الإسلام ؛ وقال : من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله ، وقال له رجل
عطني فأخذ حصاة من الأرض ، وقال : زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير

٥٥/١ طبقات الشعراوي .

(٢) تهذيب التهذيب - ٣٠٢/٥

من علوم أهل الأرض ، فقال : زدني ، قال : كما تحب أن يكون الله لك غدا فكن له اليوم ، وقال : لو أن الدنيا كلها لى ووضعت تحت قدمي لا يعنى من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها ، ولما حج الرشيد قال رجل لصاحب الترجمة : هذا أمير المؤمنين يسعى ، فقال العمري للرجل : لا جراك الله خيرا كلفتنى ما كنت غنيا عنه ، ثم قام فتبعه فأقبل الرشيد من المروءة فصاح به يا هارون ، قال : ليك ، قال : ارق الصفا فرقاه ، فقال : أدم بطرفك إلى البيت ، قال : قد فعلت ، قال : كم هم ؟ قال ومن يحصيهم ، قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحد يسألك عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسؤال عنهم أجمعين ، فانظر كيف تكون فيبكى وجلس حتى انقطع نفسه ، قال : العمري وأخرى أقولها لك : الرجل يسرف في ماله فيستحق الحجر ، فكيف بالمسرف في مال المسلمين ، ثم مضى وهارون يبكي فكان يقول : أحب أن أحج كل سنة ما يعنى إلا العمري يسمعنى ما أكره ، أسند الحديث عن أبي طوالة وغيره وأدرك جمعا من التابعين ، ومات بالمدينة سنة أربع وثمانين ومائة عن ست وستين سنة ، وكان ابن عيينة يعظمه جدا .

(١) عبد الله بن عمرو الأوزاعي (١٣٥)

الشامي الدمشقي الإمام المشهور ، صدر الصدور ، كان جليل القدر رحب الساحة والصدر ، رفيع المنزلة والهمة ، بهي المنظر ، عظيم اللمة ، ذا براعة ولسن ؛ وأخلاق خبرها صحيح وحديثها حسن ، نعم وكان أوحد زمانه ، وإمام عصره وأوانه ، لا يخاف في الله لومة لائم ، مقوالا للحق لا يخاف سطوة العظام ، وكان أهل الشام والمغرب على مذهبة قبل تحولهم لمذهب مالك رضي الله عنه وهو نسبة لبطن من حمير أو همدان أو قرية بباب الفراديس أو قبيلة أو

(١) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، المتوفى سنة ١٥٧ هـ : انظر وفيات الأعيان ١/٢٧٥ : وحلبة الأولياء ١٣٥/٦ ؛ والمعارف لابن قتيبة ٤٩٦ - ٤٩٧ ؛ والشذرات ، والأعلام للزركلى ٣٢٠ / ٣ .

غير ذلك ، ولد سنة ثمان وثمانين ، ونشأ في الفقه والتعبد والتزهد حتى كان لا يدخل الخلاء إلا في كل شهر مرة ، فرققت بطنه فصار يدخل في كل شهر مرتين فصارت أمه تقول لصحبه : ادعُ لعبد الله فإنه مبطن .

(ومن كلامه) ما من ساعة إلا وهي معروضة على العبد يوم القيمة ، فالساعة التي لا يذكر الله تعالى فيها تتقطع نفسه عليها حسرات ، ودخل عليه المنصور فقال : عظني فوعظه فبكى ، وقال : ادع لي قال ما دعاء رجل لك مع دعاء بقية الرعية عليك ؟ وقال : فضل محمد صلى الله عليه وسلم على الأنبياء كفضل جبريل عليه السلام على ملائكة السماء ، وقال ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالى أيهما أصاب . الغلو، أو التقصير ، وقال : إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى فمن طلب العز بطاعة الله رفعه ومن طلبه بعصيته أذله ووضعه ، وكتب إلى أخي له أما بعد ، فإنه قد أحيبط بك من كل جانب واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة وأحذر الله والمقام بين يديه والسلام ، وقال : قال سليمان : يا معاشر الجبارية كيف تصنعون إذا رأيتم الجبار !! وقال : من عمل سوءاً في نفسه بدا ، وقال : كل عمي ولا عمي القلب ، ولهم العلماء خير من حكمة الجهلاء ، وقال : ما وعظ رجل قوماً لا يريد به وجه الله إلا زلت عنه القلوب كما يزل الماء عن الصفا ، وقال : عن بعضهم ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعيذ بالله منه ، وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين للرياسة فلا يقتهم ، هم أحق بالمقت من الشرطي ، وقال : من أكثر من ذكر الموت كفاه اليسير ، ومن علم أن منطقه من عمله قل كلامه ، مات سنة سبع وخمسين ومائة بحمام بيروت .

(١٣٦) عبد العزيز بن سلمان

كان معدوداً من شيوخ التصوف، معروفاً لديهم بحسن التربية والتعرف ، وكان إذا ذكر القيمة أو الموت صرخ كما تصرخ الثكلة ويصرخ الخائفون من

جوانب المسجد ، وربما وقع الميت والميتان من مجلسه وكان من أكابر العابدين وكانت الجن تصلى معه .

(ومن كراماته) أن بعض أتباعه أبطأ عليه ، فقال : ما أبطأ بك عنا ، فقال : ألتمنس للعيال شيئاً ، قال : فوجدت ؟ قال : لا ، قال : هلم فلندع فدعا فتناثرت الدرارم والدنانير في حجورهم ، فقال : دونكها وممضى ولم يلتفت إليها ، وكانت رابعة رضى الله عنها تسمى سيد العابدين ، ودعا يوماً ملقد حضر مجلسه فانصرف إلى أهلة ماشيا على رجليه ، وقيل له : ما بقى مما تلذ به ؟ فقال : سردار أخلو فيه ، قال السعدي رحمة الله : كان عبد العزيز يرى الآيات والأعاجيب ، وكان قد بكى شوقاً إلى الله ستين عاماً .

(١٣٧) عبد الواحد البصري^(١)

وهو ابن زيد المتفلت من القيد ، التصييد للصيد ، الناجي من الخديعة والكيد ، الملاطف بالتبصر والأيد ، كان عابداً قانتاً ، زاهداً واعظاً رائداً ، من كبار القوم وأعاظم الصوفية ، كثير الصلاة والصوم ، وعظ يوماً فمات في مجلسه أربعة أنفس قبل أن يقوم ، وله وقائع باهرة ، وكرامات ظاهرة ، (منها) أنه أصابه فالج فدعا الله أن يطلقه في وقت الوضوء فكان إذا أراده انطلق فإذا فرغ عاد مفلوجاً ، (منها) ما حكاه سعيد البصري قال : أتيته وهو قاعد في ظل فقلت : لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لفعل ، قال : هو أعلم بمصالح عباده ثم أخذ حصاة من الأرض وقال : اللهم إن شئت أن تجعلها ذهباً فعلت فإذا هي ذهب فألقاها إلى وقال : أنفقها أنت فلا خير في الدنيا إلا للأخرة ، وكان يصلح الصلى بوضوء العشاء أربعين سنة .

(١) تهذيب التهذيب ٦ / ٤٣٤ ، وفيه أنه عبد الواحد بن زياد العبدى البصري : والسلمى ٣٦٦ : وخلاصة تهذيب الكمال ص ٢٠٩ : والشذرات ٢٨٧/١ .

(ومن كلامه) مثل المؤمن كالولد في الرحم لا يحب الخروج فإذا خرج لا يحب أن يرجع فكذا المؤمن في الدنيا ، وقال : أحسن أوقات العبد مع الله تعالى موافقته ، وقال : ما من عبد أعطى من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب بعدها وبعد الأنس وحشة ، وقال : إن أردت علم اليقين فاجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد ، وقال : من قوى على بطنه قرئ على دينه وقوى على الأعمال الصالحة ، وقال : الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرق بينهما وقال : مال للعاملين والبطنة ؟ إنما العامل من تكفيه علقة تقسم برمقه ، وقال : لا درجة أرفع ولا أشرف من الرضى وهو رأس المحبة ، وقال : ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون ، وقال : رأيت راهباً عليه مدرعة من شعر سوداء فقلت : ما حملك على لبس السواد قال : هو لبس المحزونين وأنا من أكثرهم حزناً ، قلت من أى شيء حزنك قال : أصبت في نفسي وذلك أنني قتلتها في معركة الذنوب فأنا حزين عليها ثم بكى فقلت ما أبكاك الآن قال : قلة الزاد وبعد المفازة وعقبة لابد من صعودها ولا أدرى أين يهبط بي إلى جنة أم إلى نار ، وقال قصدت بيت المقدس فتهاه وإذا بامرأة فقلت يا غريبة أنت ضالة ؟ قالت : كيف يكون غريباً من يعرفه أم كيف يكون ضالاً من يحبه !! خذ رأس عصاً وتقدم بين يدي ففعلت ومشيت نحو سبعة أقدام وإذا ببيت المقدس ثم غابت فلم أرها ، وقال : مررت براهب فسألته منذ كم أنت هنا ؟ قال : نحو عشرين سنة ، قلت : من أنيسك ؟ قال : الفرد الصمد ، قلت : ومن الخلق ؟ قال : الوحش ، قلت : بما طعامك ؟ قال : ذكر الله قلت : أفلأ تستيقظ إلى أحد ، قال : نعم إلى حبيب قلوب العارفين ، قلت : ومن الخلق قال : من كان شوقه إلى الله كيف يستيقظ لسواء قلت فلم اعتزلت الخلق ؟ قال : لأنهم سراق العقول وقطاع طريق الهدى ، قلت : ومتي يعرف العبد طريق الهدى ؟ قال : إذا هرب إلى ربه من كل شيء سواه واستغل بذكره عن ذكر من سواه ، وقال : رأيت امرأة بالبحرين تنسج على الآخرة نسيجاً كلما نشجت قلت : نفسها خرجت فحرست أن

أجارها في شيء من الخير فلم أقدر فكان أول ما حفظت عنها وأخره تشاغل
أيها المرأة بنفسك فما همت قط بوعضة أعظم بها غيري إلا حال تقصيرى بينى
وبيتها ولو كان المرأة لا يعظ حتى يتعظ أمكن إبليس من نفسه يقوده حيث شاء
والله ما أنا بحامدة لنفسى في ذلك ويود إبليس أنه لو قدر على ذلك من جميع
الخلق كما قدر عليه منى فلم يكن أحد على طاعة الله لكن مر بالبر وإن لم تفعله
واحذر أن تنهى عن الشر وتأنبه ، وكان يجلس إليه ناس من قريش فقالوا له
يوما : إننا نخاف الضيضة فرفع رأسه للسماء وقال : اللهم أسألك باسمك المرتفع
الذى تكرم به من شئت من أوليائك وتلهمه الصفاء من إحسانك أن تأتينا برزق
من لدنك تقطع به علاقك الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنان
المنان القديم الإحسان اللهم الساعة الساعة ، فسمعت قعقة من السقف وتناثرت
 علينا دنانير ودراريم فقال لهم : استغنو بالله عن غيره فأخذوا ولم يأخذ منه
 شيئا ، ونظر إلى غلام من أصحابه قد نحل بدهنه فقال : أتديم الصوم ؟ قال : لا
 بل أديم الإفطار ، قال : تديم التهجد ؟ قال لا ، بل النوم قال : فما أنحلك قال
 هو لازم وكتمان دائم فقال : اسكت ما أجرأك ؟ قال : اللهم إن كان صادقا
 فخذنى إليك فخر ميتا فاستغفر عبد الواحد وقال : أقسم على الله فأبره ، أنسد
 الحديث وروى عن جماعة من الأعيان منهم المحسن وعطاء وابن أبي رياح عنه وكيع
 وابن السماك والداراني وغيرهم وهو متزوك الحديث ، مات سنة سبع وسبعين ومائة .

(١) عبيد بن عمير

المجتهد في السير الملائم للعبادة : المحافظ على الزهادة ، كان إمام
 الصوفية الزهاد ، عالي المنزلة رفيع العمام ، له مواضع درر ألفاظها ثمينة ،
 ومكانة عند صوفية زمانه مكينة ، وحرمة حرمها فسيح ، وسيرة حديثها

صحيح .

(ومن كلامه) : من علامة كمال الإيمان إسباغ الوضوء على المكاره ، وأن يخلو بالمرأة الحسنة فلا يخطر بباله جماعها ، وقال : من علامة الإخلاص عدم طلب محمدة الناس ومحبة لومهم له ، وقال : علامة التقلل من الدنيا أن لا يأخذ شيئاً إلا بحيث أنه لو لم يأخذه لأنّم .

(١٣٩) عتبة الغلام

الملحق بالأجلة الكرام ، القائم في الظلام ، كشف له الغطاء وفتح له العطاء ، سمي غلاماً بجده واجتهاده لا لصغره ، بكى في مجلس عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه تسع سنين لا يفتر بكاه من حين يبدأ عبد الواحد إلى أن يقوم ، وكان يلبس كسانين يتزر بواحدة ويرتدي بالأخرى إذا رأيته قلت : أكرا ، وكان عربياً شريفاً ، وكان رأس ماله فلساً يشتري به خوصاً فيعمله وبيعه ، وكان يعجن دقيقة ويجففه بالشمس ثم يأكله ثم يقول : كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الطعام الطيب .

(ومن كراماته) أنه كان يدعوه الطير فيجيبه ويأتيه فيقع في يده فيخلق سبيلاً ، ونظر إلى ورشان^(٢) فقال : يا ورشان إن كنت أطوع لله مني فتعال واقعد على كفى فجاءه الورشان مسرعاً وقعد على كفه ، ورأى حورية تقول : يا عتبة أنا لك فلا تعمل شيئاً يحيل بيني وبينك ، فقال : طلقت الدنيا ثلاثة لا رجعة لها فيها حتى ألقاك ، وكان يأوى إلى منزله فيصيب فيه قوته فلا يدرى من أين يأتيه ، وكان سائل ربه تعالى ثلاث خصال ، صوتاً حسناً ، ودمعاً غزيراً من غير تكلف ، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره ، ودخل

(١) النبهاني ١٤٢/٢ نقلًا عن القشيري ، وحياة الحيوان الكبوي للدميري ٣٩٤/٢ ، وطبقات الشعراني ٤٠/١ ، وقد أورد الإمام الغزالى في إحياء علوم الدين ، ٣١٦/٢ ، الدعاء الذي كان يردده عتبة الغلام .

(٢) ذكر القمارى ، وقيل : إنه طائر يتولد بين الفاضة والحمامة ، انظر الدميرى ، المرجع السابق .

عليه ابن ميمون الجبانة فقال له : أطعمني رطبا فدعى فإذا دخله رطب سقطت بين أيديهم فأكلوا ، ولبس قميصاً جديداً ومشى متباخترا فقالت له رابعة رضي الله عنها : ما هذا التيه وليس من عاداتك ؟ قال : من أولى به مني وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبداً ، وكان يقول طول ليله : إلهي إن تعذبني فإني لك محب وإن ترحمني فاني لك محب ، وقال : من سكن قلبه حبه لا يجد بردأ ولا حرأ ولا جوعا ، وقال : من عرف الله أطاعه ومن أطاعه أكرمه ومن أكرمه أسكنه في جواره فطوباه ثم طوباه وقال : كيف يفلح من سره ما يضره ، وكان يقول سبحان جبار السماء إن المحب لفني عناء ، وكان يقول : من لم يكن معنا فهو علينا ، وجاء إلى منزل رجل قد آخاه فقال : أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف قال خذ : ألفين فأعرض عنه وقال : آثرت الدنيا على الله إما استحببتي أن تدعى الأخوة في الله ؟ ، قال مسلم العباداني رضي الله عنه قدم علينا مرة عتبة الغلام صالح الري ، وعبد الواحد بن زيد فنزلوا بالساحل فهياأت لهم طعاماً ودعوتهم إليه فلما وضع بين أيديهم إذا قائل يقول رافعا صوته :

وإليهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيّها غير نافع

فصاح عتبة وخر مغشيا عليه وبكي القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة ، قال الغزالى رحمة الله : وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب يشاهد بالبصر صورة الخضر عليه السلام ، فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة ، وفي هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبية على حقيقة صورتها أو مثال يحاكي صورتها أنسد الحديث عن جمع من أجيال التابعين ، وقتل شهيداً في بعض الغزوات .

(١٤٠) عروة بن الزبير بن العوام^(١)

المجتهد المتعبد القوام الصوام ، مكن من الطاعات فاكتسب ، وامتحن بالمحنة فاحتسب ، وقد قيل : التصوف عرفان المتن وكتمان المحن ، وهو أحد الفقهاء السبعة ، وقد أجمعوا على توثيقه ووفر علمه وعلو مرتبته .

(ومن كلامه) رب كلمة ذل احتملتها أورثت عزا طويلا ، وقال : إذا رأيت الرجل يعمل حسنة فاعمل أن عنده لها أخوات ، وإذا رأيته يعمل سيئة فعنده لها أخوات فإن الحسنة تدل على أختها والسيئة على اختها ، وقال : مكتوب في الحكمة لتكن كلمتك طيبة ووجهك بسطا تكون أحب إلى الناس من يعطيهم العطاء ، وكان ينهى عن الدخول للولاية فدخل للوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد فدخل محمد دار الدواب فضرىته دابة فمات ، ووقع في رجل عروة آكلة فقيل له : إن لم تقطعها بالمنشار ولا سرت ، فقطعت وهو شيخ كبير صائم ولم يمسكه أحد ، وقال : لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يقطع ورده تلك الليلة ، وقال : لئن ابتليت لطالما عافيت ، واتخذ قسرا بالعقيق فقيل له : جفوت مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رأيت مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشة فيهم فاشية ، فكان فيما هنالك عمامهم فيه عافية ، وقال : من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يأخذ منها حاجته وما رأينا من طلب الدنيا فطلبته الآخرة ، وقال : لا يهدى أحدكم إلى ربه ما يستحق أن يهديه إلى كريم فإن الله أكرم الكرماء ، وقال : يقيض الله للعلم قوما لا ينتفعون به لئلا يضيع فيكونون حملته فقط ، أنسد الحديث عن خلائق من الصحابة ، ومات سنة أربع وقيل : تسعة وتسعين ومائة .

(١) تهذيب التهذيب ، ٧ / ١٨٠ - ١٨٥ ؛ وابن خلكان ٣٦١ / ١ ؛ وصفة الصفوة ٤٧ / ٢ ؛ وحلية الأولياء ١٧٦ / ٢ ؛ وخلاصة تهذيب الكمال ص ١٢٤ .

(١٤١) علقة بن قيس الهمданى

فقيه العراق العالم الربانى ، أُتى علماً وفقها وعبادة ، وحسن تلاوة وزهادة ، قال أبو ظبيان رحمه الله : أدركت من شاء الله من الصحابة يسألون علقة ويستفتونه ، وكان يكره الشهرة ويحب الخمول ؛ وقيل له : ألا تجلس تعلم ؟ فقال : أكره أن يطأ عقبى أحد ويقال : هذا علقة ، وأجمعوا على جلالته ووفر علمه ، ورفة محله وجميل طريقته ، مات سنة اثنتين وستين ومائة .

(١٤٢) العلاء بن زياد

المتجدد عن التلاد ، والمتشرم للمهاد ، قدم العتاد للمعاد ، واعتزل للعبادة عن العباد ، وقد قيل : التصوف الارتياد والاجتهد لذل الانقياد فى عز الاعتماد ، كان له مال ورقى فأعتق بعضاً وباع بعضاً ، وأمسك غلاماً يأكل غلته واعتزل الناس ، وكان لا يجالسهم إلا فى صلاة الجمعة أو فعل الخير ، وكان يكث السبعة أيام لا يتناول فيها طعاماً ولا شرياً ، وقال : رأيت الناس فى النوم يتبعون شخصاً فإذا عجوز عوراء شوهاء عليهما من كل زينة وحلية قلت : من أنت ؟ قالت : الدنيا ، قلت أسائل الله أن يبغضك إلى قالت : نعم إن أغضت الدراثم ، وكان يحيى كل ليلة أجمع ففتر ليلة فقال لأمرأته : إذا مضى كذا فأيقطينى فأتاه آت فى نومه فأخذ بناصيته وقال : قم يا ابن زياد اذكر الله يذكرك ، فقام فما زالت تلك الشعرات التى أخذها منه قائمة حتى مات ، وقال له رجل : رأيتك دخلت الجنة قال : أما وجد الشيطان أحداً يسخر به غيري وغيرك ، وقال : إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا فى النار فإن شاء الله أن يخرجنا أخرجنا ، وقال : لو علم الناس ما أمامهم لما اطمأنوا ساعة فى هذه الدار ولا غرسوا ولا

(١) خلاصة تهذيب الكمال ص ١٢٩ : وتهذيب التهذيب ٢٧٦/٧ : وتذكرة الحفاظ ٤٥/١

الأولىاء ٩٨/٢ : و تاريخ بغداد ٢٩٦/١٢ : والشذرات ٧٠/١ .

(٢) طبقات الشعرانى ٣١/١ : وتهذيب التهذيب ١٨١/٨ - ١٨٢ .

بنوا ، وقال له رجل : إذا صليت وحدى لم أعقل صلاتى قال : أبشر فإن هذا علم الخير أما رأيت للصوص إذا مروا ببيت خرب لم يلروا عليه أو بيت عامر فيه متاع زايلوه حتى يصيروا منه شيئاً ، كذا جاء عنه في روایة وفي أخرى أن جريراً بن عبيدة شكى إليه ما يجد في صدره من الوسوسه فقال : إنما مثل ذلك كالبيت الذي قر به اللصوص فإن كان به شيء عالجوه وإلا تركوه ، قال الغزالى : يعني القلب الحالى عن الهوى لا يدخله الشيطان قال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان »^(١) وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ، فلذلك تسلط عليه الشيطان ، فأفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، مات رضى الله عنه في ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين ، ويقال لها : سنة الفقهاء ، مات فيها منهم عدة .

(٤٣) على بن الحسين بن على بن أبي طالب^(٢)

زين العابدين ، إمام سيد سند ، اشتهرت أيديه ومكارمه ، وطارت الجود في الوجود حمائمه ، كان عظيم القدر ، رحب الساحة والصدر ، رأساً لجسد الرياسة ، مؤملاً لليالية والسياسة ، وكنيته أبو الحسن ، أو أبو محمد أو أبو عبد الله ، وهو على الأصغر وأما الأكبر فقتل مع أبيه ، وكان هذا عمره ثلاثة عشرة سنة وهو مريض فلم يقتل يومئذ وهو ثقة ثبت فاضل ، قال الزهري وابن عيينة رضي الله عنه : ما رأينا قط قرشياً أفضل منه ، روى عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وجمع ، وعنده بنوه محمد وزيد وعمر والزهري ، وأبو الزناد وغيرهم ؛ قال الزهري رحمة الله : ما رأيت أحداً أفقه منه ، وقال ابن المسيب : ما رأيت أورع منه ، وقد جاء عنه مناقب من خشوعه في موضوعه وصلاته ونسكه

(١) سورة الحجر ، الآية ٤٢

(٢) وفيات الأعيان ١/٣٢٠ : وابن سعد ٥/١٥٦ : واليعقوبي ٣/٤٥ : وصفة الصفة ٢/٥٢ : وحلية الأولياء ٣/١٣٣ : وابن الوردي ١/١٨٠ : ونزهة المجلس ٢/١٥ .

ما يدهش السامع ، وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة حتى مات ، قال مالك رضى الله عنه : وسمى زين العابدين لكترة عبادته ، وكان إذا هاجت الريح سقط مغيشا عليه ، ووقع حريق فى بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له : النار فيما رفع رأسه حتى طفت فقيل له : أشعرت بها ؟ قال : ألهنتنى عنها النار الكبرى ، وكان إذا نقصه أحد قال : اللهم إن كان صادقا فاغفر لي وإن كان كاذبا فاغفر له ، ولما مات وجدوه يقوس أهل مائة بيت ، ودخل عليه فى مرض موته محمد بن أسامة بن زيد فبكى قال : ما يبكيك ؟ قال : على دين خمسة عشر ألف دينار فقال : هي على وفاتها .

(ومن كراماته) أن زيدا ابنه استشاره فى الخروج فنهاه ، وقال : أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة رضى الله عنها قبل خروج السفيانى إلا قتل فكان كما قال ، خرج زيد فى خمسة عشر ألفا فطلب فتفرقوا عنه فقتله الحجاج ، ومنها أنه صلبه مكشوف العورة فنسجت العنكبوت عليها فلم تر بعد ذلك قط ، ومنها أن عبد الملك بن مروان حمله من المدينة مقيدا مغلولا فى أثقل قيود وأغلال فدخل عليه الزهرى رحمه الله لوداعه فبكى وقال : وددت أنى مكانك فقال : أتظن أن ذلك يكرىنى لو شئت لما كان ، وأنه ليذكرنى عذاب الله ثم أخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ورماهما ثم أعادهما ، وكان يضرب به المثل فى الحلم وله فيه حكايات عجيبة وأخبار غريبة ، وكان شديد الخوف من الله تعالى بحيث إذا توضأ أصفر لونه وارتعد فيقال له : ما هذا ؟ فيقول : تدرؤن بين يدي من أريد أن أقوم ، وكان لا يعينه على ظهوره أحد ولا يدع قيام الليل حضرا ولا سفرا ، وقرب إليه طهره مرة فى وقت ورده فوضع يده فى الإناء ليتوضا ثم رفع رأسه فنظر إلى السماء والقمر والكواكب فجعل يتذكر فى خلقها حتى أصبح وأذن المؤذن ويده فى الإناء فلم يشعر .

(ومن كلامه) : إذا نصح العبد لله فى سره أطلعه على مساوى عمله

فتشغل بذنوبه عن معايب الناس ، وقال : فقد الأحبة غرية ، وقال : عبادة الأحرار لا تكون إلا شakra لله لا خوفا ولا رغبة ، وقال : كيف يكون صاحبك من إذا فتحت كيسه فأخذت منه حاجاتك لم ينشرح لذلك ، وقال : أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب ، وقال : إن قوما عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوه شakra فتلك عبادة الأحرار ، وقال : لله تعالى ثلثمائة وستين نظرة إلى عباده فى اليوم والليلة يدهم بها فى أمر دينهم ودنياهم ، ولو لا ذلك لتلاشى العالم فى أقل من طرفة عين ، وقال : عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفة وغدا جيفة ، وعجبت كل العجب لمن شك فى الله وهو يرى خلقه ، ولمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى الاولى ، ولمن عمل لدار الفنا وترك دار البقاء ، وقال لابنه الباقي : لا تصحن خمسة ولا ترافقهم فى طريقهم ، الفاسق فإنه يبيعك بأكلة فما دونها ، قيل : فما دونها ؟ قال : يطمع فيها ثم لا ينالها ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والكذاب فإنه كالسراب يبعد منك القريب ويقرب إليك البعيد ، وقطع الرحيم فإنه ملعون فى ثلاث آيات من كتاب الله ، وكان عاملا على كتمان أسرار الله تعالى فى العالم كما أشار إليه بقوله :

يا رب جوهر علم لو أبسوح به لقليل لى أنت من يعبد الوثننا
ولا ستحل رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ومن مبالغات حلمه إنه خرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ وأفرط فبادر اليه العبيد والموالى ففهم ، وأقبل عليه فقال : ما ستر عليك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى له خميصة وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال : أشهد أنك من أولاد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ولقيه رجل فسبه فقال له : يا هذا بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالى بما قلت ، وإن لم أجزها فإنما أكثر مما تقول ، ألك حاجة ؟ فخجل ، وسبه

رجل فقال له : ما تعرفه مني أكثر مما لا تعرفه فإن كان لك حاجة فاذكرها ، ومات سنة أربع وتسعين عن ثمان وخمسين سنة ، ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه عمه الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو الآن في القبة التي فيها العباس كذارأيته بخط جماعة أعيان منهم ابن رسلان ، والمشهد الذي بقرب مجرات القلعة بقرب مصر القديمة بنى على رأس زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقدم برأسه سنة اثنين وعشرين ومائة وبنوا عليه هذا المشهد ، قال بعضهم : والدعا عندك مستجاب والأنوار ترى عليه .

(١٤٤) علي بن الفضيل بن عياض التميمي^(١)

كان من الخائفين الخاسعين ، الزاهدين العابدين ، كذا قال الذهبي حتى إنهم فضلوه على أبيه ، وكان يغشى عليه إذا سمع آيات الوعيد إلى أن سمع قارئاً يقرأ الآية « ولو ترى إذ وقفوا على النار » فسقط ميتاً ، مات قبل الكهولة سنة أربع وسبعين ومائة ، روى الحديث عن عباد بن منصور وغيره وخرج له النسائي .

(١٤٥) عمران القصير^(٢)

الواعظ البصير ، المحث على المسير إلى المصير ، كان التحفظ من شأنه والتيقظ من مطانه ، عابداً مجاهداً ، عاهد الله أن لا ينام بليل أبداً إلا مستغلباً .

(ومن كلامه) : حرام على قلب يجد طعم الإيمان حتى يزهد في الدنيا لا حر كريم يصبر أياماً قلائل ، وقال : قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب أين أبغيك ؟ قال : عند المنكسرة قلوبهم فإني أدنو منهم كل يوم باعاً لولا ذلك لتهدموا ، وقال : إذا رأيتم الرجل يقترب على عياله فإن عمله بينه وبين الله أثبت

(١) طبقات الشعراوي ٥٨/١ : وتهذيب التهذيب ٣٧٣/٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٣٧/٨ - ١٣٩ و ١٤٣ .

وأخبت ، وكان يقول في كلامه : ما أحلى ذكرك في أفواه الأبرار ، وأعظمك في قلوب المؤمنين ، أنس بن مالك وكثير من التابعين .

(١٤٦) على بن بكار الشامي

سكن المصيصة^(٢) مرابطا ، وكان فقيها زاهداً متورعا ، ديانا ، من الفقه والتصوف متضلعا ، وكانت الجارية تفرض له فتلمسه بيده وتقول : والله إنك لطيب وإنك لبارد لأعلونك الليلة ، وكان يصلى الغداة بوضوء العتمة .
(ومن كلامه) اتق الله والزم بيتك واملك لسانك واترك مخالطة الناس
تنزل عليك الحكمة من فوقك .

(ومن كراماته) أنه خرج هو وأبو إسحاق الفزارى يحتطبان فأبطن ابن بكار على أبي إسحاق فدار الفزارى في الجبل خلفه ، فجاء فنظر إليه وهو متربع وفي حجره رأسأسد وهو نائم يدب عليه فقال : ما قعودك هنا ؟ فقال : جأ إلى فرحمته فأنا أنتظره لينتبيه وألحقك ، وطعن في بعض مغازيه فخرحت أمعاؤه على قريوس سرجه فردها إلى بطنه وشدتها بعمامته وقاتل حتى قتل ثلاثة عشر علجا ، أنسد عن هشام بن حسان ، وصاحب ابن أدهم ، رضى الله عنه ، ومات بالميصصة سنة تسع وتسعين ومائة رضى الله تعالى عنه .

(١٤٧) عمر بن عبد العزيز^(٣)

الأمين الميمون ، الأمير المأمون ، الحاكم العادل المحسن ، خامس الخلفاء

(١) النبهانى ١٥٦/٥ .

(٢) مصيصة دمشق ، انظر ياقوت ١٤٤/٥ - ١٤٥ .

(٣) فروات الوفيات ١٣٥/٣ : وتهذيب التهذيب ٤٧٥/٧ : وحلبة الأولياء ٢٥٢/٥ : وابن الأثير ٢٢/٥ : وصفة الصفوة ٦٣/٢ : وابن خلدون ، العبر ٣/٧٦ : و تاريخ الخميس ٣١٥/٢ : والطبرى ١٣٧/٨ : والمسعودى ١٣١/٢ - ١٣٧ : وتهذيب الأسماء واللغات ١٩/٢ : ووفيات الأعيان ١٢٨/٢ : والشذرات ١١٩/١ .

بشهادة الأعلام الخنفاء ، العالم الكامل ، العلي المنزلة ، الذى لم يعدل قط عن المعدلة جمع زهداً وعفافاً ، وورعا وكفافا فاشغله آجل العيش عن عاجله ، وألهاه اقامة العدل عن عاذله ، ايه وكان للرعاية ركنا متنينا وكهفا مكينا ، ونورا مبينا وعلى خلق الله أمينا ، وقد قيل : التصوف الإعراض عن الدنيا ، والإقبال على البهى ، متواطبا للدنو ومتعاليا للسمو ، وكان قبل الخلافة عاملا على المدينة على قدم الصلاح لكنه يبالغ فى التنعم ، فكان حسدته لا يعيشه إلا بذلك ، فلما بويح بعهد من سليمان سنة تسع وستعين ، أقام فى الخلافة نحو خلافة الصديق فملا الأرض عدلا ورد المظالم ، وقدم إليه يوم استخلف مركب الخليفة فأبى وقال : أيمتني ببلغتى ولما رجع من جنازة سليمان قال له خادمه : مالى أراك مغتما ؟ قال : لثل ما أنا فيه فليغتم ثم بدأ بأهل بيته فأخذ ما بأيديهم فوضعه ببيت المال ، وكانت الذئاب ترعى مع الغنم بالبادية فى خلافته ، ولما أفضت الخلافة إليه نزع ثيابه الحسنة ودعى باطماع غليظة بالية فلبسها ، وقال : قد جاءنا ما يشغلنا عن لباس الزينة حتى نجاوز الصراط ، ولما مات لم يجدوا له قميصا غير ما عليه ، وكان ابن سيرين يسميه إمام الهدى ، وقال مالك بن دينار الناس أ يقولون مالك زاهدا إما الزاهد عمر بن عبد العزيز أنته الدنيا كلها فتركها ، وقال بعضهم : هو أزهد من وأيس لأنه ملك الدنيا فزهدوا ، وأويس لم يتلوكها فقيل : لو ملكها لفعل كعمر ، فليس من لم يجرب كمن جرب ، وزاره الحسن البصري فقدم له كسرة يابسة ونصف خيارة وقال : كل يا حسن هذا زمان لا يتحمل فيه الحلال السرف ، واجتمع بالحضر عليه السلام فقال له : أوصنى ، فقال : احذر أن تكون ولها في العلانية وعدوا لها في السر ، وكان غلته يوم أفضت إليه الخلافة أربعين ألف دينار كل عام ، فلما مات كانت أربعين ألف دينار ولو عاش لنقصت ، ودخل عليه مسلمة بن عبد الملك في مرضه فإذا قميصه وسخ ، فقال لأمرأته : ألا تفسلونه قالت : وهل له غيره !!! ودخل أبو أمية الخصي غلام عمر إلى مولاته فغدقه عدسًا فقال : كل يوم عدس ؟ قالت : يا بني

هذا طعام مولاك أمير المؤمنين ؟ ودخل علي امرأته فقال : عندك درهم أشتري به عنبها ، فقالت : لا أنت أمير المؤمنين ولا تقدر عليه ، قال : هذا أهون على من معالجة الأغلال غدا في جهنم ، ولم يغتسل من جنابة منذ استخلف حتى مات ، وكان إذا دخل بيته ألقى نفسه في مسجده فلا يزال يبكي ويدعو حتى يصبح ، وكان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يصلى الناس الجمعة في قميص به عدة رقاع فلامه بعض أهله ، فقال أفضل : القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة ، وكان إذا كتب كتاباً ، فاستحسن ألفاظه مزقه ، وكان إذا أراد معاقبة رجل حبسه ثلاثة ثم عاقبه كراهة أن يعدل في أول غضبه ، وكان يقول : نفسي تواقة لم تعط شيئاً من الدنيا إلا تاقت لما هو أفضل منه ، فلما أعطيت منها ما لا شيء فوقه تاقت إلى ما هو أفضل منه وهو الآخرة ، وكانت نفقته كل يوم درهرين ، وكان يسرج الشمعة ما دام في صالح الناس فإذا فرغ منها طفأها ثم اسرج سراجه ، وكان للخليفة ثلاثة حرسي وثلاثمائة شرطي فقال عمر لهم : إن لي عنكم بالقدر حاجزاً ، وبالأجل حارساً . وأبطلهم واستهنى تفاحاً فأهداه له بعض أقاربه فقال لغلامه : ما أحسنه رده إليك وأقرئه السلام قال : يا أمير المؤمنين ابن عمك والمصطفى صلى الله عليه وسلم قبل الهدایة قال : هي له هدية ولنا رشوة ، وبلغه أن ابنه اشتري خاتماً بـألف فكتب إليه به وأشبع ألف بطن واتخذ خاتماً من درهمين واجعل فصه حديداً صينياً واكتب عليه رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه . وقال مكحول : ما رأيت أخوف ولا أزهد منه كان إذا ذكر الموت اضطررت أوصله ، وكان يجمع الفقهاء كل ليلة يتذاكرون القيامة ثم يبكون حتى كأنهم في جنaza ، واجتمع بنو مروان ببابه قالوا لابنه : قل لأبيك يعطنا حقناً كمن قبله من الخلفاء ويعرف لنا موضعينا ، فأخبره ، فقال : يقول أبي : إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، وكان إذا أملى على كتابه يقول : اللهم إني أعوذ بك من شر لسانى ، وكتب إليه عامل خرسان أن أهلها لا يصلحهم إلا السيف والعصا ، فكتب إليه كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسطه فيهم ، وكان يقول :

الفقه الأكبر القنع وكف الأذى ، وقال : إياكم والدخول علينا فإنكم إن أمرتمونا
 ونهيتمونا لم تسلمو من الإثم ، وقال : ما قضى الله بقضاء قط فسرني أن
 يكون قضى لى بغيره ، وما أصبح لى هو إلا في موقع قدر الله ، وقال : لكل
 سفر زاد لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن
 عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد
 فتقسووا قلوبكم ، أعود بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفتى ، لقد
 عنيتكم بأمر لو عننت به النجوم لغارت أو الجبال لذابت ، أو الأرض لشفقت ، أما
 تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ؟ وإنكم صائرون إلى إحداهما ، وقال :
 إن الله لم يخلقكم عبشا ولم يدع شيئاً من أمركم سدى ، إن لكم معاداً ينزل الله
 فيه للحكم والقضاء فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم الجنة فاشترى
 قليلاً بكثير وفانياً بباقي وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنكم في اسلاب الهالكين ،
 وسيخلفها بعدكم الباقون ، وكذلك حتى ترد إلى خير الوارثين في كل يوم وليلة
 تشيعون غاديها ورائحا قد قضى نحبه حتى تغيبوه في صدع من الأرض ثم تدعوه
 قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب مرتهنا بعمله فقيراً
 إلى ربه مما قدم غنياً عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت ، وأيم الله إنني لأقول
 لكم هذه المقابلة ، عليه وما أعلم عند أحد من الذنوب ما عندي ، ثم وضع رداءه
 على وجهه فبكى حتى أبكى ، وقال : لو أراد الله أن لا يعصي ما خلق إبليس ،
 وقال : ليس الزهد في الشبهات بل في الحلال ، وأما الحرام والشبه فنار تسرع
 في بطون الأكلين ، وقال إذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله
 عليك ، واعلم إنك لا تفعل بهم أمراً من الظلم إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك ،
 وأن الله يأخذ للمظلوم حقه من الظالم ، وإياك إياك أن تظلم من لا ينتصر عليك
 إلا بالله تعالى ، فإنه إذا علم التجاء عبد إليه بصدق واضطرار انتصر له فوراً
 « أمن يجيب المضطري إذا دعا » وقال : الوالى بنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق
 فيها فإن كان براً أتوه ببرهم أو فاجراً أتوه بفجورهم ، وقال : إنما خلقت للأبد

ولكنكم تنقلون من دار إلى دار ، وقال : كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم أبنا وللمثل أخي وعاقب بقدر الذنب والجسد ، وقال : من عد كلامه من عمله قل كلامه ، وقال : من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يده ، وقال : إن استشعرت ذكر الموت كل آن بغض إليك كل فان وحب إليك كل باق . وكان بنو أمية يسبون عليا في الخطب فأبطله وقرأ مكانه « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » فهيا إلى الآن ، ولما مرض نظره الطبيب فقال : أراه قد سقى سما ولا آمن عليه الموت فرفع بصره وقال : ولا تأمنه أيضا على من لم يسوق السم ، قال : الطبيب هل أحسست به ؟ قال : نعم قال فن تعالج أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسه ، وقال : رب خير مذهوب إليه ، والله لو علمت أن شفائي أن امسح شحمة أذني ما فعلت ، وقيل له : أوصنا قال : أحذركم مثل مصرعى هذا فإنه لا بد لكم منه ، ولما احتضر قال أخرجوا عنى فقعد مسلمة وفاطمة بالباب فسمعاه يقول : مرحبا بهذه الوجوه ثم قرأ « تلك الدار الآخرة » الآية ^(١) ثم هدا الصوت فدخلوا فوجدوه ميتا ، قال يوسف بن ماهك : بينما نحن نسوى عليه التراب سقط علينا كتاب رق من السماء فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار ، مات بدير سمعان من عمل حمص سنة إحدى ومائة عن نحو أربعين سنة ، سُمِّيَّ بنو أمية لتشديده عليهم وإهماله للتحرج فعرف غلامه الذي سمه ، فقال : ما حملك عليه ؟ قال : ألف دينار أعطيتها ، وأن أعتق ، فأخذها فوضعها ببيت المال ، وقال اذهب حيث لا يراك أحد .

(٤٨) عمر وبن عتبة بن فرقان الكوفي

صاحب الأحوال الخارقة والكرامات الفائقة ، منها أنه كان يصلى يوما في شدة الحر فأظلته سحابة ، وكان السبع يحمله ويحرسه وهو يرعى ركاب أصحابه : لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أن يخدمهم ، قال بشر الحافي

(١) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علو في الأرض ولا فسادا) : سورة القصص آية ٨٣ .

(٢) القشيري الرسالة : والنبهانى . ٢٢٥/٢ .

رضي الله عنه رأيته يصلى والغمامة تظله ، والسبع يطوف حوله يحرك ذيله .
 (ومن كلامه) نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول
 به ، فإن المستمع شريك الفاعل ، وإنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في
 وعائمه ، ولو ردت كلمة سفيه في فيه لسعد بها رادها كما شقى بها قائلها ،
 وقال : سألت الله ثلاثة ثلثا فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة ، سأله أن يزهدني في
 الدنيا فما أبالي ما أقبل وما أدبر ، وأن يقويني على الصلاة فرزقني منها ،
 وسألته الشهادة فأنا أرجوها ، وكان يخرج على فرسه ليلاً فيقف على القبور
 فيقول : يا أهل القبور قد طويت الصحف ورفعت الأعمال ثم يبكي ، ثم يصف
 قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح ، قال خدامه : صلى ليلاً فسمعنا
 زئير الأسد فهرسنا وهو في صلاته لم ينصرف فقلنا له : أما خفت الأسد حيث
 جاءك ؟ فقال : إنني أستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه ، استشهد في غزوة
 آذربيجان في خلافة عثمان ، رضي الله عنه .

(١٤٩) عمرو بن قيس الملائقي (١)

صوفي لا يغفل عن التحفظ من الدنيا والاحتراز ، ومجتهد يقابل فرض
 الأوقات بالانتهاز ، أقام عشرين سنة لا يعلم به أهله ، وكان إذا حضرته الرقة
 يحول وجهه إلى الحافظ ويقول لجلسائه : هذا الزكام ، وإذا نظر إلى السوق قال :
 ماأغفل هؤلاء عما أعد لهم .

(ومن كلامه) إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكون من
 أهله ، وقال : حديث أرقق به قلبي وأتبليغ به إلى ربى ، أحب إلى من خمسين
 قضية من قضايا شريح ، وكان سفيان يأتي إليه ينظره يحتسب ذلك ، ولما
 احضره بكى فقيل له : علام تبكي من الدنيا فقد كنت منغص العيش أيام

(١) كان يبيع الملاء ، تهذيب التهذيب ، ٩٢/٨ - ٩٣ : وتاريخ بغداد ، ١٦٣/١٢ - ١٦٦ : والسليمي ،

حياتك ، فقال : إنما أبكي خوفاً أن أحرم خير الآخرة ؛ وكان إن لم تجده في بيته أو المسجد وجدته في المقبرة قاعداً ينوح على نفسه . فلما مات أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا لجنازته ، فلما أخرجوه سمعوا صائحاً يصيح : قد جاء المجلس عمرو بن قيس ، فإذا البرية ملوءة من طير أبيض لم ير على خلقتها وحسنها يجعل الناس يعجبون من حسنها وكثرتها ، فقال أبو حيان : من أى شيء تعجبون ؟ هذه الملائكة جاءت تشهد فامتنأ الصحراء برجال عليهم ثياب بيضاء ، فلما دفن لم يروا في الصحراء أحداً .

(١٥٠) عون بن عبد الله بن عتبة المسعودي (١)

صاحب التشمير والعدة والأبهة ، الورع المتزهد ، المجاهد المتعبد ، كان ذا مقام مرتفع ، وحال فنائه متسع ، طارحاً للتکلف ملتحفاً بالتقشف ، كيف وهو الرakan إلى ذكر الله ، والساكن إلى ضمان الله ، المفارق للمشرين والكبراء ، المرافق للمساكين والفقراً ، وكان على نفسه نائحاً ، وإلى الحق غادياً ورائحاً ، وقد قيل : إن التصوف النبذ للحقر والأخذ للخطير ، وكان له ثلاثة وستون صديقاً يفطر عند كل واحد يوماً ، وكان إخوانه معلومه ، والمعلوم إذا أقامه الحق الناظر إلى الله الكامل توحيده يكون نعمة هنيةً .

(ومن كلامه) : إن لكل رجل سيداً من عمله وسيد الأعمال كلها ذكر الله ، وقال كفى بك كنزاً أن ترى لك فضلاً على من دونك ، وقال مجالس الذكر صقال القلوب ، وقال من إيمانهم نفسه بالنفاق فليس عنده نفاق ، وقال : كن من الخير منه مأمول والشر منه مأمون ، وقال : من قام التقوى أن لا يشبع العبد من علمه لأن طليبه محمود إن صلحت النية عمل به أم لا ، وإنما كره قوم زيادته لكونهم لم ينتفعوا به ، وقال : من ضبط ما يدخل بطنه ضبط الأخلاق الصالحة كلها ، وقال : إذا أزري أحدكم على نفسه فلا يقل ما في من خير فإن فيه

(١) طبقات الشعراني ٣٦/١ : وتهذيب التهذيب ، ١٧٣ - ١٧١/٨ : والشدرات ١٤٠/١ .

التوحيد ولكن يقول : خشيت أن يهلكنى بما فى من الشر ، ورأه أصحابه يوما نائما فى الشمس وغمامه تظله فأخذ عليهم العهد لا يذكروه ، وكان يليس أحيانا الخز وأحيانا الصوف ويقول : ألبس الخز لثلا يستحبى ذو الهيئة أن يجلس إلى ، والصوف لثلا يهابنى المساكين أن يجلسوا إلى ، وقال : لو أتى على الناس ساعة لا يذكرون الله فيها هلك أهل الأرض أجمعون ، وقال : صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غما منى فصحبت الفقراء فاسترحت ، وقال : ما أحسب أحدا يفرغ لعيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه ، وقال : كان من قبلنا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم وإنكم اليوم بعكس ذلك ، وقال : قلب التائب كالزجاجة يؤثر فيها ما أصابها ، فالملوعة إلى قلوبهم سريعة ، وقال : كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما أرى ثوابا أحسن من ثوابي ودابة أحسن من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت ، وكان إذا خالفه خادمه يقول : ما أشبهك بمولاك مع مولاك ، وتصدق بجميع ماله عند موته فقيل : مالعيالك ؟ قال : أقدم هذا لنفسي وأدع الله لعيالى ، مات قريب سنة عشر ومائة ، أسنده الحديث عن أبي هريرة ، وابن عباس وابن عمر وغيرهم .

(١٥١) (عاتكة العدوية)

العايدة الصوفية .

(ومن كلماتها السننية) توسل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل فإنك تجد ذلك لك موافرا عند حلول الأمور الجلائل ، وانقطع إليه في حوائجك لديه يأتي لك عليها على غير تعب منك ولا نصب ، وقالت : لن ينال المطعون في الدنيا لذلة أحلى في صدورهم من الإزدياد في طاعته ، ولحلوة ساعة من مطيع أللذ في قلوب المربيدين من كل ما يخرج إلى الدنيا من زهرة ولذة ، وقالت : جد قبل أن لا يمكنك الجد وبادر قبل فوت المبادرة فإن الدنيا لا تطيب لعارفها وإنما تورطها أهل المغرة وعما قليل سوف يعلمون .

(١٥٢) عائشة بنت جعفر الصادق^(١)

كانت من العابدات المجاهدات القانتات الشاكرات .

(ومن كلماتها الفائقات) ما كانت تقول : وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذن توحيدى بيدى وأدور به على أهل النار وأقول وحدته وعدينى ، ماتت سنة خمس وأربعين ومائة .

(١٥٣) عبيدة بنت أبي كلاب^(٢)

كانت من أكابر الأولياء الأنجباب ، وناهيك بقول عبد الواحد بن زيد : رأيت الشيوخ والشباب والرجال والنساء من المتعبدين فما رأيت امرأة ولا رجلاً أفضل ولاً أحسن عقلاً منها ، وبكت أربعين سنة حتى ذهب بصرها وقيل لها : ما تشتهين ؟ قالت : الموت ، قيل : ولم ؟ قالت : لأنى كل يوم أخشى أن أجنى على نفسي جنابة يكون فيها عطبي أيام الآخرة ، وقالت مالك بن دينار رضى الله عنه : يا أبو يحيى متى يبلغ المتقي تلك الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة قال : بخ يا عبيدة إذا بلغ المتقي تلك الدرجة التي ليس فوقها درجة لم يكن شيء أحلى من القدوم على الله فصرخت عبيدة صرخة سقطت مغشيا عليها ، ورؤيت رابعة رضى الله عنها في النوم بعد موتها فقيل لها : ما فعلت عبيدة ؟ فقالت : هيئات سبقتنا إلى الدرجات العلي ، قيل : ولم وقد كنت عند الناس أكبر منها ؟ قالت : إنها لم تكن تبالي على ما أصبحت من الدنيا وأمست ، رضى الله عنها .

(١) طبقات الشعراوى ٥٦/١ .

(٢) طبقات الشعراوى ٥٧/١ : ومرأة الجنان ٢٨٣/١ .

(١٥٤) عفيرة البصرية (١)

العايدة الزهية كانت على قدم كبير من الزهد والتعبد والصيام والتهجد ، وكان عباد زمنها يزورونها ، فقالوا يوما : نسألك الدعاء فقالت : لو أن الخاطئين خرسوا لكنت أول من خرس ، وصار أبكم ، لكن الدعاء سنة أسأل الله أن يجعل قراكم من بيتي دخول الجنة ، وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال ، وحفظ علينا الإيمان إلى الممات ، وقال لها روح بن مسلمة : بلغنى أنك لا تنامين بالليل فبكـت ، ثم قالت : ربما أشتـهي أن أناـم فلا أقدر عليه ، فكيف ينام أم كيف يقدر على النوم من لاتـنم عنه حافظـاه ليلاً ولـأنهـارا ، قال : فأبـكتـنى وقلـتـ فى نـفـسى : أراكـ فى وـادـ وـأـناـ فى وـادـ ، وـكـانتـ قد تـعبـدتـ وـبـكـتـ حتى عـمـيتـ ، فـدـخـلـ عـلـيـهاـ يـحـيـىـ بـنـ بـسـطـامـ فـقـالـ بـعـضـهـمـ لـرـجـلـ بـجـنبـهـ : مـأـشـدـ الـعـمـىـ عـلـىـ مـنـ كـانـ بـصـيرـاـ ، فـسـمـعـتـهـ فـقـالـتـ : يـاـ عـبـدـ اللـهـ ، عـمـىـ الـقـلـبـ عـنـ اللـهـ أـشـدـ مـنـ عـمـىـ الـعـيـنـ عـنـ الدـنـيـاـ ، وـالـلـهـ وـدـدـتـ أـنـ اللـهـ وـهـبـ لـىـ كـنهـ مـحـبـتـهـ وـأـنـ لـمـ يـبـقـ مـنـ جـارـحةـ إـلـاـ أـخـذـهـاـ ، كـانـتـ تـقـولـ : وـعـصـيـتـكـ بـكـلـ جـارـحةـ مـنـىـ عـلـىـ حـدـتهاـ وـالـلـهـ لـئـنـ عـشـتـ لـأـطـيـعـنـكـ بـكـلـ جـارـحةـ عـصـيـتـكـ بـهـاـ . وـقـيلـ لـهـ : تـسـأـمـيـنـ مـنـ طـوـلـ الـبـكـاءـ فـبـكـتـ ثـمـ قـالـتـ كـيفـ يـسـأـمـ ذـوـ دـاءـ مـنـ شـيـءـ يـرـجـوـ أـنـ لـهـ فـيـهـ مـنـ دـائـهـ شـفـاءـ ، وـقـدـ اـبـنـ أـخـ لـهـ كـانـتـ طـالـتـ غـيـبـتـهـ فـبـشـرـتـ بـهـ فـقـيلـ لـهـ : مـاـ هـذـاـ وـالـيـوـمـ يـوـمـ سـرـورـ فـازـدـادـتـ بـكـاءـ ثـمـ قـالـتـ : وـالـلـهـ مـاـ أـجـدـ لـلـسـرـورـ فـيـ قـلـبـىـ مـوـضـعـاـ مـعـ ذـكـرـ الـآـخـرـةـ ، وـلـقـدـ ذـكـرـنـىـ قـدـومـهـ يـوـمـ الـقـدـومـ عـلـىـ اللـهـ ، فـمـنـ بـيـنـ مـسـرـورـ وـمـثـبـورـ ثـمـ أـغـمـىـ عـلـيـهـاـ وـسـقطـتـ .

(١) عمرة زوجة حبيب (١٥٥)

العايدة الزاهدة الداعية للمجib ، كانت تقوم الليل كله وتقول لزوجها :
 قم يا رجل ذهب الليل وانقضّ موكب الملاّ الأعلى وسافرت قوافل العابدين وأنت
 راقد !! واشتكى عينها فقالوا : ألا تداوينها ؟ فقالت : وجع قلبي شغلنى عنها ،
 رضى الله تعالى عنها وأرضها .

حرف الفاء

(١٥٦) فرق السبخي (٢)

المعرض عن الفانى الوفى ، الم قبل على الآتى البھى ، وقد قيل :
 التصوف طرح الشھى والتمنی ، والجد فى اللھوق والتلقى ، وأصله من الكوفة
 ثم نزل البصرة

(ومن كلامه) الشبع أبو الكفر ، وقال : ويل لذى البطن من بطنه إن
 أضاعه ضعف ، وإن أشبعه ثقل ، وقال : قال عيسى عليه الصلاة والسلام :
 طوى للناطق في أذان قوم يسمعون كلامه ، ما تصدق رجل أعظم أجرا من
 موعدة قوم يصيرون بها إلى الجنة ، وقال : الغريب من ليس له حبيب ، وقال في
 التوراة : أمهات الخطايا ثلاثة الكبر والحسد والحرص ، فنشأت من الثلاث ست
 فصارت تسعا : الشبع والنوم والراحة وحب المال وحب الجماع وحب الرياسة ،
 وقال فيها : من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ، ومن جالس
 غنيا فتضعضع له ، ذهب ثلثا دينه ، ومن أصابه مصيبة فشكها فكأنما شكي
 ربه ، وقال :رأيت في النوم مناديا ينادي : يا أشباء اليهود كانوا على حياء من

(١) طبقات الشعرانى ٥٧/١ .

(٢) نسبة إلى سبحة البصرة أو الكوفة ، انظر تهذيب التهذيب ٢٦٤/٨ - ٢٦٢/٨ : والشذرات ١٨١/١ .

الله فإنكم لم تشكروا إذا أعطاكم ولم تصبروا حين أبلاكم ، وقال مَرْ عابد من بنى إسرائيل على كثيب رمل وقد أصابتهم مجاعة فتمنى أن يكون الرمل دقيقاً ليشبعوا ، فأوحى الله لنبي قل له : أوجبت لك من الأجر ما لو كان دقيقاً فتصدق به ، أسنده عن أنس بن مالك ، وسمع جماعة من أكابر التابعين ، وشغله التعبد عن حفظ الحديث فأعرض النقلة عن نقل حديثه ، مات أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة .

(١٥٧) الفضيل بن عياض^(١)

الناقل من المهالك إلى الحصون والرياض ، وهو التميمي الخراساني شيخ الحرم ، كان من الحوف نحيفاً ، وللطواف أليفاً ، وقد قيل : التصوف المبادرة في السفر ، والمسامرة في الحضر ، وكان إماماً ريانياً صمدانياً قانتاً زاهداً عابداً عظيم الشأن شديد الحوف دائم الفكر ؛ ولد بسميرقند ، ونشأ بأمورد ، ومات بمكة ، وكان أولاً يقطع الطريق فعشق جارية فبينما هو يرتقى الجدار إليها سمع هاتفاً يقول : « ألم يأن للذين آمنوا » الآية^(٢) فتاب وهام على وجهه ، وقال مكثت في جامع الكوفة ثلاثة أيام طعاماً فهزني الجوع في الرابع فدخل المسجد رجل مجنون بيده حجر كبير وفي عنقه غل ثقيل ، والصبيان من خلفه يجعل يجول في المسجد حتى جاءني فجزعت منه وقلت : إلهي أجعلتني وسلطت على من يقتلني فالتفت إلى ، وقال :

محل بيان الصبر فيك غريرة فياليت شعرى هل لصبرك آخر

(١) حلية الأولياء ٨٤/٨ : وطبقات الشعراني ١/٧٩ - ٨٠ : والسلمي ص ٦ - ١٤ : والرسالة القشيرية ص ١١ : ووفيات الأعيان ١/٥٢٥ : وصفة الصفة ٢/١٣٩ - ١٣٤ : وميزان الاعتدال ٣٣٤/٢ : ومرآة الخبان ١/٤١٧ - ٤١٥ : والبداية والنهاية ١/١٩٨ : وتاريخ دمشق ج ٣٤/٦٣٨ : وتهذيب التهذيب ٨/٢٩٤ - ٢٩٧ : والشذرات ١/٣١٦ - ٣١٨ .

(٢) « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » سورة الحديد ، الآية ١٦ .

فزال جزعى وطار هلى وقلت : يا سيدى لولا الرجاء لم أصبر ، قال : فأين مستقر الرجاء منك ؟ قلت : بحيث مستقر هموم العارفين ، قال : أحسنت يا فضيل ، إنها لقلوب الهموم عمرنها ، والأحزان أوطنها ، عرفته فأنست به ، وارتحلت إليه ، فعقولهم صحيحة وقلوبهم ثابتة ، ثم ولى وهو ينشد أبياتا ، قال فضيل فبقيت عشرة أيام لا أكل ولا أشرب وجداً لكلامه .

(ومن كلامه) إذا أحب الله عبداً أكثر همه وغمه ، وزوى عنه حتى لا يجد عشاء ولا غداء إلا قدر شرك وإذا أبغضه وسع دنياه وفرجه بما آتاه وشغله بها عنه وقال : إنى لأنصرف من صلاتى وأنا مستح من الله أكثر من استحيائى إذا شربت خمرا ، وقال : لو أن الدنيا بحذافيرها عُرِضَتْ عَلَىِّيْ عَلَى أن لا أحاسب عليها لتقدّرْتها كما يتقدّرْ أحدكم الجيفة ، وقال : نرى ترك العمل للناس رباء والعمل لأجلهم شركا ، وقال : إنى لأعصى فأعرف ذلك فى سوء خلق خادمى وحمارى ، وقال : أحق الناس بالرضى عن الله أهل المعرفة به ، وأوحى الله إلى بعض أنبيائه إذا عصانى مُنْ عرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى ، وقال : طوبى لمن استوحش بالخلق وأنس بالحق ، وقال : من عرف الله من طريق المحبة بغير خوف هلك بالبساط والإدلال ، ومن عرفه من طريق الخوف انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ، ومن عرفه من طريقهما معاً أحبه وقربه ومكنته وعلمه ، ومن عرف الله حق المعرفة فهو بعيد من الضلال ، ومن أنزل الموت حق منزلته لم يغفل عنه ، وقال : أهل الفضل هم أهله ما لم يروا فضلهم ، وقال : إذا اغتابك عدوك فهو أنسع لك من الصديق فإنه كلما اغتابك أعطاك من حسناته ، وقال : من أعطى فهم القرآن أعطى علم الأولين والآخرين ، وقال : لو قيل لي : أمير المؤمنين داخل عليك فسوية لحيتى خفت أن أكتب فى جريدة المنافقين ، وقال : جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفاتحه حب الدنيا وجعل الله الخير كله فى بيت وجعل مفاتحه الزهد ، وقال : كانوا يراوون بما يعلمون والآن يراوون بما لا يعلمون ، وقيل له : ما لنا لا نرى خائفا ؟ قال : لو كنت خائفا لرأيت الحائفيين :

لأن الشكلي لا يراها إلا ثكلى ، وقال : من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه ، وقيل له : إن علياً ابنك يقول : وددت أنى بمكان أرى الناس ولا يروننى ، فبكى وقال : ويح على أفلأ أتها فقال : لأأراهم ولا يروننى ، وقال : ابعد من القراء ما استطعت فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك فغطوا عليك عيوبك ، وإن أبغضوك جرحوك زوراً وبهتانا وقبل الناس منهم ذلك ، وقال : قراء الرحمن أهل ذبول وخشوع وقراء الأماء أهل كبر وعجب وازدراه للناس ، وقال : إذا أقبل الليل فرحت به وقلت أخلوا بربى ولا أرى الناس ، وإذا طلع الفجر استرجعت كراهة لقائهم ، وقال : إنى لأجد للرجل عندى يداً إذا لقينى لا يسلم على ، فإذا مرضت لا يعودنى وقال من حرم العقل فليصب العمل فإن حرمهما فالموت خير له ، وقال : لو خيرت بين أن أبعث فادخل الجنة وأن لا أبعث أخترت أن لا أبعث ، وقال : لو خيرت بين أن أعيش كلباً وأموت كلباً ولا أرى يوم القيمة لاخترت ذلك ولا أراها ، وقال له رجل : كيف أصبحت ، وكان يشغل عليه ذلك فقال : في عافية ، قال : كيف حالك ؟ قال : عن أي حال تسأل عن حال الدنيا أو الآخرة ، أما الدنيا فقد مالت بنا وذهب كل مذهب وأما الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفني عمره ولم يتزود لمعاده ولم يتأنب للموت ، وقال : من أحب أن يذكر لم يذكر ومن كره أن يذكر ذكر ، وقال : عامل الله بالصدق في السر فإن الرفيع من رفعه الله ، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب خلقه ، وقال : من خاف الله لم يضره شيء ومن خاف غيره لم ينفعه شيء ، وقال وعزته وجلاله لو أدخلني النار وصرت فيها ما أيسرت منه ، وقال : ليست الدنيا دار أقامة وإنما هبط آدم إليها عقوبة إلا ترى كيف يزوها عن أحبابه ويرها عليهم مرة بالجوع ومرة بالعمرى ومرة بال الحاجة ، وقال كثير من العلماء زيه أشبه بزى كسرى وقيصر ، منه بزى إمام المرسلين ، فإنه لم يضع لبنيه على لبنة ولكن رفع له علم فشمر إليه ، وقال : إن قيل لك : حب الله أو تخاف الله فاسكت ، فإنك إن قلت : لا كفرت ، وإن قلت : نعم وليس وصفك وصف

المحبين والخائفين فاحذر المقت ، وقال : ما بكت عين عبد قط حتى يضع الرب
سبحانه يده على قلبه ولا بكت عين إلا من فضل رحمة الله ، وقال : ليكن شغلك
في نفسك لا في غيرك ، ومن كان شغله في غيره فقد مكر به ، وقال : النظر
إلى صاحب بدعة يورث العمى ، وقال : ما تزين العباد بشيء أفضل من الصدق
أن الله يسأل الصادقين عن صدقهم فكيف بالكافر؟ ، وقال : إنما جعلت العلل
ليؤدب بها العباد ليس كل من مرض مات ، وقال أوه كم من قبيح يكشف يوم
القيمة غدا ، ومرض فحبس بوله فقال يحيى : إياك ألا أطلقته فشفى حالا ،
وقال : يهابك المخلق على قدر هيبيتك لله ، وقال : لئن أطلب الدنيا بطبل ومزمار
أحب إلى من أطلبها بالعبادة ، وقال : من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه
وأضمر له البغض والعداوة لعنه الله وأصمه وأعمى بصر قلبه ، وقال : من طلب
الحمد من الناس بتتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواد وليس من الله في شيء ،
وقال : إياك ومجالسة القراء ، فإن الغيبة فاكهتهم ، وقال : من طلب صاحبا بلا
عيوب صار بلا خ ، وقال : عالم الآخرة علمه مستور وعالم الدنيا علمه منشور
فاحذر مجالسه عالم الدنيا ، فإنه يفتن بغروره وزخرفته ودعواه العلم بغير عمل ،
وقال : لو زهد العلماء في الدنيا خضعت لهم الجبابرة ، وقال : من عرف ما يدخل
جوفه صار عند الله صديقا ، وكان إذا صلى العشاء انتصب للصلوة إلى الفجر ،
وربما مسك لحيته وهو واقف ويكي حتى بل الشرى من العشاء إلى الصباح ،
ويقول : وبحق يا فضيل كنت في صباحك فاسقا : وصرت في آخر عمرك مرائيا
والله للمرائى أشد من الفاسق . وكان كثيرا ما يغلب عليه النوم فيصير دائرا في
داره تصدم رأسه الحيطان إلى الصباح ثم ينشد :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أى محلين تنزل

وقال أوحى الله إلى الجبال أني متكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت
وخطب طور سيناء ، فكلم موسى عليه السلام وقال شعيب بن حرب : بينما أنا
أطوف إذ لکزنى رجل برفقه فالتفت فإذا الفضيل فقال : يا أبا صالح إن ظنت

أنه شهد الموسم من هو شر مني ومنك فبئسما ظنت ، ودخل عليه المحسن بن زياد فقال : يا حسن عساك ترى أن بالمسجد الحرام رجلاً شراً مني ومنك إن كان ذلك منك فقد ابتليت بعظيم ، وبلغه أن العيسى بن إسحاق اشتري داراً وكتب كتاباً وأشهد عدولاً فأرسل إليه فقال : بلغنى كذا ، فقال : قد كان ، قال : إنه يأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بيتك حتى يخرجك منها شاصاً ويسلمك إلى قبرك خالصاً فانظر لاتكون اشتريتها من غير مالك أو ورثت مالاً من غير حله ولو كتبت حين اشتريت هذا ما اشتري عبد ذليل ميت من ميت قد أزعج بالرحيل اشتري منه داراً تعرف بدار الغرور حد منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهاكلين ويجمع هذه الدار حدود أربعة الأول ينتهي إلى دواعي العاهات ، والثانى إلى دواعي المصيبات ، والثالث إلى دواعي الآفات والرابع إلى الهوى المردى والشيطان المغوى ، وفيه يشرع باب هذه الدار على الخروج من عز الطاعة إلى الدخول في ذل الطلب ، ورأى رجلاً يضحك فقال : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وقال حقيقة المحبة إيهار المحبوب على الكونين في القرب وبعد ، وقال : من ادعى العبودية وله مراد باق فقد كذب ، وكان يعاتب نفسه ويقول : أى شيء تخاف ، أتخاف أن تجتمع ؟ لا تخاف فأنت أهون على الله من ذلك إنما يجتمع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكان يقول : أجعلتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح ، وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأى منزلة نلت هذا منك ، ودخل عليه قوم فقال : من ؟ قالوا : من خراسان قال : اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ، ورأى رجلاً مغموماً فقال : أتخشى أن يكون لك رزق لا تستوفيه قال : لا قال : أفتخشى أن يكون غير ما شاء الله ؟ قال : لا قال : فلأى شيء غمك ، وقال : علمت أن الدنيا تفارقنى اضطراراً ففارقتهما اختياراً ، مات سنة سبع وثمانين ومائة عن نحو ثمانين سنة ودفن بباب المصلى ، وكان من أعظم أئمة المحدثين ، خرج له الجماعة إلا ابن ماجه ، وعنده

أخذ الشافعى وابن المبارك رضى الله عنهم وأسند الستة إليه وخلق ، قال الذهبى وغيره : كان سيداً عابداً ورعاً زاهداً إماماً ريانياً عالماً فقيها ، وناهيك بقول ابن المبارك رضى الله عنه : ما بقى على ظهر الأرض أفضل منه ، أخرج ابن عساكر عن بعض المكيين رأيت سعد بن سالم القداح في النوم ، فقلت : من أفضل من هذه المقبرة ؟ قال : صاحب ذاك القبر ، قلت : بما فضلهم قال : أبتلى فصبر ، قلت : ما فعل فضيل قال : هيئات كسى حلة لا تقوم لها الدنيا بحواشيه .

(١٥٨) فتح بن سعيد الموصلى^(١)

كان من أكابر الأولياء . وأعاظم الأصفباء ، ذا جد واجتهاد في التعبد وشجاعة ، ورفض للدنيا وقناعه ، وجود نفس وكرم ، وتهجد تشهد له حنادس الظلم ، وكان كهيئة الروحانيين معلق القلب بالله وبما هناك ليست له في الدنيا راحة ، وكان يبكي فينحدر الدم من عيونه ، وكان يقول في جوف الليل : رب أجعلتني وأغرتني وفي ظلم الليل أجلسنني في بأي وسيلة أكرمني هذه الكرامة ؟ !! وكان يبكي ساعة ويفرح ساعة ، قال المعافى بن عمران : دخلت عليه فرأيته قاعداً في الشمس وصبية له عربانة وابن له مريض فقلت له : أئذن لي حتى أكسو هذه الصبية قال : دعها حتى يرى الله صبرها وصبرى عليها فيرحمها فتجاوزت إلى الصبي فقدعت عند رأسه فقلت : حبيبى تستهنى شيئاً فأحمله إليك ؟ فرفع رأسه إلى السماء وقال : منى الصبر ومنك البلاء .

(ومن كراماته) أنه كان يمشي على الماء ، ومنها ما قال أبو عبد الله ابن الجلاء : كنت ببغداد عند سرى السقطى رضى الله عنه فقام عند مضى جانب من الليل ليزور فتح الموصلى ، فأخذه العسس وأمر بضرره فرفع الجlad يده بالسوط فوققت ولم يستطع إرسالها ، فنهره الأمير ، فقال بجانبى شيخ يقول

(١) أبو محمد الفتح بن سعيد الموصلى ، طبقات الشعراوى ٦٨ / ١ ; والنبهانى ٢٣٣ / ٢ .

لاتضرب فلم أقدر أن أحرك يدي فنظر فإذا هو فتح .

(ومن كلامه) : من أدام النظر بقلبه أورثه ذلك الفرج بالمحبوب ومن آثره على هواه ، أورثه ذلك حبه إيه ، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب ، أورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم ؛ وزار إبراهيم بن موسى يوم عيد فرأى الناس عليهم الطيالس والعمائم والملابس ، فقال : إنما ترى ثوباً بليلاً وجسداً يأكله الدود غداً ، هؤلاء أنفقوا خزائنهم على بطونهم وظهورهم ويقدمون على ربيهم مفاليس ، مات سنة عشرين ومائة .

حرف القاف

(١٥٩) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ^(١)

الشرع الشفيف ذو الحسب العتيق ، كان بغوامض الأحكام فائقاً ، وإلى محسن الأخلاق سابقاً ، وقد قيل : التصوف الفتق للرق ، والرفو للفتق ، قال أيوب السختياني : ما رأيت أفضل من القاسم لقد ترك مائة ألف وهي له حلال ، وكان عالماً فقيهاً مفتياً ورعاً زاهداً حجة ، ولما مات عبد الملك بن مروان أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفًا منعه من العيش ولبس مسحًا سبعين ليلة ، فقال له القاسم : أما علمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون استقبال المصائب بالتحمل ومواجهة النعم بالتجمل ، فراح في يومه في مقطوعات من حبر اليمن شراؤها ثمانمائة دينار .

(ومن كلامه) : لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول مالاً يعلم ، مات سنة سبع ومائة ، أنسد الحديث عن عائشة وأبن عباس وأبن عمر وغيرهم وخرج له الستة .

^(١) تهذيب التهذيب ٣٣٣/٨ - ٣٣٥ : والشذرات ١/١٣٥ .

(١٦٠) فقادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب (١)

الحافظ الرغاب ، والواعظ الرهاب كان عالما حافظا ، عاملا واعظا ،
وقد قيل : التصوف المراعة والاحتفاظ ، والمعاناة والاتعاظ ، كان فارس العلم
حافظ الدهر .

(ومن كلامه) مانهى الله عن ذنب إلا علم أنه موقع لكن تقدمه
حجوة ، وقال : عليكم بالوفاء بالعهد فإن الله ذكره في بعض وعشرين آية نصها
لهم ، وقال : من يتق الله يكن الله معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي
لاتغلب والحارس الذي لاينام والهادى الذى لا يضل ، وقال : كل خلة تصير على
أهلها عداوة يوم القيمة ، إخلة المتقين ، وقال : الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ،
والآخرة دار بقاء ثم دار جزاء ، فكونوا من يصرم حاجة الدنيا حاجة الآخرة ،
مات بين الحرمين حاجا سنة ثمان أو تسع عشرة ومائة عن نحو سبعين سنة ،
وقد ذهب بصره ، أنسد الحديث عن أنس وغيره .

(١٦١) قسامية بن زهير (٢)

كان عارفا بالتصوف ، ماهراً في طريق التعرف .

(ومن كلامه) : روجوا القلوب بالذكر ، وقال : حدث إبراهيم عليه
الصلوة والسلام نفسه أنه أرحم الخلق ، فرفعه الله حتى أشرف على أهل الأرض
فأبصر أعمالهم ، فقال : يارب دمر عليهم ، فقال : أنا أرحم بعبادى منك
فاهبط فلعلهم يتوبون .

(١) تهذيب التهذيب ٣٥١/١ - ٣٥٦ : والشذرات ١٥٣/١ - ١٥٤ .

(٢) قسامية بن زهير المازني التميمي البصري ، تهذيب التهذيب ، ٣٧٨/٨ .

حرف الكاف

(١٦٢) كعب الأحبار أبو إسحاق الحميري (١)

البحر الزخار ، المشتهر بالعلم والزهد كأنه علم على رأسه نار ، وهو صاحب الكتب والأسفار ، الكاشف عن المكتوم والأسرار ، والمشير إلى المشاهد والآثار ، المحدث بما في الكتب المتقدمة من العجائب والأخبار ، وقد قيل : التصوف مفارقة الأشرار ، ومصادقة الأخيار ، ومتابعة الآثار والأخبار ، كان يهوديا فأسلم وقدم المدينة ، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص ، قال ابن عباس له : ما منعك أن تسلم حتى لزمن عمر ؟ قال : كتب لي أبي كتابا من التوراة وختمه وعهد لي ألا أفضنه ، فلما رأيت الإسلام يظهر ، قلت : لعله غيبُ غيرَ عنى علمًا ففضضته فإذا فيه صفة المصطفى وأمته فأسلمت ، ومن فوائده العظيمة المقدار : أنيروا بيوتكم بذكر الله كما تنيرون به قلوبكم ؛ وقال : ما استقر لأحد ثناء في الأرض إلا بعد استقراره في السماء ، وقال : مأحد يساق إلى النار إلا وهو مسوود الوجه مغلول إلا هذه الأمة يساقون إليها بالوانهم ، وقال : إنما سمي الخليل أواها ؛ لأنه كان إذا سمع بذكر النار قال : أوه ، وقال : يوشك أن تروا الجهال يتبااهون بالعلم ويتغيروا على التقدم عند الأمراء كما يتغير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم ، وقال : لا يذهب ألم الموت عن الميت ما دام في قبره ، وقال : ما من بيت فيه أحد إلا والموت يقف على بابه في كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر به في توفاه ، وقال : أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام تعلم الخير وعلمه الناس فإني منور لعلم العلم ومتعلميه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم ، أخرج له عنه أحمد في الزهد ، وقال : لئن أبكى من خشية الله ودموعي تسيل على وجهي أحب إلى من أن أتصدق بوزن

(١) ابن الأثير ٩ / ٢ : والطبرى ١٨٥ / ٢ : والمرزاوى ٣٤١ : والسبائك ٦٢ : والمعارف لابن قتيبة ٤٣٠ : وتهذيب التهذيب ٤٣٨ / ٨ - ٤٤٠ ، والشذرات ٤٠ / ١ .

جبل ذهبا ، وقال : ما سرق سارق شيئا إلا احتسب عليه من رزقه ، وقال : مؤمن عالم أشد على إبليس من مائة ألف مؤمن عابد ، وقال : فاتحة التوراة فاتحة سورة الأنعام وخاتمتها خاتمة سورة هود ، وقال : إن للذكر دويا تحت العرش كدوى النحل يذكر صاحبه ، وقال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج بنى إسرائيل فاستسقوا مرارا فلم يسقوا ، فأوحى الله إليه : لا أستجيب لك ولن معك وفيكم نام ، فقال : ومن هو حتى نخرجه يا رب ، فقال : يا موسى أنهاكم عن النيميمة وأكون غاما ، فقال : موسى توبوا بأجمعكم من النيميمة فتابوا ، فأرسل الله الغيث ، وقال : اغتنم تنفس الأجل وإمكان العمل ، واقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود وعمر غير محدود ، وقال : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها ، وقال : لا تستشر الحاكمة فإن الله سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم ، نقله عنه في الربع ، وقال : من أراد أن لا يتخم من طعام فليقرأ عند كله « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » وقيل له : ما الداء الذي لا دواء له ؟ قال : الموت ، وقال لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلتك في قومك ؟ قال : حسنة ، قال : إن التوراة تقول : إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال : صدق التوراة وكذب أبو مسلم ، وقال : من يعبد الله ليلة حيث لا يراه أحد يعرفه خرج من ذنيبه كما يخرج من ليلته ، وقال : التخلق إلى أربعين يوما ثم يعود إلى خلقه الذي هو خلقه ، وقال : إن الملائكة ينظرون من السماء إلى المصلين بالليل في بيوتهم كما تنتظرون أنتم إلى نجوم السماء ، وقال له عمر رضي الله عنه : خوفنا يا كعب فقال : يا أمير المؤمنين : لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدررت عملك مما ترى فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب فقال : لو فتح من جهنم مقدار منخر ثور بالشرق ورجل بالغرب لغلا دماغه حتى يسيل من حرها ، فأطرق مليا ثم قال : زدنا فقال : إن جهنم لتزفر يوم القيمة زفة لا يبقى

ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا خرجا ثنا و يقول : يا رب نفسي نفسي لأسألك
اليوم غيرها ، أSEND كعب عن عمر وصهيب وعائشة ، رضى الله تعالى عنهم ،
ومات بحمص سنة ثنتين وثلاثين في خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه .

(حرف الميم)

(١٦٣) مالك بن دينار

الإمام المختار ، والعارف النظار ، صوفى قدره كبير ، وعالم ليس له
نظير ، قدوة فى معرفة التصوف مشار إليه فى المحافل ببنان التقدم والتعرف ،
نعم وكان لشهوات الدنيا تاركا ، ولنفس عند غلبتها مالكا ، وقد قيل :
التصوف تذلل وإضمار ، وقلق وافتقار ، قال ابن الجوزى فى كتاب التوابين : إنه
كان أولا شرطيا وإنه سئل عن توبته فقال : اشتريت جارية فوقعت مني أحسن
موقع وولدت مني بنتا فشغفت بها فلما دبت على الأرض من قلبي حبا وألفتني
وأفلتها ، فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدنا حزنها ، فلما كانت ليلة نصف
شعبان وكانت ليلة الجمعة رأيت فى منامي أن القيامة قامت ونفح فى الصور
وحشر الخلق وأنا معهم فسمعت حسا فالتفت فإذا أنا بتنين عظيم أسود أزرق
فتح فاه مسرعا نحوى فمررت بين يديه هاربا مرعبا فمررت فى طريقى بشيخ نقى
الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت : أجرنى من هذا التنين
أجارك الله فبكى وقال : أنا ضعيف وهذا أقوى منى مر وأسرع لعل الله أن
يقيض لك ما ينجيك منه ، فوليت هاربا على وجهى فصعدت على شرف القيامة
فأشرفت على طبقات النيران فكدت أهوى فيها من فزعى فصاح صائح ، ارجع
فلست من أهلها فاطمأننت لقوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى فأتيت الشيخ
فقلت : سألك أن تجيرنى من هذا التنين فلم تفعل فبكى وقال : أنا ضعيف ،

(١) وفيات الأعيان ٤٤٠ / ١ ; وملية الأولياء ٣٥٧ / ٢ ، وتهذيب التهذيب ١٥ - ١٤ ، والمعارف
لابن قتيبة ٤٧٠ ; والشذرات ١٧٣ ، ومرآة الجنان ٢٦٩ - ٢٧٠ .

ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه وداع المسلمين ، فإن كان لك فيه وديعة فتنصرك ، فنظرت إلى جبل مستدير من فضة فيه طاقات محرقة ، ستور معلقة على كل طاقة مصراعان من ذهب أحمر على كل مصraig ستر من حرير فلما نظرت إليه هرولت ، والتين من وراءى حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة أرفعوا الستور وافتتحوا المصraig فأشرفوا على فرأيت أطفالا كالأقمار وقرب التين مني فحررت في أمرى فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فأشرفوا فوجا بعد فوج فإذا أنا بابنتى التي ماتت فنظرت إلى وبكت وقالت : أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى صارت عندي ومدت يدها الشمال إلى يدي اليمين فتعلقت بها ومدت يدها اليمين إلى التين فولى هاربا ثم أجلسستني وقعدت في حجري وضررت بيدها اليمين إلى لحيتي وقالت يا أبايت « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » فبكية قالت : وأنتم تعرفون القرآن ؟ قلت : نحن أعراب به منكم ، قلت : فأخبريني عن التين الذي أراد أن يهلكني ، قلت : ذلك عملك السييء قويته فأراد إغرائك في نار الجحيم ، قلت : فالشيخ ، قالت : عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السييء ، فقلت : يا بنية ما تفعلون في هذا الجبل ، قالت : أطفال المسلمين أسكنوا فيه إلى قيام الساعة ، ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم ، قال مالك رحمة الله : فانتبهت فرعا مرعوبا فكسرت آلات المخالفه وعقدت مع الله عز وجل توبية نصوها فتاب على سبحانه ، (وحكى) قال : كان لي جار يفعل الفواحش فتآذى منه الجيران وأتونى فأحضرناه ، وقلنا : اخرج من محله ، قال : أنا في منزل لا أخرج قلنا : بعه قال : لا أبيع ملكي ، قلنا : نشكوك للسلطان ، قال : أنا من أعوانه قلنا : ندعوك عليك ، قال : الله أرحم بي منكم ، ففاظنني ذلك ، فلما جن الليل دعوت عليه فقيل لي : إنه من الأولياء ، فحضرت إلى بابه فعرج لي باكيتا تائبا وفارقا فلم نره إلا بالمسجد الحرام مريضا مطروحا فلم يلبث أن مات ، قال الغزالى رحمة الله : قال مالك : لا يتتفق اثنان في عشرة إلا أن كان في أحدهما وصف من الآخر ، وأشكال الناس

على أجناس الطير فلا يتفق نوعان منه إلا وبينهما مناسبة ، فرأى يوماً غرابة مع حمامه فعجب ثم طارا فإذا هما أعرجان ، قال : من هنا أتفقا ، ولذلك قال الحكماء : كل إنسان يألف إلى شكله وإذا اصطحب الثناء برهة ولم يتشاكل فلا بد أن يفترقا ، انتهى ، ودخل لص داره فما وجد شيئاً يسرقه فجاء ليخرج ومالك ينظره فقال سلام عليك ، أعلم أن شيئاً من الدنيا ما حصل لك فترغب في شيء من الآخرة ؟ قال : نعم قال : توضأ وصلّ ففعل إلى الصبح فخرج به مالك إلى المسجد فقال أصحابه : من هذا ؟ قال جاء يسرق فسرقناه .

(ومن كلامه) : خرج أهل الدنيا منها ولم يذوقوا أطيب شيء فيها وهو معرفة الله ، وقال : ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله ، وقال : قال في التوراة : أيها الصديقون تننعموا بذكرى في الدنيا فإنه لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء ، وقال : لا يبلغ الرجل منزلة الصديق حتى يأوي مزابل الكلاب ، وقال : نظرت في كل إثم فلم أجده إلا حب المال ، وقال : بقدر ما تخزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وقال : يا معاشر الأغنياء موتوا كمداً فإن العيش عيش الآخرة ، وقال : درهم الفقير أزكي عند الله من دينار الغني ، وقال : ما أنصفنا إخواننا الأغنياء يحبوننا في الله وبمارقوننا في الدنيا وإنه يأتي يوم يسرهم أن يكونوا مبنزلتنا ولا يسرنا أن تكون مبنزلتهم ، وقال في بعض الكتب : يقول الله : أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه : وقال : إذا ذكر الصالحون فأف لى وتف ، وقال : تلقى الرجل وما يلحن حرفاً وعملهم لحن ، كلهم ، أغربوا في كلامهم ولحنوا في أعمالهم ، مما أغربوا ؟ وقال : إذا لم يكن في القلب حزن خرب كما إذا لم يكن في البيت ساكن يخرب ، وقال : البدن إذا سقم لا ينفع فيه طعام ولا شراب ولا راحة ، وكذا القلب إذا غلبه حب الدنيا لا ينفع فيه وعظ ، وقال : اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء ، وقال : من كان في قلبه شعبة من الأيمان فلا ير肯 إلى التسווيف ، وقال : من كانت دنياه همه كثرة في الدارين غمه ، وقال : إن لله عقوبات فتعاهدوا أنفسكم والأبدان ضيقاً في المعيشة ووهنا في العبادة وسخطاً في الرزق ، وما ضرب عبد بعقوبة

أعظم من قسوة القلب ، وقال : قال موسى : يا رب ، أين أبغيك ؟ قال : عند المنكسرة
قلوبهم ، وقال : من فرح بدمح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه وقال : رأيت
جبلًا عليه راهب فناديه : أفندي شيئاً مما يزهد في الدنيا ، قال : إن استطعت أن
تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد فافعل ، وقال : من علامه حب الدنيا أن
يكون دائم البطنة قليل الفطنة همته بطنه وفرجه ، يقول : متى أصبح فالله وألعب
وأكل وأشرب ، متى أمسى فأنام ، جيفة بالليل بطال بالنهار ، وسئل عن لبس
الصوف ، فقال : أما أنا فلا أصلح له لأنه يطلب صفاء ، وقال : ما بقى لأحد رفيق
يساعده على عمل الآخرة إنما هم يفسدون على المرء قلبه ، وقال : من غالب شهوته
فذاك الذي يفر الشيطان من ظله ، وقيل له : ألا تتزوج ؟ قال : لو استطعت أن أطلق
نفسى طلقتها ، وقال : إنما بطن أحدكم كلب فألق إلى الكلب كسرة يسكن ولا تجعلوا
بطونكم حرباً للشيطان يرعى فيها ما شاء ، وقال : حلوا أنفسكم من الدنيا وثاقاً
وثاقاً ، وقال : قال في الزبور : إنى أنتقم من المنافق للمنافق وأنتقم من المنافقين
جميعاً ، وقال : قال عيسى : خوف الله وحب الفردوس يبعدان من حب الدنيا ويورثان
الصبر على المشقة ، وقال بحق أقول لكم : أكل الشعير والنوم على المزابل قليل في
طلب الفردوس ، وقال : أجيعوا أنفسكم وأغروها لعل قلوبكم تعرف الله ، وقال : لو لا
يقول الناس جن مالك للبست المسوح ووضع الرماد على رأسى وأنادى في الناس من
رأنى فلا يعصى ربه ، وقال : كل جليس لا تستفيد منه خيراً فاجتنبه ، ومر برجل فوجد
كلباً قد وضع حنكه على ركبته فذهب يطرده ، فقال : دعه هذا لا يضر ولا يؤذى
وهو خير من جليس السوء ؛ وقع حريق بحية فقال شباب القوم ببيت مالك فأسرعوا إليه
فخرج إليهم متزراً ببادية وبهذه مظهرة وهو يقول : نجا المخفون ، وقيل له : ألا ندعوك
لك قارئاً ؟ قال : الشكلى لا تحتاج لنائحة ، و كان لا يخرج مع الناس للاستسقاء ،
ويقول أخشى أن لا تجابوا من أجلى ، وقال : علامه محبه الله مداومة ذكره لأن من
أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وقال من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوق فقد قل
علمه وعمى قلبه ، وضيق عمره وقال : الناس يستبطئون المطر ، ومالك يستبطئ

الحجر، وقال : قد اصطلحتنا كلنا على حب الدنيا ، فلا عالم ولا صالح يعيّب على أخيه حبها مع أنها رأس كل خطيئة ، وشفع عند مكاسب فأجاب ، وقال : ادع لى ، فقال كيف أدعو لكم وألوف تدعوا عليكم ؟ أيستجاب لواحد دون إلف ، وقال : أصحاب بنى إسرائيل قحط فخرجو مراراً للاستسقاء فأوحى الله إلى نبيهم أن يخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وترفعون إلى أكفأ سفكتم بها الدماء وملائم بطونكم من الحرام ، الآن قد اشتذ غضبي عليكم ولم تزدادوا مني إلا بعداً ، وقال في بعض الكتب : يقول الله : يا ابن آدم خيرى ينزل عليك وشرك يصعد إلى ، وأنحبب إليك بالنعم وتتبغض إلى بالمعاصي ، وفي بعضها : إني أنا الله مالك الملوك قلوب العباد بيدي فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمـة ، فلا تشغـلوا بسب الملوك لكن توبوا أعطفـهم عليـكم ، وقال : عرس المتـقين يوم القيـامة ، وقال : من صـفيـ صـفـى له ومن خـلـطـ خـلـطـ له ، وقال : افتـضـحـوا فـاصـطـلـحـوا ، وقال : دـخـلـ عـيـسىـ بـيـتـ المـقـدـسـ فـوـجـدـهـ يـتـبـاعـونـ فـيـهـ فـجـعـلـ ثـوـبـهـ مـخـرـاقـاـ وـسـعـىـ عـلـيـهـ ضـرـبـاـ ، وقال : يا بـنـىـ الـحـيـاتـ وـالـأـفـاعـىـ اـتـخـذـتـ مـسـاجـدـ اللـهـ أـسـوـاقـاـ !! ، وقال : السـوقـ مـكـثـرـةـ لـلـمـالـ مـذـهـبـةـ لـلـدـيـنـ ، وقال : حـبـسـ المـطـرـ فـاسـتـسـقـيـنـاـ مـرـارـاـ فـلـمـ نـسـقـ ، فـانـصـرـفـ النـاسـ وـيـقـيـتـ بـالـمـصـلـىـ ، فـلـمـ أـظـلـمـ الـلـلـيـلـ إـذـاـ أـنـاـ بـأـسـوـدـ دـقـيقـ السـاقـيـنـ عـظـيمـ الـبـطـنـ فـصـلـىـ ثـمـ رـفـعـ طـرـفـهـ إـلـىـ السـمـاءـ فـقـالـ : سـيـدـىـ إـلـىـ كـمـ تـرـدـ عـبـادـكـ فـيـمـاـ لـاـ يـنـقـصـكـ أـنـفـذـ ماـ عـنـدـكـ ؟ !! أـقـسـمـ عـلـيـكـ بـحـبـكـ لـىـ إـلـاـ سـقـيـتـنـاـ السـاعـةـ ، فـمـاـ تـمـ كـلـامـهـ حـتـىـ أـمـطـرـتـ كـأـفـواـهـ الـقـربـ فـخـرـجـنـاـ نـخـوـضـ فـتـعـرـضـتـ لـهـ ، فـقـلـتـ : أـمـاـ تـسـتـحـىـ تـقـولـ بـحـبـكـ لـىـ وـمـاـ يـدـرـيـكـ أـنـهـ يـحـبـكـ ؟ـ قـالـ : يـاـ مـنـ اـشـتـغـلـ عـنـهـ بـنـفـسـهـ أـيـنـ كـنـتـ أـنـاـ حـيـنـ خـصـنـىـ بـتـوـحـيدـهـ وـمـعـرـفـتـهـ أـتـرـاهـ بـدـأـنـىـ بـذـلـكـ إـلـاـ لـمـحـبـتـهـ لـىـ ثـمـ بـادـرـ يـسـعـىـ فـقـلـتـ أـرـفـقـ فـقـالـ : أـنـاـ مـلـوـكـ عـلـىـ طـاعـةـ مـالـكـىـ الصـغـيرـ ، فـسـأـلـتـ عـنـ مـالـكـهـ فـقـلـتـ : بـعـيـنـهـ فـقـالـ : هـذـاـ غـلامـ مـشـئـومـ لـاهـمـةـ لـهـ إـلـاـ الـبـكـاءـ ، قـلـتـ : وـلـذـلـكـ أـرـيـدـهـ فـاشـتـرـيـتـهـ ، فـقـالـ : مـاـذـاـ اـشـتـرـيـتـنـىـ ؟ـ فـقـلـتـ : لـأـخـدـمـكـ فـدـخـلـ مـسـجـداـ فـصـلـىـ ، وـقـالـ : سـرـ كـانـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ أـظـهـرـتـهـ لـمـلـخـلـقـ أـقـسـمـ عـلـيـكـ إـلـاـ قـبـضـتـنـىـ ، فـإـذـاـ هوـ مـيـتـ ، مـاتـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـثـمـانـيـنـ وـمـائـةـ ، وـرـؤـىـ فـيـ النـوـمـ فـقـيلـ : مـاـذـاـ قـدـمـتـ بـهـ عـلـىـ اللـهـ ؟ـ قـالـ : قـدـمـتـ بـذـنـوبـ كـثـيرـةـ مـحـاـهـاـ حـسـنـ الـظـنـ بـالـلـهـ تـعـالـىـ .

(١٦٤) الإمام مالك بن أنس^(١)

الإمام المشهور صدر المدرسين الصدور ، أكمل العقلاً ، وأعقل الفضلاء ورث حديث الرسول ، ونشر في أمته الأحكام والأصول ، تحقق بالتقوى ، وابتلى بالبلوى ، قد قيل : التصوف تحقق في التقوى ، وتخلق في البلوى ، أخذ العلم عن سبعمائة شيخ فأكثر ، وما أفتى حتى شهد له سبعون إماماً أنه أهل لذلك ، وكتب بيده مائة ألف حديث ، وجلس للتدريس وهو ابن سبع عشرة سنة ، وصارت حلقته أكثر من حلقة مشايخه في حياتهم ، وكان الناس يزدحمون على بابه لأخذ الحديث والفقه كازد حامهم على باب السلطان ، وله حاجب يأذن عليه فيأذن أولًا للخاصة فإذا فرغوا أذن للعامة : وإذا جلس للفقه جلس كيف كان ، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً وتعمّم وقعد على منصة بخضوع وخشوع ووقار وبيخر المجلس من أوله إلى آخره بعودٍ أدباً مع المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى بلغ من تعظيمه أنه لدغته عقرب وهو يحدث ست عشرة مرة فصار يصرن ويتلوي حتى تم المجلس وتفرق الناس ، وقال : صبرت إجلالاً للمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وكان ربه يقول للسائل : انصرف حتى أنظر فقيل له فيه فبكى وقال : أخاف أن يكون لي من السائل يوم وأى يوم ، وكان إذا أكثروا سؤاله كفهم ، وقال : حسبكم من أكثر أخطأ ومن أحب أن يجib عن كل مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار ثم يجib ، وقد أدركناهم إذا سئل أحدهم فكان الموت أشرف عليه ، وسئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين لا أدرى ، وقال : ينبغي للعالم أن يورث جلساً لا أدرى ليكون أصلاً في أيديهم يفزعون إليه ، وكان إذا شك في الحديث طرحته ، وإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسه ، وقال : تصح ما قاله ثم تخرج ، وكان يقام بين يديه الرجل كما يقام بين يدي الأمراء ، وكان شديد التمسك بالسنة وكثيراً ما ينشد :

(١) الديباج المذهب ١٧ - ٣٠ : والرفقات ٤٣٩/١ : وتهذيب التهذيب ٥/١٠ : وصفة الصفة ٩٩/٢ : وحلية الأولياء ٦/٣٦ ، واللباب ٨٦/٣ ، وتاريخ الخميس ٣٣٢/٢ ، وسركريبيس ، معجم ١٦٠٩ ، والشذرات ١/٢٨٩ - ٢٩٢ ، ومراة الجنان ٣٧٣/١ .

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

وناهيك بقول الإمام أحمد رضي الله عنه فيه : إذا رأيت الرجل يكرهه فاعمل أنه مبتدع ، وألف الموطأ في أربعين سنة فأكثر الناس من عمل الموطآت فقيل له شغلت نفسك بعمله وقد أشركك الناس فيه ، قال لتعلم ما أريد به وجه الله فكانا أقيمت تلك الموطآت في الآبار ، وكان يقول عند قيامه ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال ابن إسحاق : ما صعبت على مسألة نقلتها له إلا انكشفت لي ، وقال الحارث بن حسن : دخلت على مالك وابن القاسم وابن وهب فودعه كلُّ ، فقال له ابن وهب أوصني ، فقال اتق الله وانظر عمن تنقل ، ولابن القاسم اتق الله وانشر ما علمت ، ولى : اتق الله وعليك بتلاوة القرآن فلم ير أهلاً لذلك ، وكان يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم كل ليلة في النوم ، وكان مهاباً جداً إذا أجاب في مسألة لا يمكِّن أن يقال له : من أين ؟ ودخل عليه المنصور وهو على فرشه وصبيٍّ يخرج ثم يدخل ، فقال تدري من هذا هو ابني وإنما يفزع من هيبتك ، ومن ثم أنسد فيه .

يأتى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

وأقام خمساً وعشرين سنة لا يخرج للجماعة ، ويقول : أخاف أن أرى منكراً لا يكتنى تغييره ، ومكث سنين لا يخرج للجمعة فسئلَ عنه ، فقال : للناس أعدار واحتمل الناس له ذلك فكانوا أرغب ما كانوا فيه وأشد تعظيمها له ، وفي الإحياء أنه كان يشهد الجنائز ، ويعود المرضى ويعطى الإخوان حقوقهم فترك واحداً واحداً ثم تركها كلها ، وقال : لا يتهمياً للرجل أن يخبر بكل عذر له ، وقيل له : كيف أصبحت قال في عمر ينقصه وذنب تزيد ، وقال أشهب بن عبد العزيز رأيت أبي حنيفة رضي الله عنه بين يدي مالك رضي الله عنه كالصبي بين يدي أمه ، قال الذهبى رحمه الله وهذا يدل على حسن أدب أبي حنيفة رضي الله عنه وتواضعه مع كونه أسن من مالك رضي الله عنه بثلاث عشرة سنة ، وكان

لا يدخل الخلاء إلا كُلَّ ثلاثة أيام مرة ويقول : والله قد استحييت منه من كثرة ترددى للخلاء ، وكان يرخى الطيلسان على رأسه حتى لا يرى ولا يُرى ، ولما أُلف الموطأ اتهم نفسه فى الإخلاص فيه فألقاه فى الماء ، وقال : إن ابتل لا حاجة لى به فلم يبتل منه شيئاً .

(ومن فوائده و دقائق إشاراته) ماثم أحد يخاف عليه يوم القيمة كالعلماء فإنهم يسألون عما يسئل عن الأنبياء ؛ وقال : المنافق بالمسجد كالعصفور في القفص ، إذا فتح طار ، وقال : العلم ليس بكثرة الرواية بل نور يضعه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل ، وقال : إذا علمت عالماً ظهر عليك أثره وسمته وسكتنته وقاره وحلمه لحديث « العلماء ورثة الأنبياء » وقال : أدركت الناس وهم يتعلمون العلم حتى يصل أحدهم إلى الأربعين فينقطع للعبادة ويطوى الفراش ويقوم الليل كله ، وقال : ما جالست سفيهاً قط ، قال : لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلاً ، وقال : المرأة والجدال في العلم يذهب بنوره من القلب ، وقال : من صدق في حديث متع بعقله ولم يصبه هم ولا خوف ، وقال طلب الرزق في شبهة أحسن من الحاجة إلى الناس ، وسئل عن كيفية الأستواء على العرش ، فقال بعد إطراف وتفكير : الكيف غير معقول والإستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، ووقع في زمانه أن امرأة غسلت أخرى فضررت بيدها فرجها ، وقالت : ما كان أذناك فلصقت يدها به وتحيروا في خلاصها ، فسألوه ، فقال : الغاسلة قذفت الميّة فخذوها للقذف ففعلوا فخلصت يدها ، ولما اختفى أيام الفتنة ، قال لمطرف : ما يقول الناس في ؟ قال : الصديق يشنى والعدو يقع ، قال : ما زال الناس هكذا عدو وصديق ، لكن نعود بالله من تتبع الألسنة بالذم ، وقال بكر بن سليم الصواف : دخلنا على مالك العشية التي مات فيها فقلنا : كيف تجدى ؟ قال : لا أدرى ما أقول لكم إلا أنكم ستتعارينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ، ثم ما برحنا أن أغمضناه ، وذكر القشيري أنه قيل له : ما فعل الله بك بعد موتك ؟ قال : غفر

لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنaza ، سبحان الحى الذى لا يموت ، ولد سنة بضع وتسعين بعد ما حملت به أمه ثلاثة سنين وامتحن فى خلافه المنصور أو الرشيد لافتاته بعدم وقوع طلاق المكره أو تقديميه عثمان على على رضى الله عنهم ، فضريه أمير المدينة من ثلاثين إلى مائة ومدت يداه حتى أنحلت كتفاه ، وصار بعد ذلك لا يمكنه رفع يديه حتى مات وصار يقول حين ضربه : اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون ، وحمل مغمى عليه فلما أفاق قال : أشهدكم إنى جعلت ضارى فى حل وما زال يعد الضرب فى رفعة من الناس وإعظام حتى كان تلك الأسواط حليا حلى به ، مات بالمدينة سنة سبع وتسعين ومائة ، وقيل : اثننتين وتسعين ومائة ، وقيل غير ذلك ؛ وأفرد الذهبى رضى الله عنه ترجمته بمئل حافل ، وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : رأيت أبي فى النوم وعليه قلنوسوة طويلة فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : زينى بزينة العلم ، قلت فأين مالك بن أنس ؟ قال : فوق فوق فلم يزل يكرر فوق ويرفع رأسه حتى سقطت القلسوة عن رأسه ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

(١٦٥) **مجاهد بن جبر**^(١)

الإمام أبو الحجاج المخزومي المكي المقرى المفسر الحافظ الواعظ العابد الزاهد ، أحد أوعية العلم وعظماء التابعين ، كان يضرب به المثل فى كثرة الصيام والقيام .

(ومن كلامه) : إنى لأرى الرجل على معصيته فأرجو له المغفرة أكثر من رجالى فى طاعتى ، وإذا نظرت إلى عظمة من تعصيه كانت الصغار كبار ، وقال : لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ربه : ابن للخراب ولد للفناء ،

(١) طبقات الفقهاء ٤٥ ؛ وغاية النهاية ٤١/٢ ، وصفة الصفوة ١١٧/٢ ؛ وميزان الاعتadal ٩/٣
وحلية الأولياء ٢٧٩/٣ ، ومرآة الجنان ١/٢٤ ؛ والشذرات ١٢٥/١ ، وتهذيب التهذيب

وقال : ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه أتاه ملك الموت ، فقال : أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا ، وقال ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه ، إن كان من أهل الذكر ، فمن أهل الذكر وإن كان من أهل الله فمن أهل الله ، وقال : إذا مات الميت فملك قابض نفسه ، فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله وحمله حتى يصل إلى قبره ، وقال : لا تكون من الذاكرين الله كثيراً حتى تذكره قائماً وقاعداً ، وممضطجعاً ونائماً ، وقال : ليكن آخر كلامك عند نومك : لا إله إلا الله ، فقد تكون المنية ، مات وهو ساجد سنة اثنين أو ثلاث ومائة عن ثلث وثمانين سنة وخرج له الستة .

(١٦٦) محمد بن سيرين^(١)

ذو العقل الرصين والورع المتين ، كان ذا زهادة وأمانة ، وحيطة وصيانة ، كان بالليل بگاء نائحاً وبالنهار بساماً سائحاً ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً . وقد قيل : التصوف ، التذلل والإطعام ، والطول والإنعم ، وكان إماماً في العلوم الشرعية والتعبير والزهد والورع ، أدرك ثلاثين صحابياً ، وقيل له : يا أبا بكر إن رجلاً اغتابك افتح له ؟ قال : ما كنت لأحل شيئاً حرمه الله ، وكان إذا سئل عن حرام أو حلال تغير لونه ، وقال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، وحبس في دين فقال له السجان : امض لبيتك ليلاً وامكث هنا نهاراً ، فقال : ما أعينك على خيانة أمانتك ، وسئل عن من يحضر السماع فيصعق ، فقال : ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن كله فإن سقطوا فهم كما يقولون ، وقال : إن كلفتنى ما لم أطق ساءك

(١) تهذيب التهذيب ٢١٤/٩ - ٢١٧ : ووفيات الأعيان ٤٥٣/١ : وحلية الأولياء ٢٦٣/٢ : وتاريخ بغداد ٣٣١/٥ : والوانى بالوفيات ١٤٦/٣ : وخلاصة تهذيب الكمال ص ٢٨٠ ، والشذرات ١٣٨/١ : ومرآة الجنان ، ٢٣٢/١ .

ما سرك منى من خلق ، قال العجلى رحمة الله : ما رأيت رجلاً أفقه فى ورمه ولا أروع فى فقهه منه ، وكان المتنى إذا تمنى يقول : ياليتنى فى ورعة ابن سيرين ، واشترى أربعين جباً سمنا فأخرج غلامه فأرارة من جب ثم لم يدر من أيها أخرجها فصبها كلها ، وكان لا يدع أحداً يمشي معه ولو ببيوت لا يكرهها إلا لأهل الذمة فسئل عنده ، فقال : إذا جاء رأس الشهر روعته وأكره أن أروع مسلماً ، كان له سبعة أوراد ليلاً فإذا فاته منها ورد قرأ نهاراً وما رأه أحد إلا ذكر الله ، وكان إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته ، وقال : إذا اتقى الله العبد في اليقظة لم يضره مارئي له في المنام ، وقال : مثل من يجلس ولا يخلع نعليه كدابة يوضع عنها الحمل دون الإكاف ، وقال : من رأى ربه في نومه دخل الجنة ، وقال له رجل : رأيت إني أبول دماً ، قال تأتى امرأتك وهي حائض ، ورأى رجل كأن في حجره صبياً يصبح فقال له : اتق الله ولا تضرب بالعود ، ورأت امرأة أنها تحلب حية فقال : اللبن فطرة والحياة عدو وهذه يدخل عليها أهل الأهواء ، ورأى كأن الجوزاء تقدمت الشرياً ، فقال يوم الموت الحسن وأموت بعده ، وقال له رجل : رأيتني أحترث أرضاً لا تنبت ، قال : أنت تعزل عن امرأتك ، وقال رجل : رأيتني أغسل ثوسي ولا ينقى ، فقال : أنت مصارم لأخيك ، وقال آخر : رأيت أنني أطير بين السماء والأرض ، قال : أنت تكشر المشى ، مات بالبصرة سنة عشر ومائة ، عن نيف وثمانين سنة .

(١٦٧) محمد بن كعب القرظى^(١)

التابعى الكبير ، الصائم القائم ، المحب الهائم كان للحق نافذاً ، وللباطل نابذاً ، وللفقر وافداً وللغني جاحداً ، وإلى المعالى صاعداً ولأسباب الخير صائداً ، وقد قيل : التصوف ، الخذر من الأهاويل والنفور عن الأباطيل ، وكان

(١) تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩ - ٤٢٢ : ومراة الجنان ١/٢٢٩ : والشذرات ١/١٣٦ : والمعرف لابن قتيبة ص ٤٥٨ .

يحدث أصحابه على كثرة الذكر ليلاً ونهاراً ، ويقول : لو رخص لأحد في تركه لرخص لذكرها عليه السلام حين نذر ألا يكلم الناس ، لقوله : اذك ريك كثيراً ، وقال : قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة ، وقال : لا تدخل الحكمة قلباً فيه عزم على معصية ، وقال : إذا صحت الضمائر غرفت الكبائر ، وقال رجل : أريد أعطى الله ميشاقاً أن لا أعصيه أبداً ، فقال : ومن أعظم جرماً منك الآن ، وأنت تتوكلى على الله أن لا ينفذ فيك قضاوه وقدره ، إنما على العبد أن يتوب كلما أذنب ، وكان أصاب مالاً كثيراً ففرقه فقيل له لو : ادخلت ولدك ، قال : لكنني أدخله لنفسي عند ربى وادخر ربى لولدى ، مات سنة ثمان ومائة وقيل : سبع عشرة وقيل : عشر وقيل : عشرين ومائة ، وكان يقص فسقط عليه المسجد ، أسنده حديثاً كثيراً ، خرج له الجماعة .

(١٦٨) محمد بن واسع^(١)

العالم الخاشع ، الخامل الخاضع ، كان لله عاملاً ، وفي نفسه خاملاً ، وقد قيل : التصوف ، والخضوع والخمول ، والقنوع والذبول ، وكان يسمى زين القراء ، وعى فارعوى ، ونوى فاستوى ، قليل الكلام ، والرواية طويل الصمت والسعادة ، شديد التقشف بحيث لا يلبس إلا قميصاً واحداً خشنأً ، وكان إذا وجد أحداً من أهل البصرة في قلبه قسوة نظر إلى وجهه ، وكان وجهه كأنه وجه ثكلى ، ومن اشتتهى أنه يبكي نظر إلى وجهه فبكى .

(ومن كلامه) : إذا أقبل العبد على الله أقبل عليه بقلوب المؤمنين ، وقال : القرآن بستان العارفين أينما حلوا منه حلوا في نزهة ، وقال : لو كان للذنب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني لتنزريحي ، وقال : من مقت نفسه في ذات الله أمنه الله من مقته ، وقال : أربعة يتن القلب ، الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء وحديثهن ، وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك ، ومجالسة

(١) تهذيب التهذيب ٤٩٩/٩ - ٥٠٠ : مرآة الجنان ٢٦٠/١ : والشذرات ١٦١/١ .

الموتى ، قيل : ومن الموتى ؟ قال : كل غنى متوفى وسلطان جائز ، وقال : إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألسنته تعجب من بكائه ؟ قيل : بل ، قال : فمن يضحك في الدنيا ولا يدرى إلى ما يصير أعجب ، وقيل له : كيف أصبحت ؟ قال : ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة ، وقال : بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده ، وقال : من قل مطعمه فهم وأفهم وصفاً ورق ، ومن كثرة مطعمه ثقل عن كثير مما يريد ، وقال : سف التراب خير من الدنو من السلطان ، وقال : ليس للملوك صديق ، ولا لخاسد غنى ، وإياك والإشارة على المعجب برأية فإنه لا يقبل ، وكان إذا انتبه من نومه ضرب بيده إلى دربه ، ويقول : أخاف أن أمسح قرداً ، وعرض حماراً للبيع فقال له رجل : أترضاه لي ؟ قال : لو رضيته لم أبعه ، وقال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدارين ، قال : كيف ؟ قال : ازهد في الدنيا ، وقال : إذا خرج الذكر من القلب وقع على القلب ، وقيل له : ما تقول في القضاء والقدر ؟ قال : إن الله لا يسأل عباده يوم القيمة عنهما بل عن أعمالهم ، ودخل على بلال بن أبي برد في يوم حار وبلاد في جيشه وعنه البلح ، فقال بلال : يا أبا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا ؟ . قال : إنه لطيبٌ والجنة أطيب منه وذكر النار يلهي عنه ، قال ما تقول في القدر ؟ قال : جيرانك أهل القبور ففكروا فيهم عن القدر فإن فيهم شغلاً ، وقال أدع لى ، قال : ما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا كل يقول : إنك ظلمته ، لا تظلم فلا تحتاج إلى دعائي ، وقال : رأيت في طريق الشام فتى وعليه جبة وبيده ركوة فقلت أين تريد ؟ قال : لا أدرى قلت : من أين جئت ؟ قال : لا أدرى ، قلت : من خلقك ؟ قال : من لا يعزب عنه مشقال ذرة ، قلت : أنا من إخوانك فلا تنقبض مني ، قال : إنني أود أن انفرد في شاهق جبل أوغار لعلني أن أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها ، قلت : وما جنت عليك الدنيا حتى أبغضتها ، قال : جنایاتها العمى عن جنایاتها ، قلت : هل من دواء يعالج به هذا العمى ؟ قال : ما أراك تقدر عليه ، قلت : صفت لى ؟ قال : اشرب المكاره

الصعبة ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : إلزم الصبر الذى لا جزع معه والتعب الذى لا راحة فيه والوحشة التى لا أنس معها ، قلت : دلنى على عمل يقربنى إلى الله تعالى قال : لم أر فى جميع العبادات أنسع من الفرار من الناس ، ورأى ولده يختال فدعاه فقال : تدري من أنت ؟ أما أمك فاشترتها بائتى درهم وأما أبوك فلا كثر الله فى المسلمين مثله ، أسنن عن أنس بن مالك وروى عن جمع من التابعين . ومات بعد الحسن بعشر سنين كأنه سنة عشرين ومائة ، قال : بعضهم رأيت القيامة قامت فقيل : أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة ، فنظرت أيهما يتقدم ، فتقدم ابن واسع ، فسألت عن سببه ، فقيل : كان له قميص واحد عند خروجه من الدنيا ، ولمالك رضى الله عنه قميصان .

(١٦٩) محمد بن صبح

رائد النساك ، وصائد الفتاك ، المشهور بأبى العباس بن السمак ، الواصل علم شهرته إلى السماك ، كان من رؤوس العباد وأكابر الزهاد ، تخرج له عدة أئمة ، وانتفع بوعظه كثير من نجباء هذه الأمة ، وسرت سيرته فى الآفاق ، وجرت أنهار مالديه من الزهد والورع ومكارم الأخلاق ، جدد السنان ، وشدد العنان ، فأوضح البيان بأفصح لسان ، وقد قيل : إن التصوف التوثق بالأصول للتحقق للوصول ، وقيل : الأخذ بالأصول وترك الفضول ، وقد شهد له الأولياء بالولاية ، قال ابن أبى الحوارى مرض فأخذنا ماءه وذهبنا إلى طبيب نصرانى ، وإذا بشاب حسن الوجه نقى الشوب فقال : أين تذهبون ؟ فأخبرناه فقال : تستعينون على ولى الله بعدو الله ، ارجعوا قولوا له يضع يده على الوجع ، ويقول : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » ثم غاب فلم نره فرجعنا فأخبرناه فعل فشفى فوراً .

(ومن كلامه) : صمت الأذان في هذا الزمان عن الموعظ ، وذهلت القلوب عن المنافع ، فلا موعظة تنفع ولا واعظ ينتفع ، وقال : هب أن الدنيا كلها في يديك فانتظر ما في يدك منها عند الموت ، وقال : كم من مذكر بالله وهو له ناس ، وكم من داع إليه وهو منه فار ، وكم من قائل لآيات الله وهو منها منسلخ ، وقال : إن الله ملأ الدنيا من اللذات وحشاها بالأفات ومزج حلالها بالمراءات ، وحرامها بالتعبات ، وقال : همة العاقل في النجاة والهرب ، وهمه الأحمق في اللهو والطرب ، وقال : دليل الخوف الحزن ، ودليل الشوق الطلب ودليل الرجاء العمل ، وقال : من أذاقته الدنيا حلاوتها طبله إليها جرعته الآخرة مراتتها لتجافيها عنها ، وقال : من أجمع اليأس استغنى عن الناس ؛ ومن أهمته نفسه لم يول مؤنته غيره ، ومن أحب الخير وفق له ، ومن كره الشر جنبه ومن رضى بالدنيا من الآخرة حظاً أخطأ حظ نفسه ، وقال : إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاين ما بعده ثم سأله الرجعى فأسعف بطلبه فهو متائب مبادر ، فافعل ، فإن المغبون من لم يقدم عملاً صالحًا بين يديه ، وقال ابن آدم : ألم يأن لك أن لا تطيع الحاسدين فيه ، وعزته لو أطاعهم فيك لجعلك نكالاً ، أو قال : أوصيك بتقوى الله الذي محبك في سريرتك ورقيبك في علانيتك ، فاجعل الله من بالك على حالك في ليالك ونهارك ، وخف الله قريه منك وقدرته عليك ، وقال : قال عيسى عليه السلام متى تصفون الطريق للداعين وأنتم مقيمون في محلة المتحررين !!! كم من مذكر بالله ناس له ، وقال : لا يغرنكم سكون هذه القبور فكم من مغموم فيها ، ولا يغرنكم استواؤها فما أشد تفاوتهم فيها ، وقال : من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله عليه برحمته ، وأقبل بجميع وجوه خلقه إليه ، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتاً ما ، وقال له الرشيد : عظني ، قال : احذر أن تصير إلى جنة عرضها السموات والأرض فلا يكون لك فيها موضع قدم ، وقال : المصيبة واحدة فإن جزع صاحبها فهما اثنان ، أي فقد الصبر وقد الشواب ، وقال : ما

كان من الحديث لغير الله فعاقبته الندم ، وقال : سبعك بين حييك تأكل به من مر عليك ، قد آذيت أهل الدور حتى تعاطيت أهل القبور ، ارحم أخاك واحمد من عافاك ، وقال : إن أهل الدنيا تعجلوا غموم القلوب والنفوس وتعب الأبدان مع شدة الحساب ، فالرغبة متبرعة لأهلها في الدنيا والآخرة والزهد راحة لأهله فيما ، وقال : إن استطعت أن لا تكون لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بدا فافعل ، وقال : ليكن الموت منك على بال ، فإنك صائر إليه بكل حال ، وقال : إذا طاش العقل فقدت الحرقه وقطعت الدمعة ، وقيل له : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد ، فإذا تكلمت سمع البكاء من كل جهة ، فقال : ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الشكلي ، وقال لا تسأل من يفر منك أن تسأله لكن من أمرك أن تسأله ، وقال عند موته : اللهم إنك تعلم أنى إن كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك ، فاجعل ذلك قربة لي إليك ، أسنده الحديث عن عدة من التابعين . ومات بالكوفة سنة ثلاثة وثمانين ومائة .

(١٧٠) محمد بن النضر الحارثي

كان أعبد أهل الكوفة ، ومرجع أهل الصوفة ، نعم وكان بالذكر أنيسا ، وللحق جليسًا ، وقد قيل : إن التصوف مذاكرة العهود ، ومسامرة الشهود ، وكان عظيم المجاهدة حتى لو جرد ما عليه من اللحم ما بلغ رطلا بالعرaci ، وكان إذا ذكر عنده الموت اضطررت مفاصله حتى تقاد تنفصل .

(ومن كلامه) : أول العلم الإنصات ثم الاستماع ، ثم حفظه ثم العمل به ثم بشه ، وقال : شغل الموت قلوب المتقين عن الدنيا فما رجعوا إليها في سرور بعد معرفتهم بكربيه وغضبه ، وقال له رجل أين أعبد الله ؟ قال أصلح سريرتك وأعبدك حيث شئت ، وكان من المجددين في العبادة المؤثرين للعزلة ، وقيل له : أما تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرني ، وكان

لا يخرج من مسجده حتى يتعالى النهار فيقال له ، إن للناس إليك حوائج فيقول : وأنا لى إلى الله حوائج ، وقال : في بعض الكتب الإلهية . أيها الصديقون بي فافرحاوا وبذكري فتنعموا ؛ وقال : إن أهل الأهواء قد أخذوا في تأسيس الضلاله وطمس الهدى فاحذرؤهم ، وقال : تفقه ثم اعترض ، وقال : إنك في دار تمهيد وأمامك منزلان لابد لك من أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ولا براءة فتقصر ، وبعث إلى صديق له بعبارة ونعلين وقال : اعلم أن بك عنهما غنى لكن أحببت أن تعلم أنك مني على بال ، وقال : أصبحت في بعض الكتب الإلهية قال الله : ابن آدم لو علم الناس منك ما أعلم لنبذوك وقد سترت عليك وغفرت لك على ما كان فيك ما لم تشرك بي ، وقال أوحى الله إلى موسى بن عمران ، كن يقاظا مرتاداً لنفسك إخوانا ، وكل خدن لا يواتيك على مسرتى فلاتصحبه فإنه يقسى قلبك وهو لك عدو وأكثر من ذكرى تستوجب شكري والمزيد من فضلي ، وقال : المجموع يبعث على البر كما تبعث البطنة على الأشر ، وقال أبو نعيم : كان محمد بن النضر قليل الحديث ولم تكن الرواية من شأنه وكان هو وضربياؤه من المتعبدين إذا ذكروا الحديث ذكروه أرسلا .

مات سنة أربع وسبعين ومائة ولما نزلوا ليدلوه في حفرته فإذا اللحد مفروش بالريحان فأخذ بعض من نزل القبر منه شيئاً فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغير يغدو الناس ويروحون ينظرون إليه فكسر الناس على ذلك حتى خاف أمير البلد أن يفتتوا فأخذه من الرجل فقده الأمير من منزله حالاً فلم يدر أين ذهب .

(١٧١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى^(١)

العالم السرى ، والراوى الروى ، كان ذا عز وسنا ؛ ومجد وسخا ، وعهد ووفا ، وقد قيل : التصوف دراية وصدق ، وسخاوة وخلق ، قال ابن دينار : كان اذا حدث فى الترغيب والترهيب قلت : لا يحسن غير هذا ، وإذا حدث فى الكتاب والسنة كان فيهما بحرا .

(ومن كلامه) : ما عبد الله بشئ أفضل من علم ، وقال : العلم ذكر لا يحبه إلا ذكور الرجال ، وقال : الزاهد من لم يمنع الحال شكره ، ولم يغلب على الحرام صبره ، أنسد الحديث عن جمع من الصحابة ، ومات سنة أربع وعشرين ومائة عن الثنتين وسبعين سنة ، رضى الله عنه .

(١٧٢) محمد الباقر بن علي (زين العابدين بن الحسين)

سمى به لأنه بقر العلم أى شقه فعرف أصله وخفيه ، وأثار مخباته ومكامنه ، فلذلك أظهر من كنوز المعرف و دقائق الأحكام والحكم واللطائف مالا يخفي إلا على منظمي بصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه باقر العلم وجامعه ، وشاهد المجد ورافعه ، صفا قلبه ، وزكا علمه ولبه ، وعمرت بطاعة الله أوقاته ، وظهرت خوارقه وكراماته ، وله من الرسوخ في مقام العارفين ما تكل عنه ألسن الواصفين ، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف يعجز عن حكايتها الواصف .

(فمن كلامه) : الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب ذاكر الله عز وجل ، وقال : ما دخل قلب امرئ شئ من الكبير إلا نقص من عقله مثل ما

(١) تذكرة الحفاظ ١/١٠٢ : وفيات الأعيان ١/٤٥١ : وتهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ : وغاية النهاية ٢/٦٦٢ : وصفة الصفوة ٢/٧٧ ، وحلية الأولياء ٣/٣٦٠ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥/١٣٦ - ٥٢٥ ، ومرآة الجنان ١/٢٦٠ .

دخل منه أو أكثر ، وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج ، وقال : ليس في الدنيا شيء أعنون من الإحسان للإخوان ، وقال : بئس الأخ يرعاك غنياً ويقطلك فقيراً ، وقال : اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك ، وكلامه من هذا المهجع كثير ، وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير : رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليك قال : كيف ؟ قال : كنت جالساً عنده والحسين رضي الله عنه في حجره وهو يداعبه ، فقال : يا جابر يولد له مولود اسمه على اسمى إذا كان يوم القيمة نادى مناد ليقم العباد فيقوم ولده محمد ، فإذا أدركته فأقرئه مني السلام ، مات سنة سبع عشرة ومائة مسموماً كأبيه عن نحو ثلاثة وسبعين سنة وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلى فيه رضي الله عنه ، وهو على من جهة أبيه وأمه ودفن في قبة الحسن والعباس بالبقاء .

(١٧٣) محمد بن المنذر القرشي التيمي

المدني الصوام القوام ، المشهور بالولاية والعلم بين الخواص والعموم ، كان من معادن الصدق تجتمع إليه الصلحاء والأولياء ، قصير الأمل كثير العلم والعمل ؛ مع ربه زاهداً ناسكاً ، ومع العباد لاعباً ضاحكاً ، وقد قيل : إن التصوف موافقة الحق ومضاحكه الخلق .

(ومن كلامه) : كابدت نفسى أربعين سنة حتى استقامت على آثار السلف ، وقال : لما تبت عن الشبهات أكلت الحشيش ثلاثين سنة فنوديت الآن نقى بدنك من الشبهات ، وقال : الفتى يدخل بين الله وخلقه فلينظر كيف يفعل ، وقال : أستحبى من الله أن أعتقد أن رحمته تعجز عن أحد من العصاة وأن فعل ما فعل ، ولو لا النص ورد في المشركين ما أخرجتهم من الرحمة ، وكان يحج بأطفاله كل سنة ويقول : نعرضهم على ربهم في تلك المواقف لعله ينظر إليهم ، مات رضي الله عنه سنة ثلاثين ومائة .

(١٧٥) مخلد بن الحسين^(١)

المعروف بالزهد والصلاح في المغاربة والشريقيين ، صوفي ظهرت جلالته واشتهرت رتبته وعدالته ، وللحبر المعرفة على جوارحه وشام ، وتقديم على كثير من مشايخ العراق والشام ، أصله من أهل البصرة ، وتحول فنزل المصيصة فانتفع به أهل ذلك القطر ، واشتهر ذكره وبعد صيته ، وكان عجباً في حسن الخلق والتواضع ، وذكر عنده شيء من أحوال الصالحة فقال :

لاتعرضن لذكرها في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وقال : ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعتراض فيه إبليس بأمر من لا يبالي بأيهمما ظفر بما غلوأ فيه أو تقصيراً عنه ، وشكى إليه رجل رجلاً من أهل الكوفة فقال له كيف أنت من المداراة أني أداري هذه وأشار إلى جارية له تغريب شعيراً ، وقال لها : منذ خمسين سنة ما تكلمت بكلمة يعتذر عنها ! أنسد عن هشام بن حسان وغيره ، ومات سنة إحدى وتسعين ومائة .

(١٧٦) مسروق بن عبد الرحمن الهمданى^(٢)

العالم الريانى ، العارف بربى الهايم فى حبه ؛ الذاكر لذنبه ، وقد قيل : التصوف ، التشمر للورود واللحوق ، والتبصر فى الوجود والطريق ، سرق وهو صغير فسمى به ، وكان من المبالغين فى الورع شفاعة فأهدى له دجاجة فغضب وردها ، وقال : لو علمت ما فى قلبك ماتكلمت فى حاجتك ولا أتكلم فيما بقى منها أبداً .

(١) تهذيب التهذيب ١٠ / ٧٢ - ٧٣ : وجاء اسمه « محمد بن الحسين الأزدي المهلى البصري » فى مرآة الجنان ١ / ٤٢٩ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٠ / ١١ - ١١١ : والإصابة ، ترجمة رقم ٨٤٦ : والإكليل ١٠ / ٧٧ . والزرکلى ، أعلام ٧ / ٢١٥ ، وطبقات الشعرانى ١ / ٢٥ ، والمعارف لابن قتيبة ١٠٥ .

(١٧٤) محمد بن يوسف الأصفهانى (١)

عبد زاهد اشتهرت فضائله ، وعامل عارف ظهرت براهين خيره
ودلائله ، وكان يلقب عروس الزهاد ، لكثره الجد والاجتهاد ، والتشمير والارتياح
في التبادر والتسبق إلى المعاد ، وقيل : إن التصوف انتقال عن اعتلال ، وارتحال
عن اعتقال ، وكان إذا أصبح كأن وجهه وجه عروس لكثره مناجاته ، وكان يقول
لنفسه : هب أنك عالم أوقاض أوصالح ماذا يكون وراء ذلك ، وكان لا ينام
الليل أبداً بل يضطجع بعد الفجر ساعة ثم يقوم ، وقال : لقد خاب من كان حظه
من الله الدنيا ، وكان لا يوقد في بيته سراج وجيشه يرون من خارج بيته الضوء
وهو لا يشعر أنهم رأوه ولو علم انتقل وقال : ليس هذا زماناً يت天涯 في فيه
الفضل ، هذا زمان ت天涯 في فيه السلامة ، وقال : من أحب الله أحب أن لا يعرفه
أحد ، وقال : الحقد والدين لا يجتمعان ، وقال : ما وارد يرد على أحباب إلى من
الموت ، وقال : الدنيا عصمة الله أو الهلكة ، والآخرة عفو الله أو النار ، وقال إن
أستطيعت أن لا يكون شيء أهتم إليك من ساعتك فافعل ، وقال : اتق الله الذي
لا يطاق انتقامه وإن أستطيعت أن تختم عمرك بحججه فافعل ، فإن أدنى ما روى
في الحج أن الحاج يرجع كيوم ولدته أمه ، وقال : قصر في الأمل وبلغ في
العمل فإن بين يديك أهوا لا تفزع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وقال :
إذا كان يحزنك ماتري من نفسك فقلبك حي ، وقال : تزود لآخرتك وتجاف عن
دنياك واستعد للموت ويادر الفت واعلم أن أمماك أهوا لا أرعبت الصلحاء ،
وقال : لا ينبغي لمن عمل المعاصي أن ينكر العقوبة ولا أرى ما أنت فيه من الجور
إلا من شئ الذنب ، وأتاه مال ليفرقه على القراء فقال السلام مقدمة على
الغنية ومن جمعه أولى بتفرقته ، مات ستة أربع وثمانين ومائة ولم يكمل له أربعون
سنة قال أبو نعيم : كان من كملت عنایته فقلت روایته عمر أيامه وأوقاته
بإحسان والبيان فحمد الحق سبحانه وتعالى عن المناورة والتبيان .

(ومن كلامه) : من سره أن يقرأ علم الأولين والآخرين والدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة ، وأخذ بيده أخ له فارتقى على كنasse ، وقال : هذه الدنيا أكلوها فأفشوها ولبسوها فأبلوها ، سفكوا فيها دماءهم واستحلوا محارمهم وقطعوا أرحامهم ، وقال : ما من شيء خير للمؤمن من لحد استراح فيه من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله ، وقال : إني أحسن ما أكون ظنا بالله حين يقول لي الخادم : ليس في البيت خبز ولا درهم ، وقال : إذا بلغ العبد أربعين سنة فليأخذ حدره من الله ، وكان يقضى بين الناس ولا يأخذ أجرا من بيت المال ولا من غيره .

(١٧٧) مسلم بن يسار^(١)

المشاهد البصار المجاهد المحضار، وقد قيل : التصوف ، التمتع بالحضور ، والتتبع للحضور ، كان قائما يصلى فوق حريق بجنبه فما شعر به حتى طفت النار ، وكان يقول لأهله إذا كانت لكم حاجة فتكلموا وأنا أصلى فإني لا أسمعكم ، وسقط المسجد وهو يصلى فيه فما علم ، وكان إذا كان في غير صلاة فكأنه في صلاة .

(ومن كلامه) : اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله ، وتوكل توكل
رجل لا يصيبه إلا ما كتب له ، وقال : لا أدرى ما حسب إيمان عبد لا يترك شيئا يكرهه الله ، وقال : ما شيء من عملى إلا أخاف أن يكون دخله ما أفسده ليس الحب في الله ، وقال : إذا لبست ثوبا فظننت أنك في ذلك الشوب
أفضل ما في غيره فبئس الشوب ، وقال : إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم
وبه يتغى الشيطان زلتة : وقال : ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلو لمناجاة الله .

(ومن كراماته) أنه قال لأصحابه بالبصرة يوم التروية : هل لكم في

(١) تهذيب التهذيب ١٤٠/١ - ١٤١ : ومرآة الجنان ٤٠٨/١ ، والمعارف لابن قتيبة ٧٣٤ :
والشذرات ١١٩/١ : وحلية الأولياء ٢٩٠/٢ .

الحج ؟ قالوا : خرف الرجل على ذلك لنطيقته ، قال : من أراد فليخرج إلى الجبانة فخرجوا إلى الجبانة برواحلهم فقال : خلو أزمنتها فأصبحوا وهم ينظرون ، إلى جبال تهامة وجاء يوما إلى دجلة وهي تقذف بالزبد فمشى على الماء ، ثم التفت فقال لأصحابه هل تفقدون شيئا ، أنسد عن جماعة من الصحابة ، ومات سنة إحدى ومائة في خلافه عمر بن عبد العزيز ، ورآه مالك بن دينار رحمة الله بعد موته بسنة فسلم عليه فلم يرد فقال : ما منعك أن ترد قال : أنا ميت كيف أرد ؟ قلت : ما رأيت قال : أهوا لا وزلازل عظاما شداداً ، قال : بما كان بعدها ؟ قال : وما تراه يكون من الكريم ، قبل الحسنات وعفى عن السيئات وضمن عنا التبعات .

(١٧٨) مطرف بن عبد الله بن الشخير

المعبد المتنس克 الشكير ، كان لنفسه مذلا ولذكر ربه مجالا ، وقد قيل :
التصوف إدمان الإذلال والأعمال ، وإيشار الإقلال والإهمال .

(ومن كراماته) أنه كان إذا دخل بيته سبحت معه آنيته ، وكان يضئ له سوطه إذا سار ليلا كالسراج ووقع ذلك بحضور رجل صاحب له فقال : لو حدثنا بهذا كذبنا فقال له : المكذب بنعم الله يكذب بهذا ، وكان يسمع منه التسبيح حتى يسمعه من معه ، وكان مجاب الدعوة ، آذاه رجل فقال : اللهم أمته فخر ميتا حالا ، ومر بين يديه كلب وهو يصلى فقال : اللهم أحرمه صيده فلم يصد بعدها أبداً ، وكان يسكن البادية فإذا كان يوم الجمعة ركب وجاء إليها فمر بالمقابر يوما فنعش على فرسه فرأى أهل القبور على أفواهها فقالوا : مطرف أتى الجمعة فقال : وتعرفون يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم ونعرف ما يقول الطير

(١) حلية الأولياء ١٩٨/٢ - ٢١٢ : ومرآة الجنان ١٩٨/١ : تهذيب التهذيب ١٧٣/١٠ : وفيات الأعيان ٩٧/٢ : والشدرات ١١٠/١ : وطبقات الشعراني ٢٩/١ .

فيه قال : وما يقولون ؟ قالوا : سلام سلام يوم صالح ، وكان بين مطرف وبين رجل من قومه شئ فكذب عليه فقال له مطرف : إن كنت كاذبا فعجل الله حتفك ، فمات الرجل مكانه .

(ومن كلامه) : ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إلى نفسي ، وقال : لو أتاني آت من ربى أنى في الجنة اخترت أنى أصير ترابا ، وقال : لأن يسألنى ربى يوم القيمة فيقول : ألا فعلت ؟ أحب إلى من أن يقول لى : لم فعلت ؟ وقال : لو أخرج قلبي فجعل في يدي اليسرى وجئ بالخير فجعل في اليمنى ما استطعت أن أولج قلبي منه شيئا حتى يكون الله يضعه ، وقال : لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا ، وكان يقول : اللهم إنى أستغفرك من كل عمل ادعى الإخلاص فيه وإنى أريد به وجهك ، وقال : أكثر الناس خطايا أكثرهم لذكر خطايا الناس وقال من ترك النساء والطعام فلا بد له من ظهور كرامة ، وقال : نظرت إلى الأموات فرأيتهم جالسين فسلمت عليهم فلم يردا فقلت لهم في ذلك ، فقالوا : رد السلام حسنة ولا نستطيع أن نزيد في الحسنات ، وقال : ليس لأحد أن يصعد فيلقى نفسه من فوق البئر ويقول : قدر لكن يحذر ويجتهد ويتقى فإن أصابه شئ علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب له ، وقال : ما أوى عبد بعد الإيمان أفضل من العقل ، وقال : عقول الناس على قدر زمانهم ، وقال : الموت أفسد على أهل التعيم نعيمهم فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه وقال : قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما نراهم إلا والهين ، وقال : وجدت ابن آدم كالشئ الملقى بين يدي الله تعالى وبين الشيطان فان أراد أن يبعشه اجتره إليه وإن أراد به غير ذلك خلا بينه وبين عدوه ، وقال : لو علم الرجل متى موته خيف عليه ذهاب عقله ، لكنه تعالى من على عباده بالغفلة التي ألقاها في قلوبهم رحمة بهم ولو لاها ما هنأ لهم العيش أبداً ، وقال : اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كان لنا درجات ، وإن يكن شديداً كما تخاف لم نقل : ربنا أرجعنا نعمل صالحا نقول

قد عملنا فلم ينفعنا ، ودخل عليه البنانى رضى الله عنه يعوده فى مرضه وهو مغمى عليه فلما سأله فقل : تلك تنزيل السجدة سطع أولها على رجليه ، فهالهم ذلك فلما آخرها من قدمى وقد صورت تشفع لي و « تبارك » رأسى ووسطها فى وسطى آخرها من قدمى وقد صورت تشفع لي و « تبارك » تحرسنى ثم مات حالا ، وقال : أقبح ما طلب به الدنيا عمل الآخرة ، وقال : إذا تساوت سريرة عبد وعلانيته قال الله : عبدي حقا ، وكان يقول : اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا فإن المولى قد يغفو عن عبده وهو عنه غير راض ، مات سنة خمس وتسعين ومائة وقيل غير ذلك ، أنسد الحديث عن على وعثمان وأبى بن كعب وأبى ذر وغيرهم .

(١) مسخر (١٧٩)

بكسر أوله وسكون المهملة وفتح المهملة وأخره راء ابن كدام بكسر الكاف وفتح المهملة الهلالى العامرى الكوفى المحدث الإمام ، أحد الأعلام ، والمعروف بالصيام والقيام ، كان عالماً متبعداً متنسكاً متزهدًا ، مجتهداً في العلم والعمل ، مشابراً على ما يصل به إلى الأمل ، سالكاً طريق التصوف مائلاً إلى العزلة وطرح التكلف ، نعم وكان للخلق ناصحاً ودوذاً ، وفي عبادة رب كادحاً كدواً ، وكان يجتهد في إخفاء عمله الصالح ، وطلب للقضاء فأكره عليه فاحتال فخلص ، وذلك أنه لما دخل على الخليفة قال له : كيف طبيبك وكيف خميرك ؟ فقال : مجنون أخرجوه ، وكان إذا فتح المصحف فوجد قصة قوم قد عذبوا قال : إلهي أدخلت رحمتهم قلبي فإن شئت أغر لى وإلا عذبني ، وكان لا يخرج من المسجد إلا لخدمة أمه ، وقيل له : أتحب من يبدى إليك عيوبك ؟ قال : أما من ناصح فنعم وأما من مويخ فلا ، وقال شعبة : ما من أحد إلا وقد أخذ عليه غير مسخر .

(١) تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ - ١١٥ : ومرآة البنان ٢/١ : والشذرات ٢٣٨/١ : وطبقات الشuranى ٤٩/١ ، وال المعارف لابن قتيبة ص ٤٨١ .

(ومن كلامه) : أشتهدى أن أسمع صوت باكية حزينة ، ودخل عليه سفيان الثورى فى مرضه وهو جزع فقال : ما هذا الجزع إنى أود لو أموت الساعة قال : إنك إذاً لواشق بعملك ، لكنى والله كأنى على شاهق جبل لا أدرى أين أهبط ، فبكى سفيان رضى الله عنه ، وكان إذا ظلمه رجل قال : اللهم لا تمنه حتى تجعله محدثا أو مفتيا ، وقال : إن لله عباداً لو علموا بما ينزل القدر لاستقبلوه استقبلا حبا لربهم ولقدره فكيف يكرهونه إذا وقع ، وقال : لا ينبغي أن يثنى على عالم وهو يأخذ جائزة السلطان وبينى بيته بالأجر ، وقال : من رضى بالخل والبقل لم يستعبد الناس وقال : من أراد هذا العلم لنفسه فليقل منه ومن طلبه للناس فليකثر فإن مؤنتهم شديدة وقال : من أهمته نفسه وبين ذلك عليه ، وقال : من أغضنى جعله الله محدثا ، وقال : هذا الحديث يصدقكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ، ورؤى فى النوم فقيل له : أى شئ وجدته أنسع ؟ قال : ذكر الله ؛ وقال : ينادى مناد يوم القيمة ياما دحين الله فلا يقوم إلا من كان يكثر قراءة سورة الإخلاص . وكان كثير البكاء أن خرج بكاؤا وأن دخل بكاؤا وأن جلس بكاؤا فقيل له فيه فقال وهل خلقت النار الا لمثلى ، وبكى يوما فبكى أمه فقال : مَا بِكَ إِنْ أَمَاهَ ؟ قالت رأيتكم تبكى فبكى فبكى قال : يا أماه مثل ما نهجم عليه غدا فليطل البكاء قالت وما ذاك فانتصب وقال : القيمة وما فيها ثم غلب عليه البكاء فقام ، وكان من دعائه اللهم من ظن بنا خيرا أو ظنناه به فصدق ظننا وظنه .

مات سنة خمس وخمسين ومائة أسد الحديث عن جماعة كثيرين ، وكان شعبة يسميه المصحف ، قال ابن سعد : وكان شعبة وسفيان إذا اختلفا فى شئ قال : إذهب إلى الميزان مسعا ، وكان عنده الف حديث خرج له الستة ، قال مصعب بن المقدام : رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المنام وسفيان الثورى آخذ بيده وهما يطوفان ، فقال سفيان : يا رسول الله مات مسعا ؟ قال : نعم ، واستبشر بموته أهل السماء .

(١٨٠) معاوية بن قرة^(١)

المزنى البصري ، المحدث الصوفى ، البسام بالنهار ، البكاء بالأحس哈尔 ، قال : أدركت سبعين صحابياً لو خرجوا فيكم ما عرفوا شيئاً ما أنتم عليه إلا الآذان ، وقال : إن الله يرزق العبد شهراً في يوم واحد فإن أصلحه أصلح الله عمله على يديه وعاش وعياله بقية شهرهم بخير وإن أفسده أفسد الله على يديه وعاش وعياله بقية شهرهم بشر ، وقال : جالسوا وجوه الناس فإنهم أحلم وأعقل ، وقال : إن القوم ليصلون ويصومون ويحجون ولا يعطون يوم القيمة إلا على قدر عقولهم ، وقال : مكتوب في الحكمة : لا تجالس بحلنك السفهاء ولا بسفهك العلماء ، مات سنة ثلاثة عشرة ومائة وحدث عن ثلاثين صحابياً ، وخرج له ستة .

(١٨١) مكحول ال دمشقي^(٢)

إمام أهل الشام والفقيه الصوام ، العابد القوام ، الرفيع المقال والمقام ، أصله من كابل ، وقيل : من أولاد كسرى ثم سكن دمشق ، وأخذ عن أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وغيرهما وطاف الأرض في طلب العلم .

(ومن كلامه) : إن كان الفضل في الجماعة فالسلامة في العزلة ، وقال : من طاب ريحه زاد عقله ، ومن نظر ثوبه قل غمه ، وقال : إذا تكلم الفقيه بالإعراب ذهب الخشوع من قلبه ، وقال : أرق الناس قلوباً أقلهم ذنوباً ، وقال : يأتي على الناس زمان يكون عالمهم أشر من جيفة حمار ، وقال : لرجل أحب الجنة قال : ومن لا يحبها ؟ قال : فأحب الموت فإنك لن ترى الجنة حتى تموت ، وقال : وجد إبليس يسجد على صفة ودموعه تسيل على خده فقيل له : وما يغنيك هذا ؟ قال : أرجو إذا

(١) تهذيب التهذيب ٢١٦/١٠ - ٢١٧ : ومرأة الجنان ٢٤٣/١ : والشذرات ١٤٧/١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٠١/١ : وحسن المحاضرة ١١٩/١ : وتهذيب التهذيب ٢٨٩/١٠ : وحلبة الأولياء

١٧٧ : والجرح والتعديل في القسم ٤٠٧/١ وتاريخ الإسلام للذهبي ٣/٥ - ٦ : ووفيات الأعيان ١٢٢/٢ : وميزان الاعتلال ١٩٨/٣ ، والمعارف لابن قتيبة ٤٥٢ : ومرأة الجنان ٢٤٣/١ :

وطبقات الشعراني ٣٨/١ : والشذرات ١٤٦/١ : والبداية والنهاية ٣٠٥/٩ .

بر بى قسمه أن يخرجنى من النار ، وقال : طول الكمد أعجب من طول الدمعة للخائفين ، وقال : إذا طاش العقل فقدت الحرقـة ، وإذا فقدت الدمعة ، وإذا ثبت العقل فهم صاحبه الموعظة فأحرقتـه فحزن وبكى ، وقال : لا تبذل عملك لمن لا يسألـه فإنه يستهينـ به ، وقال : أدركـنا الناس وهم يسمون الدنيا الدنيا ولو وجدوا لها اسمـا شـرا منه سموـها به ، وقال : كانتـ أخبارـ بنـ إسرـائيل كـبـيرـهم وصـغـيرـهم لا يـشـى إـلا بـعـصـى خـوفـاً أـن يـختـالـ فـى مـشـيـتهـ فـيـمـقـتـ ، وقال : منـ لـم يـنـفـعـهـ عـلـمـهـ لـم يـضـرـهـ جـهـلـهـ ، وـقـيلـ لـهـ فـى مـرـضـهـ : عـافـاكـ اللـهـ قـالـ : كـلاـ ، اللـحـاقـ بـمـن يـرجـى خـيرـهـ خـيرـ مـن الـبقاءـ مـعـ مـنـ لـا يـؤـمـنـ شـرـهـ ، وـلـما اـحـتـضـرـ ضـحـكـ فـقـيلـ لـهـ فـيـهـ فـقـالـ : كـيفـ لـا أـضـحـكـ وـقـدـ دـنـاـ فـرـاقـ مـاـ كـنـتـ أـحـذـرـهـ وـسـرـعـةـ الـقـدـومـ عـلـىـ مـنـ كـنـتـ أـرـجـوـهـ وـأـوـمـلـهـ ، مـاتـ سـنـةـ ثـلـاثـ عـشـرـةـ وـمـائـةـ ، سـنـدـ الـحـدـيـثـ وـخـرـجـ لـهـ مـسـلـمـ وـالـأـرـبـعـةـ .

(١٨٢) المنذر بن مالك^(١)

أبو نصرة ، مفيض الدموع والعبرة ، وقد قيل : التصوف التحفظ من العترة ، والتيقظ من الفترة .

(ومن كلامـهـ) يـنتـهـىـ الـقـدـرـ إـلـىـ هـذـهـ الـآـيـةـ : « إنـ رـيـكـ فـعالـ لـمـ يـرـيدـ » وـقـالـ : لـوـلاـ هـوـلـ الـمـطـلـعـ لـسـرـ رـجـالـ أـنـ يـكـوـنـواـ قـدـ فـارـقـواـ مـاـ هـنـاـ ، مـاتـ سـنـةـ ثـمـانـ وـمـائـةـ ، وـكـانـ مـنـ كـبـارـ الـمـحـدـثـينـ ، وـرـوـىـ عـنـ أـنـسـ وـأـبـيـ مـوسـىـ وـابـنـ عـبـاسـ ، رـضـىـ اللـهـ عـنـهـمـ وـغـيـرـهـمـ ، وـخـرـجـ لـهـ مـسـلـمـ وـالـأـرـبـعـةـ .

(١٨٣) منصور بن زاذان^(٢)

زين القراء والفتیان ، الميسـرـ لـهـ تـلاـوةـ الـقـرـآنـ ، كانـ زـاهـداـ مـتـعبـداـ كـبـيرـ الشـأنـ ، وـمـنـ أـكـابرـ أـوـلـيـاءـ وـاسـطـ ، مـكـثـ يـصـلـىـ الـفـجـرـ بـوـضـوءـ الـعـشـاءـ عـشـرـينـ عـامـاـ ،

(١) تهذيب التهذيب ٣٠٢/١ - ٣٠٣ : ومراة الجنان ٢٢٩/١ : والشذرات ١٣٥/١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٠٦/١ : ومراة الجنان ٢٧٦/١ : والشذرات ١٨١/١ .

وكان إذا توضأ بكى حتى يرتفع صوته ويقول : أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذ سنته ولا نوم فأخاف أن يعرض عنى ، وكان عظيم المجاهدة لو قيل له : ملك الموت بالباب ما كان عنده زيادة في العمل .

(ومن كلامه) الهم والحزن يزيدان في المحسنات والأشر والبطر يزيدان في السيئات ، وقال : أخبرت أن بعض أهل النار يتأنى أهلها بريحه فيقال له : ما كنت تعمل فيقول : كنت عملا فلم أنتفع بعلمي ؛ ولما مات شهد جنازته المسلمون واليهود والنصارى والمجوس كل على حدته ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة أنسد الحديث عن جماعة رضى الله عنه .

(١٨٤) منصور بن المعتمر^(١)

الحافظ الحجة ، الصائم القائم ، والمحب الهائم ، كان كبير القدر ، على الشأن جليل المناقب كثير البرهان عظيم التأله والتعبد والصيام والتهجد ، صام ستين سنة وقامها لم يفطر ولم ينم وكان يبكي طول ليله حتى يرحمه أهله حتى عمش من البكاء فيقول له أهله : قتلت قتيلا !!! فيقول : أنا أعلم بنفسي ، ومن رآه وهو يصلى ظن أنه يموت حالا .

(ومن كلامه) لو لم يكن لنا ذنب إلا حب الدنيا استحققنا أن يخسف بنا ، وقال : من أعظم الزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس ، وكان يقول لعلماء زمانه : إنما أنتم متلذذون يسمع أحدكم العلم ويحكى به ، وإنما يراد العلم للعمل ، ولو عملتم بعملكم هريت من الدنيا لأنه يبعث على بغضها ، وكان فيه تشيع أكرهه عامل الكوفة على القضاء فامتنع قبده فقيل له : لو نشرت لحمه لم يل فخله ، وأخرج وگیع عن الشورى قال : أراد ابن هبيرة أن يستعمل منصور بن المعتمر على القضاء فقال : ما كنت لأنى

(١) تهذيب التهذيب ٣١٢/١ : ومرآة الجنان ٢٧٧/١ : والشذرات ١٨٩/١ : المعارف لابن قتيبة

بعد ما حدثنى إبراهيم ، وقال : وما حدثك ؟ قال : حدثنى عن علقة عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيمة نادى مناد : أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباء الظلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة فيجتمعون فى تابوت من حديد ويرمى بهم فى جهنم ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، رضى الله عنه .

(١٨٥) مؤرق العجلى أبو المعتمر البصري

كان بالحق عن الخلق ساليا ، وبالشهود عن الصدود ساهيا .

(ومن كلامه) : المتمسك بطاعة الله حين جبن عنها الناس كالكار بعد الفار ، وقال : تعلم الصمت فى عشر سنين وما قلت شيئاً قط إذا غضبت أندرم عليه إذا ذهب غضبى ، وقال : ما تكلمت شيئاً فى الغضب ندمت عليه فى الرضا ، وقال : سألت الله حاجة منذ عشرين سنة فما أعطانيها ولا أىست منها ، وكان يجد نفقته تحت رأسه ؛ وكان يقول : ما فى الأرض نفس فى موطها أجر إلا وددت أنها قد ماتت ، وقال : مامن أمر يبلغنى أحب إلى من موت أحب أهلى إلى ، أنسد الحديث عن أبي ذر ، وأبى الدرداء وعمر وسلمان وجندب وأنس ، وعنده العنبرى ، مات سنة نيف ومائة ، خرج له ستة .

(١) تهذيب التهذيب ٣٣١/١٠ ; والمعارف لابن قتيبة ٤٧ ; والشذرات ١٢٢/١ ; وفيه وفاته سنة ١٤٠ هـ .

(١٨٦) موسى الكاظم بن جعفر الصادق^(١)

سمى بذلك لكترة تجاوزه وحلمه ، كان معروفا عند أهل العراق بباب
قضاء الحوائج عند الله وكان أعبد أهل زمانه ، ومن أكابر العلماء الأsexخاء ،
سأله الرشيد كيف يقولون نحن أبناء المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنتم أبناء
على كرم الله وجهه ؟ فقرأ قوله تعالى : « ومن ذريته داود وسليمان » إلى أن
قال : « وعيسي وليس له أب ». .

(ومن بدائع كراماته) ما حكاہ ابن الجوزی والرامهرمزی عن شقيق
البلخي رضی الله عنه أنه خرج حاجا فرأى فرآء بالقادسية منفردا عن الناس فقال في
نفسه : هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس لأويخته فمضى إليه
فقال : يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم فأراد أن يعانقه فغاب
عن عينه ثم رأه بعد ذلك على بئر قد سقطت ركوتة فيها فدعا فطف الماء حتى
أخذها فتوضاً وصلى ثم مال إلى كثيب من الرمل فطرح منه فيها وشرب فقللت
له : أطعمنى مما رزقك الله فقال يا شقيق لم تزل أنعم الله علينا ظاهرة وباطنة
فأحسن ظنك بربك فناولنها فشربت فإذا هو سويق ولبن وسكر فأقمت أياما
لا أشتتها شرابا ولا طعاما لم أره إلا بمكة وهو بغلان وغاشية ، وأمروره على
خلاف ما كان عليه في الطريق ، ولما حج الرشيد سعى به إليه وقيل له : إن
الأموال تحمل إليه من كل جانب حتى إنه اشتري ضيعة بثلاثين ألف دينار فقال له
الرشيد حين رأه جالسا عند الكعبة أنت الذي يبايعك الناس سرا ؟ قال له أنا امام
القلوب وأنت امام الجسوم ، ولما اجتمعوا أمام الوجه الشريف قال الرشيد السلام
عليك يا ابن عم فقال الكاظم : السلام عليك يا أبني فلم يحتملها فحمله الرشيد
إلى بغداد مقيدا وحبسه فلم يخرج من حبسه إلا مقيدا ميتا مسموما .

(١) وفيات الأعيان ٢/١٣١؛ وابن خلدون ٤/١١٥؛ والبداية والنهاية ١٠/١٨٣؛ وصفة الصفوية
١٠٣؛ ومقاتل الطالبيين ٣٣١؛ وميزان الاعتدال ٣/٩٢؛ وفرق الشيعة ٨١؛ وتاريخ بغداد
٢٧/١٣؛ ومرآة الجنان ١/٣٩٤ - ٣٩٥؛ والشذرات ١/٣٠٤ .

(١٨٧) ميمون بن مهران^(١)

الحكيم اليقظان ، المكرم بالمعرفة والعرفان ، عالم أهل الجزيرة ، كان حميد السيرة ، شديد السريرة ، وقد قيل : إن التصوف اعتقاد السريرة واحتمال الجريرة ، وهو كاتب عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه .

(ومن كلامه) العذب الوجيز : لا تتخذوا القرآن بضاعة تحترفوا بها ، أطليوا الدنيا بالدنيا والآخرة بأعمالها ، وقال : كراهة الرجل المعصية أثقل في ميزانه من كثرة الطاعة مع ميله للمعاصي ، وقال : حصلوا قوتكم ثم أغلقوا عليكم بيوتكم ، وقيل له : إن قوما يقولون نعمت في بيوتنا ويرزقنا الله ، فقال : هؤلاء حمقاء ، هذا لا يصح إلا لمن له يقين كيقيين إبراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام ، وقال : من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر في عمله فإنه قادم على عمله كائنا ما كان وقال : إن استطعت أن لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه فافعل ، وقال : أدركت السلف وهم إذا رأوا رجلا راكبا يتبعه قالوا : قاتله الله جبار ، وقال : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبته شريكه ، وقال : التقى أشد محاسبته لنفسه من سلطان جائر وشريك شحيح ، وقال : من وقع في ظلم أحد وأراد أن يتحلل من مظلمته فلم يقدر فليستغفر الله دبر كل صلاة فإنه يخرج من مظلمته إن شاء الله تعالى ، وقال : من رضى من الإخوان بترك الأفضال فليواخ أهل القبور ، أسنن الحديث عن ابن عباس وغيره ، ومات سنة ست أو سبع عشرة ومائة وعن نحو ثمانين سنة خرج له مسلم والأربعة .

(١) تهذيب التهذيب ١٠/٣٩٠ - ٣٩٢ : ومرآة الجنان ٢٥١/١ : وطبقات الشعراوي ٣٥/١ : والشذرات ١٥٤/١ ، والبداية والنهاية ٣١٤/٩ - ٣١٩ .

(١٨٨) ماجدة بنت عبد الله العدوية القرشية^(١)

العايدة الزاهدة تسكن البحرين كان الغالب عليها قصر الأمل ، ومن كلامها سكان دار نودى فيهم بالرحيل وهم فى لهوهم يلعبون !!! كأن المراد غيرهم والنداء ليس فيهم ، والمعنى سواهم ، يالها من عقول ما أنقصها وجهالة ما أقها ، بؤسا لأهل العاصي ماذا غروا به من الامهال والاستدراج ، وقالت : بسطوا آمالهم ، وأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبو الآجال ، وطروا الآمال ، خفت عليهم الأعمال ، وقالت : لو رأيت أعين الزاهدين ما أعد الله لأهل الإعراض عن الدنيا لذابت أنفسهم شوقا إلى الموت لينالوا ما أملوه من فضله ، وقالت : ما نال المطعون مانالوا من رضى الرحمن وحلول الجنان إلا بتعب الأبدان لله والقيام بحقوقه في النشط والكره ، وقالت : كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلا ، وقالت : طوى أملى طلوع الشمس وغرورها فما من حركة تسمع وما من قدم توضع إلا ظنت أن الموت في أثراها .

(١٨٩) معاذة بنت عبد الله العدوية المصرية^(٢)

زوجة صلة بن أشيم^(٣) ، كانت زاهدة روت عن على و عائشة ، وهشام وعامر الأنصارى ، وعنها قتادة والحرمى وأيوب وغيرهم ، خرج لها الجماعة ووثقها ابن معين ، وكانت إذا جاء النهار قالت لعلى : أموت اليوم فلاتنام حتى تنسى ، وإذا جاء الليل قالت : لعلى أموت الليلة فلاتنام حتى تصبح ، وإذا غلبتها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول : يا نفس أصبرى النوم أمامك في القبر و كانت إذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم .

(١) طبقات الشعراني ٥٦/١ .

(٢) طبقات الشعراني ٥٦/١ : والشذرات ١٢٢/١ .

(٣) انظر ترجمته رقم ١٢٢ .

وكانَتْ تقولُ : عجبتْ لعينِ تناَمْ وَقَدْ عرَفَتْ طولَ الرقادِ فِي ظلمةِ القبورِ . وَكَانَتْ أرضعتْ أُمَّ الْأَسْوَدِ العَدوِيَّةَ فَقَالَ لَهَا : لَا تَفْسِدِي رِضاعِي بِأَكْلِ الْحَرَامِ فَإِنِّي جَهَدْتُ جَهْدِي حِينَ أَرْضَعْتُكَ حَتَّى فِي أَكْلِ الْحَلَالِ فَاجْتَهَدْتِ إِلَّا تَأْكُلِي إِلَّا حَلَالًا لِعَلَكَ أَنْ تَوْفِقِي لِخَدْمَةِ سَيِّدِكَ وَالرَّضِيِّ بِقَضَائِهِ ، وَكَانَ وَرْدَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيلَةٍ سَتْمَائَةَ رَكْعَةٍ وَلَمْ تَرْفَعْ بَصَرَهَا لِلسَّمَاءِ أَرْبَعِينَ عَامًا ، قَالَ ثَابِتُ الْبَنَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَانَ صَلَةُ بْنُ أَشَيمَ ، رَحْمَةُ اللَّهِ ، فِي مَغْزِي وَمَعْهُ ابْنُهُ فَقَالَ : أَيْ يَا بْنِي تَقْدِيمُ فَقَاتِلَ لِأَحْتَسِبِكَ ، فَحَمِلَ فَقَاتِلَ حَتَّى قُتِلَ فَاجْتَمَعَتِ النِّسَاءُ عِنْدَ أَمِهِ مَعَاذَةً فَقَالَتْ : مَرْحُبًا إِنْ كُنْتَ جَئْنَتْ لِتَهْنَئَنِي فَمَرْحُبًا ، وَإِنْ كُنْتَ جَئْنَتْ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَارْجُعْنِ ، وَلَا ماتَ زَوْجَهَا لَمْ تَتوَسِّدْ فَرَاشًا بَعْدَهُ حَتَّى ماتَتْ ، ماتَتْ فِي أَوَّلِيَّهِ الْقَرْنِ الثَّانِي ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَلَا احْتَضَرَتْ بَكْتَ ثُمَّ ضَحَّكَتْ فَقِيلَ لَهَا فِيهِ فَقَالَتْ : أَمَا الْبَكَاءُ فَلِمَفَارِقَةِ الْعِبَادَةِ وَأَمَا الضَّحْكُ فَنَظَرَتْ إِلَى أَبْنَى الصَّهَابَاءِ ، تَعْنِي زَوْجَهَا ، وَقَدْ أَقْبَلَ فِي صَحْنِ الدَّارِ وَعَلَيْهِ حَلْتَانٌ خَضْرَوْتَانٌ فَضَحَّكَتْ إِلَيْهِ .

(١٩٠) مريم المصرية^(١)

الْعَابِدَةُ الزَّاهِدَةُ كَانَتْ تَخْدِمُ رَابِعَةَ الْعَدُوِيَّةَ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ إِذَا سَمِعَتْ عِلْمَ الْمَحَبَّةِ طَاشَتْ فَحَضَرَتْ بَعْضُ الْمُذَكُورِينَ فَتَكَلَّمَ فِي الْمَحَبَّةِ ، فَمَاتَتْ حَالًا فِي الْمَجْلِسِ (وَمِنْ كَلَامِهَا) : مَا اهْتَمَتْ بِالرِّزْقِ وَلَا تَعْبَتْ فِي طَلَبِهِ مِنْذَ سَمِعَتْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوْعِدُونَ﴾^(٣) .

(١) أَوْرَدَ الْيَافَعِيُّ فِي مَرآةِ الْجَنَانِ ٢٨٣/١ ، أَنَّهُ كَانَ لَهَا خَادِمَةٌ تُسَمَّى «عَبِيدَة» ، وَذَلِكَ نَقْلًا عَنْ أَبْنَى الْجَرْزِيِّ .

(٢) انْظُرْ تَرْجِمَتَهُ رَقْمَ ٩٦ .

(٣) سُورَةُ الْذَّارِيَّاتِ : الآيَةُ ٢٢ .

(١٩١) موقفة

ويقال : موافقة الموصليه ، كانت من أكابر الصوفية ، حکى فتح الموصلى رضى الله عنه ، أنها عثرت فسقط إبهامها فضحكت فقيل لها : يسقط إيهامك وتضحكتين ؟ فقالت : حالوة ذكره أزالـت عن قلبي مرارة وجعه .

(١٩٢) ميمونة السوداء المجنونة العاقلة^(١)

قال عبد الواحد بن زيد^(٢) : سألت الله ثلاثة أيام أن يريني رفيقي في الجنة فرأيت قائلا يقول : رفيقك في الجنة ميمونة السوداء قلت : وأين هي ؟ قال : بالكوفة فخرجت فسألت عنها فقيل : هي ترعى غنائم لنا فتبعتها فإذا هي تصلي وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشتري وإذا الغنم مع الذئاب فلا الذئاب تأكل الغنم ، ولا الغنم تخاف الذئاب ، فلما رأتنى فقالت : ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هنا إنما الموعد ثم ، فقلت : من أين علمت أنى ابن زيد ؟ قالت : أما علمت أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلاف ، فقلت : عظيني ، قالت : واعجباه لوعاظ يوعظ ؟ ثم قالت : يا ابن زيد إنك لو وضعـت معايير القسط على جوارحك خبرتك بكلـون ما فيها ، يا ابن زيد بلغنى أنه ما من عبد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانية إلا سلبـه الله حـبـ الخلـوة معـه ؛ وبدلـه بعدـ القرـب بـعـدا وـبـعـدـ الأـنس وـحـشـة ، فـقلـتـ : أـرـىـ هـذـهـ الذـئـابـ معـ الغـنـمـ فـلاـ الغـنـمـ تـفـزـعـ مـنـ الذـئـابـ وـلـاـ الذـئـابـ تـأـكـلـ الغـنـمـ ، فـأـئـىـ شـئـ هـذـاـ ؟ـ قـالـتـ : إـلـيـكـ عـنـىـ إـنـىـ أـصـلـحـ مـاـ بـيـنـ وـبـيـنـ سـيـدـيـ فـأـصـلـحـ بـيـنـ الذـئـابـ وـالـغـنـمـ .

(١) اليافعى ، روض الرياحين ، والنهاوى ٢٧٣/٢ - ٢٧٤ .

(٢) مرآة الجنان ١/٣٧٠ ؛ والشدرات ١/٢٨٧ ، والبداية والنهاية ١٧١/١٠ .

(١٩٣) ميمونة السوداء^(١)

العايدة المصرية وهي غير تلك لها كرامات كثيرة (منها) أنها كانت إذا نزعت ثيابها اجتمعت عليها الطيور تتبrik بلقط هواها : ماتت في القرن الثاني ودفنت بالقرافة بقرب أشهب ، رحمة الله تعالى عليها .

حرف النون

(١٩٤) النعمان بن ثابت أبو حنيفة^(٢)

الإمام البارع ، البدر الكامل الساطع ، ولد سنة ثمانين من الهجرة بالكوفة ونشأ بها ثم نقله المنصور إلى بغداد فأقام بها حتى مات وهو إمام أهل العراق ، والقدم في الفقه على أهل زمانه بالاتفاق ، المنتشر مذهبة في جميع الآفاق ، المعروف بالورع وحسن الأخلاق ، المشهور بالصيانة وطيب الأعراق ، صاحب السبق والتقدير والحفظ والتفهم ، والإشارات اللطيفة ، والاستنباطات البدية الظرفية ، الفقيه القوى ، سالك السمت المرضى ، بالعلم الواضح المضى والحال الزاكي الرضى ، التارك لتتكلف الأثقال ، المعتقد لتتكلف الواجب من الأثقال ، وقد قيل : التصوف تظهر من تکدر ، وتشمر في تبدر وكان من أعبد الزهاد ، وزاهد العباد يحيى الليل كله صلاة وبكاء وتضرعا وابتهالا ، ورأى في أول أمره أنه نبش قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فسأل عنه ابن سيرين فقال : صاحب هذه الرؤيا يشير علما لم يسبقه إليه أحد ، ودخل يوما على المنصور ، فقال : هذا عالم الدنيا اليوم ، وقال النضر بن سهل : كان الناس نيااما عن الفقه

(١) انظر السخاوي الحنفي ، تحفة الأجياب ورثها السبيوطى .

(٢) تاريخ بغداد ٤٢٣/١٣ : وابن خلكان ١٦٣/٢ : والنجوم الزاهرة ١٢/٢ ، والبداية والنهاية ١٠٧/١ : والجوهر المعني ١/٢٦ : وتاريخ الخميس ٣٢٦/٢ : ومفتاح السعادة ٦٣/٢ - ٨٣ : ومرآة الجنان ١/٣٠٩ - ٣١٢ ، وتهذيب التهذيب ١٠/٤٤٩ - ٤٥٢ .

حتى أيقظهم أبو حنيفة رضي الله عنه بما بينه ونحصه ، وكان فى زمانه أربعة من الصحابة ، أنس ، وابن أبي أوفى ، وسهل بن سعد وابن الطفيل ، وقال الشورى رضي الله عنه : ولم يأخذ عن أحد منهم ، وكان أحمد رضي الله عنه إذا ذكره بكى وترحم عليه ، وأكرره المنصور على القضاة فأبى ، فحبسه حتى مات بالسجن ، وكان كل قليل يخرجه فيهدده ويتوعده فيقول : والله ما أنا مأمون في الرضى فكيف في السخط ، هكذا حكا بهم في سبب موته ، لكن في تاريخ الشام مانصه : أخرج أبو الشيخ في التاريخ بسنده عن زفر ، قال : كان أبو حنيفة رضي الله عنه يجهز أيام إبراهيم بالكلام جهراً فأقول له : ما ترضى إلا أن توضع الحبال في أعناقنا !! فلم يلبث أن جاء كتاب المنصور ؛ بأن يحمل إلى بغداد فغدوات إليه أودعه وهو على بغلته وقد أسود وجهه حتى صار كأنه مسح فحمل إلى بغداد فعاش خمسة عشر يوماً سقاه فقتله سنة خمسين ومائة أ.ه ، وكان حسن الوجه طيب الريح ، كريم النفس يعرف بطيب الريح إذا أقبل في ظلام ، وكان يسمى الوتد لكثرته تهجده قائماً ولم يفتر منذ ثلاثين ، وصلى خمساً وأربعين سنة الصلوات الخمس بوضوء واحد ، وقال الشافعى رضي الله عنه : الناس عليه عيال في الفقه ، وكان طويل الصمت فإذا سئل عن شيء في الفقه انفتح وسال كالوادى ، وكان عظيم الأمانة يؤثر رضا الله على كل شيء ولو أخذته السيف في الله لاحتملها ، وقال ابن المبارك : ما سمعته يغتاب عدوا له قط ولا يكاد يسأل حاجة إلا قضاها ، وقال الرشيد لأبي يوسف صف لي أخلاقه ، فقال : إن الله يقول ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وهو عند لسان كل قائل ، كان شديد الذب عن المحارم أن تؤتى ، شديد الورع أن ينطق في دين الله بما لا يعلم ، يحب أن يطاع فلا يعصى ؛ طويل الصمت دائم الفكر ، على علم واسع لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً إن سئل ، بذولاً للعلم والمال مستغنى بنفسه عن الناس ، لا يذكر أحداً إلا بخير ، فقال الرشيد لكاتبته : اكتب هذه الصفات واختلطت غنم الكوفة بغم البادية فسأل : كم تعيش الشاه ؟ قالوا : سبع سنين ،

فترك أكل اللحم سبع سنين ، وكان خزاذا يشتري الخز الخام ويقتصره ويبيعه ، ففتح غلامه رزمة خز فإذا الأحمر أحمر والأصفر أصفر ، فقال : نسأل الله الجنة ، فبكى أبو حنيفة رضي الله عنه ، اختلع صدغاه ، وقال : مثلنا يسأل الله الجنة ! أنا نسأل العفو ، وكان لا يقعد في ظل شجرة من له عليه دين ويقول : كل قرض جر نفعا فهو ربا ، وكان جيرانه يسمعون بكاءه بالليل فيرحمونه ، وختم القرآن في المحل الذي مات فيه سبعة آلاف مرة ، وسئل : أيهما أفضل الأسود أو علقة ؟ فقال : والله ما نحن بأهل أن نذكرهم فكيف نفضل بينهم ! وقال جالست الناس خمسين سنة فما وجدت من غفر لى ذنبًا ، ولا وصلني حين قطعته ، ولا ستر على عوره ، وقال : لو لم يكن من صفة الدنيا إلا أن الحق يعصى فيها لكفى في بغضها ، وقال : لا ينبغي أن يترك القاضي على القضاء أكثر من سنة ، وقال : من هان عليه فرجه هان عليه دينه ؛ وقال : إذا تكلم العبد بما علم فلا إثم عليه إنما الأثم في الظن ، وقال : لا ينبغي لمن لا يعلم دليلاً أن يفتى بكلامي ، وقال : ليس في الدنيا أقل من فقيه ورع ، وقال : من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه لم يزل في ذل ما بقي في طول زمانه ، وقال : غوغاء الناس هم القصاص الذين يأكلون بوعظهم الدنيا ، وقال له رجل : إنني أحبك قال : وما يمنعك ولست بجاري ولا ابن عم ؟ ورؤي بعد موته فقيل له : ما فعل بك ؟ قال : غفر لى ، قيل بالعلم ؟ قال : هيئات أن للعلم شروطاً قلما يخلص منها ، بل يقول الناس في ما ليس في ، وقال اللخمي : كنت أشتتهي أن أرى أبا حنيفة رضي الله عنه في النوم فرأيتها فقلت : ادع لى ، قال : بماذا ؟ قلت : بالجنة ، قال : على شرط ، قلت : وما هو ؟ قال : ترك ملازمتك الناس إلا في طلب العلم ، قلت : قد فعلت ، قال : ولنك ذلك .

(ومن كراماته) أنه لما مات شريح القاضي ، رحمه الله ، طلب هو والشوري وصلة وشريك للقضاء ، فقال أما سفيان فيهرب ، وأما أنا فأحبس ، وأما صلة فيتحايل ويتخلص ، وأما شريك فيقع ، فكان كما قال ، ولما منعه

المنصور من الإفتاء سأله بنته ليلاً عن الدم الخارج من بين الأسنان هل ينقض
الوضوء ؟ فقال : سلى عمي حماداً فإن الخليفة معنى أن أفتى ، ولم أكن من
يخون إمامه بالغيب ، مات سنة خمسين ومائة ، رضى الله تعالى عنه .

حرف الهاء

(١٩٥) هارون بن رياض الأسيدي

المخفى لزدهه ، الموفى لعهده ، كان يسرد الصوم ويلبس الصوف تحت
ثيابه ، كان يقول : أوحى الله إلى بعض أنبيائه أن أخبر قومك أنهم عمروا
بنيانهم ؛ وخرموا قلوبهم ، وسموا أنفسهم كما يسمن الجوز ليوم نحر ، فنظرتهم
فقلوتهم فدعوني فلم أستجب لهم ، أنسد الحديث عن عدة من الصحابة منهم أنس .

(١٩٦) هرم بن حيان

الهائم الحيران ، الصائم العطشان ، عاش في حبه محترقاً ولها ، وقد
قيل : التصوف الأحترق حذراً من الافتراق ، والاشتياق لدار الاستباق ، كان من
كبار التابعين وزهادهم ومحدثيهم ، ولد لستين وقد نبتت ثناياه فسمى هرماً .

(ومن كلامه) أخرجوا من قلوبكم حب الدنيا تدخلها الآخرة ، وقال :
عليكم بقلة الكلام فان المتكلم إما أن يقصر في خصم أو يبالغ في أيّام ، وكان إذا
أكثر أهله الضحك أمرهم بالصلة ، وقال : لو قيل لي إنّي من أهل النار لم أدع
العمل لثلا تلومني نفسي ، فتقول ألا فعلت ، ألا صنعت ؟ وقال : ما آثر الدنيا

(١) هارون بن رياض الأسيدي ، أبو بكر ، ويقال أبو الحسن العابد البصري ، تهذيب التهذيب ٥/١١ .
(٢) المعارف لابن قبيبة ٤٢١ ، ٤٣٥ ؛ وطبقات ابن سعد ٩٥/٧ ؛ وأسد الغابة ٥٧/٥ ، وتأريخ الإسلام
للذهبي ٢١١/٣ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٨٩٤٨ ؛ وصفة الصفة ١٣٧/٣ ، والبيان والبيان
٣٦٣/١ .

على الآخرة حكيم ، ولا عصى الله كريم ، ولما مات أتت سحابة في يوم صائفة
فطللت سريره ، فلما دفن رست على القبر ولم تصب ما حوله ونبت عليه العشب
في يومه .

حروف الـوـاـو

(١٩٧) وكيع بن الجراح الرواسي (١)

الковى الصوفى المحدث ، كان إماماً فى صناعته ، كاملاً فى براعته
فصيحاً فى عبارته ، مليحاً فى إشارته ، من رؤوس الزهاد وأكابر العباد قا
أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، حدثنا وكيع ، لو رأيت وكيعاً رأيت عجباً
ورأيت رجلاً لم تر عيناك مثله قط ، حج أربعين حجة ، ورابط فى عبادان أربعين
ليلة وتصدق بأربعين ألفاً ، وروى أربعة آلاف حديث ، وما رأي واضعاً جنب
بالأرض أربعين سنة .

(ومن كلامه) ما بقى الآن زهد في الدنيا يصح : لأن الزهد لا يكorpor إلا في حلال والحلال فقد ، فانزلوا الدنيا منزلة الميتة وخذلوا منها ما يقيمهكم وقال طريق القوم بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق ، وقال من تهاون بالتكبير الأولى فاغسل يديك منه ، وقال : الدنيا حلال وحرام وشبهات ، فالحلال حساب ، والحرام عذاب ، والشبهات عقاب ، فأنزلها منزلة الميتة ، وقال : إن العاقل من عقل عن الله أمره ليس من عقل أمر دنياه ، وقال ابن معين : له من المصنفات مالا يعد ومن مثل وكيع في العلم والحفظ والحلم مع خشوع وورع وزهد ، وكان يصوم الدهر ويختتم القرآن كل ليلة ، وكان إذا آذاه رجل رفع التراب

(١) نسبة إلى رؤاس وهو بطنه من قيس عيلان : تذكرة الحفاظ ٢٨٢/١ ، وحلية الأولياء ٣٦٨/٨
ومفتاح السعادة ١١٧/٢ ؛ وميزان الاعتدال ٣/٢٧٠ ؛ وتاريخ بغداد ٤٦٦/١٣ ؛ والشذرات
١/٣٤٩ - ٣٥٠ ، ومرآة الجنان ١/٤٥٧ - ٤٥٨ .

على رأسه ، وقال : لو لا ذنبي لما سلط على ثم يأخذ في الاستغفار مات راجعا من الحج سنة سبع وتسعين ومائة عن ست وستين سنة ، أنسد الحديث عن الأعمش ، وهشام بن عروة ، وسفيان الثورى ، وخلق ، وعنده أحمد بن حنبل وابن راهويه وأخرون ، خرج له الجماعة الستة .

(١٩٨) وَهُبَّ بْنُ مَنْبِهٖ (١)

العالم العليم ، العايد الخليم ، صاحب الكتب السابقة ، والأنفاس الطاهرة الصادقة ، قال الحافظ أبو عبد الله الصناعي عالم أهل اليمن ، ولد سنة أربع وثلاثين ، وجد واجتهد بحيث لم يضع جنبه على الأرض ثلاثين سنة ، وأخذ عن ابن الحنفية ، وغالب أخذه عن ابن عباس ، صار من أكابر الزهاد ، ورءوس العباد ، وكان جده أحد الأكاسرة ملوك الفرس ، وكان مولد وهب ومنشئه بصنعاء ، وكانت أمه من حمير ورأت في النوم وهي حامل به أنها ولدت ولداً من ذهب فأول بولد عظيم الشأن ، وكان فصيحاً بلينا لا يجارى ولا يبارى ، وكان واعظاً ينطق بالحكمة ، وكان مقصوداً لأخذ العلم عنه من جميع الأقطار ، وكان إذا دخل على ابن الزبير أيام خلافته قام وأجلسه على سريره ولا يفعل ذلك لغيره ، وكان ذا هيبة ووقار ، صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، وكان يكره القياس في الدين ويقول : أخاف على العالم أن يقيس فتزل قدمه بعد ثبوتها ، وقال : إذا تعلم الشريف العلم تواضع وإذا تعلمه الوضع تكبر ، وقال : من لم يسمح لعدوه بمال احتاج لقتاله ، وقال : عليكم بالتكسب فإنه ما افتقر أحد الإلرق دينه وقل عمله وذهبت مروءته واستخف به ، وقال : البلاء للمؤمن كالشكل للذلة ، وقال : إن للعلم طغياناً كطغياناً المال ، وقال : خلق ابن آدم

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٠/١؛ وابن سعد ٣٩٥/٥؛ ووفيات الأعيان ١٨٠/٢، وحلبة الأولياء ٣٣٢/٤، وطبقات الخواص ١٦٦؛ وتهذيب التهذيب ١٦٦/١١، وتهذيب الأسماء ١٤٩/٢؛ ومراة البنان ٢٤٩/١؛ والشنرات ١٥٠/١.

أحمق ، ولو لا حمقه ما هنأه عيش ، وقال له رجل : شتمك فلان ، فقال : أما وجد إبليس رجلا يرسله لى غيرك !! وقال : قرأت نيفا وسبعين كتابا من الكتب الإلهية فوجدت فيها كلها : من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر ، يا ابن آدم ، ما قمت لى بما يجب عليك ، أذكرك وتنسانى وأدعوك وتفر مني . خيرى إليك نازل وشرك إلى صاعد ، وقال : فى التوراة علامة الرجل الصالح أن يخاصمه قومه الأقرب فالأقرب ، وقال : من كانت بطنه واديا من الأودية كيف يصح له زهد فى الدنيا ؟ وقال : العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتنشر به الشجر بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة ، فكذا العلم يحفظه الزجال فتحوله على قدر هممها وأهواها فيزيد المتكبر تكتيراً والمتواضع تواضعا ، وقال : ابن آدم إنما بطنك بحر من البحور ولا يملؤها إلا التراب ، فارض بالدون من الدنيا مع الحكمة ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا ، وقال : إن الله يحفظ بالرجل الصالح القبيلة من الناس ، وقال : ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحا إلا جعل الله ذلك طبيعة فيه ، وقال : الدنيا غنية الأكياس وحسنة الحمقى ، وقيل له : فلان بلغ من العبادة ما علمت ثم رجع ، قال : لا تعجب من يرجع لكن من يستقيم ، وقال من بكى على ذنبه فى الدنيا ضحك فى الآخرة وبالعكس ، وقال : أوحى الله إلى داود عليه السلام أسرع الناس مروراً على الصراط الذين يرثون بحكمى ، وألسنتهم رطبة من ذكري ؛ وقال : من أعظم الذنوب بعد الشرك السخرية بالناس ، وقال : من تعبد ازداد قوة ، ومن كسل ازداد وهنا ، وقال : الإيمان عريان وثوبه التقوى وزينته الحباء ، وقال : علامة الخوف طاعة الله ومن يعصيه ثم يزعم محبته فقد كذب ، وقال الاعتماد على من يموت كالاستناد إلى بيت العنكبوت ، وقال : ما ينفع التدبير إذا خالف التقدير ، وقال : لأن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير لك من أن تبكى وأنت مدل بعملك فإن المدل لا يرفع له عمل فقط ، وقال : دخول الحمل فى سم الخياط أيسر من دخول الأغنياء الجنة ، وقال : من جعل شهوته

تحت قدمه فزع الشيطان من ظله ، وقال : التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما إلى الآخر : إلى أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى ، وقال الآخر : أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد ، قال الغزالى رحمة الله : وهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ، وقال : في الألواح التى قال الله تعالى « وكتبنا له فى الألواح من كل شيء » يا موسى اعبدنى ولا تشرك بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإنهم خلقى وأنا إذا أشرك بي غضبتك وإذا غضبت لعنت ، واللعنة تدرك الولد الرابع ، وإذا أطعت رضيتك وإذا رضيتك باركت ، والبركة تدرك الأمة بعد الأمة ، وقال : قال عيسى عليه الصلاة والسلام بقدر ما تحرث الأرض تلين وبقدر ما تتواضعون ترحمون ، وقال : في بعض الكتب ابن آدم لو رأيت يسير ما يبقى من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أمليك ، وقصرت من حرصك وابتغت الزبادة في عملك ، وإنما تلقى الندم وقد زلت لك القدم وأسلمك الأهل والخش ، وانصرف عنك الحبيب ، وأسلمك القريب . فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد ، فاعمل ليوم القيمة ، يوم الحسرة والندامة ، وقيل له : بم زهدت في الدنيا ؟ قال : بحرفين قرأتهما في التوراة : « يا من لا يستتم سروره يومين ، يا من لا يأمن على روحه طرفة عين ، الحذر الحذر ، وأسند الحديث عن عدة من الصحابة ، مات بصنعاء سنة أربع عشرة ومائة ، وقيل : عشرين ومائة عن نحو ثمانين سنة وكان يشبه كعب الأحبار في زمانه روى عن ابن عباس وغيره ، وخرج له الجماعة سوى ابن ماجه .

(١٩٩) وهب بن الورد المكي المخزومي^(١)

الورع التقى ، الضرع الوفى ، ظفر بالخير ، وتنزه عن الضير ، وقد

(١) صفة الصفوة ١٢٣/٢ : و حلية الأولياء ١٤٠/٨ ، و تهذيب التهذيب ١١/١٧٠ : و مرآة الجنان ١/٣٢٣ : والسلمي ، ص ٤٤ : وخلاصة تهذيب الكمال ٣٥٠ : ١/٢٣٦ .

قيل : إن التصوف الأثنين من الوضع والختين إلى الرفيع ، وكان رأساً في الزهد ، وسبب زهده أنه بينما هو واقف ببطن الوادي إذا برأجل آخذ بنكبيه وقال : يا وهيب خف الله لقدرته عليك واستحى منه لقربه منك فالتفت فلم ير أحداً . وقال بشر رحمة الله : أربعة وفقهم الله بطريق المطعم ؛ وهيب ، وأبن أدهم ، وأبن أسباط ، والخواص .

(ومن كلامه) : إن استطعت أن لا يسبقك أحد إلى الله فافعل ، وقال : عجباً للعالم عجباً كيف تجبيه دواعي قلبه إلى الضحك وقد علم أن له في القيامة روعات ووقفات وفزعات ، وقال : لا يجد طعم العبادة من يعصى ولا من هم بعصية ، وقال : البناء الذي لا سرف فيه ما سترك من الشمس وأكفك من المطر ، وقال : لا يكن لهم أحدكم في كثرة العمل بل في إحكامه وتحسينه ، فإن العبد قد يصلى وهو يعصى في صلاته ، وقال : الزهد في الدنيا أن لا تيأس على ما فاتك ولا تفرح بما أتاك ، وقال : احذر أن تكون صديق إبليس في السر وتظهر عداوته في العلانية ، وقال : بينما أنا في الطواف إذا بأمرأة فيه تقول : يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات ، يا رب سبحانه وعزتك إنك لأرحم الراحمين ، يا رب مالك عقوبة إلا النار ، فقالت صاحبة لها : أيا أخية دخلت بيت ربك اليوم ، قالت : والله ما أرى قدمي أهلاً للطواف حول بيتي ربي ، فكيف أراهما أهلاً أن أطأ بهما بيتي في العلانية .

(ومن كراماته) أنه كان يشتهي الشيء فيجده في بيته في إناء قد كفى عليه ، وكان له سويق في جراب فخرقته الفارة فقال : اللهم آخذها فقد أفسدت علينا ، فخرجت فاضطررت بين يديه حتى ماتت ، وكان سفيان الثوري ، رضي الله عنه ، يستفيد منه ويجله فإذا فرغ يحدث بالمسجد الحرام ، قال : قوموا بنا إلى الطبيب ، أنسد عن عدة من التابعين ، ومات سنة ثلاثة وخمسين ومائة وخرج له مسلم وأبو داود والنسائي .

حرف الياء المثلثة تحت

(٢٠٠) يحيى بن أبي كثير^(١)

الراوى الخبير ، الوعى البصير ، الطائى البمامى ، أحد الأعلام الكبار المشاهير ، كان ذا بصر وهدى واجتهاد وتقى ، وكرم وسخاء ، وقد قيل : إن التصوف السخاء والوفاء ، وسلوك طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(ومن كلامه) : ميراث العلم خير من ميراث الذهب ، وقال : ليس شئ من الأهواء أخوف على هذه الأمة من الإر جاء ، وقال : العلماء كالملح هو صلاح كل شئ فإذا فسد لم يصلحه شئ ، فينبغي أن يوطأ بالأقدام ، وقال : لا يعجبك حلم رجل حتى يغضب ولا مانته حتى يطمع : فإنك لا تدرى على أي شقيه تقع ، وقال : ثلات لا تكون فى بيت إلا نزعت منه البركة ، السرف ، والزنا ، والخيانة ، وقال : يفسد النمام فى ساعة مala يفسده الساحر فى شهر ، وقال : قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : إياك والنميمة فإنها أحد من السيف ، وإياك وغضب الملك الظلوم فإنه الموت ، وإياك والمراء فإن نفعه قليل وبهيج العداوة بين الإخوان ، وقال عنه : إن أردت أن تغrieve عدوك فلا تبعد عصاك عن ابنك ، وقال عنه : لا تكثر الغيرة على أهلك ولم تر منها سوءاً فترمى بالشر من أجلك ، وإن كانت منه بريء ، وقال عنه : ما أقبح الفقر بعد الغنى ، وأقبح الخطيئة مع المسكنة ، وأقبح من ذلك كله عابد ترك عبادته ، وقال : عليك بخشية الله فإنها غلت كل شئ ، وقال : من عمل بالسوء فبنفسه بدا ، وقال : لا تقطع أمرا حتى تشاور مرشدًا فإنك إذا فعلت ذلك لم تحزن عليه ، وقال : عليك بالحبيب الأول فإن الآخر لا يعدله ، وقال : لا تعجب من هلك كيف هلك ، بل أعجب من نجا كيف نجا ، يا بني لا غنى أفضل من صحة جسم ،

(١) تهذيب التهذيب ١١ / ٢٦٨ - ٢٧٠ : وخلاصة تهذيب الكمال ، ص ٣٦٧ : والسلمى ، ص ٢٩٢ : ومرآة الجنان ١ / ٢٧٣ : والشذرات ١ / ١٧٦ .

ولا نعيم أفضل من قرة عين ، وقال : يا بنى إن من عيش السوء نacula من منزل إلى منزل ، أُسند عن عدة من الصحابة .

(٢٠١) يحيى بن سعيد القطان البصري^(١)

أحد الأئمة الأعلام ، كان رأساً في العلم والعمل وافرا في الزهد والورع ، نافر عن الشبه والبدع معرضاً عن العرض ، مشغولاً بما هو مسنون ومفترض ، وناهيك بقول أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ما رأيت عيناً مثله قط ، وقال غيره : إمام أهل زمانه حفظاً وورعاً ، وزهداً وتصوفاً ، وكان يقف بين يديه أحمد بن حنبل رضي الله عنه وابن معين وابن المديني رضي الله عنهم يسألونه عن الحديث هيبة له وإعظاماً ، وأقام أربعين سنة يختتم القرآن في كل يوم وكل ليلة ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة .

(ومن كراماته) أنه رُؤى قبل موته بعشر سنين مكتوباً على قميصه : بسم الله الرحمن الرحيم براءة لـ يحيى بن سعيد ، وبشر بأمان من الله تعالى يوم القيمة ، مات سنة ثمان وتسعين ومائة .

(٢٠٢) يزيد بن عبد الله بن الشخير^(٢) آخر مطرف^(٣)

من مشايخ أهل البصرة وعلمائهم وصوفيتهم له في العبادة ذكر مشهور ، وكلامه وإن قل مذكور فمما حفظ عنه أنه قيل له إلا نصف مسجدنا فقال : أصلحوا قلوبكم يكفكم في مسجدكم ، مات سنة ثمان ومائة على الأصح أُسند حديثاً كثيراً وخرج له الجمعة .

(١) تهذيب التهذيب ٢١٦/١١ - ٢٢٠ : ومرأة الجنان ٤٦٠/١ : والشذرات ٣٥٥/١ : وتنكرة الحفاظ ٢٧٤/١ ، وتاريخ بغداد ١٣٥/١٤ : وال عبر للذهبي ٣٢٧/١ : والمعارف لابن قتيبة ص ٥١٤ .

(٢) تهذيب التهذيب ١١/١١ - ٣٤٢ : والمعارف لابن قتيبة ٤٣٦ : ومرأة الجنان ١/٢٢٩ : والشذرات ١٣٥/١ - ١٣٦ .

(٣) طبقات الشعراني ٢٩/١ .

(٢٠٣) يزيد بن أبان الرقاشي^(١)

العالم الباكي ، الصائم الظامي ، وقد قيل : التصوف تحمل للتخفف وتذليل للتشريف ، جوع نفسه ستين سنة حتى ذبل بدنه وتغير لونه ، وكان يقول : غلبتني بطني فما أقدر على حيلة ، وقال : إن المتوجعين لله يوم القيمة في الرعيل الأول ، وقال : خذوا الحكمة الطيبة من قالها وإن لم يعمل بها ، وقال : إنما سمي نوح نوحا لطول ما ناح على نفسه ، أسنن الحديث عن أنس وغيره ، مات سنة تسع وعشرين ومائة .

(٢٠٤) اليمان أبو معاوية الأسود^(٢)

العارف الأمجد ، نزل طرسوس صالح كثير الاجتهاد ، غزير الارتياب والارتياد ، ملازما للتهجد والتلاوة والاعتكاف ، متصفًا بما للأولىاء من الكرامات والأوصاف ، العايد الزاهد ، كان للبصر فاقداً ، وللخير سائراً وناقداً . (ومن كراماته العلية المقدار) أنه كان إذا أراد القراءة في المصحف ، ونشره ليقرأ بأبصار ، فإذا رد المصحف عاد له العمى ، وكان إذا آذاه رجل قال : اللهم اغفر لى الذنب الذى سلطته على به ، وكان يلقط الخرق من المزابل فيطبقها ثم يستتر بها ويقول : أمامنا اللبس في دار البقاء .

(ومن كلامه) بادر قبل نزول ما تحذر ، وقدم صالح الأعمال ، ودع عنك كثرة الاستغال ، وقال : من كانت الدنيا أكبر همه طال في القيمة غمه ، وقال : إن كنت تريد لنفسك الجزيل فلا تنم الليل ، ولا تقييل ، وقال : إخوانى كلهم خير منى ؛ لأن كلهم يرى الفضل لى على نفسه ، ومن فضلى على نفسه

(١) تهذيب التهذيب ٣١١ - ٣٠٩/١١ :

(٢) اليمان بن معاوية الأسود ، طبقات الشعراني ٥٣/١ .

فهو خير منى ، وقال : من خاف ما بين يديه ضاق فى الدنيا ذرعه ، ومن خاف الوعيد لها من الدنيا عما يريد ، وقال : الصبر ملاك الأمر ، وفيه أعظم الأجر ، فاجعل ذكر الله تعالى من أجل شأنك .

(٤٠٥) يوسف بن أسباط^(١)

ذو الجد والنشاط ، والسبق إلى الصراط ، وهو أحد مشايخ الطريق ، المشهورين بالتحقيق ، كان صاحب تعبد وأقوال ، وتجدد وتنسك وأحوال ، ونظام يضم نار عظيم الغرام ، وكلام يبرى ما بالقلوب من الكلام ، وسمع وروى ، وما ضل عن طريق القوم ولا غوى ، نعم وكان العلم والخوف شعاره ، والتخلى من فضول الدنيا دثاره ، وقد قيل : إن التصوف ، التخلى للترافق ، والتخلى بالتلاقي ، وكان شديد المجاهدة لنفسه يصوم النهار ويقوم الليل ، ويأكل من عمل يده من الخوص ، وله مواعظ من الحكم عليه المقدار ، وكان من المحدثين الأخيار ، أخذ عن سفيان الشورى رضى الله عنه وزائدة ، ومخلد بن خليفة رضى الله عنهما ، وعن المسيب بن واضح ، وعبد الله بن الأنطاكي وغيرهما .

(ومن كلامه) : اصبر تحت ما قدر عليك فإنه قلما فر إنسان من شر إلا وقع في أشر منه ، انظروا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام لما فر من خضوع بني إسرائيل له وهرب إلى البرية عبادوه من دون الله تعالى ، فكان مكثه بينهم أولى ، وقال : من قرأ القرآن ثم مال إلى الدنيا اتّخذ آيات الله هزأاً ولعبا ، وقال : لا يكون العالم عالما حتى يكون خير أعماله أضر عليه من ذنبه ، وقال : إياكم ولذة إقبال الناس عليكم فإنها مصيبة ، وقال : لا تفرح بما أقبل ولا تأسف على ما أدار ، وقال : التواضع ألا ترى أحداً رأيته خيراً منك ، وقال : الدنيا جيفة من أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب ، وقال : خلق الله القلوب مساكن

(١) يوسف بن أسباط الشيباني ، وتهذيب التهذيب ٤٠٧/١١ - ٤٠٨ : وميزان الاعتدال ٣٢٨/٢ : والسلمي ، ص ٣٦ : طبقات الشعراني ٥٢/١ :

فصارت مساكن للشهوات ، ولا يحيو الشهوات منها إلا خوف مزعج أو شوق مقلق ، وقال : أدركت أقواما فساقا كانوا أشد بغيانا على مرؤوتهم من قراء هذا الزمان على دينهم ، ونظر إلى رجل بيده دفتر ، فقال : تزينا بما شئتم فلن يزيدكم الله إلا اتضاعا ، وقال : اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله ، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له ، وقال : قلت لوكيع رضي الله عنه : ربي عرض لي بالليل شيء فداخلى رعب فقال : من خاف الله خاف منه كل شيء فما خفت بعدها شيئا ، وقال من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله ، وقال : انتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق فإن الدنيا ميدان السابقين ولا تغتر من أظهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف ، وقال : الزهد في الرياسة أحب من الزهد في الدنيا ، وقال : يرزق الصادق ثلاثة ، الحلاوة ، والملاحة والمهابة ، وأتى بباكورة فقبلها ووضعها بين يديه ، ثم قال : إن الدنيا لم تخلق لينظر إليها بل لينظر بها إلى الآخرة ، وقال : العلم الأكبر خشية الله ، وقال : لا تؤمرن التسويف على نفسك ولا تمسكك من قلبك فإنه محل الضلال ، وفيه تقطع الآجال ، فبادر فإنك مبادر بك ، وأسرع فإنك مسروع بك ، وجد فإن الأمر جد ، وقال : من كان طلب الفضائل أهم إليه من الذنوب فإنه مخدوع ، وربما كان خيراً أعمالنا أضر علينا من ذنبينا ، وقال : احذر القراء المتصعين والعلماء المتجررين الذين جثوا بطرق الهلكة وصدوا الناس عن سبيل الهدى ، وقال : خضعوا لما طعموا في نأائهم ، وسكتوا عما سمعوا من باطلهم ، وداهن بعضهم ببعضا ، وقال أوحى الله إلى إبراهيم : تدري لم اتخذتك خليلا ؟ لأنك تعطى الناس ولا تأخذ من أحد شيئا ، وقال : إذا رأيت الرجل قد أشر ويطر فلا تعظه ، فليس للوعظ فيه موضع ، وقال : ذهب من يؤنس به ويستراح إليه وإن علم الله منك الصدق رجوت أن يصنع لك وإن كان الصدق رفع من الأرض ، وكتب إلى حذيفة المرعشى ، رحمة الله : ما ظنك بن بقى لا يجد أحداً يذكر الله معه إلا كان آثما ، وكانت مذاكرته معصية ، وقال الغزالى ، رحمة الله ، وصدق : فإن

مخالط الناس لا ينفك عن غيبة أو سماعها وأحسن أحواله أن يفيد علما ، تأمل علم أن المستفيد إنما يريد جعل ذلك آلة لطلب الدنيا ووسيلة للشر في معينا له كبائع السيف لقاطع الطريق ، وكتب إليه أيضاً أوصيتك بتقوى والعمل بما علمك والمراقبة حيث لا يراك إلا هو والاستعداد إلى ما ليس لأحد حيلة ، ولا ينفع الندم عند نزوله فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من ر الموتى وشمر للسؤال غدا ، واعلم أنه لابد لى ولد من الوقوف بين يديه يسأل ويسألك عن وساوس الصدور والحظات العيون ، وإنه لا يجزى من العمل ولا من البذل العدة ، ولا من الفعل الصفة ، ولا من التوفى التلاوم ، وقد ص فى زمان هذه صفة أهله فمن كان كذلك فقد تعرض للمهالك ، أسندا الحديث الأعلام كسفيان الثورى رضى الله عنه وأضرابه ، مات سنة ثنتين وتسعين و وكانت جنازته حافلة بأرباب الدولة والعلماء والصوفية .

وهذا آخر الطبقة الثانية ويليها الطبقة الثالثة فيمن توفى بعد المائة إلى آخر القرن الثالث وهم ثمانية وسبعون رجلاً منهم إمامانا الشافعى ، رحم الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

الحمد لله مانح العطاء ، كاشف عن بصائر أوليائه العطاء ، ال منح أهل وده أنواع اللطائف وعمر أفتئتهم بأنواع الذكر والمعارف ، فور موارد الأوراد ، وصدروا مصادر الإسعاد والإرشاد ، والصلة والسلام على قدر دائرة الوجود ، ويحر علم الجود ، الذي أسرى به حتى جاوز السبع الطياب ، و وصحبه وتابعهم مفاتيح الأغلاق .

(وبعد) فهذه هي الطبقة الثالثة من الكواكب الدرية فيمن توفى بـ المائتين إلى آخر القرن الثالث وهم ثمانية وسبعون ، رحمهم الله .

(حرف الهمزة) إبراهيم الخواص ، إبراهيم العلوى ، إبراهيم الهروى ،
إبراهيم الخرسانى ، إبراهيم الحرى ، إبراهيم الخراز ، إبراهيم القصار ، الإمام
أحمد بن حنبل ، أحمد أبو الحسين الشورى ، أحمد بن أبي الورد ، أحمد بن
مسروق الطوسي ، أحمد بن عاصم الأنطاكي ، أحمد بن خضرويه البلاخى ، أحمد
ابن أبي الحوارى ، أحمد بن نصر الخزاعى ، أبو إبراهيم السائح ، أبو تراب
النخشبى ، أبو جعفر المحولى ، أبو بكر الهلالى ، أبو قاسم المناوى ، أبو حمزة
الخراسانى ، أبو عبد الله الدبىلى ، أبو هاشم الزاهد ، أبو شعيب البرانى ،
إسماعيل الديلمى ، أيوب الحمال ، أم هارون الشامية . (حرف الباء) بشر
الحافظى ، بقى بن مخلد ، بهلول المجنون ، (حرف الجيم) أبو القاسم الجنيد ،
جبلة الدقى ، (حرف الحاء) الحارث المحاسبى ، حاتم الأصم ، حمدون
القصار ، حبيب العجمى ، الحسن الفلاس ، (حرف الحاء) خير النساج ،
(حرف الذال) ذو النون المصرى ، (حرف الزاي) زهراء الوالهة ، (حرف
السين) السرى السقطى ، سعيد الجبرى سعيد النباجى ، سعيد الرازى ، سمنون
الخواص ، سهل التسترى ، سهل الفرحان ، (حرف الشين) شقران المغرى ،
(حرف الطاء) طيفور أبو يزيد البسطامى ، الطيب الذهلى ، (حرف العين)
عبد الرحمن أبو سليمان الدارانى ، عبد الله بن حسن الكوفى ، عبد الله المداد ،
على بن الموفق وعلى بن موسى الرضى ، على بن سهل الأزهر ، على بن الصائغ
الدينورى ، عمر أبو حفص النيسابورى ، عمرو بن عثمان المكى ، (حرف الفاء)
فتح أبو نصر الكشى ، فاطمة النيسابورية ، (حرف القاف) القاسم بن عثمان
المجوعى ، (حرف الميم) محمد بن أبي الورد ، محمد البغدادى ، محمد بن
خمس ، محمد بن أسلم الطوسي ، محمد بن منصور الطوسي ، الإمام الشافعى ،
محمد المغرى ، محمد القنطرى ، محمد بن يوسف البناء ، محمد بن المبارك
الصوري ، مضاء الشامي ، معروف الكرخى ، مشاد الدينورى ، منصور بن عمار ،
(حرف النون) نفيسة السيدة بنت الحسن (حرف الياء) يحيى بن معاذ الرازى .

حرف الهمزة

(٢٠٦) إبراهيم بن أحمد الخواص^(١)

المشهور بين العام والخاص ، أوحد مشايخ وقته ، وأجل أصحاب التوكل في سنته ، وهو من أقران العارف الجنيد ، رضي الله عنه . عارف كثرت فوائده ، وحسن أخلاقه ومقاصده وانتفع به الطلاب ، وارتفع قدره بين ذوي الألباب ، وله في التوكل الحال المشهور ، والذكر المنشور ، والرياضة التامة ، والسياحة العامة ، قال الغزالى رحمة الله : كان لا يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما ، وكان رأسا في التوكل يرى الإقامة اعتماداً على الأسبابقادحة في التوكل ، قال : وكانت عادته أن يخوض مع المريد في كل رياضة ، والقوى إذا استغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهها بهم ، وتلطفا في سياقهم إلى السعادة ، وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء انتهى ، وكان يوما في السياحة وإذا بعرفت صفعه فرفع رأسه إلى السماء وقال : هكذا يفعل عن عيشى في خفارتك فاستقبله ملك برأس العفريت ، وقال المخطيب ، رضي الله عنه : له كتب مصنفة .

(ومن فوائده) : من لم يصبر لم يظفر ، وعقوبة القلوب أشد العقوبات ، ومقامها أعلى المقامات ، وذكراها أشرف الأذكار ، ويدركها تستجلب الأنوار ، وعليها وقع الخطاب ، وهي المخصوصة بالتنبيه والعتاب ، وقال : من أراد الله لله بذل له نفسه فأدناه من قريبه ، ومن أراده لنفسه أشبعه من جنانه وأرداه له رضوانه ، وقال : الناس رجالن حر وعبد ، فالحر مهموم بتدبیر نفسه ، ومعتوب بالسعى في مصلحته ، والعبد طرح نفسه في ظل الريوية ، والمتوكلون الواشقون

(١) حلية الأولياء ٤/٣٢٥ : وصفة الصفة ٤/٨٠ : والرسالة القشيرية ص ٣١ : وطبقات الشعراني ١/٢٨ : وتاريخ بغداد ٦/٧ : والسلمي ص ٢٨٤ : والنبهانى ١/٢٣٣ ، والأعلام للزرکلى ١/٢٨

بضمانيه غابوا عن الأوهام وعيون الناظرين ، فعظم خطر ما أوصلهم إليه ، وجل
قدر ما حملهم عليه ، وعظمت منزتهم لديه ، فيما طيب عيش له لو عقل ، وبا
لذة وصل لو كشف ، وبا رفعة قدر لو وصف ، وكان عامة مناجاته إلى الصباح .

برح الخفاءِ وفى التلاقي راحهُ * هلْ يشْتَفِى خلُّ بغيرِ خليلهِ
وتاؤه فقيل له : ما هذا التاؤه ؟ فقال : كيف يفلح من يسره ما يضره !!
وأنشد .

تعودت مسَ الضُّرَّ حتى أفتُهُ وأحوجني طول البلاء إلى الصبرِ
وقطعتُ أطماعي من الناس آيساً لعلمي بصنع اللهِ من حيث لا أدرى
وقال : انتهيت إلى رجل صرעה الشيطان فجعلت أؤذن في أذنه فناداني
الشيطان من جوفه : دعني أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق ؛ وقال : جمعت في
البادية شديداً فاستقبلنى أغрабى فقال الدعوى تهتك ستر المدعىين فما لك
والتوكل ؟ وقال رأيت بطريق الشام شاباً حسن المراعاة فقال : هل لك في
الصحبة ؟ ، قلت : إنني أجوع ، قال أجوع معك ، فبقينا أربعة أيام ففتح علينا
 بشيء فقلت : هلم قال : عقدت أن لا آخذ بواسطة ؛ قلت : دققت ، قال :
 لا تبهرج فإن الناقد بصير ، مالك والتوكل أقله أن ترد عليك موارد الفاقات ،
 فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات ، وقال : العالم من عمل بعمله وإن
قل ، وقال : بقدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه من عزه ويقيم له العز في قلوب
الناس ، وقال : شرط الفقر استواء أوقاته في الانبساط ، وقال : شيطان عزيزان
عالم يعمل بعلمه ومريد لا طمع عنده ، وقال : لقيت الخضر عليه السلام ببادية
فسألني الصحبة فخفت أن يفسد على توكل بالسكون له ففارقته ، وقال :
المفكرة والمكاثرة ينعمان الراحة ، والعجب يمنع معرفة عيوب النفس ، والتكبر يمنع
معرفة الصواب ، والبخل يمنع الورع ، وقال : من ذم الدنيا علانية واعتنقها سراً
تحمل مقته ، وقال : الهاك من ضل أواخر عمره حين قارب المنون ، وقال : أعظم

ما يؤتى على المریدین قلة الوفاء بالعهد ، وقال : التسلیم أن تعلم أنه تعالى أشفق عليك من نفسك ، وقال : أشد ما يعذب الله به عباده مفارقة حضرته ، وقال : اجتمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء ، وقال لا تطمع في لين القلب مع فضول الكلام ، ولا في حب الله مع حب المال والشره ، ولا في الأنس بالله مع الأنس بالملحقين ، وقال :رأيت الحضر عليه السلام فقلت له : بماذا رأيتك ؟ قال : ببرك لأمك ، وقال : دواء القلب خمسة قراءة القرآن بالتدبیر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقال المحبة : محو الإرادات ، واحتراق جميع الصفات وال حاجات ، وقال : آفة المؤمن ثلاثة حب الدنيا وحب النساء وحب الرياستة ، وقال : اذا تحرك عبد لإزالة منكر فحالت دونه موانع فاما ذاك لفساد العقد بينه وبين الله ، وقال : من شرب من كأس حب الرياستة خرج من إخلاص العبودية ، وقال : سلكت في البداية إلى مكة سبعة عشر طريقة منها طريق من ذهب وطريق من فضة ، وقال : نمت في البداية على حجر فإذا بشيطان جاء وقال : قم من هنا ، وقلت : اذهب ، قال : إنى أرفسك فتهلك ، قلت : افعل فرفسني فوقيعت رجله على كأنها خرقه ، فقال : أنت ولی الله من أنت ؟ قلت : الخواص قال : يا إبراهيم معى حلال وحرام أما الحلال فرمان من الجبل الغلاني وأما الحرام فحيتان من البحر مررت على صيادين فتخاونا الخيانة فكل الحلال ودع الحرام ، وقال : طلبت العاش لأكل الحلال فاصطدمت السمك في يوماً وقع بالشبكة سمكة فآخر جتما وطرح الشبكة قوقيع أخرى ، فهتف بي هاتف لم تجد معاشا إلا أن تأتى من يذكرنا فقتلته !! فقطعت الشبكة وتركت الأصطياد ، وقال : دخلت في سيا حتى موضعأ فإذا بسبع عظيم فخفته فهتف بي هاتف : اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك ، ولقيه في سياحته رجل فوجده وحده فطماع أن يسلبه ثوبه فجاءه وقال : انزع ما عليك فقال له : مر في حفظ الله فقال : الثانية والثالثة فقال : لابد ؟ قال : لابد . قال : لابد ، فأشار بأصبعيه إلى عينيه

فسقطتا فوراً وسئل ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ويجد في سماعه ، فقال : إن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبه وعظمته ، وسماع القول ترويع فيتحرك فيه ، وقال : دخلت البادية فوجدت نصراانيا في وسطه زنار فسألني الصحبة فمشينا سبعة أيام قال : يا راهب الخنيفية هات كرامة ما عندك فقد جعنا ، فقلت : إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر ، وإذا بطبق عليه خبز وشواء ورطب ، وكوز ماء فمشينا سبعة أيام وقلت له : يا راهب النصرانية انتهت النوبة فهات ما عندك فاتكا على عصاه ودعا فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما على طبقي فتحيرت ولم آكل منه فألح على فلم أجبه قال كل فإني مبشرك ببشارتين أنى قد أسلمت وحل الزنار وقد قلت : اللهم إن كان لهذا العبد خطر وهو على الحق فافتح على ففتح بهذا ومكث خادمه حامد الأسود معه سبعة أيام في البادية فضعف قوته وجلس فالتفت إليه وقال : أيها أحب إليك الماء أو الطعام ؟ قال : الماء ، قال : هو وراءك فالتفت إليه فإذا بحر كاللبن فشرب وتظهر ولم يقرئه الشيخ فأراد أن يحمل منه فزجره الشيخ وقال : ليس هذا مما يتزود منه ، وقال : ركب البحر وفي المركب يهودي لم أره يتحرك ولا يأكل من مكانه ولا يتظاهر ولا يستغل بشيء وهو ملتف بعباءة فكلمته فوجدته متجرداً متوكلاً يتكلم بأحسن كلام ، وبأئمي بأكمل بيان ، فأنس بي وقال : يا أبو إسحاق إن كنت صادقاً في دعواك التوكل فالبحر بيننا حتى نعبر الساحل وكنا في اللع فقلت : قم فزج نفسه في البحر ورمي بنفسه خلفه فعبرنا الساحل فقال نصطحب على شرط أن لا نأوي المساجد ولا البيع ولا الكنائس ، فقلت : لك ذلك ، فأتينا مدينة فأقمنا على مزيلة ثلاثة أيام في الثالث أتاه كلب وفي فمه رغيفان فطرحهما له وانصرف ، فأكل ثم أتاني شاب حسن الوجه ظريف طيب الريح بطعام نظيف فوضعه وقال : كل وغاب عننا فأسلم اليهودي وقال : يا إبراهيم طريقنا صحيح لكن الذي لكم أحسن وأملح ، وحسن إسلامه وصار من أصحابنا المتصفين بالتصوف كذا ذكر هذه الحكاية عنه جماعة ، وقوله : طريقنا

صحيح غير صحيح ، ونظير هذه الحكاية ما ذكره الشيخ ابن حجر الهيثمي^(١)
 رحمة الله أن الكفر قد يصحبه نور باطنى ينشأ عن الرياضة والأجتهاد فى
 السلوك قال : ألا ترى أن يهوديا قدم مصر فكان لانكشاف الكون يتحدث
 بالغيبات حتى كاد أن يفتن أهلها فتلطف به بعضهم حتى قال له : ما سبب
 ذلك ؟ قال : سببه أنى لازمت الرياضة التامة وخالفت نفسي في كل شيء حدثتني
 به ، فآل أمرى إلى ما ترى . قال : له أعرض عليها الإسلام . قال قد أبت . قال
 خالفها ، فتأمل ساعة ثم أسلم فهذا بتمام الرياضة ومخالفة النفس تنور باطنها
 حتى صار إذا وجه همته إلى شيء لم يحجب عنه . ولنرجع إلى كلام الخواص رضي
 الله عنه ، وقال إن لإبليس وشاقين ماؤثق بنى آدم بأوثق منهما خوف الفقر
 والطمع ، وقال : الحكمة تنزل من السماء فلا تسكن قلباً فيه أربعة الركون إلى
 الدنيا . وهم غد . وحب الفضول ، وحسد أخي ، وقال : لا يكمل فقير حتى يكون
 نظر الله إليه في المنع أفضل من نظره له في العطاء . وعلامة صدقه فيه أن يجد
 للمنع من الحلاوة مالا يجد للعطاء . فلا يرى سوى مليكه ولا يملك إلا ما كان من
 مليكه . وقال : من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له ، وقال : الورع إلا
 يتكلم العبد إلا بالحق غصب أو رضي ، وقال : العلم كله في كلمتين لا تتتكلف
 ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت ، وقال : عطشت لما تهت بطريق الحجاز فإذا
 بفارس عليه ثياب خضر وعمامة صفراء وبيده قدر أظنه من ذهب أو جوهر
 فسقاني وأردفني خلفه ثم قال : هذا نخل المدينة أقرئ صاحبها السلام وقل له :
 أخوك الخضر يسلم عليك ، ومكث سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من
 الله تعالى وحيرة بما وجد . كان رضي الله عنه يقبض على حيته ويقول :

هذا ولهي وكم كتمنت الولها صوناً لحديثٍ من هو النفس لها
 يا آخرُ محنتي ويا أولئها أيامُ عنای فیک ما اطولها
 وجاءته امرأة فبشركت تغيراً وجدهه في قلبها وحالها ، فقال : عليك

(١) ابن حجر المكي الهيثمي ، المتوفى سنة ٩٧٤ هـ .

بالتفقد ، فقالت : تفقدت فما رأيت شيئاً قال : أتذكرين ليلة المشعل . فهذا التغيير منه . فبكت وقالت : نعم كنت أغزل فمر مشعل السلطان فغزلت فيه خيطاً ونسجت من المغزل قميصاً فلبسته ، ثم نزعته فتهدلت به فعاد صفاء قلبها ، واضطجع يوماً بالبادية ومعه رفيقه فجاءته السبع فأحاطوا به فلم يبال بها ففر صاحبه وصعد شجرة وبات الليلة الثالثة فسقطت بعوضة على يديه فجزع . وتالم فقال له صاحبه : ما جزعت من الأسد وجزعت من بعوضة ؟ !! قال : كان نزل في القلب البارحة سلطان الجلال فبقوته لم أبال بجميع الملكوت . والآن غاب فظهر العجز ، ومن شعره :

صبرتُ على بعضِ الأذى خوفَ كلهِ .. ودافعتُ عن نفسِي فقرتِ
وجرعْتها المكروهَ حتى تدرتِ ولو جرعتهُ جملةً لا شمازَتِ
ألا ربُّ ذلٍّ ساقَ للنفسِ عزَّهُ .. ويا ربَّ نفسِي بالتلذلِ عزَّتِ
ولم يزل على حالته هذه حتى فقد الوجود ، وترك العيون عليه بالدموع
تجود ، سنة إحدى وستين أو أربع وثمانين ومائتين ، مرض بالري لقلة القيام ،
وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود فيصل إلى ركعتين فقام ليغتسل فخرجت
روحه في وسط الماء ، رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به .

(٢٠٧) إبراهيم بن سعد العلوى

العايد الزاهد من أهل بغداد ، ثم انتقل عنها إلى الشام . وكان حسنياً
يقال له : الشريف الزاهد ، وكان يقصد بالزيارة ، ويؤم لحسن التربية والسفارة ،
وتلتمس بركاته وتستدعي دعواته ، ومقالاته ترشد إلى طريق الهدى ولله مقامات
وأحوال خارقة وكرامات باهرة .

(منها) أنه كان إذا صلى بسط رداءه على البحر ووقف عليه وصلى

على الماء ، وقال أبو الحارث الأولاسي خرجت من حصن أولاًس أريد البحر فقال بعض إخوانى : هيأت لك عجة فقعدت وأكلت معه ونزلت الساحل فإذا إبراهيم العلوى رضى الله عنه قائما يصلى على الماء ، فقلت فى نفسي : إن قال لى : امش معى على الماء لأمشين معه فما استحکم الخاطر حتى سلم ثم قال لى ذلك ، فقلت : نعم فذهبت أمشى فغاصت رجلى ، فقال : يا أبو الحارث العجة أخذت رجلك ، وكان لا يأكل إلا فى كل ثلاثة أيام سفة خربوب ، ولقيته امرأة وقد سخر جندي حماراً لها فاستغاثت به فكلمه العلوى فلم يفده . فدعى عليه فخر الجندي والحمار والمرأة ، ثم أفاق الحمار ، ثم مات الجندي .

(ومن كلامه) : عليك بالرمال والتخلى فى بطون الجبال ووار نفسك ما أمكنك . حتى يشغلك بذكره عن ذكر سواه . وعليك بالنقلة من الدنيا ما تستطع حتى يأتيك اليقين ، وقال : إذا نزل بك أمر من الله تعالى فاستعمل الرضى فإن الله مطلع عليك يعلم ما فى ضميرك فإن رضيت فلك الشواب وأنت فى رضاك وسخطك لا تقدر أن تزيد فى الرزق المقسم والأمر المكتوب فإن لم تجد إلى الرضى سبيلا فاستعمل الصبر ، فإنه رأس الأيان ، فإن لم تجد فعليك بالتحمل فإذا اضطربت وقل صيرك فالجا إلى بهمك . واشك إليه بشك واحذر أن تستبطئه أو تسئ به ظنا فإن كل شيء بسبب ولكل سبب أجل ، ولكل أجل كتاب . ولكل هم من الله فرج . ومن علم أنه بعين الله استحينا أن يراه يرجو سواه ، ومن أيقن بنظر الله إليه أسقط اختيار نفسه . ومن علم أن الله الضار النافع أسقط مخاوف المخلوق من قلبه ، فراقب الله فى قربه . واطلب الأمر من معده ، واحذر أن تعتمد على مخلوق أو تعلق قلبك به تعليق خوف أو رجاء . أو تفشي إليه سرا . أو تشكو إليه شيئا . أو تعتمد على إخائه أو تستريح إليه استراحة فيها شكوى بث ؛ فإن غنيهم فقير فى غناه ، وفقيرهم ذليل فى فقره . وعالبهم جاهل فى علمه ، فاجر فى فعله . إلا القليل من عصم الله ، وقال : اتق الفاجر من العلماء والجاهل من العباد فإنهم فتننة إلى كل مفتون . وقال : احفظ

حدود الله وارحم خلقه ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

(٢٠٨) إبراهيم المروي المعروف بستبة^(١)

من أقران أبي يزيد صحب ابن أدهم رضى الله عنه وغيره ، وهو من المذكورين بالتوكل والتجرد الكبير ، أقام في البداية مدة طويلة لا يأكل ولا يشرب ولا يستهنى شيئاً ، فحدثته نفسه بأن له مع الله رتبة فلم يشعر حتى كلمه رجل عن يمينه ، فقال : يا إبراهيم ترأسي الله في سرك ، !! لى ثمانون يوماً لم آكل ولم أشرب ولم أشته شيئاً وأنا زمن مطروح وأنا أستحي من الله أن يقع لي خاطرك . ولو أقسمت على الله أن يجعل لي هذا الشجر ذها لفعل .

(ومن كلامه) طريق الجنة ثلاثة أشياء سكون القلب لوعود الله . والرضا بالقضاء . وإخلاص العمل في جميع التوافل . وقال : من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختبر سبعاً على سبع^(٢) ، فإن الأولياء اختاروها فبلغوا سلام الأمر . الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح وقال : من أصحاب هذه الثلاثة أصحاب الشرف في الدارين أولها فتح القلب يعني يفتح الله قلبه فيجعله مأوى الذكر . والثاني غنية البر فكل رزقه الله إياه يقبله بالمنة . ويحفظه بالخوف ويتهمه بالخشية والصبر . والثالث يجد الظفر على عدوه فيستقيم على الطاعة . مات بقزوين^(٣) .

(١) تاريخ بغداد ١٢٠/٦ : السلسلي ص ٧١ ; والشعراني ، ٥٥/١ .

(٢) الأصح « ستة على ست » كما ورد بذلك .

(٣) مدينة مشهورة بينها وبين الرئيسيّة سبعة وعشرون فرسخاً ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ٣٤٢/٤ - ٣٤٤ .

(٢٠٩) إبراهيم بن علي الخراساني^(١)

صاحب المخوارق القاطعة ، والكرامات الساطعة ، لزم الجد والاجتهاد
 في خدمة رب العباد . ما يوصله إلى دار الخلود . ولبس من أثواب الشواب ما
 يرفل به في منازل السعود . قال إبراهيم الخواص : نزلت إلى دجلة وكان الماء مدا
 والريح تلعب بالموج فرأيت رجلا بين الموج يمشي على الماء فسجدت وجعلت بيني
 وبين الله لا أرفع رأسى حتى أعلم من الرجل فلم أطل السجود حتى حركتني وقال
 قم ولا تعاود أنا إبراهيم الخراساني . وقال : احتجت يوما إلى الوضوء فإذا أنا
 بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك .
 وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرف ، وقال : بينما أنا في سياحتي وبقيت أياما
 لم أر أحداً من الناس ولا طائرا ولا ذا روح وكنت مستقلأ بلا طعام ، ولا شراب
 فوقع في نفسي أننى في معين فخرج على شخص مع الخاطر لا أدرى من أين
 خرج ، فقال : يا إبراهيم ذلك المرائي تعرفه ؟ فقلت : أنا هو . وكان بجانبى
 شجرة فقال : قل للشجرة تحمل دنانير فقلت لها : أحملنى فإذا بشماريخ دنانير
 معلقة فاشتغلت أنظر إليها ثم إلتفت فلم أره . وقال : بينما أنا في يوم صائف إذ
 عدلت إلى مغارة فدخلتها فما لبست أن دخل على ثعبان كأنه نحلة فجعل ينظر
 إلى فقلت لعلى رزق له فخرج ثم أقبل إلى وفي فيه رغيف حوارى قد ذهب بعضه
 فوضعه عندي ورجع فتطوّق بباب المغارة فأكلت الرغيف ، فلما برد النهار خرجت
 فسرت فلقيت رفقة فقالوا : من أين ؟ قلت : من هذا المغار قالوا : هل رأيت ما
 رأينا ؟ قلت : ما هو ؟ قالوا : اعترضنا ثعبان وقام على ذنبه ونفخ فقلنا : لعله
 جائع فرمينا له رغيفا فأخذه ومضى .

(١) تاريخ بغداد ٤٧/٦ : والسلمي ص ٢٩ : والنبهانى ٢٣٥/١ ، وطبقات الشعرانى ٨٨/١ .

ال القوم فى كل فن من علومهم وأحسنهم كلا ما خلا الجنيد ، فإنه الأمام الأكبير ، ولذلك كان الطرسوسى وغيره يقولون الخراز قمر الصوفية فأفاد أن أمثلهم مطلقا الجنيد ثم الخراز فذاك الشمس وهذا القمر . وكان عظيم المراقبة جاءه فى بادية الموصى أسدان من ورائه فلم يلتفت فقربا منه وتعلقا به وحسا خديه ونزل عنه . وهو لا يعبأ بهما ، ودخل بادية مرة بغير زاد فأصابته فاقفة فرأى قافلة من بعد فسر بوصوله ثم تفكر أنه اتكل على غير الله وسكن إلى الخلق فأقسم أنه لا يدخلها إلا محمولا فحفر له فى الرمل إلى صدره ووارى جسده فيه فسمعوا صوتا فى الليل إن لله ولها حبس نفسه فى الرمل فالحقوه ، فلتحقوه فجاءوه فأخرجوه وحملوه إلى القرية .

(ومن فوائده) : جعل الله العلم دليلا عليه ليعرف ، وجعل الحلم رحمة منه على عباده ، فالعلم دليل عليه والمعرفة دال . وقال : للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأشياء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية وعبارة أزلية أى لأنهم ينطقون بالله كما قال فى الحديث القدسى « فبى يسمع وبى ينطق » وهو العلم اللدنى الذى أوتىءه الخضر ، وقال : المعرفة تأتى إلى القلب من عين الوجود وبذل المجهود والذين جاهدوا فيما لنھدينهم سبلنا ، وقال : علامه الفنان ذهاب الحظ من الدارين ، وقال : لا يكون شريفا أبداً من لا يسكن جوشه إلا بالغذاء ، فإذا صارت الأذكار هى الغذاء فقد حصل الشرف الأعلى ، ومحى الوصف الأدنى ، وقال : ليس فى طبع المؤمن قول لا ، وقال : ليكن فرحك عند العطاء بالمعطى سبحانه لا بالعطاء . وتنعمك بالنعم لا بالنعمة ، وقال : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، وقال : من أدعى أنه مغلوب فى السماع فعلامته الصحيحة ألا يبقى فى ذلك المجلس محق إلا أنس به ولا مبطل إلا استوحش منه ، وقال : من ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو متعن . ومن ظن أنه بغير بذل يصل فهو متمن ، وقال الغزالى ، وقال الخراز لابن له عند موته : يا بنى عظنى ، قال لا تخالف الله فيما يريد ، قال : زدنى ، قال : لا تطيق ذلك ،

(٢١٠) إبراهيم بن بشير الغربي^(١)

براء قبلها حاء مهملة نسبة لقرية من قرى بغداد اسمها حرية وأصله من مرو ولد سنة ثمان وتسعين ومائة . وصار إماماً في العلم رأساً في الزهد ، عارفاً بالفقه ، بصيراً بالأحكام حافظاً للحديث ، عارفاً بالعلل والرجال ، قائماً بالأدب جاماً للغة ، له التصانيف المفيدة في علوم عديدة ، وكان مطبوعاً على الزهد أقام ثلاثة سنين ينقوش كل يوم برغيف . وكانت نفقته في الشهر نحو درهمين . وأرسل له المعتصم بعشرة آلاف فرد لها فعاد الرسول إليه وقال فرقها لجيرانك ، فقال : قل لأمير المؤمنين : هذا مال لم نشتغل بجمعه فلا نشتغل بتفرقته ، فقال لا بد فقال : إن تركنا وإلا تحولنا عن جواره .

(ومن فوائد) أجمع عقلاً كل أمة على أنه من لم يجر مع القدر لم يتهن له عيش . مات سنة خمس وثمانين ومائتين .

(٢١١) إبراهيم بن عيسى^(٢)

وقيل : أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز البغدادي شيخ الطائفة المجاهد المراقب ، عارف يضرب به المثل . خبير بالأدواء بصير بالعلل . ناصر للتصوف وأهله . قائم برفع منار الذكر وجمع شمله ، قال الخطيب : كان أحد المشهورين باللورع والمراقبة وحسن الرعاية وحدث يسيراً ، صحب السقطى وهذا النون وغيرهما ، قال الجنيد : لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا ، أقام كذا سنة ما فاته ذكر الحق تعالى بين الخرزتين ، وقال السلمي : الخراز إمام

(١) تاريخ بغداد ٢٧/٦ - ٤٠ : والشذرات ١٩٠/٢ : والسلمي ص ٤٦ .

(٢) حلية الأولياء ٢٤٦/١ - ٢٤٩ : وصفة الصفوة ٢/٢٤٥ - ٢٤٧ : والرسالة القشيرية ٢٩ : والباب ٢٥١/١ : وتاريخ بغداد ٤/٢٧٦ - ٢٧٨ : والبداية والنهاية ١١/٥٨ : والمقطم ٥/١٠٥ : ومرآة الجنان ٢/٢١٣ : وطبقات الشعراوي ١/١١٧ : والشذرات ٢/١٩٢ - ١٩٣ : والسلمي ٢٢٨ .

قال : قل ، قال : لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما ليس قميصا ثلثين سنة .
وقال إذا بكت أعين الحائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم ، وقال : العافية ستزت البر والفاجر . وقال : إذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال . وقال : كان لى معلم يعلمني الخوف من الله ، فقال يوما : إنى معلمك خوفا يجمع كل شئ مراقبة الله فى كل حال ، وقال : رأيت إبليس فى النوم يرعنى وينذهب ناحية قلت : تعال إيش أعمل بكم طرحتم عن أنفسكم ما أخادع به الناس . قلت : ما هو ؟ قال : الدنيا . وقال : إن الله عجل لأرواح أوليائه التلذذ بدوام ذكره والوصول لقربه وعجل لأبدانهم عظيم النعمة مما نالوه من عبادته . وقال : الأنس استبشر القلوب بذكر مولاه وسرورها به وسيرها إليه وأمنها معه . وقال فى معنى الحديث : جبت القلوب على حب من أحسن إليها ، واعجباه لمن يرى محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته وقال : كل باطن يخالف ظاهر العلم فهو باطل ؛ لأن الله أن جعل العلم طريقا إليه ليعرف . وقال : المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شئ ولا يتسللى عنه بشئ ويتابع آثاره ولا يدع استخباره ، وقال : إذا أراد الله أن يوالى عبدا فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ بالذكر فتح عليه بابقرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم رفع عنه الحجب ثم أدخله دار الفردانية وكشف له حجاب العظمة والجلال فبقى بلا هو فصار زمانا فانياً فوقع فى حفظه سبحانه ، وقال كنت فى سفر وكان يظهر لي كل ثلاثة أيام شئ آكله وأستقل به فمضى ثلاث لم يظهر لي شئ فضعفت وقعدت فهتف بي هاتف أيا أحب إليك أن تعطى ؟ قوة أو سببا ؟ قلت : قوة فقمت فورا ومشيت نحو اثنى عشر يوما لم أرزق شيئا ولم أضعف ، وقال : كنت ببادية ، فجعت شديداً فغلبتني نفسي أن أسأله صبراً ، فسمعت هاتفا يقول .

ويزعم أنه منا قريب وأنا لا نضيع من أتنا
ويسألنا القوى جهدا وصبرا كأننا لا نراه ولا يرانا

الكلاب فطردهم عنى ولم يفارقني حتى بعثت عنها ، وقال : رأيت ، المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قلت : اعذرني ، فإن محبة الله شغلتنى عن محبتك ، فقال : يامبارك من أحب الله فقد أحبنى . مات سنة سبع وسبعين ، ومائتين وقيل غير ذلك ، ولما احتضر كان كثير التواجد عند الموت فقيل : ذلك للجنيد فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقا .

(١٢) إبراهيم بن داود أبو إسحاق

القصار الرقى . كان من أكابر القوم وسادات الصوفية من أقران الجنيد وابن الجلاء عمر وصاحب أكثر صوفية الشام . وجده واجتهد ورحل إلى البلاد وقطع ليل التحصيل بالشهاد ، وأخذ عن كثير من المشايخ ؛ وتعلق من هذا الشأن بالطود الشامخ .

(ومن كلامه) المعرفة إثبات الرب خارجا عن كل موهم ، وقال : الأ بصار قوية والبصائر ضعيفة ، ومن اكتفى بغير الكافي افتقر من حيث استغنى ، وقال : الكفاية تصل إليك بلا تعب . والشغل والتعب في الفضول ؛ وقال : أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته وأقواهم من قوى على ردها ، وقال : قيمة كل إنسان بقدر همته ، فمن همته الدنيا فلا قيمة له ، ومن همته رضا الله فلا يمكن إدراك غاية قيمته ، وكان ملازما للفقر متجردا فيه محبة لأهله ، مات سنة ست وعشرين ومائتين .

(١) حلبة الأولياء ١٠ / ٣٥٤ : وصفة الصفة ٤ / ١٦٩ : والرسالة القشيرية ٣٢ : وغاية النهاية ١٤ / ١
وطبقات الشعراوي ١١٩ / ١ : والسلمي ص ٣١٩ - ٣٢١ .

فأخذنى الاستقلال فقمت ومشيت . وقال : النفس كما واقف طاهر صاف فإذا حركته ظهر ما تحته من الحمأة والتغير ، وكذا النفس عند المحن والفاقة والمخالففة ، وقال : رأيت فقيراً بالمسجد الحرام وعليه خرقتان ، فقلت : في سرى هذا وشبهه كل على الناس ، فناداني واعلمسوا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، فاستغفرت الله في سرى فنادنى وهو الذي يقبل التوبية عن عباده ثم غاب عنى فلم أره وقيل له : بم عرفت الله ؟ قال : بجمعه بين الضدين أى في صنعه ثم تلا « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » وقال : إذا غرقت العقول في الأذكار ضعفت النفوس ، وقال : كنت بمكة فجزت على باب بنى شيبة فرأيت شاباً حسناً ميتاً فنظرت في وجهه فتبسم وقال : يا أبا سعيد ، أما علمت أن الأخيار أحيا وإن ماتوا . وإنما ينقلون من دار إلى دار ؟ وقال : من لم يعرف نفسه كيف يعرف ربه ، وسمع الناس يقولون يوم عيد : تقبل الله منا ومنكم . فقال : هذه غفلة وقلة رعاية ، كيف يقول الرجل ذلك ولا يدرى أعمله مرضى أم لا وإنما اللائق سؤال العفو والتجاوز عن التقصير اللازم ، ولا أبلغ في طلب العفو من الإقرار بالعجز والذلة والافتقار مع بذل الجهد في الاخلاص ، وقال من شهد صنع الريوبوبية في إقامة العبودية فقد انقطع إلى ربه وحينئذ يسلم من الاستدراج ، وقال : الزهد أن لا يرغب قلبك في مقصود الدنيا ولا يسكن لوجودها . وقال : إذا أراد الله موalaة عبد فتح عليه باب ذكره ثم قريره ثم رفعه لمجالس الأنس ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم سواه على عرش الصفا ، ثم حجب عنه حجب النفس والهوى ثم دخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا شاهد ذلك فنى عن نفسه وحينئذ يرفع في حفظ الله وكلاءه وقال : حقيقة المحبة تقطيع الفؤاد وتشتيت المراد ولو لطف الله بعده موسى أصابه أعظم ما أصاب الجبل حال التجلى ، وقال : المحبة أن لا ترى الإحسان إلا من محبوبك ولا تطيع إلا مطلوبك ، وقال : كنت بالصحراء فإذا نحو عشرة كلاب من كلاب الرعاة شدوا على فلما قربوا مني جعلت أستعمل المراقبة فخرج من بينهم كلب فحمل على

(١) **أحمد بن محمد بن حنبل** (٢١٣)

الإمام الباجل ، والهمام المفضل ، علم الزهاد وعلم النقاد ، امتحن فكان في المحنـة صبوراً ، واجتبـى فـكان للنعمـة شـكوراً ، عـرضت عـلـيـه الدـنيـا فـأبـاـها ، والبدـع فـنـفـاـها ، وـكـان لـلـحـلـم وـالـعـلـم وـاعـيا ، ولـلـفـهـم وـالـذـكـر رـاعـيا ، وقد قـيل : إن التـصـوـف التـحلـى بـالـأـثـار وـالـتـخـلـى بـعـنـ الـأـكـدـار ، وقد تـرـجـمـه بـعـضـ أـرـيـابـ المعـانـى ، فـقـالـ : هو الصـدـيقـ الشـانـىـ الرـوـزـىـ ثـمـ الـبـغـادـىـ ، الصـابـرـ عـلـىـ الـمـحـنـةـ النـاصـرـ لـلـسـنـةـ ، شـيخـ الـعـصـابـةـ وـمـقـتـدـىـ الطـائـفـةـ إـمـامـ الدـنيـاـ ، وـلـدـ سـنـةـ أـرـبعـ وـسـتـينـ وـمـائـةـ بـبـغـادـ وـتـفـقـهـ عـلـىـ الشـافـعـىـ وـأـخـذـ الـحـدـيـثـ عـنـ عـبـدـ الـراـزـقـ وـيـزـيدـ بـنـ هـارـونـ وـمـنـ عـدـدـ لـاـ يـحـصـىـ . وـعـنـهـ الـبـخـارـىـ وـمـسـلـمـ وـأـبـوـ دـاـوـدـ وـلـمـ خـرـجـ الشـافـعـىـ مـنـ بـغـادـ قـالـ : مـاـخـلـفـتـ بـهـ أـفـقـهـ وـلـأـرـوـعـ وـلـأـزـهـدـ وـلـأـعـلـمـ مـنـهـ ، وـكـانـ يـحـفـظـ أـلـفـ أـلـفـ حـدـيـثـ وـقـيلـ لـابـنـ الـمـارـكـ : تـضـمـ أـحـمـدـ إـلـىـ أـحـدـ التـابـعـيـنـ ؟ـ قـالـ : إـلـىـ كـبـارـهـ ، وـقـدـ صـارـتـ بـزـهـدـهـ وـورـعـهـ وـتـقـلـلـهـ مـنـ الدـنـيـاـ الرـكـبـانـ وـاتـفـقـ عـلـيـهـ الـأـعـيـانـ .

(ومن فوائد) رأيت رب العزة في المنام ، فقلت له : بم يقترب إليك المقربون ؟ (قال : بكلامى) قلت : بفهم ، وبغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم ، وكان مجلسه خاصا بالحديث وأمور الآخرة لا يذكر فيها شيئا من شؤون الدنيا إلا لضرورة ، وكان أكثر إدامه الخل ، وإذا اشتهر الطعام طبخوا له عدسا وشحاما في فخاره ، وكان يحيى الليل كله ويميل إلى العزلة ويؤثرها حتى كان لا يرى إلا بالمسجد أو جنازة أو عيادة مريض ، ووحى خمس حجات ثلاثة منها ماشيا ، وألف مسند وهو أصل من أصول هذه الأمة . ورأى الشافعى في النوم المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال له : اكتب إلى أبي عبد الله فاقرأ عليه السلام وقل له : ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجيئهم ، فيرفع الله لك علمًا إلى يوم القيمة ، فكتب إليه بذلك كتابا وجهزه مع الرياح ، فلما وصله الكتاب قال له

(١) حلية الأولياء ١٦١/٩ : وصفة الصفوة ١٩٠/٢ : وابن عساكر ٢٨/٢ : والوفيات ١٧/١ : و تاريخ بغداد ٤١٢/٤ : والبداية والنهاية ١٠ / ٣٤٣ - ٣٢٥ : وطبقات الشعراني ٤٦ / ١ : والشذرات ٩٦/٢ - ٩٨ .

الربيع البشارة ، فخلع أحمد قميصه فأعطيه إيه ؟ فلما عاد للشافعى قال :
ما أعطاك ؟ قال : قميصه ، قال : لانفعك فيه لكن أغسله وادفع الماء لأنبرك
به ، وقد قام فى تلك المحنة مقام الصديقين ، وحبس ثمانية عشر شهراً وضرب
حتى غاب عقله ثم خلى عنه .

(ومن كلامه) : طوى لمن أحمل الله ذكره ، وقال : زهد العوام عن
الحرام ، وزهد الخواص عن الفضول من الحلال ، وزهد العارفين في ترك ما يشغل
عن الله ، وقال : لأن تطلب بالدنيا بالدف والمزار خير من أن تطلبها بدينك ،
وقال : ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمه ، وقال : سأله ربى أن يفتح
عليَّ باباً من الخوف ففتح ، فخفت على عقلى ، يا رب على قدر ما أطريق ،
ففعل ذلك فسكنت ، وقال الفتوة ترك ماتهوى لما تخشى ، وقال الطرسوسى
ذهبت أنا ويحيى بن الجلاء ، وكان من الأبدال إلى أحمد فسألناه : بم تلين
القلوب ؟ فقال : بأكل الحلال ، فمررنا من عنده إلى بشر فسألناه عنه فقال :
« ألا يذكر الله تطمئن القلوب »^(١) فقلت : إنَّ أَحْمَدَ سَأَلَهُ فَقَالَ : إِيْشَ قَالَ ؟
قال : بأكل الحلال ، قال : جاء بالأصل ، الأصل ما قاله أَحْمَد ، وقال :
إذا كان في الرجل مائة خصلة من الخير وكان يشرب الخمر محتها كلها ورهن
سلطلا له عند بقال بمكة ، فجاء يفكه فآخرجه إليه سطلين فقال أحدهما لك فقال :
أشكل على سطلي هو لك والدرارهم ، قال : سطلك هذا وإنما أردت أن اختبرك ،
وقال : لا آخذه وتركه ومضى ، وقيل له : ما تقول فيمن جلس بيته أو مسجده
وقال : لا أعمل وبأيادي رزقى ، فقال : هذا الرجل جهل العلم ، أما سمع قول
المصطفى صلى الله عليه وسلم : إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وكان بينه وبينه
يحيى بن معين صحبة أكيدة فهجره لقوله ، لا أسأل أحداً شيئاً ولو أعطاني الشيطان
شيئاً لأكلته حتى اعتذر وخلف أنه كان مازحاً ، فقال : تنزح في الدين ، أما علمت أن
الأكل من الحلال قدمه الله على العمل الصالح ، فقال : « كلوا من الطيبات » الآية .

(ومن كراماته) ما أخرجه الطبراني أنه كان لرجل أم مقعدة نحو عشرين سنة ، فقالت : له اذهب إلى أحمد وسله يدعو لي ، فأتاه فدق الباب فلم يفتح له ، وقال : من هذا ؟ فقال : أمي مقعدة وتسألك الدعاء ، فقال ، نحن أحوج أن تدعوا لنا ، فرجع فورا إلى الباب ، فخرجت له أمه على رجليها تتشى من ساعتها ، وأخرج أيضاً أن رجلا دخل عليه وعنه جمع فقال : من منكم أحمد ابن حنبل ؟ فقال أحمد : ها أنا ، ما حاجتك ؟ قال : جئت من أربعينات فرسخ برا ويحرا من وادٍأتانى آت فقال : تعرف أحمد بن حنبل ؟ فقلت : لا ، فقال : أئن ساكن بغداد وسل عنه فإذا رأيته فقل له : الخضر يقرئك السلام ويقول لك : إن ساكن السماء الذى على عرشه استوى راض عنك والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله ، وقد أفرد جمع مناقبه بالتأليف منهم البيهقى ، وابن الجوزى وأخرج السلفى فى الطيوريات عن العتيقى عن الطرسوسى عن الطبرانى عن عبد الله ابن أحمد ، قال : سمعت أبي يقول : وقد قيل له : إن هؤلاء الصوفية قعود فى المساجد على التوكل بغير علم ، قال : العلم أقعدهم ، قيل له : أن همتهم كسيرة وخرقة ، قال : لا أعلم أعظم قدراً من هذه صفتة ، قيل فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون ، قال : دعهم يفرحوا بربهم ، وكان مع سمو مقامه يتتردد إلى بعض الصوفية ، فقيل له : أتردد مع جلاله قدرك إلى زاوية هذا الشيخ !! قال : عنده رأس الأمر تقوى الله أو قال معرفة الله ، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وارتحفت الدنيا لموته وأغلقت بغداد لشهاده ، ومسحت الأرض المنسورة التي وقف الناس للصلوة عليها فحصر مقادير الناس بالمساحة ستمائة ألف ، وكان يقول للمبتدعة : بيننا وبينكم يوم الجنائز ، وأسلم يوم موته من اليهود ، والنصارى ، المجوس عشرة آلاف ، قال ابن أبي الورد : رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقلت ما شأن أحمد ؟ قال : سيأتيك موسى فسألته ، فإذا موسى فقلت : يأنبى الله ما شأن أحمد ؟ قال : بلى في النساء والضراء فوجد صادقاً فألحق بالصديقين ، وذكر ابن عربى أنه رأى المصطفى ، عليه الصلاة والسلام

فأمره أنه إذا كان البرد أن يسخن الماء للغسل من الجناة ولا يصبح على جناة ، قال : ورأيته يشكر على الجماع ويستحسن من فاعله ، ثم رأيت أحمد بن حنبل في تلك الليلة فذكرت له ذلك فقال لي : هكذا ذكر البخاري أنه رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في النوم فأمره بذلك ، كذا في الفتوحات .

(١) احمد بن محمد النوري (٢١٤)

أبو الحسين بغدادي المولد والمنشأ بغوى الأصل ، وكان على الهم ، عظيم الكرم ، وقد قيل : التصوف كف فارغ وقلب طيب ، وهو من أقران الجنيد صاحب السرى وابن أبي الحوارى ، نعم وكان كبير الشأن عجيب الفطنة عظيم البيان ذا رياضة فى الفنون وسيادة فى التصوف وتفنن فى علوم الحقائق ، وجد واجتهد فى طلب خير الطرائق بلغ به السمو الحسنى وزيادة ، انتهت إليه رياضة الصوفية فى عصره ، وسيادة أهل الطريق فى عصره ، وكان الجنيد يعظمه جدا ، قال الخطيب البغدادى : وهو أعلم العراقيين بلطائف القوم ، واعتقل النورى فبعث إليه الجنيد بصرة دراهم فردها ثم اعتقل الجنيد فعاده النورى وقعد عنده ووضع يده على جبهته فعوفى فورا ، فقال له : إذا عدت إخوانك فارزقهم بمثل هذا البرء ، ولما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة وأمر بضرب أعناقهم فأحضروا وأحضر السيف فبادر إليه النورى ، فقال السيف : تدرى لم تبادر ؟ قال : نعم لضرب العنق أوثر أصحابى بحياة لحظة ، فتحير السيف ورمى السيف وأخبر الخليفة فرد أمرهم لقاضى قضاة بغداد فسألهم عن مسائل ، فالتفت النورى يمينا وشمالا ثم أطرق ثم أجاب فأعجبه ، ثم قال : إن لله عبادا يقumen بالله ، ويروحون بالله ، يحيون بالله ويموتون بالله ، ويرجعون فى كل أمورهم

(١) حلية الأولياء ٢٤٩/١٠ - ٢٥٥؛ وصفة الصفوة ٢٩٤/٢؛ والمنتظم ٧٧/٦؛ وتاريخ بغداد ١٣٦ - ١٣٨؛ والبداية والنهاية ١٠٦/١١؛ وطبقات الشعرانى ١/٢٦؛ والسلمى ١٦٤ - ١٦٩.

إليه ، ويتوكلون عليه ، ويشقون بجميل نظره إليهم فبكى القاضي ، وقال لل الخليفة : إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم ، فأطلقهم وسائله القاضي عن التفاته ، فقال : سألت صاحب اليمين فقال : لا أعلم ، وصاحب الشمال ، فقال كذلك ، فسألت قلبي فأخبرني عن ربي فأجبت ، وكان شديداً في تغيير المنكر ولو كان فيه تلفه ، نزل الدجلة يوماً يتوضأ فرأى زورقاً فيه ثلاثة دنا خمراً فسأل عنها فقيل لل الخليفة المعتصم ، وكان قليل الرحمة جداً فأخذته مدرسة فكسرها إلا واحداً ، فقبض عليه وأحضر إلى المعتصم وكان يسبق سيده كلامه فلما رأه قال : من أنت ؟ قال : محتسب ، وقال : ومن لاك الحسبة ، قال : الذي لاك الإمامة ، فأطرق ثم قال : ما الذي حملك على ذلك ؟ قال : الشفقة عليك قال : كيف تركت دنا واحداً ، قال أعجبتني نفسى عند وصولى إليه فتركته ، فخلّى سبيله .

(ومن فوائد) : التصوف ترك كل حظ للنفس ، وقال : أعز الأشياء في زماننا عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقة ، وقال : كانت المركبات غطاء على الدر فصارت مزابل على الجيف ، وسئل عن الرضا ، فقال عن وجدى تسللون أو عن وجد الخالق ؟ قالوا : عن وجدى ، قال : لو كنت في الدرك لأسفل من النار كنت أرضى من هو في الفردوس الأعلى ، وقال : لا يصح لعبد مقام المشاهدة وفيه نظر لغير الله ، ومتى طلع الصباح استغنى عن المصباح وساح فجاع في البدية أياماً فهتف به هاتف أيهما أحب إليك سبب أو كفاية ؟ قال : كفاية ليس فوقها كفاية ، فقد بعده بضعة عشر يوماً لا يأكل . وقال : الجمع بالحق تفرقه عن غيره والتفرقه عن غيره جمع به ، وقال : من وصل وده أنس بقربه ومن توصل بالوداد فقد اصطفاه الله من بين العباد ، وقال : من عقل أن الأشياء كلها بالله فرجوعه في كل حالاته إليه ، وقال : الفقير الصادق من لا يتم الله في الأسباب ؛ ويسكن إليه في كل حال ، ودخل عليه الشبل وهو معتكف فوجده ساكناً لا يتحرك ، فقال له : من أين أخذت هذه المراقبة

والسكون ؟ قال من سنور لى أراد الصيد لا يتحرك منه شرة ، وقال : لا تصل إلى أوائل مبدأ حواشى علم المعرفة حتى تخوض إلى الله سبعة بحار أشد من النيران بحرا بعد بحر فعسى بعد ذلك يقع لك أوائل مبدأ المعرفة ، وقال : نعمت الفقير السكون عند العدم ، والبذل والإيثار عند الوجود ، قال : أباح الله العلم لجميع العامة وخاص بالمعرفة أولياءه وبالمكاشفة أصفياءه وبالمشاهدة أحباءه ، واحتجب بربوته عن جميع بريته ، فإذا ظنوا أنهم عرفوا أنهم تحيروا وإذا توهموا أنهم كوشفوا احتجبوا ، فسبحان من أمره عجيب ، وسمع رجلا يؤذن فقال : طعنه وسم الموت ، وسمع كلبا ينبع ، فقال له : لبيك وسعديك فأنكر عليه ، فقال المؤذن : ذكره على رأس غفلة والكلب يسبحه حقيقة وإن من شيء إلا يسبح بحمده . وكان يكره ظهور الكرامة عليه ، وأتى ليلة دجلة ليعدى فالتصدق له الشط بالشط فوقف ، وقال : وعزتك وجلالك لا أعبر على دجلة في هذه الليلة إلا على زورق بقيراط ، ونزل في الماء ليغتسل فجاء لص فأخذ ثيابه ومضى فرجع بعد ساعة بالثياب وقد جفت يداه فقال : إلهي كما ردت ثيابي فاردد عليه يديه فعوفى ، وقال بعضهم : احتبس على أهلى الولد فجئته بجام أتبرك بخطه فكتبت باسم الله الرحمن الرحيم فانطلق الجام وسقط مغمى عليه فأتيته باخر فكان كذلك ، ثم ثالث ورابع وخامس وهكذا الحال الحال فقال : يا هذا اذهب إلى غيري فلو جئت بما أمكن أن تجيء به لم يكن إلا مارأيت فإنني عبد إذا ذكرت الله ذكرته بهيبة وحضور ، وسبب موته أنه سمع قائلا يقول :

لَا زلتُ أَنْزَلُ مِنْ وَدَادِكَ مَنْزَلًا تَحْبِيرُ الْأَلْبَابِ عِنْدَ نَزْولِهِ

فتواجد وهام في الصحراء فوق في أجمة قصب قطع وبقيت أصوله كالسيف فمشى عليها ، ولم يشعر فسال الدم من بدنها ثم وقع كالسکران ومات ، ولما احضر قيل له : ما تشتهى ؟ فرفع رأسه وقد انكسر لسانه وقال : أشتوى شهوة كبيرة ، قيل : وما هي ؟ فقال : رؤية الله ثم تنفس نفسها عاليًا كالمتواجد وفارق الدنيا سنة خمس وتسعين ومائتين ، ولما حملت جنازته صاح

الشبلی خلفه : أضرموا على الأرض النار فقد رفع العلم ، وقيل له عند النزع ،
قل : لا إله إلا الله فقال : أليس إليه نعود ؟ ! .

(١) **أحمد بن أبي الورد** (٢١٥)

من أكابر مشايخ الوقت المعودين ورءوس زهاد البغداديين ، جاهد نفسه حتى صفت بعد الكدر ، وعالج طبعه حتى انقاد وانقهر ، وقد قيل : التصوف صفةقرب بعد كدوره البعـد ، نعم وكان من أصحاب العطايا والماهـب له من الكرامـات عجائب يحملها الصبا والجنـائب ، صحب السرى السقطـى والمحـاسـبـى وغيرـهـما ، وأخذـ الحديثـ عنـ جـمـعـ .

(ومن كلامـه) : إنـما بـسطـ بـساطـ الأـنسـ لـلـأـولـيـاءـ لـيـأـنـسـواـ بـهـ وـيـدـفـعـ بـهـ عـنـهـمـ حـشـمةـ بـديـهـةـ المـشـاهـدـةـ ، وـبـسطـ بـساطـ الـهـيـبةـ لـلـأـعـدـاءـ لـيـسـتـوـحـشـواـ مـنـ قـيـائـحـهـمـ لـعـلـهـمـ يـرـجـعـونـ ، وـقـالـ : وـلـىـ اللـهـ إـذـاـ زـادـ جـاهـهـ زـادـ تـواـضـعـهـ ، وـإـذـاـ زـادـ مـالـهـ زـادـ سـخـاؤـهـ ، وـإـذـاـ زـادـ عـمـرـهـ زـادـ اـجـتـهـادـهـ ، وـقـالـ : التـواـضـعـ أـحـدـ مـصـائـدـ الـشـرـفـ ، وـكـلـ نـعـمـةـ يـحـسـدـ عـلـيـهـاـ صـاحـبـهاـ إـلـاـ التـواـضـعـ ، وـقـالـ : وـصـلـ الـقـومـ بـخـمـسـ بـلـزـومـ الـبـابـ وـتـرـكـ الـخـلـافـ وـالـنـفـاذـ فـىـ الـخـدـمـةـ وـالـصـبـرـ عـلـىـ الـمـصـائـبـ وـصـيـانـةـ الـكـرـامـاتـ ، وـقـالـ : الـمـرـيدـ يـعـمـلـ بـعـمـلـهـ فـيـرـىـ زـيـادـةـ عـمـلـهـ وـنـقـصـانـهـ وـالـمـرـادـ يـعـمـلـ بـعـلـمـ اللـهـ فـيـهـ وـلـاـ يـشـاهـدـ شـيـئـاـ مـنـ أـفـعـالـهـ بـلـ يـشـاهـدـ جـريـانـ الـحـقـ عـلـيـهـ . وـكـانـ الـمـسـمـوـحـ يـقـولـ : مـنـ أـرـادـ أـنـ يـخـدـمـ الـفـقـرـاءـ فـلـيـخـدـمـ خـدـمـةـ اـبـنـيـ أـبـيـ الـورـدـ ، خـدـمـانـيـ عـشـرـينـ سـنـةـ فـمـاـ سـأـلـانـيـ قـطـ ، وـقـالـ السـلـمـيـ (٢)ـ كـانـ أـحـمدـ وـمـحـمـدـ اـبـنـاـ أـبـيـ الـورـدـ مـنـ أـجـلـةـ مـشـاـيخـ بـغـدـادـ وـأـحـمـدـ أـصـفـرـ ، وـمـاتـ قـبـلـ أـخـيهـ مـحـمـدـ .

(١) صـفـةـ الصـفـوةـ ٢٢٣/٢ـ : وـتـارـيـخـ بـغـدـادـ ٦٠/٥ـ : وـالـسـلـمـيـ صـ ٢٤٩ـ - ٢٥٣ـ .

(٢) السـلـمـيـ ، المـرـجـعـ السـابـقـ . ٢٤٩ـ .

(٢١٦) **أحمد بن محمد بن مسروق** ^(١)

الطوسى المستأنس بالحق ، المستوحش من الخلق ، كان مفوضاً مستريحاً ، ومسامحاً سميحاً ، سكن بغداد وصاحب المحاسبى والسقطى ، وأخذ الحديث عن كثيرين ، وهو من أجلة علماء القوم وكان معروفاً بالخير مذكورة بالفضل متين الديانة متواحشاً بالصيانة معروفاً ، بالعفة ، والأمانة ، وكان إذا ععظ في بقعة أخذت زخرفها وازينت وعدت من الحيرات وتعينت .

(ومن فوائده) : كثرة النظر إلى ما سوى الله تذهب معرفة الحق من القلب ، وقال : من لم يحترز بعقله من عقله العقله هلك بعقله ، وقال : المؤمن يقوى بذكر الله والمنافق بالأكل والشرب ، وقال : الحب قيد المحبين إذا صحي ، وزمام المحبوبين إلى المحبين ، وقال : من ترك التدبیر عاش في راحة ، وقال : من كان سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم ، ومن لم يكن أنسه في خدمة ربه فهو من أنسه في وحشة ، وقال : متى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التسوية فأنت في غفلة عما طلبه ؛ وسائل عن التصوف فقال : خلو الأسرار عما منه بد وتعلقها بما ليس منه بد ، وقال : رأيت القيامة قامت والخلق يجتمعون أذ نادى مناد الصلاة جامعاً فاصطف الناس صفوفاً فأنانى ملك عرض وجهته ميل في ميل فقال : تقدم فصل بالناس ، فتأملت فإذا مكتوب بين عينيه جبريل الأمين فقلت أين رسول الله ؟ قال : مشغول بنصب الموائد لإخوانه الصوفية ، قلت : وأنا منهم قال : نعم لكن شغلك كثرة الحديث ، وقال : قدم عليناشيخ فكان يتكلم علينا في هذا الشأن بكلام حسن وكان عذب الكلام جيد الخاطر ، فقال : لنا كلما وقع في خاطركم فقولوه لي فوقع في قلبي أنه يهودي ، وكان الخاطر يقوى ولا يزول ، فذكرته للحريري فكبّر عليه ، فقال : لا بد أن أخبره فأخبرته ،

(١) حلبة الأولياء ٢١٣/١٠ - ٢١٦؛ وصفة الصنوة ٤/١٠٤؛ والرسالة القشيرية ص ٢٠؛ وتاريخ بغداد ٥/١٠٣ - ١٠٠؛ وميزان الاعتدال ١/٧١؛ والمنتظم ٦/٩٨ - ٩٩؛ ومرآة الجنان ٢/٢٣١؛ والسلمي ص ٢٣٧ - ٢٤١؛ والشذرات ٢/٢٢٧.

فقال : صدقت وتشهد ، ثم قال : مارست جميع المذاهب وكنت أقول : إن كان مع قوم شئ فمع هؤلاء ، فصحتكم لإخباركم وأنتم على الحق ، وقال : دخلت على أبي الفضل الهاشمي ، وهو عليل ، وكان ذا عيال ولا سبب له فقلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل ؟ فصاح : يا أبو العباس رد هذه الهمة الدينية فإن لله ألطافا خفية ، مات سنة ثمان أو تسع وتسعين ومائتين .

(١) ٢١٧) أحمد بن عاصم

الأنطاكي الإمام الراشد العالم العابد صدر حوى أسرارا من العلوم ، وصوفى ظهر فى أهل قطره كالبدر بين النجوم ، سلك طريق الزهادة والصلاح ، وطار إلى أوطار المعارف بجناح الجناح ، وكان للهوى قاصما ، ولشرور النفس هاشما ، يلوم القوام وينقم على النوام ، وكان يسمى جاسوس القلوب ، ومن فوائد البديعة النظام إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحة الجوارح ، وقال : غنيمة باردة ، أصلح فيما بقى يغفر لك ما مضى ، وقال : الخير كله فى حرفين يزوى عنك الدنيا وين عليك بالقنع ويصرف عنك وجوه الناس وين عليك بالرضى ، وقال : التزين اسم لثلاث معانٍ متزين بعلم ومتزين بجهل ، ومتزين بترك التزين وهو أغمضها وأحبها إلى إبليس ، وقال : ما وجدت فى الشر نوعا أكثر ضررا من الغيبة فى العاجل والأجل ، وقال : احذر الغيبة كما تحذر عظيم البلاء فإنها إذا ثبتت فى القلب أتتها أخواتها من النمية والبغى وسوء الظن والبهتان وهى مجانية الإيمان ، وقال : كل نفس مسئولة فمرتهنة أو متخلاصة ، وفكاك المرهون بعد قضاء الديون فإذا غلقت الرهون أكدت الديون فاستوجبوا السجون ، وقال : ارجع إلى الاستعانة بالله على شرور هذه الأنفس ومخالفته هذه الأهوية ومجاهدة هذا العدو ، وقال : يسير اليقين يخرج كل شك من القلب ،

(١) حلية الأولياء ٢٨٠/٩ : وصفة الصفة ٤/٢٥٢ : والمنتظم ٦/٧٧ : والرسالة القشيرية ص ٢٣ ، والبداية والنهاية ١/٣١٨ : وطبقات الشعراني ١/٩٧ : والسلمي ص ١٣٧ - ١٤٠

غير الله ، وقال القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق فاضت زيادة أنوارها على الجوارح أو من الباطل ظهرت زيادة ظلماتها على الجوارح ، وقال : الصبر زاد المضطربين والرضا درجة العارفين فمن صبر على صبره فهو من الصابرين لا من صبر وشكى ، وقال حقيقة المحبة معرفته تعالى بالقلب وذكره باللسان مع الحضور والاحترام ، ورفع الهمة عن كل ما سواه ، والمحبون من رضي بسواه ، وقال : لا نوم أثقل من نوم الغفلة ، ولا رق أملأ من رق الشهوة ، ولا غبن أشد من رضي العبد بغير مولاه ، وقال : أمت نفسك بالمجاهدة حتى تحييها بالمشاهدة .

(ومن كراماته) أنه كان يلبس في شدة البرد قميصا واحدا وهو مع ذلك يعرق ، وكان إذا تكلم على الناس يفرش بساطه على وجه نهر جيحون ويجلس عليه ويجلس معه أربعينات رجل ؛ وكان عليه سبعمائة دينارينا وحضر غرماوه وهو في النزع فنظر اليهم ، وقال : اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الديون وأنت تأخذ منهم وثيقتهم فادعنى فدق داق الباب فقال : هذه دار أحمد بن خضرويه قالوا : نعم ، قال : أين غرماوه فخرجوا فقضى دينه فخرجت روحه فورا مات سنة أربع ومائتين ، وقيل : أربعين ومائتين وأسند الحديث عن محمد بن عبدة المروزى وغيره .

(٢١٩) أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِي^(١)

بفتح الراء وكسرها ، قال في البستان والكسر أشهر والفتح سمعته من شيخنا الحافظ أبي البقاء يحكى عن أهل الإنقان ، وهو السيد الجليل المتخلق بكل خلق جميل الزاهد في الأموال والسراري النابذ للنساء والجواري ، العابد في الفقار والبراري ، كان لفضول الدنيا قليلا وعن الملاذ ساليا ، وفي مكين الأحوال

(١) حلية الأولياء ٥/١ - ٣٣ : وصفة الصفوة ٢١٢/٤ : والرسالة القشيرية ص ٢١ وطبقات الشعراني ٩٦/١ : والسلمي ص ٩٨ - ١٠٢ : ومرآة الجنان ١٥٣/٢ : والبداية والنهاية ٣٤١/١ : وتهذيب التهذيب ٤٩/١ : والشذرات ١١٠/٢ .

عاليًا ، ول الصحيح الآثار حاويا ، نعم وكان شريف الجلال منيف الحلال ؛ وارف
لظلال صارف الملال طود حلم ويحر علم ، يتموج بفضائل ويتبرج ببراهين ودلائل ،
ذهن يتقد ، وقرحة تدور على قطب الصواب كالفرقان صحب الداراني وابن
عيينة وغيرهما ، قال القشيري : هو ريحانة أهل الشام ، وقال يحيى بن معين
أهل الشام به يطرون ، وقال مرة أخرى : يسقيهم الله الغيث به ، وقال
محمد بن خالد : ما بقى على وجه الأرض مثله .

(ومن كراماته) أنه كان بينه وبين الداراني عقد لا يخالفه فجاءه وهو
يتكلم بمجلسه وقال : يا سيدى التنور قد سجر فما تأمر ، وكرره فلم يحبه ،
فكرره فقال له : اذهب فاقعد فيه كأنه ضاق به صدره وتغافل ساعة طويلة ثم قال
اطلبوه من التنور فإنه عقد على إلا يخالفنى فنظروا فإذا هو داخله لم يحترق منه
شعرة .

(ومن كلامه) من نظر إلى الدنيا نظر محبة أخرج الله نور اليقين
والزهد من قلبه ، وقال : ما ابتلى عبد بشيء أشد من القسوة والغفلة ، وقال : من
أحب أن يعرف بشيء من الخير ، يذكر به فقد أشرك في عبادته ، وقال : من عرف
الدنيا زهد فيها ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه ومن لم
يعرف نفسه فهو من دينه في غرور ، وقال إن دخلت القبر ومعك الإسلام فابشر ،
وقال إن الرجل لينقطع إلى ملوك الدنيا فيرى أثراهم عليه فكيف من ينقطع إلى
الله ، وقال : من أيقن بما بعد الموت شد مئزر الخذر ، ولم يكن للدنيا عنده خطر ،
وقال العذاب على العارفين أهون من العصيان ، وقال : الدنيا مزبلة ومجمع
الكلاب ، وأقل من الكلاب من عطف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته
ويفارقها ومحبها لا يفارقها ، وقال : مررت براهيب نحيف فقلت أنت عليل ؟ قال
نعم قلت : منذكم ؟ قال : منذ عرفت نفسى ، قلت : فنداويسك ، وقال : قد
أعيانى الدواء وقد عزمت على الكى ، قلت وما الكى ؟ قال : مخالفة النفس ،
وقال : رأيت فى النوم جارية وجهها كالبدر ، قلت : ما أنور وجهك ، قالت

ويُسِير الشك يخرج اليقين كله من القلب ، وقال : قلة الخوف من قلة الحزن في القلب ، وإذا قل الحزن في القلب خرب كما أن البيت إذا لم يسكن خرب ، وقال : مامن عافية إلا وقد تقدمها عفو ، ولو لا العفو لجاءت البلية ، وقال : من قل صبره على علاج عدوه ساعد عدوه على مجاهدته ، فهو أهل لأن يضحك منه الضاحكون ، وقال : كفى بالعبد عاراً أن يدعى دعوى لا يتحققها ، بفعله أو يجعل لغير ربه من قبله نصيباً أو يستوحش مع ذكره ، وقال : من كان بالله أعرف كان منه أخوف ، وقال : إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون قلوبكم ويخرجن منها من حيث لا تخسن ، وكان من أكابر المحدثين روى عن معاوية الضرير والهيثم بن جميل ومخلد بن حسين وغيرهم وعنده محمود بن خلدون وأبو زرعة النضرى وجماعة .

(١) **أحمد بن حضرويه البلاخي** (٢١٨)

ولى عارف ، سخى ببذل التالد والطأرف ، على المقدار ، جلى الأنوار ، عجيب الشأن من كبار شيوخ خراسان أيس من الفضول فأونس بالوصول ، وقيل : إن التصوف تطهير من الأدناس وتشمير للإيناس لقى النحشبي والأصم وأبا يزيد وغيرهم وكان يجلب القلوب بوعظه الذي ينث في العقد ، وينبه بزواجه من أغفى ومن رقد ، ما رأه فقيه جاحد أو مكابر منتقد ، إلا اعترف ، ووقف على شاطئ التسليم ، وربما اغترف .

(ومن كلامه) : من أراد أن يكون مع الله في جميع الأحوال فليزم الصدق فإن الله مع الصادقين ، وقال : القلوب جوالة فإما أن تحول حول العرش أو تحول حول الحش ، وقال : أفضل الأعمال رعاية السر عن الالتفات إلى شيء

(١) حلية الأولياء ٤٢/١٠ : وصفة الصنفة ١٣٧/٤ : والرسالة القشيرية ص ٢١ ، وتاريخ بغداد ١٣٧/٤ : وطبقات الشعراني ٩٥/١ : والسلمي ص ١٠٣ - ١٠٦

تذكر ليلة بكيت فيها ؟ قلت نعم ، قالت حملت دموعك إلى فمسحت بها وجهي فصار كما ترى ، وقال : في بعض الكتب الإلهية أن بدن آدم خلق من الأرض وروحه من ملوكوت السماء فإذا أ جاء بدنها وأعراء وأشقاء وأسهره وأقمامه نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه ، وإذا أطعمه وسقاه ونعمه ونومه أخلده في الموضع الذي خلق منه ، فلم يكن شيء أحب إليه من الدنيا ، وقال : شكوت للداراني قسوة قلبى ، فقال : بما كسبت يداك شهوة أصبتها ورمى بكتبه في البحر ، وقال : نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال ، وفي رواية أنه طلب العلم ثلاثة سنين ، فلما بلغ حمل كتبه إلى البحر فغرقها ، وقال : يا علم لم أفعل بك هذا هوانا بك ، ولا استخفافا بحقك ، لكن كنت أطلب لأهتدى بك إلى ربى والآن استغنىت عنك ، وقال : لا دليل على الله سواه وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة ، وقال ثلاثة هن أخذة للمتبعد المرض والحج والتزويج فمن ثبت عندهن فقد ثبت ، وقال : علامة حب الله حب ذكره ، وقال إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة ، وإذا حدثتك بتركها عند إقبالها فذاك ، وقال : إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد يقرأ يقول الله مالك ولكلامي ، وقال : قلت لراهب : أى شيء أقوى ماتجدونه في كتبكم ، قال : ما تجعل شيئاً أقوى من أن تجعل قوتك كلها في محبة الخالق ، وقال علامة الرضي أن لا يختاره إلا ما يختاره مولاك ، وقال : قلت للداراني : كنت لبعض الأولياء قبل اليوم أشد حباً فقال إنما يتقرب إليه أولياؤه أولاً ، ثم تأتي بعد منزلة تشغل القلب ، وقال : ما تفرغ عبد لله ساعة إلا نظر الله إليه بالرحمة ، وقال إذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه إنما رجع من رجع من الطريق وقال القلب بمنزلة القمع يصب فيه الزيت أو العسل فيخرج منه وتبقى فيه لطاخته ، وقال : قيل لموسى عليه السلام : إنما مثل كتاب أَحمد في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبده ، وقال : كنت جالساً ببيت المقدس وإذا بشاب طلع علينا الصبيان حوله يقدفونه بالحجارة ويقولون مجنون فدخل المسجد وهو يقول : اللهم أرحني من هذه الدار

التي لا أرى فيها إلا الأكدار ، فقلت له : هذا كلام حكيم يا هذا من أين لك هذه الحكمة ؟ قال : من أخلص له الخدمة أورثه طرائق الحكم ، وأيده بأسباب العصمة وما بي جنون وزلق ، بل قلق في فرق فقلت غلط من سماك مجنونا فولى هاريا ، وقال : إذا صار ابن آدم في قبره لم يبق شيء كان يخافه دون الله إلا مثل له في قبره يفزعه لأنه خافه في الدنيا دون الله ، وقال : كنت بالمدينة فأتيت مسجد ، محمد صلى الله عليه وسلم ، بليل فإذا شاب يتهدج بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى على جنبه ، وقال : عند الصباح يحمد القوم السري ، فقلت يا ابن أخي لك ولا أصحابك لا للجماليين وقال : ابن آدم ليس لما يبقى في الدنيا من عمرك ثمن ، والتقيا يوما هو وأحمد بن حنبل بكرة فقال ابن حنبل حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك الداراني ، فقال : يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل : سبحان الله وطولها بلا عجب ، قال : سمعت أبي سليمان يقول : إذا عقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملوك وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤذى إليها عالم عالم فقام أحمد ثلاثا وقعد ثلاثة وقال : ما سمعت في الإسلام حكاية أعجب إلى منها ، وقال قال عيسى عليه الصلاة والسلام طوي لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غريب لم يره وقال : لأن أترك من عشائى لقمة أحب إلى من أن أكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره . وقال : إذا عرض لك أمران لا تدرى في أيهما الرشاد فانظر إلى أقربهما إلى هواك مخالفة فإن الحق في مخالفة الهوى ، وقال : ما أخلص عبد قط إلا أن يكون في حب لا يعرف ومن أدخل فضولا من الطعام أخرج فصولا من الكلام ؛ وقال : لأن أترك من عشائى لقمة أحب إلى من أن أكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره ، وقال : إذا عرض لك أمران لا تدرى في أيهما الرشاد فانظر إلى أقربهما إلى هواك مخالفة فان الحق في مخالفة الهوى وقال : إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالتفكير على الذكر حتى استيقظت قلوبهم فنقطت بالحكمة وورثوا السر . وقال : الزهد بإعطاء المجهود وخلع الراحة وقطع الآمال ،

وقال : قال أوس القرني لهرم بن حبان ، أوصنی ، فقال : عليك بالأسياق يعني ساحل البحر قال : فمن أين المعاش ؟ قال : أَفْ خَالَطَ الشَّكُّ الْمَوْعِظَةَ تَفَرَّ إِلَيْهِ اللَّهُ بِذَنْبِكَ وَتَهْمِمُهُ فِي رِزْقِكَ ، وقال : إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَ قَوْمًا أَفَادَهُمْ فِي الْيَقِظَةِ وَالْمَنَامِ لَأَنَّهُمْ طَلَبُوا رِضَاهُ فِي الْيَقِظَةِ وَالْمَنَامِ ؛ وقال : مَنْ أَحَبَ الدُّنْيَا وَسَرَّ بِهَا نَزْعَ خَوْفَ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ ، وقال : وَاللَّهُ لَوْلَا مَا جَرَى مِنَ السَّنَةِ وَسَارَ فِي النَّاسِ مِنْ تَقْدِيمِهِ أَبْيَ بَكْرٍ وَعُمَرٍ وَعُثْمَانَ مَا قَدَّمْنَا عَلَى عَلَى أَحَدًا ، رَوَاهُ عَنْهُ قَامُ وَابْنُ عَسَاطِرَ أَسَنْدَ ابْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ عَنِ الْأَعْلَامِ وَالْمَشَاهِيرِ مَا لَا يَعْدُ كُثْرَةً ، قال الذَّهَبِيُّ كَابِنُ عَسَاطِرٍ : وَهُوَ آخِرُ الثَّقَاتَةِ ، وَمَاتَتْ سَنَةُ سَتِّ وَمَائَتَيْنِ وَقَبْلَ سَتِّ وَأَرْبَعِينَ (١) .

(٢٢٠) أحمد بن أبي نصر الخزاعي (٢)

العالم العابد الزاهد الصائم الراوح الساجد ، ذو الجنان واللسان والثبات ، وإن اضطرب المهد والسنان والوثبات ، وإن ملأت نار الفتنة كل مكان ، كان شيخاً جليلاً قولاً بالحق أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر متصدقاً للإفتاء والإفادة ، راغباً في تحصيل الحسن والتمكيل بالزيادة ، امتحن بالقول بخلق القرآن على يد الواقع قيل له : ماتقول في القرآن ؟ قال : كلام الله وأصر فقال بعض الحاضرين : هو حلال الدم ، وقال ابن أبي داود : يا أمير المؤمنين شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقل يؤخر أمره ويستتاب ، فقال الواقع : ما أرأه إلا كافراً ثم قام إليه بالسيف ، وقال : لا يقوم معى أحد فإنما أحتسب خطايائى إلى هذا الكافر فضرب عنقه بيده فصارت الرأس بعد سقوطها تقول بلسان فصيح : الله الله ، لا إله إلا الله ، ثم نصب الرأس ببغداد أياماً فصار لسانه يقرأ القرآن ، ومن

(١) جاء في الشذرات ، المرجع السابق ، أنه توفي سنة ست وأربعين ومائتين .

(٢) تهذيب التهذيب ٨٧/١ : وصفة الصفوة ٢٠٥/٢ : وطبقات الحنابلة ٤٥ ، وابن الأثير ٧/٧ : والطبرى ١٥/١١ : وتاريخ بغداد ١٧٣/٥ ، والأعلام للزرکلى ٢٦٤/١ : والشذرات وفيات سنة إحدى وثلاثين ومائتين ٦٩/٢ - ٧٠ .

جملة ما سمع منه ﴿ ألم أحسب الناس أن يترکوا أن يقول آمنا وهم لا يفتنون ﴾
مات سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وقيل : سنة بضع عشرة ومائتين ورؤى في النوم
وعلى رأسه تاج فقيل له ما فعل الله بك ، قال : أدخلني الجنة ، لكنني كنت
مغموماً ثلاثة أيام فمر بي المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ خشبي
حول وجهه عنى فقلت : يا رسول الله ، قتلت على الحق أم على الباطل ؟ قال :
على الحق ، لكن قتلك رجل من أهل بيتي فلما بلغت إليك استحييت منك ، ورآه
آخر فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز
وجل ، فضحك إلى .

(٢٢١) أبو إبراهيم السائح

كان من أكابر الصالحين ، ووجه العابدين ، سالكاً طريق التصوف ،
جارياً على منهاج التنسك والتقطيف ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان في
دھلیز أبي دکان فإذا جاءه إنسان يريد أن يخلو به أجلسه عليه والا كلمه قائماً
فجاءه رجل وقال : قل له إبراهيم السائح ، فخرج فجلس معه وقال له : سلم
عليه فإنه من خيار المسلمين وكبارهم ، ثم قال له : حدثني يا إبراهيم ، قال :
خرجت إلى محل كذا بقرب الدير الفلانى فأصابنى مرض منعنى من الحركة فقلت
في نفسي : لو كنت بقرب الدير لعل من فيه من الرهبان يداويني فإذا أنا بسبعين
عظيم قدمنى حتى جاءنى فاحتملنى على ظهره حتى ألقاني على باب الدير فنظر
الرهبان إلى حالى مع السبع فأسلموا وهم أربعمائة راهب . وقال بينما أنا أطوف
إذا بجارية متعلقة باستار الكعبة تقول بحبك لي إلا ردت على قلبي ، فقلت :
من أنى لك أنه يحبك ؟ قالت : بالعناية القديمة فإنه جيش في طلبى الجيوش
وأنفق الأموال حتى أخرجنى من بلاد الشرك وأدخلنى في الموحدين وعرفنى نفسه
بعد جهلي أيام فهل هذا إلا بالعناية والمحبة ؟ قلت : فكيف حبك لله قالت : أرق
من الشراب وأحلى من الحلايب ، ثم ولت وتركنتى .

(١) أبو تراب النخبي (٢٢٢)

بفتح النون وسكون الحاء وفتح الشين المعجمتين نسبة إلى نحشـب
بلدة بما وراء النهر ، عربـت فـقـيل لها نـسـف ، واسمـه عـسـكـرـ بن حـصـينـ ولمـ
يـشـتـهـرـ الاـ بـكـنـيـتـهـ حتـىـ كـادـ لـاـ يـعـرـفـ إـلاـ بـهاـ ، وـكانـ شـيـخـ عـصـرـهـ بالـاـتفـاقـ .
جـامـعاـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـدـيـنـ وـالـزـهـدـ وـالـتـصـوـفـ بلاـ شـقـاقـ ، مـتـقـشـفـاـ مـتـوـكـلاـ ، مـتـخـشـعاـ
مـتـبـتـلاـ قـدـ أـضـاءـ فـيـ سـمـاءـ الـعـالـىـ بـدـرـهـ ، وـاشـتـهـرـ فـيـ الـآـفـاقـ حـسـنـهـ وـذـكـرـهـ
وـخـدـمـهـ أـكـابـرـ الصـوـفـيـةـ وـتـطـفـلـواـ عـلـيـهـ لـهـمـتـهـ السـرـيـةـ ، وـخـضـعـ المـرـيـدـوـنـ لـهـ وـدـانـوـاـ ،
وـتـطـامـنـواـ لـرـفـعـتـهـ وـاسـتـكـانـوـاـ لـهـ الـرـيـاضـيـاتـ الـمـذـكـورـةـ وـالـسـيـاحـاتـ الـمـشـهـورـةـ ،
صـحـبـ حـاتـماـ الـأـصـمـ وـالـخـواـصـ وـالـطـبـقـةـ وـكـتـبـ الـحـدـيـثـ الـكـثـيرـ وـتـفـقـهـ عـلـىـ مـذـهـبـ
الـشـافـعـيـ وـأـخـذـ عـنـهـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ وـابـنـ الـجـلـاءـ ، وـآـخـرـونـ مـنـ الـأـجـلـاءـ ، قـالـ
ابـنـ الـجـلـاءـ : لـقـيـتـ سـتـمـائـةـ شـيـخـ مـاـ رـأـيـتـ فـيـهـمـ مـثـلـ أـرـبـعـةـ أـولـهـمـ أـبـوـ تـرـابـ ،
وـوقـفـ خـمـساـ وـخـمـسـيـنـ وـقـفـةـ بـعـرـفـةـ وـمـرـ بـهـ بـعـضـ الـأـمـرـاءـ وـهـ يـحـلـقـ رـأـسـهـ
فـأـعـطـاهـ أـلـفـ دـيـنـارـ فـقـالـ لـهـ : أـعـطـهـاـ لـلـمـزـينـ فـرـدـهـاـ الـمـزـينـ فـرـدـهـاـ أـبـوـ تـرـابـ ،
وـكـانـ إـذـاـ وـجـدـ مـنـ أـتـيـاعـهـ فـتـرـةـ جـدـدـ تـوـيـةـ ، وـقـالـ : بـشـؤـمـىـ وـقـعـواـ فـيـمـاـ وـقـعواـ
إـنـ اللـهـ لـاـ يـغـيـرـ مـاـ بـقـومـ حـتـىـ يـغـيـرـوـاـ مـاـ بـأـنـفـسـهـمـ ، وـقـالـ : لـقـيـتـ غـلامـ فـيـ التـيـهـ
يـعـشـيـ بـلـاـ زـادـ فـقـلتـ فـيـ نـفـسـيـ إـنـ لـمـ يـكـنـ مـعـهـ يـقـيـنـ هـلـكـ فـقـلتـ : يـاغـلامـ فـيـ
مـثـلـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ بـلـاـ زـادـ !! قـالـ : يـاـ شـيـخـ اـرـفـعـ رـأـسـكـ ، هـلـ تـرـىـ غـيرـ اللـهـ ،
قـلـتـ : الـآنـ اـذـهـبـ حـيـثـ شـئـتـ .

(ومن فوائدـهـ الـعـلـيـةـ الـمـقـدارـ) : إـنـ اللـهـ تـعـالـىـ يـنـطـقـ الـعـلـمـاءـ فـيـ كـلـ وـقـتـ
بـاـ يـشاـكـلـ أـعـمـالـ أـهـلـ ذـلـكـ الزـمـنـ ، وـقـالـ : إـذـاـ تـوـاتـرـتـ عـلـىـ أـحـدـكـمـ النـعـمـ فـلـيـكـ

(١) حلية الأولياء ١٠ / ٤٥ - ٥١ : وصفة الصفوة ٤/٤١ : والرسالة القشيرية ص ٢٢ : وطبقات الشافعية ٢ / ٥٥ - ٥٦ : وتاريخ بغداد ١٢ / ٣١٥ - ٣١٨ : وطبقات الشعراني ٩٦/١ : والسلمي ١٤٦ - ١٥١ : والشذرات ١٠٨/٢ - ١٠٩ .

على نفسه فإنه قد سلك به غير منهج الصالحة ، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ؛ وقال : العارف الذى لا يكره شئ ويصفو به كل شئ ، وقال الناس يحبون ثلاثة وليس لهم ، النفس والروح وهما لله والمال وهو للورثة ، ويطلبون اثنين ولا يجدونهما الفرح والراحة هما فى الجنة ، وقال لابد للأستاذ من أربعة أشياء تميز فعل الله من فعل الخلق ، ومعرفة مقامات العمل ، ومعرفة الطبائع والنفس ، وتمييز الخلاف من الاختلاف ، وقال : لا أعلم شيئاً أضر بالمربيدين من أسفارهم على متابعة نفوسهم ، وما فسد من فسد من المربيدين إلا بالأسفار الباطلة ، ونظر إلى صوفى مد يده إلى قشور البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام فقال تمند يدك إلى هذا ؟ !! لا يصلح لك التصوف ، الزرم السوق ، وقال : عرض على طعام فامتنعت فبليت بالجوع أربعة عشر يوماً فعلمت أنه عقوبة ، وقال : إذا ألفت القلوب الأعراض عن الله صحبتها القيمة فى الأولياء وقال : مثل الدنيا مثل ظلك إن طلبته تباعد وإن تركته يتتابع ، وقال : حقيقة الغنى أن تستغنى عن من هو مثلك ، وحقيقة الفقر أن تفتقر إلى من هو مثلك ، وإذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله ، وإذا أخلص فيه وجد حلاوته قبل مباشرته ، وقال : الفقير قوته ما وجد . ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل ، وقال : من شغل مشغولاً بالله أدركه المقت للوقت ، وقال : شرط التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالريونية ، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر وقال صحبت مائة شيخ مانفعنى شئ ، مثل سد رأس الجراب يعنى القناع والتقلل من الدنيا ، وكان يكثر ذكر أبي يزيد البسطامي ويقول لتلميذ حظى عنده لو رأيته ، فقال : قد أكثرت من ذكر أبي يزيد البسطامي من يتجلى له الحق كل يوم مرات ما يصنع بأبى يزيد ؟ فقال : لو رأيته لرأيت مرأى عظيماً ، فلم ينزل يشوجه حتى ارتحل إليه فقيل له : إنه فى الغيبة مع السباع ، وكان يأوى إليها فقعد على طريقه فعند ما وقع بصر الفتى عليه خر ميتاً فعجب أبو تراب من ثبوته لتجلى الحق دون رؤية أبي يزيد

قال ابن المنير : واصطلاح أهل الطريق معروف في التجلى ، وحاصله رتبة من المعرفة جلية وحالة بين اليقظة والنوم سوية ، والإيمان يزيد وينقص ولا تظنهם يعنون بالتجلى رؤية البصر التي قيل فيها لموسى على خصوصيته «لن تراني» والتي قيل فيها على العموم : «لاتدركه الأ بصار» فإذا فهمت أن مرادهم الذي أثبتوه غير المعنى الذي حصل الناس منه على اليأس في الدنيا ووعد به الخواص في الآخرة ، فلا ضير عليك ولا طريق لسوء الظن إليك . والله يتولى السرائر ، قال السبكي : وكلامه أعني ابن المنير في تفسير التجلى يقرب من قول شيخه ابن عبد السلام في قواعده التجلى والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان وأعلم أن القوم لا يقتصرن في تفسير التجلى على العلم ولا يعنون به ثم لا يفصحون بما يعنون بل يلوحون تلوينا ولم يفتح القشيري في رسالته بتفسيره ولعله خاف على فهم من ليس من أهل الطريق وحاصل ما قاله متأخروهم أن التجلى ضربان « ضرب للعوام » وهو أن يكشف صورة كما جاء جبريل في دحية وكما جاء في حديث « رأيت ربى في صورة شاب » قالوا : وهذا تجلى الصفة ويضربون له مثلا المرأة فأنت تنظر وجهك فيها وليس محلًا لوجهك ، ولا وجهك حال فيها وإنما هناك مثال تعالى الله أن يكون له مثال ، وحديث « في صورة شاب أمرد » موضوع ، « وضرب للخواص » وهو تجلى الذات نفسها ويذكرون هناك لتقريب الفهم الشمس فإنك ترى ضوء النهار فتحكم بوجودها وحضورها برؤية الضوء ، وهذا تقريب فنور الباري لو سطع لأحرق الوجود بأسره ، وقال : وقد سألت العارف الأردبيلي عن الذي يراه العارف في الدنيا أهو الذي وعده الله في الآخرة ؟ قال : نعم ، قلت فبم تتميز رؤية يوم القيمة ؟ قال : بالبصر والرؤية في الدنيا إنما هي بال بصيرة لا بالبصر ، ثم ضرب مثل المرأة فقلت : هذا نوع من الحلول وهو كفر قال : لا فإن الحلول معناه أن الذات تحل في ذات أخرى والمرأة لا يحل فيها إلا صورة ؛ قلت : فالمشاهدة غير التجلى قال : المشاهدة دوام تجلى الذات والتجلى قد يكون معه مشاهدة وهو ما

إذا دام وقد لا ، انتهى وإذا تبرأ القوم من تفسير التجلى بها لا يجوز وصف الرب به فلا لوم عليهم ولا اعتراض .

(ومن كراماته) أنه لما حج قال له بعض أصحابه : أنا عطشان فضرب بيده الأرض وناوله قدحا من الزجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وأسقاه ، وما زال القدح معهم لكة ، (ومنها) أنه حج مرة أخرى فأصحاب أصحابه جوع فعدل عن الطريق وأخرج لهم موزا وعنبا وقطاء وكان معه أبو محمد البناء ، فقال له كل ، قال : الذى أعتقده ترك المعلومات وصرت أنت معلومى فلا أصحابك ، فقال : كن مع ما وقع لك ، مات أبو تراب سنة خمس وأربعين ومائتين بالبادية قيل : نهشته السباع وقيل : بل وجد بها قائما ميتا لا يمسكه شيئا ، فأراد بعض صحبه حمله ليواريه فما أمكنه ، وسمع هاتفا يقول : دع ولى الله مع الله بلا تكلف .

(٢٢٣) أبو جعفر المحولى^(١)

كان عالما عارفا صوفيا مرتفعا عمامه ، متصلة أسباب تربيته ثابتة
أوتاده .

(ومن كلامه) : حرام على قلب بحب الدنيا أن يسكنه الورع الخفى ،
حرام على كل نفس عليها رئاسة الناس أن تذوق حلاوة الآخرة وحرام على كل
عالما لم يعلم بعلمه أن يتتخذه المتقون إماما .

(ومن مناجاته) : إليك أشكو بدننا غذى بنعمتك ثم توثب على
معاصيك ، وقال : إذا جاء العبد صفا قلبه ورق بدنـه وهطلت دمعـته ، وأسرعت

(١) نسبة إلى باب محول فى بغداد .

إلى الطاعة جوارحه وعاش في الدنيا كريها ، وذكر عنده الفالوذج ، فقال : إن قلباً يتفرغ لصنعة الفالوذج حتى يأكله قلب فارغ جداً ، ثم بكى .

(٢٢٤) أبو بكر الهمالي

من مشايخ الشام وأكابر القوم الكرام ، ذو عزمه في التجدد أغصانها باسقة ، وهمة في التعبد عقودها متناسقة .

(ومن كلامه) : من عنى بمجاهدة الأسرار اشتغل عن الحكايات والأخبار ، وقال : رقوا بهمهم إلى أعلى الفضائل وضيعوا الفرائض فلا إلى همهم وصلوا ، ولا قاموا بقليل ما به وكلوا ، ومن قام بقليل ما وكل به ائتمن على الكثير ، ومن لم يقم بقليل ما وكل به لم يؤمن على كثير ولا قليل ، وأشار إلى شجرة في منزله فقال : هذه الشجرة ، مانظرت إليها نظرة فرجع طرفى إلا بعقوبة وتوبيخ في سرى يقال لي تكون بين أيدينا فتنظر إلى سوانا ؟! ، وقنى على الله أن يريه الخضر ، فلما كان بعد مدة دق الباب فقال : من ؟ قال : الخضر الذي تمنيته قال : الذي طلبناه له قد وجدناه ، ارجع بسلام .

(٢٢٥) أبو يعقوب الهاشمي

من أكابر أصحاب ذى النون ، قال : كنت مع ذى النون في يوم عيد فوجد الناس خارجين من صلاتهم قال : هؤلاء يفرحون ظانين أنهم قد أدوا أمانتهم أو قال : صومهم ، ومن أين لهم ذلك ؟ ! فحقهم البكاء ثم جلس فبكى هو وصحبه ، قال الheroى : هذا كلام كالجوهر ، فإن اللائق بذلك اليوم هو الاستغفار من التقصير الواقع في شهر الصوم ، وقال لي شارح الموصلى : قال : يارب أنت أمرتنا أن نغسل أعضاءنا الظاهرة في الوضوء بالماء فنغسل قلباً بماذا ؟ فقيل له غسل القلب بالهموم والأحزان قال أبو يعقوب : فلا يمكن غسل

القلب إلا بهذا الطريق .

(١) أبو القاسم المنادى (٢٢٦)

كان كبير الشأن على البرهان ، وهو من أجل مشايخ نيسابور ومن أكبرهم حالاً وعلماً ، صحب الكثير من ذوى الخوارق والفضائل بل وأقام على عرفانه من عرفة أوضح الدلائل ، وله أحوال ظاهرة وكرامات باهرة .

(منها) أنه مرض فعاده أبو الحسن البوشنجى والحسن الحداد واشتريا بنصف درهم تفاحاً فى الطريق نسيئة وحملاه فلما قعدا ، قال لهما : ما هذه الظلمة !! فخرجا وتفكرا فيما فعلوا فذكرا أنهما لم يفيا ثمن التفاح فوفياه وعاد إليه ، فنظر إليهما وقال : يمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة ؟ أخبراني عن شأنكما ، فذكرا له القصة فقال : نعم كان يعتمد كل منكما على صاحبه فى دفع الثمن والبائع يستحق منكما فى التقاضى وأنا السبب فرأيت ذلك فيكما .

(٢) أبو حمزة الخراسانى (٢٢٧)

أصله من محلة ملقياباد ، ومن أقران أبي تراب والجنيد والخاز ، وكان ورعاً زاهداً صوفى وقته ، آية فى حسن سيرته وسمته ، وكان بالأوامر متكتفياً ، وعن الزواجر منتهياً ، تاركاً لتكلف الأثقال ، مغتبطاً لتحصيل الواجب من الأفعال ، وكان ابن حنبل يجله ويعظمه .

(ومن كلامه) : من استشعر ذكر الموت أى اتخذ شعاره حب إله كل

(١) السلمى ص ٤٢٥ : والنبهانى ٤٨٧/١ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ٣٣ : ونتائج الأفكار القدسية ١٨٥/١ : وطبقات السلمى ص ٣٢٦ - ٣٢٨ : وطبقات الشعرانى ١٢٠/١ .

باق ، وبغض إلية كل فان ، وقال : العارف يدافع عيشه يوما بيوم ويأخذ عيشه يوما ليوم ، وقال : علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويدل بعد العز ويخفى بعد الشهرة ، وسمع بعض إخوانه يلوم بعض أصحابه على إظهار وجده وغلبة الحال وإظهار سره فى مجلس فيه بعض الأضداد فقال : أقصر يا أخي فالواحد الغالب يسقط التميز و يجعل الأماكن كلها مكانا واحدا والأعيان عينا واحدة فلا لوم على من غلبه الوجد فاضطر إلى إبدائه ، وسئل هل يتفرغ المحب لشيء سوى محبوبه : فقال : لا لأنه بلاء دائم وسرور منقطع وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا من باشرها ، وقال له رجل : أوصنی ، قال : هيئ زادك للسفر الذى بين يديك وكان يقول : فى بدايتك أقيم محربما فى عبادة ألف فرسخ فى كل سنة كلما حللت أحضرت ، أى كلما أتيت شهوة من الشهوات أتوب منها .

(ومن كراماته) أنه حج فسقط فى الطريق فى بئر فنازعتنى نفسي أن أستغيث فقلت لا والله ، فماتم الخاطر حتى مر رجلان فقال أحدهما للأخر : نسد رأس هذا البئر لثلا يقع فيها إنسان فطمس رأسيهما ببادية وقصب فهممت أن أصيح قلت : الجأ إلى أقرب إلى منهما ، فسكت فجاء شيء فكشف البئر وأدى رجله وهمهم فتعلقت بها وأخرجت فإذا هو سبع ، قالوا : وكان حسن الكلام فتكلم يوما فأحسن ، فهتف به هاتف : تكلمت فأحسنت بقى أن تسكت فتحسن ، فما تكلم بعدها حتى مات بعد نحو أسبوع سنة تسعين ومائتين .

(٢٢٨) أبو عبد الله الدبيلى^(١)

كان من رؤوس العباد وأكابر الزهاد ، وكان من أرباب الخطوة ويطير فى

(١) لعله أبو عبد الله محمد بن وهب البصرى الهنائى الدبيلى ، انظر أنا بزرك ، مصفى المقال ص ٤٢٦ ، وفيها أنه من أعيان القرن الرابع الهجرى .

الهوا ، فكلمه بعض إخوانه أن يشتري لعياله دارا ففعل فقص جناحه فبعث إليه بعض إخوانه أن القنا فى موضع كذا على مسافة بعيدة فبعث إليه قد قص جناحى فادع لى ، فبعث إليه : صله من الموضع الذى أنقص ، فخرق الصك فرد الله عليه ما ذهب منه .

(٢٢٩) أبو الأسود المكى

كان من أكابر الصوفية دخل عليه إنسان فقال : السلام عليكم ، إنى أحبك فصعق ، ثم أغمى عليه ، فأقام ثلاثة ، ثم أفاق فلم ير أحدا .

(٢٣٠) أبو الأسود الدرمي

كان من مشايخ الصوفية ، أراد أن يسيح فى البادية فملاً مطهرته ماء ثم ساح فكان إذا أراد أن يتوضأ صب منها ماء ، وإن أراد الأكل أو الشرب صب منها لينا .

(٢٣١) أبو هاشم الزاهد

كان إلى الحق وافدا ، وعن الخلق عائدا ، وفيما سوى الحق زاهدا .
(ومن كلامه) : إن الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المریدين به دونها وليرقبل المطیعون إليه بالإعراض عنها فأهل المعرفة بالله فيها مستو وحشون وإلى الآخرة مشتاقون ، وقال : قلع الجبال بالإبر أيسر من إخراج الكبر من القلوب وقال : لو أن الدنيا قصور وساتين والآخرة كيمان ومزابل كانت الآخرة أهلاً أن تؤثر عليها لبقاء تلك ونفاد هذه .

(٢٣٢) أبو شعيب البراثي^(١)

العايد الزاهد ، كان ذا طريقة محمودة ، وسيرة بالشکر مقصودة ،
صاحب أحوال وكرامات وخوارق ومكاففات .

(ومن فوائده) : لن يرد القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله على كل حال ، ومن وهب له الرضى فقد بلغ أفضل الدرجات ، ومن زهد على حقيقة كانت مؤنته خفيفة ، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال .

(ومن مناجاته) : كرمك أطمعنا في عفوك ، وجودك أطمعنا في فضلك وذنوبنا تؤينا من ذلك وتأبى قلوبنا لعرفتها بك أن تقطع رجاءها منك فتفضل أيها الكريم وجُددْ بعفوك يا رحيم .

(٣٢٣) إسماعيل بن يوسف الديلمي^(٢)

كان من أكابر العباد ورعوس الزهاد ، جامعا بين العلم والعمل ، مبلغا أهل الحديث والتصوف من فضله غاية الأمل ، جمع بين التصوف والفقه والحديث رأكثر السماع حتى كان يذكر بسبعين ألف حديث .

(له من الكرامات) ما قال : « اشتهرت حلو وأبلغت شهرته إلى فخرجت من المسجد بالليل لأبول فإذا بجنبى الطريق قرابين من الحلو فنوديت يا إسماعيل هذا الذى اشتهرت به وإن تركته فهو خير لك ، فتركته » .

(١) نسبة إلى محله براثا في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محول ، وكان أبو شعيب العايد أول من سكن براثا في كوخ يبعد فيه ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ١/٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٢) هذه الترجمة ساقطة من ش ، و ش ١ .

(٢٣٤) إسراويل المغربي^(١)

كان من سادات الصوفية ، وله كلام كثير في الزهد والتسوكل ، سأله بعضهم عن ستمائة مسألة منها هل تعذب الأشرار قبل الزلل ؟ فقال : أمهلني ثلاثة أيام فأتاه في اليوم الرابع فقال له : يمكن العذاب قبل الزلل والثواب قبل العمل ، فصعق ثم مات .

(٢٣٥) أليوب الحمال

كان من العابدين المجاهدين المجتهدين ، قييز عن أعيان صوفية مصره ، وترجح على كثير من أكابر عصره ، ومن أقران بشر وسرى ، صحبه سهل بن عبد الله ، قال : عقدت على نفسي أن لا أمشي غافلا ولا أمشي إلا ذاكرا ، فمشيت مشية فأخذتني عرجة فعلمت من أين أنت فبكيت واستعفست واستغفرت ، فزالت العلة ، فرجعت إلى الموضع الذي غفلت فيه فرجعت إلى البداية إذا عصفور يحوم علينا وحولنا ، فرفع أليوب إليه رأسه وقال : جئت إلى هنا ففت خبزا في كفه فوق العصفور عليه فأكل فقال له : اذهب الآن ثم رجع من الغد ففعل أليوب مثل ذلك ، ثم لم يزل يفعل به ذلك إلى آخر السفر ؛ واشتري أحمد بن حنبل دقيقا فرأفي أليوب الجمال فحمله معه إلى بيته فوجد فيه خبزا فرأه أليوب فقال أحمد : ياصالح أعطه رغيفين فناوله رغيفين ، فرد هما وذهب فقال أحمد لابنه : الحق بهما فعل فأخذهما فعجب صالح ، فقال : أحمد لاتعجب استشرفت نفسه للخبز حين رأه فرده ، فلما ذهب أيس فأعطيه فقبل .

(١) هذه الترجمة ساقطة من ش ، ش ١ .

(٢٣٦) أم هارون الشامية

العايدة الزاهدة الصوفية ، كانت من الخائفات القانتات العابدات الورعات ، قد أنزلت الدنيا منزلتها ، ووجهت إلى الآخرة طلبتها ، وكانت تصوم النهار الدهر وتفترط على الحبز وحده وتقول : ما أطيبه ، وخرجت تريد موضعًا فصاح صبي بصبي : خذوه ، فسقطت مغمي عليها فوقعت على حجر فدميت ، قال الداراني^(١) مأری أن في الشام مثلها ، وكانت لما تكشف وجهها يضئ كالقمر ، وكان يعرض لها الأسد فتمشى نحوه ، فإذا قربت منه نظرت إليه وقالت : تعالى يا كلب ، إن كان لك رزق في فكلنني فإذا سمع كلامها أقعي ثم ولی راجعا ، وقيل^(٢) لها : أتحبب الموت ؟ قالت : لا ، لأنك لو عصيت آدميا ما أحبت لقاءه فكيف لقاء الله وقد عصيته .

حرف الباء الموحدة

(٢٣٧) بشر بن الحارث^(٣)

الحادي المكتفى بكفاية الكافي اكتفى فاشتفا ، وقد قيل : إن التصوف الاكتفاء والاشتفاء من الابتلاء ، كان كبير الشأن عظيم المقدار على المنزلة رفيع المنار ، لطيف الإشارة ، عذب الكلام ، طلق العبارة عديم النظير زهداً وورعاً ، وصلاحاً ، كثير الحديث ، لكنه كره الرواية آخرًا قال الدارقطني : وهو ثقة لا يروى إلا حديثاً صحيحاً وأصله من رؤساء مرو ثم سكن بغداد وأخذ عن الفضيل ، وتلك الطبة ، وكان أسفل قدمه أسود من التراب من كثرة المشي

(١) عبد الرحمن بن عطيه بن سليمان الداراني ، انظر ترجمته رقم ٢٥٩ .

(٢) القائل هو الداراني كما جاء في ترجمته المشار إليها في الحاشية ١ .

(٣) حلية الأولياء ٣٣٦ - ٣٦٠ : والرسالة القشيرية ص ١٤ : ووفيات الأعيان ١١٢/١ : وصفة الصفوة ١٨٣/٢ - ١٩٠ : طبقات الشعراوي ١/٨٤ - ٨٦ : و تاريخ بغداد ٦٧/٧ - ٨٠ : و مرآة الجنان ٩٢/٢ - ٩٤ : والبداية والنهاية ١٠/٢٩٧ : والسلمي ص ٣٩ - ٤٧ : والشذرات ٦٠/٢ .

حافيا وسبب حفاته أنه كان في ابتدائه في لهو ولعب فجلس مع رفقائه لذلك فدق رجل بابه فخرجت الجارية ، فقال صاحب هذه الدار : حر أم عبد ؟ قالت : حر قال : صدقت لو كان عبدا لاستعمل أدب العبودية وترك الله ثم ولى ، فدخلت الجارية فأخبرته فخرج يعود خلفه حافيا حتى أدركه ، وقال : أعد الكلام فأعاده فهام على وجهه حافيا حتى عرف بالحفاء فقيل له : لم لا تلبس نعلا ، فقال : ماصالحنى مولاي إلا وأنا حاف فلا أزول عن هذه الحالة ، وقبل : إنما سببه أنه انقطع أحد نعليه فطلب من اسكاف شسعا ، فقال ما أكثر كلفتكم على الناس ، فألقاه ، وحلف لا يلبس نعلا أبدا ، وقال محمد بن الصلت : كان اسمه بين الناس كأنه اسمنبي ، وسببه أنه وجد ورقة فيها البسمة بالطريق فرفعها وطيبها بغالية ، فقيل له : طيبتها لأطيبين اسمك في الدنيا والآخرة .

قال الغزالى : وكان بشر من الورعين ، فقيل له : من أين تأكل ؟ فقال : من حيث تأكلون لكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك ، ويد أقصر من يد ولقمة أقصر من لقمة ، بكى حتى ذهبت أشفار عينيه ، وكان لا يشرب من الأنهار التي حفرها الأمساء ، فيقول النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه ، ويبلغ من رفيع قدره أن الخليفة المؤمن تشفع بأحمد بن حنبل في أن يأذن له في زيارته ، فأبلى ورأى شابا عليه مرقة فقال له ثوب شهرة يكرمك الناس لأجلها ، فقال : إنني لبستها لأعلم الناس أنى عبد الله فيكرموني لأجله ، فقال له بشر : أحسنت ، مثلك من يصلح له لبس المرقة ، وقيل له : لم لا تتزوج ؟ فقال : المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا لم أبلغ مبلغ الرجال ، فللقوم أوان يعرفون به أوان استحقاق التزويج ، قال الخواص : وأوانه أن يبلغ إلى حد لا يشغله عن الله شاغل ، فمن لم يبلغ هذا الحد لا ينبغي له التزوج . قال الشعراوى : ويتquin حمل هذا على من لم تتق نفسه إلى التزوج ولم يخف الفتنة بقرائن الأدلة الشرعية إلا فيستحب له التزوج انتهى ، وقيل له : لم تؤنس بالقدس ؟ قال : لأنه يذهب بالهم ولا تستحمل النفس بها ، وقال :

ما بقى عندي من لذات الدنيا إلا استلقاء على جنبي ببيت المقدس .

(ومن كلامه) من أراد أن يلقن الحكمة فلا يعصي الله ، وقال : إذا قصر العبد في الطاعة سلبه الله من يؤنسه ، وقال : ما تلقى الله من أحبت الشهرة ، وقال : لا تعمل لتذكر ، وقال : إِذَا أَعْجَبَكَ الْكَلَامُ فَاصْمُتْ أَوْ السُّكُوتُ فَتَكَلَّمُ ، وقال : إِنَّمَا أَنْتَ مَتَلَذِّذٌ تَسْمَعُ وَتَحْكِي ، إِنَّمَا الْمَرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْعَمَلُ ، تَعْلَمُ وَاعْمَلُ وَاهْرُبُ ، وقال : مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا يَسْأَلُهُ طَوْلَ الْوَقْفِ بَيْنَ يَدِيهِ ، وقال : الرَّزْدَهُ مَلْكٌ لَا يُسْكِنُ إِلَّا قَلْبًا مُخْلِيًّا ، وقال : مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِالصَّدْقِ اسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ ، وقال : لَوْ تَفْكَرَ النَّاسُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ لَمَا عَصَوهُ ، وقال : انْظُرْ خَبِيزَكَ مِنْ أَينَ هُوَ ، وَلَا تَعْرُضْ لَحْمَكَ لِلنَّارِ ، وقال : مَا أَعْرَفُ رِجْلًا أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ إِلَّا ذَهَبَ دِينَهُ وَافْتَضَحَ ، وقال : لَا يَجِدْ حَلاوةَ الْآخِرَةِ رِجْلًا أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ ، وقال : سَلَّمُوا عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِتَرْكِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ ، وقال : مَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ بِالْعِلْمِ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِغَضَنْهِ فَإِنَّمَا مَقْتَنِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وقال : أَقْلَلَ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنْ تَكُنْ فَضِيحةً كَانَ مِنْ يَعْرِفُكَ قَلِيلًا ، وقال : الْعِبَادَةُ مِنَ الْفَقِيرِ كَعْدَدِ جَوْهَرِهِ عَلَى جَيْدِ حَسَنَتِهِ وَمِنَ الْغَنِيِّ كَشْجَرَةِ خَضْرَاءِ عَلَى مَزِيلَتِهِ ، وَالْفَقِيرُ الزَّاهِدُ كَعْدَدِ جَوْهَرِهِ فِي جَيْدِ الْحَسَنَاتِ ، وقال : سَكُونُ النَّفْسِ إِلَى المَدْحُ أَضَرَّ عَلَيْهَا مِنَ الْمُعَاصِيِّ ، وقال : مَنْ حَرَمَ الْعِرْفَةَ لَا يَجِدُ لِلطَّاعَةِ حَلاوةً ، وقال : النَّظرُ إِلَى مِنْ تَكْرِهِ حَمِيَّ بَاطِنَةً ، وقال : فَضْلُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ بِثَلَاثِ طَلْبِ الْحَلَالِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ لِنَفْسِي فَقَطُّ ، وَاتْسَاعُهُ فِي النِّكَاحِ وَضيقُهُ عَنِّهِ ، وَكَوْنِهِ نَصْبٌ إِمامًا لِلْعَامَةِ ، وقال : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا إِلَّا مُبْتَلِي ، رِجْلٌ بَسْطَ اللَّهَ زَرْقَهُ فَلِيُنْظُرْ كَيْفَ شَكَرَهُ ، وَرِجْلٌ قَبْضَ عَلَيْهِ رَزْقَهُ فَلِيُنْظُرْ كَيْفَ صَبَرَهُ ، وقال : قَالَ مُوسَى يَارَبِّ إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعَمْنِي ، قَالَ : مَتَى أَشَاءَ ، وقال : التَّوْكِلُ أَضْطَرَابَ بِلَا سَكُونٍ وَسَكُونَ بِلَا اضْطَرَابٍ ، وقال : قَلْ لَمْ يَطْلُبِ الدُّنْيَا : تَأْهِبْ لِلذِّلَّ ، وقال : لَا يَجِدْ عَبْدٌ حَلاوةَ الْعِبَادَةِ حَتَّى يَجْعَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ حَائِطًا مِنْ

حديد ، وقال : لو سقطت قلنسوة من السماء لما سقطت إلا على رأس من لا يريدها ، وقال : يأتي على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقاء على الأكياس ، وقال : النظر إلى البخل يقسى القلب ، وقال : هب أنك ماتخاف أما تشتق ؟ وقال ليس طلب الحديث من عدة الموت ، فقيل له : قد خرجمت إلى أبي نعيم ، قال أتوب إلى الله من ذهابي ، وقال : قد شهرنى ربى في الدنيا فليته لايفضحني في القيامة ، وقال : غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه ، ورأه رجل سكران فأقبل عليه يقبله وبشر لا يدفعه من نفسه ، فلما ولى تغرت عيناه ، وقال : رجل أحب رجالا على خير توهنه فيه ولعل المحب نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله ، وقال تدعى الأمم يوم القيمة بنبائتها ويقال للمحبين يا أولياء الله فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا ، وقال ليس من المروءة أن تحب ما يبغض حبيبك ، وقال إياك والأغترار بالستر والأتراك على حسن الذكر ، وقال الليل والنهر حشيشان يعلمون فيك فاعمل فيما ، وقال : ليس المتكول من يتوكى على الله ليكتفى ، ولو حلت هذه الصفة بقلوب المتكولين لضجوا إلى الله بالتوبة منها ، بل المتكول تحلى بقلبه الكفاية من الله ويصدقه فيما ضمن ، وقال : أفضل أعمال البر الصبر على الفقر ، قال : حقيقة المحبة ترك مخالفات المحبوب بكل حال والتسليم إليه في الحال والمآل ؟ وقال : المحبة ذلت في عز المحبوب ومشاهدته للحشف المجلوب مع امتناع المطلوب ، وقال : القرب من الأغيار بعد من الحبيب والأنس بهم وحشة منه ، وقال : عائق الفقر وتوسد الصبر ، وعاد الهوى وخالف الشهوات وضيق الدنيا عليك كحلقة خاتم ف بهذه يطيب السير إلى الله ، وقيل له : لم لا تدخل الجامع تعظ الناس ؟ قال : إنما يدخل الجامع جامع ، وقيل له لا اتصل في الصف الأول ؟ فقال : إنما يريد قرب القلوب لا قرب الأجسام ، وقال : عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه ، وقال : لقى حكيم حكيمًا فقال لأراك الله عند ما نهاك عنه ولا فقدك حيث أمرك ، وقال : أشد الأعمال ثلاثة ، الجود في القلة والورع في الخلوة وكلمة الحق عند من يخاف ويرجى ، وقال : دخلت فرأيت

رجلًا طويلا يصلى فرعاني لكون المفتاح معى ، فلما سلم قال : أنا الخضر قلت : علمنى ما ينفعنى ، قال : قل : أستغفر الله من كل عهد نقضته ومن كل نعمة استعنت بها على معصيتك ، وقال : رأيت الخضر فقلت ادع لي ، قال : هون الله عليك طاعته ، وقلت زدني ، قال : وسترها عليك ، وقال : الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل ، وإن أعطى لا يأخذ فذاك من الروحانيين ، وفقيه لا يسأل وإن أعطى قبل فذاك من أوسط القوم ، وفقيه اعتقاد الصبر ومدافعة الوقت فإذا طرقته الحاجة خرج لإخوانه وقلبه إلى الله بالسؤال ، فكفاره مسأله صدقه في السؤال ، وقال علماء زماننا إنما هم متلذذون بالعلم يسمعونه ويحكونه فقط ، وقال : كل حرف من العلم يدل صاحبه على الهرب من الدنيا ، وقال : إنني لأجل الله أن أذكره عند من لا يဂله ، وقال : أمس قد مات واليوم في النزع وغدا لم يولد ، فبادروا بالعمل الصالح وقتكم ، وقال إذا كتبت لأخيك كتابا فلا تزخرفه بحسن الألفاظ فإني كتبت كتابا فعرض لي كلامي إن كتبته حسن الكلام وكان كذبا وإن تركته سمع وكان صدقا ، فذكرت السمج الصدق ، فناداني مناد ﴿ ويثبت الله الذين آمنوا ﴾^(١) وقال : من طلب أن يكون عزيزا في الدنيا سليمان في الآخرة ، فلا يحدث ولا يشهد ولا يؤمّن ولا يأكل لأحد طعاما ، وطلب منه الناس التحدث وألحوا ، فأبى ، فقالوا : ما تقول لرييك إذا قال : لم لا تحدث عبادي بحديث نبى ؟ قال : أقول أمرتنى بمخالفة نفسي ونفسي كانت تحب التحدث والرياسة فخالفتها وكان من الذين إذا رأوا ذكر الله ، فصلى يوما فاطال وأحسن ورجل يصلى خلفه ففطن به بشر ، فقال لا يعجبني ما رأيت مني فابليس عبد الله مع الملائكة دهرا ثم صار إلى ماصار إليه ، وقال : لا تؤثروا على حذف العلاقة شيئا فإني لو اجت نفسي بكل ما تستهنى ، خفت أن أكون مكasa أو شرطيا ، وقال : من لم يحتاج إلى النساء فليتقن الله ولا يألف أخاذهن ، ولو جمع رجل بين أربع نسوة يحتاجهن لم يسرف ، وقال : صحبة الأشرار تورث سوء الظن به بالأخيار وصحبة

الأخيار تورث حسن الظن بالأشرار ، وإن الله لا يسأل العبد يوم القيمة لم حسنت ظنك بعبادى ، وقال : لا يفلح مرید يقول بأى شيء أكل خبزى ، وقال أدركتنا العلماء وفيهم ثلات خصال صدق الحديث والزهد وأكل الحلال ، ولا نرى فيهم اليوم واحدة منها فلذلك لا يعبأ بهم ، وقال : من يأكل الدنيا بالعلم كمن يغسل يده من الزهومه بما تنظيف السمك القديد ، وقال : إذا قصر العبد فى العمل فيما بينه وبين الله سلبه من كان يؤنسه من أخي أو علم أو مال ، وقال : التصوف اسم لثلاث معان : أن لا يطفئ نور عرفانه نور ورعيه ، وأن لا يتكلم بباطن ينقصه ظاهر من كتاب أو سنة ، وأن لا تحمله الكرامة على هتك الأستار ، وكان إذا رأى أحداً يضحك يقول : احذر أن يأخذك الله على هذه الحالة ، ودخل عليه رجل في يوم شديد البرد جداً فوجده عرياناً يرعد فلامه ، فقال : ذكرت الفقراء وما هم فيه وليس لي ما أواسيهم به فأردت أن أوافقهم بنفسي في مقاسة البرد ، وتعلق رجل بامرأة وبهذه سكينة لا يدري منه أحد إلا عقره ، وهي تصبيح في يده ، فمر به بشر فحك كتفه فسقط الرجل وخلصت المرأة فسألوه ما حالك ؟ فقال : ما أدرى لكن حاكني شيخ وقال : الله ناظر إليك فوقعت من هيبيته ، وحم الرجل من وقته فمات اليوم السابع ، وكان يقول في مرضه إلهي رفعتني فوق قدرى وشهرتني بين الناس بالصلاح ولست صالحًا ، فأسألك بوجهك الكريم أن لا تفضحني يوم الحساب ، وفي الإحياء عن بعضهم ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها غير بشر ، أتاه رجل في مرض فشكى إليه الحاجة فنزع قميصه فأعطاه فاستعار ثوباً فمات فيه . وفي الفتوحات^(١) عن بعض الصالحين أنه لقي الخضر ، فقال له : ما تقول في الشافعى ؟ قال : من الأوتاد ، قال : فأحمد بن حنبل ، قال : صديق ، قال : فبشر الحافظ ، قال : ما ترك بعده مثله . مات سنة سبع وعشرين ومائتين ببغداد وأخرجت جنازته عقب الصبح فلم يصل إلى المقبرة إلا في الليل ، فصار التمار وابن المدينى يصيحان في الجنازة هذا والله شرف الدنيا قبل شرف

(١) الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محى الدين بن عربى .

الآخرة ، وقيل له : ما فعل بك ؟ قال غفر لي ولكل من شيع جنازتي وأحببني إلى يوم القيمة ، ورأه آخر فقال له : ما فعل بك ؟ فقال : غفر لي ، وقال يابشر ماعبدتنى على قدر ما نوهت باسمك ، ورأه آخر فسألة ، فقال : غفر لي وجعل يذكر مابه من الكرامة ، فقال له قال لك شيئا ؟ قال : نعم ، قال : يابشر ما استحييت مني تخاف ذلك الخوف على نفس هي لي ؛ ورأه آخر ماشيا فقال له : من أين ؟ قال من علينا ، قال ما فعل أحمد بن حنبل ، قال تركته الساعة يأكل ويشرب ويتنعم بين يدي الله ، قال : فأنت ، قال : علم الله قلة رغبتي في الطعام فأبا حنى النظر إليه ، ورأه آخر فقال ما فعل بك ؟ قال غفر لي وقال يابشر لو سجدة لي على الجمر ما كافأت ما جعلت لك في قلوب عبادي ، وجاءت أخته إلى ابن حنبل فقالت إنما نزل على سطوحنا فتمر المشاعل فيقع الشعاع علينا ، فهل لنا أن ننزل في شعاعها ؟ فقال : من أنت ؟ قالت : أنا أخت بشر فبكى حتى أبكي من حوله ، وقال : من بيتك خرج الورع ، لا تغلى في شعاعها .

(٢٣٨) بقى بن مخلد^(١)

ابن مزيد أبو عبد الرحمن الأندلسى ، كان عابدا زاهدا مفسرا محدثا فقيها صوفيا ، مُحاجب الدعوة ، صنف المسند روى فيه نحو ألف وثلاثمائة شيخ ، قال ابن عساكر: وتفسيره أقطع قطعا لا أستفتى أنه لم يؤلف في الإسلام مثله ، لافتيسير ابن جرير ولا غيره ، وقال ابن عبد البر : كان دينا عابدا فاضلا تقىأ قواما صواما مجاهدا منقطع القرین في مصره ، منفردا عن النظير في عصره ، رحل في طلب العلوم وأخذ عن أهل الحرمين ومصر والروم وعسقلان والقدس والرملة

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ٧٥/٧ - ٨٥ : والذهبى ، تذكرة الحفاظ ١٨٤/٢ - ١٨٥ : وابن كثير ، البداية والنهاية ١١/٥٦ : والمقرى ، نفح الطيب ٢٨٥/٩ - ٢٩٣ : والحميدى ، وجذوة المقتبس ١٦٧ - ١٦٨ : وأبو المحسن ، النجوم الزاهرة ٧٥/٣ : ومختصر دول الإسلام ، ١٣١/١ : واليافعى مرآة الجنان ، ١٩٠/٢ : والسيوطى ، طبقات المفسرين ٩ - ١٠ : والشذرات ، ١٦٩/٢ : وكحالة معجم المؤلفين ٥٣/٣ - ٥٤ .

و دمشق و حلب والرقة و حران والجزيرة و حلوان والبصرة والكوفة و واسط وبغداد و خراسان و عدن والإسكندرية والقيروان ، ثم حسده أهل الأندلس و ثاروا و اتهموه بالزندة و شهدوا عليه وأرادوا قتله فلم يساعدهم سلطانها على ذلك .

(قوله كرامات) منها أن امرأة جاءته فقالت له : إن ابني في أسر ولاحيلة لي ، فلو أشرت إلى من يفديه فإني والهة ، فقال نعم ، انصرف حتى أنظر في أمره ، ثم أطرق و حرك شفتينه في بعد مدة جاءت المرأة بابنها ، فقال : كنت في يد بعض ملوك الروم في الأساري وبينما أنا في العمل انفك قيدي و سقط و ذكر اليوم والساعة فوافق وقت دعاء الشيخ ، قال : فصاح على المرسم بنا ثم نظر و تغير وأحضر المداد و قيدوني ، فلما فرغ ومشيت سقطت القيود ، فأعادوا فسقطت ، فبهتوا و دهشوا و دعوا رهبانهم ، فقالوا : دعوة أجيبت فلم يكنكم من تقييده أبدا ، فزودوه وأطلقوه . مات سنة ست و سبعين و مائتين .

(١) بلهول الجنون (٢٣٩)

كان عظيم الشأن مر به السرى السقطى ، وقد دلى رجليه فى قبر وهو يلعب بالتراب ، فقال : أنت هنا ، قال : نعم ، أنا عند قوم لا يزدرونى وإن غبت عنهم لا يغتابونى ، قلت له : يحرم ، فولى ، وأنشا يقول :

تجوّعُ فَإِنَّ الْجَوَعَ مِنْ عَلَمِ التُّقَىٰ وَإِنْ طَوِيلَ الْجَوَعِ يَوْمًا سِيُّشُبُّ

فقلت له : إن الخبر قد غلا ، فقال : ما أبالي ولو بلغت حبة بثقال (٢)
 علينا أن تعبدك كما أمرت عليه أن يرزقنا كما وعد ، ثم ولى وهو يقول :
أَفَ لِلنَّاسِ فَلِيَسْتَ لِي بِدارٍ إِنَّ الْرَّاحَةَ فِي دَارِ الْقَرَارِ

(١) بلهول بن عمرو ، أبو وهب الصيرفي الجنون ، من أهل الكوفة ، قال ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات ٢٢٩/١ : إنه توفي فى حدود التسعين والمائة ، وانظر ترجمته فى الوافى للصفدى .

(٢) جاءت « بدینار » فى التوات ، المرجع السابق ، حيث وردت هذه الرواية منسوبة إلى محمد بن أبي إسماعيل بن أبي فديك .

حرف الجيم

(٤٠) جبلة بن محمد^(١)

ابن عبد الرحمن الصدفي أبو يوسف الأفريقي

سمع من سحنون وغيره ثم غالب عليه التنسك والزهد ، قال أبو العرب : صالح ثقة زاهد سيد أهل زمانه وأزهدهم ، وقال سحنون : سيكون له نبأ ! ومادح الدنيا ولاذمها ، وقالقطان : لو فاخرنا بـنـو إسـرـائـيل بـعـبـادـهـم لـفـاخـرـنـاـهـمـ به ، وقال : اشتـهـيـتـ يـوـمـاـ تـيـنـاـ وـكـانـ فـىـ غـيـرـ زـمـنـهـ فـأـخـرـجـ لـىـ مـنـ قـلـةـ خـمـسـةـ وـكـانـ لـاـ يـبـصـرـ شـيـئـاـ مـنـ دـنـيـاهـ وـلـاـ يـشـتـغـلـ بـأـخـبـارـهـ ، مـاتـ سـنـةـ تـسـعـ وـتـسـعـينـ وـمـائـتـيـنـ .

(٤١) الجنيد أبو القاسم بن محمد^(٢)

المـذـكـورـ بـفـنـونـ الـعـلـمـ ، الـمـتوـشـحـ بـجـلـالـيـبـ الـتـقـوـىـ وـالـحـلـمـ ، الـنـورـ بـخـالـصـ الإـيقـانـ ، الـمـؤـيدـ بـشـابـتـ إـيمـانـ ، الـعـالـمـ بـمـوـدـعـ الـكتـابـ الـعـامـلـ بـمحـكـمـ الـخطـابـ ، الـمـوـفـقـ فـيـهـ لـلـبـيـانـ وـالـصـوـابـ ، كـانـ كـلامـهـ بـالـنـصـ مـرـبـوـطاـ ، وـبـيـانـهـ بـالـأـدـلـةـ مـبـسـوـطاـ ، وـهـوـ نـهـاـونـدـيـ الـأـصـلـ ، بـغـدـادـيـ الـمـنـشـأـ ، الـقـوارـيـ الرـجـاجـ نـسـبـةـ لـحـرـفـةـ أـبـيهـ ، سـيدـ الـطـائـفـةـ ، وـمـقـدـمـ الـجـمـاعـةـ وـإـمامـ أـهـلـ الـخـرـقـةـ وـشـيـخـ طـرـيقـ التـصـوـفـ ، بـهـلـوـانـ^(٣) الـعـارـفـينـ مـرـجـعـ أـهـلـ السـلـوكـ فـيـ زـمـنـهـ فـمـنـ بـعـدـهـ ، رـزـقـ مـنـ الـقـبـولـ وـصـوـابـ الـقـوـلـ مـالـمـ يـقـعـ لـغـيرـهـ ؛ بـحـيـثـ كـانـ إـذـاـ مـرـ بـشـارـعـ بـغـدـادـ ، وـقـفـ النـاسـ لـهـ صـفـوـفـ كـالـمـلـوـكـ وـلـمـ يـرـ فـيـ عـصـرـهـ مـنـ اـجـتـمـعـ لـهـ عـلـمـ وـمـالـ غـيرـهـ ، وـكـنـتـ إـذـاـ رـأـيـتـ عـلـمـهـ رـجـحتـهـ

(١) وجاء اسمه « جبلة بن محمد الصدفي » في السلمي ، الطبقات ص ١٦ .

(٢) حلية الأولياء ٢٥٥/١٠ - ٢٨٧ - ٢٣١/٢ - ٢٣٦ ، وصفة الصفوة ٢٣٥/٢ - ٢٤٠ - ٢٤٠ : ومرأة الجنان ١٤٦/١ ، ووفيات الأعيان ١١٣/١١ : وطبقات الشافعية ٢٨/٢ - ٣٧ : و تاريخ بغداد ٢٤١ - ٢٤٩ : والبداية والنهاية ١٥٥ - ١٦٣ : وطبقات الشعراني ٩٨/١ - ١٠١ : والشذرات ٢٢٨/٢ .

(٣) كلمة فارسية معناها الشجاع الجريء .

على حاله وعكسه ، وناهيك بجعلهم من العقائد الدينية والأصول الإسلامية أن نعتقد أن طريقه وصحابه طريق مقوم ، وقال ابن عربى فى الفتوحات : هو سيد هذه الطائفة ، وكان من الفقهاء المعتقدين الشافعية ، تفقه على أبي ثور وكان يفتى بحضرته وهو ابن عشرين سنة ولم تزل عناق الفريقين له خاضعين ، وعلى تبجيله مجتمعين فى كل عصر وحين ، وقد نقل شيخ الشافعية فى الروضة عنه قبيل الصيام أن أخذ المحتاج من صدقة التطوع أفضل من أخذه من الزكاة . أخذ التصوف عن خاله السرى وحارث المحاسبي قال : قال لى شيخنى السرى : إذا قمت من عندى فمن تجالس ؟ قلت المحاسبي ، قال : نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ، ثم لما وليت سماعته يقول : جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث ، قال الغزالى أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف ومن تصوف أفلح قبل العلم خاطر بنفسه انتهى ، وكان يقول : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، قال ابن عربى يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهما الشاهدان العدلان ، وصاحب الجنيد من هذه الطائفة أربع طبقات كل طبقة ثلاثة رجال وانتهت إليه الرياسة ، وكان صائم الدهر لا يفتر إلا إذا دخل عليه إخوانه فيفتر فياكل معهم وهو ساكت ويقول : ليست المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم ، وأقام عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع ، وورده كل يوم ثلثمائة ركعة وكانت الكتبة يحضرون مجلسه لأنفاظه ، والفقهاء لتقريره ، والفلسفه لدقه نظره ومعانيه ، والمتكلمون لتحقيقه ، والصوفية لإشاراته وحقائقه ، ودخل عليه إبليس فى صورة نقيب وقال أريد أن أخدمك بلا أجرا ، فقال له : افعل ، فأقام يخدمه عشر سنين فلم يجد قلبه غافلا عن ربّه لحظة واحدة فطلب الانصراف ، وقال له : أنا إبليس ، فقال : عرفتك من أول ما دخلت وإنما استخدمتك عقوبة لك فإنه لا ثواب لأعمالك فى الآخرة ، فقال مارأيت قوتك يا جنيد ، فقال له : اذهب ياملعون ، أتريد أن تدخل على الإعجاب بمنفسى ، ثم خرج خائضا ، وكان إذا طلب أحد منه الطريق يقول : اذهب

فاخذم الملوك ثم تعال فإن بداية طريقنا نهاية مقام بعض الملوك .

(ومن فوائده وحكمه) لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله .

وقال : من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من أتبعه .

وقال : العارف من نطق عن سرك وأنت ساكت .

وقال : مأخذنا التصوف عن القليل والقال بل عن الجموع وترك الدنيا وقطع المؤلف ، وسئل ما الفرق بين المريد والمراد ؟ فقال المريد تولته سياسة العلم والمراد تولته رعاية الحق فإن المريد يسيير والمراد يطير وأين السائر من الطائر .

وقال : الاخلاص سر بين العبد وبين الله لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هو فيهلكه ، وقال : الصادق ينقلب في اليوم أربعين مرة والمurai يثبت على حالة واحدة أربعين سنة .

وقال : الإستئناس بالناس حجاب عن الله والطمع فيهم فقر الدارين ، وقال : لا يسمى عبد عاقلا حتى لا يظهر على جوارحه شيء ذمه ربه .

وقال : بنى الطريق على أربع لا تتكلم إلا عن وجود ، ولا تأكل إلا عن فاقة ، ولا تنم إلا عن غلبة ، ولا تسكت إلا عن خشية .

وقال : صفاء القلوب على صفاء الذكر وخلوصه من الشوائب ، وقال : كلام الأنبياء عن حضور الصديقين عن المشاهدة .

وقال : من زعم أنه يعرف الله وهو كاذب ابتلاه بالمحن وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه ، فإن تنبه وانقطع إليه وحده كشف عنه المحن ، وإن داوم السكون إلى الخلق نزعت من قلوبهم الرحمة عليه وأليس لباس الطمع فيهم فتتصير حياته عجزاً وموته كمداً وآخرته أسفًا نعوذ بالله من الركون لغيره ، وسئل

عن العارف فقال ، لون الماء لون إنائه أى هو بحكم وقته .
وقال : مكابدة العزلة أشد من مداواة الخلطة .

وقال : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا تفتلك أن تصدق بها في غيرك ، فإن لم يصبها وابل فطل ، وقال يجعل أحدكم بينه وبين قلبه مخلة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة ، وقال كنت بين يدي السرى ألعب وأنا ابن سبع والجماعة يتكلمون في الشكر قال ياغلام ما الشكر ؟ قلت : أن لا يعصي الله بنعمة فقال : ما أحسن هذا أخشى أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه الكلمة ، وسئل ما بال أصحاب إذا سمعوا القرآن لا يتواجهون ولا يتحركون بخلاف ما إذا سمعوا الرباعيات ؟ فقال : لأن القرآن كله أحكام ومواعظ كلفوا بالعمل بها ومن كلف بشيء لا يطرب به ولا كذلك الرباعيات فإنها كلام جنسهم وما عملته أيديهم بخلاف القرآن فإنه حق صدر عن حق فلا مجانية بينها وبينه ، وقال ما أخرج الله علما إلى الأرض وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وجعل لى فيه حظا ونصيبا .

وقال : القرآن كلام الله وهو صعب الإدراك والرباعيات كلام المحبين المخلوقين ؛ وقال لأبي بكر الشبلـى : إن خطر بيالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تعد ثانيا فإنه لا يجيء منك شيء في الطريق .

وقال : لو رأيتـمـ الرجلـ قدـ ترـبعـ فـىـ الـهـوـاءـ وـمـشـىـ عـلـىـ المـاءـ فـلاـ تـلـتـفـتوـاـ إـلـيـهـ حـتـىـ تـنـظـرـوـهـ عـنـدـ الـأـمـرـ وـالـنـهـىـ ،ـ فـإـنـ كـانـ عـاـمـلـاـ بـالـأـمـرـ مـجـتـبـاـ لـمـاـ نـهـىـ عـنـهـ فـاعـتـقـدـوـهـ .

وقال : من ادعى أن له حالا مع الله أسقط عنه التكليف وهو حاضر العقل فهو كاذب ، ومن يسرق ويذم أحسن حالا من يقول ذلك .

وقال : ما بلغ أحد درجة الحقيقة إلا وجب عليه التقييد بحقوق العبودية وحقيقةـهاـ وـصـارـ مـطـالـبـاـ بـآـدـابـ كـثـيرـةـ لـمـ يـطـالـبـ اللهـ بـهـاـ غـيرـهـ .

وقال : الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود .

وقال : لو كنت ذا سلطان لضررت عنق كل من يقول ما شئ إلا الله لأنه يلزم من ظاهر مقالته هذه نفي الخلق ونفي جميع الشرائع المتعلقة بهم .

وقال : أقل مافي الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من القلب ، والقلب إذا عرى من الهيبة عرى من الإيمان .

وقال : ما دام الشاكر يتطلب من الله المزيد بشكره فهو غريق في حظ نفسه ، فإذا الشكر أن يرى العبد أنه ليس بأهل أن تناله الرحمة لشهوده كثرة معاصيه .

وقال : إذا صدق المريد أغناه الله عن حفظ النقول بنور يجعله في قلبه يفرق به بين الحق والباطل .

وقال : الطريق مسدود إلا على المتبين آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقال : طريق التصوف عنوة لا يصلح فيها .

وقال : التوحيد الحالص أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون .

وقال : التوحيد الذي انفرد به الصوفية انفراد القدم من الحديث ، والخروج عن كل محبوب يقطعهم عن الله ، وترك الاعتماد على كل ماعلم وجهل وأن يكون الحق مكان الكل لا يعول إلا عليه .

وقال : قد طوى علم التوحيد منذ زمان وإنما الناس يتكلمون في حواشيه .

وقال : سبب اضطراب القلب والجوارح عند السماع أنه تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله ﴿أَلست بِرَبِّكُمْ﴾^(١) استفرغت عذوبة سماع كلامه

الأرواح فإذا سمعوا نغما طيبا حركهم لذكره وقال : تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السماع والطعام ومجاراة العلم .

وقيل له : من استفدت هذا العلم الذي لم يسمع من مشايخك ؟ قال : من قعودي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة .

وقال : لا يصفو قلب لعمل الآخرة إلا إن تجرد عن حب الدنيا .

وقال : حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك .

وقال : المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عن صفاء القلب من الدنس وخلوشه من الأضداد والأغيار في مراقبة الجبار ، فيصير كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستار رقيق من صفاء المعرفة وبرد اليقين .

وقال : العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك .

وقال : لو لا أنه روى « أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم » ، وقال : إن بدت ذرة من عين الكرم والجود أحقت المسئ بالمحسن ويقيت أعمالهم فضلا لهم ، فقال ابن عطاء متى تبدو ؟ فقال هي بادية ، قال تعالى : « سبقت رحمتي غضبي »^(١) وقال : لو كان العلم الذي أتكلم به من عندي لفني ، لكن من حق بدأ وإلى الحق يعود .

وقال : من الأعمال مالا يطلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب وما طويت عليه الضمائير من الهيبة والتعظيم لله واعتقاد الخوف وإجلال أوامره ونواهيه .

وقال : الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب .

(١) من حديث قدسي هو « إني أنا الله لا إله إلا أنا ، سبقت رحمتي غضبي ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فله الجنة » رواه الديلمي عن ابن عباس .

وقال : التواضع خفض الجناح ولين الجانب .

وقال : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد .

وقال : احفظوا ساعاتكم فإنها زائلة غير راجعة والخسرة على الغفلة من قوتها واقعة ، وصلوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة ، ولا يشغلكم عن الله قليل الدنيا ، فإن قليلها يشغل عن كثير الآخرة .

وقال : حكايات الصالحين جند من جنود الله تقوم بها أحوال المريدين وتحيا معالم أسرار العارفين ، وحججة ذلك من الكتاب « وكل نقص عليك »^(١) الآية ، وقال : من فارق الجماعة بجسمه وقع في الضلال ، ومن خالص الناس بسره افتنن بهم ، ومن افتن حجب عن الحق بالطمع في الخلق ، وقال : أول مقام التوحيد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : أن تعبد الله كأنك تراه^(٢) .

وقال : مؤاكلة الإخوان رضاع فانظروا من تواكلون ، وقال : لا يصلح السؤال إلا من العطاء عنده أحب إليه من الأخذ .

وقال : الشفقة على الناس أن تعطيهم من نفسك ما يطلبون ولا تحملهم مالا يطيقون ولا تخاطبهم بما لا يعلمون .

وقال : قد ينقل العبد من حال إلى حال أرفع منها وقد بقي عليه من التي نقل عنها بقية فيشرف عليها من الحالة الثانية فيصححها ، وكان إذا سُئل عن مسألة يجبيه ، ثم يسألها آخر عنها فيجيئه بجواب آخر ويقول على قدر السائل يكون الجواب .

وقال : من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة .

(١) سورة هود : الآية ١٢٠ .

(٢) من حديث « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن عمر رضي الله عنه .

وقال : إذا أراد الله عبداً للمحبة كشف له عن قدم إنعمه عليه وبره وكثرة الأيدي القدية عنده .

وقال : تنتهي عبادة أهل المعرفة إلى الظفر بنفسهم ، وقال : على العاقل أن لا يفقد نفسه من ثلاثة مواطن ، موطن يعرف فيه حاله أفي زيادة أم نقص ، وموطن يستحضر فيه عقله لرؤية مجرى التدبير عليه ، وكيف تغلب عليه الأحكام ، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها مالمها .

وقال : إن الله كشف لعباده معايبهم في ذكر الطين لهم ، وعرفهم مقاديرهم بذكر النطفة ، وأشهدهم على عجزهم في تقلبهم ليعرفوا فاقتهم إليه في كل حال .

وقال ابن شريح : طريقنا أقرب إلى الحق من طريقكم فطالبه بالبرهان ، فقال الجنيد لرجل : ارم حبرا في حلقة القراء فصاحوا كلهم « الله » ثم قال ألقه في حلقة الفقهاء فألقاه ، فقالوا : حرام عليك أزعجتنا فقبل رأسه واعتذر .

وقال : لا يرتقى في الدرجات من لم يحكم بينه وبين الله أول البداية وهي الفروض الواجبة ثم الأولاد الزاكية ومطابا الفضل وعزائم الأمر فمن أحكمها من الله عليه بما بعدها .

وقال : التصوف تجنب كل خلق دني ، واستعمال كل خلق سنى وأن تعمل لله من غير رؤية العمل .

وقال : من سكن أو شكى إلى غير الله ابتلاه الله بحجب سره عنه .

وقال : أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفة .

وقال : من عرف الله أطاعه ومن عرف نفسه ساء بها ظنه ، وخاف على حسناته أن لا تقبل .

وزاره الحريري فوجده يصلى فأطال ، فلامه ، فقال : طريق عرفنا بها

ربنا لانقتصر على بعضها فالنفس ماحملتها تتحمل ، والصلوة صلة والسجود قرية ومن ترك طريق القرب أوشك أن يسلك طريق البعد .

وقال : لا تيأس من نفسك مادمت تخاف من ذنبك وتندم عليه .

وقال : الورع في الكلام أشد منه في الكسب . وقال : العلم يوجب لك استعماله ، فإن لم تستعمله في مراتبه كان عليك لالك .

وقال : المرء لا يعاب بما في بطنه ، وسئل العناية قبل أم البداية ؟ فقال : العناية قبل الطين والماء .

وقال : أعلى درجة الكبر وأشدتها أن ترى نفسك ، وأدناء في الشر أن تخطر نفسك بيالك .

وقال : إن الله يعطي القلوب من بره بحسب ما أخلصت له في ذكره .

وقال : رأيت في النوم كأنني أتكلم على الناس ، فجاء ملك ، فقال : ما أقرب ما يتقرب به المتقربون إلى الله ؟ قلت : عمل خفي بميزان وفي ، فولى وهو يقول كلام موفق .

وقال : لقد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقينا ، وقيل له : متى يستوى عبد حامده وذاته ؟ قال : إذا تحقق أنه عبد مخلوق .

وقال : الغفلة عن الله أشد من دخول النار .

وقال : بلغنى أن يونس عليه السلام بكى حتى عمي ، وقام حتى انحنى ، وصلى حتى أقعد ، ثم قال : ^{وعزتك لو كان بيني وبينك بحر من نار} لحضرته شوقا إليك .

وقال : لا تقوم بما عليك حتى تترك جميع مالك ، وليس شيء أغر من الدنيا ، وقال : اليقين استقرار العلم الذي لا يحول ولا يتغير في القلب .

وقال : إذا صدقت الله فاصدقه في سرك ، فإنه تعالى جعل لإبليس على كل شيء طريقاً إلا صدق الأسرار .

وقال : ما رأيت من عظم الدنيا فقرت عينه بها وما حقرها أحد إلا أنته وهي راغمة .

وقال : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ، وقال الغزالى : ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه أولاً ثم يضعها ، والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئاً حتى يضعها ويرفعها .

وقال : أتيت مسجد الشونيذية^(١) فوجدت جمعاً من الفقراء يتكلمون في الآيات ، فقال فقير : أعرف رجلاً لو قال لهذه الأسطوانة كوني ذهباً كانت كذلك فصارت ، وقال : أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت ، فالزوجة على التحقيق قوت ، وسبب لطهارة القلوب .

وقال : حسنات الأبرار سيئات المقربين ثم أنسد :

طوارقُ أنسوارِ تلوح إذا بدتْ فتظهرُ كتماناً وتخبرُ عن جمْع
وسائل عن العشق فقال : لا أدري ما هو لكن رأيت رجلاً أعمى عشق
صبياً ، وكان الصبي لا ينقاد له ، فقال الأعمى : يا حبيبي إيش تريد مني ، فقال
روحك ففارق روحه حالاً ، ومر ببعض دروب بغداد فسمع قائلاً يقول :

منازلَ كنتَ تهواها وتنزلَها أيامَ كنتَ على الأيام منصورة
فبكى وقال : ما أطيب منازل الألفة والسرور وأوحش مقامات المخالفة ؟
لأزال أحن إلى بدايتي وحدة سعيي وركوبي الأحوال طمعاً في الوصول ، وأنا
في أيام فترة أتأسف على أوقاتي الماضية ، وسئل على ماذا يتأسف المحب من
أوقاته ؟ .

(١) والشونيذية مقبرة ببغداد بالجانب الغربي ، دفن فيها جماعة كبيرة من الصالحين منهم صاحب الترجمة ، ورويم ، وسمون المحب ، وهناك خانقة الصوفية ، ياقوت ٣٧٤ / ٣ .

قال : على زمان بسط أورث قبضا أو زمان أنس أورث وحشة .

وقال : من لم يصل علمه باليقين ويقينه بالخوف وخوفه بالعمل ، وعمله بالإخلاص وإخلاصه بالمجاهدة فهو من الهالكين .

وقال : اليقين أن لا تهتم لرزقك الذي كفيته وتقبل على عملك الذي كلفته ، فإن اليقين يسوق إليك الرزق سوقا حثيثا .

وقال : المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الحق شديد ، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد والصبر مع الله أشد .

وقال : الصبر تجرب المرأة من غير تعبيس والرضى رفع الأختيار .

وقال : الفتوة كف الأذى وبدل الندا .

وقال : الزهد استصغر الدنيا ومحو آثارها من القلب .

وقال : وقد سأله جمع : أنطلب الرزق : إن علمتم أي محل هو فاطلبوه ، قالوا : فنسأله الله فيه ؟ قال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه . قالوا : فندخل البيت ونتوكل ؟ قال التجربة شك ، قالوا بما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة !

وقال : اليقين ارتفاع الريب في مشاهدة الغيب ، ولما جلس يتكلم على الناس بأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم كان أول مجلسه أن وقف عليه غلام نصراني متذمرا فقال مامعنى قول النبي : « اتقوا فراسة المؤمن »^(١) قال : معناه أنك تسلم فقد حان وقت إسلامك ، فأسلم ، وكان يقول في مجلسه : لو لا أنه عليه السلام قال « يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم » ماتكلمت عليكم .

(١) أخرجه الترمذى في كتاب التفسير عن أبي سعيد الخدري .

وسئل عن التوحيد فأجاب بكلام لم يفهم فقيل له : أعد الجواب فإننا مافهمنا ، فقال جوابا آخر ، فقيل له : هذا أغمض ، فأمله علينا حتى ننظر فيه ونعلم ، فقال : إن كنت أجريه فأنا أمليه ، وقال ابن عربى : أشار إلى أنه لاتعمد له فيه وإنما هو بحسب ما يلقى الله ما يقتضيه وقته وبختلف الإلقاء باختلاف الأوقات ، وال القوم إنما يوردون ما يعطيه الكشف ويمليه الحق ، وقيل له : أبو يزيد يقول سبحانه أنا ربي الأعلى فقال : الرجل استهلك فنطق ماهلك به لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد في الحق إلا الحق .

وقال : صحبت قوما بالبصرة فاكثرونى ، فقلت يوما أين أزارى فسقطت من أعينهم ، ودخل عليه الشبل متواجداً فقال : أن كنت ترى نفسك في حضرة الله فهذا سوء أدب وإن كنت خارجها فماذا حصلت حتى تتواجد ، فقال التوبة يا إمام .

وقال : أرقت ليلاً فقمت لوردي فلم أجده ما أجد من الخلاوة فأردت النوم فلم أقدر ، فأردت القعود فلم أطق ثم ارتع البيت للسقوط فخرجت فإذا برجل مختلف ببرد مطروح بالطريق فرفع رأسه قال : إلى الساعة يا أبا القاسم ، قلت : بغير موعد ياسيدى ؟ قال بلى سأله محرك القلوب أن يحرك قلبك للخروج متى يصير داء النفس دواءها ؟ قلت إذا خالفت هواها ، قال اسمعى اسمعى يانفس قد أجبتك بهذا سبعا فأبىت أن لا اسمعيه إلا من الجنيد ثم انصرف فلم أعرفه .

وقال لا تشبع ما يرد على من العالم فإني أصلت أصلا هوأن الدار دار غم وبلاء وفتنه ، والعالم كله شر حكمه أن يلقاني بكل ما أكره ، فإن تلقاني بما أحب فهو فضل وإلا فالأصل الأول ، وقال له أبو عمرو الزجاجي : أريد الحج فأعطاه درهما فشده على مئزره فما زال في سعة حتى رجع والدرهم معه فمد يده وتناول الدرهم .

وجاءه رجل في وقت كدره فقال : ادع لي ، فقال جمع الله همك

ولاشتت سرك ، وقطعك عن كل قاطع يقطعك عنه ، ووصل بك إلى كل واصل يوصلك إليه ، وجعل غناك في قلبك وشغلك به عن سواه ، ورزقك أدبا يصلح لمحالسته ، وأخرج من قلبك ما لا يرضي به ، وأسكن في قلبك رضاه وذلك عليه من أقرب الطرق إليه .

وقيل له عند النزع : قل : لا إله إلا الله فقال : ما نسيته فأذكره .

مات ببغداد سنة سبع أوثمان وتسعين ومائتين وأحرز من صلى عليه ف كانوا نحو ستين ألفا ، ورؤى في النوم فقيل ما فعل بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ، وليلت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في السحر .

وقال الإمام الرازى : فكل أحد يظن أن مامعه من العلوم والأعمال وسيلة إلى وجдан ملك الجنة والوصول إلى عتبة حضرة الحق تعالى ، فإذا جاء وقت الموت بطلت تلك الأوهام ، وزالت تلك الأفكار وبقي المسكين على تراب المحرمان ، وموضع الذلة والعجز ، انتهى .

ووقع له ، أعني الجنيد ، أنه قال : الأرض محتاجة للمطر » فلما مات قيل له ما فعل بك ؟ قال : خيرا ، لكنه عاتبني على كلمة قلتها فذكرها ، وقال : أتنبئن بأرضي وتقول محتاجة للمطر وأنا العليم الخبير ، وما نزله إلا بقدر معلوم !

حرف الحاء المهملة

(٢٤٢) الحارث بن أسد^(١)

المحاسبي البصري علم العارفين في زمانه وأستاذ السائرين في أوانه . عالم سار بنا فضله ، وصوفى طار نبله ، برع في عدة فنون ، وتكلم على الناس فأراهم الجوهر المكنون ، وأحيا القلوب بوعظه ، وشنف الأسماع بدر لفظه تصانيفه مدونة مسطورة ، وأقواله مبوية مشهورة ، وأحواله مصححة مذكورة ، وكان في علم الأصول راسخا راجحا ، وعن الخوض في الفضول جانحا ، وللمخالفين الزائفين قاما وناظحا ، وللمريدين مربيا وناصحا ، وقد قال : التصوف الأخذ بالأصول وترك الفضول واختيار ما اختاره الرسول : سمي بالمحاسبي لكثرة محاسبة نفسه أو لأنه كان له حصى يعدها ويحسبها حال الذكر ، أو لغير ذلك ، صحب الشافعى وقيل بل عاصره فقط ، قال التميمي : هو أمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام ، وقال غيره : له المصنفات النافعة الجمة بحيث تبلغ نحو مائتى مؤلف ، وناهيك برعايته ، وكتبه في هذه العلوم أصول من صنف فيها ، وقال في الإحياء : المحاسبي خير الأمة في علم المعاملة ، وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس ، وأفاث الأعمال وأغوار العبادات ، وكلامه جدير بأن يحكى على نفسه ، وقال ابن الأثير : هو أول من تكلم في إثبات الصفات .

(ومن فوائد البديعة) : من صبح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة .

وقال : أكمل العارفين من أقر بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته .

(١) حلية الأولياء ٧٣/١٠ - ١٠٩ : وطبقات الشافعية ٣٧/٢ - ٤٢ : والرسالة القشيرية ١٥ : ووفيات الأعيان ١٥٧/١ : وطبقات الشعراني ٨٧/١ - ٨٨ : وصفة الصفوة ٢٠٧/٢ : وتاريخ بغداد ٢١١/٨ - ٢١٦ : وميزان الاعتلال ١٩٩/١ : ومرأة الجنان ٢/١٤٢ : والسلمي ص ٥٦ - ٦٠ : والشذرات ١٠٢/٢ ، وابن ظفر الصقلي ١٠٣ : سيبتا ، الأنبا . بيروت ١٩٨٠ ص ١٤٨ - ١٥٠ .

وقال : لو أن نصف الخلق تقرروا مني ما وجدت بهم أنساً ، ولو أن النصف الآخر أعرضوا عنى ما استوحشت لبعدهم .

وقال : مكثت ثلاثة سنين لا يسمع لسانى إلا من سرى ثم ثلاثة لا يسمع سرى إلا من ربى .

وقال : فى حديث خير الرزق ما يكفى ، هو قوت يوم بيوم لا تهتم لرزق غد ، وقال فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الأمانة .

وقال : كل زاهد زهد على قدر معرفته ، ومعرفته على قدر عقله ، وعقله على قدر قوته إيمانه .

وقال : العلم يورث المخافة ، والزهد يورث الراحة ، والمعرفة تورث الإنابة .

وقال : أصل الطاعة الورع ، وقال : وأصل الورع التقوى ، وأصل التقوى محاسبة النفس ، وأصل محاسبتها الخوف والرجاء ، وأصلهما معرفة الوعد والوعيد .

وقال : قال الله لداود : إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما . وقال : حسن الخلق إحتمال الأذى وقلة الغضب ووسط الرحمة وطيب الكلام ، ولكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر ، والعمل بحركات القلوب فى مطالعة الغيب أشرف من العمل بحركات الجوارح .

وقال : إذا لم تسمع نداء الله فكيف تجيب دعاءه ، ومن استغنى بشيء دون الله جهل قدره ، والظالم نادم وإن مدحه الناس والمظلوم سالم وإن ذمه الناس ، والقانع غنى وإن جاء والحرير فقير وإن ملك ، ومن لم يشكر الله على النعمة فقد استدعى زوالها .

وقال : خير الناس من لا تشغله آخرته عن دنياه ولا دنياه عن آخرته .

وقال : التشوق سراج نور من نور المحبة غير أنه يزيد على نورها .

وقال : المتوكل يلحقه طمع من طريق الطبع لكنه خطرات لا تضره .

وقال : بلية طالب الدنيا تعطيل قلبه عن ذكر الآخرة .

وقال : من خرج من سلطان الخوف إلى عزة الأمن اتسعت به المخطة إلى مواطن الهملة .

وقال : تفاوت الناس في الزهد على قدر صحة العقول وطهارة القلوب فأفضلهم أعقلهم وأفهمهم عن الله .

وقال : الرضى سكون القلب تحت مجاري الأحكام .

وقال : عملت كتابا في المعرفة وأعجبت به فبينما أنا أنظره مستحسنا إذ دخل شاب وسلم . وقال : يا أبا عبد الله هل المعرفة حق للحق على الخلق أو عكسه ؟ قلت : حق للحق على الخلق ، وقال : هو أولى أن يكتشفها لستحقيها ، قلت : بل حق للخلق على الحق ، قال : هو أعدل من أن يظلمهم . ثم سلم وخرج ، فغسلته وقلت : لا أتكلم في المعرفة بعدها أبداً .

وكان بينه وبين أحمد بن حنبل وحشة ، فإن أحمد كان يشدد النكير على من يتكلم في علم الكلام والحارث يتكلم فيه فهجره لذلك ، واتفق أنه أمر بعض صحبه أن يجلسه بحيث يسمع كلام الحارث ولا يراه ففعل ، فتكلم الحارث في مسألة في الكلام وأصحابه يسمعون كأنما على رؤوسهم الطير ، فمنهم من بكى ومنهم من صفق ، فبكى أحمد حتى أغمى عليه ، وقال لصاحبه : ما رأيت كهؤلاء ، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، ومع ذلك لا ارى لك صحبتهم ، قال السبكي : إذا قال له ذلك لقصور الرجل عن مقامهم فإنهم في مقام ضيق لا يسلكه كل أحد . مات ببغداد سنة ثلات وأربعين ومائتين .

(٤٣) حاتم البلخي المعروف بحاتم الأصم (١)

المؤثر للأدوم والأعم ، تحقق فسكن وأيقن فركن ، وقد قيل : التصوف التنقى من الشكوك ، والترقى في السلوك ، وهو مولى للمثنى بن يحيى المخاري (٢) ، صحب شقيقاً البلخي ثم اعتزل الناس في قبة منذ ثلاثين سنة لا يكلمهم إلا جواباً لضوره . وهو من أجل مشايخ خراسان .

(ومن كلامه) : من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضى الله ، أولها الثقة بالله فالتوكل فالإخلاص فالمعرفـة ، والأشياء كلها تتم بالمعرفـة .

وقال : تعهد نفسك في ثلاثة ، إذا عملت فاذكر نظر الله إليك ، وإذا تكلمت فانظر سمع الله إليك ، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك .

وقال : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم ، فقد خان نفسه وخانهم ؛ ودخل عليه بعض الأمراء فقال : ألك حاجة ؟ قال : أن لا ترانى ولا أراك .

وقال : من ادعى ثلاثة بغير ثلاثة فهو كذاب من ادعى حب الله بغير ورع ، ومن ادعى حب الجنة بغير إنفاق ، ومن ادعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير حب الفقراء .

(١) حلية الأولياء ٧٣/٨ - ٨٤ : وصفة الصفوة ٤/٤ - ١٣٧ : والرسالة القشيرية ٢٠ : والمختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٣٨/٢ : وتاريخ بغداد ٨/٢٤١ - ٢٤٥ ، ومرآة الجنان ١١٨/٢ وطبقات الشعراني ٩٣/١ : والسلمي ص ٩١ - ٩٧ : والشذرات ٨٧/٢ .

(٢) المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال أبو على التميمي ، المعروف بالبازيدى نسبة إلى بازيدى قريه قبلة جزيرة ابن عمر غربى الدجلة ، توفي سنة ٢٢٣ هـ . معجم البلدان ١/٣٢١ .

وقال : رأس الزهد الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الإخلاص .

وقال : اصحاب الناس كما تصحب النار ، خذ نفعها واحذر أن تحرقك .

وقال : من دخل في مذهبنا فليجعل في نفسه أربع خصال موتا أبيض وهو الجموع ، وموتا أسود ، وهو تحمل الأذى ، وموتا أحمر ، وهو مخالفة النفس ، وموتا أخضر ، وهو طرح الرقاع بعضها على بعض .

وقال : أصل الطاعة ثلاثة : الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ثلاثة الكبر والحسد والخرص .

وقال : الكسل عنون على الزهد وقيل له : عظنى ، قال : إن كنت تريد عصيان مولاك فاعصه في موضع لا يراك .

وقال : لا تغتر بموضع صالح ففي الجنة لقي آدم مالقى ، ولا بكثرة عبادة فإبليس بعد طول تعبده لقي ما لقى ، ولا بكثرة علم فالعلم كان يعرف الاسم الأعظم لقى مالقى ، ولا برؤية الصالحة فلا أعظم من خاتم الرسل ولم ينتفع بلقاءه ناس كثير حتى من أهل بيته .

وقال : الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه ، والمتزهد بعكسه ، .

وقال : لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف ، وعلامة الخوف قصر الأمل ، أسنده الحديث عن بعض التابعين .

قال في روض الرياحين : وقد اجتمع به أحمد بن حنبل وسألة فأجابه فاستحسن جوابه وهو من كبار المشايخ .

(٢٤٤) حمدون القصار النيسابوري^(١)

أحد الاتمة الكبار ، مواعظه سديدة ، وكلمته مفيدة ، وديانته وافية وافرة ، وشمس مناقبه وكراماته باهية باهرة سافرة ، وهو شيخ الملامتية صحب النحشبي وغيره .

(ومن كلامه) : كفايتك تساق إليك من غير تعب ولا نصب وإنما التعب في الفضول .

وقال : إذا رأيت سكرانا فاعدل عنه وتمايل لثلا تبغى عليه فتبتلى به مثل ذلك .

وقال : لا يرجع من المصيبة إلا من اتهم ربه .

وقال : لا أحد أدون من يتنزّن إلى دار فانية ، ويتنزل إلى من لا يملك له ضرا ولأنفعا .

وقال : من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره وتخلّفه عن درجات الرجال .

وقال : إنما كان كلام السلف أنسع من كلامنا لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضي الرحمن ، ونحن نتكلّم لعز النفوس ، وطلب الدنيا ورضي الخلق .

وقال : من ظن نفسه خيرا من نفس فرعون فقد أظهر الكبر ، أى لأن خاقيته مغيبة .

وقال : أنت عبد مالم تطلب من يخدمك فإذا طلبته خرجت من حد العبودية .

(١) حلية الأولياء ، ٢٣١ - ٢٣٢ - ١٠٠ / ٤ : وصفة الصفوٰ ٢٤ : والرسالة القشيرية ٢٤ : والسلمي ٩٨/١ ص ١٢٣ - ١٢٩ : وطبقات الشعراني .

وقال : إذا اجتمع أبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرهم بثلاثة ، مؤمن قتل مؤمناً ورجل ميوت كافراً وقلب فيه خوف الفقر .

وقال : أصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوهاً من الأعذار وليس للحسن عندهم مقدار .

وقال : كل من اتّحَبَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَوْرًا مِنْكَ وَلَا تَحْبَبْ أَنْ يَفْشِيَ عَلَيْكَ فَلَا تَفْشِيَ عَلَى غَيْرِكَ .

وقال : مادمت لا تعرف عيب نفسك فأنت محظوظ .

وقال : شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليَا .

وقال : أوصيكم بصحبة العلماء واحتمال الجهال ومن رأيتم فيه خصلة من الخير فلا تفارقوه .

وقال : إن استطعت أن تصبح مفروضاً لامدبراً ، فافعل .

وقال : من استطاع منكم أن لا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل .

وقال : من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل في الدنيا والآخرة .

ولم يزل على حاله راقياً في كماله إلى أن غاب بدره فما طلع ، وسار على النعش فما رجع ، مات سنة إحدى وسبعين ومائتين ، ودفن بنيسابور ، وقد أسنَدَ الحديث عن جماعة من الأعيان ، وروى عنه آخرون .

(٤٥) حبيب العجمي (١)

كان من أبناء الملوك فأنقذته العناية الربانية فصار من أهل السلوك ، ولزم مجلس وعظ الحسن فأقبل على الآجلة ، وتحول عن العاجلة ، واشترى نفسه من الله بأربعين ألف دينار تصدق بها .

وله وقائع شهيرة وكرامات كثيرة (منها) أنه كان يرى بالبصرة يوم التروية ، وبعرفة عشية عرفة ، ونزل بأهل البصرة قحط فاشترى طعاماً بنسائه وفرقه على المساكين ، وخطط كيساً وجعله تحت رأسه فلما حل الأجل وجاءوه طالبين ، أخذ الكيس فوجده مملوءاً دراهم فقضى الدين ، ودخل الحسن مسجداً يصلى المغرب ، فإذا حبيب يصلى بالناس فلم يصل خلفه لكونه كان يلحن لعجمة في لسانه ، فرأى تلك الليلة في النوم يقال له : لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك ، وكان يقول لا قرة عين لمن لم تقر عينه بك ، ولا فرح لمن لم يفرح بك ، وعزتك أنت تعلم أنني أحبك ، وقال : من أوقعه الله في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى بعلها ، ورؤى بعد موته في النوم فقيل له : ما حالك ؟ فقال : هيئات ذهبت العجمة وبقيت في النعمة .

(٤٦) الحسن الفلاس

صوفى بالتربيه والإرشاد ، متصف عارف تقر له الألسن بالفضل وتعترف ، تأدب ببشر (٢) وعاصر سريان (٣) ، وكان سرى يفخم أمره ، وجاء حسن إلى بشر مراراً يتردد إليه فى مسألة ليكون حجة فيما بينه وبين الله فيتركه بشر

(١) أبو محمد حبيب الفارسي المعروف بالعمى ، انظر ترجمته المفصلة في النبهاني ٣٨٧/١ - ٣٨٨ عن الإمام الشيشري واليافعي .

(٢) بشر بن الحارث الحافى ، انظر ترجمته رقم ٢٣٧ .

(٣) السرى السقطى ، انظر ترجمته رقم ٢٥٠ .

ويذهب ، فلما كان بعد ذلك تبعه إلى المقابر فلما صار إليها وقف وقال : يا حسن ! أَيَوْدُ هؤلاء أن يرجعوا فيصلحوا ما فسدوا أولاً ، اعلم أنه من فرح قلبه بشئ من الدنيا أخطأ الحكمة قلبه ، ومن جعل شهواته تحت قدميه فر الشيطان من ظله ، ومن غلب هواه فهو الصابر الغالب ، ألا والبلاء كله والشقاء كله في مخالفتك إياه ، فإذا لقيته فقل : قال لي : فرجع الحسن فعاهد الله أن لا يأكل ما يباع ولا يشتري ولا ما يلبس ، ولا يمسك بيده ذهباً ولا فضة ولا يضحك أبداً ، وكان يلبس صافى المزابل ويأوى حول دار البطيخ ولا يأكل إلا القمامنة ، ولقيه رجل على هذه الصورة ، فقال : ياحسن من ترك شيئاً لله عوضه الله ما هو خير ، فما عوضك ؟ قال : الرضى بما ترى ، وكان لا يأكل إلا القمامنة . غزا فجرح فكانت منيته ، طلب الماء فشرب ، وقال : قد أعطاني ما يتنافس فيه المنافسون وقضى .

حرف الخاء / المعجمة

(١) خير النساج (٢٤٧)

بالمجيم أستاذ الجماعة ، وكان من أقام دولة الصوفية وقام بنصرها وقعد بالصلحة في نفع أمرها ، وأقيمت به دعوتها ، وعزت بعزمها ذروتها ، وكان عظيم المراقبة ، كثير الأدب والمجاهدة ، وقد قيل : التصوف مراقبة الأحوال ، ولزوم الأدب في كل حال ، أخذ عن السرى وتلك الطبقة العالية ؛ ودخل جنة المعارف وجنى قطوفها الدانية من أشجارها العالية ، وكان له حظ وافر في الكرامات وتاب في مجلسه الشبلي والخواص لما أبصرها فيه الخوارق والآيات ، وأصله من أهل سامرا ثم سكن بغداد وكان شديدا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(ومن فوائده) الصبر من أخلاق الرجال ، والرضى من أخلاق الكرام ، وقال : العمل الذي يصل به العبد إلى الدرجات العلي وببلغ رؤية به إلى الغايات ، التقصير والعجز والضعف ، وقال : لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه ، ولا علم أرفع من علم من علمه الله الأسماء كلها فلم تنفعه في وقت جريان القضاء عليه ، وقال : قص موسى لبني إسرائيل فصعق واحد فانتهره فأوحى إليه « بطبيبي باحوا ، ويوجدى صاحوا فلم تنكر على عبادى ؟ وقال الخوف سوط الله يقوم به أنفسا قد تعودت سوء الأدب » .

(ومن كراماته) ما قال : أتاني شاب من البغداديين وقد انطفت يده وجفت . فقلت : مالك ؟ قال : حللت عقدة من عقدة إزارك فأخذت منه درهما فشلت يدي ، فمسحت يده بيدي فردها الله عليه ، وناولته الدرهم فقلت له :

(١) حلبة الأولياء ٣٠٧/١٠ : وصفة الصفووة ٢٥٥/٢ : والرسالة القشيرية ، ٣٣ : ومرأة الجنان ٢٨٥/٢ : والمنتظم ٢٧٤/٦ : وفيات الأعيان ١/٢١٩ : وتاريخ بغداد ٣٤٥/٨ - ٣٤٧ : والبداية والنهاية ١٨١/١١ : وطبقات الشعراني ١٢٠/١ : والشذرات ٢٩٤/٢ .

اشتر به حاجتك ولا تعد ، وقال ل聆ميمه أبي الحسن المالكي قبل موته بثمانية أيام : أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة ، وكان كذلك ، ولما احتضر قال لملك الموت : قف عافاك الله حتى أصلى العصر ، فإنك عبد مأمور وأنا مأمور وما أمرت به أنت لا يفوتك وما أمرت به أنا يفوت فصلى وتشهد ، مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة عن نحو مائة وعشرين سنة ، فهو من أقران الشورى وطبقته ، لكنه عمر طويلا ، فلذلك ذكر في طبقته وإن تأخرت وفاته إلى أهل القرن الرابع ، ورؤى في النوم فقيل له : ما فعل بك ؟ قال : لاتسألني عن هذا ، لكن استرحت من دنياكم الوضرة .

حرف الذال المعجمة

(٢٤٨) ذو النون المصري (١)

العارف الناطق بالحقائق ، الفاتق للطرائق ، ذو العبارات الوثيقة ، والإشارات الدقيقة ، والصفات الكاملة والنفس العاملة ، والهمم الجليلة والطريقة المرضية ، والمحاسن الجليلة المتبعه ، والأفعال والأقوال التي لاتخشي منها تبعه ، زهت به مصر وديارها ، وأشرق بنوره ليها ونهارها ، قال ابن يونس : كان عالماً فصيحاً حكيمًا ، امتحن وأوذى لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه ، وكان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ، وفي مقامات الأولياء فحول الرجال ، فقال : جهله المتفقهة : هو زنديق ، وقال مسلمة بن قاسم : كان عالماً صالحًا زاهداً ورعاً مفتياً في العلوم واحداً في عصره ، وقال الجوزقاني : كان زاهداً عالماً ضعيف الحديث ، وقال : الدارقطني عن مالك أحاديث فيها نظر ، وقال الذهبي في تاريخه الكبير : روى عن مالك واللبيث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وابن عبيدة ومسلم الخواص وغيرهم وروى عنه الحسن بن مصعب النخعي وأحمد بن صبح الفيومي والطائي وغيرهم ، وكان اسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل الغيض وأصله من النوبة ثم نزل أخميم فأقام بها فسمع يوماً صوت لهو ، ودفافاً ، فقال ما هذا ؟ قيل : عرس وسمع بجانبه بكاء وصياحة فقيل : ما هذا ؟ قيل : فلان مات قال : أعطى هؤلاء مما شكرروا وابتلى هؤلاء مما صبروا الله على إن بت بهذا البلد ، فخرج فوراً إلى مصر فقتنها ، وسئل عن سبب توبته

(١) حلية الأولياء ٣٣١/٩ - ٣٩٥ : الرسالة القشيرية ١٠ : وفيات الأعيان ١٢٦/١ ، وصفة الصفوة ٢٨٧/٤ - ٢٩٣ : ومرأة الجنان ١٤٩/٢ : وطبقات الشعراوي ٨١/١ ٨٤ : والسلمي ١٥ - ٢٦ : وتأريخ بغداد ٣٩٣/٨ - ٣٩٧ : والبداية والنهاية ١/١٠ : والشذرات ١٠٧/٢ .

فقال : نمت بالصحراء ثم فتحت عيني فإذا بقبرة^(١) عمياً سقطت من وكرها ، فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة في إحداهما سمس الأخرى ما فجعلت تأكل من ذا وتشرب من ذا فقلت : حسبي فتبت ؛ ولما تكلم بعلوم الدنيا لا علم لأهل مصر بها . و Shawa به إلى خليفة بغداد فحمل إليه في جماعة مغلولاً مقيداً فقدم للقتل فكلم الخليفة فأعجبه فأطلقه ورفقه .

وقال : إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم ، ولما جبس لم يأكل في السجن أيامها فكانت له أخت تبعث له من مغزلها طعاماً على يد السجان فلا يأكله فاعتبرته بعد ، فقال : كان حلالاً لكن جاءني على طبع ظالم وأشار إلى يد السجان ، قال الغزالى : وهذا غاية الورع .

(ومن مقاماته العليمة الفائقة وأحواله المدهشة الخارقة) أن روحه الشريفة كانت تدبر أجساماً متعددة فقد قال العارف ابن عربى : الروح الواحد يدبّر أجساماً متعددة ، إذا كان له الاقتدار على ذلك ويكون ذلك في الدنيا للولي بخرق العادة وفي الآخرة نشأة الإنسان تعطى ذلك ، قال : وكان ذو النون المصري وقضيب البان من له هذه القوة كما يدبّر الروح الواحد سائر أعضاء البدن من يد ورجل وسمع وبصر وكما تؤخذ النفس بأفعال الجوارح على ما وقع منها ، فكذا هذه الأجساد التي تدبرها روح واحدة أى شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد ، وإن كان عين ما يقع من هذا الجسم عين ما يقع من الآخر انتهى ، وأقام سهل سين لايستند ظهره للمحراب ولا يتكلّم ، فلما كان ذات يوم بكى واستند وتكلّم وبالغ في إبراز المعانى العجيبة والإشارات الغربية ، فقيل له فيه فقال : كان ذو النون بمصر حياً فما تكلّم ولا استند إجلالاً له ، والآن قد مات فقيل له : تكلّم فقد أذنت .

(ومن فوائد) : من راقب العوّاقب سلم .

(١) القبرة ضرب من الطير يشبه العصفور ، ويقال أيضاً قبرة ، انظر الدميري ، حياة الحيوان الكبير . ٢٤٢ - ٢٤٠ / ٢

وقال : إياك أن تكون للمعرفة مدعيا ، أو بالزهد محترفا ، أو بالعبادة متعلقا ، ونر من كل شيء إلى ربك .

وقال : من قنع استراح من أهل زمانه واستطوال على أقرانه .

وقال : الزهاد ملوك الآخرة ، وهم فقراء العارفين ، وقال : ثلاثة من علامة التوفيق ، الوقوع في عمل البر بلا استعداد له ، السلامة من الذنب مع الميل إليه وقلة الهرب منه ، واستخراج الدعاء والابتهاج . وثلاث من علامات الخذلان : الوقوع في الذنب مع الهرب منه والامتناع من الخير مع الاستعداد له ، وانغلاق باب الدعا والتضرع .

وقال : من وثق بالمقادير لم يفتتن .

وقال : الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس سم قاطع .

وقال : الشوق أعلى الدرجات والمقامات إذا بلغه العبد استبطأ الموت شوقا إلى ربه وحبا للقاء ، والنظر إليه ، وكان يقول في قوله تعالى « وأشهدهم على أنفسهم ألسنتكم قالوا بلـى » كأنه الآن في أذني .

وقال : إذا خرج مرید عن حوزة الأدب يرجع إلى حيث شاء .

وقال : مفتاح العبادة الفكره وعلامة الإصابة مخالفه النفس والهوى .

وقال : الصبر السكون عند تجreau غصص البليه ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة .

وقال : أكثر الناس هما أسوأهم خلقا ، وتذاكر جماعة عنده أعني ذلك النون في حديث « طاعة ما سوى الله للأولياء » فقال : من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت ثم يرجع لمكانه ففعل ذلك .

وقال : مدار الطريق على أربع ، حب الجليل وبغض الفانى القليل ، واتباع التنزيل وخوف التحويل . وسأله رجل عن مسألة فقال : إن قلبى لك مغل

فإن فتح لك أجبتك وإلا فاعذرني واتهم نفسك .

وقال : احذر أن تقطع عن الله فتكن مخدوعا وكل من نظر إلى عطائه
ولم ينظر إليه فهو مخدوع ، وقال : ما أخلص عبد لله إلا أحب أن يكون في جب
لا يعرف .

وقال : إن الله مامن الكفار الجنة بخلا بل ليصون من أطاعه عن أن
يجمع بينهم وبين أعدائه في دار واحدة .

وقال : البلاء ملح المؤمن فإذا عدمه فسد حاله .

وقال : لكل شيء عقرية وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله .

وقال : إن لله عبادا عبده بخالص من السر فشرفهم بخالص من شكره
فهم الذين تم صحفهم مع الملائكة فرعا حتى إذا صارت إليه ملأها لهم من سر ما
أسروا .

وقال : من الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء ، وطلب الآخرة بالرفاء .
ومودة النساء بالغلوظة والجفاء .

وقال : من ادعى مقاما حجب به عن الله .

وقال : من أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص ، واستمسك بركن
كبير من الصدق .

وقال : من تزين بعمله فحسنته سيات .

وقال : الكرييم يعطى قبل السؤال فكيف يبخلا بعده ؟ ويعذر قبل
الاعتذار فكيف يحقد بعده !!

وقال : ثلاثة من أعلام الصواب : الأنس بالله في جميع الأحوال
والسكون إليه في كل الأعمال ، وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال .

وقال : ثلاثة من أعلام اليقين النظر إلى الله في كل شيء والرجوع إليه في كل أمر والاستعانت به في كل حال .

وقال : صدور الأحرار قبور الأسرار .

وقال : إنما أحب الناس الدنيا لأنه تعالى جعلها خزانة أرزاقهم فمدوا أعينهم إليها .

وقال : أدنى منازل الأنس أن يلقى في النار ولا يغيب عن مأموله .

وقال : لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاما .

وقال : العبودية أن تكون عبده في كل حال كما هو ريك في كل حال .

وقال : الحسد داء لا يبرا ، وحسب الحسود من الشر ما يلقاه .

وقال : تنال المعرفة بثلاث : بالنظر في الأمور كيف دبرها ، وفي المقادير كيف قدرها ، وبالأخلاق كيف خلقها .

وقال : قرأت في بعض براوى مصر بالسريانية « يقدر المقدرون والقضاء يضحك » .

وقال : الصادق لا يبكي فإن البكاء راحة القلب وملجاً يلجأ إليه وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير ، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب ، وهذا ضعف عندنا يابطال .

وقال : العاقل يعترف بذنبه ويجدون بما لديه ويزهد فيما عنده ويكتف أذاه ويتحمل أذى غيره .

وقال : يأتي زمان تكون الدولة فيه لأهل الدنيا على أهل الآخرة .

وقال : لم يزل المنافقون يسخرون بالفقراء في كل عصر .

وقال : طوبى لمن تطهر ولزم الباب طوبى لمن تضرر للسباق ، وطوبى لمن

أطاع الله أيام حياته .

وقال : من وثق بالمقادير استراح ، ومن تقرب قرب ، ومن صفى صفى له .

وقال : من توكل وتق ومن تكلف مالا يعنيه ضيع ما يعنيه ، وسأله بعضهم عن حاله فقال : مالي حال أرضها ولاحال لا أرضها ، كيف أرضي حالى لنفسي وأنا لا أفي بما أراد مني ؟ أم كيف لا أرضي حالى ولا يكون مني إلا ما أراد من الأحوال ولست أدرى أياها أحسن ؟ حسن حالى فى حسن إحسانه إلى ، أم حسن حالى فى سوء حالى إذا كان هو المختار لى .

وقال : من وجد خمس خصال رجوت له السعادة ولو قبل موته بساعة ، استواء الخلق وخفة الروح وغزاره العقل وصفاء التوحيد وطيب المولد .

وقيل له : أوصنی قال : لا تكن خصما لنفسك على ربك تستزیده في رزقك وجاهك ، بل كن خصما لربك على نفسك فإنه لا يجتمع معك عليك ، ولا تلقين أحداً بعين الا زدراه والتضييق ولو مشركا خوفا من عاقبتيكما ، فلعلكما فلعلك تسلب المعرفة ويزقها .

وقال : ما هلك من هلك إلا بطلب أمر قد أخفاه وإنكار أمر قد أبداه .

وقال : من نظر في عيوب الناس عمى عن عيوب نفسه ومن عنى بالفردوس والنار شغل عن القليل والقال ، ومن هرب من الناس سلم من شرهם ومن شكر المزيد زيد له .

وقال : احفظ عنى خمسا فإن حفظتها لم تبال ماذا أصبت بعدهن ، عانق الفقر وتؤسد الصبر وعاد الشهوات وخالف الهوى وافزع إلى الله في أمورك كلها ، فعند ذلك يورثك الشكر والرضى والصبر والخوف ، وقال : خذ لنفسك بسلاح الملائكة واقمعها برد الظلمة تلبس غدا سرابيل السلامه ، واقصرها في روضة الأمان ، وذوقها مضض فرائض الإيمان ، تظفر بنعيم الجنان ، وجرعها كأس الصبر ووطها على الفقر حتى تكون تام الأمر .

وقيل له : وأى نفس تقوى على هذا ؟ قال : نفس على الجوع صبرت ، وفي سرمال الظلام خطرت ، نفس ابتعاث الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثانية نفس تدرعه رهانية القلق ؛ وفرعت الدجا إلى واضح الفلق .

وقال : تعوذوا بالله من القبطى إذا استعرب .

وقال : قد غفلت القلوب عنه وهو منشيهها وأدبرت النفوس عنه وهو يناديها ، فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيام والإنعام .

وقال : طوى لعبد أنصف ربه ، أقر له بالآفات في طاعته وبالجهل في معصيته ، فإن أخذه بالذنوب رأى عدله وإن غفر رأى فضله .

وقال : من المحال أن يحسن الظن ولا يحسن منه المن .

وقال : كيف أفرح بعملي وذنبي مزدحمة ، أم كيف أفرح بعملي وعاقبتي مبهمة .

وقال : الكيس من بادر بعمله وسوف بأمله ، واستعد لأجله ، وقال : من علامة سخط الله على العبد أن يخاف الفقر .

وقال : لكل شيء علامة وعلامة طرد العارف عن حضرة الله انقطاعه عن ذكره .

وقال : إذا تكامل الحزن قلست الدمعة .

وقال : من القلوب قلوب تستغفر قبل أن تذنب فيتاب عليها قبل أن تتب .

وقال : من آنسه الله بقريه أعطا ه العلم بغیر تعب .

وقال : ليس بعاقل من لم ينصف من نفسه وطلب الإنصاف من الناس .

وقال : لا تتواضع لتكبر فتذل نفسك في غير محل وتكبر نفسه بغیر حق .

وقال : من عمى عن عيوب نفسه انكشفت له عيوب الناس فمقتنته القلوب .

وقال : من طلب مع الخبز ملحا يأكله لم يفلح في الطريق أبداً .

وقال : لولا شغلي بنفسي اشتغلت بكتابة الحديث .

وقال : أهل القرآن هم الذين أنصبووا الركب والأبدان حتى نحلت أبدانهم
وذبلت شفاههم وهملت عيونهم .

وقال : من عالمة إعراض الله عن العبد أن تراه ساهيا لا هيا لاغيا
معروضا عن ذكر ربه تشقق عليه مجالسة الذاكرين .

وقال : إن الله يغار أن يجمع بين أحبابه وأعدائه في دار ، فلذلك جعل
لكل فريق دارا .

وقال : مارجع من رجع الأمان الطريق ولو وصلوا إليه مارجعوا إليه
فاذهب في الدنيا ترى العجب .

وقال : متى يأنس العبد بربه ؟ قال : إذا خافه أنس به أما علمتم أن
من واصل الذنوب نحو عن باب المحبوب .

وقال : وجدت مكتوبا على صخرة بيت المقدس : كل عاص مستوحش
وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب وكل قانع غنى وكل
محب ذليل ففكرت فإذا هي أصول لكل ما استعبد الله به الخلق ، وقال : لاعيش
إلا مع رجال تحن قلوبهم إلى التقوى وترتاح إلى الذكر ؛ ودق عليه رجل الباب
вшوش وقته فنظر إليه من عالم الهيئة ، وقال : اللهم من شغلني عنك فاشغله بك .

وقال : ثلاثة من أعلام الإيمان اغتنام القلب بمصابيح المسلمين . وإرشادهم
إلى مصالحهم وإن كرهوه ، وقال : لا تشغلنك عيوب الناس عن عيوب نفسك
فلست عليهم برقب .

وقال : أحب عباد الله إليه أغفلهم عنه .

وقال ابن عربى : وصية مجرية قالها مُجْرِب ثم أخرج بسنده عن صاحب

الترجمة قال : رأيت في بريها بموضع يقال له دندرة مكتوب فيها : احذر العبيد
المعتدين ، الأحداث المقرنين والجند المتغndرين ، والقبط المستعربين .

وقال : العارف في هذه الدار كرجل توج بتاج الكرامة واقعد على سرير
وعلق على رأسه سيف ! بشعرة وأرسل على بابه سبعون ضاريا فأنى له السرور .

وقال : من تقرب إلى الله بما فيه تلف نفسه حفظها عليه ، وقال ما شعبت
قط إلا عصيت أو هممت بعصية .

وقال : كن عارفا خائفا ولا تكن عارفا واصفا .

وقال : الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه ، وسئل عن
السماع والصوت الحسن فقال وارد يزعج القلب إلى الحق فمن أصفعى إليه بحق
تحقيق أو بنفسه تزندق ، وسئل عن التوحيد فقال : أن تعلم أن قدرة الله في
الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شيء صنعه ولا علة
لصنعه ، وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلی مدبر غير الله ،
وكل ما يتصور في وهمك فالله بخلاف ذلك .

(ومن كراماته) أن تلميذه يوسف بن الحسين الرازي دخل عليه فقال
له : ما يقول الناس في ؟ قال : زنديق ؟ فقال : الأمر سهل حيث لم يقولوا
يهودي فإن الناس تنفر قلوبهم من اليهود أشد ، فخرج فسمعهم يقولون يهودي
فعاد فأخبره ، وخرج فوجد فقهاء أخميّم تعصبا ونزلوا إلى زورق ذاهبين إلى
سلطان مصر ليشهدوا بكفره فانقلب الزورق ، والناس ينظرون فغرقوا حتى
الملاح ، فقيل له ما بال الرئيس ؟ قال حمل الفساق ، ودخل غلام من غلمانه بغداد
فسمع قوالا فصاح ووقع ميتا فلما دخل ذو النون بغداد وسأل عن القوال .

وقال : له قل فقال فصاح ذو النون فخر القوال ميتا فخرج وهو يقول
النفس بالنفس ، وأخرج ابن الطحان في ذيل تاريخ مصر في ترجمة ذي الكفل
وهو أخو ذي النون أن رجلين اختصما في ثلاثة أربد قمح فاعترف أحدهما

بالحق ، وادعى العجز فوعظه ذو النون فأصر ، فقال لصاحب الدين تصالحه على مائة أردب ؟ فرضى ، فقال لأخيه ذي الكفل : كل له من هذا البيت وأوّلها إلى بيت مهجور مملوء بالتراب ففتحه فرأى القسمح يخرج من شقوقه فكال له مائة فقال : اردد الباب فعاد مملؤاً تراباً كما كان ، وقال بكر بن عبد الرحمن : كنت معه في البادية فجلستنا تحت أم غيلان فقلت ما أطيب الموضع لو كان فيه رطب فحرك الشجرة ، وقال أقسمت عليك بالذى ابتدأك وخلقك شجرة إلا نشرت علينا رطباً جنباً فتساقط علينا الرطب فأكلنا وشبعنا ثم غبت وقامت فحركت الشجرة فنشرت شوكاً ، وكسر إنسان ثنية آخر فأراد الترافع للأمير فمرا على الشيخ فأخذها ووضعها في محلها فوجد الرجل أسنانه كما كانوا ولم ير محل القلع أثر ، وقال السلمي : دخلت عليه فرأيت بين يديه طستاً من ذهب وحوله ند وعنبر فأعطاني درهماً فأنفقت منه إلى أن وصلت إلى مقصدى .

(ومن وقائعه في سياحاته) ماحكي ، قال : بينما أنا أسير في نواحي الشام إذ وقعت على روضة خضراً وإذا بشاب يصلي تحت الشجرة فسلمت فأوجز في صلاته ولم يرد ثم كتب بأصابعه في الأرض .

منع اللسان من الكلام لأنـه سبـب الرداء وجـالـب الآفات
إـذا نـطـقـتـ فـكـنـ لـرـيـكـ ذـاكـراـ

قال : فبكـيـتـ وـكـتـبـتـ بأـصـبـعـيـ فـيـ الأـرـضـ :

وـماـ منـ كـاتـبـ إـلاـ سـيـبـلـيـ وـيـبـقـىـ الدـهـرـ مـاـ كـتـبـ يـداـهـ
فـلـاتـكـتـبـ بـكـفـكـ غـيرـ شـيـءـ يـسـرـكـ فـيـ الـقـيـامـةـ أـنـ تـرـاهـ

فصـاحـ الشـابـ فـمـاتـ فـقـمـتـ لـأـجـهـزـهـ وـأـدـفـنـهـ إـذـاـ بـقـائـلـ :ـ خـلـ عـنـهـ فـإـنـ اللهـ
وـعـدـهـ أـنـ لـاـ يـتـوـلـهـ إـلاـ مـلـاـئـكـتـهـ فـالـتـفـتـ فـلـمـ أـرـهـ .

وقال : بينما أنا أسيير في بعض سياحتي فإذا أنا بصوت حزين كثيف موجع القلب أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول : سبحان مفني الدهور سبحان مخرّب الدور ، سبحان باعث من في القبور ، سبحان ميت القلوب ، فاتبعك الصوت فإذا بإنسان يقول : سبحان من لا يسع الخلق إلا ستره ، سبحانك ما ألطفك بن خالفك وأوفاك بعهدك ، سبحانك ما أحلمك على من عصاك ، !! ثم قال سيدى بحلنك نقطت ويفضلك تكلمت ، فيما إله من مضى قبلى ومن يكون بعدى بالصالحين فألحقنى ، ولأعمالهم وفقنى ، ثم قال : إن الزهاد والعباد نزل بهم الزمان فأبلاهم ، وحل بهم البلاء ، فأفناهم فهل أنظر إلا مثل ما أصابهم فانصرف وتركته باكيا ، وقال : وصف لي رجل بالجبل المقطم فقصدته فمكثت عنده أربعين يوما ثم سأله فقلت : فيم النجا ؟ ، قال : في التقوى والمراقبة ، قلت : زدني ، قال : فر من الخلق ولا تأنس بهم ، قلت : زدني ، قال : إن الله عبادا حالفوه فسكناهم كأسا من محبته فهم في شربهم عطاش وفي عطشهم أروباء ثم تركنى ، وقال : صحبت زنجيا في التيه فكان إذا ذكر الله أبيض ، فورد على أمر عظيم ، فسألته فأنسد :

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكر ولكن نسيم القرب يبدو فيظهر
فأحيا به عنى وأحيانا به له إذ الحق عنه مخبر وعبر
ثم قال أيضا :

أنت في غفلة وقلبك ساهي نفذ العمر والذنوب كما هي
جمة حصلت عليك جميعا في كتاب وأنت عن ذاك لاهي
لم تُبادر بتوبة منك حتى صرت شيئا فحبلك اليوم واهي
فاجتهد في فكاك نفسك واحدزرا يوم تبدو السمات فوق الجبه

وقال : دخلت مغارة بجبل فوجدت فيه رجلا يتبعد فسألته عن مسألة في

المحبة فذاب كما يذوب الرصاص ثم صار قدر النطفة بلا عظم ولا لحم فاللتقطته بقطنة ودفنته ، وقال : بينما أنا أسيء في جبال بيت المقدس إذ سمعت قائلا يقول : ذهبت الآلام عن أجساد الخدام ، ولهيت بالطاعة عن الشراب والطعام وألقت أجسادهم طول القيام بين يدي الملك العلام ؛ فتبعت الصوت فإذا شاب أمرد قد علاه اصفار يميل الغصن إذا ميلته الريح فلما رأني توارى مني بالشجر فقلت له ليس الجفاء من أخلاقهم فأوصنني فخر ساجدا ، وجعل يقول : هذا مقام من لا ذ لك واستجرار بمعرفتك وألف محبتك فيها إله القلوب وما تحويه من جلال عظمتك أحجبني عن القاطعين لى عنك ، ثم غاب فلم أره ، وقال : رأيت في جبل لبنان رجلاً أغبر نحيفاً يصلى فسلمت فرد فما زال راكعاً ساجداً حتى صلى العصر ثم استند إلى حجر ولم يكلمني فقلت : ادع لي ، فقال : آنسك الله بقربه ، قلت : زدني ، قال : من آنسه الله بقربه أعطاه أربعاً : عزاً من غير عشيرة ، وعلماً من غير طلب ، وغنى بغير مال ، وأنساً بغير جماعة ، ثم شهد فلم يفق إلا بعد ثلات ، فقال : انصرف عنى بسلام ، قلت : أوصنني ، قال : أحبب مولاك ولا تردد بحبه بدلاً ، وقال : بينما أنا أسيء في جبال أنطاكية إذا بجارية كأنها مجونة عليها جبة صوف فسلمت فردت وقالت : ذا النون قلت : كيف عرفتني قالت : بمعرفة حب الحبيب ، ثم قالت : ما السخاء ؟ قلت : البذر والعطاء ، قالت : هذا سخاء الدنيا فما سخاء الدين ؟ قلت : المسارعة إلى طاعة رب العالمين ، قالت : فإذا سارعت إلى طاعته فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريده منه شيئاً ، وبمحك إني أريد أن أطلب منه شيئاً منذ عشرين سنة فأستحي منه مخافة أن أكون كأجير السوء ، إذا عمل طلب الأجر ، لكن أعمل تعظيمها لهيبته وعز جلاله ، وذهبت وتركتني ، وقال : رأيت في تيه بنى إسرائيل سوداء قد استبلها الوله من حب الرحمن ، شاخصة ببصرها نحو السماء ، فقلت : السلام عليك يا أختاه ، قالت : وعليك السلام ياذا النون ، قلت : من أين عرفتني ؟ قالت : يا بطاط ، إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم أدارها حول العرش ، فما تعارف

منها اختلف وما تناكر منها اختلف ، فعرفت روحى روحك فى ذلك الجولان ، قلت : أراك حكيمه فعلمينى ما علمك الله ، قالت : يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله ويبقى القلب مصفى لا شيء فيه غيره فحيثئذ يقيمك على الباب ويوليك ولاية جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة ، قلت : زيدىنى ، قالت : خذ من نفسك لنفسك وأطلع الله إذا خلوت يجيبك إذا دعوت والسلام ، وقال : كنت فى جبل الكام فرأيت رجالا قاعدا مطروقا ، فقلت : ما تصنع هنا ؟ قال : أنظر وأرعى ، قلت : ما أرى عندك إلا الأحجار فما الذى تنظره وترعاه ؟ فنظر إلى مغضبا ، وقال : أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر ربى ، فبحق من أطلعك على إلا رحت عنى ، قلت : كلامنى بشئ أنتفع به وأذهب ، قال : من لزم الباب أثبت من الخدم ، ومن أكثر ذكر الذنوب أعقبه كثرة الندم ، ومن استغنى بالله أمن من العدم ، ثم تركنى ومضى ، وقال : مررت فى وادى كنعان ليلا وإذا بشخص أقبل يقرأ « ويدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » فلما قرب إذا به امرأة ، فقالت : من أنت ؟ قلت : غريب ، قالت : وهل تجد مع الله غرية مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء !! فبكى فقلت : ما هذا البكاء ؟ قلت : قد وقع الدواء على الداء ؛ قالت : إن كنت صادقا فلم يبكى ؟ قلت : والصادق لا يبكي ! ، قالت : لا لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه ، وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير ، وأما البكاء فهو ضعف ، وقال : كنت على شاطئ النيل ، فرأيت عقرها فأردت قتلها فهربت فوقفت على الشاطئ فركبت على ظهر ضفدعه ، فقامت بها حتى وصلت للجانب الآخر فنزلت عن ظهرها ، وإذا ب الرجل نائم وهو سكران وشعبان قد أقبل عليه ليلدغه فأسرعت العقرب نحو الشعاب فلدغته فتقطع ، فأيقتظت الرجل فقام مرعوباً فأخبرته الخبر فأطرق ثم قال : يارب هكذا تفعل مين عصاك ، فكيف مين أطاعك ؟ فوعزتك لا عصيتك أبداً ، وقال : اجتمعنا فى جبل نيسان بامرأة متعبدة كالشمن البالى ، كأنها تخبر عن أهل المقابر فسألتها أين وطنك ؟ قالت :

مالى وطن إلا النار أو يعفو العزيز الغفار ، قلت : هل من وصية ؟ قالت : شمر عن ساق المجد ودع ما يتعلق به بالطalon من الرجاء الكاذب الذى لا تحقيق لهم فيه ولا يدرؤن كيف العواقب ، فوالله لا يريد غدا المنزل إلا المضمرون ، وقال : ركبت سفينة فسرقت منها قطيفة فاتهموا رجلا نائما ، فقلت دعوني أترفق به وإذا الشاب أخرج رأسه من عباءته ، وقال : أقسمت عليك بي يارب لا تدع واحدا من الحيتان إلا أتى بجوهرة ، وإذا بوجه الماء كله حيتان فى أفواها الجواهر ثم ألقى نفسه فى البحر ومر على وجه الماء الساحل كالبرق ، وقال : رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود ، فقلت له فيه فقال : أنتظر الإذن من ربى بالانصراف فسقطت عليه رقعة « من العزيز الغفور إلى عبد الصادق مغفورة لك » ، وقال : مررت فى سياحتى برجل عنده عين ماء تجري فأقمت عليه يوما وليلة فلم يكلمنى ثم قال : رأيتك يا بطال حين أقبلت لكن ما ذهب روحك من قلبى إلى الآن ، قلت : ما الذى أفزرك منى ؟ قال : بطالتك فى يوم عملك وشغلك فى يوم فراغك ، وتركك الزاد ليوم معادك ، ومقامك على المظنون ، قلت : إن الكريم ما ظن به أحد شيئا إلا أعطاه ، قال : إنه كذلك إذا وافقه عمل صالح وتوفيق ، قلت : أوصينى ، قال : عليك بمعاتبة نفسك إذا دعتك إلى بلية ، ومنابتتها إذا دعتك إلى فترة فإن لها مكرها وخداعا فإذا فعلت هذا أغناك عن الخلق وسلمك عن مجالسة الفاسقين ، وقال : رأيت بسواحل الشام امرأة فقلت : من أين أقبلت ؟ قالت : من عند قوم تتاجفى جنوبهم عن المضاجع ، قلت : والى أين ؟ قالت : إلى قوم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقال : رأيت على شاطئ البحر جارية مكسوقة الرأس مسيرة ، فقلت لها : استرى وجهك بخمار ، قالت : وما يصنع الخمار بوجه قد علاه الاصفرار ، إليك عنى يا بطال فإننى شربت البارحة بكأس المحبة ممسورة فأصبحت اليوم من حبه مخمورة ، قلت : أوصينى ، قالت : عليك بالسكتوت ، ولزوم البيوت ، وارض بالقوت ، حتى تموت ، وقال : رأيت فى سياحتى شيخا ، فقلت : كيف الطريق

إلى الله ؟ قال : دع طريق الخلاف والاختلاف قلت : أليس اختلاف العلماء رحمة ؟ قال : إلا في تحرير التوحيد ، قلت : ما تحريره ؟ قال : فقدان رؤية ما سواه لوجوده أوليس من عرف الله طار همه ، قال : بل من عرفة زال همه ، قلت : هل يكون العارف مسرورا ؟ قال : وهل يكون معذونا ؟ قلت : أليس من عرف الله صار مستوحشا ؟ ، قال : معاذ الله بل يكون مهاجرا متوجدا ، قلت : وهل يأسف العارف على شيء غير الله ؟ قال : وهل يعرف غير الله فيأسف عليه ، قلت : وهل يشتق إلى ربه ، قال : وهل يغيب عليه طرفة عين حتى يشتقه ، قلت : مأساة الله الأعظم ، قال : أن تقول الله وأنت تهابه ؟ قلت : كثيراً ما أقوله ، ولا تدخلنـى هيبة ، قال : لا تقول الله من حيث أنت لا من حيث هو ، قلت عظـنى ؟ قال : حسبك من الموعظـة علمـك بأنه يراك ، قلت : فـما تأمرـنى ؟ قال : اطلاـعـه عليكـ فى جـمـيع أحـوالـكـ لا تـنسـهـ ، وـكـلمـوهـ وـهـوـ فىـ النـزعـ ، فـقالـ : لا تـشـغلـونـى فـقدـ عـجـبـتـ منـ كـثـرةـ لـطـفـ اللـهـ بـىـ ، وـلـماـ اـحـتـضـرـ قـيلـ لـهـ ماـ تـشـتـهـىـ ؟ قالـ : أـنـ أـعـرـفـهـ قـبـلـ موـتـىـ ! مـاتـ سـنـةـ خـمـسـ وـأـرـبعـينـ وـمـائـتينـ ، وـدـفـنـ بالـقـرافـةـ^(١) وـقـبـرـ بـهـ ظـاهـرـ مـقـصـودـ بـالـزـيـارـةـ وـعـلـيـهـ أـنـسـ وـمـهـابـةـ ، وـهـوـ بـقـربـ قـبـرـ عـقـبةـ بـنـ عـامـرـ الـجـهـنـىـ الصـحـابـىـ ، وـقـيلـ : بـلـ هـوـ عـقـبةـ وـعـمـرـوـ بـنـ الـعـاصـ الـثـلـاثـةـ فـىـ قـبـرـ وـاحـدـ ، وـعـنـدـ قـبـرـ ذـىـ النـونـ قـبـرـ صـاحـبـ الدـرـايـةـ وـذـكـ أـنـ ذـاـ النـونـ قـيلـ لـهـ فـىـ النـومـ : اـقـعـدـ غـداـ عـلـىـ شـفـيرـ الـخـنـدقـ يـجـيـءـ مـيـتـ مـنـ الـأـوـلـيـاءـ ، فـصـلـ عـلـيـهـ ، فـلـمـ أـصـبـ قـعـدـ فـجـاءـ رـجـلـانـ يـحـمـلـانـ مـيـتـاـ عـلـىـ درـابـةـ ، فـوضـعـوهـ ، فـصـلـ عـلـيـهـ وـدـفـنـهـ وـأـوـصـىـ أـنـ يـدـفـنـ تـحـتـ رـجـلـيهـ .

(عـجـيـبـ) حـكـىـ صـاحـبـ التـرـجمـةـ عنـ الجـوـهـرـىـ ، أـنـ هـرـجـ بـالـعـجـيـنـ مـنـ بـيـتـهـ إـلـىـ الفـرنـ وـهـوـ جـنـبـ ، فـجـاءـ إـلـىـ شـطـ النـيلـ فـنـزـلـ المـاءـ لـيـغـتـسـلـ فـرـأـيـ وـهـوـ فـيـ المـاءـ مـثـلـ مـاـ يـرـىـ النـائـمـ كـأـنـهـ بـيـغـدـادـ وـقـدـ تـزـوـجـ وـأـقـامـ مـعـ الـمـرأـةـ ستـ سـنـيـنـ وـأـولـدـهـاـ أـوـلـادـ ، ثـمـ رـدـ إـلـىـ نـفـسـهـ وـهـوـ فـيـ المـاءـ فـخـرـجـ وـلـبـسـ ثـوـبـهـ وـأـخـذـ خـبـزـهـ مـنـ الفـرنـ ،

وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره فبعد أشهر جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في تلك الواقعة تسأل عن داره ، فلما رآها عرفها وعرف الأولاد ، وقيل لها : متى تزوجك ؟ قالت منذ ست سنين وهذه أولاده مني ، فخرج في الحس ما وقع في الخيال ، وقال ابن عربى : وهذه من مسائل ذى النون الست التي تحيلها العقول ، فللله قوى في العالم خلقها مختلفة الأحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم السمع والبصر وغيرهما ، فاختص الله أولياءه بقوى مثل هذه المكایة ، فلا ينكرها إلا جاھل بما ينبغي للجناب الإلهي من الاقتدار ، ولا يعرف هذا القرب إلا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي وما يجده به من الأمور الواسعة في النفس المفرد وظرف العين ، ثم يرى أثر ذلك في الحس بعين الخيال ، فيعرف هذا القرب وتضاعف السنين في الزمن القليل من زمان والحياة الدنيا .

حرف الزاي

(٢٤٩) زهراء الوالهة^(١)

كانت من عقلاء المجانين وأكابر العارفين ، قال ذو النون^(٢) : بينما أنا أطوف في بعض أودية المقدس سمعت قائلًا : يا ذا الأيدي التي لا تحصى وبها ذا الجبود والبقاء متع بصر قلبي بالجولان في بساتين جبروتك واجعل همي متصلة بجود لطفك يا لطيف وأعذنى من مسالك التجربين بجلالك وبهائلك يا رءوف ، واجعلنى لك في الحالات خادماً وطالباً وكن لي يامنور قلبي وبها غاية طلبتي صاحباً ، فتبعت الصوت فإذا امرأة كأنها عود محترق عليها درع صوف وخمار شعر أسود قد أضناها الجهد ، وقتلها الكمد ، وذوبها الحب ، فقلت : السلام

(١) النبهاني ١٧/٢ .

(٢) انظر ترجمته وما جاء فيها بشأن ما رأه في تيه بنى إسرائيل ، الترجمة رقم ٢٤٨ .

عليك قالت : عليك السلام ياذا النون ، قلت : كيف عرفت اسمى ولم ترني ؟
 قالت : كشف عن سرى الحبيب فرفع لقلبي حجاب العمى فعرفنى اسمك فقلت :
 ارجعى إلى مناجاتك ؛ فقالت : أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عنى شر ما أجد
 فقد استوحشت من الحياة ثم خرت ميتة ، فبقيت متحبراً فأقبلت عجوزة كالوالهة
 نظرت ، ثم قالت : الحمد لله الذى أكرمها ، قلت : من هذه ؟ قالت : ابنتى زهراء الوالهة
 لها منذ عشرين سنة توهم الناس أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ريها تعالى .

حرف السين المهملة

(٢٥٠) السرى السقطى^(١)

حال الجنيد وأستاذه ، إمام أزهرت روضة رياسته ، واشتهرت أخبار
 تربيته وسيادته ، وانتهت إليه مشيخة الصوفية وتفجرت عيون مورده فى المعارف
 الإلهية ، ومع ذلك كان وجيهها عند الملوك والأكابر ، معظمًا بين أرباب السيوف
 والمحابر ، أخذ عن الكرخي وغيره ، وسمع الحديث من الفضيل وهشيم وأبى بكر
 عياش وعلى بن غراب ويزيد بن هارون ، وروى عنه الجنيد وأبو العباس بن
 مسروق وإبراهيم المخرمي وغيرهم . وقال السلمى^(٢) : وهو أول من أظهر ببغداد
 لسان التوحيد وتكلم فى الحقائق والإشارات ، وكان أوحد أهل زمانه ورعا وزهدا
 ذا أحوال ومقامات ، وسبب توبته أنه مر بجارية سقط منها شئ فانكسر فارتابت
 فأعطها بدلها ، والكرخي مار فنظر إليه فأعجبه صنعه ، فقال : بغض الله إليك
 الدنيا وأراحك مما أنت فيه ، فترك حانوته وقام وهام .

(ومن فوائد) عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه ، وعجبت لمن
 سافر فى طلب الريح ولم يريح تاجر مثل نفسه .

(١) حلية الأولياء ١١٦/١ - ١٢٦ : وصفة الصفوة ٢٠٩/٢ - ٢١٨ : والرسالة القشيرية ، ١٢ :
 ووفيات الأعيان ١/٢٥١ : وتاريخ بغداد ١٨٧/٩ : ومرأة الجنان ١٥٨/٢ - ١٥٩ :
 والبداية والنهاية ١٣/١١ : والشذرات ٢/١٢٧ : وابن ظفر ، أنباء نجفاء الأبناء ، ص ١٤٦ .

(٢) السلمى ، طبقات ص ٤٨ .

وقال للجنيد : ياغلام احفظ عنى ، المعرفة ترفرف على القلب فإن كان فيه حيا وإلا ارتحلت ، ودخل عليه الجنيد فقال له : يا جنيد عصفور يجئ كل يوم أفت له الخبز في يدي فأكله ، فنزل الساعة ولم يسقط على يدي فتذكرت أنى أكلت ملحا بأزار فاليت أن لا أكله بعدها فعاد كما كان .

وقال : القلوب ثلاثة : قلب كالجبل لا يزعزعه شيء ، وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح ييلها ، وقلب كالريشة ييلها الريح يينا وشمالا .

وقال : علام الاستدراج العمى عن عيوب النفس .

وقال : من أحب أن يسلم له دينه ويقل همه وغميه فليعتزل عن الناس .

وقال : أقوى القوة أن يغلب النفس على شهواتها ، ومن عجز عن أدب نفسه فهو عن غيره أعجز .

وقال : من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله ، وقال : اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب .

وقال : لي منذ أربعين سنة تطالبني نفسى بغمى خrizة فى دبس فما أطعتها .

وقال : آه على لقمة ليس لله على فيها تبعة ولا لخلقك فيها منه .

وقال : انتهيت إلى حشيش فى جبل وما يخرج منه ، فتناولت من الحشيش وشربت من الماء ، وقلت لنفسى : إن كنت أكلت يوما حلالا فهذا ، فهتف بي هاتف القوة التى أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هي ، فرجعت وندمت . وذكر عنده حديث الوجد الحاد الغالب فقال : هو أن يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدرى ، فروجع فيه واستبعد فلم يرجع .

وقال : عجبا لضعيف كيف يعصى قويا .

وقال : أهل الحقائق من أكله أكل المرضى ونومه نوم الغرقاء .

وقال : لو دخل رجل بستاننا فيه من كل ما خلق الله من الأشجار وعليه كل ما خلق من الأطياز فخاطبه كل طائر منها بلغته : السلام عليك يا ولی الله فسكنت نفسه لذلك كان في يديها أسيرا .

وقال : إن في النفس لشاغلا عن الناس .

وقال : المغبون من فنيت أيامه بالتسويف ، والمغبوط من تمنى الصالحون مقامه ، وقال : وسائل حكيم متى يكون العالم مسيئا ، قال : إذا كثرت بقبقته وانتشرت كتبه وغضب أن يرد عليه شيء من كلامه .

وقال : احذر أن تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا .

وقال : جاءنى أبو جعفر السماك وكان شديد الوله فوجد حولى جماعا فوقف ولم يقعد ، ثم نظر إلى فقال : صرت مناجيا للبطالين فكره اجتماعهم حولى .

وقال : الشكر أن لا يعصي الله في نعمه .

وقال : من ذكرنى بسوء فهو في حل إلا رجلا تعمدى بشيء يعلم مني خلافه .

وقال : من الناس من لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ، ولا أحسبني إلا منهم ، وقال : الشوق والأنس يرفرفان على القلب فإن وجدا فيه هيبة وإن حالا وإن ارتحلا ، وقال : لو لا الجمعة والجماعات سددت على نفسى الباب .

وقال : كيف يستنير قلب فقير يأكل من طعام قاضى أو من غش فى معاملته ؟.

وقال : من صفى إلى قول الناس عنه: إنه ولی فهو أسيير في يد نفسه ما برح ، وقال : ثلاثة من علامة سخط الله على العبد : كثرة الغفلة والاستهزاء بالناس والغيبة .

وَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ الْطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنْ أَرْدَتِ الْعِبَادَةَ فَعَلِيكَ
بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ، وَإِنْ أَرْدَتِ اللَّهَ فَاتَّرِكْ كُلَّ مَا سُواهُ تَصْلِ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ إِلَّا
الْمَسَاجِدُ وَالْخَرَابُ ، وَقَالَ : لَا تَكْمِلُ مَحْبَةَ بَيْنِ اثْنَيْنِ حَتَّى يَقُولَ كُلُّ الْآخِرِ : يَا أَنَا .

وَقَالَ : مَا رَأَيْتَ شَيْئًا أَجْبَطَ لِلْعَمَلِ وَلَا أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ وَلَا أَسْرَعَ لِهَلاَكِ
الْعَبْدِ وَلَا أَدُومَ لِاضْطِرَارِهِ وَلَا أَقْرَبَ لِلْمَقْتَ ، وَلَا أَلْزَمَ لِطَرِيقِ الرِّيَاءِ وَالْعَجْبِ
وَالرِّيَاسَةِ مِنْ قَلْةِ مَعْرِفَتِهِ بِذُنُوبِهِ .

وَقَالَ : الدُّنْيَا أَفَاعَى قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ ، وَسُحَارَةُ قُلُوبِ الْعِبَادِ وَالْقَرَاءِ .

وَقَالَ : كُمْ أَطْبَقَ أَهْلَ بَلْدَهُ عَلَى اعْتِقَادِهِ وَهُوَ مِنَ الْهَالَكِينَ .

وَقَالَ : قَدْ تَوَعَّرْتَ طَرِيقَ الصَّالِحِينَ وَقُلْ فِيهَا السَّالِكُونَ وَهَجَرْتَ فِيهَا
الْأَعْمَالَ ، وَقُلْ فِيهَا الرَّاغِبُونَ ، وَزَهَدَ الْحَقُّ وَدَرَسَ هَذَا الْأَمْرُ ، فَلَا أَرَاهُ إِلَّا فِي
لِسَانِ كُلِّ بَطَالٍ يَنْطَقُ بِالْحِكْمَةِ وَيَفَارِقُ الْأَعْمَالَ ، وَقَدْ افْتَرَشَ الرَّخْضُ وَتَمَهَّدَ
الْتَّأْوِيلَاتُ وَاقْتَدَى بِذَلِكَ الْهَالَكُونَ .

وَقَالَ : مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي الظَّلَامِ نُشِرتَ لَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْأَعْلَامُ .
قَالَ الغَزَالِيُّ : وَأُرْسَلَ السَّرِّيُّ إِلَى أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ شَيْئًا فِرْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : احْذِرْ آفَةَ
الرَّدِّ فَإِنَّهَا أَشَدُ مِنْ آفَةِ الْأَخْذِ ، فَقَالَ : أَعْدَ عَلَى مَا قُلْتَ ، مَا رَدَدْتَ إِلَّا لِأَنَّ
عَنْدِي قَوْتٌ شَهْرٌ فَاحْسِبْهُ عَنْدَكَ وَأُرْسِلَهُ بَعْدَ شَهْرٍ .

وَقَالَ : قُلُوبُ الْعَارِفِينَ مَعْلَقَةٌ بِالسَّوَابِقِ وَقُلُوبُ الْأَبْرَارِ بِالْخَوَاتِيمِ ، هُؤُلَاءِ
يَقُولُونَ : بِمَاذَا يَخْتَمُ لَنَا ، وَأَوْلَئِكَ بِمَاذَا سَبَقَ مِنَ اللَّهِ لَنَا .

وَقَالَ : مَنْ اشْتَغَلَ بِهَنْجَاهَ اللَّهِ أُورْثَهُ حَلَاوةً ذَكْرَهُ مَرَارَةً مَا يَأْتِيَ بِهِ
الشَّيْطَانُ وَقَالَ : مَنْ اسْتَعْمَلَ التَّسْوِيفَ طَالتْ حَسْرَتِهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

وَقَالَ : الْأَدْبُ تَرْجِمَانُ الْعُقْلِ ، وَاللِّسَانُ تَرْجِمَانُ الْقَلْبِ ، وَالْوَجْهُ مَرَأَةُ
الْقَلْبِ ، يَتَبَيَّنُ عَلَى الْوَجْهِ مَا تَضْمِرُهُ الْقُلُوبُ .

وقال : من أطاع من فوقه أطاعه من دونه .

وقال : التوكل الانخلاء عن القوة والخول .

وقال : رأس الأعمال الرضى عن الله ؛ وعمود الدين الورع ، ومخ العبادة الجموع ، وضبط اللسان حصن حصين ، ومن شكر الله جرى فى ميدان الزيادة .

وقال : صحبتُ شيخاً فأقمت سنة لا أسأله عن شيء ، ثم قلت : ما المعرفة التي ما فوقها معرفة ؟ قال : أن تجد الله أقرب إليك من كل شيء ، وأن ينمحى من سرك كل شيء ، قلت : وما يوصل إلى هذا ؟ قال : زهدك فيك ورغبتك فيه ، فكان كلامه سبب نفعي .

وقال : سمعت برجل بالجبل مجاب الدعوة فطلبته ، فإذا بخلق كثير من المرضى والعبيان ينتظرون خروجه كل سنة مرة ليدعوه فيشفوا ، فخرج فدعا لهم ورجع فتعلقت به وقلت : بي علة باطنية ، فقال : خل عنى يا سرى فإنه غيور لا يراك تُساكن غيره فتسقط من عينه .

وقال : اطلب حياة قلبك بمحالسة أهل الفكر ، واستجلب نور القلب بدؤام الحزن ، وألح في المسألة عند وجل القلب ، وإياك والتسويف ، ومرض ولم ير عليه تغير فأخذ الجنيد بوله فذهب لطبيب نصارى فتأمله ، وقال : بول عاشق فصعب الجنيد وأغمى عليه ، ثم أخبر السرى فقال : قاتله الله ما أخبره ؟ ما كنت أظن أن الحب يظهر في هذا .

مات ببغداد سنة إحدى أو ثلاثة وخمسين ومائتين ، وقال له الجنيد حال النزع : أوصني بوصية أنتفع بها بعدك ، وقال : إياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار ، أنسد الحديث عن أبي بكر بن عياش ويزيد بن هارون وهشيم وغيرهم .

(٢٥١) سعيد بن إسماعيل

أبو عثمان الحيري^(١)

شيخ الجماعة ومقدم الطائفة إمام جليل وحبر نبيل ، عارف لا يحتاج نهار فضله إلى دليل ، أصله من الري ونشأ بها ثم تحول إلى نيسابور فسكنها وسمع الحديث على الجماعة ، قال الخطيب : وكان مجذب الدعوة ، وقال أبو نعيم : كان بالحكم منطيقاً ، وللمربدين نصيحاً شفيفاً .

(ومن فوائد) من أمر السنة على نفسه قوله وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى عليها نطق بالبدعة ، « وإن تطعوه تهتدوا »^(٢) وقال : لى أربعون سنة مأقامنى الله في حال فكرته ، ولا نقلني لغيره فتسخطته ، وقال : لا يكمل الرجل حتى يستوى عنده المنع والعطاء والعز والذل ، وقال : حق على من أعزه الله بالطاعة أن لا تزله نفسه بالمعصية وقال : أصل التعلق بالخير قصر الأمل وما دمت تتبع شهوتك وإرادتك فأنت مسجون فإذا فوضت أمرك إلى الله وسلمت استرحت ، وقال له رجل كنت أجده بقلبي حلاوة عند إقبال الليل والآن لا أجده ، وقال : لعلك سرت بشيء من الدنيا فذهبت بحلاوة ذلك ، وقال : اصحاب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتلذل ، فإن التعزز على الأغنياء تواضع لله ، والتذلل للقراء شرف . وقال : من تفكير في الدنيا وزوالها أورثه الزهد فيها ، ومن تفكير في الآخرة وبقائها أورثه الرغبة فيها ، وقال : من أضر به الرجاء حتى قارب الأمان فالخوف له أفضل ، ومن أضر به الخوف حتى قارب اليأس فالرجاء له

(١) نسبة إلى الحيرة ، قرية من قرى نيسابور ، انظر نتائج الأفكار القدسية ١٤٤/١ : انظر ترجمته في حلية الأولياء ٢٤٤ - ٢٤٦ : وصفة الصفوة ٨٥/٤ - ٨٨ : والرسالة القشيرية ، ٢٥ : ومرة الجنان ٢٣٦ : والمنتظم ١٠٦/٦ : وفيات الأعيان ٢٥٥/١ : وتاريخ بغداد ٩٩/٩ : والبداية والنهاية ١١٥/١١ : والسلمي ، ص ١٧٥ - ١٧٠ ، وطبقات الشعراني ١٠١/٢ : والبداية والنهاية ١١٥/١١ : والشذرات ٢٣٠/٢ .

(٢) سورة النور : الآية ٥٤ .

أفضل ، وقال : طول العتاب فرقة وتركه حشمة ، وقال : الذكر الكثير أن تذكر الله في سرك وتعلم يقيناً أنك لا تصل لذكره إلا بعطائه وفضله ، وقال : عالمة السعادة أن تطيع الله وتحاف أن تكون مردوداً ، والشقاوة أن تعصيه وترجو أن تكون مقبولاً ، ومر بالطريق ومعه صحبه فوقع عليه رماد من كوة ، فهموا أن يكلموا أهل الدار فزجرهم ، وقال : من استحق النار فصولح على الرماد لا يغضب ، وقال : دخلت على رجل بيته فرأيت ثم حسيراً وكوزا مكسراً ، فكنت أنظر في البيت ، ففطن الرجل فقال : العفاء خير من العافية ، وقيل له : بم يكون الرجل صادقاً في حب مولاه ؟ قال : إذا خلا من خلافه ، فبكى السائل ووضع التراب على رأسه ، وقال : كيف أدعى المحبة ولم أخل طرفة عين من خلافه ، فبكى الجبرى ، وقال : صادق في حبه مقصري في حقه ، وكان يوماً واقفاً على رأسه تلامذته أبو زكريا بالخشبي ، وكان بينه وبين امرأة سبب قبل توبته فتفكر في شأنها فرفع إليه رأسه ، وقال : ألا تستحي ، وخرج يوماً فقعد في موضعه الذي يقعد فيه للتذكرة ، فسكت طويلاً فقال له رجل : نرى أن تقول في سكوتك شيئاً فأنشد :

وغيري تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى والطبيب مريض
فضج الناس بالبكاء ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقيل غير ذلك .

(٢٥٢) سعيد بن يزيد النباجي^(١)

كان يعج من نفسه إلى ربه عجيجاً ، ويشتاق إليه ساكناً أنيساً وضجيجاً ، وقد قيل : إن التصوف عرفان الحدود والحقوق ، ووجودان السكون والوثوق .

(١) نسبة إلى النباج ، قرية من بادية البصرة ، الأنساب ص ٥٥٢ ، وياقوت ، معجم البلدان ٥/٢٥٦ .

(ومن كلامه) : خمس خصال ينبغي للمؤمن أن يعرفها : معرفة الله ومعرفة الحق وإخلاص العمل لله ، والعمل على السنة وأكل الحلال ؛ فإن من عرف الله ولم يعرف الحق لم ينتفع بالمعرفة ؛ وإن عرف الحق ولم يخلص لم ينتفع بالمعونة ، وإن لم يكن على السنة أو لم يكن أكله حلالا لم ينتفع بالخمس .

وقال : إذا كان المطعم حلالا صفا له القلب فأبصر به أمر الدنيا والآخرة ، وإن كان من شبهة اشتبهت عليه الأمور بقدر المأكل ؛ وإن كان من حرام أظلم عليه أمر الدارين ، وإن وصفه الناس بالبصر فهو أعمى .

وقال : من وثق بالله فقد أحرز قوته ، ومن حيى قلبه فقد لقى ربه .

وقال : القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من حركات الأعمال من نحو صلاة

وصوم .

وقال : احذروا أن يغضب الله عليكم فيعطيكم الدنيا ، فإنه غضب على عبد من عبيده إبليس فأعطاه إياها .

وقال : قال موسى أى رب أين أجده ؟ قال : إذا انقطعت إلى فقد وصلت ، وقال : لا شيء أقطع لظهر إبليس من قول ابن آدم : ليت شعري بماذا يختتم لي فعندها ييأس منه ويقول متى يعجب هذا بعمله .

وقال : إن أحببتم أن تكونوا أبدالا فأحبوا ماشاء الله ، وأوحى الله إلى موسى : ما استحقنى عبد لحاجته بمثل قوله : ما شاء الله ، وقال : ينبغي أن نكون بدعاء إخواننا أو ثق منا بأعمالنا ، وقال : ما باق عمر تقطعه الساعات ؟! وسلامة بدن معرض للآفات ، وقد عجبت للمؤمن كيف يكره الموت وهو سبيله إلى الشواب وما أرانا إلا سيدركنا الموت ونحن أبقي .

وقال : من خطرت الدنيا بباله لغير القيام بأمر الله حجب عن الله .

وقال : أصل العبادة ثلاثة : لا ترد من أحکامه شيئا ، ولا تدخل عنه

شيئاً ؛ ولا تسأل غيره حاجة .

وقال : إن أعطاك أغناك وإن منعك أرضاك ، وقال : إذا ذكرت قوله الوهاب فرحت بها .

وقال : من جعل الله المعرفة عنده يتنعم في كل أحواله .

وقال : لو لم يكن لله ثواب يرجى ولا عقاب يخشى لكان أهلاً لأن يطاع فلا يعصى وينذر فلا ينسى .

وقال : من عمل لله على حبه أشرف من عمل على خوفه .

وقال : إنما ذكر الله درجة الخائفين وأمسك عن درجة المحبين لأن القلوب لا تحتمل ذلك .

وقال : لو جعلت لي دعوة مستجابة ما سألت الفردوس ، وإنما أسأل الرضى فهو تعجیل الفردوس في الدنيا .

وقال : قال يونس عليه السلام : يا رب أرنى أحب خلقك إليك فدفع إلى رجل أكلت محسن وجهه ولم يبق إلا عيناه ، فقال يونس لجبريل : هذا الأحب !! قال : نعم وقد أمرت أن أسلب عينيه فسلبهما ، فقال الرجل : الحمد لله متعمتنى ببصري ثم قبضته وأبقيت فى الأمل فيما عندك فلم تسلبنيه .

وقال : إنما سميت الصلاة لأنها اتصال بالله وما أحسب أن أحداً يكون في صلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطبه الله ، وقال : من استعجلت عليه شهوته انقطعت عنه مواد التوفيق .

وقال : من أكل من الشهوات والتبعات ورددت عليه البليات .

وقال : الغفلة عن الله أشد من دخول النار .

وقال : ميراث الذكر لغير ما يوصل إلى الله قسوة في القلب .

وقال : قال إبليس : من ظن أنه ينجو مني بحيلته فبعجبه وقع في حبالي .

وقال : إذا دخل الغضب على العقل ارتحل الورع فكيف بن لا عقل له ولا ورع يدخل عليه الغضب .

وقال : اشتهرت شيئاً فرأيت في المنام قائلاً يقول : أيجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد ؟! وقال الحافظ أبو نعيم ^(١) : وكان له آيات باهرة وكرامات ظاهرة منها أن عيناً نظر إلى ناقته فسقطت تضطرب ، وكان غائباً فلما حضر وقف على العينين ، وقال : بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس ، رددت عين السائل عليه وعلى أحب الناس إليه في كل تيه رشيق وفي ماله يليق ، « فارجع البصر هل ترى من فطور » إلى قوله : « وهو حسير » ^(٢) ، فخرجت حدقتا العينين وقامت الناقة .

(٣) سعيد بن العباس الرازى (٢٥٣)

الواافق بالوصول ، الناطق بالأصول ، التارك للفضول ، له البيان الشافى والكلام الكافى ، عمل فى تصفية الباطن ، وركن إلى لطيفة الضامن .

(ومن كلامه) : استعن بالله فإن جميع الشر حب الدنيا ، هل رأيت رجلاً عصى الله في التهاون والزهد في الدنيا والرضى بالقليل ، احذر الدنيا وأهلها ومن يدعوك لها ، فإن محبها زعم بلسانه أنه يعبد ربه ، وهو يعبد هواه ، ودنياه بقلبه ونيته وغدوه ورواحه ، وطوابعه وغضبه ورضاه .

وقال : لا يسلم من الدنيا من سالمها .

وقال : العالم بالله الخائف ، يهدم بحق الله باطن أهل الرغبة في

(١) في حلية الأولياء ٢٤٩/١.

(٢) سورة الملك : الأيتان ٣ ، ٤ .

(٣) حلية الأولياء ، ٢٣٦ / ١٠٠ .

الدنيا ، والعالم المغتر يطفئ نور الحق بظلمة الباطل .

وقال : إذا أراد الله أن يغنى فقيراً أو يفقر غنياً أو يرفع وضيعاً أو يضع رفيعاً فعل ما أراد ، فلا يغالب الله على أمره .

وقال : باب الآخرة مفتوح فادخله تصل إلى رحمة الله وتنكون في كنفه وحفظه وولايته وستره وكفايته فإن الله لا يخلف الميعاد .

وقال : ليس بين الله وبين العباد وسيلة إلا طاعته ، وديان يوم الدين إنما يدين العباد غداً بأعمالهم لا بمنازلهم في الدنيا .

وقال : قد كفيت مؤنة من بعدك فلا تتكلف مؤنته ، وقد جمع الناس قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا لهم ولا من جمعوا له .

وقال : ازهد في الدنيا تجده للبيقين نوراً وترى للترك فضلاً وسروراً .

وقال : اختر القلة وارتع في رياض المقلين تدرك ثمرة قلبك أما علمت أن النار حفت بالشهوات والجنة بالمكاره ؟ اختر ما اختاره المصطفى صلى الله عليه وسلم وادع إلى ما دعا إليه تكن لله ولها ولرسول أمينا وللمتقين إماماً .

وقال : كن داعياً إلى الله بما دعا به رسوله ، والتمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين ، وليكن ذلك في ترك دنياك لآخرتك .

وقال : اطلب حقيقة الإيمان تردى نفسك عن الدنيا ، واجهد نفسك على طلب الآخرة فإن الكيس من دان نفسه وعمل لآخرته ، وقال أبو نعيم : وله من كثرة الحديث مسانيد ، حدث عن الأعلام .

(٢٥٤) سمنون المحب بن حمزه الخواص^(١)

إمام بالورع متصف ، عارف يقر له أهل الفضائل بالفضل وتعترف ، ناسك في العرض زاهد ، صوفي نفعه على المريدين عائد ، وهو بصرى الأصل سكن بغداد ، وأخذ عن السقطى والقصاب والقلانسى سمى نفسه سمنون الكذاب لقوله .

وليس لي سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرنى

فحسر بوله فورا واستمر أربعة عشر يوما وعجز ، فسمى نفسه الكذاب ، وكان يطوف على المكاتب ويقول للأطفال ادعوا لعمكم الكذاب ، وكان يتلوى كالحية على الرمل ، وقال ابن عربى : لما أساء الأدب مع الله وأراد أن يقاوم القدرة الإلهية لما وجد في نفسه من حكم الرضى والصبر ، ابتلى بذلك أذ مقاومة القدر الإلهي سوء أدب ، وما ابتلى عبده إلا ليضرع إليه ويسأله العافية ، والنفس مجبولة على طلب حظها من العافية ، فلما سُأله هذا كان في حكم العافية ، فلما سلبها بهذا البلاء طلبتها النفس بما جبلت عليه ، ألا ترى إلى عالم العلماء وحكيم الحكام كيف سأله العافية وأمر بها ؟ فمن الأدب مع الله وقوف العبد مع عجزه وضعفه وفقره وفاقتنه انتهى ، وكان سمنون عظيم الشأن جدا ، حكى في فواتح الجمال أنه كان إذا تكلم في المحبة جعلت قناديل الشونيذية تجيء وتذهب بينا وشمالا ، وفي الروض أنه تكلم في المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها من اضطرابها ، وقيل له : تكلم في المحبة ، فقال : لا أعلم أحدا على وجه الأرض يستأهل الكلام فيها ، فوقع بين يديه طائر فقال : إن كان هذا يجعل يكلمه في المحبة والطير يضرب بمنقاره الأرض حتى سال دمه واضطرب

(١) حلية الأولياء ٣٠٩/١٠ - ٣١٤ : وصفة الصفوة ٢/٢٤٠ - ٢٤٢ : والرسالة القشيرية ، ٢٨ : وطبقات الشعرانى ١٠٤/١ : وتاريخ بغداد ٢٣٤/٩ - ٢٣٧ : والبداية والنهاية ١١٥/١١ : ونتائج الأفكار القدسية ١٥٩/١ - ١٦١ : والسلمى ، طبقات ص ١٩٥ - ١٩٩ ، والمنتظم ١٠٨/٦ .

ومات ، وقيل له : أنا نذكر الله ولا نجد في قلوبنا حلاوة ، فقال : احمدوا الله على أن زين جارحة من جوار حكم بذكره .

(ومن فوائد) المحب لا يعبر عن شيء إلا بما هو أرق منه ؛ ولا شيء أرق من المحبة فيما يعبر عنها .

وقال : أول وصل العبد هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه .

وقال : مضى الوقت فصار الوقت مقتا ، وقتكم خراب وقلبك في المحراب ، ومن كانت عبادته عنى كانت ثمرته ضئيلاً .

وقال : ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لحديث « المرء مع من أحب » .

وقال : إذا بسط الجليل فعند بساط المجد دخلت ذنوب الأولين والآخرين في حاشية من حواشيه ، وإذا أبدى علينا من عيون الجود الحق المسمى بالمحسن .

وقال : الفقير الصادق الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى ، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقر .

وسائل عن المحبة فقال : صفاء الود مع دوام الذكر ، وعن التصوف ، فقال : أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء .

وكان جالساً على شاطئ دجلة وبيده قضيب يضرب فخذله حتى بآن عظم ساقه وتبدد لحمه وهو يقول : ^(١)

كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلبه
رب فارده على فقد ضاق صدرى في تطليبه
وأغث مadam بي رمق ياغيات المستغيث به

(١) انظر السلمى ، المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

ومن نظمه من جملة قصيدة :

لَا عيش إِلا مَعْ رَجَالٍ قَلُوْبَهُمْ تَحْنُ إِلَى التَّقْوَى وَتَرْتَاحُ لِذَكْرِ
 أَدِيرَتْ رُؤُسَ الْمَنَائِيَا عَلَيْهِمْ فَأَغْفَرَا مِنَ الدُّنْيَا كِإِغْفَاءِ ذَى سَكْرٍ
 هُمُومَهُمْ جَوَالَةٌ بِعَسْكَرٍ بِهِ أَهْلُ وَدِ اللَّهِ كَالْأَنْجَمِ الزَّهْرِ
 فَأَجْسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ قُتْلَى بِحُبِّهِ وَأَرْوَاهُمْ فِي الْحَجَبِ نَحْرُ الْعُلَى تَسْرِي
 فَمَا غَرَسُوا إِلَّا بِقَرْبِ حَبِّبِهِمْ وَمَا عَرَجُوا عَنْ مَسِّ بُوسٍ وَلَا ضَرِ
 مَاتَ بِنِيْساَبُورَ سَنَةً ثَمَانَ وَتِسْعِينَ وَمَائِيْنَ

(١) سهل بن عبد الله التستري (٢٥٥)

الشيخ الأمين ، الناصح المكين ، الناطق بالعقل الرصين ، من أعلام الشياخ المشهورين ، ولم يبرز للناس حتى وقع الإذن له من الله وأطلعه على عدد مريميه وأسمائهم وأنسابهم ، ومن يفتح عليه منهم ومن يوت قبل الفتح ، حبر تحمل الإسلام بوجوده ، وزين طريق الصوفية بقلائد فوائده وعقوده ، وكان أوحد زمانه في علوم الرياضيات ، صحب خاله محمد بن سوار ولقي ذا النون وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة ، وطبق الأرض من علوم الحقائق فحسده فقهاء بلده فقاموا عليه ونسبوه إلى عظامه وقبائمه بسبب قوله التوبية فرض على العبد في كل نفس ولم يزالوا به حتى أخرجوه وجماعته من بلده إلى البصرة ، فمات بها وحفظ القرآن وهو ابن سبع ، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة ، وهو ابن عشر فيحسن الإجابة ، وكان لا يفطر إلا كل خمسة عشر يوما ، وإذا دخل رمضان يأكل أكلة واحدة في أول ليلة منه ثم يطوى بقيته

(١) حلية الأولياء ١٠ / ١٨٩ - ٢١٢ ، وصفة الصفة ٤٦ / ٤ - ٤٩ : والرسالة القشيرية ، ١٨ : وطبقات الشعراني ١ / ٩ : ووفيات الأعيان ١ / ٢٧٣ : والباب ١ / ١٧٦ : والمنتظم ٥ / ١٦٢ : ومراة الجنان ٢ / ١٤٨ : ونتائج الأفكار القدسية : والسلمي ، ٢٠٦ - ٢١١ : والشدرات ٢ / ١٨٢ .

لكنه يفطر كل ليلة على الماء القرابح أو على زبيبة ليخرج عن الوصال المنهى عنه ، وكان يكفيه لطعامه في السنة كلها درهم ، وإذا جاء قوى وإذا شبع ضعف ، وكان إذا دخل عليه ضعيف يأكل معه وإن لم يكن له شهوة إلى الأكل ذلك الوقت ، وكان يسمع القرآن وغيره فلا يتحرك ، فلما كان أواخر عمره صار يتواجد ويقول : ضعفنا والله عن التحمل ، وصار واردنا أقوى منا ، وكان يطوى ثلاثين وأربعين ، وقيل سبعين ليلة لا يأكل شيئاً ، وقال الغزالى : وقد انتهى إلى ذلك جماعة يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو المغربي ، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ، وإبراهيم التيمى وحجاج بن قراص ، وحفص العابد المصيصى وزهير سليمان الخواص وإبراهيم الخواص - كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة ، وذكر بعضهم أن من طوى أربعين يوماً من الطعام ظهرت له قدرة من الملائكة أى كوشف ببعض الأسرار الإلهية انتهى ، قال ابن عربى : وكان بدأ سهل فى هذا الطريق سجود القلب وكم من ولى كبير الشأن طوبل العمر ، مات وما حصل له سجود القلب ولا علم أن للقلب سجوداً مع تحققه بالولاية ورسوخ قدمه فيها ، فإن سجوده إذا حصل لا يرفع رأسه أبداً من سجنته ، فهو ثابت على تلك القدم الواحدة التي تتفرع منها أقدام كثيرة ، وأكثر الأولياء يرون تقلب القلب من حال إلى حال ، ولهذا سمي قلباً ، وصاحب هذا المقام وإن تقلبت أحواله فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب ، ولهذا لما رأى سهل في ابتداء دخوله الطريق أن قلبه سجد وانتظر أن يرفع فلم يرفع ، فبقى حائراً فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته فما وجد أحداً يعرفها ، فإنهما أهل صدق لا ينطقون إلا عن ذوق محقق ، فقيل له : إن في عبادان شيخاً معتبراً لو رحلت إليه ؟ ففعل ، فقال له : أيها الشيخ أيسجد القلب ؟ فقال إلى الأبد ، فوجد شفاءً عنده فلزم خدمته ، فالله تعالى يؤتى ما شاء من علمه من يشاء من عباده ، ﴿يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾^(١)

(ومن فوائد) الناس نیام فإذا انتبهوا فإذا انتبهوا ندموا لم ينفعهم الندم .

وقال : من الأولياء من إذا مر على قوم عصاة فسلم عليهم أو سلموا عليه فرد غفر الله لهم جميع ذنوبهم وأمنهم من عذابه ، ومنهم من لا تأكل النار من جالسهم ولو لحظة أو حضر جنازتهم . وقال : الصبر عن النساء خير من الصبر عليهم والصبر عليهم خير من الصبر على النار ؛ وقال المستمع عن المعنى الذي استمع لأجله لأنه من الأسرار التي تقصّر عنها العبارات ، وسئل عن ذات الله فقال : ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا . وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا حلول وتراه العيون في العقبي ظاهرا في ملكه وقدرته قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ؛ ولا أدراك نهاية .

وقال : الجاهل ميت والناسي نائم والعاصي سكران ، والمصر هالك ،
وقال : ما من ساعة إلا والله يطلع في القلوب ، فأى قلب وجد فيه غيره
سلط عليه العدو ، وقال : التائب من يتوب من غفلته في كل لمحه .
وقال : لا يستحق الرجل الرئاسة على الناس إلا إن احتمل أذاهم ، وبذل
لهم ما بيده ، وزهد فيما بيدهم .

وقال : دخلت الفتنة على العامة من الرخص والتأويلات ، وعلى
العارفين من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر .

وقال : لا يرى في القيامة عمل برأفضل من ترك فضول الطعام
والاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم في أكله ، وقال لم ير الأكياس شيئاً
أنفع من الجوع للدين والدنيا .

وقال : لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل .

وقال : جعل العلم والحكمة في الجوع وجعل المعصية والجهل في الشبع .

وقال : ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال ، وقد قال في الحديث « ثلث ل الطعام » فما زاد إِنْجَماً يأكل من حسناته .

وقال : إنما صار الأبدال أبدالاً بإِخْرَاصِ الْبَطْوُنِ وَالصَّمْتِ وَالسَّهْرِ وَالْخَلْوَةِ .

وقال : رأس كل بر بين السماء والأرض الجوع ، ورأس كل فجور بينهما الشبع .

وقال : إقبال الله على العبد بالجوع والسمق والبلاء إلا من شاء الله .

وقال : لو كانت الدنيا دماً غبيطاً كان قوت المؤمن منها حلالاً لأنَّ أكله عند الضرورة بقدر القوام فقط .

وقال : من انتقل من نفس إلى نفس بغير ذكر فقد ضيع حاله .

وقال : من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة وسماع كلام أهل الغفلة ، وكل عالم خاض في الدنيا فلا تُصْنَعُ لقوله بل يتهم فيما يقول : لأنَّ كلَّ إنسان يدفع ما يوافق محبوبه .

وقال : أصول طريقنا سبعة ، التمسك بالكتاب والاقتداء بالسنة وأكل الحلال وكف الأذى وتجنب المعاصي والتوبة وأداء الحقوق .

وقال : من أحب أن يطلع الناس على ما بينه وبين الله فهو جاهل به .

وقال : قد أيس علماؤنا من ثلاثة ، لزوم التوبة ومعانقة السنة وترك أذى الناس .

وقال : العيش أربعة ، عيش الملائكة في الطاعة والأنبياء في العلم وانتظار الوحي والصديقين في الاقتداء ، وسائر الناس في الأكل والشرب كالبهائم .

وقال : الولى من توالت أفعاله على المموافقة .

الله سوء المطعم وأذى الخلق .

وقال : ما دامت النفس تشتتى المعصية فلا يصل للقلب شيء من نور الطاعة ، فأدبو أنفسكم بالجوع والعطش .

وقال : حياة القلب الذي يموت بذكر الحي الذي لا يموت .

وقال : علام المؤمن الكامل أن لا يخاف أحدا دون الله ، وسئل عنم لا يأكل أيامما أين يذهب لهب جوعه ، فقال يطفئه نور القلب ..

وقال : كل عبد يفعل طاعة أو معصية بغير اقتداء فهو عيش النفس ، وكل فعل يفعله باقتداء فهو عذاب على النفس ، وكان يداوى الناس ، ولا يداوى نفسه من الأمراض فعوتب فيه ، فقال : ضربة الحبيب لا تؤلم .

وقال : لا تفتش عن مساواة الناس ، ومعرفة أخلاقهم ، ولكن فتش عن أخلاق الإسلام وما حالك فيه حتى يعظم قدره في نفسك وتحتجه في التلبيس بتلك الأخلاق .

وقال : إن الله قال لأدم : أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجى غير فضلي وخاف غير عدل لم يعرفني .

وقال : مأعطي عبد شيئاً أفضل من علم يزداد به يقيناً وافتقاراً إليه .

وقال : من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان . قال تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكِلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^(١) .

وقال : البلوى قسمان ، بلوى رحمة وبلوى عقوبة ، فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على إظهار فقره وفاقتده إليه تعالى وترك تدبير نفسه و اختياره ، وبلوى العقوبة تبعشه على اختيار نفسه وتدبيرها .

وقال : الابتلاء كالمرض يمرض الواحد مائة سنة فلا يموت ، ويمرض

وقال : خلق الله الخلق ولم يحجبهم عنه فجاءهم عنده الحجاب عن تدبيرهم ، و اختيارهم معه ، وذلك هو الذي كدر عليهم عيشهم .

وقال : مخالطة الفقير للناس ذل وبعده عنهم عز .

وقال : ما من ولى صحت ولايته إلا يحضر إلى مكة كل ليلة جمعة لا يتاخر .

وقال : اجتمعت برجل من أصحاب المسيح عليه السلام فرأيت عليه جهة صوف فيها طوارء ، وقال : لهذه من أيام المسيح سبعمائة سنة ، فعجبت فقال : الأبدال لا تخلق ثيابهم ، وإنما يخلقها رائحة الذنوب ومطاعم السحت ، ولذلك قيل : إن للحضر عليه السلام إزاراً ورداء لا يبليان ولا يخلقان .

وقال : إذا أصابتكم مصيبة فلا تقولوا : أخ فإنه اسم الشيطان وقولوا : آه فإنه اسم الرحمن ، وكذا وف فإنه مقلوب هو .

وقال : إن الله سلب الدنيا عن أوليائه وحمها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده ؛ لأنه لم يرضها لهم ، وقال : إياكم ومعاداة من أشهره الله بالولاية : فإنه كان بالبصرة ولـي فعادـاه أهـلـها وآذـوه فـغضـبـ اللهـ عـلـيـهـ فـهـلـكـواـ أـجـمـعـينـ فـىـ لـيـلـةـ .

وقال : طوبي لمن تعرف بالأولياء فإنه ربما استدرك ما فاته من الطاعة وإن لم يستدرك شفعوا فيه لأنهم أهل فتوة .

وقال : الدنيا حرام على صفة خلق الله لا يتناولون فيها إلا بقدر الضرورة .

وقال : إذا قام عبد بما يجب لله عليه قام الله بما يجب عليه من الحقوق .

وقال : من لم يكن مطعمه من حل لم يكشف عنه حجاب .

وقال : أعظم ما يحجب به العبد عن مشاهدة الملوك وعن دخول حضرة

آخر ساعة فيموت .

وقال : مانظر واحد إلى نفسه فأفلح ولا ادعى لنفسه حالا فتم له ، والسعيد من صرف نفسه عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل الفضل والإفضال ، ورؤيه منة الله عليه في جميع الأفعال .

وقال : السرور بالله هو السرور ، والسرور بغيره هو الغرور .

وقيل له : ما القوت ؟ قال : ذكر الحى الذى لا يموت ، قال : هذا قوت الأرواح فما قوت الأشباح ، قال : دع الدنيا لبنيها إن شاء عمرها ، وإن شاء خربها ، وفي رواية عنه قيل له : ما القوت ؟ قال : الله ؟ قيل له : سألك عن قوة هذا الجسد ، قال : الله الذى به يقوم كل شيء ، فلما ألحوا قال : ما لكم ولهم دع الديار إلى مالكها وبناتها إن شاء عمرها وإن شاء خربها ، ويقول : ليس من شأن اللطيفة الإنسانية صحبة هذا الشكل الخاص ، فلا بد تشتغل بما هو عين حياتها وجودها وأى بيت أسكنها فيه سكتته .

وقال : ما أعرف معصية أقبح من نسيان الرب .

وقال : أصفى ما يكون ذكرى له إذا كنت محموما .

وقال : التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد .

وقال له رجل : دخل لص داري وأخذ متاعى ، فقال : اشكر الله لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وأنسد التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ .

وقال : العلوم ثلاثة ، علم ظاهر يبذل لأهل الظاهر وعلم باطن لا يظهر إلا لأهله خوف الفتنة ، وعلم بين العبد وربه يستحب إظهاره لأحد من الخلق ، وسائل عن الاسم الأعظم ، فقال : أروني الأصغر أربكم الأعظم ، أسماء الله كلها عظيمة ، أصدق ، وخذ أى اسم شئت يفعل معك .

وقال : من أحب أن يكافش بيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا

يعمل إلا في سنة أو ضرورة .

وقال : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبي علم أولم يعلم .

وقال : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف ، الجبابة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة المjahلين .

وقال : المرء يعصى الله مائة سنة ثم يطيعه ويختتم له بخير وينجو ، وأخر يتكلّم بكلمة في ساعة فتجره للنّكفر ، فيهلك ومن ذلك عظم الخدر واشتبد البلاء وأصله حديث « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة » إلى آخره ، وقال : الغضب أشد على البدن من المرض لأنّه إذا غضب دخل عليه من الألم أكثر مما يدخل من المرض ، ولهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لا تغضب »^(١) وكروه ، وقال : الفرح كله في تدبير الله لعباده .

وقال : ليس بين العبد حجاب أغلظ من الدعوى ولا طريق أقرب إلى الله من الذلة والافتقار ، ونحوه قول البسطامي : نوديت في سرى خزائننا مملوقة من الخدمة فإن أردتنا فعليك بالذلة والافتقار .

وقال : أول دلائل المحبة دوام ذكر المحبوب ، ولا يستقر ذلك في صميم القلب إلا بعد أن يكون التصديق والتحقيق زاده ، أو التسليم والرضى مراده .

وقال : من ثقلت عليه الوحدة فهو بعيد من باب الله .

وقال : من خان الله في السر هتك ستراه في العلانية . وقال : لما دخلت البصرة وجدت بها أربعة آلاف يتكلّمون في علم المعرفة .

وقال : من قام المحبة أن تحب ما يحبه حبيبك وتكره ما يكرهه .

وقال : دع التدبير والاختيار لله الواحد القهار فإن تدبير الخلق لأنفسهم هو

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، والبخاري والترمذني عن أبي هريرة ، والحاكم في مستدركه عن جارية بن قدامة .

المكدر لعيشهم .

وقال : من علم أن الله قريب منه فقد بعد عن كل ما سواه .

وقال : من أسلم قلبه لله تولى الله جوارده .

وقال : إن الله حجب عقول الخلق بحجب لطيفة ، فحجب العلماء عنه بالعلم ، والزهد بالعمل ، والحكماء بطائف الحكمة ، أما العارفون فأسكن قلوبهم من نور معرفته فلم يحجبهم بشئ .

وقال : يا مسكين ، كان الله ولم تكن ويكون الله ولا تكون ، فلما كونك اليوم صرت تقول أنا وأنا !! كن الآن كما كنت قبل تكوينك ، واعرف فاقعة نفسك وحقارتها ونزلها منزلتها من الذلة والاحتقار .

وقال : الهجرة فرض إلى يوم القيامة ، من الجهل إلى العلم ومن النسيان إلى الذكر ، من المعصية إلى الطاعة من الإصرار إلى التوبة ، وقال : ليس خوفنا من النار ولا رضاونا للجنة بل خوفنا من العجب ومطلبنا لقاء الله ،

وقال : طوبي لمن عرف الحق وأهله فإنه يتدارك ما فرط منه فإن لم يتدارك كانوا له شفعاء . وقال : الدنيا حرام على صفة الله من خلقه ؛ لأن صيد الحرم حرام على المحرم .

وقال : أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً بمحمود .

وقال : أجمع العلماء على تفسير العافية بأن لا يكل الله العبد إلى نفسه وأن يتولاه ، وهو قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لا تكلني إلى نفسي » .

وقال : الأنفاس معدودة فكل نفس يخرج بغير ذكر الله فهو ميت .

وقال : يتفاضل الناس يوم القيامة بقدر يقينهم ، فمن كان أغزر يقيناً كان من دونه في ميزانه ، وأدنى مراتب اليقين الثقة بالله وأدنى مراتب التوكل

ترك الأختيار .

وقال : أَفَا مِنْعُ اللَّهِ الْغَافِلُونَ لَذَّةُ مَنْاجَاتِهِ لَأَنَّهُ لَمْ يَرْضِ عُقُولَهُمْ لِعِرْفَتِهِ .
وَلَا أَبْدَانَهُمْ لَخْدَمَتِهِ فَأَذْلَلَهُمْ وَجَعَلَهُمْ عَبِيدًا لِلْدُنْيَا .

وكان يقول : الرجل من يصلى في فلاة فينصرف من صلاته فينصرف معه أمثال الجبال من الملائكة على مشاهدة منه إياهم .

وقال ابن عربى : وأنا أقول : الرجل من يصلى في فلاة فينصرف بالحال الذى هو فى صلاته فلا ينصرف معه أحد من الملائكة فإنهم لا يعرفون أين يذهب وهؤلاء هم رجال الغيب انتهى ،

وقال : صعدت جبل قاف ورأيت سفيننة نوح مطروحة فوقه ، وقال لله عبد يرفع رجله وهو بالبصرة فيضعها على جبل قاف .

وقال : أَعْمَالُ الْبَرِ كُلُّهَا فِي صَحَافَ الزَّاهِدِينَ ، وَقَالَ الْيَافِعِيُّ : هَذَا فِي نِهَايَةِ التَّحْقِيقِ فَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَخْرُجُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِالْعَمَلِ الْبَرِ ، وَالْزَّهَادُ خَرَجُوا عَنِ الْكُلِّ لِلَّهِ وَجَمَعُوا بَيْنَ الْعِبَادَةِ الْبَدْنِيَّةِ وَالْقُلْبِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ .

وقال : لَى أَرْبِيعُونَ سَنَةً أَكْلَمَ اللَّهَ وَالنَّاسَ يَظْنُونَ أَنِّي أَكْلَمُهُمْ .

قال القيصري : هذه الكلمة شأنها عظيم قليل من يفهم حقيقته فإن فهمت فاحمد الله وإلا فسلم كل صنعة لأهلها ولا تنكر مالا تفهم تخسر أول أنصبة المؤمنين وهو التصديق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال : تحاججت أنا وإبليس في القضاء والقدر من طلوع الشمس للغروب فكان من آخر ما قاله لى : هل أنا شئ ؟ قلت : نعم ، قال : قال تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(١) فبأى دليل لا تنالنى الرحمة ؟ فأوقفنى وغضضت وولى ، فتدبرت الآية فرأيتها عقبها بقوله ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾^(١) فصحت

به إرجع أجبك ، فرجع متبسمًا ، فقلت : قد خرجمت بقوله : فساكتها الآية ، وقال : ما كنت أظن أن يبلغ بك المجهل إلى مأوري ؟ ليستك سكت ، من أين أعطيت أني لأتقى وقد غياني بيوم الدين وانتفاع أهل الأعراف بسجدهم ، هناك أطمعنى في قبول توبتي ، وأيضاً أما علمت أن التقيد صفتكم لا صفتكم ، قال : إن آخذ عنه طريق المعرفة ، كان له تلميذة لها ولد فأخبره بأنه غرق فدخل عليه فتكلم في الصبر والرضا ، فقالت : ما تريده بهذا ؟ فقال : ابنك غرق ، قالت : ما غرق ، فقوموا فقاموا معها حتى انتهت إلى النهر ، قالت : أين غرق ؟ قالوا هنا ، فصاحت به فأجابها ، فنزلت فأخذت بيده ومضت به فبها الحاضرون ، فقال السرى : إن المرأة مراعية لما لله عليها ، وحكم من كان مراعياً لذلك أن لا تحدث حادثة حتى يعلم بها ، فلما لم تكن حادثة لم يعلمهما بشيء ، فأنكرت أن ريهما ما فعل ذلك .

(ومن كراماته) أنه حصل له فالج آخر عمره ، فكان إذا حضرت الصلاة زال عنه فإذا فرغ منها عاد إليه ، ومنها احتاج في سياحته إلى الوضوء فقد الماء ، فاغتم فأناه دب بجرة خضراء مملوءة ماء فوضعها بين يديه وانصرف ، منها أن رجلا دخل إليه يوم الجمعة قبل الصلاة فرأى في بيته حية عظيمة فوقف ، فقال : ادخل لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شئ يخافه . ثم قال : هل لك في صلاة الجمعة ، فقال بيننا وبين الجامع مسيرة يوم ، فأخذ بيده فأدخله إليه فورا فصليا ثم خرج ينظر الناس خارجين ، فقال : أهل لا إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل ، وكانت السباع يأتونه زائرين ، وعنه بيت يسمى بيت السباع فينزلهم فيه ويضيفهم باللحم جهارا ثم يأذن لهم بالأنصارف ، وقال له تلميذه عبد الرحمن بن أحمد : يا سيدي و بم أتوا ؟ فالماء الذي يسيل من أعضائي يصير قضبانا من الذهب والفضة ، فقال له : أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة يستغلون بها ، وسألته رجل الصحبة ، فقال : إن كنت من يخاف السباع فلا تصحبني .

وله ذكر عظيم الشأن جريه أهل العرفان ، وقال ابن عربى : دخلت به الخلوة ففتح لى به فى ليلة واحدة ، وفيه أسرار عجيبة وأذواق غريبة ، ومن أكثر ذكره حب إلية الطاعات ويفضت إليه المنكرات ، قال بعضهم : ومن تعلق به لم يعجزه شيء من الموجودات ، ومن ذكره كل ليلة سبع مرات وهو فى فراشه وجد له حلاوة فى سره وهو هذا ، والله معى ، الله ناظر إلى ، الله شاهد على ، وحلى عن نفسه أنه فى بدايته توضأ للجمعة وذهب للجامع فوجده امتلاء بالناس والخطيب يخطب ، فتختطفى الرقاب حتى وصل للصف الأول فقعد فأخذته حرقة البول فأكربه وقد قربت إقامة الصلاة ، ويجنبه شاب لا يعرفه فالتفت إليه ، وقال : يا سهل أخذك البول ثم نزع بردته عن منكبه وغشاه بها وقال : اقض حاجتك وإسرع إلى الصلاة ففتح عينه فإذا بباب مفتوح فدخله فإذا بقصر ونخلة بجنبها مطهرة فأراق الماء وتوضأ ، فنزع الشاب بردته عنه فإذا هو قاعد فى محله ولم يشعر به أحد . وله تصانيف نفيسة منها رقائق المحبين ومواعظ العارفين وجوابات أهل اليقين وغير ذلك ، مات سنة ثلاثة وثمانين ومائتين ، عن ثلث وثمانين سنة .

(٢٥٦) سهل بن عبد الله الفرحان الاصبهانى (١)

صوفى دينه متين ، ولسانه بدؤام الذكر غير ضنين ، وعلمه مقرون بالإخلاص ، ونفسه مجتهدة فى تحصيل الزاد ليوم الإشخاص ، وكان مجاب الدعوة ، لقى الأنطاكي وابن أبي الحوارى وغيرهما ، وأقام بالشفر مدة وكتب بصر والشام الحديث الكبير .

(وله كرامات كثيرة) منها أنه دخل الحمام للتنظيف فرأى بعض العورات مكشوفة ، فسأل ربه أن يكتفى أمر التنظيف ودخوله الحمام ، فسقطت

شعرته حالا ولم تنبت بعد دعوته ، وكان له شجرة جوز تحمل كل سنة كثيرا فسقط عنها رجل ، فقال : اللهم أيسها فيبست فورا وله من هذا كثير ، وأما حاله من إدمان الذكر والمشاهدة والحضور والتعرى من حظوظ النفس ، والمسامرة والموافقة والتبرى من رؤية الناس والمخالطة فشائع ذائع ، وهو أول من حمل من علم الشافعى مختصر حرملا^(١) فاستعظم ذلك الناس وآذوه كثيرا ، فصبر على أذاهم حتى مضى حميدا ، مات سنة ست وسبعين ومائتين .

حرف الشين / المعجمة

(٢) شقران المغربي

شيخ ذى النون المصرى عارف ظهر ضياؤه ، وطاب ذكره وثناؤه ، كان ذا أحوال باهرة ومقامات فاخرة .

(ومن كلامه) : إن لله عبادا خرجوا إليه ياخلاصهم ؛ وشمروا إليه بنظافة أسرارهم ، فأقاموا على صفاء المعاملة ، وبادروا إلى استماع كلامه بحضور أفهامهم ، فعند ذلك نظر إليهم بعين الملاحظة فأجزل لهم المawahب ، وحفت لهم منه العطايا ، فشمو روانج القرب من قريه ، وهبت عليهم رياح اللقاء من تحت عرشه ، فتطايرت أرواح قلوبهم إلى ذلك الروح العظيم ثم نادت لا براح ، وقال : ألا خل خدوم !! ألا صديق يدوم ، ألا حليف وداد ، ألا صحيح اعتقاد ، أين من استراح قلبه بحب الله ؟ أين من ظهر على جوارحه نور خدمة الله ، أين من عرف الطريق ، أين من نظر بالتحقيق ، أين من سقى فباح ، أين من بكى وناح ؟ أولئك تحف بهم الملائكة بالليل والنellar ، وتسلم عليهمحيتان من البحار .

(ومن كراماته) أنه أراد ليلة أن يغتسل فلم يجد ماء فلحظ إلى

(١) المختصر فى فروع الشافعية ، لأبي حفص حرملا بن يحيى المتوفى سنة ٢٤٣ .

(٢) شقران بن عبد الله المغربي ، انظر السخاوى الحنفى ص ٣٧٠ : والبهانى ، ٤٢/٢ .

السماء ، وقال : اللهم قد عجزت عن الماء وانقطع رجائى من غيرك فاعطف على
قلة حيلتى ، فسمع وقع الماء فى الإناء ، فقام إليه فوجده باردا ، فحرك شفتيه
إذا به قد سخن ، وكان لا يكلم الناس ولا يخرج من بيته إلا كل أربعين يوما
مرة ، مات بمصر ودفن بالقرافة بقرب قبر عقبة^(١) .

حرف الطاء المهملة

(٢) طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامى

أشهر من أن يذكر ، وأعرف من أن يعرف ، كان نادرة زمانه حالا
 وأنفاسا وورعا وعلما وزهدا واتقاء وإناسا ، وناهيك بقول الخوافى : هو سلطان
العارفين ، وكان ابن عربى يسميه أبا يزيد الأكبير وهو القائل :

أريدك لا أريدك للشواب ولكنى أريدك للعقاب
وكل مآربى قد نلت منها سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

فانظر إلى هذا النفس ماأسماه ! وإلى هذا المقام ماأسناه ، أوحشه
السراج ليلة ، فقال لأصحابه : إنى أجد وحشة فى السراج ، قالوا : ياسيدنا
استعرنا قارورة من البقال لنسوق فيها الدهر مرة واحدة فسكناه فيها مرتين ،
فقال : اعرفوا البقال وأرضوه ، ففعلوا فزالت عنه الوحشة ، قال ابن عربى ،
وكان حاله التجريد وعدم الادخار ، فقال يوما فقدت قلبي فاطلبوا البيت فوجدوا
فيه معلاق عنب ؛ فقال رجع بيتنا بيت البقالين فتصدقوا به فوجد قلبه ، وذكر ،

(١) ويقال : إنه لم يمت بمصر بل مات بالقيروان ، وقبره بها إلى الآن بباب سالم ، مشهور مقصود بالزيارة ، انظر أبو الفضل بن ناجي ، معالم الإيمان فى التعرف برجال القيروان .

(٢) حلية الأولياء ٣٣/١٠ - ٤٠ : وصفة الصفة ٨٩/٤ - ٩٤ : والرسالة القشيرية ١٧ : وطبقات الشعرانى ١/٨٩ - ٩٠ : ووفيات الأعيان ٣٠١/١ : وميزان الاعتدال ٤٨١/١ : والبداية والنهاية ٣٥/١١ : ومراة الجنان ١٧٣/٢ : والشذرات ١٤٣/٢ : والسلمى طبقات ٦٧ - ٧٤ .

أعنى ابن عربى ، أنه كان القطب الغوث فى زمانه حيث قال : من الأقطاب من يكون ظاهراً لحكم ويحوز الخلافة الباطنة من جهة المقام : كأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وابن عبد العزىز ، ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له فى الظاهرة كأبى يزيد انتهى ، وقال فى موضع آخر : أبو يزيد كان على قلب إسرافيل ، له الأمر ونقضه ، جامع للطرفين ، وهذا المنصب لا يكون فى الزمان إلا لواحد فقط انتهى ، قال الذهبي : نقلوا عنه أشياء كبيرة الشأن فى صحتها منها « سبحانى » و « مافى الجنة إلا الله » « ما النار لا ستند إليها وأقول أجعلنى لأهلها فداء ولأبلغنها » ، « ما الجنة الا لعبة الصبيان » ، « هب لى هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذيبهم » ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول : قاله حال سكره انتهى ، قال ابن حجر بعد حكايته ذلك عنه ، قلت : أبو يزيد يسلم له حاله والله متولى السرائر انتهى ، ولما تكلم فى علوم الحقائق لم يفهم أهل عصره كلامه فرموه بالعظائم ونفوه من بلدتهم سبع مرات ، وهم فى كل مرة يختل أمرهم وينزل لهم البلاء حتى أذعنوا له وأجمعوا على تعظيمه ، وكان إذا ذكر الله يبول الدم ، وصلى الجمعة فسمع الخطيب يقرأ ﴿يُوْمَ نَحْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾^(١) ففرح فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر ، وقال : يا عجبا ! كيف يحشر إليه من هو جليسه ؟ فإن الله يقول : أنا جليس من ذكرني ، والمتقى ذاكر الله ذكر حذر ، فلما حشر إلى الرحمن وهو مقام الأمان مما كان من الحذر فرح بذلك ، قال ابن عربى : فكان دمع أبي يزيد دمع فرح لا دمع ترح كيف حشر منه إليه حتى حشر غيره إلى العذاب ، قال وكان يحتاج على مواجهته بالقرآن وما تقدم له به حفظ ومن لم يعط ذلك لم يحكم عليه بقبول ولا رد كاهم الكتاب إذا أخبرونا عن كتابهم بأمر لا نصدق ولا نكذب هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه موقفا ، قال : أعنى ابن عربى ، قال بعض المحجوين لأبى يزيد ، شربت شرة فلم أظمأ بعدها أبدا ، فقال أبو يزيد : الرجل

من يشرب البحار ولسانه خارج على صدره من العطش فأشار إلى أن الحب شرب بلا رى ، قال ابن عربى : جربت المخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال لأمر ما فإنه لا بد من وقوع ذلك المضروب به المثل ، كان أبو يزيد البسطامى يشير عن نفسه أنه قطب الوقت ، فقيل له يوما عن بعض الرجال أنه يقال فيه : إنه قطب الوقت ، فقال : الولاية كثيرون وأمير المؤمنين واحد ، لو أن رجلا شق العصا وقام ثائرا فى هذا الموضع وأشار إلى قلعة هناك وادعى أنه خليفة ، قتل ولم يتم له ذلك ، وبقى أمير المؤمنين ، فما مرت إلا أيام حتى ثار فى تلك القلعة ثائر ادعى الخلافة فقتل وما تم له ذلك فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه ، وكان إذا رأه الناس يتمسحون برفقته تبركا فلاموه على ذلك ، فقال : هم لا يتبركون بي إنما يتبركون بخلعة ربى التى خلعها على ، وكان على قدم المسيح عليه السلام ، قتل نملة خطأ فنفخ فيها فأحياها خوفا من المطالبة ، وقال : أوقفنى الله بين يديه ، وقال : يا أبا يزيد بأى شئ جئتني ؟ قلت : بالزهد فى الدنيا ، قال : إغا مقدار الدنيا عندى جناح بعوضة ، ففيم زهدت ؟ ! قلت : إلهى أستغفرك من ذلك جئت بالتوكل إليك ، فقال : عند ذلك قبلناك ، وقال : وقفت مع العابدين فلم أر لى معهم قدما ، فوقفت مع المجاهدين فلم أر لى معهم قدما ، فوقفت مع المصلين والصادمين فلم أر لى معهم قدما ، فقلت : يارب كيف الطريق إليك ؟ فقال لي : اترك نفسك وتعال ، قال الخواص : فاختصر له الطريق بألف كلمة وأختصرها ، فإنه إذا ترك حظ نفسه من الدارين قام الحق معه .

(ومن فوائد) التى لا تكاد تخصى ، سر فى ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التغريد وظر فى دار التغريد حتى تلحق وادى الديومية ، وقال : ليس الرجل من يسير مع القافلة أبدا الرجل من ينام إلى الصباح فيصبح أمامها فى المنزل ، وقال : علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد ، ومبنته حيث أدرك ، وشغله بربه ، وجاء رجل بابه فدقه ، فقال : من تطلب ؟ قال : ليس فى البيت غير الله ، وطرق طارق بابه ، وقال : هاهنا أبو يزيد ؟ فصاح إن أبا يزيد

فِي طَلْبِ أَبِي يَزِيدَ مِنْذُ أَعْوَامٍ فَمَا رَأَهُ ، يُشَيرُ إِلَى ذَاهِبِهِ عَنِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ بِلَا رِجْوَعٍ ، وَقَالَ : أَمْرُ اللَّهِ الْعِبَادُ وَنَهَا هُمْ فَأَطَاعُوهُ فَخَلَعُوا عَلَيْهِمْ خَلْعًا فَاشتَغَلُوا عَنْهُ
بِالْخَلْعِ ، وَأَنِّي لَا أَرِيدُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ ، وَذَكَرَ عَنْهُ الزَّهْدُ ؛ فَقَالَ : مَا هُونَهُ زَهْدٌ
فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي فِي الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا ،
وَفِي الثَّالِثِ فِيمَا سُوِيَ اللَّهُ ، وَقَرَئَ عَلَيْهِ « إِنْ بَطَشَ رِبُّكَ لَشَدِيدٌ »^(١) فَقَالَ :
بَطْشِي أَشَدُ ، وَوَجْهِهِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ : إِنْ بَطَشَ الْعَبْدُ مَعْرِيًّا عَنِ الرَّحْمَةِ فَلِيُسَ
عَنْهُ حَالَةٌ بَطْشِهِ مِنِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ ، وَبَطْشُ الْحَقِّ وَجْهٌ فِيهِ رَحْمَةٌ بِالْمَبْطُوشِ بِهِ فَهُوَ
الرَّحِيمُ لِهِ فِي بَطْشِهِ ، وَسَلَّمَ مِنْ أَينَ تَأْكُلُ ؟ فَقَالَ : مَوْلَايٌ يَطْعَمُ الْكَلْبَ وَالْخَنْزِيرَ ،
أَفَتَرِي أَنَّهُ لَا يَطْعَمُ أَبَا يَزِيدَ ؟ وَقَالَ : انْسَلَختُ مِنْ جَلْدِي فَرَأَيْتُ مِنْ أَنَا ؟ قَالَ :
السَّهْرُورُودِيُّ أَشَارَ إِلَى النَّفْسِ النَّاطِقَةِ وَصَلَّى خَلْفُ إِمَامِ الْجَامِعِ فَلِمَا سَلَّمَ إِلَيْهِمْ ،
قَالَ : يَا أَبَا يَزِيدَ مِنْ أَينَ تَأْكُلُ ؟ قَالَ : اصْبِرْ حَتَّى أُعِيدَ صَلَاتِي فَإِنَّكَ شَكَكْتَ فِي
رِزْقِ الْمُخْلُوقِ ، وَلَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ خَلْفُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الرَّازِقَ ، وَقَالَ : غَلَطْتُ فِي
بِدَايَتِي فِي أَرْبَعَةِ تَوْهِمْتُ أَنِّي أَذْكُرُهُ وَأَعْرِفُهُ وَأَحْبُبُهُ وَأَطْلُبُهُ ، فَلِمَا نَظَرْتُ رَأَيْتُ
ذَكْرَهُ لِي وَمَعْرِفَتَهُ بِي وَحْبَهُ لِي وَطَلْبَهُ إِيَّاِيْ كَانَ أَوْلَا حَتَّى طَلَبْتُهُ ، وَقَالَ : قَلْتُ : لَا
يُومًا : سَبِّحَانَ اللَّهِ فَنَادَانِي الْخَالِقُ فِي سَرِّيْ هَلْ فِي عَيْبٍ تَنْزَهُنِي عَنْهُ ؟ قَلْتُ : لَا
يَا رَبِّ ، قَالَ : فَنَفَسْكَ نَزَهَ عَنِ ارْتِكَابِ الرِّذَايْلِ ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى نَفْسِي بِالرِّيَاضَةِ
حَتَّى تَنْزَهَتْ عَنِ الرِّذَايْلِ وَتَحَلَّتْ بِالْفَضَائِلِ فَصَرَّتْ أَقْوَلُ سَبِّحَانِي مَا أَعْظَمُ شَانِي !!
مِنْ بَابِ التَّحْدِيثِ بِالنِّعْمَةِ ، وَقَالَ : لَيْسَ الْعَالَمُ مِنْ يَحْفَظُ مِنْ كِتَابٍ إِذَا نَسِيَ مَا
حَفِظَ صَارَ جَاهِلًا بَلْ مَنْ يَأْخُذُ عِلْمَهُ مِنْ رَبِّهِ أَيْ وَقْتٌ شَاءَ بِلَا تَحْفَظَ وَلَا درْسٌ وَهَذَا
هُوَ الْعَالَمُ الرِّيَانِيُّ ، وَقَالَ : إِذَا رَأَيْتُ مِنْ يُؤْمِنُ بِكَلَامِ أَهْلِ هَذَا الطَّرِيقِ فَقُلْ لَهُ
يَدْعُوكَ فَإِنَّهُ مَجَابُ الدُّعَوَةِ ، وَقَالَ : قَالَ لِي الْحَقُّ أَخْرَجَ إِلَى خَلْقِي بِصَفَتِي فَمِنْ
رَآكَ رَآنِي ، قَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ : هُوَ ظَهُورُ صَفَاتِ الرِّبُونِيَّةِ عَلَيْهِ ، أَلَا تَرَى خَلْفَهُ
الْحَقُّ فِي الْعِبَادِ لَهُمُ الْأَمْرُ وَالنَّهِيُّ وَالْحُكْمُ وَالْتَّحْكُمُ وَهَذِهِ صَفَةُ إِلَهٍ ، وَالسُّوقَةُ

مأمور بالسمع والطاعة ؛ وقال : حظوظ كرامات الأولياء مع تبainها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم من اسم منها الأول والآخر الظاهر والباطن ، فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ، أو الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره ، أو الأول كان شغله بما سبق أو الآخر كان مرتبطا بما يستقبله .

وقال : أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . وقال ابن عربى : علماء الرسوم يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيمة ، وبعد النسب ، والأولياء يأخذون عن الله ، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه وعناده سبقت لهم عند ربهم انتهى .

وقال : كنت في حالة توهمت أني وصلت إلى غاية الوصول ففاجأني شيخ ، وقال : يا أبا يزيد نهايتك بداية القوم ، وقيل له : هل بلغت جبل قاف ؟ قال : جبل قاف ليس بغرير بل الشأن جبل كاف وجبل صاد وجبل عين ، هذه جبال محطة بالأرض حول كل أرض جبل منزلة حائطها .

وقال : رأيت الحور في النوم فنظرت إليهن وقد سلب وقتى ، ثم رأيتهن فأعرضت عنهن فأنعم على بوقتي .

وقال : الأولياء لا يفرحون بإجابة الدعوات التي هي عين الكرامات كالمشي على الماء والهوا وطى الأرض وركوب السماء ، فإن أدعية الكفار تحاب بالأرض تطوى للشياطين ، والدجال والهوا مسخر للطير ، والماء للحوت ، فمن أنعم عليه بشيء منها فلا يأمن المكر !

وقال : ما وجدت المعرفة إلا ببطن جائع وبدن عار .

وقيل له : حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ، فقال : دعوتها إلى الله فنكّلت على فعزمت عليها أن لا أشرب الماء ولا أذوق النوم سنة فأذعن ،

وقال : إنما نالوا ما نالوا بتضييع مالهم وشهود ماله تعالى .

وقال : حركات الظواهر توجب بركات السرائر ، وقال : ليس العجب من حبى لك وأنا عبد ، بل من حبك لى وأنت ملك قدير ، وقال : لله عباد لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار من النار .

وقال : لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أغسل فمي ولسانى إجلالا لله .

وقال له رجل : بلغنى أنك قر في الهواء ، فقال : أى عجب ! فيه طير يأكل الميّة يمر في الهواء ، المؤمن أشرف من طير .

وقال : طلقت الدنيا ثلاثة وصرت إلى ربى وحدي فناديته : إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك ، فعلم صدقى فأنسانى نفسى بالكلية ونصب الخلق بين يدى مع إعراضي عنهم ،

وقال : فى الطاعات من الآفات ما لا يحتاج أن تطلبوا العاصى .

وقال : ما دام العبد يظن فى المسلمين من هو شر منه فهو متكبر ، وسئل متى يكون الرجل متواضعا ؟ فقال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه .

وقال : للخلق أحوال ولا حال للعارف لكونه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره .

وقال : أشد المحجوبين عن الله ثلاثة : الزاهد بزهده ، والعبد بعبادته ، والعالم بعلمه ، مسكين الزاهد لو علم أن الدنيا كلها سماها الله قليلا ما زهد فيها ، مسكين العالم لو علم أن جميع ما أوتيه من العلم بعض سطر واحد من اللوح المحفوظ مانظر لعلمه ، وقال : طوى لمن كان همه هما واحدا ولم يشغل قلبه بما رأى عيناه وسمعت أذناه .

وقال : أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه .

وقال : أقرب الناس من الله أكثرهم شفقة على خلقه .

وقال : لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذلة المروضة .

وقال : العارف من لا يفتر عن ذكره ولا يمل من خلقه ولا يأنس بغيره .

وقال له رجل : علمتني الاسم الأعظم ، قال : ليس له حد محدود ، وإنما هو فراغ قلبك لوحدانيته ، فإذا كنت كذلك فارجع إلى أي اسم شئت تسير به من المشرق إلى المغرب .

وقال : الجوع سحاب فإذا جاء عبد أمطر القلب الحكمة .

وقال : إذا صفت لى تهليلة ما باليت بعدها بشئ .

وقال : إذا وقفت بين يدي ربك فاجعل كأنك مجوسى يريد قطع الزنار
بين يديه .

وقال : دعوت الناس إلى الله أربعين سنة مما أجابوني فلما تركتهم
ورجعت إليه وجدتهم قد سبقونى .

قال ابن عربى : فقيل له فى هذا المقام : أيعصى العارف ؟ فقال :
وكان أمر الله قدرًا مقدورا ، وقال ، أعنى ابن العربى : وهذا غاية فى الأدب
حيث لم يقل نعم ، ولا لا ، وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه رضى الله عنه ،
وكان يقول : الطريق تقتضى أن الشیخ لا ينسى أهل زمانه فكيف مریده
المختص به فإنه من فتوة أهل الطريق ، ومعرفته بالنفوس أنه إذا كان يوم القيمة
وظهر ما لهم من اجاه عند الله خاف منهم من أذاهم فى الدنيا فأول ما يشفعون
فيمن أذاهم ، قال ابن عربى : هذا نصه ، وهو مذهبنا فإن الذين أحسنوا إليهم
يكفيهم عين إحسانهم ، فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم عند الله بما قدموه فى حق
ذلك الولي .

وقال : الناس يفرون من الحساب وأنا أتمناه لعله يقول لى : يا عبدي ،

فأقول : لبيك ، ثم بعد ذلك يفعل بي ماشاء .

وقال له رجل : دلني على عمل أتقرب به إلى الله . قال : أحبب أولياءه ليحبوك فإنه ينظر في قلوبهم فلعله ينظر إلى اسمك في قلب ولدك فيغفر لك .

وقال : لو أذن لي في الشفاعة لشفعت أولاً فيمن آذاني وجفاني ثم فيمن برني وأكرمني .

وقيل له : شهادة أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة ، فقال : صحيح لكن لا يفتح المفتاح إلا مغلقا ، ومغلق لا إله إلا الله أربعة أشياء ، لسان بغير كذب ولا غيبة وقلب بغير مكر ولا خيانة ويطن بغير حرام ولا شبهة ، وعمل بغير هوى ولا بدعة ، وسمع رجلاً يكبر فقال : مامعني : الله أكبر ؟ فقال : أكبر من كل ما سواه ، قال : ليس معه شيء فيكون أكبر منه ، قال : فما معناه ؟ ، قال أكبر من أن يقاس بالناس أو يدخل تحت القياس ، أو تدركه الحواس .

وقال : لم أزل أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى ساقتنى إليه وهي تضحك .

وقال : خصست رجالاً فأكرمتهم فأطاعوك فلم يبلغوا ذلك إلا بك ، فكان رحمتك إياهم قبل طاعتكم جل جلالك ما أعظم شأنك ، وقال : لا يشكوا قلب العارف وإن قرض بالمقراض ولا يبأس منه ولا يأمن مكره وإن نودي بالغفران .

وقال : هلاك الخلق في شيئاً ، ترك الحرمة ونسيان المنة ، وصلى ليلة فأضاء البيت كأنه نهار ، فقال : إن كنت شيطاناً فأنا أمنع جانباً من أن يطبع في ، وإن كان من عند الله فأسألة أن يؤخره من دار الخدمة إلى دار الكرامة .

وقال : حسب المؤمن أن يعلم أن الله غنى عن عمله

وقال : الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينه

وقد نصحتك فاختر لنفسك المسكينة

وقال : ضحكت زمانا وبكيت زمانا وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي ،
وقيل : كيف أصبحت ؟ قال : لا صباح لي ولا مساء ، إنما الصباح
والمساء لمن تقييد بالصفة ولا صفة لي .

وقال : عرفت الله بنور صنعه وعرفت صنعه بنوره .

وقال : الدنيا للعامة والآخرة للخاصة ، فمن أراد أن يكون من الخاصة
فلا يشارك العامة في دنياه ، وقال : إنما جعلت الدنيا مرآة للآخرة فمن نظر
فيها للآخرة نجا ومن شغل بها عن الآخرة أظلمت مرآته وهلك .

وقال : لا عقوبة أشد من الغفلة لأن الغفلة عن الله طرفه عين أشد
من النار .

وقال : لا يكون العبد عاملا على معنى العبودية حتى تكون إرادته
وأمنيته وشهوته تابعة لمحبة الله .

وقال : من نظر إلى الناس بعين العلم مقتهم ، ومن نظر بعين الحقيقة
عذرهم .

وقال : الدنيا لأهلها غرور في غرور ، والآخرة لأهلها سرور في سرور ،
ومحبة ومحبة الله لأهل محبته نور على نور .

وقال : من اختار الدنيا على الآخرة غالب جهله علمه . وفضوله ذكره ،
وعصيانه طاعته ، ودخل الجامع فوقف على فقيه فسئل عن رجل مات وخلف كذا
فأخذ يصحح المسألة ويضرب الأعداد ، فصاح به : يا فقيه ما تقول فيمن مات
ولم يخلف إلا الله ؟ فبكى القوم وأبکوا ، فقال : العبد لا يملك وإذا مات
لا يخلف إلا مولاه كما كان أولا فإن آخره يرجع إلى أوله لأن أوله فرد ومعه
الشهادة ، فإذا كان آخرة بأنه لم ير مع الله سواه « ولقد جئتمونا فرادى كما

خلقناكم أول مرة ﴿١﴾ .

وقال : إن لله عباداً لو بدت لهم الجنة بزینتها مع حجبهم عنه لضجوا منها .

وقال : أقمت عشرين سنة أكابد المجاهدة وأكافح المراقبة ولا أجسر أن ألبس مرقعة ولا أتظاهر بالطريق ، وقال : متى وجدت قلبك مستريحاً ودموعك جاماً وعقلك حاضراً فأنت بعيد عن المحبة .

وقال : من أراده وفقه ، ومن أحبه قريه .

وقال : الفائز في محشر الساعة ، من قام بأوامره وتلقاها بالسمع والطاعة ، وقال : معرفة العوام معرفة العبودية ، والريوبدية والطاعة والمعصية والعدو والنفس ومعرفة الخواص معرفة الإجلال والعظمة والإحسان والمنة والتوفيق ، ومعرفة خواص الخواص ، ومعرفة الأنس والمناجاة والتلطف ثم معرفة القلب ثم السر .

وقال : خلق الله الخلق لإظهار قدرته ، ورزقهم لإظهار جوده ، وأماتهم لإظهار قهره وبحييهم لإظهار عظمته .

وقال : محال أن تعرفة ثم لا تحبه ، وقال : حاصلهم بعد الغاية رجوعهم إلى شيء واحد وهو طلب العفو .

وقال : التوحيد اليقين ، واليقين معرفتك أن حركات الخلق وسكناتهم فعل الله ، وسائل ماعلامة العارف ؟ فقال ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزها أهلها أذلة﴾ ^(٢) .

وقال : أمل الزاهد في الدنيا الكرامات ، وفي الآخرة المقامات ، وأمل العارف في الدنيا بقاء الإيمان معه وفي الآخرة العفو .

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٣٤ .

وقال : اختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد .

وقال : لا يعرف نفسه من صحبته شهوته .

وقال : لله عباد لو حجبهم عنه طرفة عين ثم أعطوا الجنان ما قبلوها .

وقال : كانت أمي لما حملت بي إذا قدم لها طعام حلال امتدت يدها له ؛ أو حرام انقبضت فالعنابة من الأزل .

ورأى تفاحا أحمر فقال : هذا تفاح لطيف ، فقال : أما استحييت أن تضع أسمى على قرة !! فنسى الاسم الأعظم أربعين يوما . وقال : حسبك من التوكل أن لا ترى لك ناصرا غيره ، ولا لرزقك رازقا غيره ، ولا لعملك شاهدا غيره .

وقال : الناس تظن أن الطريق أشهر من الشمس وأبین وأنا أسأل الله أن يفتح على منها ولو قدر رأس إبرة .

وقال : النفس تنظر إلى الدنيا والروح إلى الآخرة والمعرفة تنظر إلى الله فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين .

وقال : الغزالى قال أبو يزيد : رأيت الحق في منامي ، وقال : سلني ، قلت : وعذتك تعلم أنه ليس لي لسان يقدر على النطق الآن ؛ فقيل له : لم لا تسأله المعرفة ؟ فصاح وقال : اسكت المعرفة معرفتان معرفة حقيقة ، ومعرفة حق . أما معرفة الحق فقد عرفها المؤمنون بنور الإيمان والإيقان ، وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل إليها ولا يحيطون بها علما ، وكان يعظ نفسه فيقول : يا أمارة بالسوء المرأة إذا حاضت ظهرت بعد ثلاثة أو سبع ، وأنت منذ ثلاثين سنة ما ظهرت بما تطهرين ، إن وقوفك بين يدي الله لا بد منه فاجتهدى أن تكوني طاهرة .

وقال : كنت أظن في بري لأمى أنى لا أقوم فيه لھوى نفسي بل لتعظيم

الشارع حيث أمر ببرها ، فكنت أجد في نفسي لذة عظيمة أتخيل أنها من تعظيم الحق عندي لا من موافقة نفسي ، فقالت لي في ليلة باردة : اسقني فشقل على وقامت بمجاهدة وجثتها بكوز فوجدتها نامت ، فوقفت به حتى انتهت فناولتها وقد بقى في أذن الكوز قطعة من جلد أصبعي لشدة البرد انقرضت فرجعت إلى نفسي ، فقلت لها : حبط عملك لكونك كنت تدعين النشاط في عبادتك ورأيتك تشاقلت عن ذلك ، فعلمت أن كل ما نشطت فيه من عمل البر و فعلت فيه لا عن كسل وتشاقل ، بل لذة فإنما هو لهواك لا لله ، وقال : أوقفني الحق بين يديه موافق في كلها يعرض على المملكة ، فيقول : أتريد التحف ؟ ، قلت لا ، قال الظرف ؟ قلت لا ، قال الغرف ، قلت لا ، قال ماتريد ؟ قلت أريد أن لا أريد فإنك المراد ، وأنا المريد ، قال لي : أنت عبدي حقا .

وقال : ركبت مركب الصدق حتى بلغت الهوى ثم الشوق حتى بلغت السماء ثم المحبة حتى بلغت سدرة المنتهي ، فنوديت يا أبي يزيد ما تريد ؟ قلت : أريد أن لا أريد .

وقال : قال لي الحق تقرب إلى ما ليس لي الذلة والافتقار ،

وقال : دخلت على أستاذى أبي على السندي وبهذه جراب فصبها فإذا هي جواهر ، قلت من أين هذا ؟ قال : وافيت واديها فإذا هو يضئ كالسراج فملأته منه ، قلت : كيف كان وقتك الذي وردت فيه الوادي ؟ قال : الفترة عن الحال الذي كنت فيها .

وقال : مددت رجلى ليلة في الظلام في محاربي فهتف بي هاتف من يجالس الملوك لا يجالسهم إلا بأدب .

وقال : عرفت الله بالله وعرفت ما دون الله بنور الله .

وقال : إنما خلع الله على عباده ليرجعوا بها إليه فعكسوا واستغلوا بها عن ، وقال : رأيت رب العزة فقلت يا رب كيف أجده ، قال : اترك

سواء ، وقال дійлімی : سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل ، فقال : إذا دخلت يدك في فم التنين لا تخاف مع الله غيره ، فخرجت قاصداً أبا يزيد لأسأله فدققت عليه الباب ، فقال : أليس لك من قول عبد الرحمن كفاية ماجئت زائراً ، وقد أتاك الجواب من وراء الحجاب ، فلبيت سنة ثم قصده ، فقال : مرحباً الآن جئت زائراً ، ودخل مدينة فهرع إليه جميع أهلها ، فقال : من هؤلاء ؟ قيل لهم رغبوا فيك ، فقال : اللهم إني أسألك أن لا تحجب الخلق بك عنك فكيف تحجبهم عنك بي ، ثم صلي بهم الفجر والتفت ، فقال : إبني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون ، فتركوه وقالوا : مجنون مسكون ، وصحابه رجل من الشهداء ثلاثين سنة مع الصيام أيامها وقيام لياليها ، فقال له : يا سيدي خدمتك وأطعتك ولم يظهر لي شيء مما يودع الحق قلوبكم ، قال : يا ولدي لو صمت وقت ثلاثة سنة ما تجد منها ذرة لأنك محجوب بنفسك منقطع برأيتك طاعتكم ، قال : دلني على دواء ؟ قال : اذهب فاحلق لحيتك وانزع لباسك ، وعلق بعنقك مخلة فيها جوز ، وقل للصبيان من صفعنى صفعة أعطيته جوزة ثم در الأسواق كذلك عند من يعرفك ، فقال : سبحان الله !! لمثلى يقال هذا ، قال : قولك في معارض ذلك شرك لأنك رأيت عظمة نفسك ، فسبحتها ، فقال : دلني على غير ذلك ؟ فقال : لا دواء لك غيره ، وقيل له : بم وصلت إلى ما وصلت ، قال : جمعت الأسباب الدنيوية فربطتها بحبل القناعة ووضعتها في منجنيق الصدق ورميتها في بحر اليأس فاسترحت ، وأمر تلميذاً له فخالقه فلاموه ، فقال : دعوه فإنه سقط من عين الله فسرق فقطعت يده .

وقال أحمد بن خضرويه : رأيت رب العزة في النوم فقال : يا أَحْمَدُ كُلَّ النَّاسِ يَطْلَبُونَ مِنِّي إِلَّا أَبَا يَزِيدَ ! فَإِنَّهُ يَطْلَبُنِي ، ماتَ سَنَةً إِحْدَى وَسَتِينَ وَمَائَتَيْنِ . عن ثلاط وسبعين سنة . وقد أفردت ترجمته بتصانيف^(١) حافلة وفي هذا القدر كفاية .

(١) انظر كتاب مناقب سيدنا أبا يزيد البسطامي ، المنشور ضمن كتاب شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوى ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، ص ٥٨ - ١٨٧ وما بعدها .

نفسك وتعال .

وقال : صفة العارف صفة أهل النار لا يموت ولا يحيى .

وقال : أولياء الله عرائس في الدنيا والآخرة لا يراهم إلا من كان منهم .

وقال : إنما لم يكن العارف صاحب حال لأن هويته قلبت في هوية غيره ، وأثاره غيبت في آثار غيره ، فالعارف طيار والزاهد سيار .

وقال : لو شفعني الله في كل أهل عصرى لم يكن عندي تكبر لأنه شفعني في قطعة طين ، وكتب إليه يحيى بن معاذ إنى سكرت من كثرة ما شربت من كأس المحبة ، فكتبت إليه هنا رجل يعني نفسه شرب بحار السموات والأرض وما روى بعد ، وقال له فقيه : علمك هذا أخذته عن من ؟ قال : علمى من عطاه الله وعن الله ، ومن حيث قال رسوله « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » وسئل الجرجانى عن الكلام المنقول عن أبي يزيد مما لا يفهم ، فقال : يسلم له حاله ، وأيكم بمجاهد نفسه كما جاهد ، دعا نفسه يوما إلى عبادة فأبأته ، فمنعها الماء سنة ، فجاهدوا وتفهموا إشاراته ، قال ابن معاذ :رأيته في بعض مشاهداته كالغريق ضاربا بذقنه على صدره شاخسا بعينيه من العشاء إلى الفجر ثم سجد عند السحر فأطال سجوده ثم قعد ، فقال : اللهم طلبو منك فأعطيتهم طى الأرض والمشي على الماء وركوب الهواء وانقلاب الأعيان ، وإنى أعوذ بك منها . ثم التفت فرآنى فقلت : يا سيدى حدثنى ، قال : أحدثك بما يصلح لك ، أدخلنى الحق في الفلك الأسفل فذروني في الملوك الأسفل فأرانيه ، ثم أدخلنى الفلك العلوى وطوف بي السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفنى بين يديه ، فقال : سلني أى شيء رأيته حتى أهبه لك ، قلت : يا سيدى ما رأيت شيئاً حسناً أسألك إياه ، فقال : أنت عبدى حقاً تعبدنى لأجلى صدقاً لأفعلن بك وأفعلن بك وذكر أشياء ، قال ابن معاذ : فهالنى ذلك ، وقلت : لم لم تسأله المعرفة ؟ قال : غرت عليه مني ، لا أحب أن يعرفه

(٢٥٩) الطيب بن إسماعيل الذهلي^(١)

ويعرف بابن حمدون

كان من القراء الكاملين والزهاد الصالحين زهد وتحنث وأكثر الخلوة ،
والثلاثة ، والصلة ، والصوم حتى صفى قلبه وأشراق بأنوار المعارف لبه ، وصار
من أصحاب الكرامات .

(فمن كراماته) أنه عمى ، فكان يقوده خادمه إلى المسجد فقال له :
يوماً يأستاذ أخلع نعليك ، قال : لم ؟ قال : فيهما أذى ، فاغتتم ورفع يديه
فدعوا بدعوات ومسح بها وجهه ، فأبصر حالاً ، وصلى ليلة فأدغم حرفاً فرأى
نوراً قد تلبت به وهو يقول بيضني وبينك الله ، قال : من أنت ؟ قال : الحرف
الذى أدمغتني ، فقال : لا أعود أبداً ، وكانت له صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة
من أصدقائه يدعوه لهم كل ليلة فتركهم ليلة ونام فقيل له : لم لا تسرج مصابيحك
الليلة ؟ فقعد فأسرج السراج وأخذ الصحيفة ودعا لواحد واحد حتى فرغ .

حرف العين / المهملة

(٢٦٠) عبد الرحمن بن عطية بن سليمان الداراني^(٢)

بنون بعد الألف الثانية ، ويقال بهمز بدل النون وبالنون أشهر وأكثر ذكره
السمعاني ، وهو الإمام الكبير الشأن في علوم الحقائق ، ومعانى بديع البيان ،
ارتفاع قدره ، وعلا ذكره حتى صار تشديداً إليه الرجال لإقامة شعار الدين ، ونصره

(١) النبهاني ٤٩/٢ .

(٢) حلبة الأولياء ٢٥٤/٩ - ٢٨٠ : وصفة الصفة ٤/٤ - ٢٠٨ : والرسالة القشيرية ١٩ : ووفيات
الأعيان ٣٤٧/١ : وطبقات الشعراني ٩١/١ : والشذرات ١٣/٢ : وتاريخ بغداد ٢٤٨/١٠ -
٢٥٠ : ومرآة الجنان ٢٩/٢ : والبداية والنهاية ٢٥٥/١٠ - ٢٥٩ : ومعجم البلدان ٤٣١/٢ ،
وطبقات السلمي ٧٥ - ٨٢ .

حزب الموحدين ، على حزب النفوس الأمارة والشياطين ، قال النwoى فى بستانه :
كان من كبار العارفين وأصحاب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة ، والحكم
المتناهية ، وهو أحد مفاخر بلادنا دمشق وما حولها .

(ومن فوائده) لا ينبغي لفقير أن يزيد في نظافة ثوبه على نظافة قلبه
ليشاكل باطنـه ظاهرـه .

وقال : ليـت قلـبـي فـى القـلـوبـ كـثـوبـى فـى الشـيـابـ .

وقال : من صارع الدنيـا صـارـعـتهـ ، وـإـذـا سـكـنـتـ الدـنـيـاـ قـلـبـاـ تـرـحـلـتـ مـنـهـ
الـآـخـرـةـ ، وـقـالـ : مـنـ أـظـهـرـ الـانـقـطـاعـ إـلـىـ اللـهـ فـقـدـ لـزـمـهـ خـلـعـ ماـ دـونـهـ مـنـ عـنـهـ .

وقال : يا رب إن طالبتـنـىـ بـسـرـيرـتـىـ طـالـبـتـكـ بـتـوـحـيدـكـ وإن طـالـبـتـنـىـ
بـذـنـوبـىـ طـالـبـتـكـ بـكـرـمـكـ ، وإن جـعـلـتـنـىـ مـنـ أـهـلـ النـارـ أـخـبـرـ أـهـلـهـ بـحـبـيـ إـيـاكـ .

وقال : أـقـرـبـ مـاـ يـتـقـرـبـ بـهـ الـعـبـدـ إـلـىـ اللـهـ أـنـ يـطـلـعـ عـلـىـ قـلـبـهـ فـيـرـاهـ لـاـ يـرـيدـ
أـحـدـاـ غـيـرـهـ فـىـ الدـارـيـنـ .

وقال : من أـحـسـنـ فـىـ نـهـارـهـ كـفـىـ لـيـلـهـ ، وـمـنـ أـحـسـنـ فـىـ لـيـلـهـ كـفـىـ
نـهـارـهـ ، وـقـالـ : إـذـا بـلـغـ الـعـبـدـ غـاـيـةـ الـزـهـدـ أـخـرـجـهـ إـلـىـ التـوـكـلـ .

وقال : كـلـمـاـ اـرـفـعـتـ مـنـزـلـةـ الـعـبـدـ كـانـتـ العـقـوـبـةـ إـلـيـهـ أـسـرـعـ .

وقال : أـسـكـنـهـ الـغـرـفـ قـبـلـ أـنـ يـطـيـعـهـ وـأـدـخـلـهـ النـارـ قـبـلـ أـنـ
يـعـصـوـهـ ، لـاـ يـسـأـلـ عـمـاـ يـفـعـلـ .

وقال : الـقـنـاعـةـ أـوـلـ الرـضـىـ ، وـالـورـعـ أـوـلـ الزـهـدـ .

وقال : مـفـتـاحـ الـآـخـرـةـ الـجـمـوعـ ، وـمـفـتـاحـ الدـنـيـاـ الشـرـهـ ، وـأـصـلـ كـلـ خـيـرـ
الـخـوـفـ مـنـ اللـهـ .

وقال : هـانـواـ عـلـيـهـ فـعـصـوـهـ ، لـوـ كـرـمـواـ عـلـيـهـ لـنـعـهـمـ مـنـهـاـ .

وقال : إذا وصلوا إليه لم يرجعوا أبدا وإنما رجع من الطريق ، وإنما حرموا الوصول لتضييع الأصول ، ومن لم يتحقق لم يتحقق ، وعلامة من صح وصوله الخروج عن الطبع والأدب مع الشرع واتباعه حيث سلك .

وقال : من عرف الدنيا عرف الآخرة ومن لم يعرفها لم يعرف الآخرة .

وقال : كيف يعجب عاقل بعمله ، وإنما عمله عطية من الله ونعمة منه عليه شكرها .

وقال : من أكل ليس أخيه لم يضره أكله .

وقال : إذا فتح لك باب فالزمه .

وقال : من حسن ظنه بالله فقد فتح عليه باب الرحمة .

وقال : القلب كالمرأة إذا جلست لا يبر بها شيء إلا مثل فيها .

وقال : القلب عنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة ، فأى باب فتح له عمل فيه .

وقال : عليك بالمحجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وisorث العلم السماوي .

وقال : أحلى ما تكون العبادة إلى إذا لصق ظهرى بيطنى .

وقال : القلب إذا جاء وعطش صفا ورق ، وإذا شبع عمى وثار .

وقال : من شبع دخل عليه خمس آفات ، فقد حلاوة العبادة ، وتعذر حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق لظنهم أن الخلق كلهم شباع ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوة .

وقال : من ترك الدنيا للأخرة ريحهما ، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما ، وكل أم يتبعها بنوها .

وقال : الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية .

وقال : إن الله يفتح للعارف على فراشه مالا يفتح له وهو قائم يصلى .

وقال : ذهب المطعون لله بذلذ العيش في الدنيا والآخرة .

وقال : إذا لذت لك القراءة فلا ترکع ولا تسجد ، وإذا لذ لك السجدة فلا ترکع ولا تقرأ ، والأمر الذي يفتح لك فيه الزمة .

وقال : من كان يومه مثل أمسه فهو في نقصان .

وقال : إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها ، وإذا كانت في القلب لم تزاحمها الآخرة لأنها كريمة والدنيا لثيمة وللثيم يزاحم الكليم ولا عكس .

وقال : إذا تكفل المتعبدون أن لا يتكلموا إلا بالأعراب ذهب الخشوع من قلوبهم .

وقال : سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخفت أن يقتلني ، ولم أخف من الموت بل خفت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فسكت ، وسئل على النكاح ، فقال : الصبر عنهن خير من الصبر عليهم ، والصبر عليهم خير من الصبر على النار .

وقال : التوحيد يجد من حلاوة العمل ، وفراغ القلب مالا يجد المتأهل .

وقال : ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبتت على مرتبته الأولى .

وقال : ثلات من طلبهن ، فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشها أو تزوجا ، أو كتب الحديث .

وقال : ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفك فاحرزه ثم تعبد .

وقال : لا تصحب إلا أحد رجلين ، رجل ترتفق به في دنياك أو رجل

تنتفع به في آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير .

وقال : إذا واحتت أخا فلا تعاتبه على ما تكرهه ، فإنك لا تأمن أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول ، قال الغزالى : جريته فوجدته كذلك ، وقال مرة أخرى : لا تعاتب أحدا من الخلق في زمننا فإنه إن عاتبته أعقبه بأشد منه دعه بالأمر الأول ، وقال ابن أبي الحوارى : جريته فوجدته كذا .

وقال : أى شئ يزيد عليكم الفاسقون إذا كنتم إذا اشتاهيتم شيئاً أكلتموه .

وقال لأم هارون^(١) : أتحبب الموت ؟ قالت : لا ، قلت : لم ؟ قالت : لو عصيت آدميا مااشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه ، وقد عصيته . وقال : واحزناه على الحزن في دار الدنيا ، وقال : إذا سماك الله باسم فكن عندما سماك والإ هلكت ، وقال : كنت ذات ليلة بالمحراب فأقلقني البرد فخبارت إحدى يدي وبقيت الأخرى ممدودة فغلبتني عيناي ، فقيل لي وضعنا في هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى مكسوفة لوضعنا فيها ، فالآتت أن لا أدعو إلا ويداي خارجتان .

وقال : إنما يحيي الوسواس وكثرة الرؤيا إلى كل ضعيف فإذا خلص انقطعت عنه الرؤيا ، وقال : وربما أقمت سنين لا أرى رؤيا ، وقال : العيال يضعفن اليقين .

وقال : ما رأيت صوفيا فيه خير إلا واحدا ، وقال : أوحى الله إلى داود أنذر صاحبك أكل الشهوات ، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عنى .

وقال : إنما ارتفعوا بالخوف فإن ضيعوا نزلوا .

وقال : احذر صغير الدنيا فإنه يجر إلى كبرها .

وقال : الرضى عن الله والرحمة للخلق درجة المرسلين .

(١) أم هارون الشامية ، أنظر ترجمتها رقم ٢٣٦ .

وقال : ما عمل داود عملاً أنفع له من خطبته ما زال خائفاً حتى لحق ببريه .

وقال : أرجو أن أكون رزقت من الرضى طريقاً لو أدخلني النار كنت بذلك راضياً .

وقال : كلما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم .

وقال : إذا تعبد الرجل ثم ترك العبادة ، ثم عاودها لم يبلغ ما كان فيه أبداً : لأنه دخلها ومعه آلة الخوف فلما عاد ، عاد وليس تلك الآلة معه .

وقال : الدنيا تطلب الها رب منها وتهرب من طلبها ، فإن أدركت الها رب منها جرحته وإن أدركها طالبها قتلتنه .

وقال : إنما يعجب بعمله من يرى له شركة حقيقة مع الله في الفعل ، أما من يرى نفسه مستعملاً بقدرة الله لا بقدرته فلا عجب عنده .

وقال : لو اجتمع الناس على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا ، ومن رأى لنفسه قيمة لم يجد الحلاوة في الخدمة ، واشتهى يوماً رغيفاً حاراً بلح فأتأهله ابن أبي الحواري فغض منه عضة ، ثم طرحة وبكي ، وقال : عجلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي وشققتي ، قد عزمت على التوبة ، فما أكل بعد ذلك ملحاً حتى لقي الله ، وسئل بمَ نال أهل المحبةِ المحبةُ من الله ؟ قال : بالعفاف ، وأخذ الكفاف .

وقال : اختلفت إلى مجلس قاض فأثر كلامه في قلبي ، فلما قمت لم يبق منه شيء فعدت إليه فسمعته فبقي أثر كلامه بقلبي ثم رجعت إلى منزل فكسرت آلات المخالف ، ولزمت الطريق ، فحكى هذا ليعيني بن معاذ ، فقال : عصفور اصطاد كركيا ، وقال له ابن أبي الحواري : صليت أمس صلاة في خلوة فرأيت لها لذة ، قال : ما لذتك منها ؟ قال : كونى لم يرني أحد ، قال : إنك لضعف حيث خطر بقلبك ذكر الخلق .

(ومن كراماته الخارقة) ما ذكره في التجليات أنه كان له تلميذ ،
قال : الق نفسك في التنور وهو جمر يتقد فألقى نفسه فيه فعاد بربا وسلاما ،
وهذه نتيجة الوفاء ، روى الحديث عن جمع منهم سفيان الثوري وعن ابن أبي
الحواري وغيره ، ولم تزل كلماته في الطريق باقية وعزماه في تربية المريدين
راقية حتى مات سنة خمس عشرة ومائتين وقيل غير ذلك ، ورؤى في النوم فقيل
ما فعل بك ؟ قال : غفر لي وما كان على أشرف من إشارات القوم .

(٤٦١) عبد الله بن خبيق الموصلى^(١)

الковى أصلا ، الأنطاكي مسكننا ، صوفى نما روض تعففه ، وصفى
مورد نضرته وتصوفه ، نعم وكان إماما علمه موصوف ، وصلاحه معروف ،
وزهره مشتهر ، وصحاب عبادته منهمر ، ترقى بالصفاء وتحقق بالوفاء وتخرج عن
ابن أسباط ، فأعرض عن الشبهات وأمات .

(ومن كلامه) : إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل أعمالك فأنت هالك .

وقال : رأس الأدب أن يعرف الرجل قدره .

وقال : أنفع الرجاء ما سهل عليك العمل .

وقال : أوحى الله إلى موسى : لا تغضب على الحمقاء فيكثر غمك .

وقال : وكان حبرا من أحبّار بني إسرائيل يقول : يا رب كم أعصيك ،
ولا تعايني !! فأوحى الله إلى نبى من الأنبياء قل له : كم أعقاك وأنت لا
تدرك ، ألم أسلبك حلاوة مناجاتي ، ؟ وقال : من عاتب نفسه في مرضاه الله
أمنه الله من مقتنه .

وقال : مكتوب في الحكمة من رضى بدون قدرة رفعه الله فوق غايته .

(١) حلية الأولياء ١٠ / ١٦٨ - ١٨٩ : وصفة الصفة ٤ / ٢٥٤ ، والرسالة القشيرية ، ٢٣ ؛ وطبقات
الشعراني ٩٧ / ١ : وطبقات السلمي ١٤١ - ١٤٥ .

وقال : أنت لا تطيع من يحسن إليك فكيف تحسن إلى من يسىء إليك .

وقال : لا يستغنى حال من الأحوال عن الصدق وهو مستغن عنها كلها ولو صدق عبد فيما بينه وبين الله حق الصدق اطلع على خزائن الغيب .

وقال : وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب ، ولو أنسوا بربهم ، ولزموا الحق لاستأنس بهم كل أحد .

وقال : طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب ، من أراد أن يعيش هنيئا في حياته فليزيل الطمع من القلب .

وقال : لا تغتنم إلا من شيء يضرك غدا ولا تفرح إلا بشيء يسرك غدا ، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي ، وأطال منك الحزن على ما فاتك ، والزم الفكرة في بقية عمرك .

وقال : خلق الله القلوب منازل للذكر فصارت مساكن للشهوات ولا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج ، أو شوق مقلق .

أسنده ابن خبيق الكثير من الحديث ، وروى عنه كثيرون .

(١) ٢٦٢ عبد الله بن داود الهمданى

ثم الشعبي المعروف بالخريبي

كوفي الأصل ، أخذ الحديث عن جماعة منهم الأوزاعي ، ثم تنسك وتزهد . أتاه أبو العيناء ، فقال له : ما جاء بك ؟ قال : جئت أطلب الحديث ، قال : اذهب فاحفظ القرآن ، قال : حفظته ، قال : فتعلم الفرائض ، قال : تعلمتها ، قال : فأيما أقرب إليك ابن أخيك أو ابن عمك ؟ قال : ابن أخي ، قال : ولم ؟ قال : لأن أخي من أئمي وعمي من جدي ، قال : اذهب الآن فتعلم

(١) الشذرات ٢٩/٢ : وانظر ترجمته في التقريب : وفي مرآة الجنان ٥٦/٢ .

العربية ، قال : تعلمتها قبل ذين ، قال : فلم ، قال عمر حين طعن : يالله يا للمسلمين لم فتح تلك اللام وكسر هذه ؟ قال فتح تلك للدعا وكسر هذه للانتصار ، قال : لو حدثك أحد لحدثتك .

(ومن كلامه) كل صديق لك ليس له عقل هو أشد عليك من عدوك ، وقال : من أمكن الناس من كل ما يريدون أضروا بدنياه وأخرته ، قال بشر بن الحارث : دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه يقول ويمد يده إلى الحائط لو خيرت بين دخول الجنة وبين أن أكون لبنة من هذا الحائط لاخترت أن أكون لبنة فيه متى أدخل أنا الجنة ، مات سنة ثلاثة عشرة ومائتين .

(٢٦٣) عبد الله بن محمد الرازى^(١)

المعروف بالخداد ، كان عن حظه حائدا ، ولشهوده عابدا مشاهدا ، ذا رتبة في التصوف ركناها منيع ومنزلة عالية طودها شامخ رفيع .

(ومن كلامه) العبارة تعرفها العلماء والإشارة تعرفها الحكماء ، واللطائف تقف عليها السادة النبلاء .

وقال : علامة الصبر ترك الشكوى وكتمان الضر والبلوى ، ومن علامة الإقبال على الله صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار ، وأحسن العبيد حالا من رأى نعمة الله عليه بأن أهله لمعرفته ، وأذن له قربه وأباح له سبيل مناجاته ، وخطبه على لسان أعز أنبيائه ، وعرف تقصيره عن القيام بواجب أداء شكره .

وقال : أحس العبيد من عد تسبيحه وصلاته وظن أنه يستحق به على ربه شيئا .

وقال : كنت أتأدب بأبى عمran الأصطخرى ، فإذا خطر لي خاطر أحضره فيجيئنى من غير مسألة ، ثم لما شغلت عن حضوره كنت إذا خطر على سرى أجابنى من إصطخر جواب مخاطبة فأسمعه وأنا بنىسابور .

(٢٦٤) على بن الموفق أبو الحسن

العايد الراهد كان صوفيا دينا عفيفا نزها سيدا صينا ذا ورع زائد ، زهد فرعه في روض الرضى ما يد ، وجد في التعبيد بشجاعة ، وخلوة وعذلة وقناعه ، كان يقول كثيرا : اللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك خوفا من نارك فعدبني بها ، أو حبا مني لجنتك وشوقا إليها فاحرمنيها ، وإن كنت تعلم أنى إنما أعبدك حبا لك وشوقا إلى وجهك فلاتخيبه ، واصنع بي ما شئت .

وقال : خرجت يوما لأؤذن فأصبت قرطاسا فأخذته فوضعته بكمي وصلبت ثم قرأته فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم يا على بن الموفق تخاف الفقر وأنا ربك . وقام في ليلة باردة للصلوة فإذا شقاق في أطرافه فبكى ، فهتف به هاتف : أيقطنناك وأغناهم وتبكي علينا .

وقال : حججت نيفا وخمسين حجة فقعدت بحذا الميزان وتفكيرت ما أدرى ما حالى عند الله وقد كثر ترددى في هذا المكان ، فكأن قائلا يقول : يا على لا تدع إلى بيتك إلا من تحبه ، ورؤى أحمد بن حنبل فقيل : ما فعل بك ؟ قال : حيانى وأعطاني وقربني وأدنانى ، فقيل : فالشيخ المزمن على بن الموفق ما صنع به ؟ قال : الساعة تركته في زلال يريد العرش ، أستد ابن الموفق الحديث عن أبي عماد وابن أبي الحواري وغيرهما ، مات سنة خمس وستين ومائتين .

(٢٦٥) على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق^(٢)

كان عظيم القدر ، مشهور الذكر ، أحله المؤمن محل مهجه ، وأشركه في ملكته وعهد إليه بالخلافة من بعده ، بعد ما أراد أن يخلع نفسه ويفوضها إليه في حياته ، فمنعه بنو العباس ، فمات قبله فأسف عليه .

(١) النبهانى ٢ / ١٥٨ .

(٢) خلاصة تهذيب الكمال ص ١٣٥ ; والسلمى ص ٨٥ ; والشذرات ٦/٢ ، ومراة الجنان ١١/٢ - ١٣ .

(وله كرامات كثيرة) منها أنه أخبر أنه يأكل عنبًا ورمانا فيموت ، فيريد المؤمن دفنه خلف الرشيد فلا يمكنه فكأن كذلك ، ومنها أنه قال لرجل صحيح سليم : استعد لما لا بد منه ، فمات بعد ثلاثة أيام ، رواه الحاكم ، ومنها ما رواه الحاكم أيضاً عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب ، قال : رأيت المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، في النوم في المنزل وهو الذي ينزله الحاج بيلدنا فوجدت عنده طبقاً من خوص فيه قرنيصاني ، فناولني ثمانية عشرة قرة وبعد عشرين يوماً قدم على الرضي من المدينة ونزل ذلك المنزل ، وهرع الناس للسلام عليه ومضيت نحوه ، فإذا هو جالس بالوضع الذي رأيت المصطفى قاعداً فيه وبين يديه طبق فيه قرنيصاني فناولني قبضة فإذا عدتها بقدر ما ناولني المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : زدني ، فقلت : لو زادك رسول الله لزدناك » .

(٢٦٦) على بن سهل الأصبhani (١)

من قدماء مشائخ أصبهان ، وأقران الجنيد صحب النحشبي ، وابن معدان وغيرهما ، وجاب القفار والبلاد ، وما هاب الوحش والجlad ، وقطع المفاوز بحظ هابط ، وعزم صاعد ، وسام كل باذل ، وانتفع كل راعد ، إلى أن أقمر ليله الحالك بعد ما تطور في أطوار واقتجم المهالك .

(ومن كلامه) حرام على من عرف الله أن يسكن لغيره ، قال : من فقه قلبه أورثه ذلك الإعراض عن الدنيا وأهلها : فإن من جهل القلب متتابعة سرور لا يدوم ، وقال : التصوف التبرى عن دونه والتخلى عما سواه ، وقال : التوحيد قريب من الظنون بعيد في الحقائق ، [وأنشد لبعضهم] (٢) .

وقلت لأصحابي هي الشمس ضؤها قريب ، ولكن في تناولها بعُدُّ

(١) حلية الأولياء ٤٠٤ / ١٠ : وصفة الصفوة ٤ / ٦٦ : والرسالة القشيرية ٢٠ : وطبقات الشعراني ١٤ / ١ : ونتائج الأفكار القدسية ١ / ١٧١ : وتاريخ أصبهان ١٤ / ٢ : والمنتظم ٦ / ١٥٥ : وطبقات السلمي ٢٣٣ - ٢٣٦ .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من السلمي ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ، وفيها جاء بيت الشعر على التحو التالي : فقلت لأصحابي : هي الشمس ، ضؤها قريب ، ولكن في تناولها بعُدُّ

(٢٦٧) على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينوري المشهور^(١)

كان من صدر الصدور ، استند صوفية الآفاق من تربته إلى ركن شديد ، وعطفوا إلى العكوف عليه كل جيد ، وكان وافر الورع والديانة ، قوى التمكّن على المكانة ، نير الوجه ، حسن الأخلاق ، سار سيرة سارت فعطرت بأرجها أرجاء الآفاق ، أخذ عن ابن الجلاء ومن فوقه .

(ومن كراماته الباهرة وآيات ولايته الظاهرة) أن النسور كانت تظله إذا قام يصلى في الحر .

(ومن فوائد) طريق الحق بعيد ، والصبر على مقدور الله تعالى شديد ، وقال : لو جمعت علم الأولين والآخرين ، وأحوال الأولياء والمقربين لا تصل العارفين حتى يسكن سرك إليه ، وتشق بضمائه فيما وعد وقسم ، وقال : ما دخلت قط على فقير إلا فارغا من جميع العلوم والمعارف والأداب ، انتظر ما يرد على من رؤيته وكلامه ، فإن من دخل على شيخ بحظ نفس انقطع عنه إمداده وريما مقت ، وقال : أحسن الناس حالا من أسقط عن نفسه رؤية رعاية الخلق ، ورأى سره مع الله ، واعتمد عليه في كل أمر ،

وقال : أرواح الأنبياء لا تزال في حضرة المكاشفة والمشاهدة ؛ وأرواح الأولياء في القرب والاطلاع ، وقال : تناولت مرة شهوة فقدت قلبي عشرين سنة ، ثم جمعته على الحق عشرين سنة ، ثم تركت قولى للشئ كن فيكون عشرين سنة أدبا مع الله تعالى ، مات بمصر سنة سبع وتسعين ومائتين ، هكذا رأيته بخط بعضهم ، ورأيت في كلام ابن الجوزي ثلاثين وثلاثمائة ، ودفن بالقرافة تحت الجبل^(٢) ، وأسند الحديث .

(١) حلية الأولياء ٣٥٣/١٠ - ٤٠٨ : وصفة الصفة ٤/٤٠٦ : وطبقات الشعراوي ١١٩/١ : وحسن المحاضرة ١/٢٩٤ : والرسالة القشيرية ص ٣٢ : ونتائج الأفكار القدسية ١/١٨٠ - ١٨٢ : والمنتظم ٣٢٨/٦ ، والسلمي ، طبقات ٣١٢ - ٣١٥ .

(٢) السخاوي الخنفي ، ٢٥٦ .

(٢٦٨) عمرو بن سلمة الحداد^(١)

الإمام أبو حفص النيسابوري شيخ خراسان

كان عظيم الشأن ، عالي المقام واضح البرهان ، مباركا على صوفية الاسلام ، وتربيته عائدة عليهم بصلات المعارف التي لا تحصرها الأقلام ، مشكور السيرة في السر والجهر ، ومن نوادر العصر ، وأفراد الدهر وله الفتوى الكاملة والمروءة الشاملة ، صحب الأبيوردي وتتلذذ للجبرى وغيرهما ، وكان حدادا ، فبينما غلامه ينفح غاب فكره في ذكر محبوبه ، فغاب عن المحس البشري الظاهرة ، ونسى أن يخرج الحديد من الكير بالآلة وأخرجه بيده ، فصاح الغلام الحديد في يدك بلا كليتين ، فرماه به وخرج سائحا في البرية وهو يقول :

شرط المحبة التستر والكتمان لا الافتضاح والإعلان ، قال المرتعش : دخلت مع أبي حفص على مريض يعوده ، فقال أبو حفص للمريض : أتحب أن تخرج معنا وتبرأ ؟ قال : نعم ، قال للقوم : احملوا عنه فخرجننا وخرج المريض معنا ، وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد ، ودخل على مريض يعوده ، فقال : آه ، فقال من ؟ فسكت ، فقال مع من ؟ فقال كيف أكون ، قال لا يكون أنينك شكوى ولا سكوتك تجلدا ، ولما ورد على الجنيد عمل له أنواعا من الأطعمة ، فأنكر عليه ، وقال : صيَّرتُ أصحابي كالمخانيق ، فقال : إنما فعلت ذلك إكراما للضيف ، فقال : الإكرام أن لا يتولد منه ضرر .

(ومن كلامه) من تجربة كأس الشوق هام هياما لا يفيق منه إلا عند المشاهدة واللقاء .

وقال : إذا رأيت المحب ساكنا هادئا فاعلم أنه رد إليه عقله فإن المحب لا يهدأ ،

(١) حلية الأولياء ٢٢٩/١٠ - ٢٣٠ : وصفة الصفة ٩٨/٤ : والرسالة القشيرية ٢٢ : وطبقات الشعراني ٩٦/١ : والشذرات ١٥٠/٢ : ومراة الجنان ١٧٩/٢ : وطبقات السلمي ١١٥ - ١٢٢ .

وقال : البخل ترك الإيشار عند الحاجة .

وقال : لا تكن عبادتك لربك سببا لأن تكون معبردا .

وقال : تركت العمل فرجعت إليه وتركني العمل فلم أرجع إليه .

وقال : الكرم ترك الدنيا لمحاجتها والإقبال على الله لاحتياجك إليه .

وقال : إن استطعت أن لا تعرف ولا يشار إليك بشيء فافعل .

وقال : إنما القلب كقبة مضرورة لها أبواب فأى باب فتح له عمل الفكرة

فيه .

وقال : ينبغي للعبد المعنى بنفسه أن يبيت الحياة العاجلة الزائلة المنفحة بالآفات من قلبه بذكر الموت وما وراءه من الأهوال ، وال الوقوف بين يدي الجبار .

وقال : الزاهد حقا لا يندم الدنيا ولا يدحها ، ولا ينظر إليها ولا يفرح بها إذا أقبلت ولا يحزن عليها إذا أدبرت .

وقال : إذا جاء القلب وعطش صفا ورق ، وإذا شبع وروى عمى .

وقال : أستجلب الزهد بقصر الأمل ، وأدفع أسباب الطمع باليأس والقنوع تخلص إلى راحة القلب بصحة التفريض .

وقال : رد سبيل العجب بمعرفة النفس .

وقال : إنى لأمرض فاعرف الذنب الذى بسببه المرض .

وقال : من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها فى جميع الأحوال ، ولم يجبرها على مكروهاها فى سائر الأيام فهو مغزور ، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها ، وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه ، وال الكريم ابن الكريم يقول ﴿ وَمَا أَبْرَىءُ نَفْسِي ﴾^(١) .

وقال : أحسن ما يتوصل به العبد لمولاه دوام الفقر إليه فى كل حال ،
وملازمته السنة فى جميع الأفعال ، وطلب القوت من حلال .

وقال : مأسوع هلاك من لا يعرف عيبه فإن المعاصى بريد الكفر .

وسئل عن التوبية فقال : ليس للعبد من التوبية شيء لأن التوبية إليه لامنه .

وقال : لا يفلح قلب يهتم بجميع القرارات .

وقال : العارف إذا صلى ركعتين لم ينصرف عنهما حتى يجد طعمهما .

وقال : ضحك العارف التبسم .

وقال : لا أحسب عملا لا يوجد له في الدنيا لذة يكون له في الآخرة ثواب .

وقال : كل من كان في تطوع يلذ به فجاء وقت فرض لم يقطع وقته لذة
التطوع فهو مخدوع .

وقال : تحرز من إبليس بمخالفته هواك وتزين لله بالصدق والإخلاص في
العمل ، وتعرض للعفو بالحياء منه والمراقبة ، واستددم النعمة بخوف زوالها ،
ولا عمل كطلب السلامة ولا سلامه كسلامة القلب . ولا عقل كمخالفة الهوى ،
ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوة كرد الغضب ، ولا نور
كون اليقين ، ولا يقين كاحتقار الدنيا ، ولا معرفة كمعرفة النفس ، ولا نعمة
كالعاافية من الذنب ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا زهد كقصر الأمل ،
ولا حرص كالمนาفة في الدرجات ، ولا عدل كالإنصاف ، ولا تعدى كالجور ،
ولا عدم كعدم العقل ، ولا عدم عقل كقلة يقين ، ولا قلة يقين كفقد الخوف ،
ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة النفس ، ولا ذل كالطمع .

وقال : من عمل شيئا من أنواع الخير بلا نية أجزأته النية الأولى
حتى اختيار الإسلام على الأديان كلها ، وقال : لاتشهد لأحد بالزهد فإنما هو
شيء في القلب .

وقال : ما أؤتي من أotti من قارون وبعam إلا أن أصل نياتهم على غش فرجعوا إلى الغش الذي في قلوبهم ، والله أكرم من أن يم على عبد بصدق ثم يسلبه إيمانه .

وقال : أنا أؤتيت أنت وأنا من التخليل ، تقوم ليلة وتنام ليلة وتصوم يوماً وتفطر يوماً ، ولا يستنير القلب على هذا .

وقال : إنما يمثل للقلب على قدر ما يسمع من الحديث أو على قدر ما يتوجه .

وقال : من حسن ظنه بالله من لا يخاف الله فهو مخدوع .

وقال : ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح إنما تلك راحة ، إنما الزهد من ألقى غمها وتعب فيها لآخرته .

وقال : أهل الزهد في الدنيا قسمان ، منهم من يزهد فيها فلا يفتح له فيها روح الآخرة ، ومنهم من يفتح له .

وقال : أهل الطاعة في ليلتهم أهل اللهو في لهوهم ، ولو لا الليل ما أحبت البقاء في الدنيا .

وقال : ما خلق الله خلقاً أهون على من ابليس ، ولو لا أمرت بالتعوذ ما تعوذت ، وذم بعض أصحابه الدنيا وأهلهما بحضوره ، فقال له : أظهرت ما كان سببلك أن تخفيه لاتجاليتنا بعد هذا ، فلم يرخص فيه لما في ضمنه من دعوى الزهد فيها .

وقال : حرست قلبي عشرين سنة ثم حرستي عشرين سنة ثم صرنا جميعاً محروسين ، وقيل له فلان يدور حول السماء فإذا سمع بكى وهاج ، فقال : إيش عمل الغريق يتعلق بكل شئ فيه نجاته ، ولما قدم بغداد لقيه الجنيد فرأى أصحابه من الأدب معه كائناً على رءوسهم الطير ، فقال له : أدبتهم بأداب

الملوك ، فقال : لأن حسن الأدب في الظاهر عنوان لأدب الباطن ، فقد قال عليه السلام : « لوحش عقل هذا لخشت جوارحه »^(١) وكان لا يذكر الله إلا على الحضور وتعظيم الحرمة ، فإذا ذكر تغير حاله ، فإذا رجع قال : ما أبعد ذكرنا من ذكر المتحققين ، وما أظن من ذكر الله حاضرا من غير غفلة يبقى بعد ذكره حيا إلا الأنبياء ، وسأله أصحابه حال النزع ما الذي تعظنا به ، قال : الانكسار بالقلب على التقصير ، مات سنة أربع أو سبع وستين ومائتين .

(٢) عمرو بن عثمان المكي

العارف البصير ، العالم الخبير ، له اللسان الشافى والبيان الكافى ، معدود في الأباء محمود في الأطباء ، أحكم الأصول وأخلص في الوصول ، وساح في البلاد ، وناح بالوداد ، وكان من أئمة القوم الأمجاد له القبول التام بين الخاص والعام ، بحيث أقبلت عليه جميع الخلق من جميع الأقطار كبیرها وصغرها أميرها ومامورها ، صحب الخراز وغيره .

(ومن فوائد) : المروءة التغافل عن زلل الإخوان .

وقال : كل ما توهّمه قلبك ، أو سنج في مجاري فكرك ، أو خطر في معارضات لبك من حسن أدب أوّنس أوّضياء أو جمال أو شبح أو نور أو خيال ، فالله بعيد عن ذلك ، منه عنه ليس كمثله شيء .

وقال : العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حرون جموح خداعه رواعة فاحذرها وراعها بسياسة العلم ، وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريده .

(١) رواه الترمذى عن أبي هريرة وقال : إنه حديث ضعيف ، انظر الجامع الصغير ٣٧١/٢ .

(٢) حلية الأولياء ٢٩١/١٠ - ٢٩٦ : وصفة الصفو٢/٢٤٨ : والرسالة القشيرية ٢٨ ، وطبقات الشعرانى ١٠٤/١ : وتاريخ بغداد ٢٢٣/١٢ - ٢٢٥ : وطبقات السلمى ٢٠٠ - ٢٠٥ : ونتائج الأفكار القدسية ١٥٧/١ - ١٥٩ : والمنتظم ٩٣/٦ : والشذرات ٢٢٥/٢ .

وقال : ان الله جعل الاختيار موصولا بالاختبار .

وقال : الصبر ثبات مع الله وملاقاة بلاه بالرحب والدعة .

وقال : واغماء من عهد لم يقم له بوفاء ، ومن خلوة لا تصح بحياه ،
ومن أيام تفني ويبقى ما كان فيها أبدا .

قال الحافظ أبو نعيم : كانت حظوظه في فنون العلم غزيرة ، وتصانيفه
بالروايات والمسانيد شهيرة ، مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين أو غير
ذلك .

حرف الفاء

(٢٧٠) فتح بن شخرف (أبو نصر الكشي)^(١)

كان صالحًا زاهداً ذا معارف نامية وافية ، وإعراض عن الدنيا بالجملة
الكافية ، لا يكتثر بنضرتها وبهجة نضارها ، ولا يلتفت إلى المنشوش من درهمها
ودينارها ، أقام لم يأكل الخبز ثلاثين سنة ، ويطعم الفقراء والأصحاب الطعام
الطيب ، قال رأيت رب العزة في النوم فقال : يافتح احذر لآخذك على غرة
فهمتُ في الجبال سبع سنين ، قال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثله ،
ومكثت ثلاثين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء ، ثم رفع رأسه وفتح عينيه ونظر
إليها ، ثم قال قد طال شوقى إليك فجعل قدومي عليك ، فمات سنة ثلاث
وبسبعين ومائتين ، وقال ابن أبي الحوارى : غسلته فإذا على فخذه الأيمن لا إله إلا
الله فتوهمناه مكتوبا فإذا عرق داخل الجلد ، وصلى عليه نحو ثلاثين ألفا .

(١) نسبة إلى مدينة « كش » أو « كش » مدينة بما وراء النهر بالقرب من « نخشب » ، توفي ببغداد
سنة ٢٧٣ هـ ؛ انظر تاريخ بغداد ١٢ / ٣٨٤ - ٣٨٨ ؛ وطبقات السلمى ١١ والحاشية (ج) ؛
والنبهانى ٢ / ٢٣٣ .

(٢٧١) فاطمة النسائية^(١)

كانت من المصطفيات العابدات العارفات ، وهى أستاذة ذى النون المصرى ، وزارها أبو يزيد البسطامى ، وقال : مارأيت فى عمرى إلا رجلاً وامرأة ، والمرأة فاطمة النيسابورية ، وما أحدثها عن مقام من المقامات إلا وكان الخير لها عيانا ، وقال ذو النون : ما رأيت أجمل منها ؛ وكانت مقيمة بعكة .

(ومن كلامها) : من كان الله منه على بال آخرسه إلا عن الصدق ،
وألزمه الحياة منه والإخلاص ، وقالت : من لم يراقب الله في كل حال فإنه ينحدر
في كل ميدان ويتكلّم بكل لسان ، ومن راقب الله في كل حال آخرسه إلا عن
الصدق وألزمه الحياة منه والإخلاص له ، وقالت : الصادق والمقرب في بحر
تطرب عليه أمواج يدعوه دعاء الغريق يسأله الخلاص والنجاة ، وقالت : من
عمل لله على المشاهدة فهو عارف ، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو
مخلص ، وقال لها ذو النون : وقد اجتمعوا ببيت المقدس ، عظيني قالت : الزم
الصدق وجادل نفسك في أفعالك ، ماتت بمكة في طريق العمرة سنة ثلاثة
وعشرين ومائتين .

حرف القاف

(٢٧٢) القاسم بن عثمان الجوعي (٢)

بضم الجيم وسكون الواو لكونه كان يبقى جائعاً كثيراً ، كانت له الرعاية الواقية ، فأيد بالقوة الكافية .

١١) طبقات الشعراني، ٥٦/١؛ والنبهاني، ٢٣٢/٢

(٢) شدرات الذهب لابن العماد ، ١١٨/٢ ، وفيها جاء اسمه «القسم بن عثمان الدمشقي الزاهد المعروف بالجوعى ، المتوفى سنة ٢٤٨هـ؛ وطبقات السلمى ص ٩٨ ، الحاشية ج ». .

(ومن كلامه) شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع ، ففقدوا لذة الطعام والشراب وشهوات الدنيا لتلذذهم بما ليس فوقه لذة ، فقطعهم عن كل لذة .

وقال : أصل المحبة المعرفة وأصل الطاعة التصديق ، وأصل الخوف المراقبة وأصل المعاصي طول الأمل ، وحب الرياسة أصل كل موبقة .

وقال : أفضل الدين الورع ، وأفضل العبادة مكابدة الليل ، وأفضل طرق الجنة سلامه الصدر .

وقال : رأيت بيت المقدس راهبا فقلت : أوصنی .

وقال : كن كمن استوحشته السباع والهوم فهو خائف مذعور ، وإن يسهر فيفترسه أو يلهو فتنهشه ، فليله ليل مخافة إذا أمن فيه المغترون ، ونهاره نهار حزن إذا فرح فيه البطالون ، ثم ولى فقلت لو زدتني ، فقال يكفى الظمآن من الماء أيسره .

وقال : قليل العمل مع المعرفة خير من كثيره بدونها .

وقال : رأس الأعمال الرضى عن الله ، والورع عمود الدين ، والجوع مخ العبادة ، والحنن الحصين ضبط اللسان ومن شكر الله حبس فى ميدان الزباده ، ومن تم عمله عد المصائب نعما وشكرا الله عليها .

وقال : البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بدنه يملك من الزهد وبقدر ما قلكه بطنه تملكه الدنيا .

وقال : رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وكأنى جالس بمسجد دمشق وأترنم وأدق فى صدرى ، فصعد رسول الله المسجد ، معه أبو بكر وعمر ، وقال : يا أبا القاسم الغلط فى هذا أكثر من الصواب .

أسند الحديث عن جماعة من الأعيان .

حرف الميم

(٢٧٣) محمد بن أبي الورد^(١)

قريب الجنيد

كانت له الهمة العلية في الإرشاد إلى الطريق المسلوك ، ويقول الصوفية وديعة الله عند مشايخ السلوك ، أمتخ المريدين بنفائسه ، ونشر عليهم الدر في مجالس وعظه ومدارسه ، سار ذكره في الآفاق وانتهت إليه رئاسة الصوفية بالعراق ، صحب السقطي والمحاسبي والحادي وغيرهم ، وطريقه في الورع طريق بشر .

(ومن فوائد) الغفلة عن الطاعة نعمة ، وقال : علامة التولى أن يوالى أولياء الله وبعادى أعداءه ، وقال : من لا تحب نفسه الدنيا فأهلها يحبونه ، وقال : إنما من الناس الوصول ، لتضييع الأصول وقال : هلاك الناس في حرفين ، اشتغال بنافلة وتضييع فريضة ، وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب ، وقال : أشكر الخلق لله من لم ير أنه شكر الله قط ، وقال : من آداب الفقير في فقره ترك الملامة والتعبير لمن ابتلى بطلب الدنيا ، والرحمة والشفقة عليه والدعاء له ليريحه الله من تعبه فيها ، وقال : إن لله عز وجل يوما لا ينجو من شره منقاد لهواه ، وإن أبطأ الصراعي يوم القيمة صريع شهوة ، أسنـد الحديث عن أبي النضر وغيره ، مات سنة ثلاثة وستين ومائتين .

(١) لعله المذكور في الترجمة رقم ٢١٥ ، الخاصة بأحمد بن أبي الورد .

(٢٧٤) محمد بن إبراهيم البغدادي^(١)

أخذ عن السقطى والمسوحى وإليه انتماوه ، وكان فقيها عالماً متكلماً بالحقائق ، خبيراً بسلوك الطرائق ، واشتهر بذلك حتى حلت له مشايخ الصوفية خباءها ، وحوى به حرمها وحماتها ، واتسقت به عقودها ، وحفظت به عهودها ، وكان أَحمد بن حنبل يعظمه جداً .

(ومن فوائده) من المحال أن تدعى محبة الله وأنت لا تذكره ، وأن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره ، وأن يوجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره ، وقال : الأنس ضيق الصدر من معاشرة الخلق ، وقال : من استشعر الموت حبب إليه كل باق وبغض إليه كل فان ، ومن استوحش من نفسه أنس بموافقة مولاه ، وقال : خفت سطوة العدل ، وأرجو دقة الفضل ، ولا تأمن مكره ، وإن آثر لك الجنة ففيها وقع لأبيك آدم ما وقع ، وقد يقطع بقوم فيها فيقال : كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فيشغلهم عنه بذلك ، ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه ؛ وقال : وقفت على راهب فقلت ، هل عندك شيء من خبر من مضى ؟ قال : نعم ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، وقال : لا يصبر على حب ضيق للعيش إلا صديق ، وقال : إذا فتح عليك بشيء من المقامات فإياك والنظر إليه افتخاراً بل اشتغل بذكر النعم ، به فإن الحق غيور لا يحب أن يرى عبده محباً لغيره إلا بإذنه ، وسئل هل يتفرغ المحب لشيء سوى محبوبه ، قال : لا لأنه في بلاد ألم وأوجاع متصلة وغضص يتجرعها لا يعرفها إلا من باشرها ، ولام رجل بعض أتباعه على إظهار وجده ، فقال الشيخ : أقصر يا أخي باللوجد الغالب يسقط التمييز وتجعل الأماكن كلها مكاناً واحداً والأعيان عيناً واحدة ، فلا لوم من غالب عليه وجده فاضطر لذلك ، وتكلم يوماً على الناس فأحسن فهتف به هاتف : تكلمت فأحسنت بقى أن تسكت فتحسن ، فما تكلم بعد ، مات سنة تسع وثمانين ومائتين ، وقيل : هذا أبو حمزة المار ذكره لا غير .

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٢ : وطبقات السلمى ٢٩٥ - ٢٩٨ : وطبقات الشعراوى ١١٦/١ ، وتاريخ بغداد ٣٩٠ / ١ ، ونتائج الأفكار القدسية ١٧٧/١ .

(٢٧٥) محمد بن إبراهيم بن حمش

العايد الزاهد ، الراكع الساجد ، له في التصوف القدم الراسخ ، والكلام الشامخ .

(ومن كلامه) إذا لم تطع ربك فلا تأكل رزقه ، وإذا لم تجتنب نهيه فاخرج من مملكته ، وإذا لم ترض بقضائه فاطلب ربا سواه ، وإذا عصيته فاخرج إلى مكان لا يراك فيه ، وقال : يضحك القضاء من الخدر ، ويضحك الأجل من الأمل ، ويضحك التقدير من التدبير ، وتضحك القسمة من الجهد والعناء .

(٢٧٦) محمد بن أسلم^(١)

السليم الأسلم المذكور بالسواد الأعظم ، وهو الطوسي ، أحواله منتشرة مشهورة ؛ وشمائله مستطرة مذكورة ، كان بالأثار مقتدياً وعن الآراء منتهياً ، أعطى بياناً وبلاجة ، وزهداً وقناعة ، نقض على المخالفين ببيانه ، وأقبل على تصحيح حاله و شأنه ، سأله رجل ابن المبارك عن السواد الأعظم المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسواد الأعظم »^(٢) فقال محمد بن أسلم : وإذا ذكرته في أربعة أشياء ، لا تقرن معه غيره النصر للدين ، واتباع أثر المصطفى صلى الله عليه وسلم والزهد في الدنيا وفصاحة اللسان ؛ وقال ابن نصر : محمد بن أسلم ركن من أركان الإسلام ؛ ولما مات صلى عليه ألف ألف ومائة ألف إنسان يقول صالحهم وطالهم لم نعرف له نظيراً .

(ومن كلامه) : إنما يعمل الذنب جاحد ينظر فلا يرى أحداً ، فيقول :

(١) محدثين أسلم الطوسي الكندي ، التسوفي سنة ٢٤٢ هـ ؛ انظر ترجمته في مختصر دول الإسلام ١١٤ / ١ ، والصفدي ، الواقي ٢٠٤ / ٢ ؛ وإسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين ١٣ / ٢ ؛ وكحالة معجم المؤلفين ٥٢ / ٩ ، والأعلام للزرکلى ٣٤ / ٦ ؛ وتنزكرة الحفاظ ١٠٣ / ٢ ؛ وحلية الأولياء ٢٣٨ / ٩ ، والجرج والتتعديل ٢٠١ / ٣-٢ ، والشذرات ٢ / ١٠٠ ؛ وطبقات الشعراني ٥٤ / ١ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤ / ٣٦٢ و ٥ / ٣٩٧ .

ليرانى أحد أذهب فأذنب ، أما أنا فكيف يكنتنى ذلك ، وقد علمت أن داخل نميسى من يشهد على ، وكان يقول خادمه : اشتري شعيراً أسود قد تركه الناس فإنه يصير إلى الكنيف ، وإنما تعلمت العلم لأعمل به ، وقال : والله سارأيت نفساً تصلى للعقبة شرًا من نفسي فكيف أطعمها النقى ، وقال : الإيمان عطية الله يعطيه من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو قوله ﴿ولكن الله حب إلينكم الإيمان﴾^(١) الآية ، وقال : من أكل خبز الحنطة تأدبه بحياة لم يقبل إلا علة الموت ، قيل : وما الأدب ؟ قال : يأكل بعد الجوع ، ويرفع بعد الشبع ، أدرك ابن أسلم من التابعين جماعة ، وروى حديثاً كثيرةً عن الأوزاعى وغيره .

(٢٧٧) محمد بن منصور الطوسي

كان قلبه باليقين معموراً ، وفي محبته بأموله مسروراً ، وعن كل ما سواه مأخوذاً ومسوراً .
 (ومن كلامه) خمس من السعادة ، اليقين ، والورع في الدين ، والزهد في الدنيا ، والحياء والعلم .

وقال : ست خصال يعرف بها الجاهل ، الغضب من غير شيء ، والكلام في غير نفع ، والعظة في غير موضعها ، وإفشاء السر ، والثقة بكل أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه . وكان مجاب الدعوة ، سأله قوم وهو ببغداد : هل اليوم يوم عرفة ؟ وكان فيه خلاف ، فقال : اصبروا فدخل البيت ، ثم خرج ثم قال : نعم فعدوا الأيام فكان اليوم الذي وقفوا فيه ، فقيل له : من أين علمته ؟ فقال : سألت ربي فأراني الناس في الموقف ، أسنده حديثاً كثيرةً ، مات سنة أربع وخمسين ومائتين ببغداد .

(١) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٢) محمد بن منصور بن داود إبراهيم أبو جعفر العابد المعروف بالطوسي ، المتوفى سنة ٢٥٤ هـ ، عن ثمان وثمانين سنة ، انظر تاريخ بغداد ٣/٢٤٧ - ٢٥٠ ، وطبقات السلمى ، ص ٢٣٧ .

(٢٧٨) محمد بن إدريس الشافعى^(١)

الإمام الأعظم ، والهمام الأقوم ، ابن عم المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، عالم قريش الذى ملأ الله به طباق الأرض علماء ، وأسمع من مناقبه الطاهرة وعلومه الفاخرة الظاهرة آذانا صماء ، الخبر الذى أسس بعد الصحابة قواعد بيت النبوة وأقامها ، وشيد مبانى الإسلام بعد ما جهل الناس حلالها وحرامها ، وقد أكثر القوم التصانيف فى مناقبه ، فمن أفرد ذلك بالتأليف الإمام أبو داود الظاهري والساجى وابن أبي حاتم والأبرى والحاكم والأصبهانى والقطان والقراب ، والأستاذ أبو منصور البغدادى والبيهقى والخطيب البغدادى ، والإمام الرازى ، وابن المقرئ ، وفندق ، وإمام الحرمين ، والدارقطنى ، والآجري ، والسرخسى ، والصاحب بن عباد ، ونصر المقدسى ، والسبكى ، وخلائق ما بين متقدم ومتاخر ، فنذكر من ذلك نبذة سيرة ، فنقول : هو إمام الأئمة علماء ، وزهدا وورعا ، ومعرفة وذكاء وحفظا ، فإنه برع فى كل فن مما ذكر ، وفاق فيه أكثر الأقطار فيما فى الحرمين والأرض المقدسة ، وهذه الثلاثة وأهلها ، أفضل الأرض وأهلها ، ما لم يجتمع لغيره ، ولذلك خص بحديث عالم قريش ميلاً طباق الأرض علماء ، وزعم وضعه ، حسد أو غلط ، قال أحمد بن حنبل زراعة الشافعى ، وكاشف صحبه بوقائع وقعت بعد موته ، ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أعطاه ميزانا فأولت بأن مذهب أعدل المذاهب وأوفقتها للسنة التى هي أعدل الملل ولد بغزة أو بعسقلان سنة خمس ومائة اتفاقا ، وهى السنة التى مات فيها

(١) تذكرة الحفاظ ١/٣٢٩؛ وتهذيب التهذيب ٩/٢٥، والوفيات لابن خلكان ١/٤٤٧؛ وإرشاد الأربع لياقوت الحموى ٦/٣٦٧ - ٣٩٨؛ وغاية النهاية ٢/٩٥؛ وصفة الصفوة ٢/١٤٠؛ وتاريخ بغداد ٢/٥٦ - ٧٣؛ وحلية الأولياء ٩/٦٣؛ وزهرة الجليس ٢/١٣٥؛ وتاريخ الخميس ٢/٣٣٥؛ وتهذيب الأسماء واللغات ١/٤٤ - ٦٧؛ وطبقات الخنابلة ١/٢٨٠ - ٢٨٤؛ وطبقات الشافعية للسبكى ١/١٨٥؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٥١؛ والأعلام للزركلى ٦/٢٦ - ٢٧.

أبو حنيفة ، وما اشتهر أنه ولد يوم مات لم يثبت ، وأجيزة بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ثم دخل إلى الإمام مالك ، وأقام عنده مدة ، ثم لبغداد ، ولقب ناصر السنة ، ثم عاد لمكة ، ثم لمصر فأقام بها حتى مات سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة .

(ومن حكمه ونواتره وفوائده التي ينبو عنها نطاق المحصر) : من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه به ، وقال : ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلة ، وقال : لا يطلب أحد هذا العلم بعزة نفس فيفلح ، وقال : زينة العلم للعلماء التوفيق ؛ وحييلتهم حسن الخلق وجمالهم كرم النفس ، وقال : زينة العلم الورع والحلم ، وقال : لاعيب بالعلماء أقبح من رغبتهما فيما زهدتم الله فيه وزهدتم فيما رغبتم فيه ، وقال : ليس العلم ماحفظ العلم مانع ، وقال : فقر العلماء فقر اختيار ، وفقر اضطرار ، وقال : المرأة في العلم يقسى القلب ويورث الضغائن ، وقال : ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتي ، ولما ابتدأ الشيب في لحيته أدمن مسك العصا ، فقيل له فيه ، فقال : لأنذكر أنني مسافر من هذه الدار ، وقال : ماتزوج أحد من أصحابنا إلا ونزل عن مرتبته ، وقال لي منذ ثلاثين سؤال إخوانى المتزوجين ، هلرأيتم خيرا ؟ فما منهم أحد قال رأيت بالتزويج خيراً قط ، وقال : الكامل من الرجال من يصير يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه ، وقال : من تعود أفخاذ النساء لم يفلح لأن المرأة تدعوه إلى الرفاهية والدعة وقنع عن كثرة الإشتغال بالله من قيام وصيام وتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الأدخار وغير ذلك مما هو بعيد من حال المتجرد عن النساء ، وقال أصل كل عداوة اصطنان المعروف إلى اللثام ، فقيل : من اللئيم ؟ فقال : هو من إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه ، وقال : لا تقتصر في حق أخيك اعتمادا على مروءته ، وقال : أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، وقال : ما وقف أحد مع هؤلاء الخلق وراعاهم في أعماله وأحواله إلا سقط من عين رعاية الله عز وجل ، وقال : الإنكار فرع من النفاق ، قال المزنى :

بل هو النفاق كله ، وقال : الكذب كالميّة لا يباح شئ منه إلا عند الضرورة ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب ، وقال : من لم تعزه التقوى فلا عز له ، وقال : طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد ، وقال : إذا ولی أخوك ولاية فارض منه عشر وده وإقباله الذي كان قبل ، وقال : لاتخرج من علم إلى غيره حتى تحكمه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة في الفهم ، وقال : من شهد من نفسه الضعف نال الاستقامة ، وقال : من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها ، ومن رضى بالقنوع زال عنه الخضوع ، وقال : أنفع الذخائر التقوى وأضرها العداون ، وقال : من أحب أن يفتح الله قلبه فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه وتجنب المعاصي ، وقال : من أحب أن ينور الله قلبه فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالفات السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب ، وقال : لا تتكلم إلا فيما يعنيك ، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكتها ، وقال : لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضى كل الناس فلا سبيل إليه فأخلص عملك ونيتك لله ، وقال : لا يعرف الرياء إلا المخلصون ، وقال : لو أوصى بمال لأعقل الناس صرف للزهاد ، وقال : سياسة الناس أشد من سياسة الدواب ، وقال : العاقل من عقله عقله عن كل مذموم ، وقال : لو علمت أن شرب الماء ينقص مروءتي ما شربته ، وقال : للمرءة أربعة أركان ، حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسل ، وقال : المرءة عفة الجوارح عما لا يعنيها ، وقال : لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع ، بالديانة والأمانة والصيانة والرزانة ، وقال : ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته ، وقال : من صدق في آخره أخيه قبل عله وغفر زله ، وقال : علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ، ولعدو عدو عدوا ، وقال : لاسرور يعدل صحبة الإخوان ولا غم يعدل فرافقهم ، وقال : لا تقصرا في حق أخيك اعتمادا على مودته ، وقال : لا تبذل وجهك لمن يهون عليه ودك ، وقال : من برك فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أطلقك ، وقال : من نم لك نم بك ، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك :

فإذا أغضبته ، قال فيك ما ليس فيك ، وقال : الكيس العاقل هو الفطن المتغافل ، وقال : من ععظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن ععظه جهرا فقد فضحه وشانه ، وقال : من سام بنفسه فوق ما تساوى رده الله إلى قيمته ، وقال : التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام ، وقال : التواضع يورث المحبة ، والقناعة تورث الراحة ، وقال : أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغم فى موده من لا ينفعه ، وقال : لاتتفق على ولدك وخادمك بما فوق الضرورة فإن طاعتھما لك بقدر حاجتهما إليك ، وقال : أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره ، وأكثرهم فضلا من لا يرى فضله ، وقال : ما يضحك من خطأ رجل الا ثبت صوابه فى قلبه ، وقال : ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كأنه أثقل من الجانب الآخر ، وقال : من صدق الله نجا ، ومن أشفع على دينه سلم من الردا ، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من الشواب غدا ، وقال : الدنيا دحضة منزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر ، وساكنها للقبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر موصوف ، الإيكار منها إعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله وارض برزقه ، وقال : الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة ، فكن بين منقبض ومنبسط ، وقال : ما أكرمت أحداً فوق قدره إلا اتضاع من قدرى عنده بقدر ما زدت فى إكرامه ، وقال : لا وفاء لعبد ولا شكر للثيم وقال : صحبة من لا يخاف العار عار ، وقال : عاشر كرام الناس تصر كريما ، ولا تعاشر اللئام تنسب إلى اللؤم ، وقال : إن الله خلقك حرا فكن كما خلقك ، وقال : مداراة الأحمق غاية لا تدرك ، وقال : من ولى القضاء ولم يفتقر فهو لص ، وقال : إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقوى الله فاصنعها إلى من يتقوى الميعاد . وله نظم أكثره حكم ومنه :

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس الليبب وطيب عيش الأحمق

وقال :

إذا نحن فضلنا علياً فإننا رواض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته
رميت بنصب عند ذكرى للفضل
فلازلت ذا رفض ونصب كلامها
بحبها حتى أوسد فى الرمل
وقال :

قالوا ترفضت قلت كلا ما الرفض ديني ولا اعتقادى
لكن توليت غير شك خير إمام وخير هادى
إن كان حب الولي رفضا فإننى أرفض العباد
وقال :

يا راكبا قف بالمحصب من مني
سحرا إذا سار الحجيج إلى مني
إن كان رفضا حب آل محمد
واهتف بساكن خيفها والناهض
فيضا كملتطم الفرات الفائض
فليشهد الثقلان أني راضى

قال البيهقي : إنما قاله حين نسبه الخوارج إلى الرفض بغياناً وحسداً ، ولما احتضر دخل عليه جماعته ، فقال : أما أنت يا أبا يعقوب فتموت في قيودك ، وأما أنت يا مازن ففيكون لك بمصر هنات وهنات ، وأنت يا ابن عبد الحكم ترجع إلى مذهب أبيك ، وأنت يا ربيع أنفعهم لى في نشر الكتب ، قم يا أبا يعقوب فتسلّم الحلقة فكان كما قال ، ودفن حول قبته^(١) أولياء كثيرون ؛ منهم الصرفندي^(٢) قبره عند الحاجط البرانى الشرقى ، كان رجلاً صالحًا مجاب الدعوة ويستجاب عنده الدعاء ، وتحت رجلية شيخه^(٣) رؤى في النوم وهو يقول زوروا شيخي فإني ما أنا شيء إلا به ! وهناك قبر الشيخ عبد الرحمن المُسَيْنِي له كرامات .

(١) انظر السخاوي المختفي ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٢) الشيخ خلف الصرفندى ، السخاوى الحنفى ، ص ٣٤٧ .

^(٣٦) وشيخه هو أبو الحسن علي الأرسوسي ، المترجم السابق .

(٢٧٩) محمد بن إسماعيل المغربي^(١)

أستاذ إبراهيم الخواص^(٢) عمدة الصوفية ومرجع أهل الاختصاص ، كانوا كافه يأترون بأمره ، ويعرفون له جلالة قدره ، وينتهون إلى إشاراته في سر كل عمل وجهره . أخذ عن ابن رزين وجَمِعَ كثير من الأعيان ، وكان عجيب الشأن انتهت إليه رياضة الصوفية وتربية المريدين بالملكة العرفية ، وبعث بكمال الزهد والنفس الأبانية ، ولم يأكل مما وصلت إليه أيديبني آدم عشر سنين ، وحدث بشئ من علوم الحقائق فقام عليه أهل الظاهر وأذوه وطاف به العلوية على جمل في أسواق مكة بعد ضربه على رأسه ضربا مبرحا ، وأخرجوه منها فأقام ببغداد حتى مات .

(ومن كلامه) أفضل الأعمال عمارة الأوقات في المواقف ،
وقال : الفقير لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه
فقره ليغنيه بالاستغناء به .

وقال : الراضون بالفقير أمناء الله في أرضه ، وحاجته على عباده ، بهم
يُدفع البلاء عن الخلق .

وقال : من ادعى العبودية وله مراد باق فهو فيه كذاب ، إنما تصح
ال العبودية لمن أنفني مراداته وقام بمراده سيده .

وقال : العارف تضئ له أنوار العلم فیننظر بها عجائب الغيب .

وقال : مارأيت ظلمة منذ سنين كثيرة ، فكان يتقدم أصحابه في الليل
المظلم وهو حاف حاسر ، فإذا عشر أحدهم يقول : يمينا أو شمالا وهم لا يرون ما بين
أيديهم .

(١) طبقات الشعراني الكبيرى / ١ / ٧٩ ، والبداية والنهاية / ١١٧ / ١١ .

(٢) انظر ترجمته رقم ٢٠٦ .

وقال إبراهيم بن شيبان : مارأيته انزعج إلا يوما واحداً كنا على الطور وهو مستند إلى شجرة خربوب وهو يتكلم علينا ، فقال في كلامه : لا ينال العبد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد ، فانزعج واضطرب ورأيت الصخور قد تدككت وبقى في ذلك ساعات ، فلما أفاق كأنه نشر من قبر ، مات سنة تسع وتسعين ومائتين عن نحو مائة وعشرين سنة على جبل طور سيناء .

(٢٨٠) محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطري^(١)

كان ذا خبرة بالتصوف تامة كاملة ، ولم تزل سحب تربته على المريدين هامية هاملة ، وكان يشبه في الورع والزهد بشير الحافي ، وكان قوته شيئاً قليلاً إنما كان يكتب جامع سفيان الشوري لقوم لا يشك في صلاحهم ببضعة عشر درهماً فمنها قوته .

(ومن كراماته) أنه كان له ابن أخت حدث فرآه يلعب بالطيور^(٢) فدعا الله أن يحييته فمات في يومه .

(ومن كلامه) : الدنيا لا شيء تراد إن كان إنما تراد للذلة ، فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها إنما تراد الدنيا أن يطاع الله فيها ، مات سنة ستين ومائتين وهو من مشايخ الجنيد .

(١) نسبة إلى قنطرة البردان ، وهي محلة ببغداد ، وهو محمد بن مسلم بن عبد الرحمن أبو بكر القنطري الزاهد ، كان يشبه بشير الحافي ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ٤/٤٥٤ : والنبهاني ١/١٠٠ .

(٢) كما في الأصول ، وقال النبهاني ، المرجع السابق ص ١١١ : « الطبول » .

(٢٨١) محمد بن يوسف البناء^(١)

كان يبني بالأجرة فأخذ منه دانقا لنفقة ويتصدق بالبقية ، ويختتم كل يوم ختمة ، ولقى ستمائة شيخ وكتب الحديث الكثير ، وكان يقول بمكة : يارب إما أن تدخل قلبي المعرفة أو اقبضني إليك ، فسمع قائلا يقول : إن أردت هذا فصم شهراً ولا تكلم أحداً ، ثم ادخل قبة زمزم وسل الحاجة ، فسمع من البشر قائلا يقول : اختر أيهما أحب إليك ، العلم مع الغنى أم المعرفة مع الفقر ؟ فقال : المعرفة مع الفقر ، قيل : قد أعطيته ، مات سنة ست وثمانين ومائتين .

(٢٨٢) محمد بن المبارك الصوري

العبد ، الزاهد ، الراكع ، الساجد ، ذو العقل الوافى وال سور
الصافى ، والبيان الشافى ، كان سنته صحيحًا وخلقه صحيحًا .

(ومن فوائد) أعمال الصادقين بالقلوب وأعمال المرaines بالجوارح ،
وقال مهلا رحمك الله فإن في قلبك وجعا لا يبرئه إلا حبه ، وحزنا لا يزيله إلا
الأنس به ، وقال : ما خدم القلب خادم أحب إليه من البكاء ولا خدم البكاء
خادم أحب إليه من الشهيق والزفير ، وقال : من ألزم نفسه شيئا لا يحتاج إليه
ضيع من أحواله ما يحتاج إليه ، وقال : إذا لم تنتفع بكلامك فكيف ينتفع به
غيرك ، وقال : من دخل هذا الأمر بضعف قوى فيه . ومن دخله بقوه ضعف
وافتضح ، وقال : لو صر لعبد في عمره نفس بغير رباء ولا شرك أثر بركات
ذلك عليه إلى آخر الدهر ، وقال : كذب من ادعى المعرفة بالله ويداه ترعى في
قصص المتكبرين ، ومن وضع يده في قصعة غيره ذلت له رقبته ، وقال : ليس من
المعرفة بالله أن يجعل النفس مطية لهوى غيرك وطريقا لطلب دنيا مخلوق مثلك ،

أسند محمد هذا عن الأعلام والأثبتات ، وروى عن الأكابر الثقات .

(٢٨٣) مضاء بن عيسى الشامي^(١)

صوفى على المكانة ، وافر الصلاح عظيم الديانة ، جزيل العرفان ، لهج
بذكر أهل الأكفان ، اجتبه الحب واستلبه الخوف .

(ومن كلامه) حف الله يلهمك ، واعمل له لا يحوجك إلى دليل ،
وقال : حب الله يلهمك العمل له بلا دليل يلجهك إليه ، وإذا استقرت المحبة في
القلب ذهل عن الأهل والولد ، وقال : من أحب رجلا في الله وقصر في حقه فهو
كاذب في حبه ، وإذا أراد الله بشاب خيراً وفق له رجلا صالحا ، وقال : اتفقوا
على أن ترك لقمة خير من قيام ليلة ، أسند الحديث عن جماعة .

(٢٨٤) معروف بن فیروز الكرخی^(٢)

الملهوف إلى المعروف ، عن الفانى مصروف ، وبالباقي مشغوف ،
 وبالتحف محفوف ، وباللطف مرؤوف ، وقد قيل : التصوف التوقي من الأكدار
والتنقى من الأقدار ، وكان شيخ السلسلة وهو أستاذ السرى السقطى ، ولم يكن
في العراق في زمانه من يربى المریدين مثله حتى كان جميع المشايخ يعرفون في
ذلك فضله ، قال الغزالى : كان أحمد بن حنبل وابن معين يختلفان إليه ويسألانه
ولم يكن في علم الظاهر مثلهما ، فيقال لهما : مثلكم يفعل ذلك ؟ فيقولان :
كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وقد قال

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٠ - ٢١ : والسلمى ، طبقات ص ٩٨ ، والحاشية (ج) .

(٢) حلبة الأولياء ٨ / ٣٦٠ - ٣٦٨ : وصفة الصفوة ٢ / ٧٩ - ٨٣ : وطبقات الشعرانى ١ / ٨٤ :
والرسالة القشيرية ص ١٢ ، ووفيات الأعيان ٢ / ١٣٦ : والسلمى ، ٨٣ - ٩٠ : وتاريخ بغداد
١٩٩ / ١٣ - ٢٠٩ : ومرآة الجنان ١ / ٤٦٣ - ٤٦٠ : والشذرات ١ / ٣٦٠ .

المصطفى صلى الله عليه وسلم : سلوا الصالحين ، وكان مجاب الدعوة ويقول أهل بغداد : قبر معروف درياق مجرب ، وكان أبواه نصاريانين فسلماه للمعلم طفلا ، فصار المعلم يقول : قل ثالث ثلاثة ، فيقول : بل إله واحد ، فضريه ضربا مبرحا فهرب وأسلم وهو مولى على بن موسى الرضا .

(ومن كراماته) ما قاله خليل الصياد : غاب أبي فتأملت فجئت إلى معروف ، فقلت : غاب أبي فقال : ما ترید ؟ قلت : رجوعه ، فقال : اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك أنت بمحمد ، فأتيت بباب الشام فإذا هو واقف ، فقلت أين كنت ، قال : كنت الساعة بالأنبار ، ولا أعلم ما صار .

(ومن فوائده) كلام الرجل فيما لا يعنيه مقت من الله .

وقال : حقيقة الوفاء إفادة النفس من رقدة الغفلات ، وفراغ الهم عن فضول الآفات .

وقال : إذا أراد الله بعد خيراً فتح عليه باب العمل بما علم ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد به شراً فعكسه .

وقال : توكل على الله حتى يكون هو معلمك وأنيسك ، وموضع شكوكك ول يكن ذكر الموت جليسك لا يفارقك ، وكان من دعائه : اللهم لاتجعلنا بشناء الناس مغورين ولا بالستر مفتونين .

وقال : طول الأمل يمنع خير العمل ، وقال : كيف يكون تقىً من لا يدرى مaitiqi .

وقال : من قال كل يوم عشر مرات : اللهم أصلح أمّة محمد ، اللهم فرج عن أمّة محمد ، اللهم ارحم أمّة محمد كتب من الأبدال .

وقال : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، ورجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق .

وقال : السخاء إيثار ما تحتاج إليه عند الإعسار .

وقال : ما أكثر الصالحين ، وما أقل الصادقين منهم .

وقال : لولا خروج الدنيا من قلوب العارفين ما قدروا على فعل الطاعات ، ولو بقى من حبها ذرة في قلوبهم ما سلمت لهم سجدة واحدة .

وقال : العارف يرجع إلى الدنيا اضطرارا ، والمعنى اختيارا .

وقال : إذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين فلا يكرهه إلا من بقلبه مرض .

وقال : إذا أراد الله بعبد خيراً ذوى الخذلان عنه وأسكنه بين الفقراء الصادقين ، وإذا أراد به شرًا عطله عن العمل الصالح وأسكنه بين الأغنياء .

وقال : شفاء كل بلاء نزل بالعبد كتمانه ، فإن الناس لا ينفعونه ولا يضرونه ولا يعطونه ولا يمنعونه .

وقال : ليست المحبة من تعليم الخلق بل من مواهب الله .

وقال : إنما الدنيا قدر تغلى وكنيف يمألا .

وقال : احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم ، وقال التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما بأيدي الخلائق ، ومر بسقاء يقول رحم الله من يشرب فشرب فقيل ألم تكن صائما ؟ قال نعم لكن رجوت دعاءه . ونزل الدجلة ليتو筮ا ووضع مصحفه وملحفته فأخذتهما امرأة فتبعد عنها فقال : يا أختى لا بأس عليك ألك ابن يقرأ أزوج ؟ قالت : لا . قال : هاتى المصحف وخذى الشوب ، ولما مرض قيل له : أوصى قال : تصدقوا بقميصي فإنى أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا ، وكان يهدى إليه طيبات الطعام فياكل ، فيقال له : إن أخاك بشراً لا يأكله . فيقول : أخى قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة ، وإنما أنا ضيف فى دار مولاي مهما أطعمتني أكلت ، وقيل له : كل من دعاك تم

إليه ؟ قال : إنما أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني ، وكان يقول : يانفس أخلصى تخلصى ، ولم يزل على حاله إلى أن دنا من قبره فتدىلى ، وأعرض عن الدنيا وولى سنة إحدى ومائتين ببغداد ، وقيل سنة مائتين وقد أنسد الحديث عن جماعة .

(٢٨٥) **مُمَشَّادُ الْدِينُورِيٌّ**^(١)

من كبار المشايخ ، كان حسن الخلق والسياسة ، متحللاً بعقود الديانة والسياسة ، متلفعاً برد التواضع والأدب ، بالغاً في طريق القوم أعلى الرتب ، مقتفياً آثار مشايخ الطريقة ، سالكاً سبيل التصوف على الحقيقة ، صحب ابن الجلاء ومن فوقه ، وكان رأساً عظيماً في الزهد ، متيناً في الديانة ، رصيناً الصيانة ، له أوراد يقوم بأوقاتها ، وبعد ذلك لنفسه من أطيب أقواتها .

(ومن فوائد) الهمة مقدمة الأشياء ، فمن صلحت همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال .

وقال : أحسن الناس حالاً من أسقط عن نفسه رؤية الخلق ، وكان في الخلوات لسره مراعياً ، واعتمد في جميع أموره على من له أضحي كافلاً كافياً .

وقال : للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه فيها .

وقال : إنما ورث الحكماء الحكمة بالصمت والتفكير ، وقال : طريق الحق بعيد والصبر عليه شديد .

وقال : من دخل على شيخ بخطه انقطع عن بركته .

وقال : صحبة أهل الصلاح تورث في القلب الصلاح وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد .

(١) حلية الأولياء ٣٥٣/١٠ : وصفة الصفة ٦٠/٤ ، والرسالة القشيرية ٣٣ : ونتائج الأفكار القدسية ١٨٣/١ : وطبقات الشعراوي ١٢٠/١ ، والسلمي ، طبقات ، ٣١٦ - ٣١٨ .

وقال : لو جمعت حكمة الأولين والآخرين وادعى بـ أحوال الأولياء والصادقين ، لم تصل إلى درجة العارفين حتى تسكن سرك إلى الله وتتشق به فيما ضمن لك .

وقال : ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك ، وعن ذكر من لا يغفل عن ذكرك ، وأشرف على قوم فيهم قال فسكتوا ، فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه ، فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفا بعض ما بي .

وقال : منذ علمت أن أحوال القراء كلها جد لم أمازح فقيرا ، وذلك أن فقيراً قدم على فقال : أتريد أن تتخذ لى عصيدة ؟ فجرى على لسانى إرادة وعصيدة فتأخر الفقير ولم أشعر ، فأمرت باتخاذها وطلبته فقيل إنصرف فورا وهو يقول إرادة وعصيدة وهام على وجهه فى البداية ، ولم يزل يقولها حتى مات .

(ومن كراماته) أنه خرج من داره فنبحه كلب ، فقال : لا إله إلا الله فمات الكلب مكانه فورا ، وذكر الذهبى فى تاريخ الإسلام وقيل لمشاذ عند الموت : كيف تجدى العلة ؟ قال : سلوا العلة عنى ، فقيل له : قل لا إله إلا الله فحول رأسه إلى الجدار ، وقال : أفينت كلى بكلك هذا جزا من يحبك ، مات سنة تسع وتسعين ومائتين .

(٢٨٦) منصور بن عمار المروزى^(١)

من كبار حكماء الشيوخ ، وعظماء علماء أهل الرسوخ ، كان لآلاء الله اصفا ، وعلى بابه عاكفا بحوش العباد إليه ، ويلح فى المسألة عليه ، وكان كبير الشأن ، واعظا وورعا ، اقتحم البرارى وقطع المفاوز فى الليل السارى ، حتى بلغ

(١) حلية الأولياء ٣٢٥/٩ - ٣٣١ : الرسالة القشيرية ٢٣ : طبقات الشعراوى ٩٧/١ : تاريخ بغداد ١٣٦ / ١٣ - ٧٩ : وميزان الاعتدال ٢٠٢/٤ ، والسلمى ، طبقات ١٣٠ - ١٣٦ .

ما أراد من الوصول ، واستنفد المحاصل واستغرق المحسول .

(ومن كلامه) : سلامة النفس في مخالفتها ، وبلاؤها في اتباعها ،
وقال : الناس رجال عارف بنفسه فشغله المجاهدة والرياضة ، وعارف بربه فشغله
الخدمة والعبادة ، طلباً لمرضاته ، وكتب إليه بشر المرىسى : ما قولك في القرآن
أم مخلوق أم لا ؟ فكتب إليه : أما بعد ، عافاني الله وإياك من كل فتنه ، فإن
ي فعل فأعظم بها من نعمة وإلا فهو الهلكة ، اعلم أن الكلام في القرآن بدعة
اشترك فيها السائل والمجيب ، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما
ليس له ، والله تعالى الخالق وما دون الله مخلوق والقرآن كلام الله وائته إلى
أسمائه التي سمى الله بها تكن من المهددين ، ولا تبتدع في القرآن من قبلك
أسماء تكن من الضالين ، ﴿ وذر الذين يلحدون في أسمائه سيعجزون ما كانوا
يعملون ﴾ .

وقال : الغالب لهوا أشد من الذي يفتح المدينة وحده . وقال : الدمعة
إذا بقيت في الجفوف كان أبقى للحزن في الجوف ، ولو لا ذلك لاستراحتوا إلى
إسبال الدموع ، وقال : قلوب العباد كلها روحانية فإذا دخلها الشك أو الخبث
امتنع منها روحها .

وقال : الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق وفي قلوب
الزاهدين وفي قلوب العباد بلسان التوفيق ، وفي قلوب المريدين بلسان التفكير ،
وفي قلوب العلماء بلسان التذكير .

وقال : من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبة في دينه ، وقال :
سبحان من جعل قلوب العاقفين أوعية الفكر ، وقلوب أهل الدنيا أوعية الطمع ،
وقلوب الزاهدين أوعية التوكيل .

وقال : سلامة النفس في مخالفتها ، وبلاؤها في متابعتها .

أنسَدَ منصور عن جماعة من المحدثين ، ورُؤى في النوم فقيل : ما فعل

الله بك ؟ فقال : أقامنى ، وقال : يامشغب أنت المشغب لولا أنك أثنيت على
فى بعض مجالسك فمر بك ولى من أوليائى فاستحسن ثناءك على فاستوهبك
منى لعذتك .

حرف النون

(١) نفيسة بنت الحسن (٢٨٧)

ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ، ونشأت بالمدينة في العبادة
والزهادة ، تصوم النهار وتقوم الليل ، وتزوجت إسحاق المؤمن بن جعفر الصادق
فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، ثم قدمت مصر بها بنت عمها سكينة المدفونة
بقرب دار الخلافة بمصر ، وكان لها بها الشهرة التامة بالولالية فخعلت عليها
الشهرة واختفت ، فصار لنفيسة القبول التام بين الخاص والعام ، ولازالت
كذلك حتى ماتت في رمضان سنة ثمان ومائتين ، احتضرت وهي صائمة
فالزموها بالفطر وألحووا وأبرموا ، فقالت : واعجباه لى ، منذ ثلاثين سنة أسأل
الله أن ألقاه وأنا صائمة أفترط الآن ؟ هذا لا يكون ، ثم قرأت سورة الأنعام ،
فلما وصلت إلى قوله تعالى « لهم دار السلام عند ربهم » ماتت ، وكانت قد
حفرت قبرها بيديها وصارت تنزل فيه وتصلى وقرأت فيه ستة آلاف ختمة ، فلما
ماتت اجتمع الناس من القرى والبلدان وأوقدوا الشموع تلك الليلة ، وسمع
البكاء من كل دار بمصر ، وعظم الأسف عليها وصلى عليها في مشهد حافل لم
ير مثله بحيث امتلأ الفلوان والقيعان ، ثم دفنت في قبرها الذي حفرته في
بيتها بدرب السباع بالمراغة محل معروف بينه وبين مشهدها الذي يزار الآن
مسافة بعيدة ، ثم ظهرت في هذا المكان الذي يزار الآن لأن حكم أرباب البرزخ

(١) فوات الوفيات ٣١٠ / ٢ ; ووفيات الأعيان ١٦٩ / ٢ ; وخطط على باشا مبارك ١٣٥ / ٥ ; والعبر
للذهبي ٣٥٥ / ١ : وطبقات الشعراني ٥٨ / ١ : السخاوي الحنفي ، ص ١٠٤ وما بعدها .

حكم إنسان تدلّى في تيار جار فيطاف بعد ذلك في مكان آخر ، فطفت في هذا الموضع الذي هي فيه الآن وخاطبت بعض الأولياء منه ، قاله الشيخ على الخواص ، وذكر لى الشيخ حشيش الحمصاني أنها خاطبته من الأول أيضا ، وكان الشافعى يعتقدها ويزورها ، ولما مات أمر أمير مصر أن يروا على بيتها فمروا به عليها حتى صلت عليه مأومة في جماعة من النساء ، قال الذهبي : وكان والدها من سروات العلوين وأشرافهم وأجوادهم ، ولـى المدينة للمنصور خمس سنين ثم حبسه حتى مات المنصور ، فأخرجـه المـهـدى وأكرـمهـ ولمـ يـزـلـ معـهـ حتى مـاتـ فيـ طـرـيقـ الحـجـ .

(ولـ نـفـيـسـةـ كـرـامـاتـ كـثـيرـةـ) منها أنـ النـيلـ تـوـقـفـ فيـ أـوـانـ الـوـفـاءـ فـضـجـ الناسـ وـأـتـوـهـاـ فـأـعـطـتـهـ قـنـاعـهـاـ وـقـالـتـ : اـطـرـحـوهـ فيـهـ فـفـعـلـوـاـ ، فـأـوـفـىـ منـ ساعـتـهـ ، وـمـنـهاـ أـمـتـهـاـ جـوـهـرـةـ خـرـجـتـ لـيـلـةـ ذـاتـ مـطـرـ كـثـيرـ لـتـأـتـيـهـ بـاءـ لـلـوـضـوـءـ فـخـاـضـتـ مـاءـ الـمـطـرـ فـلـمـ يـبـتـلـ قـدـمـهـاـ ، وـمـنـهاـ أـنـهـاـ لـمـ قـدـمـتـ مـصـرـ نـزـلـتـ بـبـيـتـ يـهـودـىـ لـهـ اـبـنـةـ مـقـعـدـةـ فـذـهـبـوـاـ إـلـىـ الـحـمـامـ وـتـرـكـوـهـاـ عـنـهـاـ ، فـأـخـذـتـ مـنـ فـضـلـ وـضـوـئـهـاـ وـجـعـلـتـهـ عـلـىـ مـكـانـ وـجـعـهـاـ فـقـامـتـ تـمـشـيـ كـأـنـهـاـ نـشـطـتـ مـنـ عـقـالـ فـأـسـلـمـ أـهـلـهـاـ كـلـهـمـ ، وـقـبـرـهـاـ مـعـرـوـفـ بـإـجـابـةـ الدـعـاءـ ، عـلـيـهـ مـهـابـةـ وـنـورـ مـقـصـودـ لـلـزـيـارـةـ مـنـ كـلـ جـهـةـ ، وـأـرـادـ زـوـجـهـاـ نـقـلـهـاـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـدـفـنـهـاـ بـالـبـقـيعـ فـسـأـلـهـ أـهـلـ مـصـرـ فـتـرـكـهـاـ عـنـهـمـ لـلـتـبـرـكـ ، يـقـالـ : بـذـلـوـلـهـ مـاـلاـ كـثـيرـاـ ، وـقـيـلـ بـلـ رـأـيـ المصـطـفـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـقـالـ لـهـ : يـأـبـاـ إـسـحـاقـ^(١) لـتـعـارـضـ أـهـلـ مـصـرـ فـيـ نـفـيـسـةـ إـنـ الرـحـمـةـ تـنـزـلـ عـلـيـهـمـ بـبـرـكـتـهـاـ ، وـكـانـ أـخـوـهـاـ أـبـوـ القـاسـمـ بـنـ الـحـسـنـ زـاهـداـ عـابـداـ سـكـنـ أـوـلـادـهـ نـيـساـبـورـ ، وـالـسـيـدـ الـعـدـوـيـ شـيخـ الـبـيـهـقـىـ مـنـ أـوـلـادـهـ .

(١) أبو إسحاق المؤمن بن جعفر الصادق زوج السيدة نفيسة ، رضى الله عنها .

حرف اليماء / المثناة تحت

(٢٨٨) يحيى بن معاذ الرازى^(١)

المادح الشكار ، القانع الصبار ، كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، له سطوة تكف الأيدي عن الجور ، ومهابة تزعزع كل جبار متعدد الطور ؛ لزم الحداد توقياً من المعاد ، واستلذ السهاد تحرياً للوداد ، واحتمل الشداد توصلاته إلى العتاد ، وكان يلبس الخلقان والعباءة في بداية أمره ، ثم صار يلبس الناعم من الشياب ، فبلغ ذلك أباً يزيد البسطامى ، فقال : مسكنين من لم يقدر على لبس الخشن ، فكيف يقدر على الناعم أو يصبر عليه بلا ميل وشهوة .

(ومن فوائده) إن وضع الله على عباده عدله لم يبق لهم حسنة ، وإن أنالهم فضلهم لم يبق عليهم سيئة ، وقال : مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة بالقلوب .

وقال : من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلق .

وقال : الوحدة جليس الصديقين .

وقال : من خالط الناس داراهم ومن داراهم رياهم .

وقال في مناجاته : رجالى لك مع الذنوب يغلب رجالى لك مع الأعمال ، لأنى أجدى أعتمد في الأعمال على الإخلاص وأنا بالآفات معروف ، وأعتمد في الذنوب على عفوك وأنت بالجحود موصوف .

وقال : مسكنين ابن آدم قطع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار .

وقال : العارف يستغلى بربه عن مفاحرة الأشكال في مجالس العطايا ،

(١) حلبة الأولياء ٥١/١ - ٧٠ : وصفة الصفة ٧١/٤ - ٨٠ : والرسالة القشيرية ٢١ : وطبقات الشعراني ٩٤/١ : والسلمى ١٠٧ - ١١٤ : وفيات الأعيان ٢٩٦/٢ : وتاريخ بغداد ٢٠٨/١٤ - ٢١٢ : والشذرات ١٣٨/٢ .

وعن منازعة الأضداد في مجالس البلايا ، وقال : تضاحت الأشياء إلى العارفين بأفواه القدرة عن مليكهم لما يرون فيها ويعانون من بدائع خلقه معها فلهم في كل شيء معتبر ، وعند كل شيء مذكر .

وقال : زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها .

وقال : في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال : العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبني قبره قبل أن يدخله ، وأرضي خالقه قبل أن يلقاه .

وقال : إذا لم يكن الإيمان هادما للسيئات كما أن الكفر هادم للحسنات
فما فضل الإيمان ؟

وقال : لا يفلح من شمت منه رائحة الرئاستة .

وقال : جماع الأمر في شيئين ، سلوك القلب مع الله على حصول ما
قسم والاجتهاد في رضاه .

وقال : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمنهما للعبد في ماله عند
موته يؤخذ عنه كله ، ويسأله عنه كله .

وقال : لاستبطئ الإجابة إذا دعوت وأنت سدت طرقها بالذنب وأكل
الحرام .

وقال : اترك الدنيا قبل أن تتركك ، واجتهد في رضا ربك قبل لقاءه
و عمر بيتك الذي تسكنه قبل انتقالك إليه ، يعني القبر .

وقال : الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها .

وقال : ليس من العقل بنيان القصور على الجسور .

وقال : ذنب أفتقر به أحب إلى طاعة أعجب بها .

وقال : حقيقة المحبة لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء .

وقال : الدنيا خراب وأخرب منها قلب من يعمرها ، والآخرة عمران فاعمر منها قلب من يطلبها .

وقال : أخوك من عرفك العيوب وصديقك من حذرك الذنوب ، وعجب من يحزن على نقص ماله كيف لا يحزن على نقص عمره .

وقال : من قوة اليقين ترك ما ترى لما لا ترى ، وقال : لا تأسف على مفقود لا يرده عليه القرب ، ولا تفرح بوجود لا يتركه في يديك الموت .

وقال : الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لا يفيق إلا في عسكر الموتى .

وقال : التواضع حسن في كل أحد لكنه في الأغنياء أحسن ، والتكبر قبيح في كل أحد لكنه في الفقراء أقبح .

وقال : الجوع نور ، والشبع نار ، والشهوة كالخطب يتولد منه الإحراء ولا تنطفئ ناره حتى تحرق صاحبه .

وقال : علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات .

وقال : إن الله رضي عن قوم فغفر لهم السيّات ، وغضب على قوم فلم يقبل منهم الحسنات .

وقال : الدنيا بحر التلف والنجاة منه الزهد .

وقال : يا غفول يا جهول ، لو سمعت صرير القلم حين تجري بذكرك في اللوح المحفوظ مت طربا .

وقال : من أصبح بالدنيا مشغولا أصبح الخير عنه مصروفا .

وقال : على قدر حب العبد لله يحبه إلى عباده ، وعلى قدر توقيره لأمره يوقره خلقه .

وقال : لاتكن من يفضحه يوم موته ميراثه ، ويوم حشره ميزانه .

وقال : بقدر تعلق قلبك بالدنيا يكون بعدك عن الله .

وقال : إذا أحب القلب الخلوة فقد يوصله حبه إلى الله والأنس به ، ومن أنس بالله استوحش من غيره ، وقال : أعمال كالسراب ؛ وقلوب من التقوى خراب ، وذنوب بعدد التراب ، وتتطمع مع هذا في الكواكب الأتراك ؟ ! هيئات هيئات أنت سكران بغير شراب .

وقال : الوحيدة جليس الصديقين والفتى أشد من الموت ، لأن الفتى انقطاع عن الحق ، والموت انقطاع عن الخلق .

وقال : الزهد ثلاثة أشياء ، القلة والخلوة والجوع ؛ ومن خان الله تعالى في السر هتك ستة في العلانية .

وقال : من لم يكن ظاهره مع العوام فضة ومع المريدين ذهبا ، ومع العارفين درا وباقوتا ، فليس من حكماء الله المريدين .

وقال : أحسن شيء كلام صحيح من لسان فصيح .

وقال : ما بعد طريق إلى صديق ، وقال : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة .

وقال : ما صحت إرادة أحد قط فمات حتى حن إلى الموت واشتهره اشتهر الجائع إلى الطعام .

وقال : من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطا .

وقال : التوحيد نور والشك نار ، ولنور التوحيد أحرق لسيارات الموحدين من نار الشك لحسنات الموحدين .

وقال : إن نظر إليك مرة فرغك لذكره ، وإن فرغك لذكره من عليك بحبه ، وإن من عليك بحبه ناجاك بقربه .

وقال : إن لله عباداً إذا مشوا على الأرض اهتزت تحت أقدامهم سروراً بهم ، وقرئ عنده « فقولا له قولا لينا »^(١) وقال : هذا رفقك من يقول : أنا إله ، فكيف رحمتك من يقول : أنت إله ؟ هذا رفقك من يعاديك فكيف من يتولاك ويناديك ، هذا رفقك من يقول : أنا رب فكيف من يقول : أنا العبد وأنت رب .

وقال : كم من مستغفر مقوت وساكت مرحوم ، هذا استغفر الله وقلبه فاجر ، وهذا ساكت وقلبه ذاكر ، ودخل على علوى زائر العلوى : ما يقول الأستاذ فيما أهل البيت ؟ فقال : ما أقول في طين عجن باء الوحى وغرس باء الرسالة ، فهل يفوح منها إلا مسك الهدى وعنبر التقى فملا العلوى فاه درا ثم زاره العلوى من الغد ، فقال له صاحب الترجمة : إن زرتنا بفضلك ، وإن زرناك فلفضلك ، فلنك الفضل زائراً ومزوراً .

مات بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين .

(الطبقة الرابعة من الكواكب الدرية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل المريد الصادق ذا بصر وبصيرة في سلوك الطريق
حافظا لأوقاته ضابطا لما يتوصل به في مدارج العز والتحقيق ، عمته نعمته
تعالى على عباده فخص من شاء بمزيد الإنعام ، وشملت مواهبه أهل وداره فقريرهم
وأقر أعين من شاء من خاص وعام ، أدناهم وهذبهم فدخلوا في حزب المفلحين في
الجنان مطمئنين بغير إزعاج ، هب عليهم نسيم القرب في روضة الأنس والحب
فسرحت نفوسهم لنيل المطالب والابتهاج ، وساق إليهم هدايا الهدایة تحفاً موصولة
للمسارب والرواج ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله صاحب المعراج
والله وصحابه والتابعين ما اضطرب البحر العجاج بالأمواج ، وبعد :

فهذه الطبقة الرابعة من الكواكب الدرية ، فيمن مات في القرن الرابع
إلى آخر الخمسمائة وهم خمسة وتسعون :

(حرف الألف) إبراهيم بن أحمد بن المولد . إبراهيم القرميسيني . إبراهيم
أبو إسحاق السبائي . إبراهيم بن محمد النصاراباذى . إبراهيم الآجري أحمد بن
حمدان . أحمد بن سعدان البغدادي . أحمد أبو علي الرودباري . أحمد بن محمد
الحريري . أحمد أبو سعيد بن الأعرابي . أحمد بن محمد الدينوري أحمد أبو
الطيب بن بنت الشافعى . أحمد أبو على المسوحى . أحمد بن جعفر بن هانئ .
أحمد بن سهل البوشنجي . أحمد الخياط الدبيلى . أحمد المغربي . أحمد السبتي
المقرىء . أحمد بن محمد الآدى . أحمد بن يحيى الجلاء . أحمد بن عطاء
الرودباري . أبو سعيد بن أبي هاشم . أبو بكر بن الأبيض . أبو بكر القاسى
الطمسستانى . أبو على الزقاق . أبو الحير التينانى . أبو عمرو الدمشقى .
أبو الحسين بن بنان الجمال . أبو على المعتوه المجنوب . أبو العباس القاسم

اليسارى أبو القاسم بن أحمد المغرى . أبو عبد الله البرائى . أبو الفتح يوسف
القواس أبو أحمد القلانسى . اسماعيل بن نجيد السلمى . اسحق أبو يعقوب
النهر حورى (حرف الباء) بنان الجمال الواسطى . بقدار بن الحسين الشيرازى .
بشر بن بشار المجاشعى (حرف الجيم) جعفر الخلدى البغدادى (حرف الحاء)
الحسين الحلاج البيضاوى . حسن أبو الحسين الكابشى . الحسن الصبيحى
البصري . الحسن بن أحمد الكاتب المصرى . الحسين بن على بن بزدانىار .
الحسين بن على الجوزجانى (حرف الدال) دلف أبو بكر الشبلى . دينار العايد
الزاھد . (حرف الراء) رويم بن أحمد الفطن (حرف الزاء) زهير بن نعيم البابى .
ذكرى بن الصلت (حرف السين) سعيد أبو عثمان المغرى (حرف الشين) شاه
الكرمانى (حرف الطاء) طاهر المقدسى . طاهر بن بايشاذ النحوى (حرف
العين) عبد الله الشعراوى . عبد الله الراسبى البغدادى . عبد الله المرتعش
النيسابورى . عبد الله بن طاهر الأبهرى . على بن ابراهيم الحصرى البغدادى . على
بن بندار الصوفى . على أبو الحسن الدينورى . على أبو الحسن الأصبهانى . على
المزين البغدادى . على أبو الحسن بن بشار الزاھد . على بن هند القرشى الفارسى .
عائشة بنت أبي عثمان الحىرى (حرف الميم) محمد الوراق البلخى . محمد
الزجاجى النيسابورى . محمد أبو بكر الدقى الدينورى محمد بن أحمد النيسابورى .
محمد بن حمدون القزار . محمد بن أحمد المقرىء . محمد بن عبد الخالق الدينورى
محمد بن على الترمذى . محمد أبو سهل الصعلوكى . محمد بن شمعون البغدادى . محمد بن
اسحاق . محمد بن الحسين الخشوعى . محمد بن يعقوب العرجى . محمد الضبى
الشيرازى . محمد أبو بكر الكنانى البغدادى . محمد بن عليان النسوى . محمد بن
الفضل البلخى . محمد بن الحسن النزو عندي . محمد بن سعد الوراق . محمد
ابن عبد الجبار النجرى . محمد بن عبد الوهاب الثقفى . محمد بن منازل
النيسابورى . محمد أبو بكر المعلم التيمى . محمد أبو بكر الواسطى . محمد بن معدان البناء .
محمد بن يوسف الرازى . محفوظ بن محمود النيسابورى . مظهر القرميسينى .

حرف الهمزة

(١) إبراهيم بن أحمد بن المولد (٢٨٩)

كان صوفيا عالماً مفتنا ، ذا فضائل و معارف و عبادة و صلاح و حسن
أخلاق من كبار مشايخ الرقة (٢) ، صحب القصار و ابن الجلاء وغيرهما .

(ومن كلامه) من تولته رعاية الحق أجل من تولته رعاية العلم (٣) ،
وقال : خلقت الأرواح في الأفراح فهي تعلو أبدا إلى محل الفرح من المشاهدة ،
وخلقت الأجسام من الأكماد فلأنزال ترجع إلى كمدها من طلب الشهوات الفاتنة
والاهتمام بها ، ومن قام إلى أوامر الله بالله كان مقبولاً قطعاً ، ومن قام بنفسه
كان بين قبول ورد ، والفتررة بعد المجاهدة من فساد الابتداء ، والمحجب بعد
الكشف من السكون إلى الأحوال ، وقال : نفسك سائرة بك وقلبك طائر بك فكن
مع أسرعهما ، وقال : السياحة بالنفس لأرباب الظواهر علماً و شرعاً و خلقاً ،
والسياحة بالقلب لأرباب البواطن حالاً و وجداً وكشفاً .

(٤) إبراهيم بن شيبان القرميسي

شيخ الجبل في زمانه ، وإمام أهل الحقائق في أوانه
كان من رجال الزمان هيبة وإقداماً ، ومن يتعب الشيطان إرغاماً ،

(١) إبراهيم بن محمد بن المولد الرقي ، أبو الحسن الزاهد الصوفي الراوِي ، شيخ الصوفية ،
المتوفى سنة ٣٤٢ هـ . انظر ترجمته في حلية الأولياء ٣٦٤/١٠ : وطبقات الشعراني ١٣٦/١
والشذرات ٣٦٢/٣ ، والسلمي ٤١٠ - ٤١٣ .

(٢) مدينة مشهورة على الفرات ، معجم البلدان ٥٨/٣ - ٦٠ .

(٣) جاءت « من تولاه الله برعاية الحق » في الشذرات ، المرجع السابق .

(٤) اللباب ٢٥٥ / ٢ : والسلمي ٢٤٢ والحاشية (١) : وحلية الأولياء ٣٦١/١٠ : والرسالة القشيرية
٣٤٤ / ٢ : ونتائج الأفكار القدسية ١٩٩/١ : وطبقات الشعراني ١٣٢/١ : والشذرات ٣٤٤ / ٢ -
٣٤٥ حيث جاءت وفاته سنة ٣٣٧ هـ .

لايها بأسود إذا فجرت فاها ولا الأيام إذا أدبرت وأولته جفها ، صحب الخواص والمغربي وكان شديداً على المدعين متمسكا بالكتاب والسنن ملازم لطريق الأئمة .

(ومن كلامه) من أراد أن يتعطل عن السير فليلزم الرخص ، وقال : ما قطع الطريق على الفقراء وأهلكم إلما ميلهم لما عليه أهل الدنيا ، وقال : علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية ؛ وما عدا ذلك مغالط وزنقة ، وقال : من تكلم في الإخلاص ولم يطالب نفسه به ابتلاه الله بهتك سره عند الأقران والإخوان ، وقال : بينما أنا أدور في جبل لبنان إذ خرج شاب أحرقته السموم والرياضة ، فلما رأى ولى هارباً فتبعته وقلت : عظني بكلمة ، فقال : احذره فإنه غيور ولا يحب أن يرى في قلب عبده سواه ، وسئل عن وصف العارف ، فقال : كنت على جبل الطور مع شيخنا أبي عبد الله المغربي فبينا نحن ذات يوم قعود تحت شجرة بمكان فيه عشب فتكلم الشيخ في علوم المعارف ، فرأيت شاباً يتنفس فاحترق ما بين يديه من العشب الأخضر ، ثم غاب فلم نره ، فقال الشيخ : هذا هو العارف ، وقال : إذا سكن المخوف القلب أحرق مواضع الشهوات فيه وطرد رغبة الدنيا عنه ، وقال : من ترك حرمة المشايخ ابتلى بالدعوى الكاذبة وافتضح بها ، وقال : لا تصحب من يقول : نعلى أو قصعتى ، وقال : إياك أن يشغلك عن الله شاغل فقل من أعرض عنه فأقبل عليه ، وقال : الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرمة في القناعة ، وقال : ما بت تحت سقف ولا بمحل عليه غلق أربعين سنة ، وكنت أشتهرى شعبة من عدس فلم يتفق ، فدخلت الشام فحمل إلى غضارة فيها عدس فتناولت منه وخرجت ، فرأيت قوارير معلقة فيها خمر فكسرتها فحملت إلى السلطان فأمر بضربي مائة وسجنت ، فبقيت مدة حتى دخل أبو عبد الله المغربي أستاذى البلدة فشفع في ، فلما وقع بصره على قال : إيش فعلت ؟ قلت : شعبة عدس بمائة خشبة والسجن ، قال : نجوت مجاناً ، وقال : كنا مجتمعين على جبل مع أستاذنا

المغربي ، وكانوا يتحاورون في العلم فوquette عينى على شاب قد انتفخ بطنه وعيناه قد خرتا ، فقلت في نفسي : هذا الشاب ينتشق الساعة فتنفس فأحرق كل حشيش حوله ، مات سنة ثلاثين وثلاثمائة .

(١) إبراهيم بن أحمد الحسبياني (٢٩١)

ابن أسلم أبو إسحاق الحسبياني البكري بن بكر بن وايل

كان من الأبدال ، وأحد الاتمة المقتدى بهم في الأفعال ، حتى أفرد أبو القاسم الليبيدي ، وأبو بكر المالكي أخباره وسيره بالتأليف ، وكان سلفه من أهل الخطط بقيروان ، وله الحظ الوافر في التعبير واختلاف العلماء واللغة ، والعربية ، والتفسير وناسخه ومنسوخه ، قال القابسي : هو إمام يقتدى به ، وابن أبي زيد : طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد ، وكان ما يتغير على أحد فيفتح ، وإذا رأى ذكر الله من هيبيته ، وكان من كثرة العبادة قد جف جلدته على عظميه واسود لونه ، وكثير صمته وقل كلامه ، وإذا تكلم نطق بالحكمة .

(ومن كلامه) اتبع ولا تبتدع ، اضع ولا ترفع ، من ورع لا يتسع ،
مات بقيروان سنة تسع وستين وثلاثمائة عن تسعين سنة .

إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق السبائي (٢)

ثم القيرواني

أحد العلماء الذين ينزل بدعائهم القطر ، وظهور لهم البراهين وأنفاسهم كالقطر ، وصاحب ابن نصر وابن بشار والقصرى وغيرهم ، وأخذ عنه الجم

(١) النبهانى ٢٣٥/١ .

(٢) لعله نفس الشخص المذكور أعلاه .

الكثير ، وأخذ من علم الظاهر والباطن الحظ الوافر الغزير ، وكان إذا وقف أهل عصره كابن أبي يزيد والقابسي في المشكلات وحضروا لديه انحلت إليهم تلك المهمات ، وكانت أكابر قيروان إذا نزلت بهم الحوادث اقتدوا به في أفعاله ، فإن أغلق بابه أغلقوه وإن فتحوه فتحوه تأسيا به فيه ، قال ابن نصر : لو وزن إيمان أبي إسحاق بأهل المغرب لرجحهم ، وكان كثير الورع والاجتهاد في العبادة ، وقاها عن الشبهات ، حسن الأخلاق ، غير الدمعة مجاب الدعوة ، وكان خبره السميد ، فقيل له في ذلك : لو علمت أن الجوهر يزيد في عقله لسحقته وأكلته فإن نفسي لا تصلح إلا إذا أكلت طيبا ، وقال : اتجه بالعلم والبس بالورع ، وقال بعضهم : كنا إذا دخلنا عقدنا التوبة ببابه مخافة أن ينطق فيما بشيء ، مات سنة ست وخمسين وثلاثمائة سنة عن ست وثمانين سنة .

(٢٩٢) إبراهيم بن محمد أبو القاسم النصراني^(١)

شيخ خراسان علماء وحالا ، كان في علم التصوف إماما ، وفي فن التعرف لم تقدم ختاما . مخالف للزهد والورع ، مخالفًا لمن زاغ عن الطريق وابتدع ، كاشف لهم ، هاطل الغمام ، حسن الأخلاق ، لطيف الكلام ، فصيح اللسان عذب العبارة لا يلهيه عن ذكر الله بيع ولا تجارة ، أخذ الحديث عن ابن خزيمة وابن أبي حاتم والطحاوي وغيرهم وعنهم الحاكم وغيره ، وصاحب الشبلي والمرتعش والطبيقة ، وكان فيه نفع للناس في الشفاعة في قضاء أشغالهم ، ومبادرة إلى تلقى مصالحهم ، وتمشية أحوالهم لا يتوقف في خير يقصد فيه ، ولا يبالى إن كان فيه تلفه أو تلافيه .

(ومن كلامه) : إذا أعطاك حباك ، وإذا لم يعطك حماك ، وشتان ما بين الحباء والحماء ، فإذا حباك شغلك ، وإذا حماك حملك ، وقال : إن الله

(١) الرسالة القشيرية ٣٩ : والسلمي ٤٨٤ - ٤٨٨ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١٣/٢ - ١٥ ؛ وطبقات الشعراني ١٤٤/١ ؛ والشنرات ٥٨/٣ ؛ وتاريخ بغداد ١٦٩/٦ ؛ واللباب ٢٢٥/٣ ؛ والمنتظم ٨٩/٧ ؛ والنجم الزاهرة ١٢٩/٤ - ١٣١ .

اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وقال : بعلمى اشتريتهم ويحكى بعثهم ، فلا ينقض علمي حكمى ولا حكمى علمى ، وقال : من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه ، وقال : سجنك نفسك فإذا خرجم منها وقعت فى راحة الأدب ، والخروج عنها بمخالفتها ، وقال : من أدب العارف أن يعظم ما عظمه الله من أمور الكون ؛ وقال : من عمل على رؤية الجراء فأعماله بالعد والإحصاء ، ومن عمل على المشاهدة أذهله عن العدد ، وكان أجره بلا عدد ، وقال : دماء المحبين تحبس وتغلب وهم واقفون مع الحق فى مقام إن تقدموا غرقوا وإن تأخروا حجبوا ، وقال : الحق غبور، وإذا بدا لك شيء من بوادي الحق فلا تلتفت معه لجنة ولا لنار ، فإذا رجعت السلو عن تلك الحال فعظم ما عظمه ، وقال : نهايات الأولياء بدايات الأنبياء ، وجمال المحبة مجانية على كل حال ثم أنسد :

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة فإنى من ليلى لها غير ذائق
وأكبر شئ نلتة من وصالها أمانى لم تصدق كلمحة بارق
ومن نظمه أيضا ، وكان كثيراً ما ينشده :

خرجووا ليستسقوا فقلت لهم قفوا دمعى ينوب لكم عن الأنواء
قالوا صدقتك ففى دموعك مقنع لولم تكن مزوجة بدماء

وقال : للنفس قوت إذا أحرزت اطمأنة ، وللقلب قوت وهو
الطمأنينة ، وللسُّر قوت وهو الفكر ، وللروح قوت وهو السَّماع ، والقوت فى
الحقيقة هو الله ، لأن فيه الكفايات ، ثم أنسد :

إذا كنت قوت النفس ثم تركتها فلم تلبث النفس التى أنت قوتها
ستبقى بقاء العشب فى الماء أو كما يعيش ببيداء المهامه حوتها

وقال : الجذب أسرع فى الوصول من السلوك فإن كل جذبة من الحق

تغنى العبد عن أعمال الشقين ، وقال : أصل التصوف لزوم الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعدار الخلق أى قبولها منهم ، ودوس الأوراد وتجنب الرخص والتأويلات ، وقال : الزاهد غريب فى الدنيا ، والعارف غريب فى الآخرة ، وقال : إنما سمي الله أهل الكهف فتية ، لأنهم آمنوا بلا واسطة ، وقال : مرضت بالبادية فأيست من نفسي فوقع بصرى على القمر نهارا فرأيت مكتوبنا عليه ، فسيكفيهم الله ، فاستقللت وفتح علىَّ من ذلك الوقت ، وسئلَ لمْ يتكلم المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، في المعرفة ؟ قال : لأنَّه كمل في معرفته وكل من كمل في شيء أقل الكلام فيه ، ولم يزل على حاله حتى ضمه ترابه ، وفارقَه أحبابه وأترابه ، في سنة سبع وستين وثلاثمائة ، ورؤى في المنام فقيل له : ما فعل بك ، قال : عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم : أبعد الاتصال انتصالا !!! فقلت : لا يازا الجلال .

(٢٩٣) إبراهيم الأجرى

بغدادي له الآيات العجيبة ، والكرامات اللطيفة ، منها أنه جاءه يهودي يقتضيه دينا ، فقال له : أرني شيئاً أعرف به شرف الإسلام على ديني فأسلم ، فأخذ رداءه وجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورماه في نار كانون الأجر ودخل في أثره فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح رداءه نفسه وهو صحيح ، وأخرج رداء اليهودي محترقاً كالفحش فأسلم .

(٢٩٤) أحمد بن حمدان بن علي بن سنان

من أكابر الأعيان ، صحب الحداد وأبا عثمان ، وكان صدراً مبجلاً ،

(١) النبهاني ٢٣٥/١ عن القشيري .

(٢) السلمي ٣٣٢ - ١٢١ ، وطبقات الشعرانى ٢٦٤/٢ ، ومرأة الجنان ٢٦٤/٢ ، والمنتظم ١٧٦/٦ ، والشذرات ٢٦١/٢ .

وإماماً مفخماً ، ومحباً للأبرار مجانباً للأغيار ، وله تسرع إلى الخير ، وهمة تسابق البرق فضلاً عن الطير .

(ومن فوائدك) تكبر المطیع على العاصي بطاعته شر من معصية العصاة وأضر عليه منها ، كما أن التهاون عن التوبة من الذنب شر منه ، وقال : كيف يبغض أحدكم أخاه لذنب واحد ولا يبغض نفسه لذنوب كثيرة ، وقال : من سكتت عظمة الله قلبه عظم كل من انتسب إليه بالعبودية ، وقال : علامه صدق من انقطع إلى الله أن لا يشغل عنه شيء من الكونين ، وقال : جمال الرجل في حسن مقاله ، وكماله في صدق فعله ، وقال : من لزم العزلة والخلوة كان أقل لفضحته في الدنيا إلى أن يبلغ إلى فضيحة الآخرة ، وقال : من عرف الله خضع له وإنقاد في خضوعه المتولد من تعظيمه لربه ، ومن عرف ربه صغر في عينه كل من سواه ، ومات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

(٢٩٥) أحمد بن محمد بن أبي سعدان (١)

كان في وقته شيخ الإفادة ، المنفرد في التربية بفنون الإجاده ، وصاحب الجنيد وطبقته وكان عالماً بمذهب الشافعى ، ذا لسان وبيان ، وجاه وجاهة عند أكابر الأعيان ، ومعرفة بعلوم شتى وربما درس في بعض الأحيان وأفتى ، وطلب الخليفة من يرسله إلى الروم ، فلم يجد أعلم منه ، ولا أفصح ، ولا أجود عبارة ، ولا أوضح ، فوجهه ، مما واجهه أحد من علماء الروم إلا وغلبه ، وبهت عقله وسلبه .

(ومن كلامه) لا يكمل حال فقير حتى يعلم علم الدراسة والرواية ، وهناك يهتدى إلى سبيل الحق ، وقال : إذا بدت علوم الحقائق طمست آثار

(١) حلية الأولياء ٣٧٧/١٠ : والسلمي ، ٤٢٠ - ٤٢٣ ؛ وطبقات الشعراني ١٣٧/١ ، وتاريخ بغداد ٣٦١/٤

الفهوم والعلوم ، وقال : الصوفى لا يقف مع النعوت ، ولا الرسوم .

(٢٩٦) **أحمد بن محمد العارف أبو على الروذباري** ^(١)

بضم الراء وسكون الواو ودال مهملة وموحدة مفتوحة وآخره راء ، كان من أئمة الصوفية ، وعلماء الشافعية ، ساد أهل ذلك المذهب في زمانه ، حتى صار أمثلهم طوع مرامه ، وقوساً في يده يرمي بها إلى غرضه بسهامه ، وهو بغدادي الأصل من أبناء الوزراء والرؤساء ونسبة متصل بكسرى ، وكان عالماً محدثاً صوفياً ، وصاحب في التصوف الجنيد والفقه ابن سريح ، والحديث إبراهيم الحربي ، والنحو جماعة منهم ثعلب ، وكان يفتخر بذلك ، أقام بمصر وصار فقيهاً ومحدثهاً وصوفياً يقصد الأخذ عنه من جميع الآفاق ، وأتاه جمع من الفقراء فاعتقل منهم واحد فأمر أصحابه بخدمته فملوا ، فحلف أن لا يخدمه غيره فخدمه بنفسه حتى مات فدفنه ، فلما أراد فتح رأس كفنه ليضجعه مستويًا ففتح عينيه ، وقال : يا أبا على لأنصرك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني بمخالفة نفسيك ، وقال : دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا : كنا بجنازة فتى سمع قائلاً يقول :

كبرت همة عين طمعت في أن تراكى

فشهق فمات ، وقال : اتخد رجل ضيافة فأوقد فيها ألف سراج ، فقال له رجل : أسرفت ، قال : ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطفيئه ، فدخل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع ، ومر يوماً على الفرات وقد عرضاً نفسه شهوة السمك فقذف الماء سمكة نحوه ، وإذا برجل يعود ويقول : أشويها لك

(١) حلبة الأولياء ٣٥٦/١٠ : وصفة الصفوة ٢٥٦/٢ : والرسالة القشيرية ٣٤ : ونتائج الأفكار القدسية ١٩٠/١ : وطبقات الشعراني ١٢٤/١ ، واللباب ٤٨٠/١ : وحسن المحاضرة ٢٢٥/١ ، وتاريخ بغداد ٣٢٩/١ : والمنتظم ٢٧٢/٦ : والبداية والنهاية ١٨١/١١ : والسلمي ٣٥٤ - ٣٦٠ : والشذرات ٢٩٦/٢ .

فشوها له وأكلها .

(ومن فوائد) الإشارة الإبانة عما تضمنه الوجد من المشار إليه ، وفي الحقيقة الإشارة تصحبها العلل ، والخلل بعيدة من الحقائق ، وقال : لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد لم يبق محبا إلا مات حالا ، وقال : والأهم قبل أفعالهم وعاداتهم قبل أفعالهم ثم جازاهم بأفعالهم ، وقال : المريد من لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله له ، والمراد لا يريد من الكونين شيئا غيره ، وقال : المشتاقون إلى الله يجدون حلاوة الوقت حين وروده لما كشف لهم من روح الوصول إلى قريه أحلى من الشهد ، وقال : إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب ، وقال : دخلت الآفة فى القوم من ثلات ، سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة ، وقال اكتساب الدنيا مذلة واكتساب الآخرة عز ، فوا عجبا لمن يختار الذل على العز . وقال : سبحان من لا يشهده شيء ولا يغيب عنه شيء ، وقال : لما تشوّقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق ألقى إليها الأسماء كلها فسكنت وركنت إليها ، والذات مستترة إلى التجلى الأخرى ، وقال : المشاهدة للقلوب والمكاشفة للأسرار والمعاينة للبصائر والمرئيات للأبصار ، وقال : من نظر إلى كمال نفسه مرة عمى قلبه عن النظر إلى شيء من الأكونان على وجه الاعتبار ، وقال : ما دعى أحد قط دعوى إلا خلوه عن الحقائق ؛ إذ لو تحقق بشيء نطق عنـه الحقيقة وأغنته عن الدعاوى ، وقال : التصوف الإنداخة على باب الحق وإن طردوه ، وقال : من علامـة مقتـالـه للعبدـ أنـ يضـجرـ منـ طـولـ مجـالـسـ الذـكـرـ لأنـهـ لـوـ أـحـبـ الحقـ تـعـالـىـ كـانـتـ مـجاـلسـتـهـ لـهـ أـلـفـ سـنـةـ كـلـمـحةـ ،ـ وـقـالـ :ـ لـاـ يـنـيـغـيـ أـنـ يـتـصـدىـ لـتـرـيـةـ الـأـحـدـاتـ إـلـاـ الـكـمـلـ لـعـظـمـ سـيـاسـتـهـ لـأـنـ الشـبـابـ شـعـبـةـ مـنـ الجـنـونـ ،ـ وـسـمـعـ عـمـنـ يـسـمـعـ مـنـ الـمـلاـهـىـ وـيـقـولـ :ـ لـاـ تـؤـثـرـ فـيـ لـأـنـىـ وـصـلـتـ إـلـىـ مـقـامـ لـاـ يـؤـثـرـ فـيـ الـاخـتـلـافـ ،ـ فـقـالـ :ـ قـدـ وـصـلـ وـلـكـنـ إـلـىـ سـقـرـ ،ـ قـالـ السـبـكـىـ :ـ وـقـدـ يـتوـصـلـ بـهـذـاـ إـلـىـ زـعـمـ أـنـهـ كـانـ لـاـ يـرـىـ السـمـاعـ وـالـذـىـ يـظـهـرـ مـنـ كـلـامـهـ أـنـهـ إـنـاـ أـنـكـرـ مـنـ هـذـاـ الـقـائـلـ إـظـهـارـهـ الـوـصـولـ إـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ ،ـ فـإـنـ الـوـاـصـلـ إـلـيـهـ لـاـ يـتـظـاهـرـ بـذـلـكـ

إلا بأدب وليس مراده تحريم السماع ولا إنكار أن بعض الناس لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال ، كيف ومن كلامه أيضا : السماع مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب ، وقال : أعظم اليقين ما عظم الحق في عينك وصغر ما دونه عندك وأثبتت الرجاء والخوف في قلبك ، وقال : من الاغترار أن تسييء فيحسن إليك ، فتترك الإنابة توهما أنك تسامح من الهفوات ، وترى أن ذلك من بسط الحق لك ، وقال : الصول على من دونك ضعف ، وعلى من فوقك قحة ، ومن نظمه .

روحى إليك بكلها قد أجمعت لو أن فيك هلاكها ما أقلعت

تبكى إليك بكلها عن كلها حتى يقال : من البكاء تقطعت

فانظر إليها نظرة فلطاماً متعتها من نعمة فتمتنع

وقال : كيف تشهده الأشياء وبه فنيت ذواتها ، أم كيف غابت الأشياء

عنه وبه ظهرت بصفاته ؟ فسبحان من لا يشهده شيء ولا يغيب عنه شيء .

إن الحقيقة غير ما يتوهم فانظر لنفسك أي حال تعزم

أتكون في القوم الذين تأخروا عن حقهم أو في الذين تقدموا

لا تخدعن فتلوم نفسك حين لا يجدى إليك تأسف وتندم

وقال :

لو مضى الكل مني لم يكن عجبًا وإنما عجبى للبعض كيف بقى

أدرك بقية روح فيك قد تلفت قبل الفراق فهذا آخر الرمق

وقال : التفكير على أربعة أوجه ، فكرة في آيات الله وعلاماتها تولد المحبة ، وفكرة في وعده بالثواب وعلاماتها تولد الرغبة ، وفكرة في وعيه بالعذاب وعلاماتها تولد الرهبة ، وفكرة في جفا النفس مع إحسان الله وعلاماتها تولد الحياء من الله ، وكان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث واجتمعوا

ب محل فوجهوا واحدا من أحداثهم حاجة فأبطأ فغضبوها ، ثم أقبل وهو يضحك وبهذه بطيخة يقلبها ويشمها ، فقالوا : ما شأنك ؟ قال : جئت بفائدة ، رأيت بشر الحافى وضع يده على هذه البطيخة فلم أزل واقفا حتى اشتريتها بعشرين درهما أتبrik بموضع يده ، فأخذ كل منهم البطيخة فقبلها ووضعها على عينه ، فقال أحدهم : بم بلغ بشر هذا ؟ قالوا : التقوى والعمل الصالح ، قال : إنني تبت وأنا على طريقة بشر ، و قال كل منهم مثله ، وخرجوا فغزوا طرسوس فاستشهدوا ، فقال فيهم أبو على صاحب الترجمة :

فلاذوا به من بعد كل نهاية لياذ مقر بالخضوع مع الجد
لعجز وتقدير عن الواجب الذى به عرفوه للورود مع السود
فكان لهم بالغزو فى غاية المنى شكوراً لما أولاه من رتب الحمد

مات سنة عشرين وثلاثمائة ، ودفن بالقرافة بقرب قبر ذى النون المصرى^(١)

(٢) **أحمد بن محمد بن الحسين الجزي**

بالجيم أبو محمد وقيل : بل اسمه محمد ، وهو من كبار أصحاب الجنيد وأقعد بعده فى مجلسه بوصية منه ، وكان غزير العلم صحيح الطريق عظيم الشأن بلغ من الطريق ما لم يبلغه أهل عصره على التحقيق ونظم فى التصوف ونشر ، ورقى درج منبر الوعظ ، فكان كأنه فى أعلى حمام هدر .

(ومن كلامه) أجمع أهل المعرفة على أن للدين رأس مال ، وهو عشر صفات ، خمسة فى الظاهر وخمسة فى الباطن ، فصفات الباطن حب الله ، وخوف الفراق منه أى من شهدوه ورجاء الوصول إليه ، وصفات الظاهر صدق

(١) السخاوي الحنفى ٢٤١

(٢) حلية الأولياء ١٠ / ٣٤٧ - ٣٤٩ : وصفة الصفة ٢٥٢ / ٢ : والرسالة القشيرية ٣٠ : والسلمى ٢٥٩ - ٢٦٤ : وطبقات الشعرانى ١١٠ / ١ : وتاريخ بغداد ٤٣٠ / ٤ - ٤٣٤ .

اللسان والسخاء في المال والتواضع في البدن وكف الأذى واحتماله بطيبة نفس ،
وقال : ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره إذ ذاك تخلص من العلل فما
قرن حدث بقدم إلا تلاشى ، يبقى الأصل وتتلاشى الفروع ، وقال : من رضي
بدون قدره رفعه الله فوق غايته ، وقال : إن الله لا يعبأ بصاحب حكاية إنما يعبأ
بصاحب قلب ودرأية . وسئل : ما العبادة فقال حفظ ما كلفت وترك ما كفيت ،
وقال : من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف
والمشاهدة ، واعتكف بمكة شهرا ، لا يأكل ، ولا ينام ولا يمد رجليه ولا يستند
لحائط فقيل له : كيف قدرت ؟ قال : علم صدق باطنى فأعانى على ظاهري ،
وقال لي نحو عشرين سنة ما مدت رجلى وقت جلوسى في الخلوة أدبا مع الله
تعالى ، وقال : كان بين أصحابنا رجل يكشر أن يقول : الله الله فوق يوما على
رأسه جذع فشجه وسقط دمه . فكتب على الأرض الله الله ، وذلك أن كل إماء
ينضح بما فيه ، وقال : قدمت من مكة فبدأت بالجنيد لثلا بيغيني فسلمت ثم
مضيت لنزلى فلما صليت الصبح إذا به خلفى ، فقلت : أنا جئتكم أمس لثلا
تبغيني ، قال : ذاك فضلك وهذا حرقك ، وكان لا يلبس إلا ثوبا واحدا فسئل
عنه ، فقال : كان بيغداد فقير لا يرى في السنة إلا مرة في الشتاء ، ومرة في
الصيف ، فسأل عن حاله ، فقال : كنت مولعا بكثرة لبس الشياط فرأيت كأنى
أدخلت الجنة وجماعة فقراء على مائدة فأرددت الجلوس معهم فأقامنى الملائكة ،
وقال : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت صاحب ثوبين ، فانتبهت ونذرت أن لا
ألبس إلا واحدا ، وقال : من توهم أن عملا من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى
أو الأدنى فقد ضل عن الطريق ، لأن المصطفى يقول : لا ينجي أحدكم عمله فما
لا ينجي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول ، ومن صح اعتماده على فضله فذاك
الذى يرجى له الوصول ، وقال : أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد وهو أن
تلزم نفسك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائما ، وكان عنده جماعة ، فقال :
هل فيكم من إذا أراد الله أن يحدث في المملكة حدثا أعلم به قبل إبدائه ،

قالوا : لا ، فقال : مروا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً من هذا ، وقال : من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات ، محصوراً في سجن الهوى يحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلامه ، ولا يستحله وإن كثر ترداده على لسانه ، وجاءه رجل فقال كنت على بساط الأنس ففتح على من بساط البسط فزلت زلة فحجبت عن مكاني ، فكيف السبيل إليه ، فدلني على الوصول إلى ما كنت عليه ، فبكى وأبكي ، ثم قال : الكل في قهر هذه الخطيئة لكن أنشدك أبياتاً فيها جوابك .

قف بالديار فهذه آثارهم تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
 كم قد وقفت بريعاً مستخبراً عن أهلها أو حائراً أو مشفقاً
 فأجابني داعي الهوى لى مسرعاً فارقت من تهوى فعز الملتقى
 ومن فارقه الأحباب هجر الأسباب ولزم الاكتئاب ، والشجو
 والانتساب ، وواصل الليل والنهار واتبع المنازل والآثار . مات سنة أربع أو إحدى
 عشر وثلاثمائة ، قال ابن عطاء جزت بقبره بعد سنة من موته فرأيته جالساً وهو
 يُشير إلى الله بأصبعه .

(٢٩٨) أحمد بن محمد أبو سعيد بن الأعرابي البصري^(١)

إمام عامل ، ورع للواء الزهد حامل ، تعلق بأطواق الأخلاق الجميلة ، وجاور بالحرم المكي مدة طويلة ، وترك الدنيا مع القدرة عليها وعزيت نفسه عنها فما اشتغل بها ولا نظر إليها ، صحب الجنيد وطبقته ، وصنف كتاباً في الطريق ، وكان له دراية تامة بسياسة المربيين ومصالحهم ، وقودهم إلى الرياضة بعد

(١) حلبة الأولياء ١٠ / ٣٧٥ ؛ والرسالة القشيرية ٣٦ ؛ والسلمي ٤٢٧ - ٤٣٠ ؛ وطبقات الشعراني ١٣٧ / ١ ؛ والبداية والنهاية ١١ / ٢٢٦ ؛ والمنتظم ٣٧١ / ٦ ؛ والنجوم الزاهرة ٤٥ / ٣ ؛ وتذكرة الحفاظ ٦٦ / ٣ ؛ والشذرات ٣٥٤ / ٢ .

تقاعسهم ، وكان مع ذلك من كبار المحدثين ، وصفه الذهبي وغيره بالإمام الحافظ الشقة الزاهد سمع من الدماري الزعفراني وتلك الطبقة ، وروى عنه الطبراني والخطابي وخلق ، وذكر ابن منده أنه كتب عنه ألف جزء .

(ومن كلامه) قل من ادعى القوة في أمر لا وخذل ووكل إلى نفسه ، وقال : لو قيل للعارف : أنت تبقى في الدنيا ، مات كما طابت الدنيا لهم إلا مع ذكرهم الخروج منها ، وقال : مدارج العلوم بالوسائل ، ومدارج الحقائق لا تكون إلا بالمكاشفة ، وقال : أفضل أوقاتك وقت يكون الحق فيه عنك راضيا ، وقال : من أخلاق القراء السكون عند فقد والاضطراب عند الوجود والأنس بالهموم والوحشة عند فرح الناس بالدنيا ، وقال : أخسر الخاسرين من أبدا للناس صالح عمله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد ، وقال : الوجود رفع الحاجب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس المفقود ، وهو فناؤك أنت من حيث أنت ، وقال : أول درجات المخصوص ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال كل شك ورببة ، وقال : الوجود ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق ، أو توبيخ على زلة أو محادثة بطيئة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض واستجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر ، مات سنة احدى وأربعين أو أربعين وثلاثمائة عن أربع وتسعين سنة ، قال الخليلي : كان ثقة يشنى عليه كل من لقيه .

(١١) (٢٩٩) **أحمد بن محمد الدينوري**

كان من أحسن المشايخ طريقة وأمثالهم سيرا في علم الحقيقة ، أطاعته

(١١) حلية الأولياء ٣٨٣/١٠ ؛ والرسالة القشيرية ٣٨ ؛ طبقات السلمي ٤٧٥ - ٤٧٨ ؛ وطبقات الشعراوي ١٤٣/١ .

الصوفية وساعدته ، وتأخرت الخطوب وباعدته ، أخذ عن الخراز وغيره .

(ومن كلامه) أدنى الذكر أن تنسى ما دونه ، ونهايته أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر بغرقه في مذكوره بحيث لا يرجع له مقام الذكر ، وهذا حال الفنا ، وقال : لسان الظاهر لا يغير أى ينافي حكم الباطن ، يعني ما يقع في القلب من المواهب وخوارق العادات بل يعده ، وقال : العلماء متربون في مشاهدات الأشياء فقوم رجعوا من الأشياء إلى الله فشاهدوا الأشياء حيث الأشياء ، مات بسمرقند بعد الأربعين وثلاثمائة .

(٣٠٠) أحمد بن محمد بن أحمد العباسى الهاشمى^(١)

الشيخ أبو طالب المعروف بابن بنت الشافعى

كان من علماء الأمجاد ، والعباد الزهاد ، كارعا من بحر الزهد ، ومكتحلا في ليل الطاعة بليل السهد متصديا للتربية والإفادة ، أخذ التصوف عن الدقاد وغيره ، وسمع الحديث على جماعة .

(ومن كلامه) الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه ، مات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ودفن بالقرافة^(٢) .

(٣٠١) أحمد بن إبراهيم أبو على المسوحي

وقيل: الحسن بن على ، من كبار مشايخ الصوفية قدره خطير ، وبنان الزمان إليه بالرقة يشير .

قال الخطيب : كان من أفالصل الناس ، وكان يحج بقميص ورداء ونعل

(١) أبو العباس أحمد ابن بنت الشافعى ، السخاوي الحنفى القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢) السخاوي الحنفى ، المرجع السابق .

طاق ، ولا يحمل معه شيئاً لا ركوة ولا كوزا إلا كوزا فيه تفاح يشمه من بغداد إلى مكة ، قيل له : ما الذي ينقض العزم ؟ قال : طول الأمل وحب الراحة ، وقال : الأنس لو مات من تحت السماء ما استوحشت .

(٣٠٢) **أحمد بن جعفر بن هانىء**

المملوء من المعارف والمعانى ، المكلوء من الفتور والتوانى ، كانت له الأحوال الرفيعة ، والكرامات الخارقة البديعة .

(ومن كلامه) لا يأتي العبد المعونة من الله وهو معتمد على غيره ، وإذا ناصح العبد مولاه فى معاملته أليسه خلعة يظهر عليه بها نوره ، ومن لم يحكم فيما بينه وبين ربه التقوى والمراقبة حجب عن الكشف والمشاهدة ، ومن آثر مولاه حماه من رجس الدنيا ولم يكله إلى غيره ، وقال : من كانت الدنيا طريقه إلى الجنة نصب لها منابر الدلاله لثلا يغفل عنها ، وقال : إذا سكنت الخشية القلب سرى علم التوحيد في الجوارح .

(٣٠٣) **أحمد بن سهل البوشنجي^(١)**

من أوحد فتيان خراسان لقى أبا عثمان ، وصاحب ابن عطاء وغيره من أولئك الأعيان ، وكان عالماً بعلوم التوحيد والمعاملات ، عارفاً بالجلوة والخلوة والمنازل ، حرك السواكن بكلماته ، وشنف الأسماع بدر معانى إشاراته .

(ومن كلامه) كان التصوف حقيقة ولا اسم ، والآن اسم ولا حقيقة ،

(١) حلية الأولياء ٣٧٩/١٠ : الرسالة القشيرية ٣٧ : طبقات الشافعية ٢٤٤/٢ : وطبقات الشعراني ١٤١/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٢٠/٣ : والمنتظم ٣٩١/٦ والبوشنج نسبة إلى « بوشنج » أو « بوشنك » ، وهى بلدة بالقرب من هرآ ، انظر الباب ١٥٢/١ .

وقال : شرط الولى أن يكون باطنه أفضل من ظاهره ، وشرط العالم استواء ظاهره وباطنه ، وعلامة الجاهل كون ظاهره أفضل من باطنه ، ولذا لا ينصف من نفسه ، ويطلب الإنصاف من غيره ، مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

(٣٠٤) **أحمد الخياط الدبيسي الشافعى** (١)

كان صالحًا زاهداً فقيها ورعاً عابداً أقام بمصر معتكفاً ثلاثة سنين وما سأل أحداً شيئاً فقط ، كان ذا أحوال ومكافئات مرض ، فقال خادمه : حضرت الملائكة عندي ، وقالوا : تموت ليلة الأحد فلما كانت ليلة الأحد صلى المغرب والعشاء ، وأخذ في السياق إلى نصف الليل ، فقرأ خمسين آية ومات ، ودفن بالقرافة تحت رجل قبر ابن بابشاد النحوي^(٢) بقرب قبر الشاب التائب ، سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

(٣٠٥) **أحمد السبتي المقرئ**

ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد، كذا ذكره ابن عربي

كان وحيد زمانه ، وقطب أوانه ، ترك الرئاسة وعدها نجاسة حتى بلغ الإرب ، ورقى إلى أعلى الرتب ، قال ابن عربي : كان يصوم ستة أيام من كل جمعة ، ويشتغل بالعبادة فيها ، فإذا كان يوم السبت احترف فيما يأكله بقية الأسبوع ، ولهذا سمي السبتي ، ولقيته بالطواف يوم الجمعة بعد الصلاة وأنا أطوف فلم أعرفه غير أني أنكرته وأنكرت حالي في الطواف فإني ما رأيته يزاحم ولا يزاحم ، ويخترق الرجلين المتلاصقين ، ولا يفصل بينهما ، فلعلت أنه روح وتجسد فمسكته وسلمت عليه ، فرد السلام وماشيته ووقع بيني وبينه كلام

(١) طبقات الشافعية للسبكي .

(٢) السيوطي ، حسن المحاضرة ٣٠٦ - ٣٠٧ .

ومفاوضة ، فكان منها أني قلت له : لم خصست يوم السبت بعمل الحرفة ؟
فقال : لأنه تعالى ابتدأ خلقنا يوم الأحد ، وانتهى الفراغ منه يوم الجمعة ،
فجعلت تلك الأيام عبادة لله تعالى لا أشتغل فيها بما فيه حظ نفسي ، فإذا كان
يوم السبت انفرد لحظ نفسي ، فاحترفت بما أتقوت به تلك الأيام ، فإنه تعالى
نظر إلى ما خلق في يوم السبت ، وقال له : أنا الملك ، لظهور الملك ولهذا سمي يوم
السبت ، والسبت الراحة ، ولهذا أخبر تعالى أنه ما مسه من لغوب فيما خلقه ،
واللغوب الإعياء ، فهي راحة لا عن تعب ، كما هي في حقنا ، فعجبت من
فطنته فسألته من كان قطب الزمان في وقتك ، فقال : إنه ثم وادعني وانصرف .

(٣٠٦) أحمد بن محمد المقرئ

كان من اشتهر في التصوف فضله ، وزع في قوس المجاهدة فأصاب
الصواب نبله ، صحب الجرير وغيره فاشتهر ذكره وعلا قدره .

(ومن كلامه) إذا ظن الناس فيك الخوف من الله ، أو قيام الليل
فحقق ظنهم ، وإياك أن يظنوا بك خيراً وأنت على ضده فإنه خسران ونفاق ،
وقال : إن الله يسوق للعبد الرزق بقدر صافى قلبه من الكرم والجود ، مات سنة
ستين وثلاثمائة .

(٣٠٧) أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي

عارف ورعه معروف ، وزهده موصوف ، وأعماله مبرورة ومجاهااته
مشهورة ، نعم ، وكان ذا ديانة رست أطوادها ، وصيانة أثمرت أعوادها ،

(١) حلية الأولياء ٣٠٥ - ٣٠٢ / ١٠ : وصفة الصفوة ٢٥٠ / ٢ : والرسالة القشيرية ٣١ : وطبقات
الشعراني ١١٣ - ١١١ / ١ : طبقات السلمي ٢٦٥ - ٢٧٢ : تاريخ بغداد ٢٦٥ - ٣٠ : والبداية
والنهاية ١٤٤ / ١١ : والمنتظم ١٦٠ / ٦ : ومرآة الجنان ٢٦١ / ٢ : والشذرات ٢ / ٢٥٧ .

ومنزلة ثابتة الأساس ورتبة عالية شامخة عند الناس ولم يزل يتأبى في الخدمة حتى كان يختتم كل ليلة ختمة ، صحب الجنيد وغيره .

(ومن كلامه) من ألزم نفسه آداب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة ، وسئل إلى ما تسكن قلوب العارفين ؟ قال : إلى بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأن في بسم الله هيبيته ، واسمي الرحمن عونه ونصرته ، وفي الرحيم محبته ومودته ، وقال : سبحان من فرق بين هذه المعانى في لطائفها ، وبين هذه الأسماء فى غواصتها ، وقال : علامة الصادق رضا القلب بالمكروه ، وقال : علامة الولى أربعة ، صيانة سره فيما بينه وبين الله ، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله ، واحتمال الأذى فيما بينه وبين الخلق ، ومداراة الخلق على تفاوت عقولهم ، وقال : من شاهد الحق بالحق انقطعت عنه الأسباب كلها ؛ وما دام يلاحظ شيئا فهو غير مشاهد لحقيقة الحق ، وهذا مقام من صفت له الولاية ، ولم يحجب عنه فى المتنهى والغاية ، وسئل عن حديث طلب العلم « فريضة » فقال : علم الحال وعلم الوقت ، وعلم السر فى جهل الوقت وما علمته فمن لم يعلم ذلك فقد جهل العلم الذى أمر به ، وقال : قوام الإسلام وشرائعه بالمنافقين ، وقوام الإيمان وشرائعه بالعارفين ، وسئل عن نعم الفقراء فقال : قوم أفردهم الحق فى خلقه ليفردوه فى تأدية حقه وأنشد فى المعنى :

فأء الفقير فناؤه لبقيائه والكاف قرب محله بلقائه
والباء يعلم كونه عبداً له فى جملة العتقاء من تلقائه
والباء راحة جسمه من كده ويلاته وعنائه وشقائه
هذا الفقير متى طلبت وجدته فى جملة الأصحاب من رفقائه
أهل الصيانة والديانة والتقوى بمحض قصد الحق من تلقائه
مات سنة تسع أو إحدى عشرة وثلاثمائة .

(١) أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْجَلَاءِ (٣٠٨)

من عظماء مشايخ الصوفية سمى به ، لأنه كان إذا تكلم جلا القلوب وإذا وعظ أتى بكل مطلوب ، ذا تعبد لا يستطيع ، وولاه وتأله وانقطاع ، رحل إليه المريدون واستفادوا ، وبلغوا من اقتباس المعارف ما أرادوا ، وهو بغدادي الأصل ، سكن الرملة وأخذ عن ذي النون وغيره .

(ومن كراماته العلية المقدار) ما قال : دخلت المدينة الشريفة وبى فاقفة فتقدمت إلى قبر المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله أنا ضيفك فغفوت غفوة فرأيته ، وقد أعطاني رغيفا فأكلت نصفه فانتبهت وبيدى النصف الآخر ، ولما مات نظروه يضحك ، فقال الطبيب : هو حى ثم نظر إلى مجسه ، فقال : ميت ، ثم كشف عن وجهه ، فقال : لا أدرى وصار يضحك وهو على المغتسل فلم يجسر أحد على تغسيله حتى جاء واحد من أقرانه فغسله ، وكان فى جلده عرق على شكل اسم الله .

(ومن كلامه) : من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد ، ومن حافظ على أداء الفرض فى وقته فهو عابد ، ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد ، وقال : مشيت مع أستاذى فرأيت حدثا جميلا فقلت : يا أستاذ ترى يعبد الله هذه الصورة !! ، فقال إذا نظرت إليها فسترى غية ، فنسخت القرآن بعد عشرين سنة ، وقال : سمت هم المريدين إلى طلب الطريق إليه وسمت هم العارفين إلى مولاهم فلم يلتفتوا إلى سواه ، وقال : لا تضيع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة ، فإن الله فرض لكل مؤمن حقوقا لا يضيعها إلا من لم يراع حق الله عليه ، وقال : من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها ومن بلغ

(١) حلية الأولياء ٣١٤ / ١٠ : وصفة الصفة ٢٥٠ / ٢ : والرسالة القشيرية ٢٦ : وطبقات الشعراني ١٥٢ / ١ : والسلمي ١٧٦ - ١٧٩ : والمنتظم ١٤٨ / ٦ : وتاريخ بغداد ٢١٣ / ٥ - ٢١٥ : والبداية والنهاية ١٢٩ / ١١ : وابن ظفر : أنباء نجابة الأنبياء ، ص ١٥٤ .

ثبت عليها ، وقال : من علت همته ، عن الاكوان وصل إلى مكونها ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق فاته الحق لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك ، وقال : من لم يحفظ حق أستاذه وشيخه لا يكافي في حياة الشيخ ؛ لأن له بالمربيين رحمة وشفقة بل ينتقم الله منه بعد موت شيخه ، وسئل متى يستحق الفقير اسم الفقر ؟ قال : إذا لم يبق عليه بقية منه ، قيل : وكيف ؟ قال : إذا كان له فليس له وإذا لم يكن له فهو له ، وسئل عن الفقر ؟ فسكت حتى خلا ثم ذهب ورجع عن قرب ، وقال : عندي أربعة دوائق فاستحييت من الله أن أتكلم في الفقر ، وهي عندي ، فذهبت فأخرجتها ، ثم تكلم فيه ، مات سنة ست وثلاثمائة .

(٣٠٩) **أحمد بن عطاء الروذباري**^(١)

ثم الصوري

العالم الظريف ، والناسك الشريف النظيف ، له اللسان المبسوط والبيان الذي بالحق مربوط ، وقف على مراتب المؤسرين ، ومقامات أهل البلاء من المأخوذين ، فتمنى ما خصوا به من الصفاء والاعتلاء فعوّل بما تمنى من المحن والابتلاء ، وكان شيخ الشام في وقته مفتنا في علوم الشريعة والحقيقة ، وهو من علا في طريق القوم قدره واشتهر ذكره ، وتميز فضله حتى عز في عصره أن يوجد مثله .

(ومن كلامه) : الذوق أول المواجه وأهل الغيبة عن الله إذا شربوا طاشوا ، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا .

وقال : أقبح من كل قبيح صوفى شحيح ، وقال : من تبع طريق القوم انتفى عن الشح ، ومن كتب الفقه انتفى عنه الجهل ، ومن خدم الأولياء بلا أدب هلك .

(١) الرسالة القشيبة ، ٣٩ : طبقات السلمي ٤٩٧ - ٥٠٠ : طبقات الشعرانى ١٤٥/١ : وتاريخ بغداد ٣٣٦/٤ : وابن الأثير ٥٢٢/٩ : والبداية والنهاية ٢٩٦/١١ : والشذرات ٦٨/٣ .

وقال : ليس كل من صلح للمجالسة صلح للمؤانسة ، ولا كل من صلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار .

وقال : من ألزم نفسه السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة .

وقال : إذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبك فأدبهها بمجالسة الحكماء ،

وقال : القلب إذا اشتاق إلى الجنة أسرعت إليه هدايا الجنة وهي المكرورة .

وقال : من علامة الصادق رضا القلب بحلول المكرورة .

وقال : أدن قلبك من مجالسة الذاكرين لعله ينتبه من غفلته .

وقال : أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأفعالها ، وأشد شيء منه مطالعة العوض على فعلها .

وقال : القبض أول أسباب الفناء ، والبسط أول أسباب البقاء ، فمن قبض فحاله الغيبة ، ومن بسط فحاله الحضور .

وقال : رأيت في النوم قائلاً يقول إيش أصرح ما في الصلاة ؟ قلت : صحة القصد ، فقال هاتف : رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم .

وقال : ذكر الثواب عند ذكر الله غفلة عن الله .

وقال : العبودية ترك الاختيار ولزوم الافتقار ، وإياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً .

وقال : ذر التدبير والاختيار تكن في طيب من العيش ، فإن التدبير يذكره ، وسائل أي منزلة إذا قام العبد بها قام مقام العبودية ؟ .

قال : ترك التدبير ، وقال : لا تجد السلامة حتى تكون في التدبير كاهل القبور .

وقال : الرضى ترك الخلاف على الله فيما يجريه على العبد .

وقال : الرضى نظر القلب إلى اختيار الرب للعبد ، وهو ترك السخط .

وقال : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقال : لكل علم بيان ولكل بيان لسان ! وكل لسان عبارة ولكل عبارة طريقة ، ولكل طريقة أهل ومن لاأهلية له لا شيء له .

وقال : للتقوى ظاهر وباطن ، فظاهرها محافظة الحدود وباطنها النية والإخلاص .

وقال : هذه الطائفة شربت من بحر السرور فلا تجد أحداً منهم إلا طريا مسروراً .

(ومن كراماته) أن الجمل كلمه في مسيرة إلى مكة ، فإنه تأمل الجمال تحمل الأثقال وقد مدت أعناقها ليلا ، فقال : سبحان من يحمل عنها ، فالتفت جمل منها ، وقال : قل جل الله ، قال : جل الله ، قال أبو نعيم : كان ابن عطاء كثير الحديث ، مات سنة تسع وستين وثلاثمائة وقيل غير ذلك .

(٣١٠) أبو سعيد خلف بن عمر

المعروف بابن أبي هاشم من قيروان

فقيه متبع بد زاهد أخذ عن جماعة كالقصرى وابن اللبان ، كان يعرف بعلم الفقهاء عالماً بنوازل الأحكام فراجعاً للكرب مع رقة قلب وسرعة دمع وخلوص نية ، قال ابن أبي زيد : أبو سعيد لا يلقى الله بذرة رباء وما حفظ عنه مسألة خطأ قط .

(ومن كلامه) من دارى الناس مات شهيداً ، ولا ينكر كرامات الأولياء إلا صاحب بدعة ، مات ليلة الجمعة لسبعين خلون من صفر سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .

(٣١١) أبو بكر بن الأبيض

كان من المستأنسين بذكره ، المستوحشين من غيره ، عن الخلق أعرض
ولما له قدم وأقرض ، ولزم ما الحق عليه أوجب وأفرض .

(ومن كلامه) اعلم أنك لم تكلف من الدنيا إلا نفسا واحدة فإن أنت
أصلحتها لم يضرك فساد غيرها ، ولن تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من أكلها
من أحمر وأسود ، وقال : من إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه ، وله
جزء حديثي .

قال : فيه حدثنا بعض أصحابنا أنه كان بمكة رجل يعرف بابن ثابت خرج
من مكة إلى المدينة ستين سنة ليس إلا للسلام على رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم ، ويرجع فتختلف في سنة ، فبينما هو قاعد في الحجر بين النائم واليقظان
رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : لم تزرننا فزرناك .

(٣١٢) أبو بكر الفاسي الطمسطاني^(١)

العالم الريانى : كان فصيح اللسان ، كثير المعروف والإحسان ، ماهراً
في طريق القوم ، عذب الكلام حافظاً للعهد وافياً بالذمام ، تقدم على صوفية
وقته ونظرائه ، وتعين بين أعيان العصر وكباره ، واجتهد وحصل ، وحمل ،
وفصل ، ورحل وطاف وهام وصحب الأعيان والأعلام ، وكان الشبل يعظمه
 جداً .

(ومن فوائده) خير الناس من رأى الخير في غيره .

وقال : أركان الطريق الأربع ترجع إلى الجوع فإن من جاع قل كلامه

(١) حلية الأولياء ٢٨٢ / ١ : والرسالة القشيرية ٣٨؛ وطبقات الشعراني ١٤١ / ١؛ وطبقات السلمى ٤٧٤ - ٤٧١ ، وطبقات الشعراني ١٤ / ١

ونومه وأحب العزلة ، وقال : من صدق في إقباله على الله لم يشغله الخلق عن الله ، وقال : النعمة العظمى الخروج عن النفس أى الأخلاق الذميمة والشهوات الرديئة ، والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى .

وقال : من صحب الكتاب والسنّة وتغرب عن نفسه وعن الخلق فهاجر بقلبه إلى ربه فهو الصادق المصيّب .

وقال : النفس كالنار فإذا طفت في موضع تأجّلت في آخر ، وكذا النفس إذا هدأت من جانب ثارت من آخر .

وقال : لا يمكن الخروج من النفس بالنفس إنما الخروج منها بالله .

وقال : من استعمل الصدق بينه وبين الله حماه صدقه عن رؤية الخلق والأنس بهم .

وقال : من لم يكن الصدق وطنه ففي فضول الدنيا سكته .

وقال : العمل يقطعك عن الدنيا فاجتهد أن لا يقطعك عن الله ، مات سنة أربعين وثلاثمائة بنبيسابرور .

(١) أبو الخير الاتقطع التيناني (٣١٢)

نسبة إلى تينان قرية ببلاد المشرق ، صاحب الكرامات الغريبة والأحوال العجيبة ، وكان وافر الحنو والتعطف ، ملحاً للفقراء أهل التصوف ، ذا وقار وسكنون ، وأياد تغافر منها الأنهر والعيون ، يسرح في رياض الرياضة ، ويطوف بحرم التعبد وبخاصة بالإفاضة ، وأصله من المغرب ، قدم المشرق فصاحب ابن الجلاء وغيره ، وكان أوحد وقته في التوكل تأتيه الهوا والسباع فتناس به وتأوى

(١) حلبة الأولياء ١٠ / ٣٧٧ : وصفة الصفة ٤ / ٢٠٦ : والرسالة القشيرية ٣٥ : وطبقات الشعراوي ١٢٨ / ١ : وطبقات والسلمي ٣٧٠ - ٣٧٢ : والباب ١٩٠ / ١ .

إليه ، فسئل عن ذلك ، فقال الكلاب يأنس بعضها ببعض !! .

(ومن كلامه) لا يجوز التصدر للمشيخة إلا ممن فرغ من تهذيب نفسه ، ومن بقى عليه بقية فهو مرید ، والمرید لا يكون له مرید .

وقال : لا تسألو الله أن يصبركم وسلوه اللطف بكم لأن تجرب مراة الصبر شديد لمثلنا فإن ذكرها لما بلغ المشار لرأسه أن لشدة الوجع فأوحى الله إليه وعزتى وجلالى لأن صعدت منك آنة ثانية لأمحون اسمك من ديوان النبوة .

وقال : الذاكر لله لا يقوم له في ذكره عوض ، فإذا قام له عوض خرج من ذكره .

وقال : ما بلغ أحد حالة شريفة إلا بلزم الموافقة ومعانقة الأدب وصحبة الصالحة وخدمة الفقراء الصادقين ، وقال : لا يصفو قلبك إلا بتصحیح النية لله ، ولا بدنك إلا بخدمة أوليائه .

وقال : حرام على قلب مشوب بحب الدنيا أن يسيح في روح الغيوب .

وقال : من أحب اطلاع الناس على عمله فهو مراء أو على حاله فهو كذاب .

وقال : دخلت المدينة فلم أجده ما أكله خمسة أيام ، فرأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في التوم فتناولني رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي الصف الآخر ، وسبب قطع يده أنه عقد مع الله إن لا يد يده لشيء من نبات الأرض لشهوة فنسى وتناول عنقودا من شجر البطم^(١) فلاكه ثم تذكر فرماه فخرج بعض النساء لطلب قطاع الطريق فظنهن منهم قطع يده ، وكان ينسج الخوص بإحدى يديه ويقتوت منه ، وجاءه جموع من البغداديين ، فادعوا دعاوى عريضة ثم خرجنوا فلقاهم الأسد فرجعوا إليه هاربين ، فقال : أين تلك الدعاوى ، ثم خرج

(١) جمع بطمة بسكن الطاء وضمها ، نوع من الشجر يسمى الحب الأخضر منه بالحبة الخضراء .

فصاح عليه ، وقال : ألم أقل : لك لا تتعرض لضييفي ؟ فذهب ، وقصده الدقى للسلام عليه ، فصلى فلم يقرأ الفاتحة مستويا فقال في نفسه : ضاعت سفترى ، ثم خرج للطهارة فقصده سبع فرجع إليه ، فخرج فصاح عليه فذهب ، فقال : اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد ، قال النبوى : قد يتوهם من يتشبه بالفقهاء ، ولا فقه عنده أن صلاته كانت فاسدة وهذه جهالة وغباءة ، وخسارة على إرسال الظن في أولياء الرحمن ، فليحذر العاقل من التعرض لذلك بل حقه إذا لم يفهم حكمهم المستفادة ، ولطائفهم المستجادة أن يتفهمها من يعرفها ، وكل ما رأيته من هذا النوع مما يتوهمه من لا تحقيق عنده أنه مخالف غير مخالف بل يجب تأويل أفعال الأولياء ، وجوابه أنه مغلوب عليه لخلل في لسانه فتصح صلاته ويفرض عدمه ، فقراءة الفاتحة غير متعينة عند أبي حنيفة ، ولا يلزمها أن يتقييد بمذهب من أوجبها انتهى ، وقال القيروانى : زرت التينانى وودعته فخرج معى للباب .

وقال : أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوماً فاحمل هاتين التفاحتين فأخذتهما ووضعهما في جيبى وسرت فلم يفتح لي بشيء ثلاثة أيام فأكلت واحدة ثم أردت إخراج الثانية فإذا هما جمیعاً في جيبى فكنت أكلهما ويعودان حتى وصلت إلى باب الموصل ، فقلت : إنها يفسدان على توكلی فأخرجتهما لأرميهما ، وإذا فقیر ملفووف في عباءة يقول : أشتھى تفاحة ، فناولته إليها فعلمت أن الشیخ بعثهما إليه ومن نظمه .

أنحل الحب قلبه والحنين ومحاه الهوى فما يستبين

ما تراه العيون إلا ظنونا وهو أخفى من أن تراه العيون

مات ببصر سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، ودفن بالقرافة بباب تربة مسلم السلمى بجنب منارة الدليلية بقرب ذى النون والمشهد الذى بناه الفخر الفارسى ، قيل : إنه رأى المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فأمره ببنائه ، وقال : من صلى

فيه ركعتين يقرأ في الأولى بالفاتحة وتبarak والثانية بالفاتحة وهل أتي ويس
حاجة قضيت ، وهو مقابل معبد ذى النون المصرى ومعبده غير تربته ^(١) .

(٢١٤) أبو على الزقاق

بفتح الزاي وتشديد القاف نسبة إلى بيع الزق أو عمله ، قال النووي
كان من كبار الصوفية ، أصحاب الكرامات الظاهرة والمعارف المتظاهرة .

(ومن كلامه) كل واحد ينسب إلى نسب إلا الفقراء فإنهم ينسبون إلى
الله تعالى ، وكل حسب ونسب ينقطع إلا حسبهم ونسبهم فإن نسبهم الصد
وحسبيهم الفقر ، وقال : لى تسعين سنة أردت هذا الفقر ، من لم يصحبه فى فق
الورع أكل الحرام بالنص .

(٢١٥) أبو عمرو الدمشقي ^(٢)

قُكن في الولاية ، واتصلت له الرعاية ، وأعرض عن المستروحين إل
الأرواح ، ونظر إلى صنيع مالك الأجسام والأشباح ، وقد قيل إن التصوف رؤ
الكون بعين النقص ، بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن ك
نقص .

(ومن كلامه) : الأشخاص بظلمتها كائنة والأرواح بأنوارها مشرة
فمن لاحظ الأشخاص بظلمتها أظلم عليه وقته ، ومن لاحظ الأرواح بأنوارها دلن
على منورها ، وقال في حديث : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) هو إشار

(١) السخاوي الحنفى ، ٢٣٢ - ٢٣٧ .

(٢) حلبة الأولياء ١٠ / ٣٤٦ : وطبقات السلمى ٢٧٧ - ٢٧٩ ; وطبقات الشعرانى ١١٨ / ١
والشذرات ٢٨٧ / ٢ .

إلى استواء الأحوال أى لا ترجعوا عن الحق بإفطار ، ولا تقبلوا عليه بصوم ،
ول يكن صومكم كإفطاركم ، وإفطاركم كصومكم عند دوام حضوركم .

وقال : كما فرض الله على الانبياء إظهار الآيات والمعجزات لتومنوا
بها ، كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا تفتتنوا بها .

وقال : الرضى ارتفاع المزع في أى حكم كان .

وقال : الرضى نهاية الصبر ، والمصابر مقاومة الرضا بالقضاء .

(١) أبو الحسين بن بنان (٣٦٢)

والله السكران ، الهائم الحيران ، شيخ مصر وتلك الأعمال المعروفة
بالحمال ، إمام زاهد وعارف مجاهد ، ومواهب على الطاعة مجتهد فيما ينجي
يوم تقوم الساعة ، وأوقاته معمرة ، وأحواله مشهورة وعظ بالجم الكبير ،
وسقط المریدون منه على خبير ، صحب الخراز وغيره .

(ومن فوائده) الناس يعطشون في البراري وأنا عطشان علي شاطئ
النيل .

وقال : آثار المحبة إذا بدت رياحها وهاجت قميت أقواماً وتحبى آخرين ،
وتفسى أسراراً وتبقى آثاراً .

وقال : كل فقير قام في قلبه هم الرزق فالكسب ، والحرفة له أولى .

وقال : من علامة سكون القلب إلى الله ان شراحه إذا زالت عنه الدنيا .

وقال : اجتنبوا دناءة الأخلاق كاجتناب الحرام .

(١) حلية الأولياء ١٠ / ٣٦٢ : والرسالة القشيرية ٣٦ : وطبقات السلمي ٣٨٩ - ٣٩ : حسن
المحاضرة ٢٩٣ / ١ : وطبقات الشعراوى ١٣٢ / ١ : ومرأة الجنان ٢٦٨ / ٢ .

وقال : ذكر الله باللسان يورث الدرجات وذكره بالقلب يورث القراءات .

وقال : تتشعب شعب المحبة من دوام ذكر إحسان الله ، فمن ذكر على الدوام إحسان الله إليه تنسم ريح المحبة عن قريب .

وقال : الإكثار من الوجود من علامة الصديقين .

وقال : لا يعظم قدر الأولياء إلا من عظمة الله عندهم .

(ومن كراماته) أنه احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها ، وقالوا : هو ذا يجىء النفر فنشترى ما يوافق ، فورد فأجمعوا رأيهم على واحدة وقالوا : هذه إنما تصلح له فماكسوا صاحبها ، فقال : ليست للبيع هي لبناء الجمال أهدتها له امرأة من سمرقند ، وألقى بين يدي السبع فشمه ثم نفر عنه فقيل له : ما كنت تجد ؟ قال : أتفكر فيما فى سؤره من الخلاف ، قيل : ورد على قلبه وارد فهام على وجهه ، فلحقوه فى تيه بني إسرائيل ففتح عينيه ، وقال : ارتعوا فهذا مرتع الأحباب ، وخرجت روحه .

أبو على المحتوه المذوب (٣١٧)

كان من أكابر الأولياء ، قال خلف بن سالم : قلت له : يا أبا على ألك مأوى ؟ قال : نعم ، قلت : فأين هو ؟ قال : فى دار يستوى فيها العزيز والذليل ، قلت : وأين هذه الدار ؟ قال : المقابر ، قلت : أما تستوحش فى ظلمة الليل ؟ قال : إنى أكثر ذكر ظلمة اللحد ووحشته فتهون على ظلمة الليل ، قلت : فربما رأيت فى هذه المقابر ما تنكره ؟ قال : ربما لكن فى هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر .

(٣١٨) أبو العباس السيّاري^(١)

واسمه القاسم بن القاسم بن مهدى من أهل مرو

كان فقيها محدثاً صوفياً متخلياً بالزهد والورع ، بعيداً عن الحرص والطمع ، معروفاً بالفضل المبين مشهوراً بالخير والدين المتين وتخليًّا عن الخدم ، تحلىًّا بذكر بارئ النسم ، ولازم طريق أهل الموارد الصافية وأعرض عن عرض الدنيا بالجملة الكافية ، وصاحب الواسطى وغيره .

(ومن كلامه) كيف السبيل إلى ترك ذنب كان عليك في اللوح المحفوظ محفوظاً ، وإلى صرف قضاء كان بك مريوطاً ، وقال : حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف .

وقال : ظلمة الطبع تقنع أنواع المشاهدة ، وقال : لباس الهيبة للعارفين ، ولباس التقوى للمقرين ، ولباس التقوى خير .

وقال : ما التذكرة عاقل بمشاهدة قط ؟ لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة .

وقال : إنما يروض المريد نفسه بالصبر على الأوامر ، وتجنب التواهي ، ومحبة الصالحين وخدمة الفقراء .

مات سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة .

(١) ابن بنت أحمد بن سيّار ، انظر ترجمته في حلية الأولياء ٣٨٠/١٠ ، والرسالة القشيرية ٣٧٧ : وطبقات السلمي ٤٤٧ - ٤٤٧ : وطبقات الشعراوي ١٣٩/١ : وللباب ١ ٥٨٤/١ : والمنتظم ٣٧٤/٦ : والشذرات ٣٦٤/٢ .

(٣١٩) أبو القاسم بن أحمد المغربي^(١)

أوحد مشايخ خراسان في وقته ، وكان عالي الطريقة ، شريف الهم
غواصا في علم الحقيقة ظهر علاوه وارتفع لواهه ، وتأرجت أرجاؤه ، وطاب في
مجالس القوم ثناؤه ، صحب ابن عطاء وغيره .

(ومن كلامه) من كمال خلق الفقير أن يحسن خلقه مع عدوه وينبذ لـ
المال ، ومن أدبه تصدق المشايخ في كل ما يخبرون به من كراماتهم ، إن لـ
يصدقهم حرم بركتهم ، قال : السماع على ما فيه من اللطافة فيه خطر عظيم إـ
لمن سمعه بغير هو نفس ، وكان له حال صحيح بحيث لو أراد قلع شجرة كبير
من الأرض لقدر ، كما وقع للشبلى أنه ملخ شجرة جميز تظل خسمائة فارس .

(٣٢٠) أبو عبد الله البرانى

صاحب النكت المرضية ، والأحوال الزكية ، من كبار الشيوخ ومتقدميهـ
له الأحوال العجيبة والكلمات الغريبة .

(فمن كلامه) حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع نذلـ لمن لا يقدر لنـ
على نفع ولا ضر ، ونخضع لمن لا يملك لنا رزقا ، ولا حياة ، ولا موتا ، ولا
نشوراً ، فكيف أزعم أنى أعرف ربى حق معرفته هيهات !!! ، قال : بالمعرفـ
هانت على العاملين العبادة ، وبالرضى عن الله فى تدبـر زهدوا فى الدنيا
ورضوا لأنفسهم بتقديره ، قال : ما بينك وبين ملاقـة السرور ، ومن مجالـة الأبرـا
فى كل لذة وحبـر إلا خروـج نفسك من بين جنبيك ، والمولـى راضـ عليك ، وقال
لن يردـ القيـامة أرفع درجة من الراضـين عن الله على كل حال ، ومن وهـب لـ
الرجـاء فقد بلـغ أعلى الدرجـات ، ومن زهدـ على حـقـيقـةـ كانت مؤـنتهـ خـفـيفـةـ ، ومرـ
لم يـعـرفـ ثوابـ الأـعـمـالـ ثـقـلتـ عـلـيـهـ فـيـ الـآخـرـةـ الـاحـوالـ .

(١) وهو تلمـيدـ الشـيـخـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ أـبـيـ سـعـدـانـ ، انـظـرـ السـلـمـيـ ، طـبـاتـ صـ ٤٢٠ـ .

(٣٢١) أبو الفتوح القواس^(١)

واسميه يوسف بن عمر

كان من الأبدال ، وكان مجاب الدعوة ، وتبرك الناس به وهو صبي .

(ومن كراماته) أنه أخرج جزءاً من كتبه فوجد فيه قرض الفأر التي قرضته فسقطت من السقف فأرقة ، ولم تزل تتضرب حتى ماتت . أنسد الحديث عن البغوى وابن صاعد وغيرهما . ومات ببغداد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

(٣٢٢) أبو أحمد القلansi

كان ذا فتوة كاملة ، ومروءة شاملة .

(ومن كلامه) بنى المذهب على ثلاث خصال : لا نطالب أحداً من الناس بواجب حقنا ونطالب أنفسنا بحقوقهم ونلزم التقصير أنفسنا في كل ما نأتى ، وكان من دعائه لإخوانه ، لا جعلنا الله وإياكم من يكون حظه الأسى والأسف على مفارقة الدنيا .

(٣٢٣) اسماعيل بن نجيد السلمي^(٢)

شيخ عصره في التصوف ، وإمام وقته في فنون التعرف ، كان ذا براعة وفصاحة ، وصيانته وسماحة وتصرف وعرفان ، وتعلق من الفنون بأفنان ، وكان شافعى المذهب ، صحب من أئمة الحقائق الجنيد والجبرى ، وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل والرازى ، وروى عنه سبطه أبو عبد الرحمن السلمى والحاكم

(١) يوسف بن عمر بن مسرور ، أبو الفتح القواس ، انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ / ٣٢٥ - ٣٢٧ .

(٢) الرسالة القشيرية ٣٧ : وطبقات السلمى ٤٥٧ - ٤٥٨ ; وطبقات الشعراوى ١٤١/١ : وطبقات

الشافعية ٢ / ١٨٩ - ١٩٠ : والمنتظم ٧ / ٨٤ : والشذرات ٣ / ٥٠ .

والقشيري ، وحکی هو عن نفسه قال : كنت اختلفت إلى مجلس الجبری فی بدايتها فأثر فی قلبي کلامه فتبّت ثم وقعت فی فترة ، فكنت أهرب من الجبری إذا رأيته فظفر بى ، فقال : يا بنى ، لا تصحب من لا يحبك إلا معصوما !! إنما ينفعك أبو عثمان فی هذه الحالة فتبّت وعدت إلى الإرادة ، وذكر شیخه الجبری أنه كان من الأوتاد .

(ومن کلامه) : كل حال لا يكون نتیجة علم فضرره على صاحبه أكثر من نفعه .

وقال : من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه .

وقال : كل من لم تهدك رؤيته فهو غير مهذب .

وقال : لا يصفو لأحد قدم العبودية حتى يشهد أفعاله كلها رباء وأحواله دعاوى .

وقال : إذا أراد الله بعد خيراً رزقه صحبة الصالحين ، والعمل بما يُشيرون به عليه .

وقال : الدعاوى إنما تتولد من فساد الابتداء ، فمن صحت بدايتها صحت نهايتها ، ومن فسدت بدايتها هلك في أحواله وقتاما « أَفَمِنْ أَسْسِ بَنْيَانِهِ عَلَى تقوىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانِ خَيْرٍ ۝ (١) الآية .

وقال : التصوف الصبر تحت الأمر والنهى .

وقال : آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه ، وأى من المقامات يعني وقوفه عن طلب الزيادة وإلا فهو حسن .

وقال : الملامتى لا دعوى له ؛ لأنه لا يرى لنفسه شيئاً يدعى به .

وقال : من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن

الدنيا وأهلها .

وقال : بقدر ما تشتغل الناس بقدر ما تضييع من حق ربك وأوامره .

وقال : من المجهل إظهار العبد محسنه لمن لا يملك نفعه ولا ضره .

مات سنة ست وستين وثلاثمائة عن ثلات وتسعين سنة .

(٣٢٤) إسحاق بن محمد أبو يعقوب النهر جوري^(١)

صوفى عصره على الإطلاق ، وإمام وقته باتفاق الحذاق ، كان ذا همة تسمى إلى السماء ، ومجاهدة منتظمة الأسلام ، أخذ عن الجنيد وطبقته ، قال أبو عثمان المغربي ما رأيت أنور منه ، وأما الوعظ فهو من فرسان منابر ، وأبطال محاربته ومخابره ، كم أذاب حصاة قلب صلب تحت كرسيه ومنبره ، وكم أسأل دمعاً إذا جرى تعثر في محجره .

(ومن فوائده) : من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً ، ومن كان غناه بالمال لم يزل فقيراً ، ومن طمع في الخلق لم يزل محروماً ، ومن استعان على أمر بغير الله لم يزل مخدولاً .

وقال : إنما ساد أهل الله الخلاائق طلبهم الحقائق ، وقال : إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة .

وقال : أرزاق المتكلين على الله تجري بعلم الله لهم بلا شغل ولا تعب ، وغيرهم فيها مشغول متعوب .

وقال : مشاهدة القلوبتعريف ومشاهدة الأحوال تحقيق .

وقال في حديث : احترسوا من الناس بسوء الظن بأنفسكم لا بالناس .

(١) حلبة الأولياء ، ٣٥٦/١٠ ، والرسالة القشيرية ٣٥ ، وطبقات الشعراني ١/١٣٠ ، وطبقات السلمي ٣٧٨ - ٣٨١ ، والشذرات ٢/٣٢٥ .

وقال : الدنيا بحر والأخرة ساحل ، والمركب التقوى والناس سفر - اى
مسافرون - في المركب .

وقال : أفضل الأحوال ما قارن العلم ودوام الذكر وأنت إذن من أهلهما ،
وسائل عن التصوف ؟ فقال : تلك أمة قد دخلت ، ودخل عليه المزین وهو في
النزع ، فقال قل : لا إله إلا الله فتبسم ، وقال : إياتي تعنى وعزة من لا يذوق
الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة ، ومات فوراً فكان المزین يأخذ بلحيته
ويقول : حجام مثلی يلقن الأولياء الشهادة واجلتاه . وكان يبكي كلما ذكر
ذلك ، ونظير ذلك انه لما دنت وفاة أحمد بن نصر ، وقيل : له قل : لا إله إلا
الله ، فنظر للقائل ، وقال بالفارسی : بي حرمتي مكن يعني : لا تسىء الأدب .
ومات سنة ثلاثين وثلاثمائة .

حرف الباء

(٣٢٥) بنان بن محمد الحمال الواسطي^(١)

ثم المصري

عبد عارف ، زاهد على الخير عاكف ، كريم الشأن والولاية ، جميل
التربية والرعاية ، وصاحب الجنيد وغيره ، وله الكرمات السنية والواقف العلية ،
سئل عن أجل أحوال الصوفية ، فقال : الثقة بالضمون والقيام بالأوامر ، ومرعاة
السر والتخلی عن الكونين .

(ومن كلامه) رؤية الأسباب علي الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب ،

(١) حلية الأولياء ٣٢٤ / ١٠ : والرسالة القصيرة ٣١ : وطبقات السلمي ٢٩١ - ٢٩٤ : وطبقات
الشعراني ١٣٢ / ١ : وتاريخ بغداد ٧ / ١٠٢ - ١٠٠ : وحسن المحاضرة ٢٩٣ : والبداية والنهاية
١٥٨ / ١١ : والمنتظم ٢١٧ / ٦ : ومرآة الجنان ٢ / ٢٦٨ : والشذرات ٢٧١ / ٢ .

وقال : بينما أنا سائر بين مكة وجدة إذا بشخص على بعد فأمته فسلمت عليه ، وقلت له : أوصني ، قال : يا بنان إن كان الله أعطاك من سر سره سراً ، فكن مع ما أعطاك ، وإن كان لم يعطكه فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر ، وعليك بكتابه الحديث ، وقال : كنت بطريق مكة ومعي زاد فرأيت امرأة ، فقالت : يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك ، وتظن أنه لا يرزقك ؟ فرميتك بزادى ، ثم أتى على ثلات لم أكل فوجدت خلخالاً بالطريق فقلت : آخذه ليأتى صاحبه فيعطييني شيئاً فإذا بالمرأة فقالت : أنت تاجر تقول حتى يجيء صاحبه فأخذته ورمي إلى دراهم وقالت : أنفقها فاكتفيت بها إلى مصر .

(ومن كلامه) : من كان يسره ما يضره فمتى يفلح ، وقال : الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع ، والبريء جرىء والخائن خائف ومن أساء استوحش ، وقال : إن أفردته بالريبيبة أفردك بالعنابة ، والأمر بيديك إن نصحت صافوك ، وإن خلطت خلوك ، وقال : ليس بتحقق في الحب من راقب أوقاته أو تحمل في كتمان حبه حتى ينهتك فيه ويفتضح ، وبخلع العذار أولاً ، ولا يبالى بما يرد عليه من جهة محبوبه ، ويتلذذ بالبلاء في الحب ، وقال : دخلت البداية وحدى فاستوحشت فإذا بهاتف يهتف بي : يا بنان نقضت العهد لم تستوحش ؟ أليس حبيبك معك .

(قوله كرمات كثيرة) منها أن بعض القضاة أغروا عليه ابن طولون فأمر بأن يلقى للسبع يجعل يشمها ولا يضره ، وقيل له : ما كان في قلبك حين شمك السبع ؟ قال : كنت أتفكر هل سؤر السباع ظاهر أم نجس ، ووishi به إلى بعض قضاة مصر فضريه سبع درر فدعا عليه أن يحبس سبع سنين فحبس كذلك ، وجاءه مريض فشكى إليه ، فقال له : قم فاستف من تراب القبلة ففعل فبرىء فوراً .

مات بمصر سنة ست عشرة وثلاثمائة ، ودفن بالقرافة بسفح المقطم مما يلى

مسجد محمود (١) .

أسنـدـ الـحـدـيـثـ عـنـ أـحـسـنـ بـنـ عـرـفـةـ وـحـمـيدـ بـنـ الرـبـيعـ وـالـحـسـنـ الزـعـفـرـانـيـ وـبـكـارـ بـنـ قـتـيـةـ وـغـيرـهـ .

(١) **بنـدارـ بـنـ الحـسـينـ الشـيرـازـيـ**

الفـقـيـهـ الشـافـعـيـ ، عـارـفـ خـبـيرـ ، حـسـنـ التـرـبـيـةـ وـالـتـدـبـيـرـ ، وـاسـعـ الـخـطـوـةـ
وـافـرـ السـطـوـةـ ، لـجـيـوـشـ الشـيـطـاـنـ كـاسـراـ ، وـعـنـ سـاعـدـ الجـدـ وـالـاجـتـهـادـ حـاسـراـ ،
سـكـنـ أـذـرـيـجـانـ ، وـكـانـ عـالـمـاـ بـالـأـصـولـ وـلـهـ الـلـسـانـ الـمـشـهـورـ فـىـ عـلـمـ الـحـقـيقـةـ ،
وـكـانـ الشـبـلـىـ يـعـظـمـهـ جـداـ سـئـلـ عـنـ الـفـرـقـ بـيـنـ الصـوـفـيـ وـالـمـتـصـوـفـ فـقـالـ : الصـوـفـيـ
مـنـ صـافـاهـ الـحـقـ وـاخـتـارـهـ مـنـ غـيرـ تـكـلـفـ وـلـاـ اـجـتـهـادـ ، وـالـمـتـصـوـفـ الـمـتـزاـحـمـ عـلـىـ
الـمـرـاتـبـ مـعـ تـكـلـفـ ، وـكـمـونـ رـغـبـةـ فـىـ الدـنـيـاـ .

(وـمـنـ كـلـامـهـ) : لـاـ تـخـاصـمـ لـنـفـسـكـ فـإـنـهاـ لـيـسـ لـكـ ، دـعـهـاـ لـمـالـكـهاـ
يـفـعـلـ بـهـاـ مـاـ يـرـيدـ ، وـقـالـ صـحـبـةـ أـهـلـ الـبـدـعـ تـورـثـ الـأـعـرـاضـ عـنـ الـحـقـ .
وـقـالـ : اـتـرـكـ مـاـ تـهـوـيـ لـمـاـ تـؤـمـلـ ، وـقـالـ : يـصـلـ الـعـبـدـ إـلـىـ مـقـامـ لـاـ يـخـاصـمـ
فـيـهـ نـفـسـهـ لـكـونـهـ يـرـاهـاـ مـلـكـاـ لـلـهـ لـاـ لـهـ .

وـقـالـ : لـيـسـ مـنـ الـأـدـبـ أـنـ تـسـأـلـ رـفـيقـكـ : إـلـيـ أـيـنـ أـوـ فـيـ إـيـشـ .
وـقـالـ : مـنـ لـمـ يـجـعـلـ قـبـلـتـهـ رـبـهـ فـسـدـتـ صـلـاتـهـ .
وـقـالـ : الـدـنـيـاـ مـاـ دـنـاـ مـنـ الـقـلـبـ وـشـغـلـهـ عـنـ الـحـقـ .

وـقـالـ : مـنـ أـقـبـلـ عـلـىـ الـدـنـيـاـ أـحـرـقـتـهـ بـنـيـرـانـهاـ ، يـعـنـىـ الـحـرـصـ كـمـاـ قـالـهـ
الـإـمـامـ الرـازـيـ ، وـمـنـ أـقـبـلـ عـلـىـ الـآخـرـةـ أـحـرـقـتـهـ بـنـورـهـاـ يـعـنـىـ الـخـوفـ ، فـصـارـ سـبـيـكـةـ
ذـهـبـ يـنـتـفـعـ بـهـ ، وـمـنـ أـقـبـلـ عـلـىـ اللـهـ أـحـرـقـهـ بـنـورـ التـوـحـيدـ ، فـصـارـ جـوـهـرـاـ لـاـ يـقـابـلـ
بـشـمـنـ .

(١) حلـيةـ الـأـولـيـاءـ ٣٨٤/١٠ : وـالـرـسـالـةـ الـقـشـيرـيـةـ ٣٨ : وـطـبـقـاتـ الـسـلـمـيـ ٤٦٧ـ - ٤٧٠ـ : وـطـبـقـاتـ
الـشـعـرـانـيـ ١٤٦/١ : وـطـبـقـاتـ الشـافـعـيـةـ ١٩٠/٢ـ .

وقال : من مشى في الظلم إلى ذي النعم أجلسه على بساط الكرم ،
ومن قطع لسانه بشفرة السكوت ، بنى له بيت في الملكوت ، ومن واصل أهل
الجهالة ، ألبس ثوب البطالة ، ومن أكثر ذكر الله شغله عن ذكر الناس ، ومن
هرب من الذنوب هربت منه ، ومن رجا شيئاً طلبه .
مات بأذربيجان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

(٣٢٧) بشر بن بشار الماجاشعي

كان من السائرين العابدين ، والأولياء الصالحين ذا رتبة أضاءت
ملتها ، وشهرة طابت سمعتها .

قال : لقيت عباداً ثلاثة ببيت المقدس فقلت لأحدهم : أوصني ، فقال :
ألق نفسك مع القدر حيث ألقاك فهو أحرى أن يفرغ قلبك ويقل همك ، وإياك أن
تسخط ذلك فيحل بك السخط وأنت عنه في غفلة لا تشعر ، فقلت للآخر :
أوصني ، فقال : التمس رضوانه في ترك ملاهييه فهو أوصل لك إلى الزلفى لديه
وقلت للآخر أوصني فبكى ، وقال : لا تتبع في أمرك تدبيرة غير تدبيرة فتهلك
فيمن هلك ، وتضل فيمن ضل ، والسلام . ونقل أو غيره عن عطاء الأزرق إذا
حضرت المقابر ، فليكن قلبك فيمن أنت بين ظهريه فإني بينما أنا في المقابر إذ
تفكرت في نفسي ، فإذا بصوت إليك يا غافل إنما أنت بين ناعم في نعيمه
مدلل ، أو معذب في سكراته مقلب .

حرف الجيم

(٣٢٨) جعفر بن محمد بن نصير الخواص^(١)

البغدادي ويعرف بالخلدي

إمام يم فضله متسع ، وشمل معرفته مجتمع ، وافر الصلاح ، سافر الصباح ، له من الأوراد المرفوعة والأحزاب المسموعة أكمل سلاح ، أخذ عن سمنون والجنيد وتلك الطبقة ، وكان ملجاً للقوم في فهم كلامهم وحكاياتهم ، حتى قال : عندي مائة ونify وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية ، وحج نحو ستين حجة ، وكتب إليه أبو الحسن التيناني : وزر جهل القراء عليكم لأنكم استغلكم بذوقكم عن تأديبهم فبقوا بجهلهم ، ترجمة الخطيب في تاريخه ، وقال : هو شيخ الصوفية وذكر أنه سمع الحديث من جماعة كثيرين أجلاً ، عددهم من أهل العراق ومكة ومصر ، وقال : إنه رحل ولقي المشايخ الكباراء من المحدثين والصوفية ، ثم عاد ببغداد فقطنها ، وروى بها علماً كثيراً ، وقال : وكان ثقة صدوقاً ثبتاً ديناً فاضلاً ، وسبب دخوله في التصوف أنه سمع على عباس الدوري ، ثم خرج من عنده ، فلقيه بعض الرجال ، فقال : إيش هذا معك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق ، ثم قطع الأوراق ، فدخل كلامه في قلبه ، ونام في ابتداء أمره ، فسمع هاتفاً يقول له : امض إلى موضع كذا واحفر تجد هناك شيئاً ففعل ، فوجد هناك صندوقاً فيه دفاتر فيها أسماء ستة آلاف شيخ من أهل الحقائق والأصفياء والأولياء من آدم عليه السلام إلى زمانه ونوعتهم وصفاتهم وكلامهم فكانوا يقرأونها ، ثم دفنها فلم تظهر لأحد .

(ومن كراماته) ما حكاه تلميذه أبو الحسن العلوى ، وقال : جعلنا

(١) حلية الأولياء ٣٨١/١٠ : وصفة الصفة ٢٦٤/٢ : والرسالة القشيرية ٣٦ : وطبقات السلمي ٤٣٤ - ٤٣٩ : طبقات الشعراوى ١٣٨/١ : وغاية النهاية ١٩٧/١ : وتاريخ بغداد ٢٢٦/٧ - ٢٣١ . واللباب ٣٩١/٦ : والمنتظم ٣٨٢/١ : ومرآة الجنان ٣٤٢/٢ والشذرات ٣٧٨/٢ .

طيراً في التنور في بيتنا ، وكان قلبي معه فقال الشيخ : نم عندنا الليلة فاعتللت بعلة ورجعت للبيت فوضع الطير بين يدي ، فدخل كلب فأخذه وفر فأكلت الحبز بلا أدم ، وتغير قلبي واستوحش ، فأصبحت فدخلت على الشيخ ، فلما وقع بصره على قال : من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط الله عليه كلبا يؤذيه .

(ومن كلامه) لا يقدح في الإخلاص كون المريد يعمل ليصل للمقامات العلية .

وقال : من أخلص لله في المعاملة أراجه من الدعاوى الكاذبة . وقال : عليكم بصحبة الفقراء فإنهم كنوز الدنيا ومفاتيح الآخرة .

وقال : المحب يجتهد في كتمان حبه وتأبى المحبة إلا الاشتهر وكل شيء ينم عن الحب حتى يظهره . وقال : السياحة ضرمان : سياحة بالنفس بالسيرة في الأرض ليلقى الأولياء ويعتبر آثار قدرته وسياحة بالقلب يجول في الملوك فيورد على صاحبه بركة مشاهدة الغيوب فيطمئن القلب عند الورود .

وقال : العقل ما يبعدك عن مواطن الهملات ، وقال : ودعت بعض حاجاتي المزينة الصوفى فقلت : زودنى ، فقال : إن ضاع لك شيء أو أردت أن يجمع بينك وبين إنسان فقل : « يا جامع الناس ليوم لا رب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد » اجمع بيني وبيني كذا وكذا ، فإنه يجمع بينك وبينه .
مات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

حرف الحاء المهملة

(١) **الحسين بن منصور الحلاج البيضاوى** (٣٢٩)

ثم الواسطى^(٢) صوفى أضاء فى أفق المشرق بدره ثم اشتهر فى أقطار المغرب ذكره ، وله خوارق سиюوفها مجرد وعجائب سنتها محددة ، أصله من بيضاء فارس ونشأ بواسط وصاحب الجنيد والثورى وغيرهما وسبب تسميته بالحلاج أنه قعد على دكان حلاج وبها مخزن قطن غير محلوج فذهب صاحب الدكان لحاجة فرجع فوجد القطن كله محلوجا فاشتهر بذلك ، وكان من أهل الشطح ، وقد اختلف فيه الناس ما بين مكفر له ومعتقد ولايته ، وهم الجمهور ومنهم التشيرى فى الرسالة وابن الحاج فى المدخل وغيرهما . وسبب قتلته على ما زعم ابن مشاد أنهم وجدوا بالدينور كتابا بخطه عنوانه : « من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلانة » فوجه إلى بغداد ، فأحضره وعرض عليه فقال : خطى ، فقالوا : أتدعى الريوية ، قال : لا ولكن هكذا عين الجمع ما الفاعل إلا الله وأنا ، فاليلد آلة كذا ، قال مشاد : ولكن قال ابن خلكان : لم يثبت عنه ما يوجب القتل أبدا ، وإنما هو لما وضع فى المحننة قام مع غالب العامة فخاف الخليفة المعتصم فجعل الأمر للوزير فعقدوا له مجلسا واتفقوا على قتله بغير ثبوت ، فقطعوا يديه ورجليه ثم جزروا رأسه ثم أحرقوه ، ولما سقط رأسه بقى جسده ساعتين من النهار قائما ورأسه بين رجليه يتكلم بكلام لا يفهم ، لكن آخر كلامه

(١) نسبة إلى البيضاء مدينة من أكبر مدن كورة إصطخر بفارس ، انظر ياقوت معجم البلدان ٧٩٣/١ (طبعة وستنبلد).

(٢) نسبة إلى واسط التى تقع بين البصرة والكوفة ، ياقوت معجم البلدان ، ٨٨١/٤ (طبعة وستنبلد) وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان ١٨٣/١ - ١٩٠ ; وتاريخ بغداد ١١٢/٨ - ١٤١ ; والأنساب ١٨١ ; واللباب ٣٣٠/١ ; والمختصر فى أخبار البشر ٧٠/٢ ; والبداية والنهاية ١٣٢/١١ - ١٤٤ ; ومراة الجنان ٢٥٣/٢ - ٢٦١ ; والمنتظم ١٦٠/٦ - ١٦٤ ; والشذرات ٢٢٣/٢ - ٢٥٣ ; وطبقات الشعرانى ١٢٦/١ - ١٢٨ ; وما كتبه لوى ما سينيون فى استشهاد الحلاج ، باريس ١٩٢٢ ؛ وأخبار الحلاج بالاشتراك مع بول كراوس ، باريس ١٩٣٦ .

فهم منه أحد أحد . وكان شأنه التطور فلما طلب للقتل تطور في البيت فملاه ، فأتاه الجنيد وقال : فتحت في الإسلام ثغرة لا يسدتها إلا رأسك فاخذ ، فسلم فانفس وسلم واستسلم ، ولما وقع دمه على الأرض كتب الله الله إشارة لتوحيده ، وإنما لم يكتب دم الحسين بن علي ، رضي الله عنهم ، ذلك لأنه لا يحتاج لتبرئة بخلاف الحال .

وقيل : إن سبب قتله أنه أخذ كتاباً لعمرو بن عثمان المكي فيه علوم الخاصة ، فجاء عمرو فلم يجده فقال : من أخذ هذه قطعت يداه ورجلاه وقتل ، ولما كانت الليلة التي وعد من الغد بقتله قال له خادمه أبو العباس الرازي : أوصني ، فقال : عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك ، ولما خرج للقتل خرج يتبتخر في قيده ويقول : حب الواحد إفراد الواحد ويترنم وينشد أبياتاً : قال بعضهم خرجت في ليلة مقمرة إلى زيارة قبر أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، فرأيت ثم رجلاً قاعداً هناك فدنوت منه بغير علمه فإذا هو يبكي ويقول : يا من أسكنني بحبه وحيرني في ميادين قريه ، أنت المتفرد بالقدم قيامك بالعدل لا بالاعتدال ، وبعدي بالعز لا بالاعتزال ، وحضورك بالعلم لا بالانتقال ، وغيبك بالاحتجاب لا بالارتحال ، فلا شيء تحتك فيقلنك ، ولا أمامك شيء فيحدنك ، ولا وراءك شيء فيدرنك ، أسائلك بحق هذه الغزية المفتولة ، والمراتب المسئولة ألا تردني إلى بعد ما اختطفتني عنى وأكثر أعدائي في بلادك والقائمين لقتلى من عبادك ، فلما أحس بي التفت فإذا هو الحال فصعق وسقط وسال الدم على وجهه فأشار إلى أن اذهب ، فذهبت وتركته .

وقال الحلواني : قدم الحال للقتل وهو يضحك فقلت : يا سيدى ، ما هذا الحال ؟ قال : دلال الجمال الجالب إليه أهل الوصال .

(ومن كلامه) : حجبهم بالاسم فعاشوا ، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا ولو كشف لهم عن الحقيقة لما توا ، وقال : من لاحظ الأعمال حجب عن

الجمال أى في الابتداء ، وقال : في حق ذي الغايات إذا انحل العقل عن القلب
صار بائنا فأشرف على الغيب ، وقال : أسرارنا بكرة لا يفتقها وهم واهم ولا
فهم فاهم .

وقال : من أشار إليه فهو متصوف ومن أشار عنه فهو صوفي .

وقال : معنى الخلق العظيم لا يؤثر فيه جفاء الخلق بعد مطالعة الحق .

وقال : الصوفي وحداني الذات لا يقبل أحدا ولا يقبله أحد .

وقال : قول القائل يا علة العلل ويا قدما لم يزل جهل ، فإن الله يخلق
العلل وليس بعلة كيف يقبل العلة من كان ولا شيء واحد لا من شيء وهو الآن
كما كان .

وقال : ليس من لا يرى أحدا أو يذكر أحدا أن يقول : عرفت الأحد الذي
منه ظهرت الآحاد .

وقال : إذا تخلص العبد لمقام المعرفة أوحى إليه بخواطره وحرس سره أن
يسبح فيه غير خاطر الحق .

وقال : علامة العارف كونه فارغ من أمور الدارين مشتغلًا بالله وحده .

وقال : إذا استوى الحق على سر عبد ملك الأسرار فيعانيها ويخبر
عنها .

وقال : المريد الصادق هو الرامي بأول قصده إلى الله فلا يرجع حتى
يصل وقال : من عرف الحق وعرف الحق في التوحيد سقط عنه ثم وكيف .

وسئل عن التصوف وهو مصلوب فقال : أهونه ما ترى ؟ وقيل له :
أين أمه ؟ فقال : في الجبة قال في المدخل يعني لم يبق في الجبة التي عليه
لنفسه تصرف وإنما التصريف كله لله وبالله ، وقال : وهذا الذي ذكره هو حقيقة
قوله ، عليه الصلاة والسلام : تخلقوا بأخلاق الله .

وقال : لا يجوز لمن يرى غير الله أن يدعى أنه يعرفه .

وقال : من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبادة التجريد .

وقال : من طلب الحق بنور الإيمان كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب .

وقال : ما انفصل الحق ولا اتصلوا به .

وقال : إذا دام البلاء بالعبد ألفه ، وذلك من رحمة الله بأهل النار من حيث لا يشعرون .

وقال : من خاف من شيء سوي الله أو رجا سواه ، أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجب بسبعين حجاباً أيسرها الشك ، ومن نظمه رضي الله عنه .

عجبت منك ومني أفينيتنى بك عنى
أدنيني منك حتى ظننت أنك أنى
ولما قدم للقتل أشار إلى جهاد النفس بقوله :

أقتلونى يا ثقاتى إن فى قتلى حياتى

وحياتى فى مماتى ومماتى فى حياتى

قال السهروردى : وإياها عنى بقوله ، رضي الله عنه :

هيكلى الجسم نورى الصميم مدى الروح ديان عليم

عاد بالروح إلى أربابها فبقى الهيكل فى الترب رميم

ومن نظمه وهو مصلوب :

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا وعاقبوا على ما كان من زلل

(ومن كراماته) أنه كان يخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وعكسه ويد يده في الهواء ويعيدها ملوءة دراهم مكتوب عليها ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ويسميها دراهم القدرة ، ومنها : أنه كان يخبر الناس بما أكلوه وما فعلوه في بيتهم ويتكلم بما في ضمائركم ، ومنها : ما حكاه ابن خفيف قال : دخلت عليه السجن فسلمت ، فرد فقال : ما يقول الخليفة في ؟ قلت : يقول : غدا نقتله فتبسم وقال : لي خمسة عشر يوماً يكون من أمري كذا ، وكذا ، ثم قام فتوضاً وكان بالسجن جبل مددود وعليه خرقة فرأيتها في يده ينشف بها وجهه وكان بينه وبينها نحو أربعين ذراعاً فلا أدرى أطارت الخرقة إليه أم مد يده فأخذها ، ثم أشار بيده إلى الحائط فانفرج فرأيت دجلة والناس قيام على جانبيها ، وله تصانيف بدعة في التصوف وعلم الحرف والسيمياء والكميماء والطلاسم والعزائم والرقى وغير ذلك ، قتل سنة تسع وثلاثمائة .

(تنبية) قال الإمام ابن عربى : رأيت الحلاج في بعض التجليات فقلت له : لم تركت بيتك يخرب ؟ فتبسم وقال : لما استطالت عليه أيدي الأكون حتى أخلته فأفنيت ، وأخلفت هارون في قومي فاستضعفوه لغيبيتى فأجمعوا على تخربيه ، فلما هدوا من قواعده ما هدوا ورددت إليه بعد الفناء فأشرفت عليه وقد حلت به المثلث فأنفت نفسى أن أعمى بيتك تحكمت فيه أيدي الأكون فقبضت عنه ، فقيل : مات الحلاج ، والحلال ما مات ، لكن البيت خرب ، والساكن ارتحل ، والسلام .

(١) الحسن بن محمد (٣٣٠)

الخولاني أبو الحسين الكابس ، فقيه صالح مجتهد في العبادة ، كافح كثيراً الكبائر ، رقيق القلب مجاب الدعوة ، كثير السماحة شديد الوقوف لرضى رب ، باع ضياعه وتصدق بها صادق في مذهبة مجانب لأهل الهوى ، قال

الأبيانى ، ذاك العالم حقا سمع من ابن مسكين وابن ثريد وابن شعبان ، وكان له معرفة بشعراء العرب واللغة والنحو ، أخذ عن القابسى واللواتى وابن نظيف ورحل الناس إليه من الآفاق .

وكان يقول : وعزتك ما عصيتك استخفافا بحقك ولا جحودا لربوبتك ، لكن حقرنى جهلى وغاب عنى علمى واستفزنى عدوى ، وإنى عليها يا إلهى لنادم ، وكان إذا أعجبه من صاحبه شيء ، قال : والله لأسرنك فى نفسى ، قيل له : بماذا ؟ قال : بحسن الثناء عليك ، فقيل له : فما تصنع بقول المصطفى ، صلى الله عليه وسلم : « احثوا التراب فى وجوه المداهين » ^(١) فقال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنما ذلك إذا مدح الرجل فى وجهه بما ليس فيه وإلا فمدح الرجل فى وجهه بما يجرى من حسن أفعاله فحسن .

ومن كلامه : أبت الحكمة أن تنطق على لسان من يأكل حتى يشبع ومن يحب الدرام ، وقال : أرنى من قصده فخاب أو توكل عليه فضاع أو أطاعه فأضاعه ، لا يرى ذلك أبدا وأنشد :

يا رب كن لي دليلا بالصنع حتى أطيعك لئن محوت صنيعى لقد عدلت صنيعك
إذا كنت أعصاك جهلا أحب فيك من يطيعك
مات سنة سبع وأربعين وثلاثمائة .

(٢) الحسين بن عبد الله الصبىحى البصري (٣٣١)

إمام قدره على ، ويرهان منهاجه واضح حسن جلى ، كان للتربية مقصودا ، ومن أكابر الصوفية معدودا عالما بالكتاب ، والسنة ، وصاحب ورع ولسان في الطريق ومنه مكت في سرب داره فلم يخرج ثلاثة سنـة حتى أخرجه

(١) رواه الترمذى عن أبي هريرة ، الجامع الصغير ١٢٧ / ١ .

(٢) طبقات السلمي ٣٢٩ - ٣٣١ : وطبقات الشعراوى ١٢١ / ١ .

أهل البصرة إلى سوس ، وبها مات .

(ومن كلامه) : السماع بالتصريح جفاء ، وبالإشارة تكلف ، وألطافه ما كان بلا تكلف .

وقال : علامة من يحب الدنيا أن تقطعه عن الآخرة فإن الحكم للأغلب .

وقال : ليس الغريب من بعده عن وطنه ، بل من قل جنسه وشكله .

وقال : النظر في عواقب الأمور من أحوال العاجزين ، والهجوم على المراد من أحوال السائرين ، والحمد بالرضا تحت موارد القضا من أحوال العارفين .

وقال : يجب على الواحد حفظ وجده .

وسئل عن أصول التصرف ، فقال : إثبات صدق الافتقار إلى الله تعالى والاقتداء برسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وفروعه أربعة : الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود ، والرضى بال موجود ، والصبر عن المفقود .

وقال : ابتلى الخلائق بالدعوى العريضة في الغيب ، فإذا أظلتهم هيبة المشاهدة خرسوا وأفحموا وتلاشوا ولو صدقوا في دعاويمهم لبرزوا عند المشاهدة كما بز المضطفي ، صلى الله عليه وسلم ، بقدم الصدق حين تطلب أمته الشفاعة ويقول : أنا لها ولم تر عه هيبة الموقف .

(٣٣٢) الحسن بن احمد الكاتب المعدى البصري

من كبار مشايخ مصر والشام ، ومن أعاظم أهل الحقائق الأعلام وافر العرفان مثمر الأنفان . أخذ عن الروذباري وغيره .

(ومن كلامه) : إذا انقطع العبد إلى الله بكليته فأول ما يفيده الاستغنا به عن الناس .

وقال : روائح نسيم المحبة تفوح في المحبين وإن كتموها ، وتبهر عليهم دلائلها وإن أخفوها ، وتدل عليهم وإن ستروها ، وقال : المعتزلة نزهوا الله من حيث العقول فأخطأوا ، والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا ، وقال : من سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق ، وقال : صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم . وقال : يقول الله : من صبر علينا وصل إلينا ، وقال : إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره ، فإن فرح وشكراً آنسة بقرره ، وإن لم يشكراً أجري الذكر على لسانه وسلبه حلاوته ، وقال : إذا سكن الخوف القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه ، مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة .

(٣٣٣) الحسين بن علي بن بزدة النمير^(١)

كان جليل القدر رحيب الباع والصدر وافر المهاية ظاهر الإنابة كثير الخير والإحسان معظماً عند الأكابر والأعيان ، أخلاقه كريمة وبركاته عميقة وقدمه ثابت وغرس كرم وكراماته نابت ، أصله من أومينية ، وله طريق في التصوف يختص به ، وكان ينكر على بعض مشايخ العراق كالجنيدي أحوالهم الفاضحة لأسرار الطريق .

(ومن كلامه) : رضا الخلق عن الله رضاهما بما يفعل ، ورضاه عنهم توفيقهم للرضا عنه .

وقال : من استغفر الله وهو ملازم لشهوة الذنب حرم الله عليه التوبة والإنابة إليه .

وقال : الحباء ثلاثة قسمان منها : حباء الخيانة كحياء آدم لما أكل من الشجرة وحياء التقصير كقول الملائكة : سبحانك ما عبادناك حق عبادتك ، وحياء الإجلال كما روي أن إسراطيل تسرب بجناحه حباء من ربه .

(١) حلية الأولياء ٣٦٣/١٠؛ وطبقات السلمى ٤٠٦ - ٤٠٩؛ والرسالة القشيرية ٣٦؛ وطبقات الشعراوى ١٣٣/١ - ١٣٦.

وقال : إياك أن تطمع في الأنس بالله وأنت تحب الأنس بالناس ، وأن تطمع في المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس .

وقال : المريد طالب والعارف مطلوب ، والمطلوب مقبول والطالب مرغوب .

وقال : الروح مزرعة الخير ، لأنها معدن الرحمة والبدن مزرعة الشر ، لأنه معدن الشهوة ، فالروح مطبوع على إرادة الخير والنفس على إرادة الشر .

وقال : المعرفة تحقق القلب بوحدانية الله وظهور الحقائق وتلاشى الشواهد .

وسائل عن العبد : إذا خرج إلى الله على أى أصل يخرج ؟ قال : على أن لا يعود إلى ما منه خرج ، ولا يراعي غير من إليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظة من تبراً منه فقيل له : هذا حكم من خرج عن وجود فما حكم من خرج عن عدم ؟ .

وقال : وجود الحلاوة في المشانف عوض عن المراة في المثالف .

(١) **الحسين بن علي الجوزجاني** (٣٣٤)

من كبار مشايخ خراسان ، مشهور بالرياضه والمعارف والمجاهدات واللطائف ، إمام عظم شرفه ، وشيخ علت في جنة الورع غرفه ، صاحب الحكيم الترمذى والبلخى لقرب سنه منهم .

(ومن كلامه) : ثلاثة أشياء من عقد التوحيد : الخوف والرجاء والمحبة ، فزيادة الخوف من ترك الذنوب لرؤبة الوعيد ، وزيادة الرجاء من اكتساب الخير لرؤبة الوعيد وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤبة الملة ، فالخائف لا يستريح من الهرب ، والراجح لا يستريح من الطلب ، والمحب لا يستريح من ذكر

(١) نسبة إلى جوزجان ، اسم كورة واسعة من كرى بلغ بخراسان ، ومنها صاحب الترجمة كما جاء في ياقوت ، معجم البلدان ، ١٨٢/٢ (طبعة بيروت) .

المحبوب ، فالخوف نار منور ، والرجاء نور ينور ، والمحبة نور الأنوار .
وقال : في البخل ثلاثة أحرف الباء : وهو البلاء ، والخاء وهو الخسران ،
واللام وهو اللوم ، فالبخيل بلاه على نفسه وخاسر في سعيه وملوم في بخله .
وقال : كن صاحب استقامة لا طالب كرامة فإن نفسك متحركة في طلب
الكرامة وربك مطالبك بالاستقامة .

حرف الدال المهملة

(١) (دَلْفُ بْنُ جَحَّاتِرَ) أَبُو بَكْرِ الشَّبْلِي (٣٣٥)

قيل : اسمه جعفر بن يونس حكاه السلمى وقيل غير ذلك ، إمام اشتهر
شرفه وسمت في جنان المعرفة غرفه ، وأضاء كوكب زهذه وديانته ، ونما فرع
ورعه وصيانته ، وهو خراساني الأصل بغدادي المنشأ ، كان والياً بنهاوند
 وبالبصرة وكان والده حاجب الحجاب للموفق ثم ناب صاحب الرجة ، وصاحب
 الجنيد والصناج والطبة وصار أوحد وقته علماً وحالاً . تفقه على مذهب الإمام
 مالك وكتب حديثاً كثيراً ثم شغلته العناية عن الرواية ، وكان يأخذه الوله ويرد
 في أوقات الصلوات إلى حسه حتى لا يفوته شيء مما يتوجه عليه من التكليف
 كما يتوجه على العاقل الذاكر ، فإذا فرغ من صلاته أخذه الوله فلا يعقل
 (وسمع) بياعاً يقول : الخيار عشرة بدرهم ، فصاح وقال : إذا كان الخيار عشرة
 بدرهم ، فكيف الشراء ؟ (وصاح) يوماً في السماع فقيل له فيه فقال :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزه ركعاً وسجوداً

(١) حلية الأولياء / ١٠ - ٣٦٦ - ٣٧٥ : وصفة الصفة / ٢٥٨ / ٢ : والرسالة القشيبة ٣٣ : وطبقات
السلمي ٣٣٧ - ٣٤٨ : وطبقات الشعراني ١٢١ / ١ - ١٢٤ : وفيات الأعيان ٢٢٥ / ١ : وتاريخ
٣٨٩ / ١٤ - ٣٩٧ : واللباب ١٠ / ٢ : والأنساب ٣٢٩ : ومرآة الجنان ٣١٧ / ٢ - ٣١٩ : والكامل
لابن الأثير ٨ / ٣٥٠ : والبداية والنهاية ١١ / ٢١٥ : والمنتظم ٣٤٧ / ٦ : والأعلام للزرکلي
١ / ٣١٠ : والشذرات ٣٣٨ / ٢ .

ودخل خربة فوجد بها جارية فصاح بأعلى صوته : يا لل المسلمين أدركوني فأتاه الناس فقالوا له : ما الخبر فقال : خفت على نفسي من الخلوة بهذه ، وكان إذا أعجبه نحو صوف أو عمامة أو ثوب حرقه .

(ومن كلامه) وحكمه التي وشحها بـألفاظه وأقلامه ونضد عقودها بأحكام إحكامه وملاً بجيوشها صدور مهامه قال : لا يكمل فقير حتى تستوى حالاته سفراً وحضرها غيبة ومشهداً . وقال : وقفـت بـعـرـفـة فـطـالـيـتـ النـاسـ بـماـ يـجـبـ منـ الـحـضـورـ وـالـإـجـالـلـ فـرـأـيـتـ الـفـالـبـ عـلـيـهـمـ التـقـصـيرـ فـرـحـتـهـمـ ،ـ وـقـلـتـ :ـ إـلـهـ إـنـ مـنـعـتـهـمـ إـرـادـتـكـ فـيـهـمـ فـلـاـ تـنـعـمـهـمـ مـنـاهـمـ مـنـكـ .ـ وـقـالـ :ـ الـدـنـيـاـ قـدـرـ يـغـلـىـ وـكـنـيفـ يـلـأـ ،ـ وـقـيلـ لـهـ :ـ اـبـنـكـ اـنـبـشـ الـبـارـحةـ مـنـ كـثـرـةـ الـأـكـلـ ،ـ قـالـ :ـ لـوـ مـاتـ مـاـ صـلـيـتـ عـلـيـهـ .ـ وـقـالـ :ـ لـيـسـ مـنـ اـحـتـجـبـ بـالـخـلـقـ عـنـ الـحـقـ كـمـنـ اـحـتـجـبـ بـالـحـقـ عـنـ الـخـلـقـ ،ـ وـلـيـسـ مـنـ جـذـبـتـهـ أـنـوـارـ قـدـسـهـ إـلـيـ أـنـسـهـ كـمـنـ جـذـبـتـهـ أـنـوـارـ رـحـمـتـهـ إـلـيـ مـغـفـرـتـهـ ،ـ وـقـالـ :ـ رـفـعـ الـلـهـ الـعـبـادـ عـلـىـ قـدـرـ عـلـوـ هـمـمـهـ ،ـ فـلـوـ أـجـرـيـ عـلـىـ الـأـوـلـيـاءـ ذـرـةـ مـاـ أـجـرـاهـ عـلـىـ الـأـنـبـيـاءـ ذـابـواـ وـتـقـطـعـواـ ،ـ وـقـالـ :ـ كـلـ صـدـيقـ لـيـسـ لـهـ كـرـامـةـ فـهـوـ كـذـابـ ،ـ وـقـالـ :ـ الـعـارـفـونـ نـيـامـ وـالـمـاحـلـوـنـ أـمـوـاتـ ،ـ وـقـالـ :ـ ذـلـىـ عـطـلـ ذـلـ الـيـهـودـ ،ـ وـقـالـ :ـ مـنـ ذـاقـ ذـرـةـ مـنـ التـوـحـيدـ عـجزـ عـنـ حـمـلـ ثـلـثـةـ لـثـقـلـ مـاـ حـمـلـ ،ـ وـقـالـ :ـ إـنـاـ سـمـيتـ الصـوـفـيـةـ صـوـفـيـةـ لـبـقـيـةـ بـقـيـتـ عـلـيـهـمـ ،ـ وـلـوـلـاـهـاـ مـاـ تـعـلـقـتـ بـهـمـ تـسـمـيـةـ ،ـ وـقـالـ :ـ الـعـارـفـ لـاـ يـكـونـ بـكـلـامـ غـيـرـ لـافـظـاـ وـلـاـ لـلـغـيـرـ لـاحـظـاـ وـلـاـ يـرـىـ غـيـرـ الـلـهـ حـافـظـاـ ،ـ وـقـالـ :ـ سـمـعـتـ الـحـقـ تـعـالـىـ يـقـولـ :ـ مـنـ نـامـ غـفـلـ وـمـنـ غـفـلـ حـجـبـ ،ـ فـلـذـلـكـ اـكـتـحـلـتـ بـالـمـلـحـ لـثـلـاـ أـنـامـ ،ـ وـقـالـ :ـ الـحـبـ إـذـاـ سـكـتـ هـلـكـ ،ـ وـالـعـارـفـ إـنـ لـمـ يـسـكـتـ هـلـكـ ،ـ وـقـالـ :ـ مـنـ عـرـفـ اللـهـ تـعـالـىـ حـمـلـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ عـلـىـ شـعـرـةـ مـنـ جـفـنـ عـيـنـيـهـ وـمـنـ لـمـ يـعـرـفـهـ لـوـ تـعـلـقـ بـهـ جـنـاحـ بـعـوـضـةـ ضـجـ حـمـلـهـ ،ـ وـقـالـ :ـ الـانـبـاطـ مـعـ الـحـقـ بـالـقـوـلـ تـرـكـ أـدـبـ ،ـ وـقـالـ :ـ الـحـزـنـ مـلـكـ إـذـاـ سـكـنـ مـحـلـاـ لـمـ يـرـضـ أـنـ يـسـاـكـنـهـ آـخـرـ ،ـ وـقـالـ :ـ يـقـولـ أـحـدـهـمـ :ـ تـوـكـلـ عـلـىـ اللـهـ وـهـوـ يـكـذـبـ عـلـيـهـ لـوـ تـوـكـلـ عـلـيـهـ رـضـىـ بـفـعـلـهـ ،ـ وـقـالـ :ـ صـحـبـةـ الـأـشـرـارـ تـورـثـ سـوـءـ الـظـنـ بـالـأـخـيـارـ ،ـ وـقـالـ :ـ مـنـ خـرـجـ عـنـ

ماله كله لله فإمامه أبو بكر ، ومن خرج عن بعضه وأمسك بعضه فإمامه عمر ، ومن أخذ وأعطى وجمع لله فإمامه عثمان ، ومن ترك الدنيا لأهلها فإمامه علي ، وكل علم لا يؤدى إلى ترك الدنيا فليس بعلم . وقال : إذا أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة ، وإن تنظر إلى نفسك فخذ كفا من تراب فإنك منه خلقت وفيه تعود ، وإن أردت أن تنظر ما أنت فانظر ما يخرج منك ودخولك الخلاء ، فمن كان هذا حاله فلا يتكبر ، وقال لتميذه الحضري : إن خطر بيالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تعد تأينا ، وكان يأتيه كل أسبوع مرة وقال : أهل البلاء أهل الغفلة عن الله . وقال له رجل : كثرت عيالي وقلت حيلتني ، فقال : ادخل دارك فكل ما رأيت رزقه عليك دون الله فأخرجه ، وقيل له متى تستريح ؟ قال : إذا لم أر الله ذاكرا ، إنى لا أستريح إلا إذا دخلت حضرة الشهدو لأنها لا ذكر فيها استغناء عنه بالشهود ؛ لأن الذكر إنا هو للغائب .

وقال : ليس لمريد فترة ، ولا لعارف علاقة ، ولا لمحب شكوى ، ولا لصادق دعوى ولا لخائف قرار ولا للخلق من الله فرار ، وقال : ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالذكر ، وسئل عن الرحمن على العرش استوى ، فقال : الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى . ودخل على بن الجراح الوزير وعنده ابن مجاهد ، فقال سأكته يا أبي بكر ، أين فى العلم إفساد ما ينفع به ، وكانت عادته إذا لبس ثوبا خرقه قال : فأين فطفق مسحا بالسوق والاعناق ، يا ابن مجاهد أين فى القرآن الحبيب لا يعذب حبيبه ، فسكت ، قال الشبلى : « وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنبكم » قال ابن مجاهد : كأنى سمعتها . وقال : إنما يحفظ هذا الجانب بي يعني من الدليل ، فمات يوم الجمعة وعبر الدليل الجانب الغربى يوم السبت واستولوا على بغداد فنال الناس مصيitan ، موت الشبلى وعبر الدليل ، وسئل أى شيء أعجب ؟ قال : من عرف الله ثم عصاه ، وقال : لا تأمن على نفسك وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغرور إلى دار الأمان ، وقال : من عرف

الله لا يكون له غم ، وقال : إلهي أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلاتك ،
وقال : ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا لمسها ، ولا للجاهل من الله إلا ذكره
باللسان ، وقال : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له
استماع العبارة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلاء ، وسمع قارئا يقرأ ﴿ولئن
شتنا لنذهبن بالذى أوحيننا إليك﴾^(١) فأغمى عليه فلما أفاق جعل يقول : بيشل
هذا تخاطب الأحباب ، وقال : ليس الكامل من يوصل كل يوم ألفا من العوام بل
من يوصل فقيها واحدا في مائة عام . وفي قصة موسى والخضر كفاية لكل
معتبر ، وقال : الإفلاد يا ناس الاستئناس بالناس ، وقال : الزم الوحدة وامح
اسمك من القوم والزم الجدار حتى تموت ، وقال : لو كان لي في القيامة أمر
لسألت الله أن يملأ جهنم مني وحدى لثلا يبقى فيها متسع لغيري لأفدى بعض أمة
محمد فرأى في نومه الله يقول : أما تستحي أن تقول ما قلت ، إن كنت تتكرم
على خلقى بما يضرك فأنا خالق الكرم وأولى أن أتكرم عليهم بما لا يضرنى
فقلت : وعزتك قد بهت فلم أذر ما أقول . وجاءه رجل فقال : أى الصبر أشد ؟
قال : الصبر في الله ، قال : لا ، قال : فاصبر مع الله ، قال : لا ، قال :
فالصبر لله ، قال : لا ، قال : فأى شيء ، قال : الصبر عند الله ، فصرخ
الشبلى صرخة كادت روحه أن تخرج ، ثم أنسد :

الصبر يحمل في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يحمل
ووح فلما رأى الكعبة أغمى عليه ثم انتبه فسمع قائلا يقول :
أسائل عن ليلي فهل من مخبر يكون له علم بها كيف تنزل
فصاح وقال : والله ما عنه في الدارين مخبر ، وسئل هل تظهر صحة
الوجود على الراجدين ؟ فقال : نورا مقارنا لنيران الاشتياق فيلوح علي الهياكل
آثارها ، وأذن مرة فلما شهد قال : لو لا أنه أمرتنا بهذا الذكر ما ذكرنا معك

منتبه من رقده الغافلين يا مسكين ، ستقدم فتعلم سيكشف لك الغطاء فتندم ،
كيف بك وقد كشف الغطاء وتجلى الجليل لفصل القضاء يا مسكين ، لم تبكي
وتضج ؟ دع المعاصي فتستريح ، لم هذا البكاء والانتساب ؟ قف فى الدياجى
على الباب . وقال : المحبة اتباع أوامر المحبوب وتجنب نواهيه ، ومع ذلك فيجب
الصدق والإخلاص وكتمان الحال مع بذل الجهد في المواجهة ثم بعد ذلك لا توصل
للمحبوب إلا بفضله ، ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ . وسئل عن
أرجى آية في القرآن فقال : ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ﴾^(١) ، قال :
إذا كان الله تعالى أطلق للكفار دخول الجنة بذكر لا إله إلا الله مرة واحدة ،
أتري من واذهب إليها طول عمره كيف يمنع من دخول الجنة وهو ظاهر من نجاسة
الشرك . وسئل عن كمال العقل وكمال المعرفة ، فقال : إذا كنت قائما بما أمرت
تاركا لتتكلف ما كفيت فأنت كامل العقل ، وإذا كنت بالله متعلقا بأعمالك غير
ناظر إلى سواه فأنت كامل المعرفة . وسئل : ما الحكم في أنه تعالى ذم الاستهزاء
والمكر ثم فعلهما ؟ فقال :

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا

قال السائل : أسؤالك عن القرآن فتجيب بالشعر ، فقال : لم أجب به إلا
لتتعلم أن في أقل قليل أدلة تخليته تعالى بينهم وبين الاستهزاء ، والمكر
مكر منه بهم ، إذ لو شاء لمنع . وسئل : من أقرب أصحابك إليك ؟ قال :
الهجمهم بذكر الله وأسرعهم مبادرة لرضاه . وقال : رأيت رجالا والناس حوله
والصبيان يرجمونه بالحجارة حتى أدموا وجهه ورأسه فكشفتهم عنه ، فقالوا :
إنه كافر إنه يزعم رؤية الله تعالى ، فتقدمت إليه فوجده يحدث نفسه ويضحك
ويقول : هذا جميل منك تسلط على هؤلاء الصبيان يفعلون معى هكذا ، فقلت
له : أصحح ما تقوله الصبيان ؟ قال : ما هو ؟ قلت : إنك ترى ربك ، فصاح :
آه لقلوب لا تعرف مولاها ، وحق من تيمى بحبه وهىمنى بين حبه وقربه ، لو

غيرك ، ودخل الجنيد من كان الله همه طال حزنه ، فقال الشبلي : لا بل من كان الله زال حزنه ، وقال : طرح الآمال قد خاب إلا إليك ، وعلق الهمم قد تقطعت إلا عليك ومذاهب المعرف قد استدت إلا إليك . وقال : مر بي بهلو المجنون وهو خارج إلى المقابر ومعه قصبة جعلها فرسه وبيده مقرعة وهو يعدو فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى العرض على الله فجلست حتى رجع وقد انكسرت القصبة وأحمرت عيناه من البكاء قلت له : ما كان منك ؟ قال : وقفت بين يديه على أن يكتشبني من الخدم ، فلما عرفني طردني .

وقال : الوفاء والإخلاص في النطق واستغراق السرائر بالصدق ، وقال له الجنيد : لو ردت أمرك إلى الله استرحت ، قال : لا بل لو رد الله أمرى إليه لاسترحت ، فقال الجنيد : سيف الشبلي تقطر دماء . وقال : كيف يصح لك شيء من التوحيد ، وكلما ملكت شيئاً من الدنيا ملكك ، وكلما أبصرت شيئاً صرت أسيره ؟ وسئل عن الزهد فقال : تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء .

وقال : التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك .

وقال : طرح العادات وصول إلى الكرامات ، ومن حق رقة ملواه استوحش مما سواه ، وقال : لسان العمل أفعى من لسان العلم ، وسئل هل يبلغ الإنسان بجهده إلى شيء من طرق الحقيقة أو الحق ؟ فقال : لابد من الاجتهاد والمجاهدة ، لكنهما لا يوصلان إلى شيء من الحقيقة لامتناعها عن أن تدرك بجهد أو اجتهاد ، وإنما هي مواهب يصل العبد إليها بإيصال الحق تعالى لا غير ، ولو لا أنه تعالى بذاته بالمحبة وهذاهم لما أحبوه .

وقال : المحبة كأس لها وهي إن استقرت في الحواس قتلت ، وإن سكنت في النفوس أسكرت ، فهي سكر في الظاهر ومحبة في الباطن .

وقال : ألا شجا بحنين ، ألا رنة بأنين من قلب قريح حزين ألا شارب بكأس العارفين ، ألا غارق في بحار المحبين ، ألا هائم في ميدان العاشقين ، ألا

احتجب عنى طرفة عين لقطعت من ألم البين ، ثم ولى وهو يقول :
خيالك فى وهمي وذكرك فى فمى

وقال : من جاع خمسة أيام فحس بالجوع فأمروه بالحرف والملاجع
كالعوام ، فإن مثل هذا لا يصلح للطريق ، وقال : كنت أمشي الشهر كاملاً لا
أتذكر الطعام ولا الشراب إلا إن حضر بين يدي وقال : مساكين هؤلاء المالكين
نظروا بعيونهم إلى ملوك المخلوق ورضوا بالجنان المخلوقة فبقوا معها خالدين
فيها ، وأما الملوك فلم يرضوا بها فنظروا بقلوبهم إلى مالك الملوك فبقوا معه في
مقعد صدق عند ملك مقتدر ، وقيل له : نراك جسیماً بدينا واللحجة تضنى فأنشأ
يقول :

أحب قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام فى السمن
ورئى خارج مسجد يوم عيد ، وهو يقول :
إذا ما كنت لى عيدا فما أصنع بالعيد
جري حبك فى قلبي كجرى الماء فى العود

وكان يقول في مناجاته : إلهي إن هربت منك طلبتي ، وإن قصدتك
أتعيتنى فليس لي معك راحة ولا مع غيرك أنس فالمستغاث منك إليك ، وجلس
عنه جمع من المربيين فوجدهم غفلة لا يذكرون فقال : كفى حزنا بالواله العبد أن
يرى منازل من يهوى معطلة قفرا ، وقال : الأنس وحشتك من جميع ما يقطعك
عنه واستغرافك . وقال : سهو طرفة عين عن الله لأهل المعرفة شرك . وقال :
المحبة نتيجة الهمة ومن علت همته ضفت محبته ، وقال : المحبة بحار بلا
شاطئ ، وليل بلا آخر وهم بلا فرج ، وعلة بلا طبيب ، وبلاء بلا صبر ، وبأس بلا
رجاء . ووقع له أن زوجته ناولته لبنا فقال : أخاف يضرني ، فأقام سنين يقول في
مناجاته : يا رب اغفر لى فإنك وعدت بالغفرة من لا يشرك بك ، وأنت تعلم أنى

لم أشرك ، فقيل له : ولا يوم اللبن ؟ فخجل ، وذلك لإضافته الضرر إليه ، وجاءه نصراوی فأسلم ، فقال : ما سبب إسلامك ، قال : إسلامك ، قال : كنت حال النصرانية أكرم دين النصرانية فرزقت دين الإسلام ببركة إكرامى ذلك الدين ، فصاح الشبلى وقال : إذا كان من يكرم الدين الباطل يرزقه الله الدين الحق فمن يكرم الدين الحق لا يرزقه الله الرحمة والمغفرة . وقال له رجل : لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله ؟ فقال : أستحب من ذكر كلمة النفي في حضرته ، قال له : أريد أعلى ، قال : لا أبغى به ضدا ، قال : أريد أعلى ، قال : لا أخشى أن يوجد في وحشة الجحد . وفي رواية : أخاف أن أموت عند الإنكار فلا أصل إلى القرار ، قال : أريد أعلى قال الله تعالى ﴿ قل اللہ ثم ذرهم ﴾^(١) فصعق الرجل ففارقته روحه ، فتعلقت أولياؤه بالشبلى وادعوه عليه بشأره فخرجت الرسل من الخليفة فسألها عن الجنوب فقال : روح حنت فرنت فدعى فأجابت ، مما ذنب الشبلى ؟ فصاح الخليفة خلوه فلا ذنب له ، وجاءه جموع فقال : من أين أنت ؟ قالوا : من الشام ، نريد الحج ونسائلك الخروج معنا فأبى فألحوا فقال بثلاثة شروط ، لا نحمل معنا شيئا ولا نسأل أحدا شيئا وإن أعطينا لم نقبل ، قالوا : أما الأولان فنعم ، لكن إن أعطينا لم نقبل ، كيف نفعل ؟ قال : كأنكم خرجتم متوكلين على من أوفد الحج لا على الله ، روحوا إلى شغلكم .

مات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن سبع وثمانين سنة ودفن بمقدبرة المخيزران وقيل له عند النزاع : قل : لا إله إلا الله ، فقال :

إن بيتك أنت ساكنه غير محتاج إلى السراج

ورئي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : ناقشنى حتى أیست ، فلما رأني آيسا تغمدني برحمته ، ولم يتزوج قط فقيل : إنه رئي أيضا فقال : قال لى : ما كنت أحب أن تلقاني عزيزا ، رضي الله عنه .

حرف الدال المهملة

(١) دينار العابد (٣٣٦)

كان من أرباب الأحوال وأصحاب الكرمات منها ما اشتهر أنه كان إذا
قدموا إليه طعاما حراما ظهر له منه ثعبان يريد أن ينهشه فيتركه . مات بمصر
وُدفن بالقرافة الكبرى بجانب ضريح البقاعي .

حرف الراء المهملة

(٢) روي بن أحمد وقيل بن محمد (٣٣٧)

الفطن المكين له البيان والتبيين ، كان عالما بالقرآن ومعانيه عارفا
بالتصوف ومبانيه .

ومن كلامه : السكون إلى الأحوال اغترار .

وقال : رباء العارفين أفضل من إخلاص المريدين .

وقال : الفقر له حرمة ، وحرمته سترة ، وإخفاؤه والغيرة عليه والضن
بكشفه .

وقال : لي يومئذ عشرون سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر .

وقال : التوكّل إسقاط رؤية الوسائل والتعلق بأعلى العلاقة .

وقال : المحبة الموافقة في جميع الأحوال .

(١) السخاوي الحنفي ، القاهرة ١٩٨٦ ، ٢٥٨ : وحلية الأولياء ، وصفة الصفة

(٢) حلية الأولياء ١٠/١٠٢ - ٢٩٦ : وصفة الصفة ٢٤٩/٢ : والرسالة القشيرية ٢٧ : وطبقات

السلمي ١٨٤ - ١٨٤ : وطبقات الشعراوى ١٠٣/١ : والمنتظم ١٣٦/٦ : وتاريخ بغداد ٤٣٠/٨ - ٤٣٢
، والبداية والنهاية ١٢٥/١١ .

حرف الزاي المعمجة

(٣٣٨) زهير بن نعيم البابى

كان من رؤوس العباد وأكابر الزهاد وأغلب أحواله الصبر واليقين مؤيد بالنصر والتمكين ، ومن كلامه : هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين الصبر واليقين .

وقال وقد سمع رجلا يقرأ بالتنغيم : لأن يطلب الرجل الدنيا بالزمر والغناء والعود خير من أن يطلبها بالدين .

وقال وقد شكوا إليه كثرة الوباء : لا تأمنن قلة الموت ولا تخافن كثرته .

وقال : إذا رأيت الرجل لا ينصف من نفسه فإن قدرت أن لا تراه فلا تره .

وقال له رجل : من أنت ، فقال : من أنعم الله عليهم بالإسلام ، قال : إنما أريد النسب قال فإذا نفح في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون^(١) .

وقال : جالست الناس خمسين سنة فما رأيت أحدا إلا وهو يتبع هواه حتى إنه ليخطيء فيحسب أن الناس قد أخطأوا .

وقال : وددت أن بدني قرض بالمقارض وأن هذا الخلق أطاعوا الله ، وودعه بعض إخوانه وقالوا له : هل من حاجة ؟ قال : نعم ، ولكنها مهمة . واتقوا الله فوالله لأن يتعقى عبد أحب إلى من أن يتحول لى هذه السوارى كلها ذهبا .

وقال له بعض القدرية : بلغني أنك زنديق ، فقال : أما زنديق فلا ، لكننى رجل سوء .

وقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن توصيني بشيء ؟ قال : نعم ، اتق الله واحدر أن يأخذك الله وأنت على غفلة .

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٠١ .

وقال : الأنس أن تستوحش مما سوى محبوبك .

وقال : الإخلاص في العمل أن لا تريد عوضا في الدارين ولا حظا من الملkin .

وقال : الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك . والفتوة أن تعذر إخوانك في زلهم ولا تعاملهم بما يحوج إلى الاعتذار إليهم .

وقال : التصوف مبني على ثلاثة خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالذل والإيثار ، وترك التعوض والخيار .

وقال : من أحب العوض يقضى العوض إليه محبوه .

وقال : الصبر ترك الشكوى ، والرضى التذاذ البلوى ، واليقين المشاهدة .

وقال : الرضى استقبال الأحكام بالفرح .

وقال : الشكر استفراغ الطاقة .

وسائل عن وجد الصوفية عند السماع فقال : يشهدون المعانى التى تعزب عند غيرهم فتشير إليهم إلى فيصعبون بذلك من الفرح ثم يقع الحجاب فيعود ذلك بكاء ، فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يصبح ومنهم من يبكي كل إنسان على قدره .

وسائل عن تقشف الفقير فقال : إرسال النفس في أحكام الله .

وسائل بعضهم أن يوصيه ، فقال : ليس إلا بذل الروح وإنما فلا تشتغل بترهات الصوفية .

مات ببغداد سنة ثلاث وثلاثمائة ، رضى الله عنه .

(٣٣٩) زكريا بن الصلت

له الورع الوثيق والقلب الرقيق ، مشهور بالتعبد والاجتهد ، والتوجه والانفراد ، والصفاء التام عند الكدورات والأوهام ، وقد قيل : التصوف صفاء لا وصف له وعلامة لا نهاية لها .

(ومن كلامه) ما شفع أشفع للمذنب من الخدمة لرب العالمين .

وقال : من نظر إلى مبتدع بعينه فقد أعنان النظر على العمى ، فأحبوا أشفار العيون بالإغماض عن النظر إلى المبتدعين .

حرف السين / المهملة

(٣٤٠) سعيد بن سلام

المغربي ابن شعبان المنصوري أبو عثمان القيزرواني^(١)

صوفى جليل كبير عارف ، عرف صيته أطيب من العبير ، له الأحوال المأثورة والكرامات المذكورة ، صحب الزجاجى والنهرجورى والدينورى وغيرهم ولم ير مثله فى علو الحال وصون الوقت وصحة الحكم بالفراسة وعظم الهيئة وعلو الأسرار وطرح الاختيار . وقد قيل : التصوف السير السريع إلى الله والرضا للعبد بما قسمه مولاه ، كيف وهو الإمام الذى شهدت بخوارقه أرباب العلوم والأعلام ، والصوفى الذى لم تشاهد العيون مثله فى اليقظة والأحلام .

(ومن كلامه) : الاعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر .

وقال : إن للملك الجبار أن يختبر أولياءه بتسلط عدوهم عليهم ،

(١) الرسالة القشيرية ٣٨ ؛ وطبقات السلمى ٤٧٩ - ٤٨٣ ؛ وطبقات الشعراوى ١٤٣/١ ؛ والشذرات ٨١/٣ ؛ وتاريخ بغداد ١٩٢/٩ ؛ والباب ٣٦/٣ .

وقال : من آثر صحبة الأغنياء على الفقراء ابتلاه الله بموت القلب .

وقال : من اشتغل بأحوال الناس ضيع حاله ، ومن مد يده إلى طعام غنى بشهوة لا يفلح أبدا .

وقال : عاص نادم خير من طائع مدع : لأن العاصي يطلب توبته ويعرف بنقصه والمدعى يتخطى في حال دعوah .

وقال : أفواه العارفين لم تزل غرة . فالمناجاة القدرة .

وقال : من لم يسمع من نهيق الحمار ما يسمع من صوت العود ودواخل المغنين فسماعه معلول .

وقال : لا يصح لخلاص معرفة إخلاصه إلا بعد معرفته الرباء ومفارقته إذ لا يعرف الشيء من لا يعرف ضده .

وقال : التقوى الوقوف مع الحدود .

وقال : الصوفي من يملك الأشياء اختيارا ولا يملكه شيء اقتهارا .

وقال : لا تصحب إلا أمينا أو معينا فإن الأمين يحملك على الصدق ، والمعين يعينك على الطاعة ، وقال : للعارف وقت يضيئ له أنوار العلم لتبصره بعجائب الغيب .

وقال : إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب .

وقال : من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر .

وقال : شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعانى .

وقال : من ادعى السماع ولم يستمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفير الرياح فهو مفترٍ مدعٍ .

وقال : قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتوحة .

وقال وقد سئل عن الخلق قوالب وأشباح : تجري عليهم أحکام القدرة ، ودخل عليه بعض أصحابه قريب احتضاره ، فقال له كيف تجدى ؟ قال : أجد مولى كريما رحيمـا إـلا أنـ الـقدـومـ عـلـيـهـ شـدـيدـ ، وـكـانـ أـوـلـاـ مـقـيـماـ بـكـةـ فـسـعـىـ بـهـ إـلـىـ الـعـلـوـيـةـ فـأـخـرـجـوهـ ، فـعـادـ إـلـىـ بـغـدـادـ ثـمـ نـيـساـبـورـ ، فـمـاتـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـسـبـعينـ وـثـلـاثـمـائـةـ . وـدـخـلـ رـجـلـ عـلـىـ الـخـطـابـيـ فـأـخـبـرـهـ بـموـتـهـ ، فـقـالـ : قـالـ الـمـصـطـفـيـ ، صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، قـدـ كـانـ فـيـ الـأـمـمـ نـاسـ مـحـدـثـونـ فـإـنـ يـكـنـ فـيـ أـمـتـىـ فـعـمـ ، وـأـنـاـ أـقـولـ : فـإـنـ كـانـ فـيـ هـذـاـ عـصـرـ أـحـدـ فـأـبـوـ عـشـمـانـ الـمـغـرـبـيـ . رـوـاهـ الـخـطـيبـ الـبـغـدـادـيـ .

حرف الشين / المعجمة

(٤٤) شاه بن شجاع الكندي^(١)

كان له دين متين وسلطان في التقوى مكين ، وفيه بر ومحروم وجود على الفقراء والصلحاء ، موصوف ظريفا في الفتوى عريقا في المروءة ، وأصله من أبناء الملوك فتشمر للسلوك وتعرى من الأعراض وتحرز من الأعراض وصاحب النخسي وتلك الطبقة .

(أصل) تويته أنه خرج يتتصيد في برية ، وإذا بشاب راكب أسدًا وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب ، ثم قال : يا شاه ، ما هذه الغفلة ؟ اشتغلت بهواك عن آخرك ويلذاتك عن خدمة مولاك ، أعطاك الدنيا لستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه ، ثم خرجت عجوز بيدها شربة ماء فشرب وناوله فسألها عنها ، فقال : هي الدنيا ، وكلت بخدمتي أما بلغك أن الله لما خلقها قال : من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ،

(١) حلية الأولياء ٢٢٧/١٠ ، ٢٣٨ : وصفة الصفة ٤٩/٤ : وطبقات السلمي ١٩٢ - ١٩٤ : ورسالة القشيري ٢٩ ، وطبقات الشعراوي ١٠٥/١ .

فخرج عن الدنيا وسلك الطريق . وأقام شهراً كاملاً لا ينام فغلبه النوم فرأى الحق تعالى فيه فكان بعد ذلك يتكلّف النوم ويقول :

رأيت سرور قلبي في منامي فأحبت التنفس والمناما

وورد على أبي حفص النيسابوري فوقف على حلقته وكان عليه قباء فعرفه بالفراسة فقال : الذي كنا نطلبة تحت العباءة وجدته اليوم تحت القباء وخطب ابنته ملك كرمان فاستمهله ثم طاف المساجد فرأى غلاماً يحسن صلاته فقال له : ألك زوجة ؟ قال : لا ، قال : أزوجك ، فخذ بدرهم خبزاً ويدرهم أدماً ويدرهم طيباً والأمر مفروغ منه ، وزوجه إليها ، فلما دخلت بيته وجدت رغيفاً يابساً على رأس جرة ، فقالت : ما هذا ؟ قال : بقى من أمس فتركته لأنظر عليه ، فولت راجعة فقال : عرفت أن بنت شاه لا تقنع بفقرى ، فقالت : ليس خروجي لفدرك بل لضعف يقينك ولست أعجب منك بل من أبي حيث قال : زوجتك لشاب عفيف ، كيف وصف بالعفة من لا يعتمد على الله إلا بادخار رغيف فقال : أنا معذذر ، فقالت : أما العذر فأنت أعرّف بشأنك وأما أنا فلا أقيم ببيت فيه معلوم .

(ومن كلامه) من عرف ربه طمع في عفوه ورجا فضله .

وقال : علامة الحياة ثلاثة : وجدان الأنس بفقدان الوحشة والاختلاط من الخلوة بإدمان التذكر واستشعار الهيبة بخالص المراقبة .

وقال : من صحبك ووافقك على ما يحب وخالفك فيما يكره فإنما يصحب هواه .

وقال : الفتوة من طباع الأحرار واللؤم من شيء الأنذال ، وما تعبد متعبد بأكثر من التعبّب للأولياء ، لأنّ محبتهم محبة الله وكان حاد الفراسة لا يخطئ أبداً .

وكان يقول : من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وزين ظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطيء فراسته أبدا .

وقال : من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه وقل اشتغاله بهم .

وقال : علامة الأنس بالله الاستيحاش من الغافلين ، والسكون إلى الوحدة ، ومراقبة الأحبة .

وقال : علامة المحبة الرضى عنه فى المكروه وحسن الظن به فى المجهود ، والانقياد لاختياره فى المحذور .

وقال : التوكل سكون القلب إلى الله فى حالي الوجود والفقد .

وقال : علامة الخائف الخوف الدائم .

وقال : لأهل الفضل فضل مالم يروه فإذا رأوه فلا فضل لهم ، ولأهل الولاية ولاية مالم يروها فإذا رأوها فلا ولاية لهم .

وقال : علامة الركون إلى الباطل التقرب إلى المبطلين .

وقال : المعجب بنفسه محجوب عن ربه ، وكان بينه وبين يحيى بن معاذ صدقة وجمعهما بلد ، فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل له في ذلك ، فقال : هذا هو الصواب ، مما زالوا به حتى حضر وجلس ناحية بحيث لا يشعر به ، فأخذ يحيى في الكلام فألقى عليه السكوت فلم ينطق ، فقال : هاهنا من هو أولى بالكلام مني ، وارتजع عليه فقال شاه : قلت لكم الصواب فأبىتم ، وأخرج أبو نعيم بينما سهل التسترى جالسا إذ سقطت حمامه لا تتحرك فجعل ينحيها فقال بعض جماعته : أطعمها واسقها وطارت ، فقال : مات أخ لي بكرمان وهو الشاه ، فجاءت هذه تعزينى ، فأرخ ذلك اليوم ، فكان وقت سقوط الحمامه وقت خروج روحه .

وكان من الأبدال ، قلت : لذا أثبتتُ في هذا القرن تبعاً لبعضهم ، ثم
رأيت ابن الجوزي قال : أظنه مات بعد سبعين ومائتين ، رضى الله عنه .

حرف الطاء / المهمة

(٣٤٢) طاهر المقدسي^(١)

الإمام الريانى والأوحد الصمدانى كان حسن الأخلاق منبسطاً على الإطلاق ،
ومع ذلك لم يرزق أحد وجاهته فى صدر الصدور ولا فرح أحد من صوفية عصره
بسيادته التى أرىت على قام البدر ، وكان معروفاً بحل المشكلات موصوفاً
بإيضاح المعضلات ، كثير التلاوة والأذكار ، كثير التبعد فى نوافح الأسحار ،
مقطوع بديانته مقطوعاً بأمانته . وأما علمه بالتصوف ، فإليه الرحلة من الأقطار
وبفوائده تدرك الأمانى وينال الأوطار . قد أتقن التصوف وتصريفه وعلم حده ورسمه
وتعريفه ، رأى ذا النون وصاحب ابن الجلاء وغيره وسماه الشبلى خير الشام .

(ومن فوائد العظام) : لا يطيب العيش إلا لمن وطىء على بساط
الأنس وعلا سرير القدس وغيبة الأننس بالقدس والقدس بالأنس ، والعاقل من
وقف حيث وقف العوام والسلام .

وقال : لو عرف الناس قدر أنوار العارفين لاحتربوا فى أنوارهم ولو
بدت لأهل الأحوال لاحتربت أحوالهم .

(٣٤٣) طاهر باشاذ النحوى^(٢)

صاحب المقدمة المشهورة ، كان من أرباب الأحوال والكرامات المأثورة

(١) حلية الأولياء ٣١٧/١٠ : وطبقات السلمى ٢٧٥ - ٢٧٦ : وطبقات الشعرانى ١١٧/١ .

(٢) الوفيات ٢٩٤ - ٢٩٥ : ياقوت معجم الأدباء ١٧/١٢ - ١٩ : والأبارى ، نزهة الأولياء ٤٣٢ ، وابن كثير ،
البداية والنهاية ١١٦/١٢ ، والقطفى ، إنباه الرواة ٩٥/٢ - ٩٧ : والسيوطى ، بغية الوعاة ٢٧٢
وحسن المحاضرة ٣٠٦/١ - ٣٠٧ : واليافعى ، مرآة الجنان ، ٩٨/٣ : والشذرات ٣٣٣/٣ - ٣٣٤ .

منها ، أنه أتاه إنسان وقال له : جئتكم من عند الخطيب فلان ، قال : اذهب احفر قبره فرجع إليه فوجده قد مات ، ومنها : أنه كان يوماً جالساً على مائدة ومعه بنت له عمرها سبع سنين وكان في مصر وأخوه في مكة فقالت البنت : مات عمك عبد الرحمن ، فقال لها : نعم ، فقدم بعد ذلك الحاج وأخبروا بموته في ذلك اليوم بعينيه ، مات بعقبة إيلة عند إيا به من الحج سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، وحمل إلى مصر فدفن بالقرافة^(١) وقبره بها مشهور يزار . وعند رأسه لوح رخام بقرب قبر الشاب التائب^(٢) .

حرف العين / المهمة

(٣٤٤) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي الشعواني

أصله من الراز ، ثم قطن بنيسابور من أجل أصحاب أبي عثمان . وكان له من الرياضة ما تعجز عنه الأسماع ، وفي المجاهدة والملازمة مالاً يستطيع ، انتفع الصوفية به ويتعلمه وصاروا نبلاء من توقيفه وتفهيمه ، وكان يدرى الطريق وعللها وتفاصيل أحوالها وجملها .

ومن كلامه وقد سئل : ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب فقال : اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يستغلوا باستعماله ، واشتغلوا بأداب الظواهر ولم يستغلوا بأداب البواطن ، فأعمى الله قلوبهم وقد جوارحهم عن العبادة .

وقال : المعرفة تهتك الحجب بين العبد وربه ، ولم يزل على حاله إلى أن بلغ من الحياة الأمد فمات ، فأسف عليه كل أحد إلى أن ينخر العظام النخرة ،

(١) السخاوي الحنفي ، وانظر الترجمة رقم ٣٠٣ .

(٢) الشاب التائب هو عبد الله السرسلي ، انظر السخاوي الحنفي ، ص ١٧١ .

(٣) الرسالة القشيرية ٣٧ : وطبقات السلمي ٤٥٣ - ٤٥٢ ؛ وطبقات الشعراوي ١٤٠ / ١ .

مات ببغداد سنة ثلاثة وخمسين وثلاثمائة .

(٤٥) عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري^(١)

له اللسان الناطق والخاطر الفائق ، وكان للحق قوالاً وعلى الولاء
صوالاً ، كبيراً قدره مثيراً ذكره ، وما ذكر عنه من أن اسمه عبد الله هو ما جرى
عليه كثيرون ، لكن ذهب الخطيب البغدادي إلى أن اسمه جعفر ، صحاب الجنيد
وأبا حفص وأبا عثمان وتلك الطبقة ، وأقام ببغداد ، وكان يقول : عجائب الدنيا
في التصوف ثلاثة : الشبل في الإشارات ، والمرتعش في النكت ، وجعفر
الخلدي في الحكايات .

(ومن فوائده) لا وصول إلى محبة الله إلا ببغض ما أبغض وهو
فضول الدنيا وأمال النفس وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه ، ولا سبيل لتصحيح
المعاملة إلا بالإخلاص فيها والصبر عليها .

وقال : أصول التوحيد ثلاثة : معرفة الله بالريوبية ، والإقرار له
بالوحدانية ، ودفع الأضداد عنه بالكلية .

وقال : أفضل الأعمال رؤية فضل الله في السراء والضراء .

وقال : التصوف حبس النفس عن مرادها والإقبال على أوامر الله
والرضى بالقضاء .

وقيل له : فلان يشى على الماء ، فقال : من مكنته الله من مخالفته هوا
فهو أعظم . وسئل : أي الأعمال أفضل ؟ فقال :

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم

(١) حلية الأولياء ٣٥٥/١٠ : وصفة الصفة ٢٦١/٢ : والرسالة القشيرية ٣٤ : وطبقات السلمى
٣٥٣ـ ٣٤٩ : وطبقات الشعراوى ١٢٣/١ : وتاريخ بغداد ٢٢١/٧ : والشنرات ٣١٧/٢ .

وقال : من ظن أن عمله ينجيه من النار أو يبلغه الرضوان فقد ذل وجعل نفسه وفعله خطرا ، ومن اعتمد على فضل الله بلغه أقصى منازل الرضوان .

وقال : سكون القلب لغير الله عقوبة عجلت في الدنيا .

وقال : ذهبت حلاوة الأمور وما بقى إلا الأسماء ، فالحقائق مفقودة والدعاوى موجودة .

وقال : من كمل إسلامه أحبه الخلق ومن كمل إيمانه استغنى عن الخلق ، ودخل المسجد ليعتكف في رمضان فوجد المتعبدين يجتهدون والقراء يقرءون ، فترك الاعتكاف ، وخرج فسئل فقال :رأيت تعظيمهم لعبادتهم واعتمادهم عليها دون الله ، فما وسعني إلا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم ، ولم يزل على حاله حتى بلغت حياتها غايتها وتناولت وفاتها رايتها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ببغداد .

(تتمة) قال ابن عربى في التجليات : نصب كرسى فى بيت من بيوت المعرفة كالتوحيد فظهرت الألوهية مستوية على ذلك الكرسى ، وأنا واقف وعلى يمينى رجل عليه ثلاثة أثواب : ثوب لا يرى ، وثوب ذلى له ، وثوب معار عليه ، فسألته : من أنت ؟ قال : سل منصورا ، وإذا بنصور ، فقلت له : من هذا ؟ فقال : المرتعش ، فقلت : أراه من اسمه مضطرا لامختارا ، قال : المرتعش بقيت على الأصل والمختار مدع الاختيار ولا اختيار لك ، قلت : علام بنيت توحيدك ؟ قال : على ثلاثة قواعد ، قلت : توحيد على ثلاثة قواعد ليس بتوحيد ؟ فخجل ، قلت : لا تخجل ما هي ؟ قال : قصمت ظهرى ؛ ثم ذكرها .

(١) عبد الله الراسبي البغدادي (٣٤٦)

كان ذا صدق وإنابة ، وخضوع وخشوع ، وكان صحب ابن عطاء وغيره .

(ومن كلامه) : إذا امتحن الله قلب العبد بالتقوى ترحل منه حب الدنيا وشهواتها واطلع على المغيبات ، ومن لا تصلح له التقوى فهو غارق في حب الدنيا محجوب عن كل غيب .

وقال : المحبة إذا ظهرت فضحت المحب ، وإذا كتمت قتلته كمدا .

وقال : من البلاء العظيم صحيبك ممن لا يوافقك ولا يفارقك ، ولم يزل على حاله إلى أن رحل إلى بربخ الآخرة ، وسكن ضريحه إلى أن تنشر العظام الناخرة .

مات ببغداد سنة سبع وستين وثلاثمائة ، رضى الله عنه .

(١) عبد الله بن طاهر الأبهري (٣٤٧)

صوفى عالى المكانة ، وافر الهمة ، متين الديانة ، قانع بالكاف ، ملازم للزهد والورع والعفاف ، وهو من مشايخ الجيل ، قرين الشبلى وتلك الطبقة .
(ومن فوائده) من كان من أهل الجمع فلا يشهد إلا الله .

وقال : فى الواقع فى المحن ثلاثة أمور : التطهير والتکفير والتذکیر . فالتطهير من الكبائر ، والتکفير من الصغائر ، والتذکیر لأهل الصفا والبصائر .
وقال : إذا أحببت أخا فى الله فأقلل مخالفته فى الدنيا .

وقال : قوم سألهو بأسنة الأعمال ، وقوم سألهو بأسنة الرحمة ، فكم بين من سأله بريه وبين من رجا ريه بعمله .

وقال : همة الصالحين الطاعة بلا معصية ، وهمة العلماء المزيد فى الصواب ، وهمة العارفين زيادة تعظيم الله فى قلوبهم ، وهمة أهل الشوق سرعة الموت ، وهمة المقربين سكون القلب إلى الله .

مات قريبا من الثلاثين وثلاثمائة .

(١) حلية الأولياء ٣٥١/١٠ ، والرسالة القشيرية ٣٩١ - ٣٩٥ : وطبقات الشعراوى ٣٢٤/١ : والمنتظم ٣٤٤/٧ .

(٣٤٨) على بن إبراهيم الحصري ثم البغدادي^(١)

شيخ العراق في وقته حالاً وعلماً، وإمام الصوفية في زمانه قالا
وعزماً، صحب الشبل وغيرة.

ومن فوائد الفاضلة وفرائده الكاملة وكلماته التي تربت محسن البرايا
بأثرها وأزهار الخمائيل خاملة ما قال: عرضوا للإخوان بالأمور ولا تصرحا فإنه
أستر وقال: علامة الحاسد لك أنه لا يقدر يصور عليك دعوة عند حاكم ولا عند
الله.

وقال: من ادعى نيل شيء من الحقيقة ولم يظهر عليه دلائل صدقه
كذبه شواهد البراهين.

وقال: مكثت في بداياتي زماناً لا أستعيذ من الشيطان عند القراءة،
وأقول: من الشيطان حتى يحضر كلام الحق حتى من الله على، فعلمت أن
الشيطان لا يفارق مستقيماً ولا أفعوج، وسئل عن السماع فقال: ما أضعف حال
من يحتاج إلى مزعج يزعجه من خارج.

وقال: الصوفي مقهور بتصريف الإلهية، مستور بتصريف العبودية.
وقال أيضاً: الصوفي من لا يوجد بدعة ولا يفقد بعد وجوده ولم يزل
الشيخ على حاله إلى أن ووري بالتراب وأصبح بعيداً عن العين وهو في غاية
القرب.

مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، رضي الله عنه.

(١) الرسالة القشيرية ٣٨؛ وطبقات السلمي ٤٨٩ - ٤٩٣؛ وطبقات الشعراوي ١٤٥/١؛ تاريخ بغداد

(١) ٣٤٩) على بن بندار الصوفي

من أجلة مشايخ نيسابور ، كان جيد التصوف والفهم سريعا إلى إدراك المعاني ، يكاد يسبق السهم ، رزق من صحبة المشايخ ما لم يقع لغيره كالجنيد وسمنون وأبن عطاء وأبى عثمان وغيرهم . وكتب الحديث ورواه حتى بلغ غايته ومتناه .

(ومن كلامه) : إذا دخلتم فابدوا بالصوفية قبل المحدثين ليعلموكم الأدب مع المحدثين .

وقال : التصوف عدم الوقوف مع المخلق ظاهرا وباطنا .

وقال : تفسد القلوب على حسب فساد الزمان .

وقال : لا يكمل حال فقير حتى يكتم فقره عن إخوانه ، ويكتم رضاه وفرجه .

(٢) ٣٥٠) على بن محمد بن سهل أبو الحسن الدينوري

كان جليلاً وقوراً جعل الله نصيبه من الدنيا موفوراً . لم يزل عن الناس في الجماع وانقباض ومعارفه في ازدياد وفي رياض ، وكان يتكلم على المخواطر والبواطن ، كثير الذكر حسن الورع ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، وكان له كرامات ومقامات معروفة ، وكانت الملوك تهابه .

ومن كراماته : أنه أتاه شاب فقبل رأسه فقال له : اذهب فاستوهد أمرك

(١) طبقات السلمي ٥٠١ - ٥٠٤ : وطبقات الشعراوي ١٤٦/١ : والبداية والنهاية ٢٩٨/١١ : والمنتظم ٥٢/٧

(٢) حلية الأولياء ٣٥٣/١٠ - ٤٠٨ : وصفة الصحفة ٦٠/٤ : وحسن المحاضرة ٢٩٤/١ : وطبقات السلمي ٣١٢ - ٣١٥ : وطبقات الشعراوي ١١٩/١ : والرسالة القشيرية ٣٢ : والمنتظم ٣٢٨/٦

الدفعة التي دفعتها إياها فهو أولى بك من هذا ، وكان يقييد له قنديلا على رأسه إذا بات بمعبده يتهدج ، وكان إذا صلى بالصحراء في شدة الحر يأتيه نسر فينشر جناحه عليه يظله به وكان يصعد للجبال معدن السباع فيقيم أربعين يوما فلا يجسر أحد أن يصعد إليه فإذا رجع لا يبقى أحد إلا ترك البيع والشراء وجاءوا ينظرون إليه تبركا وتعظيم ، وجاءه مغربي برسالة من الغرب فدخلوا أعلمه بأنه بالباب ، فقال : لا أقبل رسالته فإنه خائن فتح الكتاب في الطريق فكان ذلك . وكان لكردي على طحان دين فلقيه عند قبر الشيخ فاستجاز في المهلة فأبى ، وأخذه ومشى عشرين خطوة فانحسر ب dapته قبر فسقط فمات . وأنكر عليه تكين^(١) أمير مصر شيئا فنفاه إلى القدس ، فلما وصلها قال : كان باليابس يعني (تكين) وقد جيء في تابوت إلى هنا ، فلما قرب من الباب عشر البغل ووقع التابوت فبالبغل عليه ولم يلبث إلا يسيرا وقد وصل تكين ميتا في تابوت ، فلما وصل إلى الباب عشر البغل ووقع التابوت وبالبغل عليه .

ومن كلامه : حرام على كل قلب مأسور بسبب من أسباب الدنيا أن يسرح في العيوب .

وقال : من أيقن أنه لغيره ليس له أن يدخل بنفسه ، وقال : الأحوال كالبروق فإذا ثبتت فهو حديث نفس . وسئل عن صفة المريد فقال : كما قال تعالى : « وضاقت عليهم الأرض بما رحبت »^(٢) ، وكان يقول : من لم تظهر كراماته بعد ماته كما كانت أيام حياته ليس بصادق .

مات بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة ودفن بالقرافة^(٣) . وكان بينه وبين ابن يونس كلام فماتا في عام واحد ، فرئي ابن يونس في النوم يقول : أصلاح بيننا رب العالمين جلت قدرته .

(١) تكين المزري ، أبو منصور ، أمير مصر ، انظر المزري خطط ، ٣٢٨/١ - ٣٢٩ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٢٥ .

(٣) السخاوي الحنفي ٤١٤ .

(٣٥١) على بن سهل ^(١)

الأزهر أبو الحسين الأصبهانى المحبوب بالوصل المحفوظ بالفضل من

الفصل

كان للحق مجيماً واصلاً وعن النفس ولذاتها راحلاً ، أيد بمخالفتها فراض نفسه رياضة هذبتها بعد أن نشأ في نعمة ورفاهية حتى صار له الحال متين والشأن والتمكين .

ومن كلامه : المبادرة إلى الطاعات من علامة التوفيق والتقاود عن المخالفات من علامة حسن الرعاية ، ومراعاة الأسرار من علامة التيقظ وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية ، ومن لم تصح مبادىء إرادته لا يسلم في منتهى عواقبه ، وكان من أحسن الناس إشارة . وكان يكاتب الجنيد فيقول : الجنيد ما أشبه كلامه بكلام الملائكة .

ومن كراماته : أنه كان يقول : ليس موتي كموتكم بإعلال وإسقام ، وإنما هو دعاء وإجابة فكان كما قال . كان يوماً قاعداً في جماعة فقال : لبيك لبيك وخر ميتاً سنة سبع وثلاثمائة ، رضي الله عنه .

(٣٥٢) على بن محمد المزين الصغير البغدادي ^(٢)

من كبار المشايخ ، كان إمام زمانه وصدر أوانه ، انتهت إليه رياضة الصوفية ورقى بسيادته في المراتب العالية ، وجمع له من المناقب والأحوال ما لم

(١) حلية الأولياء ٤/١٠٤ : وصفة الصفة ٤/٦٦ : ورسالة القشيري ٢٠ : وطبقات السلسى ٢٣٣ - ٢٣٦ : وتاريخ أصفهان ٢/١٤ : والمنتظم ٦/١٥٥ .

(٢) حلية الأولياء ٨/٣٣٥ : وصفة الصفة ٢/١٥٠ : والرسالة القشيرية ٣٥ : وطبقات السلمي ٣٨٢ - ٣٨٥ : وطبقات الشعراوى ١/١٣٠ : وشذرات الذهب ٢/٣١٦ : وتاريخ بغداد ١٢/٧٣ : والبداية والنهاية ١١/١٩٣ : واللباب ٣/١٣٣ : والأنساب ٥٧٧ .

يجمع في وقته لسواه حتى ترك كل عدو وحاسد يتلذّى على نار جواه ، اشتغل بالتصوف من صغره واستمر على ذلك مدة كبيرة . وصاحب الجنيد وانتفع به وقرأ عليه كثيراً من رسائل كتبه ولازم طريق الصالحين حتى صار من رءوس الفقراء العالمين العاملين .

وقال : كنت بمكة فوق بقلبي انزعاج ، فخرجت أريد المدينة ، فإذا أنا بشاب مطروح وهو ينزع فقلت : قل : لا إله إلا الله ففتح عينيه وقال : أنا إن مت فالهوى حشو قلبي ويداء الهوى قوت الكرام ثم مات فجهزته ودفنته ، فسكن ما بي فرجعت إلى مكة ، وقال : إذا غلب ذكر الله فنيت فيه الدنيا والآخرة .

وقال : التوحيد أن ترجع إلى الله وحده في كل أمورك وتعلم أن ما حضر في قلبك فالله بخلافه .

وقال : كانت الطريق إلى الله بعد النجوم ، فلم يبق منها إلا طريق واحد هو الفقر إلى الله وهو أوضح الطرق .

وقال : من طلب الطريق إلى الله بنفسه أتاه في أول قدم . وقال : من لم يصلح لمشاهدته شغله بخدمته .

وقال : لو كان الرجل على عبادة الثقلين وهو يساكن الدنيا بقلبه لم يعبأ الله به ، وكل من أبقى عنده قوت غد فهو ساكن إلى الدنيا .

وقال : العجب في العبد مقت وربما جر إلى مقت الأبد .

وقال : الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

وقال : من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه .

وقال : المودة من المحبة كالرأس من الجسد وكالعين من الوجه ؛ لأن المودة حالة في الجوارح تبدي عند رؤية السرور والاضطراب ، والمكانة عند فقد والكدر عند البعد ، فحالات الود لا تدان بها الأسباب .

(وسائل) عن المعرفة فقال : أنت تعرف الله بكمال الريوبونية وتعرف نفسك بالعبودية ، وتعلم أن الله أول كل شيء وبه يقوم كل شيء وإليه مصير كل شيء وعليه رزق كل شيء .

وقال : دخلت الباذية على التجريد حافيا حاسرا فخطر بيالي أنه ما دخلها أجد أشد تجرا مني ، فقال لي إنسان من خلفي : يا حجام ، كم تحدث نفسك بالأباطيل ، وحضر جنازة فوجد أهل الميت يبكون فأنسد :

ويبكي على الموتى ويترك نفسه * ويزعم أن قد قل عنهم عزاؤه
ولو كان ذا رأي وعقل وفطنة * لكان عليه لا عليهم بكاؤه
ولم يزل يزور الناس للبركة ويقصدونه للتربية والأخذ من فوائد المشتركة
إلى أن أفل بدره وأزلف قبره بمكة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

(١) (٣٥٢) على بن محمد بن بشار أبو الحسن الزاهد

كان وافيا بالعهود ، مكرما للوفود ، تقدم بمعرفة التصوف وامتاز ، وقصد للتربية من اليمن والمحجاز ، وكانت له كرامات ظاهرة وأحوال باهرة ، دخل عليه ابن يسرويه وعليه جبة صوف فقال : يا أبا محمد لا تصوف جسمك ، صوف قلبك والبس ما شئت .

وقال له رجل : كيف الطريق إلى الله ؟ قال له : كما عصيته سرا تعطيه سرا حتى يدخل إلى قلبك لطائف السر .

وقال لى : منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن اعتذر عنها .
مات سنة ثلاثة عشرة وثلاثمائة .

(١) على بن هند القرشى الفارسى (٣٥٤)

من أصحاب الجنيد ، كان من سادات العارفين وأئمة المتدين ، له
الأحوال العلية والأنفاس الزكية .

ومن كلامه : القلوب أوعية وظروف ، فقلوب الأولياء أوعية المعرفة ،
وقلوب العارفين أوعية المحبة ، وقلوب المحبين أوعية الشوق ، وقلوب المشتاقين
أوعية الأنس ، ولهذه الأحوال آداب من لم يستعملها فى أوقاتها هلك من حيث
يرجو له النجاة ، وقال : استرح مع الله ولا تستريح عن الله فإن من استراح معه
نجا ومن استراح عنه هلك ، والاستراحة معه تروح القلب بذكرة والاستراحة عنه
مداومة الغفلة .

وقال : اجتهد أن لا تفارق باب سيدك بحال فإنه ملجاً الكل ، ومن
فارق تلك السدة لا يريد بعدها لقدميه قراراً ولا مقاماً .

(٢) عائشة بنت أبي عثمان سعيد الحيرى النيسابورى (٣٥٥)

كانت من أعبد الناس وأورعهم وأحسنهم حالاً ووقتاً ، وكانت مجابة
الدعوة .

ومن كلامها : لا تفرح بقادم ولا تحزن من ذاذهب ، بل افرح بالله واجزع
من سقوطك من عينيه .

(١) حلبة الأولياء ٣٦٢/١٠ : وطبقات السلمى ٣٩٩ - ٤٠١ : وطبقات الشعراوى ١٣٣/١ .

(٢) انظر ترجمة والدها فى حرف السين .

وقالت : الزم الأدب ظاهراً وباطناً ، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً وما أساء باطناً إلا عوقب باطناً .

وقالت : من استوحش من وحدته فذلك لقلة أنسه بريه .

وقالت : من تهاون بالغبيـد فهو من قلة معرفته بالسـيد ، فمن أحـب الصانـع أحـب صـنعتـه . ماتـت سـنة ستـ وأربعـين وـثلاثـمـائـة .

حرف الميم

(٣٥٦) محمد بن عمر الوراق البلخي^(١)

له الـيد الطـولـى فـي التـصـوـف وـالـبـاعـ المـدـيد فـي التـعـرـف وـالـتـصـرـف ، سـارـ بـنـا سـيرـتـه إـلـى الـأـمـصـار وـسـادـ عـصـرـه بـوـجـودـه وـجـودـه عـلـى الـأـعـصـار .

وـمـنـ كـلـامـه : لـلـقـلـبـ صـفـاتـ سـتـةـ ، حـيـاةـ وـمـوـتـ وـصـحـةـ وـسـقـمـ وـنـوـمـ وـيـقـظـةـ ، فـحـيـاتـهـ الـهـدـىـ وـمـوـتـهـ الـضـلـالـةـ وـصـحـتـهـ الـطـهـارـةـ وـالـصـفـاءـ وـعـلـتـهـ الـكـدـورـةـ وـالـعـلـاقـةـ ، وـيـقـظـتـهـ الذـكـرـ وـنـوـمـهـ الـغـفـلـةـ وـلـكـلـ مـنـهـا عـلـامـةـ فـعـلـامـةـ الـحـيـاةـ الرـغـبـةـ وـالـرـهـبـةـ وـالـعـلـمـ بـهـمـاـ ، وـعـلـامـةـ الـمـوـتـ ضـدـ ذـلـكـ ، وـعـلـامـةـ الصـحـةـ اللـذـةـ ، وـعـلـامـةـ السـقـمـ ضـدـ ذـلـكـ ، وـعـلـامـةـ الـيـقـظـةـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ وـالـنـوـمـ بـخـلـافـهـ .

وـقـالـ : شـكـرـ النـعـمـةـ مـشـاهـدـةـ الـمـنـةـ .

وـقـالـ : مـنـ اـكـتـفـىـ بـالـكـلـامـ دـوـنـ الـزـهـدـ تـزـنـدـقـ ، وـمـنـ اـكـتـفـىـ بـالـزـهـدـ دـوـنـ الـفـقـهـ وـالـكـلـامـ اـبـتـدـعـ ، وـمـنـ اـكـتـفـىـ بـالـفـقـهـ دـوـنـ الـزـهـدـ وـالـوـرـعـ تـفـسـقـ ، وـمـنـ تـفـنـ فىـ هـذـهـ كـلـهـاـ تـخـلـصـ .

(١) حلية الأولياء ٢٢٥/١٠ - ٢٣٧ : وصفة الصفوة ١٢٩/٤ ، وطبقات السلمي ٢٢١ - ٢٢٧ : وطبقات الشعراوى ١٠٦/١ ، والرسالة القشيرية ٢٩ .

وقال : الحمية في القلب تصحيح الإخلاص وملازمته وفي النفس ترك
لادعاء ومجابنته .

وقال : مما جربناه لرد الضالة ، اللهم يا جامع الناس ليوم لا رب فيه ،
جمع على ضالتى ويقرأ قبله سورة « والضحى » ثلاثة .

وقال في حديث : تفكير ساعة خير من عبادة ستين سنة^(١) . المراد
بالتفكير هنا نسيان النفس .

وسئل عن السماع فقال : ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه
إليه السماع من ضعف الحال ولو قوى لاستغنى عنه ، ولم يزل على حاله من علم
ينشره ومريد على الشيطان والنفس ينصره حتى حضرت منيته فانقطعت من
الحياة أمنيته سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

(٢) محمد بن أحمد بن جعفر النيسابوري (٣٥٨)

من أعظم مشايخ نيسابور في وقته ، إمام علا في أفق التوفيق مجده ،
 وأنار في دياجي المشكلات والمضلالات زنده ، وزكا في روض اللطائف فرعنه
وأصله ، وتفقا في عرض المعارف رمحه ونصله ، صحب أبي عثمان وغيره من
الأعيان .

ومن كلامه ، الفتوة بذل المعروف إلى كل بر وفاجر ، وحسن الخلق مع
الناس . وقال العارفون بقاوئهم معروفهم وجميع الخلق بقاوئهم بالأكل والشرب .
مات قبل الستين وثلاثمائة .

(١) وفي لفظ آخر « تفكير ساعة خير من عبادة سبعين سنة »

(٢) وهو محمد بن أحمد بن جعفر ، أبو بكر الشهبي ، انظر ترجمته في طبقات السلمي ٥٠٦ - ٥٠٥
وطبقات الشعراوي ١٤٦/١ .

وقال : إذا سخط الله على قوم أكثر عليهم نعمه وأنساهم شكره ونزع من قلوبهم حب الطاعات ورغبتهم في المناجم والملابس والماكل وتركهم سعدا حتى غمرتهم الغفلة عن الله فأخذهم بفترة على غير توبة .

وقال : له رجل إني أخاف من فلان ، فقال : لا تخاف منه فإن قلب كل من تخافه بيده من ترجوه .

وقال : ربنا أصلى ركعتين فأنا صرفا وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياة .

وقال : لو قيل للطمع : من أبوك ؟ قال : الشك في المقدور .
أسنده الوراق الحديث عن جماعة كثيرين ، ولم يزد على حاله إلى أن ادرج في الأكفان ، وتلا عليه ﴿ كل من عليها فان ﴾ ، رضي الله عنه .

(٣٥٧) محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري^(١)

صاحب الجنيد والطبقة كان شيخ عصره وفخر مصره حبر تقتبس الفوائد من نوره وتغترف من بحثه وجوده كمجاور بين زمزم والمقام وألقى عصى سفره لما رحل الحجيج وأقام وكم طاب له القرار بطيبة وظهر بها من أراد السلوك وأزال عينه وكم استروح بظل نخلها والشمرات وتحلى بمشاهدة الحجرة الشريفة وغيره يسح على قرب تربتها العبرات وكم كتب له بالوصول وصول فلم يكن بينه وبين الرسول رسول قالوا : حج نحو ستين حجة ومكث بكة نحو أربعين سنة لا يبول ولا يتغوط في الحرم بل يخرج للحل .

وقال : من تكلم على حال لم يصل إليه كان كلامه فتنة لمن سمعه وحرم الله عليه الوصول لذلك الحال .

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٧٦ : وطبقات السلمى ٤٣٣ - ٤٣١ : والمنتظم ٣٩١/٦ .

(٣٥٩) محمد بن أحمد بن حمدون الفراز^(١)

من أكابر مشايخ خراسان ، صحب الشقفي والشبلی وغيرهما من الأعيان ، وكان أوحد وقته في الحقائق ويضرب بسيف مجاهدته المثل ، حتى سار ذكر ذلك في السهل والجبل .

ومن كلامه : من شأن العاقل أن يكتم حسناته أكثر مما يكتم سيئاته .

وقال : من لم يؤثر الله على كل شيء لا يصل نور المعرفة إلى قلبه .

وقال : لا تتواضع لمن لا يكرمك تظلم نفسك ، ومن زهد فيك ازهد فيه ، ومن أتاك اذهب إليه ، ومن ذكرك اذكره ومن نسيك انسه ، وعامل الوجود بحسب ما يعاملك إلا أن تزيد الفضل فلا حرج .

(٣٦٠) محمد بن أحمد بن محمد المقرئ^(٢)

صاحب الخراز وغيره ، وكان لأهل التصوف حجة ولبحر مذهبهم الزاخر لجه ، ما لازمه مريد إلا انتفع به كثيرا وأحله من العمل محلأ كبيرا .

ومن كلامه : الفتوة حسن الخلق مع من تكرهه ، وبذل الحال لمن تبغضه ، وحسن الصحبة مع من ينفر قلبك منه . مات سنة ست وستين وثلاثمائة .

(٣٦١) محمد بن داود الدينوري أبو بكر المعروف بالدقى^(٣)

إمام تقدم في جامع الطاعة ، وسبق في حلية الزهد والقناعة ، وسار بالورع والصلاح ، وطار في الآفاق بأجنحة النجاح ، صحب ابن الجلاء والدقاق

(١) كذا في الأصول ، وجاء اسمه أبو بكر محمد بن أحمد الفراء في طبقات السلمي ٥٠٧ - ٥٠٨ ; وطبقات الشعراني ١٤٦/١ .

(٢) طبقات السلمي ٥١٢ - ٥٠٩ ; وطبقات الشعراني ١٤٧/١ .

(٣) الرسالة القشيرية ٣٧ ، وطبقات السلمي ٤٤٨ - ٤٥٠ ; واللباب ٤٢٢/١ ; وتاريخ بغداد ٥/٢٦٦ .

وعمر مائة سنة . وكان في الزهادة والعبادة أujeوية لم يكن في زمانه من يلحق
أسلوبه ، قد صار له التصوف طباعا ونقل حكم القوم وكلامهم وصار فيه مطاعا ،
دعاه لباه وجاءه مسرعا ولا يأبه .

ومن كلامه : كلام الله إذا أضاء على السرائر بإشراقه زالت البشرية
برعناتها .

وقال : علامة القرب إلى الله الانقطاع عن كل ما سواه .

وقال : المعدة موضع تجمع الأطعمة ، فإن طرحت فيها الحلال صدرت
الأعضاء بالأعمال الصالحة أو الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله أو التبعات
كان بينك وبين الله حجاب .

وقال : من عرف الله لم ينقطع رجاؤه ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله ،
ومن عرف ربه لجأ إليه ومن نسى ربه لجأ إلى المخلوق ، وقال : أهل المعرفة أحيا
بحياة معروفهم وغيرهم لا حياة له إلا مجازا .

وقال : لا يكون المريد مریدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين
سنة شيئا .

وقال : كم من مسرور سروره بلاؤه ، وكم من مغموم غمه نجاته .

وقال : قال لي أبو على الدقاد : أمرنا على أربع : لا نأكل إلا عن
فacaة ، ولا ننام إلا عن غلبة ، ولا نسكت إلا عن خيبة ، ولا نتكلّم إلا عن وجد .
مات بمصر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة عن نحو مائة سنة ودفن بالقرافة^(١) .

(٣٦٢) محمد بن عبد الخالق الدينوري^(١)

من أجيال الصوفية حالاً وعلماً ، وهمة وعزمـاً ، إمام بحر علمـه محـيط
وـظل دوـحة بـسيطـ ، وألسـنة مـعارفـه نـاطـقة وأـفـنانـ فـنـونـ تصـوـفـه باـسـقةـ .

وـمن فـوـائـدـهـ : أـرـفـعـ الـعـلـمـ فـىـ التـصـوـفـ عـلـمـ الـأـسـمـاءـ وـالـصـفـاتـ ، وـقـيـيـزـ
الـخـلـافـ مـنـ الاـخـتـلـافـ ، وـإـخـلـاـصـ أـعـمـالـ الـظـاهـرـ وـتـصـحـيـحـ أـحـوـالـ الـبـاطـنـ ، وـقـالـ :
دـخـلـ عـلـىـ فـقـيرـ عـلـيـهـ آـثـارـ الضـوءـ فـأـحـبـتـ أـنـ آـتـيهـ بـشـىـءـ فـهـمـتـ أـنـ أـرـهـنـ بـغـلـىـ ،
فـقـلـتـ : كـيـفـ أـتـهـرـ مـعـ الـحـفـاـ ؟ـ قـلـتـ : أـرـهـنـ رـكـوـتـىـ ،ـ فـقـلـتـ : بـأـىـ شـىـءـ أـتـوـضـأـ
قـلـتـ : مـنـدـيـلـىـ ،ـ فـقـلـتـ : أـبـقـىـ مـكـشـوـفـ الرـأـسـ ،ـ فـقـامـ الـفـقـيرـ وـأـخـذـ عـصـاـ بـيـدـهـ
وـقـالـ : يـاـ خـسـيـسـ الـهـمـةـ اـحـفـظـ مـنـدـيـلـكـ فـأـنـاـ ذـاهـبـ ،ـ فـعـقـدـتـ مـعـ اللـهـ أـنـ لـآـكـلـ
الـخـبـزـ حـتـىـ أـلـقـاهـ ،ـ فـيـقـالـ : أـقـامـ ثـلـاثـيـنـ سـنـةـ مـاـ أـكـلـهـ ،ـ مـاتـ سـنـةـ نـيـفـ وـسـبـعينـ
وـثـلـثـيـائـةـ .

(٣٦٣) محمد بن علي بن الحسن الترمذى الصوفى الشافعى^(٢)

صـاحـبـ التـصـانـيـفـ الـمـشـهـورـةـ ،ـ زـاهـدـ اـشـتـهـرـ بـمـلـازـمـةـ الـعـبـادـةـ ،ـ وـتـفـرـدـ بـيـنـ
الـصـوـفـيـةـ بـكـثـرـةـ الـرـوـاـيـةـ وـعـلـوـ الإـسـنـادـ ،ـ وـنـاسـكـ سـلـكـ طـرـيقـ الـقـومـ وـهـجـرـ فـىـ وـصـلـةـ
الـتـهـجـدـ وـصـلـ النـوـمـ ،ـ رـحـلـ فـىـ طـلـبـ الـحـدـيـثـ وـالـعـلـمـ وـتـلـفـعـ بـمـرـوـطـ الـتـقـوـىـ وـالـحـلـمـ
وـلـقـىـ الـأـكـابـرـ وـأـخـذـعـنـ أـرـيـابـ الـمـحـابـ ،ـ وـمـعـ ذـلـكـ ،ـ كـانـ صـدـراـ مـعـظـمـاـ وـصـوـفـيـاـ
مـحـدـثـاـ مـفـخـمـاـ كـثـيرـ الـكـيـسـ وـالـلـطـافـةـ غـيـرـ الـمـعـارـفـ الـتـىـ تـحـفـ أـخـلـاقـهـ وـأـعـطـافـهـ ،ـ
تـحـلـىـ بـعـقـودـهـ جـيدـ زـمانـهـ وـتـارـجـتـ الـأـرـجـاءـ بـعـرـفـ عـرـفـانـهـ ،ـ لـقـىـ أـبـاـ تـرـابـ التـخـشـبـىـ
وـالـبـلـخـىـ وـتـلـكـ الـطـبـقـةـ وـسـمـعـ الـكـثـيرـ مـنـ الـحـدـيـثـ بـالـعـرـاقـ وـغـيـرـهـ وـهـوـ مـنـ أـقـرـانـ

(١) طـبـقـاتـ السـلـمـيـ ٥١٥ـ ٥١٧ـ :ـ وـطـبـقـاتـ الـشـعـرـانـيـ ١٤٨/١ـ .

(٢) حلـيـةـ الـأـوـلـيـاءـ ٢٣٣/١٠ـ ٢٣٥ـ :ـ وـصـفـةـ الـصـفـوـةـ ١٤١/٤ـ :ـ وـالـرـسـالـةـ الـقـشـيـرـيـةـ ٢٩ـ :ـ وـطـبـقـاتـ
الـسـلـمـيـ ٢١٧ـ ٢٢٠ـ :ـ وـطـبـقـاتـ الشـافـعـيـةـ ٢٠/٢ـ :ـ وـطـبـقـاتـ الـشـعـرـانـيـ ٦/١ـ .

البخارى . قال الحافظ ابن النجاش فى تاريخه : كان إماما من أئمة المسلمين له الصفات الكبار فى التصوف وأصول الدين ومعانى الحديث وفي شيوخه كثرة . وقال السلمى فى طبقاته : له الشأن العالى والكتب المشهورة ، نفوذه من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر بسبب تفضيله الولاية على النبوة ، وإنما كلامه فى ولاية النبي .

وقال أبو نعيم فى الحلية : له التصانيف الكثيرة فى الحديث وهو مستقيم الطريقة يرد على المرجئة وغيرها من المخالفين تابع للآثار . قال ابن الجوزى من أكابر مشايخ خراسان : له التصانيف المشهورة ، وكان يقول : ما صنعت شيئاً ينسب إلىٰ لكن إذا اشتد علىٰ وقتى أتسلى بصنفاتى .

وقال القشيرى فى الرسالة : هو من كبار الشيوخ ، وقال الكلبازى فى التعرف : هو من أئمة الصوفية ، وقال ابن عطاء الله : كان الشاذلى والمرسى يعظمه جدا ، ولكلامه عندهما الملاحظة التامة ويقولان ، هو أحد الأوتاد الأربع فلا يلتفت لخرافات بعض المخربين وطعنهم فيه بالبهتان ، وله حكم عليه الشأن ، فمنها قوله : كفى بالمرء عيبا أن يسره ما يضره ، ، .

وقال : وقد سئل عن الإنسان ، فقال : ضعف ظاهر حاضر ودعوى عريضة .

وقال : إذا مكثت الأنوار فى السر ، نطقت الجوارح بالبر .

وقال لا ينكر الكرامات إلا القلوب المحجوبة عن الله ، فإن الكرامة إنما هي صنع الحق .

وقال : الولي أبدا فى ستر حاله والكون ناطق بولايته ، ومدعى الولاية ناطق بولايته والكون كله يكذبه .

وقال : الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله ، وما وصل العبد لمقام إلا وهو محترم لأهل ذلك المقام ؛ إذ الإخلال بواجب حقهم يطرده عن حضورهم .

وقال : لا يسمى عالما إلا من لم يتعد حدود الله مرة في عمره .

وقال : ما استصغرت أحدا من المسلمين إلا وجدت نقصا في معرفتي وإيماني .

وقال : ما من الناس من الوصول إلا لركضهم في الطريق بغير دليل وأكلهم الشهوات ، وارتكاب الرخص والتآويلات .

وقال : رأس مالك قلبك ووقتك ، وقد شغلت قلبك بهوا جس الظنون وضيّعت أوقاتك بشغلك بما لا يعنيك ، فمتي يربح من خسر رأس ماله .

وقال : أقرب القلوب إلى الله قلب رضي بصحة الفقراء ، وآثار الباقى على الفانى وشهد سوابق القضاى مع اليأس من الأفعال .

وقال : القناعة رضى النفس بما قسم لها .

وقال : الفتوة أن تكون خصما لربك على نفسك .

وقال : اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع عنك نعمه ، وخضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

وقال : ذكر الله يربط القلب ويلينه ، فإذا خلا عن ذكر الله أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسي وبس وامتنع الأعضاء عن الطاعات ، فإذا مددتها تكسرت كأشبورة إذا بست ، لا تصلح إلا للقطع وتصير وقود النار .

وقال : نور المعرفة في القلب وإشراقه في عين الفؤاد في الصدر .

وقال : ما من نور في القلب إلا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك فهذا أصل والعبد مadam في الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمطر فإذا غفل قحط .

وقال : ليس في الدنيا حمل أثقل من البر ، فإن من برك فقد أوثقك ومن جفاك فقد أطلقك .

وقال : من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الريوبية أجهل .

وقال :رأيت رب العزة في المنام ألف مرة أسأله خاتمة الخير ، فقال لي :
قل أربعين مرة ، وفي رواة إحدى وأربعين مرة : يا حي يا قيوم يا بديع السموات
والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله يا الله يا الله .

وقال : الدنيا عروس الملوك ومرأة الزهاد . وقال : إذا خلا القلب عن
الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات وامتنعت الأركان من الطاعة .

(ومن كراماته) أنه لما قام عليه معاصروه وكفروه ، جمع كتبه كلها
وألقاها في البحر فاللتقطتها سمكة وابتلعتها ثم لفظتها بعد سنين وانتفع الناس
بها . وقال الحافظ ابن حجر : مات في حدود العشرين وثلاثمائة .

(٣٦٤) محمد بن سليمان

ابن محمد بن سليمان أبو سهل الصعلوكي الإمام الشافعى الصوفى^(١)

المعروف بالعلم والولاية من أصحاب أبي إسحاق الروزى ، كان كبيراً
الشأن في التسليم والانقياد ، متبعاً عن الاعتراض ، وقد قال هو في نفسه :
التصوف الإعراض عن الاعتراض .

ولد سنة ست وتسعين ومائتين ومات سنة تسع وستين وثلاثمائة .

ودرس ووعظ وانتفع به الناس بنيسابور نيفاً وثلاثين سنة ، ودفن
بالمجلس الذي كان يدرس فيه وصلى عليه ابنه أبو الطيب .

ومن كلامه : التصوف الإعراض عن الاعتراض . وقال : من قال
لشيخه : لم ؟ لا يفلح أبداً ، ومن نظمه :

(١) الشذرات ٦٩/٣ - ٧٠ : والوافى للصفدى : والأعلام للزرکلى ٢١٠/٣ : وبحالة ، معجم المؤلفين
٢٨٤/٤ - ٢٨٥ .

أنام على سهر وتبكي الحمامـ وليس لها جرم ومنى الجرائم
(١) ٣٦٥) محمد بن محمد بن إسماعيل

الصوفى البغدادى الوعاظ المعروف بابن سمعون ، قال الخطيب : كان واحد دهره وفريد عصره فى الكلام على علوم الخواطر والإشارات ، دون الناس حكمه وجمعوا كلامه ، وحدث عن الطبرى وجع كثير ، وكان متحملا للأذى يحسن إلى من أساء إليه ، وقد قيل : التصوف كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح .

ولد سنة ثلاثمائة .

قال ابن الجوزى : كان يلقب الناطق بالحكمة ، وكان خادم الشبلى جاز عليه يوما فنظر إلى ظهره وقال : لا تدرون أى شئ لله في هذا الفتى من الذخائر .

ومن كلامه : رأيت العاصى نذالة فتركتها مروءة فاستحالـت ديانة .

وقال : كل من لم ينظر بالعلم ما لله عليه ، فالعلم حجة عليه ووبال ، والصادقون الصادقون الحذاق هم الذين نظروا إلى ما بذلوا في جنب ما وجدوا فصغر ذلك عندهم فاعتذرـوا .

وقال : قللوا اهتمامكم لكم ووفرـوا اهتمامكم بكم توسدوا أوسـادا من الشكر والبسـوا لباسـا من الذكر والتحفـوا لخافـا من الخوف تفـوزوا بـ مدحـة الـ رب .

وقال : تظلمـ إلى رـيك واستـنصرـه عـلـيـك يـنـصـرـك . وـقـالـ : اـحزـنـوا عـلـىـ ما فـاتـكـم وـأـسـفـوا عـلـىـ تـقـصـيرـكـم وـأـحـزـوا بـضـائـعـكـم مـنـ التـلـفـ لـا تـخـرـجـ القـطـاعـ عـلـيـهاـ .

(١) أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل ، المعروف بابن سمعون الوعاظ ، انظر ترجمته في الوفيات ٣٠٤ - ٣٠٥ ؛ وتاريخ بغداد ٢٧٤/١ ؛ والمنتظم ١٩٨/٧ ؛ وصفة الصفة ٢٦٦/٢ ؛ وطبقات المخاتلة ١٥٥/٢ ؛ والواғی ٥١/٢ ؛ وعبر الذهبی ٣٦/٢ ؛ والشدرات ١٢٤/٣ ؛ ١٢٦ - .

وقال : كل داء عرف دواؤه فهو صغير ، وما لا يعرف له دواء فهو كبير .

وقال : احضر أن ترى عملك لك فإنك إن رأيته لك كنت ناظرا إلى ما ليس لك ، وقال : من الوقاحة تبنيك مع توانيك ، استوف من نفسك الحقوق ثم وفها الحظوظ ، حسبها ما يكفيها لا ما يطغيها .

(ومن كراماته) أنه قصد بيت المقدس وحمل في صحبته قمرا صبجاً نيا فطالبته نفسه بأكل الربط فأقبل عليها باللوم ، وقال : أني لنا في هذا الموضع بالرطب ، فلما جاء وقت الفطر فتحه فوجده رطبا فلم يأكل منه ، فلما جاء وقت الغذاء فتحه فوجده قمرا على حاله .

(ومنها) أن رجلا لحقته ضائقه فلم يجد عنده غير خفيه فخلعهما وذهب يبيعهما ، فمر بمجلس ابن سحنون فقال في نفسه : أحضر المجلس ثم أنصرف فأبيعها ، فلما أراد الانصراف ناداه : لا تبع الخفين ، فإن الله يأتيك برزق فكان كذلك .

(فائدة) ذكر ابن باطيس في كتابه « إثبات كرامات الأولياء » عن أبي طاهر محمد العلاف قال : حضرت أبا الحسن بن سمعون يوما في مجلس الوعظ ، وكان أبو الفتح القواس قاعدا بجنب الكرسي فغشيه النوم ونام ، فأمسك ابن سمعون ساعة حتى انتبه أبو الفتح ورفع رأسه فقال له ابن سمعون : رأيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في نومك ؟ قال : نعم ، قال : لذلك أمسكت عن الكلام خوفا أن تنزعج وينقطع ما كنت فيه انتهى ، قال الجلال السيوطي : وهذا يشعر بأن ابن سمعون رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقظة لما حضر ورآه أبوالفتح في نومه . مات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ودفن في داره ثم نقل بعد ثلاث وثلاثين سنة فوجد كفنه لم يبل . وقال بعضهم : أخرج إلى قبر أحمد بن حنبل وأكفانه تتقدح كما دفن . وقال الخطيب : كان ثقة

رأينا . قال ابن الجوزي : وأسند الحديث عن خلق يطول ذكرهم .

(٣٦٦) محمد بن إسحاق

الشمر للحاق المتحرز من الفراق المتجرد للسياق ، وقد قيل : التصوف عنوة لا صلح فيها ، وهو من أهل الكوفة ، كان عابداً زاهداً .

(ومن كلامه) : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهم ، ينخر فيك بلياليه وأيامه حتى تستغرق جميع أجزائك ، ولو كشف لك عما أحدثت الأيام من النقص وما هي عليه من هدم ما بقي منك لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واشتغلت من الساعات بك ، ولكن تدبير الله فوق الاعتبار .

وقال : الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك ؛ لأن ما مضى فات إدراكه وما لم يأتي لا علم لك به ، والدهر موكل بتشتيت الجماعات وإنحرام الشمل وتنقل الدول ، والأمل طويل وال عمر قصير وإلى الله تصير الأمور (وأيضاً) له : ما بال الرهبان يتكلمون بالحكمة وهم أهل كفر وضلال ؟ قال : ميراث الجموع متعمد به .

(٣٦٧) محمد بن الحسين الخشوعي

كانت العبادة حرفته ، والتلذذ بالعبرة شهوته ، له الكلام البليغ في تأديب النساك والعباد ، تخرج به جماعة من السباق والدوار .

(ومن كلامه) حياة الصديقين في المراعاة وروح حياة الاقتداء بأوامر الأنبياء وأحوالهم وحياة أرواحهم بالمطالعة ، وقال : من لزم الخدمة ورث منازل الكربة والمعرفة ومنازلها تورث حلاوة الأنس ، وقال : همان لابد منهما هُم المعاش وهم المعد .

(١) ٣٦٨) محمد بن يعقوب الفرجي

العارف بالأصول ، العازف عن الفضول ، له القلب الخاشع والأذن السامع ، أحكم على علم الآثار وأتقنها وألف في العاملات والأحوال وأصلحها ، صحب الحارث المحاسبي وطبقته وله الهبات البليغة في معانى الصوفية ، وكان من الأئمة في علوم النساك يرفع الفقراء وينصرهم ويضع المدعين ويحررهم .
 (ومن كلامه) إذا صاح الود سقطت شروط الأدب .

وقيل له : إنك تنكر الرعقة والصيحة قال : إنما أنكرها على الكاذبين .

وقال : ما زعقت في عمري إلا ثلاط زعقات ، فإني انتهيت يوماً بي بغداد إلى الجسر ، وقد أخرج رجل من السجن يضرب ثم رد إلى السجن والناس يتعجبون من صبره على الجلد فجثته فقلت : أسأله قال : أوسعوا له فيما مسألك ، قلت : أسهل ما يكون الضرب عليكم أى وقت ، قال : إذا كان من ضربنا له يرانا ، فصحت ولم أملك السكت ، وقال : خرجت من الشام على طريق المفارة فوقعت في التيه ، فمكثت أياماً حتى أشرفت على الموت ، وإذا أنا براهيبين يسيران كأنهما خرجا من مكان قريب يريдан ديرا قريبا قلت : أين تريدان ؟ قالا : لا ندري ، قلت : فمن أين أقبلتما ؟ قالا : لا ندري ؟ قلت : أتدريان أين أنتما ؟ قالا : نعم في ملكه وملكته وبين يديه ، فأقبلت على نفسي أويخها وأقول : راهبان يتحققان بالتوكل دونك ، فقلت : أتأذنان لى في الصحبة ؟ قالا : ذاك إليك ، فتبعدتهما ، فلما جن الليل قاما إلى صلاتهما وقمن إلى صلاتي ، فصليت المغرب بتيمم فضحكا ، مني فلما فرغنا بحث أحدهما الأرض بيده فإذا بماء قد ظهر وطعم موضوع فعجبت ، فقالا : ادن فَكُلْ فأكلنا وشرينا وتهيأت للصلوة ثم نصب الماء فلم يزالا في الصلاة وأنا أصلى على حدة حتى أصبحنا فسربنا

(١) الأنساب ٤٢٨ : والسلمي ١٤٦ : والزرکلی ، الأمام ١٦/٨ - ١٧ : وکحالة ، معجم المؤلفین .

إلى الليل فلما جن صلى الآخر بصاحبه ثم دعا بدعوات وبحث الأرض فتبع الماء وحضر الطعام ، فلما كانت الليلة الثالثة قالا : يا مسلم هذه نوبتك ، فاستحبب ودخل بعضى فى بعض ، وقلت : اللهم إنى أعلم أن ذنوبي لم تدع لى عندك جاهها ، لكن أسألك أن لا تفضحنى ولا تشمت هذين بنبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وأمته ، فإذا بعين زخاره وطعام كثير فأكلنا وشرينا وأسلما . أنسد الحديث عن جمع كثيرين .

(٣٦٩) محمد بن خفيف الضبى الشيرازى الشافعى^(١)

شيخ المشايخ ، ذو القدم الراسخ علما وديننا وجمعوا بين الحقيقة والشريعة ، كان سيدا جليلا وإماما نبيلا ، يستمطر الغيث بدعائه ، من أعلم الأعلام بعلمي الظاهر والباطن ، وكانت له بدايات كالنهايات وأحوال عاليات ، ورياضات ومجاهدات ، صحب من الناسك شيوخا ومن السلاك طوائف أضخم قدمهم فى الطريق رسوحا ، ولقى من أرباب الأحوال أحبارا وأخيارا ، وشرب من هذا الطريق كؤسا كبارا ، وسافر شرقا ومغاربا ، وصابر النفس حتى انقادت بعد الإباء ، فأصبح لسان الثناء عليه معريا ، وألزم قلبه المراقبة حتى لا يدرى القرار ، وهيكله المجاهدة حتى لا يعرف المأوى ولا المسكن إلا القفار ، وكان ذا ذكر باجتماع وفي صدق سماع ، وقد قيل : التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل على اتباع ، وكان من بنى أكابر الأمراء فتفقه ثم تصوف وتزهد حتى صار يجمع الخرق من المزابل ويستتر بها ، ولم يزل حتى صارشيخ المشايخ فى وقته عارفا بعلوم الظاهر والحقائق ، أخذ عن ابن سريح والأشعري والواسطى والجريرى وابن عطاء والمقدسى ، ولقى الحلاج رضى الله عنه ، وعنده القاضى

(١) حلية الأولياء ٣٨٧ - ٣٨٥ / ١٠ : الرسالة القشيرية ٣٧ : وطبقات السلمى ٤٦٢ - ٤٦٦ : وطبقات الشعرانى ١٤٢ / ١ : وطبقات الشافعية ١٥٠ / ٢ - ١٥٩ : والمنتظم ١١٢ / ٧ : والشذرات ٧٦ / ٣ وعبر الذهبى .

الباقلانى وغيره ، قال أبو نعيم : كان شيخ الوقت علماً وحالاً ، وهو الخفيف الظريف ، له الفصول في الأصول ، والتحقق والتثبت في الوصول ، وقال السنوي : بلغ ما لم يبلغه أحد في العلم والجهاد والمقام عند الخاص والعام . وصنف ماله يصنفه أحد في العلم ، وصار أوحد زمانه مقصوداً من الآفاق ، مفيدة في كل نوع من العلوم مباركاً على قباصديه ، رفيقاً ب يريديه ، وعمر حتى عم نفعه وبقى في بدايته أربعين شهراً يفطر كل يوم بكف باقلأ حتى جف دمه ، ويقرأ القرآن كله في ركعة ، ويصلّى كل يوم ألف ركعة .

(ومن كراماته) أنه دخل بغداد فأقام بها أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب . ثم خرج فوجد ظبياً على رأس بئر في البرية وهو يشرب وكان عطشاناً فدنا من البئر فولى الظبي فإذا بالماء أسفل البئر ، فقال : يا سيدي ما في عندك محل هذا الظبي ؟ فسمع قائلاً جربناك فلم تصر ، إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت بهما فرجع فإذا بالبئر ملآن فشرب وتطهر وملاً ركوتة وجح ورجع فلم ينفذ ما ذكرها فدخل على الجنيد رضي الله عنه فلما وقع بصره عليه قال : لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك وجري خلفك . ونظره يوماً بعض البراهمة فقال البرهمي : إن كان دينك حقاً فتعالى أصبر أنا وأنت على الطعام أربعين يوماً ففعلاً ، فأكملها الشيخ وعجز البرهمي . ودعا بهم آخر إلى المكث تحت الماء مدة فمات البرهمي قبل قيامها وأتمها هو .

(ومن كلامه) التقوى تجنب ما يبعد عن الله والتوكل على الاكتفاء بضمائه وإسقاط التهمة عن قضائه .

وقال : القرب طي المسافة بطيف المدانات .

وقال : قريك منه بلازمته المواقفات وقريره منك بدؤام التوفيق .

وقال : الانبساط سقوط الاحتشام عند السؤال .

وشكى إليه فقير الوسوسه فقال : عهدى بالصوفية يسخرون من

الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم .

وقال : التصوف تصفية القلب عن موافقة البشرية ومخالفة أخلاق الطبيعة ، وإخماد صفات البشرية وتجنب الدعاوى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقائق .

وقال : ليس أضر على المريد من مسامحة نفسه بالرخص والتآويلات .

وقال : الذكر قسمان ؛ ذكر الله بأسمائه وذلك هو الذكر الظاهر، وذكره بأن يراه على الدوام وهو بين يديه وذلك هو الذكر الباطن .

وقال : قال لى المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فى النوم : من عرف طريقا إلى الله فسلكه ثم رجع عنه الله بعذاب لم يعذب به أحدا من العالمين .

وقال : عليك من يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله . وقال الإيمان تصدق القلوب بما أعلمنها الحق من الغيوب ، والإنابة للتزام الخدمة وبذل المهجة ، والرجاء ارتياح القلب لرؤبة كرم المرجو وحقيقة الاستبشرار بوجود فضله وصحة وعده . والزهد سلوك القلب عن الأسباب ونفاذ الأيدي عن الأماكن وحقيقة التبرم عن الدنيا وجود الراحة في الخروج منها ، والقناعة الاكتفاء بالبلوغ وحقيقةها : ترك التشوّف إلى المفقود والاستغناء بال موجود .

وسائل عن الذكر فقال : المذكور واحد والذكر مختلف ومحال قلوب الذاكرين متفاوتة . وقال : السكر غليان القلب عند معارضته ذكر المحبوب .
وقال : الخوف اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبد .

وقال : لى منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين .

وقال : الرياضة كسر النفس بالخدمة ومنعها عن الفتنة ، والتقوى تجنب ما يبعد عن الله والتوكيل الاكتفاء بضمانيه ، وإسقاط التهمة عن قضائه . واليقين تحقق الأسرار بأحكام الغيبات ، والمشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق من الغيوب ، والتوحيد تحقق القلوب بإثبات الموحد بكمال أسمائه وصفاته .

وقال : رأيت فقيرا يطوف على الناس بمصر وهو يقول : ارحموني فإني
رجل صوفى ذهب مني رأس مالى فقلت : وللصوفى رأس مال ؟ فقال : نعم .
كان لى قلب ففقدته . قال : وهذا ليس على ظاهره ، وإنما بدت شواهد الحقيقة
القدسية على عرش قلبه فاصطلم وتقلمل وانزعج لكونه لم يطق حمل الحقيقة ،
فخرج ينادى في الناس ليجد من يرحمه ، أى يحمل عنه فيرده إلى حسه .
مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة . قال الذهبي : رحمة الله : وقد جاوز
المائة . وحكى عن الإمام الشافعى ، رضى الله عنه ، قوله : إن الخشوع شرط
صحة الصلاة . اهـ .

(١) (٣٧٠) محمد بن علي بن جعفر أبو بكر الكتани البغدادى

صاحب الجنيد ، رضى الله عنه ، وطبقته ، وكان يأمر الناس بتقوى الله
على المنابر ، وتنطق بها السنة أقلامه من أفواه المحابير . وفي ذلك كان بها أول
مأمور وأول سفر له صبّحها من سواد الديجور .

(ومن كلامه) كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك .

وقال : خوف القطيعة وارتعاد من خوف أفضل من عبادة الثقلين .

وقال : الشهوة زمام الشيطان ومن أخذ الشيطان بزمامه كان عبده .

وقال : علامة الزهد في شيء من الدنيا سرور القلب ب فقده وتحمل أذى

الخلق .

وقال : الصوفية عبيد الظواهر أحجار البواطن .

وقال : إن الله نظر إلى بعض عبيده فوجدهم لا يصلحون ل مجلسته ،

(١) حلية الأولياء ٣٥٧/١٠ : وصفة الصفة ٢٥٧/٢ : والرسالة القشيرية ٣٥ : وطبقات السلمى ٣٧٣ - ٣٧٧ : وطبقات الشعراني ١٢٩/١ : واللباب ٢٨/٣ ، وتاريخ بغداد ٧٤/٣ - ٧٦ : والأنساب ٤٧٥ ، والكامل لابن الأثير ٢٢٢/٨ : والشذرات ٢٩٦/٢ .

وفي رواية : فلم يرهم أهلاً لمعرفته فشغلهم بخدمته .

وقال : من يدخل في هذه المفازة يحتاج إلى أربعة أشياء حال يحمنه ، وعلم بسوسيه ، وورع يحجزه ، وذكر يؤنسه إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى ؛ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه .

وقال : الحكايات جند من جند الله يقوى بها أبدان المریدین (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)^(١) .

وقال : رأيت المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ادع الله لى أن لا يميت قلبي ، فقال : « قل كل يوم أربعين مرة : ياحى يا قيوم لا إله إلا أنت »

وقال : رأيت حوراء فقلت : من أنت ؟ قالت : لمن حبس نفسه عن مألفها

وقال : العارف من يوافق معروفه في أوامره ولا يخالفه في شيء من أحواله .

وقال : العبادة اثنان وسبعون بابا ، أحد وسبعون في الحياة من الله وواحد في جميع أنواع البر .

وقال : من أصبح وعنده همان هم المعاصي وهم جمع المال فالله منه بريء .

وقال : سماع العوام على متابعة الطبع ، وسماع المریدین رغبة ورهبة ، وسماع الأولياء دونه الآلة والنعماء ، وسماع العارفين على المشاهدة ، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان .

وقال : من حكمة المرید أن يكون فيه ثلاثة أشياء : نومه غلبة ، وأكله فاقفة ، وكلامه ضرورة .

وقال : لو لا أن ذكره فرض على لما ذكرته إجلالا له مثلى يذكره ولم يغسل فمه بآلف توبة ، وقال : اجتهد كل ليلة أن تكون ضيفا وأن لا تقوت إلا بين منزلتين .

وقال : كنت بطريق مكة تائها يوما فإذا بهميان يلمع دنانير فهممت أن آخذه أفرقه على القراء هتف بي هاتف : إن أخذته سلبناك فترك .

وقال : كان عندنا بكرة فتى عليه أحصار رثة ولا يدخلنا ولا يخالطنا فأحبوته ففتح لي بائتني درهم من حل ، فحملتها فوضعتها بين يديه على سجادته وقلت : هذه حلال فاصرفاها فنظر إلى شذرا وقال : اشتريت هذه الجلسة مع الله بسبعين ألف دينار تريد أن تخدعني عنها بهذه ويدرها وقام ، فقدت التقط فما رأيت كعزم حين ذهب وكذلئ حين التقطتها ، وقال : صحبني رجل فكان على قلبي ثقيلا فوهبت له شيئا ليزول ما بقلبي فلم يزل ، فقلت له : ضع رجلك على خدي فأبى ، قلت : لابد وجزمت بأنه لا يرفع رجله حتى يرتفع بغضبه من قلبي ، فلما زال ذلك من قلبي قلت له : ارفعها ، وقال : كنت بالبادية فرأيت فقيرا ميتا وهو يضحك ، فقلت له : أتضحك وأنت ميت ؟ فقال لي هاتف : هكذا يا أبا بكر يكون محب الرحمن .

وقال وقد نظر إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس : هذا رجل ضيع حق الله في صغره فضيجه في كبيرة .

وقال : كان في رأسي وجع فرأيت المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : اكتب هذا الدعاء ؛ اللهم بثبوت الريوية وبعظيم الصمدانية ، وسلطات الإلهية ، ويقدم الجبروتية ، ويقدرة الوحدانية ، قال : فكتبه وجعلته على رأسي فسكن حالا ، وقال : الأنس بخلق عقوبة ، والقرب من الدنيا وأهلها معصية والركون إليهم مذلة ، مات بكرة سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة .

(١) محمد بن عليان النسوى (٣٧١)

من كبار شيوخ نسا وأصحاب أبي عثمان رضي الله عنه ، له كرامات ظاهرة وكلام عال في الطريق .

(ومن كلامه) : الزهد في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة .

وقال : آية الولي رضاها بما يسخط العامة من مجرى المدحور ، وقال : من أظهر كرامته فهو مدع ، ومن أخفها فظهرت بغير اختياره فهو ولی .

وقال : المروءة حفظ الدين وصيانة النفس وحفظ حرمات المؤمنين والجند بالوجود .

وقال : كيف لا تحب من لا ينفك عن بر طرفة عين وكيف تدعى محبة من لا توافقه طرفة عين .

وقال : لا يصفو للسخى سخاوة إلا بتضليل ما أعطاه ورؤيه الفضل لمن أخذ منه .

وقال : من خدم الله لطلب ثواب أو خوف عقاب فقد أظهر حسناته وأبدى طمعه ، وقبح بالعبد أن يخدم سيده لغرض دنيوي .

(٢) محمد بن الفضل بن العباس البلخي (٣٧٢)

عارف عرف تزهده وتبيّن تورعه وتعبده ، كان جزيل الاجتهاد في الخير ، محموداً في السرى ، مشكوراً في السير ، وله من الناس قبول ، ومه بال توفيق وصول ، وكان من أكابر القوم وساداتهم .

(١) حلية الأولياء ٣٧٦/١٠ : وطبقات السلمي ٤١٧ - ٤١٩ : وطبقات الشعراوى ٣٧/١ .

(٢) حلية الأولياء ٢٣٢/١ : وصفة الصفة ١٢٨/٤ : وطبقات السلمي ٢١٦ - ٢١٢ : والرسالة القشيرة ٢٧ : وطبقات الشعراوى ١٠٦/١ : ومرآة الجنان ٢٧٨/٢ : والمنتظم ٢٣٩/٦ : والشذرات ٢٨٢/٢ .

(ومن كلامه) : العجب من يقطع الأودية والفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه ؛ لأن فيه آثار أنبيائه ، كيف لا يقطع نفسه وهوأ حتى يصل إلى قلبه ؛ لأن فيه آثار مولاه ، وقال : أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ولا يد له منها فان من ملك نفسه عز ومن ملكته ذل .

وقال : ما خطوت أربعين سنة خطوة بغير الله ، وما نظرت أربعين سنة
في شيء وأستحسننته حباء من الله . أسنده الحديث عن قتيبة بن سعيد وغيره ،

ومات سمر قند سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

^(١) (٣٧٣) محمد بن الحسن التروغذى

من أجلة مشايخ طوس ، كان حسن الوعظ والمذاكرة جميل المحاولة والمحاورة ، يتتردد إليه العلماء والفقراء ، ووجوه الدولة والأمراء ، معدودا من أكابر الأعيان ، ممدودا بعنایة الملك الديان صحب ابا عثمان وطبقته ، ومن الله عليه وتخلف عنهم حتى صار أوحد زمانه وظهرت كراماته . وكان متجردا عالى الهمة وال الحال .

(ومن كلامه) : من ضيَّع حقَّ اللهِ فِي صُغْرَهُ أَذْلَهُ اللهُ فِي كُبُرَهُ .

وقال : ما خدم أحد الفقراء بصدق إلا أعزه الله في الدنيا قبل الآخرة .

وقال : ينزل الله على كل عبد من البلاء بقدر ما وهبه من المعرفة ل تكون معرفته عونا له على بلائه .

وقال : الأسماء مكشوفة والمعانى مستوره ، ولم يزل على حاله فى

(١) نسبة إلى تروغبيذ ، قرية من قرى طوس ، معجم البلدان ، ٢٨/٢ : واللباب /١٧٥؛ وطبقات
السلمي ٤٩٤ - ٤٩٦ : وطبقات الشعراوي ١٤٥ /١ .

وجاهته وعظم قدره ونباهته إلى أن سلبت روحه وعمر بجسله ضريحه بعد الخمسين وثلاثمائة .

(١) ٣٧٤) محمد بن سعد الوراق

من أكابر مشايخ بلخ ، صحب الحيري^(٢) وتلك الطبقة الفاضلة ، وكان عالماً بعلوم النقل والمعاملة ، جميل التربية والمزاولة ، يربى المربيين ويرقيهم إلى أعلى المراتب ، ويدفع عنهم كل عذاب واصب .

(ومن كلامه) : من قام العفو أن لا تدرك جنایة صاحبك بعد العفو عنه ، وقال : حياة القلب ذكر الحى الذى لا يموت ، والعيش الهنى هو الحياة مع الله .

وقال : حقيقة التقوى التخلى عن كل شىء إلا من إليه تقواك .

وقال : الصدق استقامة الطريق فى الدين واتباع السنة فى الشرع .

وقال : اللئيم لا ينفعك عن ضيق صدر أبداً .

وقال : أهنا العيش المعيشة مع شهود الحق ، وقال : كان حلمنا فى بدايتنا الإيشار بما فتح علينا ، وأن لا نبيت على معلوم ، وأن لا ننتقم من استقبلنا بمكروه ، وإذا وقع بقلبنا حقارة مسلم قمنا بواجب خدمته والإحسان إليه حتى يزول ذلك .

وقال : أنفع العلوم العلم بأحكام الشرع وأعلاها العلم بالله وبأسمائه وصفاته وآداب حضرته .

وقال : خوف القطيعة أحرق أكباد العارفين .

وقال : الأنس بالخلق وحشة ، والطمأنينة والسكون إليهم عجز ،

(١) طبقات السلمى ٢٩٩ - ٣٠١ ؛ وطبقات الشعراوى ١١٩/١ ؛ والمنتظم ٢٤٠/٦ .

(٢) أبو عثمان الحيري ، انظر ترجمته فى حرف الهمزة .

الاعتماد عليهم ضعف ، والثقة بهم ضياع .

وقال : شكر النعمة مشاهدة المنية وحفظ الحمرة .

ولم يزل على حاله إلى أن سقى بكأس سقى بها سواه ، وضمه رمسه
بحواه في رحمة الله ، سنة عشرين وثلاثمائة .

(١) محمد بن عبد الجبار النفرى (٣٧٥)

صاحب كتاب « المواقف » المشهور من كبار العارفين وسادات القوم ،
نقل عن العارف ابن عربى رضى الله عنه وأثنى عليه .

(ومن كلامه) يقول الله تعالى : إذا تعلق العارف بالمعرفة وادعى أنه
تعلق بي هرب من المعرفة كما هرب من النكرة .

وقال : التقاطوا الحكمة من أفواه الغافلين عنها كما تلتقطونها من أفواه
العامدين لها ، فإنكم ترون الله وحده في حكمة الغافلين كما في حكمة
العامدين .

وقال : حق المعرفة أن تشهد العرش وحملته وما حواه من كل ذي معرفة
يقول بحقائق إيمانه : ليس كمثل الله شيء وهو أى العرش في حجاب عن ربه ،
فلو رفع الحجاب احترق العالم بأسره في لمح البصر أو أقرب .

وقال : إذا اصطفيت أخا فكن معه فيما أظهر لا فيما أسر فان له من
دونك سراً ، فإن أشار إليه فأشر إليه وإن أفصح به فأ Finch به .

وقال : كان الحق يقول : أسمائي عندك وودائعك لا تخرجها فأخرج من
قلبك : وإذا خرجت من عند غيري وأنكرني بعد المعرفة وجحدني بعد الإقرار فلا

(١) نسبة إلى بلدة النفر من أعمال الكوفة ، انظر الزركلى ، الأعلام ٥٥/٧ - ٥٦ ! وكحالة ، معجم
المؤلفين ١٢٥/١ : ودائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ٩٧٢/٣ - ٩٧٣ .

تُخْبَرُ بِاسْمِيْ وَلَا بِعِلْمٍ اسْمِيْ ، وَإِنْ حَدَّثَكَ مُحَدِّثٌ عَنْ اسْمِيْ فَأَسْمَعْ مِنْهُ وَلَا تُخْبِرْهُ مِنْ أَنْتَ .

وقال : علامة الذنب الذى يغضب الله أن يعقب صاحبه الرغبة فى الدنيا ، ومن رغب فيها فقد فتح بابا إلى الكفر فإن المعاشرى تزيده وكل من دخل ذلك الباب أخذ من الكفر بقدر ما دخل .

(٣٧٦) محمد بن عبد الوهاب الثقفى^(١)

الإمام الجليل الأستاذ أبو على الجامع بين العلم والتقوى التمسك من حبائل الشريعة والحقيقة بالسبب الأقوى ، المقتدى به فى فقه الشافعية والكلام والتتصوف والوعظ ، كان إماماً فى أكثر علوم الشرع ، مقدماً فى كل قوم ، عطل علومه كلها واشتغل بالتصوف ، وبه ظهر التتصوف فى إقليم نيسابور ، تفقه على محمد بن نصر المروزى وتفوق على حمدون القصار وغيره ، حكى أن الشبلى رضى الله عنه بعث إليه رجلا وأمره أن يغلق مجلسه سنة ويحمله إليه بحيث لا يشعر ، ففعل وميز مجالس الغدو من مجالس العشى فتأمله الشبلى ، رضى الله عنه وقال : كلامه بالغدو فى علم الحقائق معجز وبالعشى ، ردىء فاسد بعيد عن تلك العلوم انتهى ، وذلك لأنه كان يخلو فى ليلة بسره فيصفو كلامه بالغدو ، فقال الشبلى ، رضى الله عنه ، للرجل : هل رأيت بداره شيئاً من الفرش والأنية التى يتجممل بها أبناء الدنيا ؟ قال : أما الفرش فنعم ، فصاح الشبلى رضى الله عنه هذا الذى غير عليه حاله ، وكان رأساً فى الفقه ، قال له ابن خزيمة رضى الله عنه : لا يحل لأحد منا أن يفتى وأنت حى ، وقال الضبعى رضى الله عنه : ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد علينا الثقفى من العراق ، نقل

(١) الرسالة القشيرية ٣٤ : وطبقات السلمى ٣٦١ - ٣٦٥ : وطبقات الشعراوى ١٢٥/١ : وطبقات الشافعية ١٧٢/٢ : والشذرات ٣١٥/٢ .

نه الرافعى رضى الله عنه ، فى مواضع من الشرح منها فى الجمع بين الصلاتين غير ذلك .

(ومن كلامه) : من صحب المشايخ من غير طريق الحرمة حرم من وائدهم وبركتهم ولم يظهر عليه من أنوارهم شيء .

وقال : كمال العبودية العجز والقصور عن معرفة علل الأشياء بالكلية .

وقال : لكل شيء حد وكمال ، فمن صحب الأشياء على حدودها فقد فلح ونجح ، ومن قصر عنها فقد ضيع حقها ، وقال : لا يقبل من الأعمال إلا ما تاب صوابها إلا ما كان خالصاً ومن خالصها إلا ما كان موفقاً للسنة .

وقال : من غلبته شهوته فهو حمار ومن غلبه هواه توارى عنه عقله .

وقال : قد وسع الله على عباده بالغفلة عنه ، ولو لاها ما هناهم عيش عظم ما كانوا يشاهدون .

وقال : لو جمع رجل جميع العلوم وشاهد وصاحب جميع الطوائف لا يبلغ بلغ الرجال إلا بالرياضة على يد شيخ ناصح ، فإن لم يلقه وادعى الطريق فدعوه عوننة نفس ولا يجوز الاقتداء به .

وقال : يأتي على الناس زمان لا يطيب العيش لمؤمن إلا باستناده لمناقف بحميه .

وقال : إن من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وإن من حسراتها إذا أدبرت ، العاقل لا يركن لشيء إذا أقبل كان شغلاً وإذا أدبر كان حسرة .

وقال : ليس شيء أولى بأن تمسكه من نفسك ، ولا شيء أولى بأن تغلبه من هو أكثـر .

ومن نظمـه :

إلى كم يكون الصد فى كل ساعة وكم لا تملين القطيعة والهجراء
رويدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فارتقب الدهر
ولد سنة ست أربع وأربعين ومائتين ؛ وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

(١) محمد بن منازل النيسابوري (٣٧٧)

شيخ الملامية بنيسابور وأوحد وقته ، كان عالماً ديناً وإماماً صيناً ،
وافر الجلالات ، سافر البسالة صحب القصار وغيره ، وكان متبحراً في علوم الشرع من
حديث وفقه وغيرهما ثم طلق العلاقه ، وأعرض عما يحجبه عن الله وهو الخلاق .
(ومن كلامه) : من مقت نفسه عند نفسه عاش الناس في ظله ، وقال :
عبر بلسانك عن حالك ولا تكون بكلامك حاكياً لأقوال غيرك فإن الطريق ذوق .
وقال : ما تهاون أحد بالسنن إلا وقع في البدع .
وقال : لا يجتمع التسليم والدعوى بحال .
وقال : لوضع لأحد نفس من أنفاسه خاليها عن رباء ونفاق ، عادت عليه
بركته إلى آخر عمره .
وقال : لا تنظر إلى عيب من أنت محتاج إلى علمه فإن ذلك يحرملك
بركة النفع به .

وقال : العبد يظهر دعوى العبودية ويضمرون وصف الريوبية .
وقال : أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هوا جس النفس .
وقال : العبد عبد مالم يطلب لنفسه خادماً ، فإن طلبه سقط عن حد العبودية .
مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

(٣٧٨) محمد بن احمد بن سيد حمدویه^(١)

المعروف المعلم أبو بكر التميمي ، العابد الزاهد صاحب الكرامات المشهورة والخوارق المأثورة المسطورة ، صحب قاسم الجوعى وحدث عنه وعن غيره وعنده أبو زرعة وغيره ، كان من أكابرهم وساداتهم ، أقام ما أنسد ولم يد رجله بين يدي الله هيبة منه وصاحب البصرى في المقابر بقاسيون ، فلما مات صحب الجوعى ، فلما مات رجع للمقابر فبقى إحدى عشرة سنة لا يكلم أحدا فكان يصلى الجمعة فلقيه إبليس يوما فقال : يا غلام ارجع فقد صلينا ، فرجع فرأى الشمس في كبد القوس في كبد السماء فمضى ولم يكلمه ولحق الجمعة ، وكان يمشي في اليوم أربعين ويختتم فيه ختمة ، فتعب يوما وغلبه الجوع وضعف فأتى في البرية على عين ماء فقعد وإذا بجارية سوداء على رأسه فقالت : سيدى أرسلنى إليك بهدية ، فقال : إن قبلها فأنت حرة فقال : صفيه فإذا هو في بيتهان معها بيض مسلوق فتركه ومضى جزعا من سرعة الإجابة .

(ومن كراماته) أيضا أنه قام أياما لم يشرب فاجتهد إلى الطهارة وقد الماء فبكى ، وقال : يا سيدى قد علمت حاجتى للظهور وما يشق على من تركه . ظهر له كف من الحائط فيها كوز فقال : خذ فاشرب فقال : الطهارة أغلب على ، أخذ الكوز فتوضا وصلى وشرب فأقام ثمانين يوما لا يحتاج إلى الشرب ، وأضاف به قوما فأتاهم بشوى ورقاق ، فقالوا : ما هذا من طعامنا ، قال : ما طعامكم ؟ قالوا : البقل ، فأتاهم به وأكلوا الشوى وقاموا يصلون بالليل وقام المعلم على ظهر الليل كله يصلى بهم الصبح بظهر العتمة ثم قال : تخرجون تنفرج فأتوا إلى بركة ماء ففرش رداء على الماء فصلى عليه ورفعه ولم يصبه ، ثم قال : هذا عمل الفقراء ، فأين عمل البقل . ومنها : أن كلبا نجح عليه فأحساه فسقط ميتا .

ومات بعض تلامذته فصلى عليه ودفنه ثم رجع فقرأ رجل فصعق بعض أصحابه يعني الشيخ فمات فأعجب القارئ بذلك وقال : مات الرجل ، فقال الشيخ : إنما مات من القرآن لا منك ، فقال الرجل : الله حسبي فمات حالاً فقال الشيخ : خذوا في أمرهما واحداً واحداً . مات في صفر سنة إحدى وثلاثين .

(١) ٣٧٩) محمد بن موسى أبو بكر الواسطي

من كبار أتباع الجنيد ، رضي الله عنه ، فرغانى الأصل ، كان رفيع المقدار ، عالى المنار ، وكانت جماعته الذين يحضرن ورده كل يوم خمسة آلاف ولم يتكلم أحد مثله فى أصول التصوف ؛ ألفاظه عالية وإشاراته دقيقة غالباً ، ولما دخل نيسابور سأله أصحاب أبي عثمان رضي الله عنه : بما كان يأمركم ؟ قالوا : بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها ، فقال : أمركم بالمجوسية المحضة فهلا أمركم بالغيبة عنها بروبة منشئها ومبرتها . وسئل عن مالك بن دينار ، رضي الله عنه ، وداود الطائى وابن واسع ، رضي الله عنهم ، ونحوهم من العباد ، فقال القوم : ما خرجوا من نفوسهم إلا إلى نفوسهم ، تركوا النعيم الفانى للنعمى الباقي ، فأين خالق الفناء والبقاء ؟ .

(ومن كراماته) أنه سافر بحراً فانكسرت السفينة فبقى مع امرأته على لوح فولدت في تلك الحالة وعطشت جداً فرفع رأسه فإذا برجل جالس على الهواء وبيه سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت وقال : اشربوا فشربوا ، قال : فقلت : من أنت ؟ قال : عبد مولاك ، قلت : بم وصلت إلى هذا ؟ قال : بترك هوای لرضاه فأجلسني على بساط الفردانية كما ترى ، ثم غاب عنى .

(ومن كلامه) ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام ولا أخلاق الجاهلية

(١) حلية الأولياء ٣٤٩/١٠ : والرسالة القشيرية ٣٢ : وطبقات السلمى ٣٠٢ - ٣٠٦ : والمنتظم

أحلام ذى المروءة ، وقال : الخوف والرجاء زمام مانع من سوء الأدب .

وقال : الذكر الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة
خوف وشدة الحب .

وقال : مطالعة الأغراض على الطاعات من نسيان الفضل .

وقال : العلماء بالله هم الذين رسخت أرواحهم في غيب الغيب وسر
سر عرفهم الله علوما لم يعرفها لغيرهم ، وأراد منهم من مقتضى الغيب ما لم
ده من غيرهم ، فخاضوا بحر العلم بالفهم ، ثم بالكشف الذي كشف لهم عن
خول الخزائن والمخزون حتى شهدوا ما تحت كل حرف وكلمة من عجائب النفوس
ستخرجوا من بحارها الدرر والجوائز ونطقوها بالحكمة .

وقال : إن خفت من الله نسبته للبخل ، وإن رجوته اتهمته ، ولا بد لك
بهما ، فلذلك كان النقص من لازمك .

وقال : ربما كان الذاكر في ذكره أشد غفلة من الناسى لذكره .

وقال : إذا تجلى الحق على السرائر ذهب الخوف والرجاء .

وقال : احذوا من زلة العطاء فإنها غطاء ، ولو لا شهود الحق ما هنا
تارف عيش .

وقال : ذهبت الطريق وأهلها ولم يبق إلا الحسرات ، وقال : الأسرى
لمى وجوه ، أسير نفسه وشهوته وأسير سلطانه وهواه ، وما دام للشاهد على
أسرار أثر وللأغراض على القلوب خطر فهو محجوب بعيد عن عين الحقيقة .

وقال : أفقر الفقر من ستر الحق حقيقة حقه عنه .

وقال : الحب يورث الشوق والشوق يورث أنسا ، فمن فقد الشوق
الأنس فهو غير محب .

وقال : من حال به الحال كان مصروفا عن التوحيد .

وقال : الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الأبد بما جريما في الأزل يظهران الوسمين على المقبولين والمطرودين ، فقد بانت شواهد المقبولين بضيائهما عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلمتها عليهم ، فأئن ينفع مع ذلك الألوان المصفة والأكمام المنضرة والأقدام المتفخة .

وقال : استعمل الرضا جهلك ولا تدع الرضى يستعملك فتكون محجوبا بذلكه ورؤيته عن حقيقة ما تطالع .

وقال : الموحد لا يرى إلا ربوية صرفة تولت عبودية محضة فيها معالجة الأقدار ومغالبة القسمة .

وقال : كائنات محتومة بأسباب مغلوبة وأوقات معلومة فاعتراض السريرة لها رعنونه .

وقال : أقسام قسمت ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تناول بسعيات .

وقال : من عرف الله انقطع بل خرس وانقمع .

ولما احتضر قالوا له : أوصنا قال : احفظوا مراد الحق فيكم .

وقال : العبادة أصلها ستة ، التعظيم والحياء والخوف والرجاء والمحبة والهيبة ، فمن لم تتم له هذه المعاملات لم تقم له العبودية .

وقال : ادعى فرعون الربوبية على الكشف ، والمعزلة الربوبية على الستر فأئنهم قالوا : ما شئنا فعلنا ، فنحن خالقون لأفعالنا .

وقال : بفضله سبحانه أحبهم فأحبوه وذكرهم فذكروه « اذكروني أذكريك »^(١) .

وكان به أكلة عند كتفه فخرجت أخرى من ظهره تقابلها فصارت يظهر منها الضوء ، ومع ذلك يقول : إلهي زدني من بلاتك إن كان لك فيه رضى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

وقال : إياكم واستملاك الطاعة ، فإنه سُم قاتل .

وقال : الجملة التي كملت بها المحسن الاستقامة ، وقال : الصدق صحة التوجيه مع القصد .

وقال : الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب ، وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب ، من غيب الغيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها فيتكلّم على ضمير الخلق .
مات ببرو بعد العشرين وثلاثمائة .

(٣٨٠) محمد بن يوسف بن معدان البناء^(١)

كان للآثار حافظاً ومتبعاً ، له التصانيف في نسخ العارفين ، ومعاملة العاملين ، وكان رأساً في علم التصوف صنف فيه كتاباً حساناً .

(ومن كلامه) : أسباب المعرفة أربعة : حصانة العقل ، وكرم الفطنة ، ومجالسة أهل الخير ، وشدة العناية ، وسببها كلها الرحمة . ومن أقرب الأمور إلى الرحمة الضراعة والاستكانة والتبرى من الحول والقوة .

وقال : خير العلم ما نفع ، والعلم يصاب من عند المخلوق ، والعلم لا يصاب إلا بالله ومن عنده ، والعلم النافع هو الذي أطعته .

وقال : قلوب العارفين مساكن الذكر وأفضل الأعمال رعاية القلب ،

والذكر غذاء القلب .

(١) حلية الأولياء ٤٠٢ / ١٠ : وصفة الصنفة ٦٥ / ٤ : والسلمي ٢٢٣ الحاشية (ب) : وتاريخ أصحابه ٢٢٠ / ٢ .

وقال : هم العارفين تعلى ما فيه نفوسهم واتصلت بما فيه محبة
سيدهم .

وقال : من أيقن بالقدوم عل معطى الجزاء قدم الهدايا قبل ملاقاته .

وقال : إذا كسى الله القلب نور المعرفة قلده قلائد الحكمة ، ومن كان
الصدق وسينته كان الرضى من الله جائزته .

وقال : من التوفيق ترك التأسف على ما فات ، والاهتمام بما هو آت ،
ومن أراد تكثير النعم فليكثر من مناجات الخلوة .

(٣٨١) محمد بن يوسف

وقيل : يوسف بن محمد بن الحسين الرازى ^(١)

المتخلى عن الناس ، المتحلى بالإخلاص ، تارك التزيين والتصنع ، مفارق
التلون والتمنع ، صحب ذا النون وأبا تراب والخراز وتلك الطبقة السامية ، وسع
جمعاً كثيراً من أكابر المحدثين منهم أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، وكان آية
في إسقاط التصنع والجاه وحيداً فريداً وعلى المتعظمين شديداً ، قيل له : إن ذا
النون ، رضى الله عنه ، يعرف الاسم الأعظم فرحل إليه فدخل عليه فلم يلتفت
إليه ، وكان يقال له : إن ابن يوسف أعلم أهل زمانه بالكلام ، فدخل على ذي
النون رضى الله عنه رجل فناظره فلم يقم ذو النون بالمحجة فناظره ابن يوسف
رضى الله عنه فقطعه فعرف ذو النون مكانه فقام فاعتنتقه واعتذر وجلس بين
يديه ، فقال له ابن يوسف : يا أستاذ خدمتك ووجب حقى عليك فعلمى الاسم
الأعظم ، فتركه ذو النون ثم خرج إليه بطبق مغطى وكان يسكن الجيزة ، فقال

(١) حلية الأولياء ٢٣٨/١٠ - ٢٤٢ : وصفة الصفة ٨٤/٤ : والرسالة القشيرية ٢٩ : وطبقات السلمى
١٨٥ - ١٩١ : وطبقات الشعراوى ١٠٥/١ : وتاريخ بغداد ٣١٤/١٤ - ٣١٩ : والبداية والنهاية
١٢٦/١١ : والشذرات ٤٢٥/٢ .

هـ : اذهب بهذا إلى فلان فتفكر ابن يوسف وقال : أترى ايش هذا فكشفه فإذا
بيه فأرة ففرجت فرجع إليه خجلا ، فقال ذو النون ، رضي الله عنه ، يا أحمق
ئتمنتك على فأرة فخنت ، فكيف تؤمن على الاسم الأعظم اذهب عنى ، فقال :
وصنى ، قال : عليك بصحبة من تسلم منه في ظاهر أمرك وتبعثك على الخير
صحبته ويدرك الله رؤيته .

(ومن كلامه) : علم القوم بأن الله يراهم فاستحبوا من نظره أن يراعوا
 شيئاً سواه ، ومن ذكر الله بحقيقة ذكره نسي ذكر غيره ، ومن نسي ذكر كل شيء
ئ ذكره حفظ عليه كل شيء .

وقال : لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق .

وقال له رجل : دلني على طريق المعرفة ، فقال : أرى الله الصدق منك
في جميع أحوالك بعد أن تكون موافقاً للحق ولا ترق إلى حيث لم يرق بك فنزل
قدمك ، فإنك إذا رقيت سقطت وإذا رقى بك لم تسقط ، وإياك أن تترك اليقين
لما ترجوه ظنا ، وقال : عارضني بعضهم . وقال : لا تدرك مرادك من علمك
حتى تتوب ، فقلت : لو أن التوبة تطرق بابي ما أذنت لها على أن أنجو بها من
ربى ، ولو أن الصدق والإخلاص كانا عبدين لى لبعتهما زهداً فيهما ، لأنني كنت
عنه في علم الغيب سعيداً مقبولاً لم أتخلف باقراف الذنوب ، وإن كنت عنده
شقياً مخدولاً لم تسعدني عنده توبيتي وإخلاصي ، وإن الله خلقني بلا عمل ولا
شفيع كان لي إليه وهداني لدينه الذي ارتضاه ، فاعتمادي على فضله وكرمه
أولى من اعتمادي على أفعالى المدخلة وصفات المعلولة .

وقال : من جهل قدره هتك ستره .

وقال : في الدنيا طغيانان : طغيان العلم وطغيان المال ، فالذى ينجيك
من الأول العبادة ، ومن الثاني الزهادة . وقال : بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح
العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة يفهم الرهد ويوفق له ، وبالزهد تترك

الدنيا ويتركها يرحب فى الآخرة ، وبالرغبة فى الآخرة ينال رضا الله تعالى .

وقال : إذا رأيت الله تعالى أقامك فى طلب شيء وهو يمنعك منه فاعلم أنك معدب .

وقال : يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنفعة فى الطاعة .

وقال : آفة الصوفية فى صحبة الأحداث وعشرة الأضداد وإرفاق النسوان وكان يبكي وينشد :

كيف السبيل إلى مرضات من غضبا من غير جرم ولم نعرف له سببا
وكان كثيراً ما يتمثل بقوله :

سأعطيك الرضا وأموت غما وأسكك لا أغمرك بالعتاب
وما أخذ عن الداراني ، رضى الله عنه :

ليس أعمال الخلق بالذى ترتضيه ولا تخطه ، إنما رضى عن قوم فاستعملهم بأعمال الرضى وسخط على قوم فاستعملهم بأعمال السخط ، ثم يتمثل بقوله :
يا موقد النار فى قلبي بقدرته لو شئت أطفأت من قلبي بك النار
وقال عن ذى النون ، رضى الله عنه ، تكلمت خدع الدنيا على السنة
العلماء ، وأماتت قلوب القراء فتن الدنيا فلست ترى إلا جاهلاً متجرداً وعالماً
مفتونا ، فيما من جعل سمعى وعاً لعلم عجائبه ، وفهمى منتبهاً لذكره ، وبما من
من على بواهبه يجعلنى بحبابك معتصماً وبوجودك ممسكاً ، وبجانبك متصلة ،
وأكمل نعمتك عندى بدوام معرفتك فى قلبي ، وقال : جالس من الناس من
يقهرك برهانه وتخوفك رؤيته ويخبرك عن نفسك بما هو أعلم به منك .

وقال عن ذى النون المصرى ، رضى الله عنه : ما بعد طريق أدى إلى صديق ولا ضاق مكان بحبيب .

وقال عن الجنيد ، رضى الله عنه : أوصيك بترك الالتفات إلى كل حال

ماضية فإن الالتفات إلى ما مضى يشغل عما هو أولى من الحالة الكائنة ويترك الملاحظة للحال الكائنة ويترك المازلة لها بجولان الحكمة بنقل المستقبل من الوقت الوارد بذكر مورده وموجوده ، فإذا كنت هكذا لم يضرك رؤية الأشياء ، وأوصيك بتجريد الهم وتفريد الذكر ومخالطة الرب ، واعمل على تخلص همك من همك لهمك ، وطالب الخلاص من ذكر الله لقلبك ، وكن حيث يراد منك ولا تكون حيث لا ترى ذلك لما تريده لنفسك ، واعمل على محق شاهدك من شاهدك حتى يكون الشاهد عليك شاهدا لك وبك ومنك ، ثم أخلاص من شاهدك شاهداً منيعاً كبيراً السطوة عظيم الشأن ، فإذا كنت هكذا كان لك بكل الكل فيما يحبه منك وكن مؤثراً لكل ما انبسط لك منك ومنه وبك لك ومنه وبه له ينبع لك مالا يحيط به علمك .

وقيل له : مالك إذا رأيت العاصي لا تحقد عليه ولا تقبع فعله ، قال : لأنى أنظر إلى الصانع فى الصنيع فيهون على المصنوع .

وقال : من قطع الآمال عن الخلق وصل إلى الخالق ولا يصل عبد لمحبوبه دون قطع الآمال من دونه .

وقال : الزاهد يقول : كيف أصنع ؟ ، والعارف يقول : كيف يصنع بي ؟ تاه القوم فى جلاله وجماله .

وقال : الناس أعداء ما جهلوا وحمقاء ما منعوا .

وقال : من لا يسكن قلبك عليه فلا تفشن سرك إليه .

وقال : أدوم الناس غماً أسوأهم خلقاً .

وقال : عالمة سوء الخلق كثرة الخلاف ، وقال : صدق الأحرار قبول

الأسرار ، وقال : الخلاص فى الإخلاص فمن أخلص تخلص ، أسنداً حديثاً كثيراً عن جمع كثيرين .

(١) محفوظ بن محمود (٣٨٢)

المذعن للمعبود ، الواثق بالودود ، من أجيال مشايخ نيسابور صحب القصار والخيرى وأبا حفص وتلك الطبقة ، وكان إماماً معظمماً كثير الوقار ، مسعود الحركات في المحافل الكبار ، حسن الخلق والمعاشة ، كثير التودد مع رضاعن المنافرة .

(ومن كلامه) : من ظن بمسلم فتنه فهو المفتون ، ومن أراد أن يبصر عيوب نفسه فليتهمها في فعل الطاعات ويرى أنها كلها محسنة من الآفات .

وقال : من أبصر محسن نفسه ابتلى بمساويء الخلق ، ومن أبصر عيوب نفسه سلم من رؤية مساويء الناس .

وقال : التائب من يتوب عن غفلاته ورؤيته طاعاته .

وقال : أكثر الناس خيراً أسلمهم صدراً للMuslimين .

وقال : من أراد أن يبصر طريق رشده فليتهم نفسه في المواقف فضلاً عن المخالفات . مات بنيسابور سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة .

(٢) مظفر القرميسي (٣٨٣)

من جلة مشايخ الجبل صحب الخراز وطبقته ، وكان واحداً في طريقة ذا مجاهدة أو صافها مأثورة وأخلاق محسنها منشورة .

ومن كلامه : الصوم ثلاثة ، صوم الروح بقصر الأمل ، وصوم العقل بخلاف الهوى ، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والشراب والمحارم .

(١) حلية الأولياء ٣٥١/١٠ : وطبقات السلمي ٢٧٣ - ٢٧٤ ; وطبقات الشعراوي ١١٧/١ .

(٢) حلية الأولياء ٣٦٠/١٠ : والرسالة القشيرية ٣٥ : وطبقات السلمي ٣٩٦ - ٣٩٨ : وطبقات الشعراوي ١٣٢/١ .

وقال : آخر الفقراء قيمة من قبل رفق النساء والظلمة .

وقال : من تأدب بآداب الشريعة تأدب به أتباعه ، ومن تهاون بآدابها ، وأهلك ؛ ومن لم يأخذ الأدب عن حكيم لا يتأدب به مريد .

وقال : الجموع إذا ساعدت القناع مزرعة الفكر وينبوع الحكمة وحياة الفطنة .

وقال : أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم ، رضى الله تعالى عنهم هنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَهُوَ حَسْبِيْ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

الحمد لله كشاف الغطاء فياض العطا مقرب أهل الصفاء من حضرة الوفاء
أحمده حمد من أزال عنه الجفاء ، وأشكره شكر من كشف عنه الخفاء ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد به تحقق وبه اكتفى ، وأشهد أن
محمدًا عبد ورسوله قدوة السالكين المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبيه
آدم ومن بينهما من الأنبياء والمرسلين والملائكة أجمعين أهل العناية والاصطفا
وآل كل وصحبهم وسائر الأولياء وكل الصالحين وتابعهم في كل زمان على الوفا
صلوة وسلاما دائمين متلازمين مadam الحق تقدس يتصدق ويقرب من عنه عفا .

(وبعد هذه) الطبقة الخامسة من الكواكب الدرية فيمن مات بعد
الأربعين إلى آخر القرن وهم تسعة عشر :

إبراهيم القرشى إمام مسجد الزبير * إبراهيم أبو إسحاق الشيرازي *
أحمد الشعابى صاحب التفسير * الحسن أبو على الدقاد * الحسن بن بشر
الجوهرى * عبد الله الأنصارى * أبو سعيد القشيرى * عبد الرحمن بن
القشيرى * عبد الكريم أبو القاسم * عبد المحسن الواردى * على بن الحسن
الخليعى * على الجزبرى * على بن عمر القزوينى * غوث البغدادى *
الفضل بن محمد الفارندى * فضل الله المھينى * محمد بن الحسن الرذانى *
محمد أبو عبد الرحمن السلمى * المظفر بن أردشير .

حرف الالف

(٣٨٤) أبو اسحق القرشى الهاشمى

إبراهيم بن إسماعيل بن سعد المعروف بإمام مسجد الزبير بن العوام^(١)

(١) ابن دمقاق ، الانتصار ، ٤٦/٤ .

صوفي ظهر جماله وجميله وسعد مربيده وخليله ،

وله كرامات منها ، أنه جاء إلى حاكم ليشهد عنده فلم يقبله ، فلما كان الليل رأى الحاكم رجلا ارتفع له الحائط حتى دخل عليه منه فقال له : من أنت ؟ قال : خلق من خلق الله تعالى قال : كيف دخلت ؟ قال : أمرت بذلك لم لا تقبل شهادة الشريف وهو عدل عند الله ، فإذا أتاك غدا فأكرمه واسمع قوله ، فإنه ينطق بالحكمة فقال : السمع والطاعة ، ثم انصرف من حيث جاء ، مات سنة ست وثمانين وأربعين ودفن بالقرافة ، وراء التربة المعروفة بتربة سارية مما يلى الجهة الشرقية وقبره معروف بإجابة الدعاء .

(٤٨٥) إبراهيم بن علي بن يوسف النيروزي باذاري^(١)

أبو إسحاق الشيرازي الشافعى صاحب التصانيف الذى سارت كسير الشمس وملأت الأقطار فما جحد فضلها إلا الذى يتخطبه الشيطان من المس ، وكان فقيها أصوليا ورعا زاهدا صوفيا يضرب به المثل فى كل ذلك ، وناهيك بقول الماوردي فى حقه : لو رآه الشافعى رضى الله عنه لتجمل به . أما الفقه فكان ملكه يأخذ بزمامه ، وإمامته إذا أتى كل أحد بإمامته ، ويدر سمائه الذى لا يعتريه النقصان عند تمامه ، وأما التصوف والزهد والورع المتين وسلوك سبيل المتقين والمشى على سن الأولياء الصالحين فذاك أشهر من أن يذكره الذاكر وأكثر من أن يحيط له بأول وأخر ، لم ينكر تقلب وجهه فى الساجدين ولا قيامه فى الدجى كيف والنجوم من جملة الشاهدين ، وكان مجاب الدعوة شديد الورع جدا . نسى فى المسجد دينارا وخرج ثم تذكره فرجع فوجده فقال : لعله وقع من غيرى فتركه ، هذا هو الورع هكذا وإنما فلا . وقال لرجل : وكلتك فى شراء بس

(١) السبكي ، طبقات الشافعية ٨٨/٣ - ١١١؛ التووى ، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢ - ١٧٤؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢٤/١٢ - ١٢٥؛ مرآة الجنان ١١٠/٣ - ١١٩؛ المنظم ٧/٩ - ٨ . والوفيات ١/٥ - ٦ ، ومفتاح السعادة ٢/١٧٩ - ١٨١؛ الشذرات ٣٤٩/٣ - ٣٥١ .

بهذا القرص على وجه الأجر فاشترى وجاء به فشك بأى القرصين اشتري ، فلم يأكل منه ، وقال : لا ندرى بأيهما اشتريت ، هذا هو الزهد ليكن المرء هكذا وإلا فلا يؤملن من الجنة آمالا . فإذا كان صالحًا ترتجى بركاته فهذا ، وإن كان ولئى ظُول في الشدائِد فحسبك هو ملادًا . ولد بغير وذابة بلدة بفارس سنة ثلاثة وسبعين وثلاثمائة ، وكان بها ثم طاف البلاد ثم استقر ببغداد وما برح يجاهد حتى صار أعلم زمانه وفارس ميدانه والمقدم على أقرانه ، وامتدت إليه أعين الناظر ، وانتشر صيته في البلدان الكبار . ورحل إليه من جميع الأقطار ، وكانت مجاهدته أول أمره أمراً عجباً وعملاً دائمًا يقول من شاهده : عجباً لهذا القلب والكبش كيف ما ذابا ، وكان مع جلالته وحضور المسلمين إليه لا يعلق شيئاً من الدنيا فيبلغ به الفقر حتى كاد لا يجد قوتاً ولا ملبيساً ، وكان يقوم للقادم عليه نصف قومة ولا يعتدل قائماً من العرى كيلاً يظهر منه شيء . وأرسل إليه الخليفة ليجتمع به فأبى فالح عليه فما أفاد فتوسل إليه ببعض أصدقائه فأبرأه عليه ، فأجاب بشروط منها أن يكون اجتماعه ليلاً فتوجه في الليل ، فلما دخل دار الخليفة هرع الحباب لإعلام الخليفة ، فبمجرد استقبال الشيخ تحركت عليه بطنه فقال : أئتوني بشمعة فأتوا بها فقصد بيته الخلاء فتعثر في ذيله فوقعت الشمعة من يده وسقط عليها فأصابت بعض لحيته فاحتارت ، فكر راجعاً وهو يقول : صدق الله العظيم قال تعالى : ﴿ وَلَا ترکنوا إِلَى الَّذِينَ ظلمُوا فَتُمْسِكُمُ النَّارَ ﴾^(١) والله لا يجتمع به أبداً ، فرجع ولم يجتمع به . وكان إذا قدم بلداً تلقاه الفقهاء والصوفية والمحدثون والعامّة والنساء والأطفال يتمسحون بأركانه ويأخذون ترابه عليه يستشفون به ويخرج أهل الصنائع بصنائعهم ينشرونها بين يديه حتى الأساقفة تبركوا به . ويخرج إليه النساء الصوفيات وما معهن إلا ومعها سبحة فيلقين سبّحهن على محفة الشيخ تبركاً به . ودخل نيسابور فتلقاء جميع أهلها على العادة وحمل شيخ الدنيا إمام الحرمين أبو المعالي

ل giovinii رضى الله عنه غاشيته ومشى بين يديه كالخديم وقال : أفتخر بهذا ، وكان مع ذلك الزهد المتنين ، والورع الشديد طلق الوجه دائم البشر حسن المجالسة بلغ المجاورة وله أدب أعزب من الزلال . مازجته المدام وأزهى من الروض باكره الغمام ، وأبهى من النثور هذا مع أنه لا يتلوّن ، وأزهر من صفحات الخدود وإن كان آس الخدود العذار على جوانب ورده تكون ، لو سمعه ديك الجن لصاح كأنه مصروع ، ولو تأمل مقاطيعه ابن قلاقس لأصبح وهو قلب مقطوع ، فمنه قوله :

سألت الناس عن خل وفي
هنئك إن طرفت بذيل حر
ومنه : إذا تخلفت عن صديق ولم يعاتيك في التخلف
فلا تعد بعدها إليه فإما وده تكلف

(ومن كراماته العظيمة) أنه كان وهو مقيم ببغداد يشاهد الكعبة المعظمة عيانا ، وسمع من جوف الكعبة مرارا : من أراد أن يتتبه بالدين فعليه بالتبنيه ، تأليف الشيخ ، رضى الله عنه . وكان كثير الاجتماع بالصطفي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له مرة : يا رسول الله ، علمتني كلمات انجو بها غدا . وفي رواية أحب أن أسمع منك خبرا أتشوف به في الدنيا وأجعله ذخيرة في الآخرة . فقال له : يا شيخ اطلب السلامة في غيرك تجدها في نفسك . وفي رواية : ياشيخ من أراد السلامة فليطلبها من سلامة غيره فكان بعد ذلك يفرح ويقول : سمانى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، شيخا ويفتخرا بذلك . وكان يقول فمن أخذ عنى مسألة فهو ولدى ، وكان يقول : العوام ينتسبون بالأباء ، والأغنياء بالأموال والعلماء بالعلم ، وقال : العلم الذي لا ينتفع به صاحبه أن يكون الرجل عالما ولا يكون عاملا وينشد لنفسه :

علمت ما حلّ الولى وحرمه فاعمل بعلمك إن العلم للعمل

وكان يقول : الجاهل بالعلم يقتدى فإذا كان العالم لا يعمل بعلمه فاجاهل خيراً منه ، فالله الله يا أولادي ، نعوذ بالله من علم يصير حجة علينا ، ومشى بعض أصحابه معه في طريق فعرض لهما كلب ، فقال الفقيه لذلك الكلب : أخساً وطرده وجزره فنهاه الشيخ وقال : لم طرده عن الطريق أما علمت أن الطريق بيني وبينه مشترك ، ووضع بعض الفقهاء المذهب تحت رأسه ونام فاحتلم فرأى الشيخ فدفعه برجله وقال : قم أما يكفيك أنك وضعت المذهب تحت رأسك ثم صرت جنباً . نقله النوى عن شيخه سلار رضي الله عنهما ، ورآه في النوم بعض الأكابر يطير في السماء الثالثة أو الرابعة فتلقاء ملك وسلم ، وقال له إن الله تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك : ما تدرس ؟ قال : أدرس ما نقل عن صاحب الشرع ، صلى الله عليه وسلم ، فغاب الملك ثم رجع فقال : إن الله تعالى يقول : الحق ما أنت عليه وأصحابك ادخل الجنة معهم . ورآه آخر عليه ثياب بيضاء وعلى رأسه تاج فقال له : ما هذا البياض ؟ قال : شرف الطاعة . قال : والتاج ؟ قال : عز العلم . مات سنة ست وسبعين وأربعين ، رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا به وبعلومه في الدنيا والآخرة .

(٣٨٦) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري^(١)

المعروف بالشعلبي صاحب التفسير^(٢) المشهور والعرائس في قصص الأنبياء^(٣) كان عالماً صالحًا ملازماً سلوك الطريق المثلثي راقياً في منازل الطريق إلى الشرف الأعلى ، ومن مناقبه الفاخرة ما حكاه أبو القاسم القشيري

(١) الرفیات ٢٦/١ : الققطی ، إنباء الرواة ١١٩/١ - ١٢٠ : وابن کثیر ، البداية والنهاية ٤٠/١٢ .
ویاقوت ، معجم الأدباء ٣٦/٥ : السیوطی ، طبقات المفسرين : واللباب لابن الأنباری ١٩٤ : مرأة الجنان ٤٦/٣ : وفتح السعادة ٤٠٣/١ ، والشدرات ٢٣٠/٣ - ٢٣١ .

(٢) المسنی بالکشف والبيان فی تفسیر القرآن ، کشف الظنون ١٤٩٦/٢ .

(٣) عرائس المجالس فی قصص الأنبياء ، کشف الظنون ١١٣١/٢ .

رضى الله عنه قال : رأيت رب العزة في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه ، وكان في أثناء ذلك أن قال الرب عز وجل : أقبل الرجل الصالح فالتفت فإذا أحمد التعليبي ، رضى الله عنه .

قال الذهبي ، رحمه الله : وكان حافظا رأسا في العلم والتفسir والعربية، متين الديانة والزهادة ، مات سنة سبع وعشرين أو سبع وثلاثين وأربعين ، ويقال له : الشعالي .

حرف الحاء المهملة

(١) الحسن بن علي الاستاذ أبو علي الدقاد (٣٨٧)

النیساپوری الشافعی ، لسان وقته و امام عصره . كان فارها في العلم مبسوطا في الحلم محمود السیرة ، محمود السریرة ، جنیدی الطریقة ، سری الحقيقة ،أخذ مذهب الشافعی ، رضی الله عنه ، عن القفال والمحصري وغيرهما ، ويرع فيه وفي الأصول والعربية حتى شدت إليه الرحال في ذلك . ثم أخذ في العمل وسلك طريق التصرف وأخذ عن النصاربادی . قال ابن شہبة رحمه الله : وزاد عليه حالاً ومقلاً وعن القشیری صاحب الرسالة ، وله كرامات ظاهرة ومکاشفات باهرة . قيل له : لم زهدت في الدنيا ؟ قال : لما زهد في أكثرها أفت عن الرغبة في أقلها . قال الغزالی رضی الله عنه : كان زاهد زمانه وعالماً أوانيه أتاه بعض أکابر الأماء فقد علی ركبتيه بين يديه وقال : عظنى ؟ فقال : أسائلك عن مسألة وأريد الجواب بلا نفاق ، فقال : نعم ، قال : أيا أحبت إليك المال أو العدو ؟ قال : المال ، قال : كيف تترك ما تحبه بعدك وتستصحب العدو الذي لا تحبه معك فبكى وقال : نعم الموعظة هذه .

(١) الشذرات ١٨٠/٣ - ١٨١ : وكشف الظنون ١٤٣٤/٢ : وكحالة ، معجم المؤلفین ٢٦١/٣ .

(ومن كلامه) : من سكت عن الحق فهو شيطان آخر .

وقال : الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولا يثمر ، ومريد بلا أستاذ لا يحيى منه شيء .

وقال : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل .

وقال : من علامة الشوق تمنى الموت على بساط العوافي كيوسف ، عليه الصلاة والسلام ، لما ألقى في الجب ، ولما أدخل في السجن لم يقل توفني ، ولما تم له الملك والنعمة قال : توفني ، وكان كثيراً ما ينشد ، رضي الله عنه :
أحسنت ظنك بالأ أيام إذ حست ولم تخف سر ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغترت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقال : صاحب الحزن يقطع من الطريق في شهر مala يقطعه غيره في عام ، وقال : ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء بل أن لا تعترض على الحكم والقضاء .

وقال : ليس شيء أشرف من العبودية ولا اسم أتم من اسمها ، ولذلك ذكرت في أتم أوقات المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وهو ليلة المعراج ، فلو كان شيء أجل منها لسماه به خالقه . وقال : المريد متحمل والمراد محمول .

وقال : السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

وقال : الخوف أن لا تعلل نفسك بسوف وعسى ، وقال : التوكيل على ثلات درجات : التوكيل ، ثم التسليم ، ثم التفويض ؛ فالمتوكل يسكن إلى وعده ، والمسلم يكتفى بعلمه ، وصاحب التفويض يرضي بحكمه .

وقال : الإخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق ، والصدق التنقى من مطالعة

فقد أمنتك ، أو لطلب الجنة فقد بشرتك ، أو لرضى الحكم فقد أرضيتك فزاد في البكاء قال : إنما أبكي لما فاتني من صفاء ذلك الوقت فرده على^١ ، فقال : هيئات .

وجاءه رجل فقال جئتكم من مسافة بعيدة فقال : ليس هذا الشأن في قطع المسافات ومقاساة الأسفار فارق نفسك بخطوة وقد حصل مقصودك .

وقال : ترك الأدب يوجب العطب فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على رد لسياسة الدواب .

وقال : فاز الصابرون بعز الدارين ، فإنهم نالوا من الله المعية إن الله مع الصابرين .

وقال : أوحى الله إلى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى إنى أنا الصبور .

وقال : حقيقة الصبر ؛ الخروج من البلاء بحسن الأدب في المخاطبة ، وحفظ الحرمة في المحاضرة ، كما قال أليوب : مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، ولم يقل : أرحمني .

وقال : أصحاب الكسل عن عبادته الذين ربط الحق على أقدامهم ثقافيل الخذلان ، واختار لهم بعد ، وأخرهم عن محل القرب ، ولذلك تأخروا ، وفيه أنسد :

أنا صب لمن هويت ولكن ما احتيا لسوء رأى الموالى
مات سنة خمس أو ست وأربعينائة .

(٣٨٨) الحسن بن بشر الجوهري^(١)

صوفى طار بالمجعد طائره ، ورجع تاليا سورة الحمد قاصده وزائره ،

الله لومة لأثم ، ولذلك سعوا في هلاكه مارا فحفظه الله منهم ، وكان آية في التذكير والوعظ ، مات سنة إحدى وثمانين وأربعين.

(٣٩٠) عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن أبو سعيد القشيري^(١)

أكبر أولاد الشيخ كان الأستاذ أبي القاسم إماماً كبيراً القدر ، له النصيب الوافر ، والحظ الرازخ من التصوف أصولياً نحوياً محدثاً ، وكان رضيع أبيه في الطريقة ، وفخر ذويه وأهله على الحقيقة ، وأكبر أولاد زين الإسلام المذكور ، ومن لا ترى العيون مثله في الدهور ، برع في الفقه والأصول بطبع سيال وخارط إلى موقع الإشكال ميال ، سباق إلى درك المعانى ، وقف على المدارك والمبانى ، وأما وعظه وتصوفه فمجلسه فيه روضة الحقائق وكنز الدقائق ، وكلماته محبرة القلوب ، ومواجيده مقطرة الدماء من الجفون مكان الدموع ، ومفطرة الصدور بالتخويف والتقرير ، وكانت أوقاته ظاهرة مستغرقة في الطهارة والاحتياط ثم الصلاة ، وباطناً في مراقبة الحق ومشاهدة أحكام الغيب لا يخلو وقته عن تنفس الصعداء ، وتذكر البراء وترنم بكلام منظوم أو منثور . فيذكر وقتاً مضى وحالاً انقضى ، في مقام المحبة والرضا ، مات سنة سبع وسبعين وأربعين.

(٣٩١) عبد الرحمن بن عبد الكريم القشيري

أحد أولاد الأستاذ المذكور ، كان جميلاً في السيرة ورعاً عفيفاً فاضلاً ، محطاً لنفسه ؛ في مطعمه وملبسه ، مستواعب العمر بالعبادة ، مستغرق الأوقات بالخلوة والإفادة ، سمع الكثير من والده وغيره ، وتفقه للشافعى ، رضى الله عنه ، كأخيه وأبيه على الماوردي ، رضى الله عنه ، وغيره ، مات سنة اثننتين وثمانين وأربعين.

النفس ، فالمخلص لا رباء له والصادق لا إعجاب له .
وقال : الصدق أن تكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما تكون .

وقال : الذكر أتم من الفكر ؛ لأن الحق تعالى يوصف بالذكر لابه .

وقال : من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى العطب .

وقال : لو أن ولها مر ببلدة للحق أهلها بركة بمروره حتى يغفر لجاهلهم .

وقال : العبودية أتم من العبادة ، فالأول عبادة ثم عبودية ، ثم عبودة فالعبادة للعامة والعبودية للخاصة والعبودة خاصة الخاصة .

وقال : قال رجل لسهل رضي الله عنه : أريد أن أصحبك ، قال : إذا مات أحدنا فمن يصحب الباقي ؟ قال : الله ، قال : فاصحبه الآن .

وقال : برهان العابدين إزكاء أعمالهم ، وبرهان العارفين صفاء أحوالهم ، وبرهان المحبين نقاء أنفاسهم ، وبرهان العالمين نشر عجائب صنعة وإظهار بدائع فطرته .

وقال الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك .

وقال : من قال : لا إله إلا الله مخلصا في مقالته دخل الجنة في حالته .

وقال : التوبه ثلاثة أقسام : بداية ووسط وغاية . فبدؤها يسمى توبه ، ووسطها إنابة ، وغايتها أوبة ، فالتوبه للخائف والإنابة للطائع والأوبة لداعي الأمر الإلهي .

وقال : أوحى الله إلى داود ، عليه السلام : لا تبك إن كان خوفا من النار

أضاءت آفاق قطره أنواره وفاح من روض سيرته عطر نواره ، وكان ذا مكاشفات وأحوال عاليات . منها أن صاحبه الإبيارى بات ليلة فى القرافة فحدث نفسه بأن فلانا يصلى مائة ركعة وفلانا أكثر فلم لا تكون كهؤلاء ؟ ثم بات يصلى الليل كله ، ثم دخل عليه لما أصبح فلما وقع بصره عليه تبسم ، وقال : ليس الشأن فى كثرة العدد وإنما الشأن فى الإتقان قال تعالى : ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾^(١) وما قال أكثر . وخرج مع أصحابه يصلون على جنازة فجلسوا فى غرفة ينتظرونها فقال : قوموا بنا فخرجوها فسقطت الغرفة دفعه واحدة ، وأتاه رجل ملهوف فقال : أنا كاتب وضع منى دفتر الحساب وأنا عند أمير جائز وقد دلونى عليك ، قال : اذهب اشترب درهم حلاوة وائتنى به فمضى واشتربى الحلارة فأخذ الحلوى فى ورقة يضع فيها الحلاوة فإذا هى من دفتره ، فقال له : من أين لك هذا ؟ قال : اشتريته الساعة ، فأخذه منه وأتى به الشيخ ، فقال له : كل حلاوتك فلا حاجة لنا بها ، وفضائله كثيرة ، مات فى أواخر القرن الخامس ودفن بالقرافة عند قبر أبيه .

حرف العين / المهملة

(٢) عبد الله بن محمد بن على الانصاري (٣٨٩)

شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى الهروى الحافظ العالم العارف الصوفى صاحب منازل السائرين^(٣) ، كان إماماً فى التفسير والحديث حسن السيرة فى التصوف والعربية والتاريخ والأنساب وغير ذلك ، وكان لا يخاف فى

(١) سورة هود : الآية ٧ .

(٢) ابن الجوزى ، المنظم ٤٤/٩ - ٤٥ : ابن الفراء ، طبقات الخنبلة ٤٠٠ - ٤٠١ : والذهبي ، تذكرة الحفاظ ٣٦٥/٣ - ٣٥٤ . والسيوطى ، طبقات المفسرين ١٥ - ١٦ : والشذرات ٣٦٥/٣ .

(٣) منازل السائرين إلى الحق المبين ، كشف الظنون ، ١٨٢٨/٢ .

(١) عبد الكريم بن هوازن النيسابوري (٣٩٢)

الأستاذ أبو القاسم القشيري الملقب زين الإسلام الإمام مطلقاً وصاحب الرسالة^(٢) التي سارت مغرباً ومشرقاً، والأصالة التي تجاوز بها فوق الفرقدين . إمام الأئمة ، ومجلى ظلمات الضلال المدلهمة ، شيخ المشايخ أستاذ الجماعة مقدم الطائفة الجامع للطريقين ، ولد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وسمع الحديث من الحاكم والأهوازى والسلمى وغيرهم ، وروى عنه الخطيب وغيره ، وكان فقيها من فقهاء الشافعية أصولياً متحققاً متكلفاً سنيناً محدثاً حافظاً مفسراً مفتياً نحوياً لغويَاً أدبيَاً كاتباً شاعراً مليح الخط جداً ، شجاعاً بطلاً أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته وأوانه ، لم ير مثل نفسه ولا رأى الراؤون مثله في كلامه وبراعته جمع بين الشريعة والحقيقة . وأما المجالس في التذكير والقعود بين المریدين وأجوية أسئلتهم عن الواقع فأجمعوا على أنه عديم النظير فيه ، وتصانيفه في ذلك مشهورة ، وقد ترجمه في دمية القصر فقال : الإمام شيخ الإسلام الجامع لأنواع المحسن تنقاد إليه صعابها لوقع الصخر بسوط تحذيره لذاب ولو ربط إبليس في مجلس تذكيره لتاب ، وله فصل الخطاب وفضل المنطق المستطاب ، ماهر في التكلم على مذهب الأشعرى خارج في إحاطته بالعلوم عن الحد البشري ، كلماته للمستفيدين فوائد وعتبرات منبرة للعارفين وسائل ، وقد بلغ أتباعه ألوهاً وحضر درسه الجمع الكبير من الأكابر ، مرض له ولد بحيث أيس منه فشق عليه ، فرأى الحق تعالى في النوم فقال : أجمع آيات الشفاء واقرأها عليه واكتبهما في إناء واسقه إياها ففعل فعوفى .

ومن تصانيفه : التفسير الكبير . قال ابن خلكان : من أجدود التفاسير

(١) الوفيات ٣٧٦/١ : وطبقات الشافعية ٢٤٣/٣ - ٢٤٨ : والمنتظم ٢٨٠/٨ : والبداية والنهاية ١٠٧/١٢ : والقفطي إنساء الرواة ١٩٣/٢ : والنجم الزاهرة ٩١/٥ - ٩٢ ، والسيوطى طبقات المفسرين ٢١ - ٢٢ ، ومفتاح السعادة ٤٣٩/١ : وروضات الجنات للخوانسارى ٤٤٤ - ٤٤٦ .

(٢) الرسالة القشيرية في التصرف ، كشف الظنون ١/٨٨٢ .

والرسالة المشهورة التي قلما تكون في بيت وينكب . والتحرير في التذكير وأداب الصوفية ، ولطائف الإشارات وكتاب الجواهر وعيون الأجوة في أصول الأسئلة ، وكتاب المناجاة ، وكتاب نحو القلوب ، وكتاب الكبير والصغير ، وكتاب أحكام السماع والأربعين وغير ذلك ، وخلف ستة رجال عباد كلهم من السيدة فاطمة ابنة الأستاذ أبي الدقاد ، رضي الله عنه .

ومن كلامه : التوحيد في الكلمة واحدة : كل ما تصورته الأوهام والأفكار فالله بخلافه ليس كمثله شيء ، وقال : الاستقامة توجب الكراهة .
وقال : الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد أو يقال : تصفية العقل عن ملاحظة مخلوق .

وقال : المريد لا يفتر آناء الليل وأطراف النهار ، فهو في الظاهر بيبيت المجاهدات وفي الباطن يواصل المكابدات ، فارق الفراش ولازم الانكماش وتحمل المصاعب وركب المتاعب ، وعالج الأخلاق ولازم المشاق ، وعائق الأهوال وفارق الأشكال .

وقال : الخلوة صفة أهل الصفة والعزلة من أمارات الوصلة ولا بد للمريد في ابتداء أمره من العزلة عن أبناء جنسه ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأمسه .
وقال : حقيقة العزلة الاعتزاز عن الخصال المذمومة وتبدل الصفات بالصفات لا بعد عن السكن والوطن ، ولهذا قيل العارف كائن بائن أي كائن مع الخلق بائن عنهم بسره .

وقال : زال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه .

إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر
مات سنة خمس وستين وأربعين ودفن بجانب أستاذه الدقاد ، رضي الله تعالى عنهم .

(٣٩٣) عبد المحسن بن أحمد الوراء^(١)

الفقيه العايد الزاهد الفتى ، كان يجتمع بالحضور عليه السلام ويصلى معه الصلوات الخمس ببكة .

(ومن كراماته) أنه كان يقيم بدمياط فكان أهلها إذا رأوا مركب النصارى جاءوه فيدعوه فيتغير الهواء فترجع المركب .

وكان يقول : وددت لو حججت ويرى كل عام بعرفة ، وخرج من دمياط فتبعده رجل منها فما شعر إلا وهو ببكة وقت الظهر ثم فارقه فبكى ، فقيل له : إنه يحضر العصر فحضر فتبعده فإذا هو بدمياط ، فقال له : ادع لي فقال له : ما جرت بذلك عادة فشاع ذلك في الناس فهرب إلى مصر فخرجا خلفه فوجدوه مات بجامع مصر فمشي الخليفة في جنازته ، وذلك سنة خمس وستعين وأربعينأة .

(٣٩٤) على بن الحسن الخلعي^(٢)

نسبة إلى بيع الخلع الفقيه الشافعى المحدث العبد الصالح موصلى الأصل مصرى الدار ، ولى القضاء فحكم يوما واحدا واستعنفى وانزوى بالقرافة فكان ملزما للانقطاع والتعبد طول عمره . لم يركن إلى زيد الزمان وعمره ، دائم الحذر على الهمة وافر الحرمة وكان سندًا لمصر كالجبال . وكان يحكم بين الجن ويقرئهم فأبطنوا عليه جمعة فسألهم فقالوا : كان في بيتك أترنج ولا ندخل مكانه ، وقبره في القرافة يعرف بقبر قاضى الجن ، ويعرف بإجابة الدعاء عنده ، وكان على قدم عجيب في الزهد والتعبد ولا يلبس إلا قميصا واحدا

(١) النيهانى ، ١٣١/٢ .

(٢) النيهانى ، ١٦٠/٢ .

شقاء وصيفا ، فسئل عنده فقال : أخذتنى الحمى فنمت فهتف بي هاتف نادانى باسمى فقلت : لبيك داعى الله فقال قل لبيك ربى الله ما تجد من الألم ، فقلت : إلهى وسيدى الحمى ، قال : قد أمرتها أن تقلع عنك ، قلت : والبرد ، قال : والبرد فلا تجد ألم البرد ولا الحر فكان كذلك ، وخرج له أبو بكر الشيرازى رضى الله عنه عشرين جزءا سماها الخلييات^(١) ، ومن تصانيفه : المغنى فى الفقه ، رضى الله عنه ، مات سنة اثننتين وتسعين وأربعين ودفن بالقرافة .

(٤٩٥) علي بن الخطاب الجزيري^(٢)

كان من أكابر الصالحين ومن رعوس الأولياء الشامخين ، صدره للسائلين مشروح ، وبابه للمريدين مفتوح ، وهو من شيوخ مشايخ العارف ابن عربى ، رضى الله عنه .

(ومن كلامه) :رأيت الحق تعالى في النوم فقال لي : يا ابن الخطاب .
قُنْ ، قال : فسكت ، فقال : ذلك ثلاثة ، ثم قال لي في الرابعة : يا ابن الخطاب
أعرض عليك ملكي وملكتي وأقول لك : قُنْ ، وتسكت ؟ قال : فقلت : يارب
إن نطقت بك وإن تكلمت فيما تجريه على لسانى فما أقول ؟ قال : قل : أنت
بلسانك ، فقلت : يا رب قد شرفت أنبياءك بكتاب نزلتها عليهم فشرفني بحديث
ليس بيئي وبينك فيه واسطة ، فقال : يا ابن الخطاب من أحسن إلى من أساء
عليه فقد أخلص لله شakra ، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمة الله
كفرا ، قال ، فقلت : يارب ، زدني ، فقال : يا ابن الخطاب حسبك حسبك .

(١) الخلييات من أجزاء الحديث ، كشف الظنون ٧٢٢/١

(٢) نسبة إلى الجزيرة الخضراء في الأندلس ، ياقوت ، معجم البلدان ١٣٦/٢

(١) على بن عمر القزويني الشافعى (٣٩٦)

أحد الأولياء المكافئين بالأسرار المتكلمين على الخواطر قد ملأ الأقطار ذكره؛ وعطر الأمصار نشره وأحيا القلوب وعظه وشرح صدور الصدور لفظه، وقال ابن الصلاح: أجمعوا علي حسن معتقده وزهده وورعه. وسمع حديثاً كثيراً وتفقه على الداركي وأخذ النحو عن ابن جنى.

(ومن كراماته) : أنه سمع الشاة تذكر الله تعالى تقول : لا إله إلا الله ، وكان يتوضأ للعصر فقال لجماعته : لا تخرج هذه الشاة غداً للمرعى فأصبحت ميتة . وقال بعضهم : مضيت لزيارة قبره فحصل لي ما يذكر الناس عنه من الكرامات ، فقلت : ترى ايش منزلته عند الله وعلى قبره مصحف ففتحته فإذا في أول ورقة منه « وجيهها في الدنيا والآخرة ». وقال الماوردي رضي الله عنه : صليت خلفه وعليه ثوب مطرز فقلت في قلبي : أين المطرز من الزهد ؟ فلما قضى صلاته قال : سبحان الله ، المطرز لا ينقض أحكام الزهد وكرره ثلاثاً . وقال له ابن الصباغ رحمة الله : أيها الشيخ أى شيء أمرتني نفسى أخالفها ، قال : إن كنت مریداً فنعم وإن كنت عارفاً فلا ، أنكر عليه فرأى تلك الليلة ما أزعجه وسائله يقول له : هذا بسبب القزويني .

قال ابن الصلاح رضي الله عنه : ذلك أن العارف ملك نفسه فأمن عليها أن تدعوه إلى محذور ، والمريد نفسه أمارة بالسوء فيخالفها .

قال ابن هبة : صليت خلفه العشاء بالحديقة فخرج وأنا معه بالقنديل بين يديه ، فإذا أنا بوضع أطوف به مع جماعة ثم عدنا إلى الحديقة قبل الفجر ، فأقسمت عليه أين كنا ؟ قال : إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ذلك البيت الحرام . قوله حكايات كثيرة تدل على أن الله أكرمه بطى الأرض .

وقال ابن الدلال : كنت أقرأ على ابن فضلان فقال وقد جرى ذكر كرامات القزويني : لا تعتقد أن أحداً يعلم ما في قلبك ، فخرجت فدخلت على القزويني ، رضي الله عنه ، فقال : سبحان الله مقاومة معارضه ، وروى عن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال « إن تحت العرش ريحًا هفافة تهب إلى قلوب العارفين » ، وروى عنه ، كان فيمن مضى قبلك محدثون فإن يكن في أمتي فعمر . وقال بعضهم : دخلت مسجده وقد حمل إليه تفاح ومشمش كثير وهو يفرقه على ضعفاء الحديقة فاستكثرته ، فرفع رأسه حالاً وقال : تستكثرن هذا لو رأيتم ما ينفق في المعاصي . وقال بعضهم : أصابتني ريح المفاصل حتى مرضت لأجلها فصر القزويني يده عليها من وراء كم فقمت من ساعتي معافي . وقال ابن طاهر : أدركت سفراً وكانت خائفاً فدخلت للقزويني رضي الله عنه أسأله الدعاء ، فقال قبل أن أسأله : من أراد سفراً ففزع من عدو أو وحش فليقرأ ﴿لِإِلَافِ قُرْيَا﴾^(١) فإنها أمان من كل سوء فقرأتها فلم يعرض لي عارض حتى الآن . مات سنة اثنين وأربعين وأربعين وأغلقت البلد لشهده ، ولم ير في الإسلام بعد جنازة أحمد بن حنبل رضي الله عنه أعظم من جنازته . وصلي الناس عليه كيف توجهوا ولم يوضع إلى الأرض لكثرة الخلق . وأغلقت المساجد والمكاتب والحمامات ، ولم يسع الناس جامعاً ، ولا أمكن أن يصلى عليه إمام معين ، وكانت الضجة تمنع التبليغ ، فصلى أكثر الناس فرادى .

حرف الغين / المعجمة

(١) غوث البغدادي (٣٩٧)

العايد الراهد صاحب المكاففات والمشاهد ؛ كان ببغداد وكان يختفى تارة ويظهر أخرى متى شاء ، فقصده الإمام ابن أبي عصرون وابن السقاء والشيخ عبد القادر الجيلاني ، وهو شاب يومئذ إلى زيارته ، فقال ابن السقاء : في الطريق اليوم أسأله مسألة لا يعلم جوابها . وقال ابن عصرون : أسأله فأنظر ماذا يقول ، وقال الجيلاني : معاذ الله أن أسأله بل أتبرك ببرؤيته . فدخلوا عليه فلم يروه مكانه فمكثوا ساعة فإذا هو جالس فقال لابن السقاء وهو لا يعرفه : يا ابن السقاء تسلّنى مسألة لا أعرف جوابها هي كذا وجبابها كذا ، إنني أرى نار الكفر تتلهب فيك . ثم قال لابن أبي عصرون : تسلّنى تنظر ما أقول ؟ أردت تسأل عن كذا وجبابه كذا ، لتغمرنك الدنيا إلى شحمتى أذنيك لإساءة أدبك . وقال للجيلي رضى الله عنه : لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك ، أراك وقد صعدت الكرسى متكلما على الناس ، وقلت : قدمى على رقبة كل ولى لله .

حرف الفاء

(٢) الفضل بن محمد الفرمذى (٣٩٨)

من أهل طوس كان عالماً شافعياً ، عارفاً بمذاهب السلف ذا خبرة مبناهج الخلف . وأما التصوف فذاك عشه الذي منه درج وغابه الذي ألفه لبيشه ودخل وخرج ؛ تفقه على الغزالى الكبير وأبو عثمان الصابوني وغيرهما . قال عبد القادر رحمة الله : كان شيخ عصره منفرداً بطريق فى التذكير لم يسبق إليها فى عبادته

(١) هذه الترجمة ساقطة فى ش ، ش ١ .

(٢) نسبة إلى فرمذ من قرى طوس ، ياقوت ، معجم البلدان ٤ / ٢٢٨ ، والشذرات ٣ / ٣٥٥ .

وتهذيبه وحسن أدبه وملحى استعاراته ودقيق إشاراته ورقيق ألفاظه ووقع كلامه في القلوب . صحب القشيري ، رضى الله عنه ، وأخذ عنه حجة الإسلام وجده واجتهد وكان ملحوظاً من القشيري بعين العناية موقراً ، عليه من طريق الهدایة حتى فتح عليه لامعاً من أنوار المجاهدة ، وصار من مذكورى الزمان وممشورى المشايخ وكان لسان الوقت .

وقال السمعانى ، رضى الله عنه : كان لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة الحسنة في تربية المريدين ، وكان مجلس عظه روضة ذات أنواع من الأزهار . مات سنة سبع وسبعين وأربعين .

(٣٩٩) فضل الله بن احمد الميهنى^(١)

الزاهد المتقي الولى ذو الكرامات الباهرة والآيات الظاهرة . كان يستحضر من بحار التصوف الظاهرة كل فائدة مهمة . ومن كواكب السيارة كل نير يجلو حنادس الظلمة ، أخذ عن زاهر السرخسى^(٢) وغيره ، وعن ناصر الأنصارى وغيره وكان صحيح الاعتقاد حسن الطريقة أحواله تبهر العقول ، اهتدى به فرق من الناس . وكان مقدم شيوخ الصوفية وأهل المعرفة في وقته ، سنى الحال عجيب الشأن أوحد الزمان ، لم ير في طريقته مثله مجاهدة وإقبالاً على الأعمال وتجروا عن الأسباب وإيشاراً للخلوة واشتهاراً بالإصابة في الفراسة وظهور الكرامات والعجائب ، قال السبكي : ومع صحة عقيدته وحسن طريقته لم يسلم من كلام ابن حزم والذهبى ولم يظهر لنا منه إلا صحة الاعتقاد ، لكنه أشعرى صوفى ، فمن ثم نال منه الرجال وباءاً بإئمه .

(١) نسبة إلى قرية « ميهنة » وهى ناحية بين أبيسورد وشرس ، ياقوت ، معجم البلدان ٥ / ٤٧٢ : وكحالة ، معجم المؤلفين ٢ / ٢٥٠ . وانظر السبكي طبقات الشافعية .

(٢) زاهر السرخسى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٣٨٩ ، الشذرات ٣ / ١٣١ .

ومما يؤثر من كلامه : التصوف طرح النفس في العبودية وتعلق القلب بالريوبية والنظر إلى الله بالكلية .

ومن كراماته : أن رجلاً من التجار انقطع من رفقة فمر بالشيخ فسأله عن حاله فشرحه له ، فمر أسد فقال : اركب هذا ، وقال للأسد : احمله إلى رفقائه فحمله إليهم ثم ذهب . ومنها أن صالحًا خادمه جاء يوماً من السوق ويده مشغولتان . وقد انحل سراويله فقال الشيخ لمن عنده قبل أن يقدم صالح وقبل أن يراه : أدركوا صالحًا وشدوا سراويله . مات سنة أربعين وأربعين .

حرف الميم

(٤٠٠) محمد بن الحسين الراذنی^(١)

العبد الزاهد المنقطع إلى الله ، كان من سادات القوم مجذب الدعوة .
 قال ابن باطيس : كانت له كرامات ظاهرة وخوارق متواترة . منها أنه أراد أن يخرج إلى الصلاة فأتاه ابن له صغير ، فقال : يا أبي أريد غزالاً ألعب به فسكت فألح عليه الصبي ، وقال : لا بد لي من غزال فقال له : اسكت يا بني غداً يأتيك غزال ، فمن الغد كان الشيخ قاعداً في بيته فجاء غزال ووقف على بابه وصار يضرب بقرنه الباب حتى فتحوا له ، فقال لابنه : قد جاءك الغزال .
 مات في جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وأربعين .

(١) نسبة إلى راذن ، وهي كورة من سواد بغداد ، وجاء اسمه « أبو عبد الله محمد بن الحسن الراذنی الزاهد » في ياقوت ، معجم البلدان ١٢/٣ - ١٣ .

(٤٠١) محمد بن الحسين بن موسى الازدي^(١)

أبو عبد الرحمن السلمي جدا ، النيسابوري بلدا ، إمام يقتدى بمقالاته ، وزاهد يهتدى بنور أحواله ومقاماته ، سمع من أهل الرواية وأخذ عن أرباب الدرایة ، ورحل إلى الأقطار وبلغ المقاصد والأوطار ، ثم كر راجعا إلى خراسان وصار عالها وصوفيها ومحدثها المشار إليه ببديع البيان ورعوس البنان . أخذ الحديث من حاتم الأصم رضى الله عنه وغيره وعنـه الحاكم والقشيري والبيهقي رضى الله عنـهم ، وكان شيخ الطريق في وقته الموفق في جميع علوم الحقائق ومعرفة طريقة التصرف وافر الجلالة عظيم الشأن ، أخذ عن أبيه وجده وجمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه ، وبلغت تصانيفه نحو المائة ، وحدث أكثر من أربعين سنة ، ومن القول فيه قوله عليه .

قال الخطيب رضي الله عنه ، عن القطان : كان السلمى يصنع
اللصوفية .

قال الخطيب رضي الله عنه : كان عند أهل بلده جليلًا وكان مع ذلك
محموداً صاحب حديث .

قال السبكي رحمه الله : وقول الخطيب هو الصحيح وأبو عبد الرحمن ثقة ولا عبرة بهذا الكلام فيه ، وذكر العارف ابن عربى ، رضى الله عنه ، أنه كان فى مقام القرية فإنه قال : دخلت هذا المقام وهو بين الصديقية والتبوة سنة سبع وتسعين وخمسمائة وأنا مسافر بمنزلة الجبل ببلاد الغرب فتھت به فرحا ولم أجد به

(١) طبقات الصوفية للسلمي ، المقدمة ص ١٦ وما بعدها ، والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٢٤٨/٢ - ٢٤٩ ، وابن الجوزى ، المنتظم ٦/٨ : والسبكي ، طبقات الشافعية ٣/٦٠ - ٦٢ : والذهبى ، تذكرة الحفاظ ٣/٢٣٣ - ٢٣٥ : وابن الأثير ٩/١٢ : وابن كثير ، البداية والنهاية ١٢/١٢ - ١٣ : والذهبى ، ميزان الاعتدال ٣/٤٦ - ٤٧ : والسيوطى ، طبقات المفسرين ٣١ : والشذرات ١٩٦/٣ - ١٩٧ : واليافعى ، مرآة ٢٦/٢ : وابن حجر ، لسان الميزان ٥/١٤٠ : والبغدادى ، هدية العارفين . ٦١/٢

أحداً ، فاستوحشت من الوحدة وتذكرت دخول أبي يزيد ، رضى الله عنه ، بالذلة والافتقار فلم أجد في ذلك المكان أحداً فرحت ، وأنا على تلك الحال من الوحشة والانفراد ، والأنس إنما يقع بالحس فنزلت عند رجل فشكوت له انفرادي بمقام أنا مسروor به فبينما هو يؤانسى ، إذ لاح لي ظل شخص فنهضت إليه فعانقني ، فتأملته فإذا هو أبو عبد الرحمن السلمي وقد تجسدت لي روحه فقلت له : أراك في هذا المقام فقال : فيه قبضت وعليه مت فأنا فيه لا أبرح ، فذكرت له وحشتي فقال : الغريب مستوحش فاحمد الله ، ألا ترضى أن يكون الخضر عليه السلام صاحبك في هذا المقام ، وقد أنكر عليه موسى عليه السلام حاله مع ما شهد الله عنده بعدلته ومع هذا أنكر عليه ما جرى ، وما أراه سوى صورته وعلى نفسه أنكر ورافقه في ذلك سلطان الغيرة التي خص الله بها رسleه ، ولو صبر لرأي العجائب فإنه كان أعد له ألف مسألة كلها جرت لموسى ، عليه الصلاة والسلام ، وكلها ينكرها على الخضر ، عليه السلام ١. ه

ومن كرامات أبي عبد الرحمن رضى الله عنه ما قال القشيري رضى الله عنه : كنت بين يدي العارف الدقاد رضى الله عنه فجرى حديث أبي عبد الرحمن وأن يقوم في السماع موافقة للقراء فقال : مثله في حاله السكون أولى به ، امض إليه تجده قاعداً في بيت كتبه وعلى وجه الكتب مجلدة صغيرة فيها أشعار الحسين بن منصور فهاتها ولا تقل له شيئاً ، فدخلت عليه فإذا هو كذلك فكلما قعدت أخذ في الحديث ، وقال بعض الناس ينكر علي واحد من العلماء يحركه السماع وبينما ذلك الإنسان يوماً خالياً وهو يدور كالمتواجد فسئل عن حاله فقال : كانت مسألة مشكلة على ظهره لى معناها ، فلم أتمالك حتى قمت أدور فقلت : مثل هذا يكون حالهم ، قال القشيري رضى الله عنه : فلما رأيت ذلك منهما تحييرت كيف أفعل بينهما ، فقلت : لا وجه إلا الصدق ، فقلت : إن أبا على وصف هذه المجلدة ، وقال : احملها إلى من غير علم الشيخ وأنا أخافك ولا تمكـنـ مـخـالـفـتـهـ فـأشـرـ بـأـمـرـ ، فـأـخـرـجـ أـجـزـاءـ مـنـ كـلـامـ الـحسـينـ وـفـيهـ تـصـنـيفـ لـهـ

سماه « الصدور في نقض الدهور » وقال احمله إليه .

قال الذهبي ، رضي الله عنه : كان السلمي ، رضي الله عنه ، وافر الجلالة وتصانيفه قيل نحو الألف ، وله كتاب سماه : « حفائق التفسير » ليته لم يصنفه فإنه تحريف وقرمطة فدونك الكتاب ترى العجب ، قال السبكي رحمة الله : ولا ينبغي له وصفاً لجلاله ثم يدعى عليه التحريف وتفسيره كثرة الكلام فيه من جهة أنه اقتصر على التأويل وكلام للصوفية يتبين عن ظاهر اللفظ .

(ومن كلامه) المحبة إذا بلغت درجتها حد السكر فلا ينبغي أن يبالى صاحبها بعار ولا بنار ولا شنار ، فقلبه لا يلتفت لشيء مما في هذه الدار ، قلبه طيار ويدنه سيار ، وقال : المحبة إذا غلت على صاحبها يرى الأشياء كلها بصفة صورة محبوبه .

مات سنة اثننتي عشرة وأربعينائة .

(٤٠٢) المظفر بن أزدشير العبادي^(١)

أبو منصور الزاهد العابد الوعاظ ، كان من الصوفية الأعيان موصوفاً بعلو المكانة وثبتوت الأركان ، كان من أحسن الناس كلاماً في الوعاظ والتصوف وأوسعهم عبادة ، وأحلاهم إشارة ، أخذ عن زاهر وغيره ، وعن ابن أبي الأخضر وغيره . مات رضي الله عنه سنة سبع وأربعين وأربعينائة .

(ومن كلامه) : لا تظنوا أن الحياة تحييء إلى القبور من خارج إنما هي أفعالكم أفعى لكم وحياتكم ما أكلتم من الحرام ، أيام حياتكم ، اللهم نفعنا بهم وبعلومهم آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ويدرك أوليائه تنزيل البركات ،
والصلوة والسلام على أشرف المخلوقات ، المؤيد بأبهى المعجزات ، محمد
المصطفى على جميع البريات وأله وصحبه في أجمع الحالات وبعد ، فهذه الطبقة
ال السادسة من الكواكب الدرية فيمن مات بعد الخمسين وهم أحد وخمسون .

* أبو إسحاق بن طريف * أبو السعود بن شبل * أبو يعرى المغربي *
ابراهيم أبو إسحاق الأندلسى * أبو بكر النابلسى * أحمد بن أبي الحير الصياد *
أبو هاشم القيسى * أبو الفتوح الطوسي * أحمد الرفاعى * أبو العباس بن
العریف * أبو القاسم الأقطع * بقاء بن بطونه * جاکیر الكردى * حسن بن
عقیق * الأستاذ أبو مدين * أبوالفتح المیھنی * عبد الله المفاور * عبد الله
أبو ثور * عبدالرحمن الخرقى * أبوالنصر بن القشیرى * أبو النجیب
السهروردى * عبد القادر الجیلانی * عبد السلام اللخمى * عبدالرحیم القنائى *
عبد الملک الطبرى * عثمان بن مرزوق * عدى بن مسافر * عقیل المنیجی * على
بن إبراهيم الأنصارى * على بن الهیتى * القاسم بن محمد البصرى * قضیب البان *
السنجارى * على ابن الهیتى * محمد السنھورى * أبوالفتوح الإسفراینی *
ماجد الكردى * محمد الحصار * محمد السنھورى * أبوالفتوح الإسفراینی *
محمد بن قاید القرشى * أبو عبد الله القرشى * محمد بن الموفق الخیوشانی *
محمد بن رسلان * حجة الإسلام الفزانى * مطر الكردى * موسى بن ماهین
الماردينى * مفرج المجنوب * الشهاب السهروردى * يوسف الكومى * يوسف
الهمدانى .

حرف الهمزة

(٤٠٣) أبو إسحاق إبراهيم بن طريف

شيخ الشیخ العارف ابن عربی رضی اللہ عنہ ، کان عظیم المقدار ، رفیع
النار مقصودا من جمیع الأقطار .

(ومن کلامه) : الشیخ لا ینسى من یعرفه ، وإن كان الشیخ لا یعرفه
فليسأل الله تعالى أن یعفو ویغفر عن من سمع بذکرہ فسبه وذمه أو أثني عليه
خيرا ، قال العارف ابن عربی رضی اللہ عنہ : وهذا ذقتہ فى نفسی وأعطانیه
ربی عز وجل بحمد الله ، ووعدنی بالشفاعة فیمن أدركه بصری من أعرف
وغيره ، قال : وهذا مذهب شیخنا أبي إسحاق رضی اللہ عنہ وهو من أكبر من
لقيته ، وقد سمعته يقول : وأنا عنده بمنزلة الجزيرة الخضراء سنة تسع وثمانين
وخمسماة يا أخي ، الناس اثنان ، ذام ومنش ، والله ما أرى الناس في حقى إلا
الأولیاء عن آخرهم من یعرفنى ، قلت له : كيف ؟ قال : الناس الذين رأونى أو
سمعوا بي إما أن يقولوا في حقى خيرا أو ضده ، فمن قال في خيرا فما وصفنى
إلا بصفته ، فلو لا ماهو أهل لتلك الصفة ما وصفنى بها ، فهذا عندي من
الأولیاء ، ومن قال في شرا فهو عندي ولی أطلعه الله على حالی ، فإنه صاحب
فراسة وكشف ناظر بنور الله فهو عندي ولی ، قال : وكان هذا الشیخ من الشیوخ
الذین تحسب عليهم أنفاسهم ويعاقبون على غفلاتهم . مات في عقوبة غفلة
غفلها ۱ هـ

(ومن کلامه) : قد یعنی الله العبد من العمل اختبارا له لینظر حاله
عند الفقد لذلك في تضرعه وافتقاره وغفلته واستغنائه .

وقال : إن الله تعالى یعید من برکات الحركات الظواهر على البواطن ما
یكون سببا في تنويرها وصلاحها حتى إذا صفت السرائر وتخلصت من شوائب

الكدورات ، عادت بالصلاح على أعمال الظواهر فزكت الأعمال وارتقت الأحوال
بطهارة أصولها وثبات أساسها .

وقال : رؤية العقل والمنة في العمل وإن قل أتم في حق واجب الريوبية
من رؤية التقصير عن المقام بحق العبودية .

وقال : إذا خدم المريد المشايخ والأحوال بالأدب عادت عليه من بركات
أحوالهم ما لم يكن يبلغه بعمل ، لأن ما يرد عليه منهم ثواب أعمالهم المقبلة ،
وما يرد عليه منه هو ثواب عمله ولا يقدر على تحصيله .

(٤٠٤) أبو السعود بن شبل البغدادي

العارف الأفخم والصوفي الأعظم ، إمام كملت بالله إراداته وصفت في
مشاهد الحق ذاته وعرفت في مسالك العرفان خلواته وجلواته ، أجل أتباع الشيخ
العارف بالله عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، الذي قال في حقه العارف ابن
عربى رضي الله عنه : إنه أعلى مقاماً من شيخه كما سيجيء عنه في ترجمته ،
وقال في موضع آخر من « الفتوحات » : كان إمام وقته في الطريق .

وقال : كنت بشاطئ دجلة بغداد فخطر في نفسي : هل لله عباد
يعبدونه في الماء ، فما تم الخاطر إلا والنهر قد انفلق عن رجل فسلم على وقال :
نعم يا أبو السعود ، لله رجال يعبدونه في الماء وأنا منهم ، أنا رجل من تركت
خرجت منها ، لأنه بعد كذا وكذا يوماً يقع كذا وكذا ذكر أموراً تحدث ثم غاب
في الماء فما انقضت خمسة عشر يوماً حتى وقع ذلك .

وقال في موضع آخر في « الفتوحات » : لقد أنصف رئيس الطائفة
عاقل زمانه المتتصف بحاله أبو السعود بن شبل حيث قال : نحن تركنا الحق
يتصرف لنا فلم نزاحم الحضرة الإلهية ، وقال في موضع آخر : حال الصدق

يناقض مقامه ومقامه أعلى من حاله في المخصوص وحاله أشهر وأعلى في العموم ، وكان الإمام عبد القادر رضي الله عنه في حال الصدق لامقامه وصاحب الحال له الشطح وكذلك كان ، كان العارف أبو السعود رضي الله عنه تلميذه مقامه الصدق لا حاله ، فكان في العلم مجھولا لا يعرف ، ونكرة لا تعرف ، نقىض عبد القادر ، رضي الله عنه ، في حال الصدق ولا مثل أبي السعود في مقام الصدق .

وقال السهروردي ، رضي الله عنه : كان أبو السعود رضي الله عنه من أرباب الأحوال السننية ، والواقعين في الأشياء مع فعل الله متمكنا في حاله تاركا لاختياره سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار ، شاهدنا منه أحوالا صحيحة عن قوة وتمكن ، وقال له رجل : أريد أعين لك شيئا كل يوم من الخبر أحمله إليك فقال : الصوفية تقول المعلوم شؤم ، فقال : ما تقول ذلك ، فإن الحق تصفى لنا وفعله مرئي ، فكلما يقيم لنا نراه مباركا ولا نراه شؤما . وقال كشیخ العارف الجیلانی رضي الله عنه : شرط من يتتصدر للمشيخة والتربية أن یعرف تلامذته من يوم : « ألسنت بربكم » ويعرف من یفتح له على يديه من لا یفتح له .

(ومن كلامه) : لله قوم يتتكلمون على الخاطر وما هم مع الخاطر ، يعني يجري الله على لسانهم ما هو الحاضر عليه من الحال فيقول من سمعه قد تكلم الشيخ على خاطرى ، والشيخ ليس معه حتى لو قيل له : ما في ضمير هذا الشخص لا یعرفه .

وقال : الرزق في طلب المرزوق وليس المرزوق في طلب رزقه حائر ويسكن أحدهما يتحرك الآخر .

وقال : لا يتکبر أحد على إبليس إلا كان أسوأ حالا منه ، ولو لا على مرتبته في العلم وعزيمته في الفعل ما خوف الله منه أحداً .

(٤٠٥) أبو يعزى يكنور بن عبد الرحمن بن سيمون الدکالى المغربي^(١)

عارف شرفه معروف مرتفع ، وخبره متفرق وخاطره منجتمع ، كان من أكابر أولياء المغرب ، جد واجتهد ولزم البرارى والقفار خمس عشرة سنة وكانت الأسود والوحوش تأوى إليه والطير تعكف عليه ، وإذا خاطبها عقلت كلامه وعملت به ، وكان إذا قال للأسود : لا تسكنوا هنا أخذت أشبالها وخرجوا جميعا . ويقول للوحش : اذهب إلى محلك فإذا قوتك فيذهب فيجده ، ثم أمر بالرجوع إلى الناس فدخل المدن فانتفع به خلق كثير ، وانتهت إليه تربية المريدين .

قال زروق رضى الله عنه : وكان أميا فإذا غلط القاريء رد عليه فقيل له فيه ، فقال : مادام يقرأ القرآن فالنور يخرج من فيه فإذا غلط انقطع فأعرفه ، وكان له الأمور العظيمة في المجاهدات وما لا يحاط به من الكرامات ، وكراماته بعد مماته أكثر من حياته . قال العارف ابن عربى رضى الله عنه ، وكان إذا زنا رجل أو سرق أو شتم أو فعل محurma ثم دخل عليه يرى ذلك العضو الذى منه العمل مخططا تحطيطاً أسودا . وقال العارف ابن عربى رضى الله عنه ، وكان لا يراه أحد إلا عمى من نور وجهه ومن عمى عند رؤيته الشيخ أبو مدين رضى الله عنه فكان لا يبصر أحدا إلا إذا مسح وجهه بثوب أبي يعزى رضى الله عنه فيرتد بصيرا ثم يعمى ، وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون .

(ومن كلامه) : كل حقيقة لا تمحو آثار العبد ورسومه فليست بحقيقة ، وقال : من طلب الحق من جهة الفضل وصل إليه ولا لم يصل .
وقال : أنفع الكلام ما كان إشادة عن مشاهدة وإخبارا عن شهود .

(٤٠٦) أبو بكر النابلي

الإمام المشهور ، الصوفى الكبير ، كان ذا ورع وزهد وديانة واستقامة وحسن طريقة وأمانة ، تصدر بالغرب للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فآذوه وأخرجوه مقيدا مغلولا إلى مصر ، وشهدوا عليه بالزور والبهتان بقبائح لا أصل لها . تسلح وهو حى منكوسا فصار يقرأ القرآن ويلى علوم الحقائق وهو فى ذلك الحال فكاد أن يفتن به الناس فرفع الأمر للسلطان ، فقال : اقتلوه ثم اسلخوه فعلوا ، وقيل : إنه أملى على بعض مربيده وهو فى ذلك الحال مائة وخمسين بيتا من نظمه فى علوم الطريقة وإشارات الحقيقة ، وإنه ما زال يلى عليه حتى وصل السلح إلى سرته ، فمات رضى الله عنه .

(٤٠٧) أحمد بن أبي الخير المعروف بالصياد اليمنى^(١)

الولى الكبير صاحب الأحوال العظيمة والمواهب الجسيمة ، كان من عوام زيد فبينما هو نائم أتاه آت ، فقال : قم يا صياد فصلى ، ولم يكن يصلى قبل ذلك فتووضاً وصلى . ثم أتاه بعد ذلك فذهب به إلى مسجد به صفوف يصلون عليهم ثياب بيضاء ونور ساطع فصلى معهم ثم غابوا عنه ، ثم بينما هو نائم سمع مناديا ينادى يا صياد تريدنا ؟ قال : نعم ! قال : انقطع إلينا فى المفازات فانقطع فيها ملازمًا للذكر مدة طويلة يرى العجائب ويحدث عن الغرائب ، وصلى يوما فغاب فى سجوده حولا كاملا لا يتحرك فما أفاق إلا وقد قلعت إحدى عينيه ، وكان يغلب عليه حال الفناء فيقيم زمانا مطروحا تسفى عليه الرياح وينبت عليه العشب . وذكر عنده أن بعض الصالحين يركب الأسد ، فقال : والله لو لا أن الناس ما يتحملون لربطت لهم سبعينأسدا بالباب ، وإن أحبوها تركتها قشى معهم بالشوارع لا تضر أحدا .

(١) النبهانى ، كرامات الأولياء ، ٢٩٤/١ - ٢٩٥ .

وله كلام حسن في الحقائق منها قوله ، وقد سئل : هل العارف أعلى أو المحب ؟ فقال : العارف لأن المحب مشغول بالمحبة والعارف مشغول بالمحبوب .

وقال : العارف متعلق بالحقيقة فإن سقط وقع في الشريعة .

وقال : خطر بقلبي أن الحقيقة تخالف الشريعة فهتف بي هاتف : كل حقيقة تخالف الشريعة فهي باطلة .

وقال : العارف مع الحق بأركانه ومع الخلق بجناة . وقال : العارف مفارق لمضجعه وهو نائم ، وناطق وهو صامت ، وحاضر وهو غائب ، وقال : العارف كالطفل لا يهتم بشيء .

وقال : العارف تشهد له الخلق وهو جاحد .

وقال : العارف محفوظ الأنفاس محروس المواس ملقى بين اناس .

وقال : العارف لا يلتفت لشيء من الكرامات فإنها نقص في حقه لإشتغاله بالكرم عن الكرامة ، ولو لا الأدب لأخذ من غرائب الغيب فأكل .

وقال : الولي من تولى الحق رعايته ، وقال : الحركة بركة وحركة الظواهر تورث حركة السرائر .

وقال : الواردات غرة الأوراد ، فمن دامت أوراده كثر من الخير ازدياده .

وقال : كل أحد موجود على قدر وجوده ، ومن لم يكن له مجاهدة لم تكن له مشاهدة .

وقال : قلب العارف كالبحر تضطرب أمواحة وهو ساكن .

وقال : العارف لا يأنس بغير معروفة . مات سنة تسع وخمسين وخمسماية .

(٤٠٨) **أحمد بن الحسين أبو القاسم**

المعروف بابن قسى بفتح القاف وخطة السين (١)

المغربى صاحب خلع النعلين^(٢) ، عارف أشرق نور كماله ، وأورق غصن جماله ، كان مقينا بأمرية ثم ارتحل إلى شلب فقطنها وابتلى ببعض قراها مسجدا ، وانشر صيته وكثرت أتباعه وحاسدوه وقالوا : هو فلسفى التصوف ، وأراد الثورة على ملك المغرب عبد المؤمن فظفر به وسجنه ثم أطلقه ، وقد تفرق الناس في شأنه شيئا كما وقع للعارف ابن عربى رضى الله عنه ونحوه ، والمذهب واحد والطريقة واحدة .

وله كرامات منها : أنه كان عنده عنزة يوجد طعم العسل فى لبها ، وكان عنده أشجار فيخرج من بطون ثمارها الدنانير الكثيرة وغير ذلك ، وتبعه كثير من أعيان المغرب وارتحل إليه من الأقطار ما لا يحصى ، ولم يزل أمره في ازدياد حتى اتفق أرباب الدولة على قتله فقتل ، وذلك بعد الأربعين وخمسمائة ، ومن مشاهير كتبه كتاب « خلع النعلين » شرحه العارف ابن عربى ، رضى الله عنه فأتى بالعجب وين أسرار الكتاب ما لم يكن للنااظرين فيه حساب .

قال أبو العباس القسطلاني ، رضى الله عنه : سمعت الشيخ أبي محمد بن المغaur رضى الله عنهمما يقول : سمعت أبي الحسن السقا يقول : كان في قلبي على الشيخ أبي القاسم بن قسى ، رضى الله عنه ، إنكار ، فبئت ليلة فرأيته في النوم وأنا أرفع يدى عليه لأضرمه ، فقال لي : دعني فقد غفر لي بثلاث قلت : ما هي ؟.

قال : قمت في الله ، وقتلت ظلما ، وصنعت كتاب خلع النعلين والله المستعان .

(١) ابن حجر ، لسان الميزان ٢٤٧/١ ؛ ومعجم كحالات ٥١/٢ ؛ ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤١٦/٢ .

(٢) خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجماعين ، كشف الظنون ، ٧٢٢ .

(٤٠٩) **أحمد بن محمد الطوسي**^(١)

الشيخ أبو الفتوح أخو حجة الإسلام ، كان ذا أخلاق محمودة وأبواب مقصودة ، ومروءة تامة وسيرة يشنى عليها الخاصة وال العامة ، عارفا بالفقه والأحكام ، ماهرا في علوم الشرع والكلام ، بحيث لقب بـ«أخيه حجة الإسلام» ، لكن غالب عليه التصوف فطاف البلاد ، وجال في الفيافي والتلال ، ونشر ونظم ، وطرز ورقم ، وإبرز ابريز المعانى ، وأسكنت بوعظه المشالث والمشانى ، وكتب وألف ، وتكلم وما تكلف ، ودرس بالنظامية بعد أخيه فأبرز العجائب ، وما تلעם وما توقف ، واختصر الإحياء في مجلد سماه «باب الإحياء» ، وصنف الذخيرة في علم البصيرة وغيره .

قال السلفي رحمه الله وغيره : كان أذكى الخلق وأقدرهم على الكلام ، فاضلا في الفقه مليح التصوف ، حلو العبارة بلا تكلف ، أظرف أهل زمنه وألطفهم طبعا ، صحب المشايخ واختار العزلة والخلوة حتى فتح له ، له الكلام على طريق القوم ، ومالت إليه القلوب وأحبوه وازدهموا على حضور مجلسه ، ودونت مجالسه في أربع مجلدات ، وكان ذا كرامات وإشارات .

(ومن كلامه) : من كان في الله تلفه كان عليه خلفه ، وقال : الفقهاء أعداء أرباب المعانى وقرأ قارئ عنده : «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم»^(٢) فقال : شرفهم بياء الإضافة إلى نفسه ، وأنشد رضى الله عنه :

(١) وفيات الأعيان ١/٣٤ - ٣٥ : ابن الجوزى ، المنظم ٩٠/٢٦ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٤/٥ ، وابن حجر ، لسان الميزان ١/٢٩٣ : والشندرات ٤/٦٠ - ٦١ : والبداية والنهاية ١٢/١٩٦ : ومرأة الجنان ٣/٢٢٤ ، والخوانسارى ، روضات الجنان ٧٥ : وكحالة ، معجم المؤلفين ٢/١٤٧ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥٣ .

وهان على اللوم في جنب حبها وقول الأعادي إنه خليع
 أصم إذا نوديت باسمي وإنني إذا قيل لي يا عبدها لسميع
 وسئل عن قول على رضى الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازدلت يقينا .
 والخليل يقول : « أرنى كيف تحبى الموتى » الآية . فقال : اليقين يتصور عليه
 المحدود والطمأنينة لا يتصور عليها الجحود . وسئل عن إبليس في قصة إبائة
 عن السجود فقال : لم يدر ذلك المسكين أن أظافير القضاء إذا حكَّت أدمنت ،
 وفي القدر إذا رمت أصمت ، وأنشد يقول :

وكان وليلي في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وزلت
 وقال : سمعت حجة الإسلام أخي يقول : من حين يوضع الميت على
 النعش يوقف في أربعين موقعاً يسائله ربه . مات سنة عشرين وخمسين
 بقزوين . وقد رماه ابن طاهر وابن الجوزي بأشياء على عادة المحدثين والفقهاء مع
 الصوفية ، ومن نظمه رضى الله عنه :

إذا صحبت الملوك فالبس من التقوى أعز ملبس
 وادخل إذا ما دخلت أعمى واخرج إذا ما خرجت أخرس

(٤١٠) **أحمد بن علي بن يحيى بن حازم بن رفاعة^(١)**

الشيخ الزاهد الكبير، أحد الأولياء المشاهير أبوالعباس الرفاعي المغربي ،
 شريف ينوي روض شرفه ، وهما على العالم غيث سلفه ، كان سيداً جليلًا ،
 صوفياً عظيماً نبيلاً ، قدم أبوه إلى العراق ، وسكن بأم عبيدة ، بأرض البطائح ،

(١) صاحب الطريقة الرفاعية ، سركيس ٩٤٧ : والكتون جامع الكرامات ٧٧ ، ومعجم كحاله ٢٥/٢ .

(٢) شرح التنبية في فروع الفقه الشافعى .

وولد بها صاحب الترجمة سنة خمسماة ، ونشأ بها وتفقه على مذهب الشافعى رضى الله عنه ، وكتب كتابه التنبيه^(٢) ثم تصوف فجاهد نفسه حتى قهرها ، وأعرض عما فى أيدي الخليقة وأقبل على اشتغاله بالحقيقة ، وقد قيل : التصوف الأخذ بالحقائق واليأس عما فى أيدي الخالق ، ومهر واشتهر وانتهت إليه الرياسة فى علوم القوم وكشف شكل منازلاتهم ، وتخرج به خلق كثير وأحسنوا فيه الاعتقاد .

قال ابن خلكان وغيره : وهم الطائفة الرفاعية ، ويقال لهم : الأحمدية والبطائحة ، ولهم أحوال عجيبة فى أكل الحيات حبة ، والنزول إلى التنانير وهى تضرم نارا والدخول إلى الأفرنة ونيام أحدهم فى جانب الفرن والخباز يخبز فى الجانب الآخر ويوقد لهم النار العظيمة ويقام السماع فيرقصون عليها بألحان تنطفيء ويركبون الأسود ، وكان ابتداء أمره أنه مر على عبد الملك الحزنوى رضى الله عنه فقال : يا أحمد أول ما أقول : ملتفت لا يصل ومتسلك لا يفلح ومن لم يعرف من نفسه النقص فكل أوقاته نقص ، ففارقه وجعل يكررها سنة ثم عاد إليه وقال له : أوصنى قال : ما أقبح الجهل بالأباء والعلة بالأباء ، والمجفاء بالأحباء فانتفع بذلك لكونه اختصر له الطريق ، وسأله رجل أن يدعوه له فقال : عندي قوت يوم ، ومن عنده ذلك لا يسمع دعاؤه فإذا فقدته دعوت لك ، وكان يغسل للمجذومين والزمى ثيابهم ويفلى شعورهم ويحمل إليهم الطعام ويأكل معهم ويسألهم الدعاء ويقول : زيارتهم واجبة لا مستحبة ، ومر يوما بصبيان يلعبون ففروا هيبة له فتبعهم يقول : اجعلونى فى حل فقد روعتم ، ومر بولد فقال : ابن من أنت ؟ قال : أيس فضولك فصار يكررها ويبكي ويقول أدبتنى يا ولدى ، وكانت حلقة مريديه ستة عشر ألفا ، وكان يمد لهم السماط صباحا ومساء ، وحکى الشيخ أبو الغنائم رحمه الله أنه دخل عليه فوجده جالسا حوله نحو عشرة آلاف من أتباعه ، فقال له : أحمد الله على ما أنعم عليك فقال : النعم كثير ، فإلى أيهم تشير ؟ فقال : لتأليف القلوب إليك ، قال :

حشرت مع فرعون وهامان إن خطر في سرى أن لى فضيلة على أحد منهم ، ويضرب به المثل في تحمل الأذى ، وكان كثيرا ما يتجلى الحق عليه بالعظمة فيذوب حتى يصير بقعة ماء ثم تدركه الرحمة فيجمد شيئا فشيئا حتى يرد إلى بدنـهـ المعـتـادـ ويـقـولـ لـجـمـاعـتـهـ :ـ لـوـلـاـ لـطـفـ اللـهـ ماـ عـدـتـ إـلـيـكـمـ .

(ومن كراماته) أنه كان إذا صعد الكرسى سمع حديثه القريب كالبعيد حتى إن أهل القرى الذين حول بلده يسمعونه كالذين بزاوته ، وكان الأصم إذا حضره سمع كلامه فقط ، ومنها أنه كان إذا سأله إنسان أن يكتب له أوعزة يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد ، ففعل يوما ذلك لرجل فغاب عنه مرة جاءه بها ليكتب له متحنا ، فلما نظرها قال : يا ولدى هذه مكتوبة وردها إليـهـ ، ومنها : أن رجلين تحابيا في الله اسم أحدهما معاـلىـ والآخر عبد المنعم فخرجـاـ يومـاـ للصحراء فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار ينزل من السماء فسقط منها ورقة بيضاء فلم يريا فيها كتابة فأتـيـاـ إلىـ صـاحـبـ التـرـجـمـةـ بهاـ وـلـمـ يـخـبرـاهـ بالـقـصـةـ ، فنظرـإـلـيـهـاـ ثـمـ خـرـ سـاجـداـ وـقـالـ :ـ الحـمـدـ اللـهـ الـذـىـ أـرـانـىـ عـتـقـ أـصـحـابـيـ مـنـ النـارـ فـىـ الدـنـيـاـ قـبـلـ الآـخـرـةـ ،ـ فـقـيلـ لـهـ :ـ هـذـهـ بـيـضـاءـ فـقـالـ ،ـ أـىـ أـوـلـادـيـ يـدـ الـقـدـرـةـ لـاـ تـكـتـبـ بـسـوـادـ ،ـ وـهـذـهـ مـكـتـوـبـةـ بـالـنـورـ ،ـ وـلـاـ حـجـ وـقـفـ تـجـاهـ الـحـجـرـ الشـرـيفـ الـنـبـوـيـةـ وـأـنـشـدـ :

فـىـ حـالـةـ الـبـعـدـ روـحـىـ كـنـتـ أـرـسـلـهـاـ تـقـبـلـ الـأـرـضـ عـنـىـ فـهـىـ نـاثـيـتـىـ
وـهـذـهـ نـوـيـةـ الـأـشـبـاحـ قـدـ حـضـرـتـ فـامـدـ يـمـينـكـ كـىـ تـحـظـيـ بـهـاـ شـفـتـىـ
فـخـرـجـتـ الـيـدـ الشـرـيفـةـ مـنـ الـقـبـرـ حـتـىـ قـبـلـهـاـ وـالـنـاسـ يـنـظـرـونـ ،ـ وـأـخـبـرـ بـوقـتـ
موـتهـ وـصـفـتـهـ فـكـانـ كـمـاـ قـالـ ،ـ وـأـحـضـرـ إـلـيـهـ مـرـيـضـ لـيـدـعـوـ لـهـ فـقـالـ :ـ وـعـزـةـ العـزـيزـ
لـأـحـمـدـ كـلـ يـوـمـ عـلـيـهـ مـائـةـ حـاجـةـ مـقـضـيـةـ فـقـيلـ لـهـ :ـ تـكـوـنـ وـاحـدـةـ لـهـذـاـ الـمـرـيـضـ فـقـالـ :ـ
أـتـرـيدـنـىـ أـكـوـنـ سـيـءـ الـأـدـبـ لـىـ إـرـادـةـ وـلـهـ إـرـادـةـ أـلـاـ لـهـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ ،ـ ثـمـ قـالـ :ـ
الـمـتـمـكـنـ إـذـاـ سـأـلـ حـاجـةـ وـقـضـيـتـ نـقـضـتـ تـكـنـهـ ،ـ وـالـدـعـاءـ عـقـبـ الصـلـاـةـ تـعـبـدـ
وـأـمـتـشـالـ ،ـ وـالـدـعـاءـ لـهـ فـىـ الـحـاجـاتـ شـرـوطـ ،ـ وـهـوـ غـيـرـ هـذـاـ الـدـعـاءـ ثـمـ بـعـدـ يـوـمـيـنـ

شفى المريض ، وأراد شراء بستان فأبى صاحبه أن لا يبيعه إلا بقصر في الجنة فأرعد وتغير واصفر ثم قال : قد اشتريته منك بذلك ، قال : اكتب لي خطابا فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد الرفاعي ضامنا على كرم الله تعالى له قصرا في الجنة يحف به حدود أربع ، الأول لجنة عدن الثاني لجنة المأوى الثالث لجنة الخلد الرابع لجنة الفردوس بجميع حوره ولدانه : وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضا له عن بستانه في الدنيا ، والله شاهد على ذلك وكفيل . فلما مات إسماعيل دفنت معه الورقة فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، وله في الطريق كلام عال ، فمنه ما قال الزهد : أول قدم القاصدين إلى الله فمن لم يحكم أساسه فيه لم يصح له شيء مما بعده من المقامات ، وقال : لا يصح الأنس بالله إلا من كملت طهارته واستوحش من كل ما يشغله عن الله .

وقال : التوحيد وجдан في القلب عظيم ينبع من التعطيل والتشبيه ، وقال : بلغت إلى مقام إن عصيت قلبي فيه عصيت الله ، وقال : من كان سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم ، ومن لم يكن في خدمة ربه فهو من أنسه في وحشة .
وقال : علامة الأنس بالله الوحشة من جميع الخلق الأولياء ، فإن الأنس بهم أنس به .

وقال : من توهם أن عمله يوصله إلى مأموله الأعلى فقد ضل طريقه .
وقال : قرب قلبك من مجالسة الذاكرين لعله يتتبه من غفلته .
وقال : أقرب الأشياء إلى المقت رؤية النفس وأحوالها وأعمالها ، وأشار منه طلب العوض على العمل .
وقال : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات .

وقال : العبودية الوفاء بالوعود والحفظ للعهود ، والرضا بالمحظوظ

والصبر على المفقود .

وقال : عالمة الأنس رفع الحجب بين القلوب وبين علام الغيوب .

وقال : المحبة أغصان تزرع في القلب فتشمر على قدر العقول .

وقال : إذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبها فأدبهما بمحالسة الحكماء من أهل خاصته .

وقال : من لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواء إلى الهلاك ، والخاسرون الشقي المطرود المحروم من أبدى للناس أحسن أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد .

وقال : كل من ادعى المشيخة ولم يقم الفقير غنياً من عنده والغني فقيراً فليس على شيء .

وقال : لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان المؤمنين لتعلم فضلهم وإفلاسك .

وقال : من ظن بأحد فتنته فهو المفتون .

وقال : استحسان الكون على العموم دليل على صحة المحبة ، واستحسانه على المخصوص يورث الظلمة .

وقال : إذا نقكت الأنوار في السر نطقوا الجوارح بالبر .

وقال : أَفْ لَا شُغَالُ الدُّنْيَا إِذَا أَقْبَلَتْ وَأَفْ لَحْسَرَاتِهَا إِذَا أَدْبَرَتْ ، والعاقل لا يركن لشيء إذا أقبل كان شغلاً وإذا أدرى كان حسرة .

وقال : لا تلتمس تقويم من لا يتقوم ولا تأديب من لا يتأنب .

وقال : من ألزم نفسه مالا يحتاج إليه ضيع من أحواله ما يحتاج إليه .

وقال : الدعوى رعنونة لا يتحمل القلب إمساكها فيلقها إلى اللسان

فينطق بها لسان الأحمق .

وقال : المعرفة أن تعرف الله بكمال الريوبوينة وتعلم نفسك بنعوت العبودية ، وتعلم أنه تعالى أول كل شيء وبه يقوم كل شيء وإليه يصير كل شيء وعليه رزق كل شيء .

وقال : من طلب الطريق بنفسه تاه في أول قدم ومن أريد به الخير دل على الطريق ، فطبوبي ملن كان قصده وبه دون غرض من أغراض الكون .

وقال : من استغنى بالله أحوج الخلق إليه ، ومن افتقر إلى الله أغناه به عما سواه .

وقال : من التذ بسماع الملاهي فقد خلا قلبه من الخوف ؛ لأن الخوف يدفع عن القلب الغفلات والشهوات .

وقال : عجبت ملن له طريق إلى ريه كيف يعيش مع غيره وهو يقول : « وأنببوا إلى ربكم » .

وقال : جبت الأرواح في الأرواح فهي تعلو أبداً إلى محل الفرج ، وخلقت الأجساد من الأكماد فلا تزال ترجع إلى كمدها من طلب هذه الفانية والاهتمام بها ولها .

وقال : من توكل على الله أدخل قلبه الحكمة وكفاه كل هم وأوصله إلى كل محبوب .

وقال : آية الولى وكرامته رضاه بما يسخط العوام من مجارى المقدور .

وقال : من خدم الله لطلب ثواب أو خوف عقاب فقد أظهر خسته وأبدى طمعه وقبح بالعبد أن يخدم ريه لغرض .

وقال : من سكن لغير الله أهمله وتركه ، ومن سكن إليه قطع عنه طريق السكون لغيره .

وقال : علامة رضا الله عن عبده انبساطه في الطاعة وتشاقله في
المعصية .

وقال : الفقر لباس الأحرار والفناء بالله لباس الأبرار .

وقال : من قابله بالأعمال قابله بعذله ، ومن قابله بإفلاسه قابله بفضله
ولا عمل أتم من الصدق ولا أتم ولا أنور ولا أبلغ من الصدق .

وقال : إذا بدت الحقائق سقطت آثار العلوم والفهم وبقى لها الرسم
الحارى ب محل الأمر وسقط عنه حقائقها .

وقال : من قال الله أكبر وفي قلبه شيء أكبر منه فقد أكذب نفسه على
لسانه .

وقال : كن شريف الكلمة فإن الهمم تبلغ بالرجل مقام القرب والنجوى .

وقال : لو خطأ رجل من قاف إلى قاف كان جلوسه أفضل .

وقال : الرجل المتمكن إذا قضيت له حاجة في الدنيا نقص مكنته درجة .

وقال : إياك ورؤيتك نفسك على الأحزان ، فمن رأى نفسه عليهم لا تقال
له عشرة .

وقال : إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة ،
وإذا فسد صار مهبط الأباطيل والظلم والشياطين .

وقال : إذا صلح القلب أخبرك عما وراءك وأمامك ، وإذا فسد حديثك
بأباطيل يغيب معها الرشد وينتفى معها السعد .

وقال : شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت
الأحمر ، فلا يضع في كل نفس إلا أعز ما يصلح له .

وقال : كل أخ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة .

وقال : طريقنا مبنية على ثلاثة أشياء : لا تسأل ولا ترد ولا تدخر .

وقال : من غضب لنفسه تعب ، ومن سلم أمره إلى مولاه نصره من غير أهل ولا عشيرة .

وقال : ما من ليلة إلا وينزل فيها نشار من السماء يفرق على قلوب المستيقظين .

وقال : والله مالى خيرة إلا في الوحدة فيما ليتنى لم أعرف .

وقال : ما وقف أحد مع الخلق في عبادته إلا سقط من عين رعاية الله .

وقال : إياكم وتعاطي أسباب الشهوة والفرح بالمعتقدين فكم طيرت عققعة النعال حول الرجال من رأس ، وكم أذهب من دين .

وقال : إذا قكن العبد وبلغ محل القرب من الله صار الحق يرضى لرضاه ويغضب لغضبه .

وقال : القطب الغوث يطلعه الله على غيبه فلا تثبت شجرة ولا تحضر ورقة إلا بعلمه .

وقال : لا يحصل لعبد مقام الصفاء حتى لا يبقى في قلبه خبث ولا بغض لمؤمن ، وهناك يأنس به الطير والوحش ولا يفر منه .

وقال : سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والافتقار والانكسار لتعظيم أمر الله والشفقة على خلقه . وكان لا يجمع بين قميصين شتاء وصيفا ولا يأكل إلا بعد يومين أو ثلاثة أكلة واحدة ، ويصلى كل يوم أربعين آية ركعة بآلف « قل هو الله أحد » ، ويستغفر كل يوم ألفين يقول : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، وقيل له : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال للسائل : أبشر فشوقك إليه أزعجك بطلب دليل يدل عليه .

وقال : ظلمة الطبع قناع أنوار المشاهدة .

وقال : كم من مسرور سروره بلاؤه ، وكم من مغموم غمومه نجاته .

وقال : من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله فلينظر قدر هيبيته عنده وفي خدمته .

وقال : من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهله .

وقال : من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهمه .

وقال : من ذل في نفسه رفع الله قدره ، ومن أعز فيها أذله الله في أعين عباده .

وقال : لا شيء أضر بالمريد من مسامحته لنفسه في ركوب الرخص وقبول التأويلات .

وقال : قربك منه بلزم الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق .

وقال : الرجاء ارتياح القلب لرؤيه كرم المرجو ، والزهد سلو القلب من الأسباب ونفض الأيدي من الآمال .

وقال : التبرؤ من الدنيا في الخروج منها ، وجود الراحة الاكتفاء بالبلوغ ، وترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بال موجود .

وقال : المذكور واحد والذكر مختلف ومحال قلوب الذاكرين متفاوتة وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم لحديث : من أطاع الله فقد ذكره وإن قلت صلاته إلى آخره .

وقال : القلب مصف وهو محل الأنوار ، وموارد الفوائد من الجبار وبه يصح الاعتبار ، جعله الله أميرا فقال « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب »^(١)

ثم جعله أسيرا فقال « وأن الله يحول بين المرء وقلبه »^(٢) .

(١) سورة ق : آية ٣٧ . (٢) سورة الأنفال : آية ٢٤ .

وقال : الدنيا ما دنا من القلب وشغله عن الرب .

وقال : ما حياة القلب إلا في إماتة النفس .

وقال : الاستهانة بالأولياء من قلبه المعرفة بالله . وقال : إذا أوصلكى مقام ومنعك حرمة أهله والالتذاذ بما أوصلك الله إليه فأنت مغرور .

وقال : ما استصغرت أحدا إلا وجدت نقصا في ديني ومعرفتي . وقال : أنس مالك قلبك ووقتك وقد شغلت قلبك بهوا جس الظنون وضييعت وقتك بما لا فنيك فمتهى يريح من خسر رأس ماله .

وقال : الطريق إلى الله صعب إلا على من دخله بوجد صادق غالب شوق مزعج فيهون عليه حمل الأنقال وركوب الأهوال .

وقال : الشهوة أغلب سلطان على النفس فلا مزيل لها إلا خوف مزعج وشوق مقلق .

وقال : اليقين ثمرة التوحيد ، من صفا توحيده صفا يقينه .

وقال : من أسكن نفسه شيئاً من محبة الدنيا فقد قتلها سيف الطمع .

وقال : من جد وجد ، وبالاعتقاد يحصل علم الحقيقة ، وبالاجتهد يتفق سلوك الطريقة . مات ، رضى الله عنه ، بيده سنة ثمان وسبعين وخمسماة ، ولم يعقب ، وإنما المشيخة لابن أخيته ، رضى الله تعالى عنهم ، ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة .

(٤١) أبو العباس بن العريف الصنهاجي

شيخ العارف ابن عربى ، رضى الله عنهم ، كان من أكابر الأعيان ، ومن أعاظم أهل هذا الشأن ، صوفى همى على المرید سخاوه وأنار فى أفق

الطريق شهابه . وكان يقول في دعائه : اللهم إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا ولم تسد باب الولاية . اللهم مهما عينت أعلى رتبة في الولاية لأعلى ولى عندك فاجعلني ذلك الولى . قال تلميذه العارف ابن عربى رضى الله عنه : فهذا من المحققين الذين طلبوا ما يمكن أن يكون حقا لهم . ومن نظمه :

قد تاب أقوام كثیر و ما تاب عن التوبة إلا أنا

ولقى في سياحته بعض الأبدال وهو يمشي على وجه الماء ، فأخذ يذكر له ما الناس عليه من فساد أحوال الملوك والرعايا فغضب البطل وقال : مالك وعباد الله لا تدخلن بين السيد وعبدة ، فإن الرحمة والمغفرة والإحسان لمؤلاه ، أتريد أن تبقى الألوهية معطلة الحكم ؟ اشتغل بنفسك ، وليكن نظرك إلى الله تعالى وشغلك . قال العارف ابن عربى ، رضى الله عنه : وقد دخلت على شيخنا هذا وأنا في مثل هذا الحال في بدايتي وقد تکدر على وقتى لما أرى الناس فيه من مخالفة الحق فقال : عليك بالله ، فخرجت من عنده ودخلت على شيخنا ابن عربى رضى الله عنه فقال : عليك بنفسك ، فقلت : يا سيدى حرت بينكما أبو العباس يقول : عليك بالله ، وأنت تقول عليك بنفسك ، فبكى ، وقال : الذى ذلك عليه أبو العباس هو الحق وإاليه الرجوع وكل من ذكر ما بقتضيه حاله ، وأرجو الله أن يلحقنى بمقامه ، فرجعت إلى أبي عباس وذكرت له مقالته فقال : قد أحسن في مقالته ، هو ذلك على الطريق وأنا دللتك على الرفيق فاعمل بما قال لك وبما قلت له تجتمع بينهما ، وكل من لا يصحب الحق في سفره فليس علي بينة من سلاماته . وكان يسأل شهوة الحب لا الحب ، وسئل عن حد المحبة فقال : الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى إلا التستر فلا تحد . وقال : سألت بعض المشايخ متى يعلم المريد أنه مرید فأعرض عنى فكرته ثلاثة فقال : لا تقل هكذا أظنك تسأل عن أول قدم يضعه المريد في الإرادة ؟ قلت ن: عم ، قال : إذا اجتمع فيه أربع خصال تطوى له الأرض فتكون عنده كقدم واحد ويسى على الماء ويأكل من الكون متى أراد ، ولا ترد له دعوة ، فعند ذلك يضع أول قدم في الإرادة ، وقال : وأما متى

علم المريد عندنا أنه مرید سقط من حد الإرادة ، فقلت له : ألسنا من الإرادة يا أبي القاسم ؟ وقال : إذا أراد الله تعالى أن يهبيء عبده للإمامية والاقتداء شغله فى أيام غفلته بعلم الظاهر من القرآن وال الحديث والفقه والعربية ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات ، فعند ذلك يستحق الإمامية والتقدم ، وسمع : السلام عليكم يا عبادى ، وأنشد لنفسه :

بدا لك سر طال عنك اكتتامه
 فأنت حجاب القلب عن سر غيبة
 فإذا غبت عند حل فيه وطنبت
 وجاً حديث لا يمل سماعه
 شهي إلينا نشره ونظامه
 على موكب الكشف المصنون خيامه
 ولو لاك لم يطع عليك ختامه
 ولا ح صباح كنت أنت ظلامه

(٤١٢) أبو عبد الله الفوالي المغربي^(١)

شيخ العارف ابن عربى ، رضى الله عنهمَا ، نجد ساحله لا يتوصّل إليه ، وخبر لواء الولاية معقود عليه ، وعارف على المعرفة جبل ، وصوفى تضرب إليه أكباد الإبل ، خبر زهذه معروف وسرى متجده موصوف كان قاطنا بأمرية . قال العارف ابن عربى ، رضى الله عنه : وهو من أقران الشيخ أبي مدين ، رضى الله عنه ، في زمانه .

قال : وقال لى أبو عبد الله : كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس ابن العريف ، رضى الله عنه ، رجل لا يتكلم فإذا فرغ الشيخ خرج فلا يراه إلا فى المجلس ، فوقع فى نفسى منه شيء فأحببته أن أعرفه وأعرف مكانه ، فتبعته يوما من حيث لا يشعر ، فلما كان فى بعض الشك إذا بشخص تلقاه من الهوى وانقض عليه انقضاض الطائر بيده رغيف فتناوله إياه وانصرف فجذبته من خلفه ،

(١) لعله هو «أبي عبد الله العربي» الذي وردت ترجمته في الغربني، عنوان الدراسة ص ٤٩ - ٥١.

فقلت : السلام عليك فعرفنى فرد السلام ، فسألته عن الذى ناوله الرغيف فتوقف ، فلما علم أننى لا أبرح إلا أن عرفه لى ، قال : هذا ملك الأرزاق يأتينى كل يوم من عند الله بما قدر لى من الرزق حيث كنت من أرض ربى وقد لطف الله بي فى ابتداء أمرى ، كنت إذا فرغت تعقبنى وقع على من الهوى قدر ما أحتاجه فأنفق منه ، فإذا فرغ جاءنى مثله لكن ما كنت أرى شخصاً .

(١) أبو القاسم الزاهد المعروف بالقطع

كان فقيهاً عابداً زاهداً عالماً عارفاً ورعاً منجيناً ، طاهر اللسان ، وافر الإحسان ، لطيف الذات معرضًا عن اللذات ، سمع الحديث عن جماعة وأخذ الفقه والتتصوف عن آخرين .

وله كرامات منها ما حكاه أبو طاهر المغربي قال : بنت بجامع مصر ، وإذا بسائل يقول : قم فقد دخل أبو القاسم الذى إذا أقسم على الله أبره ، ففقمت فإذا هو داخل من الباب قلت : ادع لى قال : لا أحلك الله على غيره ، فما كنت أدرى من أين يأتينى قوتى بعد ذلك اليوم ، ومنها أنه لما مات وغسله الغاسل رفع يده فوضعتها على عورته ، وكان يتقلب باختياره إذا أراد تقليله ، وأخذ أهل مصر ما غسله فعملوه في الكحل فكان كل أرمد اكتحل منه ييراً . وجاء الطير فظل على نعشة ورفف عليه ولم ير قبل ذلك عليه إلا للمزنى وذى النون ، رضى الله عنهما ، ولم يزل كذلك حتى دفن ، رضى الله عنه . مات سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ودفن بالقرافة بقرب قبر عقبة الجهنى ^(٢) .

(١) السخاوي الحنفى ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٢) المراجع السابق ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

حرف الباء الموحدة

(٤١٤) بقا بن بطو^(١)

العارف الكبير من جلة مشايخ العراق . انتهت إليه تربية المربيدين بالاستحقاق وقصد للأخذ عنه من الآفاق ، وكان عظيم الجناب رافعاً للأسباب ، ويعتزل ويختلى المدد بعد المدد ولا يطلب من أحد شيئاً من المدد ، وقد قيل : التصوف الإناء على باب الحبيب وإن طرد ، قال في حقه العارف الجيلاتى ، رضى الله عنه ، كل المشايخ أعطوا بالكيل إلا بقاء أعطى جزاها وانتهت إليه رياسة ما وراء النهر . أخذ عنه خلق كثير وقصد للزيارة وبالنذور .

(ومن كلامه) : الفقر تجرد القلب من علائق الدارين ثقة بالله ، وعلامة صحة تجرده أن يتغير حاله بوجود الأسباب وفقدتها .

وقال : من أنصف الناس من نفسه وقبل النصح من درنه أدرك شرف المنازل .

وقال : من لم يجد له من قلبه زاجرا فهو من إخوان الشياطين وقلبه خراب .

وقال : من لم يستعن بالله على نفسه صرعته . مات سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

حرف الجيم

(٤١٥) جاكيز الكردى العراقي^(٢)

العايد الزاهد أجمع مشايخ العراق على تعظيمه وتقديمه ، وكان صاحب

(١) طبقات الشعرانى ١٢٦/١ ، والنبهانى ، ٣٦٧/١

(٢) طبقات الشعرانى ١٢٨/١ ، والنبهانى ، ٣٧٨/١

أحوال وتآلله ، صحب الشيخ على الهيئى وغيره ، وجاكير لقب واسمه محمد بن دسم الجيلى ، لم يتزوج قط ويذكر عنه كرامات وخوارق ، وكان تاج العارفين أبو رجاء يبالغ فى تعظيمه ، وكان مشايخ العراق يقولون : انسلاخ جاكير من نفسه كما تنسلخ الحياة من جلدها . وكان يقول : ما أخذت العهد على مريد إلا بعد أن رأيت اسمه فى اللوح المحفوظ أنه من أولادى .

وقال : من شاهد الحق بقلبه سقط الكون من شهوده .

وقال : أوتيت سيفاً ماضى المد أحد طرفيه بالشرق والآخر بالغرب ،
مات بعد الخمسين وخمسماة .

حرف الحاء / المهملة

(٤١٦) حسن بن عتيق القسطلاني^(١)

من أكابر العلماء العالمين ، ووجوه الأولياء الصالحين ، صوفى محمود الآثار . سادت بمناقبـه الأخبار ، كانت له دعوة مجابة . وكان يقول : الجاهل يتعلق بأسباب الدنيا والورع الذى لا يرحب إلا فى الآخرة . وحکى أنه ركب مع جماعة البحر الملاح فمروا على امرأة سوداء فى بعض الجزائر لا تحسن الصلاة بل تقوم فتتكلـم فيها بكلام الأدميين ثم ترکع وتسجد ، فقال لها أهل السفينة : ليست الصلاة هكذا ، فقالـت علمونـى فعلمـوها الفاتحة والركوع والسجود ، فلما جرت السفينة لحقـتها المرأة تجرـى على وجهـ الماء كما يجري الإنسان على الأرض وهـى تصـحـى تقولـ : علمـونـى فقد نسيـتـ فـقالـوا لهاـ : ارجعـى وافـعلـى كما كنتـ تفعلـينـ . مـاتـ سنةـ ثـمانـ وـسبـعينـ وـخمـسـمائةـ وـدـفنـ بالـقرـافـةـ^(٢) . قالـ بعضـ الصـالـحـينـ : كنتـ أرىـ عندـ قـبرـ ابنـ عـتيـقـ الأـبدـالـ .

(١) البهانى ، ٣٩٥/١ .

(٢) السخاوي الحنفى .

طريقة عجيبة مع الله في ذلك الجلوس فإنه ما كان يرد يؤتى به إليه كالشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ، لكن عبد القادر كان أنهض شيئاً في الظاهر لما يعطيه الشرف فقيل له : يا أبا مدين لم لا تتحرف أو لم لا تقول بالحرفه ؟ قال : أقول بها قيل له : لم لا تتحرف قال : الضيف عندكم إذا نزل بقوم كم توفيه زمن وحجب ضيافته ؟ قالوا ثلاثة أيام ، قال : وبعدها ، قالوا يحترف ، قال الله أكبر انصفونا نحن أضيف رينا نزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة عنده إلى الأبد تعينت الضيافة ، فإنه تعالى ما دل على خلق كريم لعبد إلا كان هو أولى بالاتصاف به ، وأيام رينا كما قال تعالى كل يوم ألف سنة مما تعدون . فضيافته بحسب أيامه ، فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة وانقضت ولا نحترف ، توجه اعتراضكم علينا ونحن نموت وتنقضي الدنيا ويبقى لنا فضلة عنده تعالى من ضيافتنا ، فاستحسنتم المفترض فانتظر في هذا النفس إن كنت منهم ، ثم قال العارف ابن عربى رضى الله عنه : ذهبت أنا وبعض الأبدال إلى جبل قاف فمررنا بالحية المحدقة به فسلمنا عليه فردت ، وقالت : من أنتم ؟ قلنا : من بجایة ، قالت : ما حال أبي مدين مع أهلها قلنا : يرمونه بالزندة ويؤذونه ، قالت : عجباً لابن آدم كيف يؤذى ولى الله ، ما ظنت أنك الله تعالى يوالى عبداً من عباده فيكرهه أحد . قال العارف الخواص رضى الله عنه : كان مذهب الشيخ رضى الله عنه تقريب الطريق على المريدين ونقلهم إلى محل الفتح من غير أن يرثونهم على الملوك خوفاً عليهم من تعشق نفوسهم بعجائب الملوك . ودخل على أبي مدين رضى الله عنه رجل فقال : الفرنج نصرعوا على المسلمين ، فقال صدق الله ولم يتأثر أصلاً ، فعجب الحاضرون من عدم تأثيره فمد أصبعيه وأشار إلى أحدهما وقال : هذا الهدى والى الآخر ، وقال : هذا المضل ثم وضع أصبعه على موضع اجتماعهما من ظاهر كفه وقال : قلبي هنا معناه أن من كان قلبه مع الله لم يختلف عليه معانى الأسماء ، ووقع له في سياحته أنه دخل على عجوز فى مغارة فأقام عندها فجاء ابنها آخر النهار فسلم عليه فقدمت العجوز سفرة فيها

صحن وخizer ، فقعد الشيخ والابن يأكلان فقال : قنیت لو كان هذا كذا ، فقال :
 سم الله وكل ما تمنیت فلم يزل بعد التمنی وهو يقول مقالته الأولى واللون الواحد
 يتقلب ألواناً كثيرة ويجد طعم ما يتمنی . قال العارف ابن عربی رضی الله عنہ :
 كان شيخنا أبو مدين رضی الله عنہ إذا جاءه مأكول طيب أكله أو حشن أكله ،
 وإذا جاء وجاءه فقد علم أن الله تعالى خيره إذ لو أراد أن يطمعه أى صنف أراد
 من المأكول جاء به إليه فينظر في ذلك الوقت ما هو الأحلى إلى الله من المأكول
 بالنظر إلى صلاح المزاج للعبادة لا إلى غرض النفس . وكان إذا خطر له خاطر في
 نفسه وجد جوابه مكتوباً في ثوبه الذي عليه ، فخطر له يوماً أن يطلق امرأته
 وكان بحضور العارف أبي العباس الخشاب فرأى مخطوطاً في ثوب الشيخ :
 أمسك عليك زوجك ، قال العارف ابن عربی رضی الله عنہ : وكان شيخ الشيوخ
 أبو مدين رضی الله عنہ يرى المناسبة بين الأشياء ويقول بها ، فاتفق أن علق
 خاطره بالغير فما شاهد شخص وهو على ذلك الخاطر فاستوحش للشيخ فسأله فإذا
 هو مشرك . قال العارف ابن عربی رضی الله عنہ : شيخنا أبو مدين من
 الثمانية عشر نفساً الظاهرين بأمر الله عن أمر الله ، لا يرون سوى الله في
 الأكون ، وهم أهل علانية وجه مثبتون للأسباب وخرق العوائد عندهم عادة
 « قل الله ثم ذرهم »^(١) قال : وكان يقول لأصحابه اظهروا للناس ما عندكم من
 الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة ، واظهروا بما أعطاكم الله من نعمة الظاهرة
 يعني خرق العوائد والباطنة يعني المعارف فإنه تعالى يقول : « وأما بنعمتك ربك
 فحدث »^(٢) وهذه الطبقة اختصت باسم الظهور لكونهم ظهروا في عالم الشهادة .
 وقال في موضع آخر شيخنا أبو مدين رضی الله عنہ : الغالب على قلبه وبصره
 مشاهدة الحق في كل شيء ، فكل حال عنده أعمال فتعلن بالصدقة كما يذكره في
 الملا ، فإن من ذكره في الملا فقد ذكره في نفسه ، فإن ذكر النفس متقدم بلا شك

(١) سورة الأنعام : الآية ٩١ .

(٢) سورة الصبحي : الآية ١١ .

حرف الشين / المجمعة

(١٧) شعيب المغربي الشيخ أبو مدين

الأستاذ الأعظم العارف الأفخم عظيم الأكابر رأس الصوفية في وقته ، ورئيسهم المشهور علم نعمته زاهر ، زاهد مراقب مشاهد ، يقصد ويزار من جميع الأقطار ، وبينان العرفان إليه يشار ، يوصل ويقطع ويختفي ويعرف ، ولد ببجاية ونشأ بها واشتهر حتى ملأ الآفاق وصار إمام الصديقين في وقته بلا شقاق ، وأخذ عنه الكباء كالعارف ابن عربي رضي الله عنه . وقال : كان سلطان المؤدبين ، ومكث في بيته سنة لا يخرج فاجتمع الناس ببابه يسألوه أن يتكلم عليهم وألزموه فخرج ففرت منه عصاقير على سدرة بدأه فرجع ، وقال : لو صلحت للحديث عليكم ما فر من الطير ولا الوحش ، فرجع فمكث سنة فأ Toe فخرج فلم تفر منه فتكلم عليهم وترك الطير تضرب بأجنحتها وتصدق حتى مات منها كثير ومات رجل من حضر ، وكان الشيخ أميا وعلوم الأمى تأتى خالية من الإشكال . وقال العارف ابن عربي ، رضي الله عنه : كان حاله وقت التجريد وعدم الادخار ، اتفق له أنه نسي في جيبه دينارا ، وكان كثيرا ما ينقطع في جبل الكواكب وكانت هناك غزالة تأتيه فتدرك عليه لبنيها فيكون ذلك قرته ، فلما جاء إلى الجبل جاءت الغزالة على عادتها وهو يحتاج إلى الطعام فجاء ليشرب من لبنيها فنفرت عنه وما زالت تنطحه بقرونها وكلما مده يده إليها نفرت منه ، ففك في سبب ذلك فتذكر الدينار فأخرجها من جيبه ورميده فجاءته الغزالة وأنست به ودرت عليه ، قال : أعني العارف ابن عربي رضي الله عنه ، كان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه قد ترك الحرف وجلس مع الله على ما يفتح له ، وكان على

(١) التشوف إلى رجال التصوف ص ٣١٦ : وسلوة الأنفاس ص ٣٦٤/١ : وجذوة الاقتباس ص ٣٣٢ : ونبيل الابتهاج ص ١٢٧ ، وطبقات الشعراني ١٥٤/١ : وتعريف الخلف ب الرجال السلف ١٧٢/٢ : والشذرات ٣٠٣/٤ : وعنوان الدرية للغبريني ٢٢ - ٣٢ ، وقد أفرده ابن قندز القسنطيني في كتابه المسمى « أنس الفقير وعز الحقير » الرباط ، ١٩٦٥ .

وما كل من ذكره في نفسه ذكره في الملا .

فهذه حالة زائدة على الذكر لها مرتبة تفوق صاحب ذكره النفسي لا يطلع عليه في الحالين فهو سر بكل وجه ، فصدقية الإعلان تؤذن بالاقتدار الإلهي ، فمن يخفيها أو يسرها وهو الظاهر في المظاهر الإمكانية . فهذه كانت طريقة شيخنا . وكان يقول ﴿ قل الله ثم ذرهم ﴾ ﴿ أغير الله تدعون ﴾^(١) قال : وكان يقول لأصحابه أعلنا بالطاعة حتى تكون كلمة الله هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصي ولا يستحيون من الله . وكان يقول في قوله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾^(٢) الآية فإذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن وإلى ربك فارغب في الدوام ، وإذا دخلت في عبادة فلا تحدث نفسك بالخروج منها وقل : ياليتها كانت القاضية ، وقال إنما فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفرد؛ لأنه يكتب لكل عبد من صلاته ما قام به منها فيكتب من صلاة عشرها ومن صلاة ثلثها ونصفها وغير ذلك أي كما في الحديث فيرتفع للجميع صلاة مكملة الأجزاء بعضها ببعض ، فيعيد الله بركة الكمال والاتمام على الجماعة فيكتب لكل واحد منهم صلاة كاملة ببركة الاجتماع . وقال : كان الأمر بسجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام عن إغضاب خفي لا يشعر به كل أحد ، فكان كالكافارة لما وقعوا فيه من تزكية نفوسهم وتجریح آدم ، عليه السلام . وقال : من قال التمر ولم يوجد حلوته في فمه فما قال التمر ، وذلك أن حالة الشهود يتعدد الوجود في شهود الشاهد بكل موجود فيرى كل شيء .

(ومن كلامه) : ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها .

وقال : من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة دعته لذلك ، فهو مفتون وكل من ادعى مع الله حالة ليس على ظاهره منها شاهد فاحذروه .

وقال : الدنيا جرادة ورأسها جبها فإذا قطع رأس الجرادة حلت .

(١) سورة الأنعام : آية ٤٠ .

(٢) سورة الشرح : آية ٧ .

وقال : ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الباء مكتوبة عليها .

وقال : ما وصل إلى مقام الحرية من بقيت عليه من نفسه بقية .

وقال : كل فقير الأخذ إليه أحب من العطا ، لم يشم للفقر رائحة .

وقال : من لم يصلح لخدمته شغله بالدنيا ومن لم يصلح لمعرفته شغله بالأخرة .

وقال : من لم يخلع العذار لم ترفع له الأستار .

وقال : كل فقير لا يعرف زيادته من نقصه فليس بفقير .

وقال : نسيان العبد للحق ، تعالى طرفة عين خيانة تستحق العقوبة .

وقال : الحضور من الحق جنة ، والغيبة عنه نار ، والقرب منه لذة ،

والبعد عنه حسراً وموت ، والأنس به حياة .

وقال : من قطع موصولاً بحضور ربه قطع به ومن أشغل مشغولاً بربه
أدركه المقت في الوقت .

وقال : شرط العارف أن يتحكم فيما بين العرش والفرش .

وقال : الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك بأطراfe وأنار باطنك بإشرافه .

وقال العارف ابن عربى رضى الله عنه : كان شيخنا أبو مدين رضى الله عنه يقول : من عالمة صدق المريد فى إرادته فراره عن الخلق ، ومن عالمة فراره عنهم وجوده للحق ، ومن عالمة صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق ، فهذا هو حال الوارث للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يخلو بغار حراء وينقطع إلى الله فيه ويترك بيته وأهله ويفر إلى ربه حتى فجأه الحق فبعشه الله رسولاً مرشدًا لعباده . فهذه حالات ثلاث ورثه فيها من اعتنى الله به من أمته ومثله يسمى وارثاً ، فالوارث الكامل من ورثه علماً وعملاً وحالاً . ولما علم الخضر رتبة موسى عليهم السلام وعلو قدره بين الرسل امتنع ما نهاه عنه طاعة لله ولرسوله فإنه تعالى قال : « وما آتاك من

الرسول فخذوه ^(١) الآية ، فقال له في الثانية : « إن سألك عن شيء بعدها فلا تصاحبني » فقال سمعاً وطاعة ، فلما كانت الثالثة وسأله نسي موسى عليه السلام حالة قوله : « إني لما أنزل إلي من خير فقير » ، ولما طلب الإجازة على سقايته مع الحاجة فارقه الحضر عليه السلام ، وبعد ما أبى له علم ما أنكر عليه ثم قال : « وما فعلته عن أمري » لأنه كان شرعه من ربه ومنهاج في زمانها بخلاف حاله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فإن كل الصيد في جوف الفراء .

(ومن كراماته) أن الوحش كان يذل له فإذا رأاه ارتعد لهيبته ، ومر بحمار أكل السبع نصفه وصاحبه ينظر من بعد فذهب بصاحب الحمار إلى الأسد وقال : امسك بأذنيه واستعمله مكان حمارك حتى يموت فركبه واستعمله سنين حتى مات . ورأى بعض الأولياء إبليس فقال له : كيف حالك مع أبي مدين ؟ قال : ما شبنته في نفسي إليه في قلبه إلا شخص بال في البحر المحيط فقيل : لم تبول فيه ؟ قال : لأنجسه ، فلا تقع به الطهارة ، فهل رأيتم أحجهل من هذا فكذا أنا ، وقلب أبي مدين رضي الله عنه كلما أقيمت فيه أمراً قلب عينه . وله تصانيف منها كتاب « أُس التوحيد ونزهة المرید » . مات سنة نيف وثمانين وخمسمائة على نحو ثمانين سنة بتلمسان ، وكان آخر كلامه : الله الحى ، ثم فاضت نفسه ، رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين .

حرف الطاء المهملة

(٤١٨) طاهر بن شعيب ابن فضل الله أبو الفتح الميهنى الصوفي

من بيت التصوف والمشيخة ، كان كبيراً في المشايخ ذا قدم راسخ ، حلو

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٤٥/١٢ : وبحالة ، معجم المؤلفين ٢٥٠/٢ .

العبارة والشكالة يريح بحسن تسلیکه ألم من شکی له ، يستحضر من التصوف
كثیراً ويحل من غرائبه محلأً أثیراً ، سافر ولقى الشیوخ منهم الأستاذ أبو القاسم
القشیری . روی بإسناده عن السلمی عن عیسی بن علی بن عیسی الوزیر قال :
كان ابن مجاهد يوماً عند أبي فقیل له : الشبلى بالباب قال : يدخل فقال ابن
مجاهد : سأسكته الساعة بين يديك . وكانت عادة الشبلى رضی الله عنه إذا
لبس ثوباً جديداً خرقه ، فقال ابن مجاهد يا أبا بکر : أین فی العلم إفساد ما
ينتفع به قال الشبلى رضی الله عنه : فأین فی العلم « فطفق مسحا بالسوق
والأعناق » ، فسكت ابن مجاهد فقال أبي : أردت أن تسكت أبا بکر فأسكتك ،
ثم قال الشبلى رضی الله عنه أجمع الناس أنك مقرئ الوقت ، فأین رقی القرآن
الحبيب لا يعذب حبيبه ، فقال أبي قل يا أبا بکر : « وقالت اليهود والنصاری
نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبکم » الآية^(١) .

حرف العین المهملة

(٤١٩) عبد الله المخاور المغربي^(٢)

كان كبير القدر فريداً في وقته وحيداً في شرف أخلاقه وحسن سنته ،
من قرية من أعمال إشبيلية بقرب الأندلس ، وكان سبب رجوعه إلى طريق الله أن
الموحدين لما دخلوا بلده ، رمت امرأة عليه نفسها ، وقالت : انقلني إلى إشبيلية
ونجني من هؤلاء فأخذها على عنقه وخرج ، فلما خلا بها وكان من الشطار
الأقوباء الأشداء ، وكانت المرأة ذات جمال فائق فدعنته نفسه إلى وقاعها ،
فقال : يا نفسی هی أمانة بيدي ولا أحب الخيانة ، وما هذا وفاء مع صاحبها ،
فابت عليه نفسه إلا الفعل ، فلما خاف على نفسه أخذ ذكره فرضه بين حجرين

(١) سورة المائدۃ : الآیة ١٨ .

(٢) النبهانی ، کرامات ، ١٠٦/٢ .

فانقطع ، وقال : يا نفسي النار ولا العار وخرج من حينه يطلب الحج وصار أوحد زمانه . قال العارف ابن عربى رضى الله عنه : أدركته ولم يجتمع به وأقام بالإسكندرية إلى أن مات .

(ومن كلامه) : آمرك بخمس وأنهاك عن خمس : آمرك باحتمال أذى الخلق ، وترك أذى الخلق ، وإدخال الراحة على الإخوان ، وأن تكون أذنا لا لساناً أى اسمع أكثر مما تتكلم ، والخامس أن تكون مع الناس على نفسك ؛ وأنهاك عن معاشرة النساء ، وحب الدنيا ، وحب الرياسة ، وعن الدعوى ، وعن الوقوع في رجال الله تعالى .

(٤٢٠) عبد الله بن محمد بن عبد الجبار المعروف بأبي ثور

كنى به لأنّه قاتل في فتح بيت المقدس على ثور وكان لا يعود إلا عليه .
وله كرامات ظاهرة (منها) أنه كان إذا أراد شراء شيء كتب به ورقة
وجعلها في عنق ثوره فيذهب بها إلى رجل في حانوت فيجعل المطلوب في عنق
الثور ويرجع به إليه .

مات في هذا القرن ودفن بقرب قبر الخليل .

(٤٢١) عبد الرحمن بن علي الدمشقي الخرقى السليمى الشافعى^(١)

كان صدراً كبيراً وشيخاً بأحوال التصوف خبيراً من صحبه خلصه من أسر نفسه قهراً وأراه في السلوك كل آية هي أكبر من الأخرى ، فمن ثم حلق طائر ذكره في الآفاق وحام وحلى به القدس بل عظم به الشام ، وكان يقرأ كل يوم ختمة وأقعد آخر عمره فلم يقدر عزمه .

(ومن كراماته) أنه احتاج ليلة إلى الوضوء وليس عنده في البيت من يوضئه ، فبينما هو يتذكر إذا بنور دخل البيت من السماء فيصر الماء فتوضاً . مات سنة سبع وثمانين وخمسة مائة .

(٤٢٢) عبد الرحيم بن عبد الكرييم^(١)

نصر أو أبو منصور ابن الأستاذ أبي القاسم القشيري الإمام العلم بحر مغدق زخار وحبر ، هو في زمانه رأس الأخبار إذا قيل كعب الأخبار وضرغام تقدم وإمام تقتدي به الهداة وتأتم ، غاص تلك الأصول الطاهرة غصة المورق ، وسمى على الأنجم الزاهرة بدره الشرق ، ممد إذا أشراق ليل المدلهمات وأمسى ، ومصل إذا سمع الناس لكلامه فلا تسمع لهم إلا همسا ، يلتفت الدر من كلامه ، ويتناثر الجوهر من حكمه ، ويؤب المذنب عند وعظه ، ويتوب العاصي بمجرد سماع لفظه . كم من فاسق تاب في مجلسه ودخل في الطاعة ، وكم من كافر آب إلى الحق ساعة وعظه ، وآمن في الساعة بنبعث بين يدي الساعة . لو استمع له الصخر لأنفلق ، ولو سمع كلامه الصقر لاستحسن وقال : صدق ، يصدع القلب القاسي خطابه ، ويقاد يجمع عظام ذوى الغفلة النخرة عتابه ، ويشتت شمل الشياطين ما يقول ويفتح الأكباد ما يجمعه من الحق المقبول . هو الرابع من أولاد الأستاذ وأكثرهم علماء وأشهرهم اسماء ، تخرج على إمام الحرمين وعلى والده والشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وسمع الصابوني والبيهقي وحدث بالكثير ، وقد ذكره صاحب السياق ، أفصح المؤرخين على الإطلاق ، عبد الغافر الفارسي فقال إمام الأئمة وخبر الأمة ، ويحرر العلوم وصدر القدوم ، وهو أشبه أولاد أبيه خلقا به كأنه شق منه شقا رياه والده وزقه العربيه زقا وحصل أنواعا من العلوم الدقيقة وحكمها جمة من علوم الحقيقة ، ولما مات أبوه انتقل لإمام الحرمين ، ثم

(١) ابن هداية ، طبقات الشافعية ٧٣ : البغدادي ، إيضاح المكتون ٦٠٦/٢ ! وهدية العارفين ٥٩/١
 ومعجم كحالة ٢٠٧/٥ .

صار رأساً كبيراً يقتدى به ، وأطبق أهل العراق على أنهم لم يروا مثله في تبحره ، عديم النظير فريد الوقت بقية أكابر الدنيا على الإطلاق ، ومن أعظم مناقبه أن شيخه إمام الحرمين نقل عنه في كتاب « الوصية من النهاية » . وقيل : إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت وكان يحب العزلة والانزواء ، وبالجملة فقد كان معظمًا جداً حتى عند مشايخه ، وقد أطرب شيخه صاحب « التنبيه » في الثناء عليه .

(ومن كلامه) قال : والدی ليکن لک فی الیوم واللیلة ساعۃ تحضر
فیها بقلبك وتخلو بربک وتقول : تدارک قلبی ببساطة من إقبالک ویدرة من أفضالک .
(ومن کراماتہ) أنه اعتقل لسانه من آخر عمره إلا عن الذكر خاصة .
مات سنة سبع عشرة وخمسمائة وهو في عمر الثمانين .

٤٢٣) عبد القاهر بن عبد الله

ابن محمد بن عمودة أبو النجيب السهروردي^(١) بضم السين المهملة والراء ، نسبة إلى بلد يقرب زنجان يتصل نسبه بالصديق وهو الإمام العظم أحد أكابر الشافعية وأعظم مشايخ الصوفية ، ولد ببلده سنة تسعين وأربعين وعشرين ونشأ في بغداد ، فأخذ الفقه عن أسعد الميھنی ، والتتصوف عن الشهاب أخي الغزالی ، واشتهر ذكره في جميع الأقطار بالولاية والصلاح والعبادة والزهد والتربية والسماح ، وكان له هيبة في النفوس وعليه وقار وناموس ، يعظمه الناس وهو لا يعبأ بأمرهم ، ولا يلتفت إلى شواطئ نارهم ولهيب جمرهم . وكان ملوك العجم يهابونه بل يخدمونه ، ورزق القبول النام بين الخاص والععام ، وكان يحفظ « وسيط الواحدى » عن ظهر قلب ، وكان يسمع له دوى كدوى النحل فقيل له

(١) اليافعی ، مرآة الجنان ٣٧٢/٣ : الشذرات ٢٠٨/٤ : والبغدادی ، هدية العارفین ٦٠٦/١ : والزرکلی ، الأعلام ١٧٤/٤ ، وكحالة ، معجم المؤلفین ٣١١/٥ .

في ذلك قال : لى اثنا عشر مریداً أسؤال لكل واحد منهم حاجة وما أصاب مزید
دنيا وما انسلح الشهر إلا مات أو تاب إشفاقاً عليه ، وكان على غایة من
التواضع وسافر إلى الشام فبعث إليه الأمراء طعاماً على رءوس الأسارى من
النصارى وهم في القيود فلما مدت السفرة أقعدهم مع الفقراء عليها وقعد معهم
وأكل معهم ، وأخذ عنه الأكابر كابن السمعانى وابن عساكر وابن أخيه الشهاب
السهروردى وخلق وقصد من كل قطر ، ثم هب له نسيم السعادة ودله على سوء
الطريق فانعزل عن الناس وأثر الخلوة ويقى فى ابتداء أمره عدة سنين يستقى
بالقرية على ظهره ويقوت ويقوت من عنده من مریديه ، وكان له خربة يأوى إليها
هو ورفقه حتى استفاضت كراماته واستبانة آياته فبني تلك الخربة رباطاً
ومدرسة وأفلح بسببه خلق كثير ، وأملى مجالس وصنف لغات واتفق فى بدايته
مجاهدات كثيرة واجتمع بسادات شهيرة . وحکى عن نفسه قال : كنت أدخل على
شيخى وربما اعترانى بعض فتور عن المجاهدة فيقول اراك دخلت وعليك ظلمة .

(ومن كلامه) : التصوف أوله علم وأوسطه عمل ، وأخره موهبة ،
فالعلم يكشف عن المراد ، والعمل يعين على الطلب ، والموهبة تبلغ غایة الأمل ،
وقال : أعلى المقامات عد الأنفاس حتى لا يقع له نفس واحد في غفلة عن الله ،
وقال يوماً لأصحابه : نحن محتاجون يوماً إلى نفقة فارجعوا إلى الخلوة واسأوا
الله وما يفتح عليكم هاتوه ففعلوا فجاء رجل منهم اسمه إسماعيل البطائحي
بكاغد عليه ثلاثون دائرة ، وقال : أعطيت هذا فأخذه فلم يأخذ إلا ساعة وإذا
برجل دخل عليه ووضع بين يديه ذهباً فuded الشیخ فإذا هو ثلاثون دیناراً لنزل كل
دائرة على دینار فإذا هو قدرها ، فقال : كلوا من فتوح اسماعيل . مات ببغداد
سنة ثلث وستين وخمسمائة وقبره بها ظاهر يزار وله مهابة وأنوار ، وله ولد
اسمه عبد الرحيم أبو الرجاء وأخر اسمه عبد اللطيف ترجمها ابن السمعانى في
الذيل ، وقال ابن الملقن : ولأبي النجيب يعني صاحب الترجمة أخ يقال له : أبو
حفص عمر سمع وتفقه وتصوف واعتزل حتى مات سنة اثننتين وثلاثين وخمسمائة .

(٤٢٤) عبد القادر بن موسى بن يحيى الجيلاني الحنبلي^(١)

من ذرية الحسن رضي الله عنه الذي طار ذكره في الآفاق وأجمع على إمامته أهل الخلاف والوفاق ، كان جرىء اللسان ثابت الجأش والجنان ، وله إقدام وقدKen أقدام ، ملوكى الفتح عظيم المنزلة في التصريف كثير الشطح ومواعظه مشحونة بلطائف ورقائق ، يرجى الرجاء منها وتخشى الصواعق ، ومجالس يشنى عليها الأئمة ولو سكتوا أثنت حدائق الحقائق ، وكان في الفقه إماماً وفي التصوف لا يسام رفقه ولا يساما ، قد تصلع من الأصول والفروع ، وتقديم على غيره في كل فن مشروع ، قل نظيره وعلا على أعلى الأطلس أثيره ، اعترف له بذلك كل فقهاء عصره وصوفية مصره وحسبك قول العز بن عبد السلام في حقه : بلغت الإمامة مبلغ القطع . ولد ببغداد سنة سبعين وأربعين وعشرين ونشأ بها حتى شب فسلك طريق القوم وجده واجتهد وكابد الأهوال حتى كان يلف على رأسه خريقة ويلبس جبته ويمشي حافياً ويتنقّل بقمامنة البقل وورق الخس ويجهاد نفسه بأنواع الشدائـد . وأقام في خرائب العراق خمساً وعشرين سنة لا يعرف الناس ولا يعرفونه ، وأتاه الخضر عليه السلام مرة وهو لا يعرفه فقال له : أقعد هنا آتك ، فقعد في ذلك الموضع ثلاثة سنين وأقام في بدايته سنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ، واحتلم في ليلة في الشتاء أربعين مرة يغتسل بكل مرة ولم يزل على ذلك الحال حتى طرقه الحال فهام في البراري والجبال إلى أن اتصف بالكمال ورزق القبول التام عند الخاص والعام ، فكان يأتيه الخليفة فمن دونه ، وعلى عدم زيارته إياهم يعتباـنه ، فيأبـي ولا يجـيب ، ويبـالـع بـزوـاجـ المـواـعظـ حتى يـكـثـرـ النـحـيـبـ ، وـلـمـ يـقـمـ لأـحـدـ مـنـهـ قـطـ وـلـاـ يـعـبـأـ بـهـ وـلـاـ يـلـتـفـتـ إـلـيـهـ وـكـانـ عـلـىـ زـىـ الـعـلـمـاءـ يـتـطـيلـسـ وـيـرـكـبـ بـغـلـهـ وـتـحـمـلـ الغـاشـيـةـ بـيـنـ يـدـيـهـ ، وـيـجـلـسـ لـلـوعـظـ عـلـىـ

(١) مؤسس الطريقة القادرية ، المتوفى سنة ٥٦١ هـ ، انظر ترجمته في فوات الوفيات ٢/٢ ؛ وطبقات الشعراـنـيـ ١٠٨/١ - ١١٤ ؛ والنـجـومـ الـزاـهـرـةـ ٥/٣٧١ ؛ ونـورـ الـأـبـصـارـ ٢٢٤ ؛ والـشـذـراتـ ١٩٨/٤ ، والأـعـلـامـ للـزـركـلىـ ٤٧/٤ .

كرسي عال ، وربما مشى فى الهواء على رءوس الإشهاد ثم عاد ، وكان مع ذلك يجلس مع الفقراء ويقلل لهم ثيابهم ، وله المنزلة العظمى فى قلوب الكافة تخرج به رجال كثيرون وورث مقامه ابن شبل رضى الله عنه من رجال الله رجل واحد وقد يكون امرأة فى كل زمان آيته (وهو القاهر فوق عباده)^(١) له الاستطالة على كل شيء سوى الله . شهم شجاع مقدم كثير الدعوى بحق يقول حقا ويحكم عدلا . قال وكان صاحب هذا المقام عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ببغداد ، وكان له الصولة والاستطالة على الخلق بحق كبير الشأن مشهور الذكر لم أقله وقد درج اه .

قال زورق رضى الله عنه : صرخ بالقطبانية وظهر برهانها عليه . ولما قال محمد بن قائد على ما ستجىء حكايته فى ترجمته : رأيت فى دخولى عليه أثر قدم أمامى تعرت فقيل : لى هذا قدم نبيك إلى آخره . وسئل عن عبد القادر رضى الله عنه فقال ما رأيته فى الحضرة ؟ فقيل : بذلك لعبد القادر رضى الله عنه فقال : كنت في المخدع ومن عندي خرجت له النواله يعني الخلعة . قال العارف ابن عربى : وكان كما قال دائمًا في المخدع ولم يسم المكان وعينه بهذا الاسم ليعلم بخادع الله محمد بن قايد حين حكم بأنه ما رأى عبد القادر رضى الله عنه في الحضرة في معرض التباسه عليه ، فإن حضرة ابن قائد في هذه الواقعة حضرته الخاصة به من حيث معرفته بريه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر فستر عنه مقام عبد القادر خداعا . وقول عبد القادر رضى الله عنه من عندي خرجت له النواله يدل على أنه كان شيخه في تلك الحضرة وعلى يده استفادها ، وجهل ذلك ابن قائد فإن الرجال في ذلك كانوا تحت عبد القادر فيما حكى الناس أحواله وأحوالهم . وكان يقوله عن نفسه فيسلم له حاله ، فإن شاهده يشهد له بصدق دعواه فإنه كان ذا حال ربانية مؤثرة مدة حياته لم يكن صاحب مقام ، وما انتقل إلى حال أبي السعود رضى الله عنه وإن كان

تلميذه إلا عند موته ، وهي الحالة الكبرى ، وكانت هذه الحالة مستصحبة لأبي السعود رضي الله عنه طول حياته ، فكان عبداً محضاً لم تشب له عبوديته إلى هنا انتهى كلامه رضي الله عنه : قال في موضع آخر : قد رأينا في رجال الروائح جماعة وكان عبد القادر الجيلاني ، رضي الله عنه ، منهم يعرف الشخص بالشم . جاءه ابن قائد وكان يرى لنفسه خطأً في الطريق فشمه نحو ثلاثة مرات ، ثم قال : لا أعرفك فكان تربية في حقه ، فعلت همة ابن قائد رضي الله عنه حتى التحق بالأفراد .

(ومن كرماته) أنه كان أيام رضاعه لا يرضع في رمضان فكان الناس إذا شكوا في الهلال رجعوا إليه . وكان الذباب لا يصيبه وراثة من جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد يتوضأ فزق عليه عصفور فرفع رأسه إليه فخر ميتاً فتصدق بشويه وقال : إن كان علينا إثم بهذه كفارته . وأقام أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء . وقال لرجل : لفلان عندك طعام وذهب جئني بهذا : منه فقال : كيف أتصرف في وديعة ، قال : لا بد فأحسن الظن به وأتاه بما طلب وبعد مدة جاء مكتوب من مالك الوديعة وهو بالعراق أن أحمل للشيخ كذا ، وعين القدر الذي أخذه الشيخ ، وكان يفتى على مذهب الشافعى وأحمد معاً رضي الله عنهم فتعجب علماء العراق من حسن أجوبته ، وأتى يوماً بفقير يزعم أنه يرى الله بعينه فقال : أحق ما قيل عنك فاعترف فرجره وهدده أن فاه بذلك ثم قال لحاضريه : هو محق في قوله ملتبس عليه ، فإنه شهد بصيرته نور الجمال ثم خرق منها بصره منفذ فرأى بصره بصيرته وليس كذلك ، بل رأى بصره نور بصيرته فقط ، ورأى مرة نوراً ملأ الأفق ونودى منه أنا ربك وقد أبحث لك المحرمات ، فقال أحسأ يا لعين فانقلب النور دخاناً وظلاماً ، فقال : نجوت مني بفقهك في أحكام منازلاتك وقد أضللت بهذا سبعين صديقاً ، فسئل : بما عرفت أنه شيطان؟ قال : بقوله : أبحث لك المحرمات ، واجتمع له بيغداد مائة من أكابر الفقهاء وأتوه

لامتحانه فظهرت منه بارقة نور مرت على صدورهم فصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رءوسهم فصعد الكرسي وأجاب عن جميع ما عندهم ، وسقط عليه وهو يدرّس حية ففر من حضر ، فدخلت من ذيله وخرجت من طوقه والتفت على عنقه ، فلم يقطع كلامه ولا تغير ، ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لا يفهم وانصرفت ، فسئل عنها فقال : قالت اختبرت عدة أولياء فلم أجد كثباتك ، فقلت ما أنت إلا دويبة يحركك القضاء والقدر .

(ومن كلامه) : لا يبرا الرجل من العجب إلا أن شاهد أمره كلها من الله ، وأخرج نفسه من البين .

وقال : إذا سألت ربك حاجة فتعامي عن الجهات كلها ولا تنصل على جهة معينة ، فإن ربك غيور فلا يفتح لك باب فضله وأنت محجوب عنه ناظرا إلى جهة أحد من عبيده .

وقال : من طابت نفسه أن يقرأ على أحد من أقرانه أو يتلذذ له خرج من رعونات نفسه ، وذلك من أعلى رياضات النفس بل أعلى من الجوع والسهر والعزلة .

وقال : من عرف من أين جاء عرف إلى أين يصير وهنا أسرار لا تفشي .

وقال : الهمة أن يتقوى العبد بنفسه عن حب الدنيا ، وبروحه عن التعلق بالآخرة ، ويقلبه عن إرادته غير مراد ربه ، ويسره عن لمح الكون أو خطوره بباله .

وقال : ما دمت تراعي الخلق لا تهتم لعيوب نفسك ، وما دمت تراعي نفسك ، فأنت محجوب عن ربك .

وقال : لا يكمل الفقير إلا بتجريد التوحيد مع الوقوف على قدم العبودية ولا لشيء . وقال : احذروا ولا تأسوا ، وخافوا ولا ترکنوا ، وفتثوا ولا تغفلوا ولا تضييفوا إلى أنفسكم حالا ولا مقاما ولا تدعوهما ولا تخربوا بما يطلعكم الله عليه من الأحوال ، فإنه ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ . وقال : لا تشكون

ضرا نزل بكم لغير الله » وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو »^(١) واحذر
أن تشكو ضيق رزقك وعنديك قوت يوم ، فربما عسر عليك أسباب الرزق عقوبة
لك عن كفرانك .

وقال : النعم واصلة إليك بالقسمة اجتليتها أم لا ، والبلوى حالت بك وإن
كرهتها . فسلم لله في الكل يفعل ما يشاء : فإن أتتك نعمة فاشتغل بالذكر
والشكر أو بلوى وبالصبر والموافقة وعلامتهما التلذذ والرضا بالقضاء .

وقال : لا يصلح لمجالسة الحق إلا المتطهر من وثن الزلات ولا تفتح
أبوابه تعالى إلا ملن خلا عن الرعنونات والدعاوي .

وقال : دوام البلاء خاص بأهل الولاية الكبرى ليكونوا عاكفين على
مناجاته .

وقال : إذا رأى الحق ميل وليه إلى أهل أو مال أراحه منهما غيرة
عليه .

وقال : قد يلاحظ الحق عبده ويفتح قبالة قلبه بباب الرحمة والمنة فيرى
بعين قلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من مطالعة الغيوب والقرب والخطاب
اللطيف والوعد الجميل ونحوهما ، ثم في لمح البصر يغير ذلك عليه ويفتح عليه
باب المحن والهم والحزن فيصير متحيرا منكسرًا إن تأمل ظاهره وجد ما يسوءه أو
باطنه رأى ما يحزنه ، وإن سأله كشف ما به من الضر لم يجب وإن طلب الرجوع
إلى الخلق لم يكن وان عمل بالرخص تسارعت به العقوبة ، وسلط عليه بالأذى ،
إن طلب الإقالة لم يقل ، وإن رام التنعم بما به من البلاء لم يعط ذلك فيشتد
البلاء ، وتأخذ النفس في الذبول والذوبان حتى تفني أوصاف بشريته ويصير روحًا
فقط ، فهناك يسمع النداء من قلبه : « أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب »
فيرد الله عليه أزيد من تلك الخلع ويتولى تربيته بنفسه « فلا تعلم نفس ما

أخى لهم من قرة أعين ﴿ .

وقال : إنما كلامى على رجال من وراء جبل قاف أقدامهم فى الهواء
وقلوبهم فى حضرة القدس تكاد قلائهم تحترق من شدة شوقهم إلى ربهم ، ولما قال
وهو جالس على منبر وعظه : قدمى على رقبة كل ولى فسمعه العارف الرفاعى
رضى الله عنه من بلدة أم عبيدة طأطاً رأسه وقال وعلى رقبتى ، وقال : الاغترار
بصفاء الأوقات فى طيه آفات .

وقال : إنما لم يخيب الحق عبده فى كل ما طلب رحمة وشفقة عليه أن
يغتر بذلك فيتعرض للمكر به ويغفل عن آداب الخدمة ، وكما أنه تعالى دعا عبده إلى
فعل كل مأمور فلم يفعل إلا بعضا ، ودعاه فلم يجب إلا فى بعض جزاء وفاقا .

وقال : علامة ابتلاء العبد على وجه العقوبة عدم الصبر عند البلوى
والشكوى للخلق على جهة التكفير الصبر وعدم الضجر وعلى وجه رفع الدرجات
الرضا والموافقة والسكنون تحت جريان الأقدار .

وقال : علامة حب الآخرة الزهد فى الدنيا ، وعلامة حبه تعالى الزهد
فيما سواه .

وقال : مadam فى قلب العبد شهوة لما يكرهه الله فهو عدوه .

وقال : كلما جاهدت النفس فى الطاعة حيث ، وكلما أكرمتها ولم
تهنها فى رضاها ماتت ، وهذا معنى خبر « رجعتم من الجهد الأصغر إلى الجهد
الأكبر » .

وقال : أعطانى الله ثلاثين عهداً وميشاناً أن لا يذكر بي ، فقيل له :
فهل أمنت بعد ذلك ؟ قال : لا بل حالى بعد العهد كقبله .

وقال : المدد الإلهى موزع على المعانى ، فما فى القلب يظهر على
الوجه وما فى النفس يظهر فى الملبوس ، وما فى العقل يظهر فى العين ، وما

في السر يظهر في القول ، وما في الروح يظهر في الأدب ، وما في الصورة يظهر في الحركة ، وكلامه ومناقبه قد أفردت بالتأليف .

وقال في الفتوحات وكان يقول : قدمي على رقبة كل ولئن من باب التحدث بالنعمة ، فلما احتضر قال : ليت أمي لم تلدني ، وكان تحت رأسه مخدة ، فقال : انزلوا خدي عنها وضعوه على التراب لعل الله يرحمني ، ثم قال : هذا هو الحق الذي كنا عنه في حجاب ، قال : أعني العارف ابن عربى : العارف أبو السعود بن شبل رضى الله عنهما أعلى مقاما من شيخه الجيلانى رضى الله عنه ، فإنه عرض عليه التصرف فأباه ، والجيلانى رضى الله عنه تصرف وكان الأولى تركه . مات رضى الله عنه سنة نيف وستين وخمسمائة ببغداد .

(٤٢٥) عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الأفريقي^(١)

ثم الإشبيلي الصوفى المشهور بين الأعيان بابن برجان ، تورع وتزهد وتنساك وتعبد وتقمص بالصوف وترك لبس الشفوف وسلك طريق النجاة ، وقص جناح ذوى الجناح .

قال ابن الآبار : كان عارفا بالقرآن والحديث والكلام والتحقيق والتتصوف ، وبه اشتهر مع الزهد والورع والاجتهاد في العبادة ، وله تصانيف مفيدة منها : تفسير القرآن وشرح الأسماء الحسنى . قال عبد الملك في ذيل تاريخ ابن شكون ، سعى عليه سعاية باطلة عند على بن يوسف بن تاشفين ، فأحضره إلى مراكش ، فلما وصل إليها قال له : لا أعيش إلا قليلا ولا يعيش الذي أحضرني بعدى إلا قليلا فعقد له مجلس مناظرة وأوردوا عليه المسائل التي

(١) الشبكى ، نيل الابتهاج ١٦٢ : وابن الآبار ، التكملة ، ٥٥٩/٢ - ٥٦٠ : وفوات الوفيات ٢٧٤/١ ، واليافعى ، مرآة الجنان ٢٦٧/٣ - ٢٦٨ ، ومفتاح السعادة ٤٤١/١ : وابن حجر ، لسان الميزان ١٣/٤ - ١٤ : والشنرات ١١٣/٤ : وكحالة ، معجم المؤلفين ١٧٨/٥ و ٢٢٦ .

أنكروها فأجاب ، وخرجها مخارج محتملة مقبولة فلم يقنعوا منه ؛ بذلك لأنهم لم يفهموا مقاصده وقرروا عند السلطان أنه مبتدع فحبسه فمرض بعد أيام قليلة ومات في الحبس سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، ومات على بن يوسف بعده في رجب سنة سبع وثلاثين ولما قيل له : إنه مات أمر أن يطرح على مزيلة بغير صلاة عليه وأن لا يدفن بحسب ما قرره معه من طعن عليه من المتفقين ، فاتفق أن بعض أهل الفضل لما بلغه وفاته أرسل عبداً أسود نادى جهاراً في الأسواق : احضروا جنازة فلان ، فامتلأت الرحاب من الناس وضاقت البلد عنهم فغسلوه وصلوا عليه ودفنه ولم يستطع السلطان وأعوانه ومتفقهاته أن يفعلوا شيئاً .

(٤٢٦) عبد الرحيم بن أحمد بن حجون^(١)

الشريف الحسيني النسيب البستي الأصل القنائى ، صاحب الکرامات والخوارق ،
قدم من المغرب فأقام بمكة سبع سنين ، ثم رحل إلى الصعيد فقطن قنا حتى مات .
أخذ عن الشيخ أبي يعزى رضى الله عنه ، وعنـه أبو الحسن الصباغ
رضى الله عنه ظهر سره فيه حتى تطرق بالمعارف ملء فيه ، وكان لصاحب
الترجمة القبول التام بين المخاص والعام ، وهو أحد من جمع الله له بين الحقيقة
والشريعة وأثاره مفتاحاً من علم السر الموصون وكثراً من معرفة الحكمـة والكتاب
المكونـون ، وكان إذا سمع المؤذن يتـشهد يقول : شهدنا بما شهدنا ووـيل من كذب
على الله ، وكان يقول : أدركت جميع صفات الله إلا صفة السمع ، وكان جميع
المتكلمين يذبذبون حول الحق ولا يصلون إليه أبداً ، ونزل مرة شيخ من الجـوـ فى
مجلسـه فأطرقـ الشـيـخ ثم رفع رأسـه إـلـيـه فارتـفع فـسـئـلـ عـنـه فـقـالـ : هـذـا مـلـكـ
صـدـرـتـ مـنـهـ هـفـوةـ بـالـنـظـرـ لـقـامـهـ فـاستـشـفـعـ بـىـ فـشـفـعـتـ فـيـهـ ، وـكانـ إـذـاـ اـسـتـشـارـهـ
إـنـسـانـ يـقـولـ لـهـ : أـمـهـلـنـىـ حـتـىـ أـسـتـأـذـنـ لـكـ جـبـرـيـلـ فـيـطـرـقـ ثـمـ يـقـولـ : اـفـعـلـ أـوـ لـاـ

تفعل ، والمراد به ملك غير جبريل الأنبياء عليهم السلام . وكان إذا قال لعامى أو طفل تكلم على هذه الآية نطق بالعجبائب فإذا قال له : اسكت لا يمكنه النطق بحرف . ومر به كلب فقام له فسائل قمت إجلالا لأثر الخرق ففتشر فوجد بعنقه خرقة من أثر صوفى وكراماته غنية عن التعريف لا يسعها تأليف ، وإنما ذكر منها القليل .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد ذكره الحافظ المنذري في تاريخه فقال : كان أوحد زمانه ، أحد الزهاد المشهورين ، من أعيان الصالحين . ولهم مقالات في التوحيد ومسائل في علوم القوم ، وكان مالكيا . قال الكمال بن عبد القاهر : زرت قبره وجلست عنده فخرجت يده من قبره وصافحتني وقال : يا بنى لا تعص الله طرفة عين فإني في عليين ، وقد جربوا إجابة الدعاء عند قبره يوم الأربعاء وقت الظهر يمشي الإنسان حافيا مكشوف الرأس ويصلى عنده ركعتين ويقرأ شيئا من القرآن ثم يقول : اللهم إنيأتوجه إليك بجاه نبيك محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبأبوبينا آدم وحواء عليهما السلام ، وبما بينهما من الأنبياء والمرسلين وبعبدك عبد الرحيم اقض حاجتي وتذكرها تقضي ، مات رضي الله عنه سنة اثننتين وتسعين وخمسين وسبعين ودفن بقنا من صعيد مصر . قال بعض جماعته : ولو مكنت لم أدفعه بل أدعه على وجه الأرض فكل من رأه نطق بالحكمة ، وخلف أولاداً نجباً منهم الشهير فتح الدين فقيه فاضل ، اختصر الروضة .

(٤٢٧) عبد الملك الطبرى (١)

صاحب الأحوال والكرامات والجد في العبادات ، نزيل الحرم وشيخه في عصره ، كان أحد المشهورين بالورع والزهد ، وأقام بمكة أربعين سنة على الجهد والاجتهاد والرياضة وقهر النفس ، وكان أولاً يتلقى بالمدرسة النظامية فلاخ له

شيء فخرج على التجريد إلى الأقطار الحجازية ، ولم يزل حتى صار رأساً في تخلص الأخلاق من الكدورات البشرية مطهر لنفوس من قذى الأذى لتعود كما كانت في أصلها نقية تقية ، وكان يلبس ويأكل الخشن .

(ومن كراماته) : أنه كان هناك حوض وماء في أسفله فلا يصل إليه غير يد الشيخ يتوضأ منه يرتفع له ثم يعود بعد فراغه .

وقال المragي^(١) : قصدته يوماً فلم أره في موضعه ، وكنت أسمع صوتاً فطلبته فوجده في خربة ، وكان ذلك الصوت من غليان صدره ، وكان لا ينام بالمسجد ، فسئل عن ذلك فقال : نمت ليلة به فدخل شخصان فقالاً لا تنام به قلت من أنتما ؟ قالاً : ملكان ، فما نمت فيه بعد ، وقال : رأيت عجباً بالحرم حمامه بيضاء طافت أسبوعاً بالكعبة ثم جاءت ووقفت على باب الكعبة .

(٤٢٧) عثمان بن مرزوق القرشى^(٢)

العالم العابد العارف الزاهد ، وكان ذا علم وفضل وخير وعدل ، وهمة بلغت في السلوك السماك ، وعزمه ليس لها عن الحزم انفكاك ، وهو من مشاهير مشايخ مصر ، وكان يفتى بها على مذهب الإمام أحمد ، رضي الله عنه ، وانتهت إليه الرياسة في طريق الصوفية وقد لكشف منازلاتهم ، وكان لا ينكرها عليه أحد إلا بهت عند رؤيته وانجحاب ، وقال : الاعتراف بولايته أولى وأليق بالصواب ، ما أنت ومكاثرة هذه الغمائم ومكابرة هذه السمائم ومنافحة هذه الكمامئ ومناوحة هذه الحمائ .

(ومن كلامه) : لا سبيل لأحد معرفة كنه ذات الحق تقدس ، وإنما يصل

(١) وهو زين الدين بن الحسين المragي نزيل المدينة المنورة ، وهو صاحب كتاب « تحقيق النصرة بتخلص معالم دار الهجرة » المتوفى سنة ٨١٦ هـ .

(٢) البهانى ، ١٤٢/٢ .

الناس من معرفته إلى الاعتبار بآياته ومصنوعاته .

وقال : لو تناهت الحكم الإلهية في حد العقول أو انحصرت القدرة الربانية في درك العلوم ، كان ذلك تقصيرا في الحكمة ونقصا في القدرة .

وقال : جميع المخلوقات من الذرة إلى العرش طرق متصلة إلى معرفته وحجج بالغة على أزليته والكون كله ألسن ناطقة بوحديّته .

وقال : من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه لمعرفته بأنها مأوى كل شر .

وقال : من لم يقدر على صحبة مولاه لقلة صبره عليه ابتلى بصحبة العبيد .

وقال : من تحقق بالرضا تلذذ بالبلاء .

وقال : من حلية العارف الخشية والمصيبة .

وقال : دليل تخليطك صحبتك للمخالطين ، ودلالة بطالتك ركونك للبطالين ، ودليل خستك أنسك بالمستوحشين . وكان له ستمائة مرید فطلبوه منه أن يحدثهم بشيء من الحقائق فقال : لر تكلمت بكلمة واحدة منها أفتى بقتلني أعظمكم وأجلكم .

(ومن كراماته) أنه كان يخرج من بيته بصر بعد العشاء فيطوف بالبيت ويشرب من ماء زمزم ثم يزور المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم ببيت المقدس ثم يعود إلى بيته قبل الفجر ، وكان يتكلم بجميع اللغات ، وإذا أراد إنسان أعجمي أن يتكلم بالعربية أو عكسه تفل في فيه فيصير يعرف تلك اللغة ، وزاد النيل زيادة كادت مصر أن تغرق وثبت فلم ينزل فرعون أهلها على الجلاء وضجوا وفات وقت الزرع فأتوه فتووضأ منه فنقص فى الحال نحو ذراعين وانكشفت الأرض ، وتوقف عن الزيادة فى بعض الأعوام فغلا السعر فتووضأ منه

بإبriق فارتفع حتى خافوا الغرق . مات سنة أربع وستين وخمسمائة عن نحو سبعين سنة ، ودفن بالقرافة^(١) فيما بين الشافعى ، رضى الله عنه ، والجبل وقبره بها ظاهر يزار .

(٤٢٩) عدى بن مسافر^(٢)

حبر جوهره فاخر ويحر موجه زاخر ، وصوفى شهابه ساطع وسيف عزمه قاطع . وهو من أجلة مشايخ العراق وأحد أركان الطريق ، أئمى عليه العارف الكيلانى رضى الله عنه ونوه بذكره وشهد له بالسلطنة على أهل مصره ، وقال : لو كانت النبوة بالمجاهدة لنالها عدى . وكان إذا سجد سمع لمحه فى رأسه صوت كوع الحصاة فى القرعة البالية ، وكانت السباع والهوا تألفه وتحوم حوله وتظهر أنها تعرفه ، وكان له مع ذلك مواعظ ترق كالماء انسجاما ، وتروق كالزهر ابتساما .
 (ومن كلامه) : إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات الخوارق فلا تعبوا به حتى تنظروه عند الأمر والنهى ، فإن جمعاً من الكفار أظهروا خوارق وعجائب وهم كفار .

وقال : من لم يأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد كل من تبعه .

وقال : من اكتفى بالكلام من غير عمل انقطع عن الله ، ومن اكتفى بالتعبد من غير فقه خرج عن الدين ، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر بالله ، ومن قام بما عليه من الأحكام نجا .

وقال : أول ما على سالك طريقنا ترك الدعاوى الكاذبة وإخفاء المعانى الصادقة .

(١) المقريزى ، الخطط ، ٢٠٣/٢ .

(٢) طبقات الشعرانى ١١٨/١ ، والشذرات ١٧٩/٤ - ١٨٠ : والنبهانى ، ١٤٧ / ٢ : والأعلام للزرکلى ، ١١/٥ : وكحالة معجم المؤلفين ، ٢٧٥/٦ ، والساخوى الحنفى ، ٣١٨ .

وكان أكثر إقامته بالجزيرة السادسة من البحر المتوسط . وكان يأمر الريح أن تسكن فتسكن فوراً . مات سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

(٤٣٠) عقيل المنىحي^(١)

شيخ شيوخ الشام في وقته ، تخرج به جمع من الأكابر وهو أول من دخل بالحرقة العمريّة إلى الشام وعنه أخذت ، ويسمى بالطيار لأنّه لما أراد الانتقال من محل إقامته ببلاد المشرق صعد المنارة وقال : يا أهل القرية فاجتمعوا فطار في الهواء والناس ينظرون فجأوا فوجدوه مبنيّع .

(ومن كلامه) : طريقنا الجد والكدر ولزوم الحد حتى تنقد ، فإذا ما أن يبلغ الفتى مناه وإما أن تموت يداه .

وقال : من تطلب نفسه حالاً أو مقاماً ، فهو بعيد من طرق المعارف .

وقال : الفتوة رؤية محاسن الناس والغيبة عن مساوئهم .

وقال : فقد الأسف والبكاء في مقام السلوك علم من أعلام الخذلان .

(ومن كراماته) : أنه كان إذا نادى وحوش الفلووات جاءت صاغرة حتى تسد الأفق ، وكان عكاذه لا يستطيع أحد حمله مطلقاً . توطن مبنيع نيفا وأربعين سنة ، وبها مات وقبره بها ظاهر يزار .

(١) نسبة إلى منيحة من قرى دمشق بالغوطة ، ياقوت ، معجم البلدان ٢١٧/٥ ، وقيل : المنجبي نسبة إلى منيحة ، ياقوت ، ٢٠٥/٥ ، وانظر ترجمته في طبقات الشعراني ١١٧/١ : والنبهاني ١٥٣/٢ - ١٥٤ .

(٤٣١) على بن إبراهيم الاتصاري^(١)

الفقيه الزاهد العابد المعروف بابن بنت أبي سعد كان أولاً يوم وفته ثم رأى في نومه أن نصارياً بيده عود ينقط به كل من دخل السوق نقطة سوداء ، فانتبه مروعياً وأوله ببقعات الخلق ثم انقطع للتعبد والمجاهدة حتى صار من أرباب الأحوال .

(ومن كراماته) : أنه كانت الشعابين تشرب من يده ، وكان إذا رقى مريضاً عوفى ، وكان نصراً بقرية فاحضر فأرسل الشيخ إليه ورقة فيها الشهادة فبمجرد رؤيته إليها أسلم هو وأهل بيته وجعلت معه في كفنه فقيل له في النوم : ما فعل بك ؟ قال : غفر لى بتلك الواقعة . مات سنة أربع وستين وخمسماة ولما وضع على المغتسيل سمع من يقول ولا يرى شخصه : هنيئاً لك يا من قدم على الله بقلب خاشع وبصر دامع ، ودفن بالقرافة .

(٤٣٢) على بن أحمد الزيدى العلوى^(٢)

صالح عابد ، ناسك زاهد ، محقق عارف ، ورع بحرم التقوى طائف ، يتصل نسبه بزيد بن على رضي الله عنهما ، وكان يشار إليه بالزهادة والعبادة وحسن الطريقة ، وصحة العقيدة على الحقيقة ، وطلب العلم ودرسه والسعى في تحصيله ، وحصل له القبول التام عند سائر الأنام ، وهو مع ذلك في غاية التواضع ونهاية التمسك ، وكان إذا صحبه أحد اكتسب من توكله ما يزيده إيماناً واعتقد أن الله يرزقه كما يرزق الطير التي غدت خاماً وراحت بطاناً .

(ومن كلامه) : اجعل النفل كالفرض والمعاصي كالكفر ، والشهوات كالسموم ، ومخالطة الناس كالنار ، والغذاء كالدواء ، تسلك طريق الأبرار .

(١) النبهاني ١٦٠/٢

(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٩ - ١٥٠ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ٧/٢٧ .

(٤٣٣) على الكردي الدمشقي^(١)

إمام وقته وزمانه ، فريد عصره لا يصل إلى مكانته ، ذا رتبة جل قدرها ، ومنزلة ساد بالرفة ذكرها ، كان ظاهر الوله يتحكم فى أهل دمشق وله عندهم صولة .

وله كرامات كثيرة ووقائع بينهم شهيرة ، ولما قدم العارف الشهاب السهروردى رضى الله عنه دمشق برسالة الخليفة إلى الملك العادل أراد زيارته فقالوا له : لا تفعل أنت إمام الوجود وشيخ الدنيا ، والرجل لا يصوم ولا يصلى ويعشى مكشوف العورة غالبا ، فقال : لابد فقالوا : هو فى الجبانة ، وذلك أنه دخل دمشق مولد آخر وهو الشيخ ياقوت فساعية دخوله دمشق ، خرج الشيخ منها وسكن جبانتها وما دخلها بعد حتى مات رضى الله عنه ، فركب السهروردى بغلته وحوله الجمع الجم فلما وصل إلى قرب مكانه ترجل ، فلما رأه الكردى كشف عورته فقال له : لا تصدنا بذلك ونحن أضيفاك وإذا بحاملين جاء بطعم كثير لا يدرى من أين جاء افوضعاه بين يديه ولم يزل كذلك حتى مات رضى الله عنه ودفن بباب الصغير .

(٤٣٤) على بن وهب السنجاري^(٢)

العايد الزاهد صوفى عارف لا معارض له فى التقدم ولا مخالف ، كان حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ولم يخطر بباله الاشتغال بالطريق ، فرأى الصديق رضى الله عنه فى النوم وقال : أمرت أن ألبسك هذه الطاقية فألبسه ثم بعد أيام

(١) النبهانى ، ١٦٩/٢ .

(٢) نسبة إلى سنجار ، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، ياقوت ، معجم البلدان ٢٦٢/٣ . وسماء النبهانى ، جامع كرامات الأولياء ، ١٦٢/٢ ، على بن وهب الريبى : وطبقات الشعرانى ، ١١٩/١ .

رأى الخضر عليه السلام فقال : اخرج إلى الناس وانفعهم فتثبت ، فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ثالثة وأمره بذلك في أول الليل . ثم رأى في آخره الحق عز وجل وقال : يا عبدى جعلتك من صفوتنى في أرضى فخرج فهرعوا إليه من كل جانب ، وانتهت إليه تربية المربيدين بسنجار ، وأخذ عنه الأكابر كسويد السنجاري^(١) ، والجاوى والسعد ، ومات عن أربعين خادما كلهم من أرباب الأحوال واجتمعوا بعده في روضة . فجعل كل منهم يأخذ منها قبضة من نباتها ويتنفس فيها فتصير أزهاراً مختلفة اللون كأحمر وأصفر وأخضر ، فأقر بعضهم البعض بالتمكين والتصرف .

(ومن كلامه) : معرفة الله عزيزة لا تدرك بالعقل بل يقتبس أصلها من الشرع ، ثم تتفرع حقائقها على قدرقرب ، فقوم عرفوا بالوحدانية ، وقوم بالقدرة فتخبروا ، وقوم بالعظمة فوقفوا على أقدام الدهش ، وقوم بعزة الإلهية فتنزهوا عن الكيفية والماهية ، وقوم عرفوه بلا خيرة فأراهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت .

وقال : الزهد أعم من الورع ، لأن الورع فيه إبقاء شيء والزهد فيه قطع الكل .

وقال : من سكن سره إلى غير الله نزع الرحمة من قلوب الخلق عليه ، وألبسه لباس الطمع فيهم فلا يرجع عن سؤالهم ولا يعطوه شيئا . مات بسنجار .

(٤٣٥) على بن الهيثى^(٢)

نسبة لهيت قرية من قري العراق ببغداد وهو من أجلة مشايخه وأعيانهم ، وأحد أركان الطريق ، وعظ وروي وأفاد وأرشد المربيدين إلى سلوك

(١) طبقات الشعرانى ١/١٣١ .

(٢) طبقات الشعرانى ١/١٢٥ : والنبهانى ٢/١٦٠ - ١٦١ .

طريق الرشاد ، قد حوت جوامع كلمه كل غريبة ، وأتت بداعع معانيه بكل عجيبة ، وقيل : إنه تقطب ، وكان العارف الجيلانى رضى الله عنه يعظمه ويقول : ما من الأولياء إلا وهو فى ضيافتنا إلا ابن الهيتى فإننا فى ضيافته ، وقد انفتح رتق قلبه وهو ابن سبع سنين ، فكان يخبر باللغبيات ويظهر الكرامات ، ومكث ثمانين سنة لا خلوة له ولا معزل ليلاً ونهاراً بل ينام بين القراء .

(ومن كلامه) : علامة صحة الحال كون صاحبه محفوظاً حال غيبته
حال صحوه .

وقال : الحق تعالى وراء جميع ما أدركه الخلق بعقولهم وعلومهم
ومعارفهم ، مات سنة أربع وستين وخمسين عن نيف وعشرين ومائة سنة .

حرف القاف

(٤٣٦) القاسم بن محمد البصري^(١)

من أكابر مشايخ العراق المقصودين للزيارة والتبرك والتسليك من جميع الآفاق ، وكان جواداً سخياً صوفياً وفيا ، بحراً ، براً ، حلواً ، مراً ، يفتى على مذهب الإمام مالك ، رضى الله عنه ، ويعظ في الشريعة والحقيقة .

(ومن كلامه) : أرواح الواجبين عطرة لطيفة ، وكلامهم يحيى موات القلوب ويزيد في العقول .

وقال : لكل وجد لا يسقط التمييز ويجعل الأماكن كلها واحداً والأعيان كلها عيناً واحدة فليس بوجد إفا هو تلاعب .

وقال : الماجيد ثمرات الأوراد ونتائج المنازلات .

(ومن كراماته) : أنه كان إذا خرج من خلوته لا يمر بشجرة يابسة إلا

(١) طبقات الشعراني ١٢٩/١؛ والنبهانى ٢٣٥-٢٣٦.

اَخْضُرَتْ وَأَوْرَقَتْ لِلوقْتِ وَلَا يَرِيْدَ ذَا عَاهَةً إِلَّا عَوْفَى فُورًا . سَكَنَ الْبَصَرَةُ وَبِهَا مَاتَ فِي حَدُودِ السَّبْعِينِ وَخَمْسِمَائَةً ، وَلَا وَصَلَوْا عَلَيْهِ سَمِعُوا فِي الْجَوَافِ دُفُوفًا وَطَبُولًا تَحْسِرُبَ .

(٤٣٧) قضيب البان الموصلي

ذُو الْأَحْوَالِ الْبَاهِرَةِ وَالْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ ، كَانَ عَظِيمُ الشَّأْنِ وَرَحْلَةُ السَّالِكِينَ الْمُعْرُوفِينَ بِالْعِرْفَانِ ، رُوِيَ أَنَّ بِلْدِيَةَ الْكَمَالِ بْنَ يُونُسَ كَانَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ فَوْقُوكُمْ فِيهِ فَوَاقِعُهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ دَخَلُوا عَلَيْهِمْ وَقَالُوا : يَا ابْنَ يُونُسَ أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَنَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ فَلَمْ يَدْرِ أَبْنَ يُونُسَ مَا يَقُولُهُ لَهُ مُجِيبًا ، وَخَرَجَ أَبُو النَّجَا الْمَغْرِبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَلْدِهِ يَرِيدُ الْمَشْرُقَ وَمَعَهُ أَرْبَعُونَ وَلِيًّا ، فَكَانَ كُلُّ بَلْدٍ يَسْتَوْعِبُ مَا فِيهِ مِنْ الرِّجَالِ حَتَّى وَصَلَ الْمُوَصْلِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ فَإِذَا بِقَضِيبِ الْبَانِ خَرَجَ بِأَطْمَارِهِ وَشَعْثَهُ فَقَالَ : أَيْنَ الشَّيْخُ ؟ قَالُوا : خَرَجَ ، قَالَ : خَرَجَ يَتَشَيَّطُ فَغَضَبُوا ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ : كَذَبَ شَيْطَانَكَ فَغَضَبُ وَرَمَ بِأَطْمَارِهِ وَوَقَفَ عَرِبَانًا عَلَى جَنْبِ بَرْكَةِ يَصِبُّ الْمَاءَ بِيَدِهِ عَلَى بَدْنِهِ ، وَإِذَا الشَّيْخُ جَاءَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : صَدِقَ كُنْتَ مَعَ إِمَامِ الْمُوَصْلِ يَنْافِقُنِي وَأَنْافِقُهُ . ثُمَّ قَالَ قَضِيبُ الْبَانِ : خَبَرْنِي بِكُلِّ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ مِنْ بِلَادِكَ ، فَذَكَرَ رِجَالًا وَقَضِيبُ الْبَانِ يَقُولُ وَزْنَهُ رِبْعُ رَجُلٍ وَزْنَهُ نَصْفُ رَجُلٍ وَهَذَا وَازْنُ وَهَذَا كَامِلٌ وَهَذَا إِنَّ مَلَأَ صَيْتَهُ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنَ لَا يَسَاوِي عَنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعْوَضَةٍ ، وَسَئَلَ عَنْهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْكِيلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : هُوَ وَلِيُّ مَقْرُبٍ ذُو حَالٍ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ صَدَقَ عِنْدَهُ ، فَقَيْلَ لَهُ : مَا نَرَاهُ يَصْلِي ، فَقَالَ : إِنَّهُ يَصْلِي مِنْ حِيثُ لَا تَرَوْنَهُ وَإِنِّي أَرَاهُ إِذَا يَصْلِي بِالْمُوَصْلِ أَوْ بِغَيْرِهِ مِنْ آفَاقِ الْأَرْضِ يَسْجُدُ عِنْدَ بَابِ الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ أَبُو الْحَسْنِ الْقَرْشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : رَأَيْتَهُ فِي بَيْتِ الْمُوَصْلِ قَدْ مَلَأَهُ وَفَأَجَسَدَهُ فَوَا خَارِقًا لِلْعَادَةِ فَخَرَجَتْ وَقَدْ هَالَنِي مُتَخَطِّرٌ ثُمَّ عَدَتْ إِلَيْهِ فَرَأَيْتَهُ بِحَالَتِهِ الْمُعْتَادَةِ ، وَقَالَ الشَّيْخُ خَلِيلُ الْمَالِكِيُّ ، رَضِيَ

الله عنه ، صاحب « المختصر المشهور » : الولي إذا تحقق في ولايته تكون من التصور في روحانيته ويعطى من القدرة التصوير في صور عديدة ، وليس ذلك بحال لأن المتعدد هو الصورة الروحانية . وقال وقد اشتهر ذلك عند العارفين كما حكى عن قضيب البان ، رضي الله عنه ، لما أنكر عليه بعض الفقهاء الصلاة في جماعة ثم اجتمع ذلك الفقيه به فصلى بحضوره ثمان ركعات في أربع صور ثم قال له : أي صورة لم تصل معكم فقبل يد الشيخ وتاب . وقال بعضهم : كان قضيب البان ، رضي الله عنه ، من الأبدال واتهمه بعض من لم يره بتترك الصلاة وشدد النكير عليه فتمثل له على الفور في صور مختلفة وقال : في أي هذه الصور ما رأيتني أصلى ؟ ولا مانع من أن يخص الله من شاء من أوليائه بالتصريف في بدنين أو أكثر فيكون جسمه الأول بحاله لم يتغير ويقيم له شيئاً آخر وروضة تتصرف فيهما معاً في وقت واحد ، وقد أثبتوا عالماً متوضطاً بين عالم الأرواح والأجساد سموه عالم المثال ، وقالوا : إنه ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال . مات بالموصل قريباً من سنة سبعين وخمسين ، وقبره بها ظاهر يزار .

حرف الميم

(١) (٤٣٨) ماجد الكردي

كان من أعيان مشايخ العراق وصدر الراسخين إماماً ريانياً ، وصوفياً صمدانياً قد عرف الطريق وخبرها ، ودرّب أمورها ودبرها وقطع مفاوزها وعبرها ، فلذلك اتفقوا على كماله وأجمعوا على إجلاله ، وكان له رقائق تدل على الهدى ومواعظ تحلى صداً الصدا .

(ومن كلامه) : قلوب المشتاقين منورة بنور الله فإذا تحرك فيها الشوق أضاء نوره ما بين السماء والأرض فيباهي الله بهم الملائكة .

وقال : من لم يكن عنده أنس بربه فليس بحبيب .

وقال : العجب فضلة حمق يريد صاحبه أن يغطى به عيوب نفسه فلا يمكن .

وقال : ما أوجد الله عجيبة إلا أوصلها في صورة الآدمي فهو نسخة العالم المختصرة .

(ومن كراماته) أن رجلاً أراد الحج فأعطاه ركوة وقال : تجد فيها ماء إن أردت الوضوء ، ولبناً وسويقاً إن عطشت وجعلت ، فكان كذلك حتى عاد . وقال : ما يحدث في هذا الكون شيء إلا يعلمني الله قبله بوقوعه فقال له ابن عدى رضي الله عنه : من يشهد لك به ؟ قال : الخضر عليه السلام ، وله أربعون سنة يتרדّد إلى ، وإذا بالخضر عليه السلام جالس في الهواء يقول : صدق ماجد . مات سنة إحدى وستين وخمسة .

(٤٣٩) محمد الحصار المغربي الفاسي^(١)

كان من الأولياء الكبار وأعاظم الصوفية الأخيار . قال العارف ابن عربى رضي الله عنه رأيت العرش قد جعل الله له قوائم نورانية لا أدرى كم هى ، لكنى أشهد لها ونورها يشبه البرق ، ورأيت طيوراً حسنة تطير في زواياه فرأيت فيها طائراً من أحسن الطيور فسلم على فألقى لى فيه أن آخذه صحبتى إلى بلاد الشرق ، و كنت بمدينة مراكش حتى كشف لى عن هذا كله ، فقلت : ومن هو ؟ قيل لى : محمد الحصار بمدينة فاس ، سأله الرحلة إلى بلاد الشرق فخذله معك ، قلت السمع والطاعة فقلت له : وهو عين ذلك الطائر تكون

صحيحتى إن شاء الله فلما جئت إلى مدينة فاس سألت عنه فجأة ، فقلت : هل سألت الله في شيء ؟ قال : نعم أن يحملنى إلى بلاد الشرق فقيل لي إن فلانا يحملك وأنا أنتظرك منذ زمان فأخذته سنة سبع وتسعين وخمسين وأوصلته إلى الديار المصرية وبها ، مات رضي الله تعالى عنه ونفعنا به دنيا وأخرى .

(٤٤٠) محمد بن الفضل^(١)

الشيخ الإمام أبو الفتوح الإسفرايني ، أحد الأئمة المجتهدين في العبادة الناصرين للسنة الصابرين على المحن ، عليه جلاله وقبول ، ولديه أبواب من الخيرات وفصل . ولد سنة أربعة وستين وأربعين بإسپرایین وبها نشأ وتفقه على مذهب الإمام الشافعی رضي الله عنه ، وروى الحديث عن ابن عساکر وابن السمعانی .

وقال : ابن عساکر رحمه الله ، هو أجرأ من رأيته لسانا وأحدهم بيانا ، وأسرعهم جوابا ، وأحسنهم خطابا مع ما رزق بعد صحة العقيدة من الخصال الحميدة والسبايا الكريمة ، وقلة المراءة لأبناء الدنيا وعدم المبالغة بذوى المراتب العليا ، والتحلى بالتصوف والزهد والتخلى بوظائف العبادة والاستحقاق لوصف السيادة كان من أفراد الدهر في الوعظ ورسوخ القدم في التصوف وصنف في الحقيقة كتابا منها « كشف الأسرار » ، ولم يزل على حاله راقيا في كماله حتى خلت منه الديار وشط به المزار فمات ببساطام ، ودفن بجنب أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه . وروى ليلة موته العارف أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه ، يكتنس الرياط ويملا الأواني ويقول : غدا يقرب بجانبي رجل صالح . ولما وضعه الحفار بالقبر اتسع سعة مفرطة حتى أغمى عليه ، مات رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين وخمسين .

(١) مرآة الجنان ٢٦٩/٣ ; والشذرات ، ١١٨/٤ ; والبهانى ١١١/١ .

(٤٤١) محمد الآويني^(١)

يعرف بابن قائد من قرية تسمى آونة من أعمال بغداد ، كان ذا معان تضاعف مدها ورتبة علا في أفق السلوك فرقدها ، وتربيته نفذ سهمها في الأمصار ومواعظ لها في القلوب إجلال وإكبار ، وهو من أصحاب الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، قال العارف ابن عربى ، رضي الله عنه ، وقال ابن القائد : هذا يقول فيه عبد القادر ، رضي الله عنه : معتبر الحضرة ، وكان يشهد له العارف عبد القادر رضي الله عنه الحاكم في هذه الطريقة المرجوع إليه في الطريق أنه من المفردين وهم رجال خارجون عن دائرة القطب والخضر ، عليه السلام ، منهم ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله وهم الكروبيون معتكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه ، ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم ، لهم مقام بين الصدقية والنبوة الشرعية . قال : وهو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا كأبى حامد ، رضي الله عنه ، وأمثاله فإن ذوقه عزيز .

(ومن كلام صاحب الترجمة) ما قال : تركت الكل ورائي وحيث إليه فرأيت أمامي قدماً ففررت ، وقلت : من هذا اعتماداً مني على أنه ما سبقني إليه أحد ، وإنى من أهل الرعيل الأول ، فقيل لي : هذا قدم نبيك فسكن روعى انتهى ، ثم رأيت في كلام ابن عربى رضي الله عنه ابن قائد هذا شيخه فإنه قال في « الفتوحات » : قال شيخنا محمد بن قائد : رأيت في دخولى عليه أثر قدم أمami فقيل لي : هذا قدم نبيك فسكت ما بي . قال : واعلم أن هذه الدولة الحمدية جامعة لأقدام الأنبياء والمرسلين فأى ولى رأى قدماً أماماً فتلك قدم النبي الذى هو له وارث ، وأما قدم نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه ، فالقدم التي رآها محمد بن قائد أو يراها

كل من رآها قدم النبي الذى هو له وارث ، لكن من حيث ما هو محمدى لا غير ،
ولهذا قيل له : قدم نبيك ولم يقل له : هذه قدم محمد ، صلى الله عليه وسلم .

(٤٤٢) محمد بن أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَبْوَ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْشَىٰ^(١)

عارف جليل سمت أعلامه ، وصوفى نبيل حسنت تربيته وطابت أوقاته
وأيامه ، وأصله من بلاد الأندلس من الجزيرة الخضراء ثم تحول إلى مصر فقطنها
ثم إلى بيت المقدس وكان من أعيان مشايخ المغرب ومصر ، ولقى نحو ستمائة
شيخ وجده واجتهد وأخذ عنه كثيرون منهم البونى .

(ومن كلامه) إذا احتجت إلى شيء فقل : يا واحد يا أحد يا واجد يا
جواد انفعنا منك بنفحة خير إنك على كل شيء قادر .
قال : فأنا أنفق منها منذ سمعتها .

وقال : رأيت القيامة ومراتب الخلق فيها ومقامات الأنبياء والأولياء وكيف
صور الأعمال . وكيف تظهر على أربابها ورأيت البرزخ وكيف حال الموتى فيه .
وقال : كشف لي عن باطن حقائق القرآن العظيم واطلعت على أسراره .
وقال : من طلب الغايات في المبادئ فقد أخطأ الطريق .
وقال : حقيقة المحبة أن تهبه بكل ذلك لمن أحبته فلا يبقى منك شيء .
وقال : إن كنت محتاجاً إليه فالزم بابه حتى يفتحه لك .
وقال : الزم الأدب والعبودية ، ولا تتعرض لشيء ، فإن أرادك
أوصلك إليه .

(١) طبقات الشعراني ١٣٧/١ ; والنبهانى ١١٤/١ - ١١٦ ; والشذرات ٣٤٢/٤ ; ومرآة الجنان ، ٤٩٧/٣

وقال : يسير العمل مع الرعاية منجح .

وقال : وقد سئل عن التوكيل هو التعلق بالله في كل حال ، فقال السائل : زدني ، فقال ترك كل سبب يصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لك .

وقال : كنت مراداً بالتقليل لم يكن يصفولي شبع ولا رى ولا كسوة وقد أقمت سنة وعلى جبة صوف أضمهما على كيلاً تنكشف عورتي وهي محسوسة ، فقطعت بطانتها فصار القمل يدخل في القطن فأقاسي منه شدة فاغتسلت يوماً عند بئر فأخذها لص ففرحت ، ومضى بعض أصحابي يستعير ما ألبسه وإذا باللص وجدها لا تساوى شيئاً فجاء فطرحها ، وقال : خذها لا طرح الله لك فيها بركة أتعتنى على لا شيء .

وقال : من فوائد الفقر وثمراته وجود ألم العرى والجوع والتلذذ بهما والمنافسة فيما .

وقال : دخلت على أستاذى أبي مدين ، رضى الله عنه ، وله ولد صغير جاء من المكتب فالتفت إلى أصحابه وقال : هذا أفسد على مملكتى فمات الولد ، وقال : بينما أنا أسيء في بعض السواحل إذ خاطبني حشيشه : أنا شفاء هذا المرض الذى بك يعني الجنام ، فلم أتناولها ولم أستعملها . وقال : وقد كتب الحاج له يا أخي إن كنت تصدق بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر فتصدق بما بقى على الآخرة وهو الأقل .

وقال : أبى البشرية أن يتوجه إلى الله إلا فى الشدائى عطشت مرة فى طريق الحاج فقلت لخادمى : اغرف لي من البحر المالح فغرف منه ماء عذباً ، فلما ذهبت الضرورة غرف ، فإذا هو ملح .

وقال : لا يكون الابتلاء إلا لفحول الرجال ، وكان يحب طعام القمح فقيل له فيه فقال : زارنى الخضر ، عليه السلام ، فقال : اطبخ لي شوية قمح

فمن يومئذ أحبه ، وكان يشرط على أصحابه أن لا يطبخوا في بيوتهم إلا لونا واحدا حتى لا يتميز أحد على أحد .

وقال : هي أسرار الله يبذلها إلى أمناء أوليائه من غير سماع ولا دراسة ، فهي خاصة بخواص الخواص .

وقال : آخر ما تصورت لي الدنيا في صورة امرأة حسناء شابة بيدها مكنسة تكسس المسجد الذي كنت فيه قلت : ما شأنك قالت : جئت أخدمك ، قلت : لا ، قالت : لابد ، فعزمت على ضربها ، فعادت عجوزا ضعيفة فرحمتها ثم غفلت عنها فعادت شابة فانزعجت لذلك ، فقالت : تطيل أو تقصير أنا هكذا أخدمك وكذا خدمت إخوانك ، فمن ذلك اليوم لم يتذرع كل شيء من الأسباب ، وكان يقول : إذا خاف أحدكم تخمة فليقل عقب وضع الطعام وفراغه من الأكل قال أبو عبد الله : اليوم يوم عيد فلا يضره .

وله خوارق كثيرة وكرامات شهيرة منها أنه لما ابتلى بالجلد في بدنها كان في أوقات الصلاة يذهب عنه البلاء فيعود صحيحا ، فإذا فرغ من صلاته عاد كما كان . ومنها أنه جاء مرة إلى الساحل ليعدى ومعه القسطلاني فلم يجد سفينته ، فأخذ بيده ومشى على الماء ، ورأى رب العزة في النوم ألف مرة أنه قال لأصحابه تجهزوا للخروج من مصر ، فإن الوباء ينزل بها ، فبلغ ذلك الخطيب العراقي فقال : أوحى إليه فبلغ القرشى فقال : إنه لا يطلع المنبر بعدها فمات .

وكان يقول : إياك أن تقول : كرامة الرجل الصالح مشيه على الماء أو طيرانه في الهواء ، بل كرامته أن لا يؤبه إليه ، وكان يقول : إنني لأعلم من لا ينام حتى يعتق لأجله ألف من الخلق يعني نفسه . ونودي مرة أخرى أنه سينزل بأهل مصر بلاء فقال : أيقع هذا وأنا فيهم ؟ فقيل : اخرج من بينهم فلابد من وقوعه ، فخرج إلى الشام فنزل بهم ما نزل . نسأل الله العافية ، وقالت زوجته : خرجت من عنده وتركته وحده فسمعت عنده رجلا يكلمه فوقفت حتى انقطع كلامه

فدخلت ، فقلت : من هذا ؟ قال : **الحضر أتانى بزيتونة من أرض نجد** ، فقال : كل هذه ففيها شفاؤك ، فقلت له : اذهب وزيتونتك لا حاجة لي بها ، مات ببيت المقدس سنة تسع وتسعين وخمسماة ، وقيل غير ذلك ، ودفن به ثم دفن بجانبه ابن أرسلان ، وذكروا أن الدعاء بين قبريهما مستجاب . قال ابن مجير الدين : وقد جرب ذلك ، فصح رضي الله تعالى عنه ونفعنا به .

(٤٤٣) محمد بن الموفق الخوشانى^(١)

نسبة إلى خبوشان بليدة بنيسابور ، ولد بها سنة عشر وخمسماة وتفقه في مذهب الشافعى ، رضي الله عنه ، محمد بن يحيى تلميذ الغزالى رضي الله عنه ، وكان يستحضر كتاب « المحيط » ففقد ، فأملاه من خاطره ، وقدم مصر سنة خمس وستين فأقام بها بترية الشافعى رضي الله عنه وتصدى لعماراتها ، وكان إماماً جليلًا كبيراً محل في الورع فلا ترى العيون مثله زهدًا وعلماً وتصميماً على الحق ، وله تصانيف « تحقيق المحيط » في ستة عشر مجلداً^(٢) ، وحدث بالقاهرة عن القشيري وغيره ، وكان السلطان صلاح الدين يفتقده وينبئ له المدرسة الصلاحية ودرس بها مدة ولم يأخذ من معلومها شيئاً ، وكان له حال غريب ومقام في الدين كبير ، وكان يقول : لابد أن أصعد إلى مصر وأزيل دولة بنى عبيد فصعدوها وصرح بسبهم ، فأرسلوا له مالاً فرده وضرب رسولهم على صدره ورأسه فصارت عمامة حلقاً في رقبته ، وسب القاصد ، ثم إن السلطان صلاح الدين تهيب الخطبة لبني العباس فوقف الخبوشانى أمام المنبر بعصاه وأمر الخطيب بذكر بني العباس ففعل ، فلم ينتفع فيها عنزان ، ووصل

(١) السبكي ، طبقات الشافعية /٤ - ١٩٥ ، والياقون ، مرآة الجنان /٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ : والسيوطى ، حسن المحاضرة /٢٢٩ ، ومفتاح السعادة /٢ - ٢١٠ ، والشذرات /٤ - ٢٨٨ : والزرکلى ، الأعلام /٣٤٢ - ٧ : وكحالة ، معجم المؤلفين /٦٩ - ١٢ ، والنهاوى /١ - ١١٢ .

(٢) « تحقيق المحيط في شرح الوسيط في الفقه » كشف الظنون /٢ - ٢٠٠٨ .

بها بأس . ومن نظمه رضي الله عنه :

فإن تسألونى بالنساء فainنى خبير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرأة أو قل ماله فليس له من ودهن نصيب
مات سنة سبع وثمانين وخمسماة ، وكفن فى كسائه التى جاء معه من
خبوشان ودفن فى قبة مفردة تحت رجلى الإمام الشافعى^(١) رضي الله عنه
وبينهما شباك .

(٤٤٤) محمد بن (سلان)

الفقيه ابن الفقيه ، الزاهد ابن الزاهد ، له كرامات منها : أنه كان خياطاً
يخيط الثوب بدرهم فيدفعه صاحب الثوب إليه ويذهب به ، فإن كان الدرهم جيداً
ووجد طوقه مفتوحاً وإلا مسدوداً ، فيعود إليه فيبدلته فيجده مفتوحاً . مات سنة
إحدى وتسعين وخمسماة ودفن بالقرافة^(٣) .

(٤٤٥) الإمام الغزالى ابن محمد الطوسي

الإمام أبو حامد الغزالى حجة الإسلام ، ومحجة الدين التى يتوصل بها
إلى دار السلام ، وجامع أشتات العلوم ، والمرز فى المنطق فيها والمفهوم بحر
ليس للبحر ما عنده من الجواهر وحبر سما على السماء وأين للسماء مثل ما له
من الزواهر ، وروضة علم تستقل الرياض نفسها أن تحكى ما لديه من الأزاهر .

(١) السخاوي الحنفى ، ص ٣٤٦ .

(٢) طبقات الشعرانى ١٣٢/١ ؛ والنبهانى ١١٣/١ - ١١٤ .

(٣) السخاوي الحنفى ، ص ٤٣٨ .

(٤) الرفيقات ١/٥٨٦ - ٥٨٨ ؛ طبقات الشافعية ٤/١٠١ - ١٨٢ ؛ المنتظم ٩/١٦٩ - ١٧٠ ؛ والباب

١٧٠/٢ ، واليافعى ، مرآة الجنان ٣/٧٧ - ١٩٢ ؛ والبداية والنهاية ١٢/١٧٣ - ١٧٤ ؛ كحالة ،

معجم المؤلفين ١١/٢٦٦ - ٢٦٩ .

الخبر إلى بغداد فأظهروا الفرح وعظم الخبوشانى عندهم ثم أخذ الخبوشانى فى بناء الصهريج الشريف الإدريسى ، وكان ابن الكيزانى من المشبهة مدفونا عند الشافعى رضى الله عنه فأخرج عظامه ، وقال : لا يجمع صديق وزنديق ، ومن ورمه أنه كان يركب الحمار ويجعل تحته أكسية لثلا يصيبه عرقه . وجاء الملك العزيز لزيارة وصافحة فاستدعى باء بحضوره وغسل يده وقال : أنت تمسك العنان ولا تتوقى الغلمان عليه فقال له : اغسل وجهك فإنك بعد الماصحة مسسته ففسله ، ولما خرج صلاح الدين لقتال الفرنج جاء لوداعه فالتمس منه أموراً من المكس ليبطلها ثأبى ، فقال له : قم لا نصرك الله ووكره بعصابه فوقعت قلنوسوة السلطان عن رأسه ثم توجه للحرب فكسر ، وعاد للشيخ وقبل يده ، وكان تقى الدين عمر ابن أخي السلطان له مواضع بيع فيها المزر ، فكتب الشيخ للسلطان عمر لا خيره الله يبيع المزر ، فقال السلطان لعمر : لا طاقة لنا بالشيخ ترضاه فركب إليه فقال له حاجبه : قف بباب المدرسة حتى أسبقك وأوطئ لك ، فدخل فقال : تقى الدين يسلم عليكم ، فقال : بل شقى الدين لا سلم الله عليه فقال : إنه يتغدر ويقول : إنه ليس هناك مزر ، فقال : يكذب فقال : إن كان هناك مزر ، فأرناه فقال : ادن فأمسك دوايته وجعل ياطمه على وجهه وخديه ويقول : لست مزاراً فأعرف مواضع المزر فخلصوه منه فقال : فديت نفسى . وعاش عمره رضى الله عنه لم يأكل من وقف المدرسة الصلاحية لقمة ولا أخذ من مال الملوك درهما ، ودفن فى الكسائى التى صحبته من خبوشان ، وكان بمصر رجل تاجر من بلد ، يأكل من ماله ، ودخل القاضى القاضى الثاصل وزير السلطان لزيارة الشافعى رضى الله عنه فوجده يلقى الدرس على كرسى فقعد على طرفه وجنبه إلى القبر فصاح الشيخ فيه : قم ظهرك إلى الأمام ، فقال : إن كنت مستديره بقلبي فأنا مستقبله بقلبي ، فصاح فيه أخرى ، وقال : ما تعبدنا بذلك ، فخرج وهو لا يعقل .

(ومن كراماته) أن ابن أبي حصيبة مدحه بقصيدة وجعله أن يجعل جائزته دعوة لابنة له مقعدة ، فدعا لها فقامت بعد ثلاثة أيام تمشى كأن لم يكن

انتظمت بعده المنظم عقود الملة الإسلامية ، وابتسمت بنصره النظيم ثغور الشريعة المحمدية ، ففاض من العلوم في بحور عميقة ، وراض نفسه في دفع أهل البدع وسلوك الطريقة ، جرت الأئمة قبله بشاء ولم يقنع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطالب مطلب وراءه مطلب لأصحاب البداية والنهاية ، وكان ضراغاماً إلا أن الأسود تتضائل بين يديه وتتسارى ، وبدرأ تماماً بيد أن هداه يشرق نهاراً ، وبشرا من الخلق لكنه الطود العظيم ، وبعض الخلق لكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم ، لم يزل يناضل عن الدين المخيفى بجلاد مقاله ويحمى حوزته ولا يلطخ بدم المعذين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرى وانكشفت غياه الشكوك ، وما كانت إلا حديثاً يفترى ، مع ورع طوى عليه ضميره وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره ، وتجريد تراه به وقد توحد في بحر التوحيد ، وبهاها ، ألقى الصحيفة كي يخفف رحله ، والزاد حتى نعله ألقاها ، ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الله يعامله في سره وجهه ، وناهيك بشهادة العارف أبي العباس المرسى رضي الله عنه في حقه بقوله : إنما لنشهد له بالصدقية العظمى .

وقال العارف أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لأصحابه : إذا عرضت لكم إلى الله تعالى حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبي حامد الغزالى رضي الله عنه .

وقال الشيخ الأكبر ابن عربى رضي الله عنه : حجة الإسلام الغزالى من رؤساء أهل الطريق . وأقول : من العجب العجاب أن شيخنا العارف الشعراوى رضي الله عنه لم يذكره في طبقاته الكبرى ولا الصغرى المتداولتين في أيدي الناس اليوم . ولد رضي الله عنه بطورس سنة خمسين وأربعينات وكان ابتداء طلبه للطريق بعد ما حصل له ببغداد القبول التام والجاه عند الخاص والعام ، وأنه سافر قطع عليه الطريق وأخذ القطاع جميع ما معه فتبعدهم ، وقال لقدمهم بالذى ترجو السلامة منه رد على تعليقى فقط فما هي بشيء ينفعكم فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجزدت من معرفتها وبقيت بلا علم ، فأنطقه الله لإرشاده فأقبل على التجدد وساح وراء بعضهم فى البرية وعليه مرقعة

وبهذه ركوة وعكاز بعد أن كان رآه يحضر مجلسه ثلاثمائة مدرس ومائة من أمراء بغداد ، فقال : يا إمام ، أليس تدرّس العلم أولى فنظر إليه شذراً وقال : لما بزغ بدر السعادة في فلك الازادة وجنحت شمس العقول إلى مغرب الوصول .

تركت هوى ليلي وسعدى بمعزل وعدت إلى مصحوب أول منزل
وناديت في الأسواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

وكان شديد الذكاء ، عجيب الفطنة ، مفرط الإدراك ، قوى الحافظة ،
غواصاً على المعانى الدقيقة ، عالى الرتبة ، زائد الحشمة ، تضرب بكماله
الأمثال ، وتشد إليه الرجال حتى غرقت نفسه من رذائل الدنيا ، فرفض ما فيها
من التقدم والجاه ، وترك ذلك وراء ظهره وأقبل على قدم الفقر والتجريد بعد الحج
والتقديس . ثم ذهب للشام فأقام بمنارة الجامع الأموي نحو عشر سنين ، فلما
عرف فارقها ، ثم جال في البلدان وزار المشاهد وطاف على الترب والمساجد ،
وأوى القفار وراض نفسه ، وواجهها جهاد الأبرار حتى صار قطب الوجود
والبركة العامة لكل موجود ، والطريق الموصولة إلى رضا الرحمن والمنهج
بالتتصوف إلى مركز الإيمان ، ثم عاد إلى بغداد وتكلم على لسان أهل الحقيقة
وقلبه معلق بما فتح عليه من الطريقة ، ثم دخل إلى طوس واتخذ بجانب داره
مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ، ووزع أوقاته على تلاوة القرآن ومجالسة أرباب
القلوب وإدامة الصيام والقيام حتى كان في جمادى الآخر سنة خمس وخمسين
توضأ وصلى ، وقال : على بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعاً
وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل فانتقل إلى رضوان الله طيب
الثناء أعلى منزلة من نجم السماء لا يكرهه إلا حاسد أو زنديق ولا يسموه
بالسوء إلا من كان في قلبه ريب أو حاد عن سوء الطريق .

قالوا : ولما أفتى القاضى عياض بإحرق كتاب الإحياء ، بلغه فدعا
عليه فمات وقت الدعوة في حمام فجأة ، وقيل : بل أمر المهدى بقتله في الحمام

بعد أن ادعى عليه أهل بلده وزعموا أنه يهودي ، لأنه كان لا يخرج يوم السبت ؛ لأنه كان يصنف كتاب الشفاء ، كذا ذكره في كتاب لوافع الأنوار .

وأخرج اليافعى عن ابن المليق عن ياقوت العرشى عن أبي العباس المرسى عن أبي الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أن الشيخ بن حرام خرج على أصحابه ومعه كتاب فقال : أتعرفونه ؟ قال : هذا الإحياء ، وكان الشيخ المذكور يطعن فى الغزالى رضى الله عنه وينهى عن قراءة الإحياء فكشف لهم المذكور عن جسمه فإذا هو مضروب بالسياط ، وقال : أتاني الغزالى فى النوم ودعانى إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلما وقفتا بين يديه ، قال : يا رسول الله هذا يزعم أنى أقول عليك ما لم تقل فأمر بضربي فضررت .

قال العارف ابن عربى رضى الله عنه عن نفسه : إنه كان يقرئ كتاب الإحياء فى المسجد الحرام تجاه الكعبة الشريفة .

قال العارف الشاذلى رضى الله عنه : رأيت المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فى المنام باهى عيسى وموسى ، عليهما السلام ، بالغزالى ، رضى الله عنه .

وقال : هل فى أمتكما مثله ؟ قالا : لا ، وشهد له العارف المرسى رضى الله عنه بالصدقية العظمى ، قال : ونقل اليافعى رضى الله عنه عن بعض الأولياء الأكابر والعلماء الجامعين بين علم الباطن والظاهر ، انه قال : لو كاننبي بعد النبي لكان الغزالى رضى الله عنه . قال العارف ابن عربى رضى الله عنه كان الغزالى من رؤساء الطريقة وساداتهم ، وكان يرى المناسبة ويقول بها ، فرأى فى بيت المقدس حمامه وغرابا لصق أحدهما بالأخر وأنس به ولم يستوحش منه ، فقال : اجتماعهما لمناسبة فأشار إليهما بيده فدرجأ إذا بكل منهما عرج والمناسبة فى مساق الأشياء صحيحة ، ومعرفتها من مقالات خواص أهل الطريق وهى غامضة موجودة في كل شيء حتى بين الاسم والمسمى ، قال : والقائلون المناسبة من طريقنا عظاماء أهل المراقبة والأدب ، ولا تكون إلا بعد كشف علمي ومشهد ملوكى .

(ومن كلامه) : الدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى ،
وإنما سميت دنيا ؛ لأنها أدنى المزالتين .

وقال : ربما وجد بعضهم في نفسه أنسا وتقريبا في عبادته ومجلسه ،
فظن أن بها يغفر لجميع من حضره فضلا عنه ، ولو أنه تعالى عامله بما يستحقه
على سوء أدبه في ذلك لأهلكه ومن حوله .

وقال : إنما يعرف كل سالك المنزل الذي يبلغه في سلوكه وما خلفه من
المنازل .

وقال : ما بين يديه فلا يحيط بحقيقة علمها بل قد يصدق به إيماناً
بالغيب .

وقال : أنوار العلوم تحجب عن القلوب لبخل ومنع عن جهة المنعم تعالى
عن ذلك ، بل تختبئ وكبدورة وشغل من جهة القلوب ، فإنهما كالأوانى ما دامت
مملوءة بما لا يدخلها الهواء والقلب المشغول بغير الله لا تدخله المعرفة بجلاله .

وقال : أشرف أنواع العلم ، العلم بالله وصفاته وأفعاله ، وفيه كمال
الإنسان وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال .

وقال : جلاء القلب وأبصاره يحصل بالذكر ، والذكر بباب الكشف
والكشف بباب الفوز الأكبر .

وقال : من ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى له الملك والملائكة في
قلبه ، فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض .

وقال : عالم ولا نفسه يشتهي الشيء ، وقد يكون فيه هلاكه ،
ويكرهه وفيه حياته ، ويستلذ الأطعمة وترديه ويستبعن الأدوية وتحبيبه ، لا يأمن
في لحظة أن يسلب سمعه وبصره ، وتفلح أعضاؤه ويختلس عقله وتخطف روحه
 فهو مضطر ذليل ، إن ترك بقى ، وإن اختطف فنى ، عبد مملوك لا يقدر على

شيء ، فأى شيء أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق به الكبر .

وقال : الكبر دليل الأمان والأمن مهلك ، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، وقال : من أدوية الكبر أن يجتمع مع إخوانه في المحافل ويقدمهم ويجلس تحتهم وللشيطان هنا مكيدة وهو أن يقعد في صف النعال أو يجعل بينه وبين أقرانه بعض الأرذال ، فيظن أنه تواضع وهو عين التكبر لإيهامه أنه ترك مكانه بالاستحقاق فيكون تكبرا بإظهار التواضع ، بل يقدم أقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط إلى صف النعال .

وقال : قد أهمل الناس طب القلوب واستغلوا بطب الأبدان مع أنها كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السلامة والسعادة إلا بسلامتها .

وقال : الغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى وميل إليه الطبع .

وقال : من ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يسبح بأكل أبيه ويروى بشريه .

وقال : الشيطان لا يغير الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولو حسن الظاهر ما اندعى منه القلوب .

وقال : إن لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك إلى حجاب منها في الطريق إلا ظن أنه وصل ، وأول حجاب بين الله وبين العبد نفسه ، فإنه أمر رباني ، وهو نور من أنوار الله ، أعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل ، وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما ، إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه ، فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه ، فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول : أنا الحق ، فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك ، وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو

مغorer ، وهذا هو محل الالتباس ، إذ المتجلى يتبس بالمتجلى فيه كما يتبس لون ما يتراهى فى المرأة فتظن أنه لون المرأة ، وكما يتبس ما فى الزجاج ، بالزجاج ، وبهذه العين نظرت النصارى إلى المسيح ، عليه السلام ، فرأوا إشراق نور الله تعالى قد تلألأ فيه ، فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مراة أو فى ماء فيظن أن الكوكب فى المراة أو الماء فيمد إليه يده ليأخذه وهو مغorer ، وكان الأولى ترك ذكر هذا ؛ إذ سالك الطريق لا يحتاج أن يسمعه من غيره ، ومن لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل يضره ؛ لأنه يدهش بسماعه ما لم يفهم .

وقال : أساس السعادات كلها العقل والكياسة والذكاء ، وصحة غريزة العقل نعمة من الله في أصل النظر ، فإن فاتت ببلاده أو حماقة فتدارك له .

وقال : من لم يكن له نصيب من علم الباطن أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى النصيب منه التصديق وتسليمه لأهله ، ومن كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم بشيء بدعة أو كبير .

قال : علم المكافحة عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته ، ينكشف به أمور كان يسمع أسماءها ويتوهم بها معانى مجملة غير متضحة فيتضح .

وقال : علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة ، فإنه نظر في أعمال الجوارح ومصدرها ومنظؤها صفات القلوب .

وقال : معرفة الله وصفاته وأفعاله لا تحصل من علم الكلام بل يكاد يكون حجابا ومانعا منها .

وقال : من عرف الحق بالرجال حار في متأهات الضلال ، فاعرف الحق تعرف أهله ، وقال : التوحيد أن ترى الأمور كلها من الله رؤية تقطع الالتفات إلى الوسائل .

وقال : كن من شياطين الجن فى أمان واحذر من شياطين الإنس ، فإنهم أراحا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلal .

وقال : الحسد نار محرقة من بلى به فهو فى عذاب دائم ، ولعذاب الآخرة أشد .

وقال : ما من أحد إلا وهو راض عن الله فى كمال عقله وأشد هم حماقة وأضعفهم عقلاً أفرحهم بكمال عقله .

وقال : علماء الآخرة يعرفون بسيماهم من السكينة والذلة والتواضع ، أما التشدق والاستطرار فى الضحك والحمدة فى الحركة والنطق فمن آثار البطر والغفلة ، وذلك دأب أبناء الدنيا .

وقال : من الذنوب ما عقوبته سوء الخاتمة ، وقيل : هي عقوبة الولاية والكرامة بالافتراء .

وقال : من كانت غريزته الحمق ، فطول عمره يؤكّد حماقته .

وقال : من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة ، وهو دعاء الولاية مع فقدها منه .

وقال : من شرط من له حاجة أن لا يفطر ذلك النهار حتى تقضى ولو عند الغروب .

وقال بعضهم : وقد جربناه فصح ؛ لأن الإنسان إذا شبع فدعاؤه كسهم يخرج من غير وتر مشدود .

وله تصنیف عظيمة في غالب الفنون حتى في علم الحروف وأسرار الروحانیات وخواص الأعداد ولطائف الأسماء الإلهیة وفي السیمیا وغيرها ، وله دعاء عجیب الشأن جربه أهل العرفان عند حلول الفاقعة ، وقد ذكره في « الإحياء » ، وهو : اللهم يا على يا حمید يا مبدی يا معید يا رحیم يا

يعرضوا عن العلم فيحرموا هذه الدرجات ، أتراه أمر بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد عنه ؟ والصفة الناقصة عن درجة الكمال ، هذا إذا لم يكن لإبليس دخل في الرؤيا وكانت ملكية ، وإذا كانت الرؤيا من الله فالرائي في غير موطن الحسن والمurai ميت ، فهو عند الحق ، لا في موطن الحسن ، والعلم الذي كان عرض عليه أبو حامد رضي الله عنه في « أسرار العبادة » وغيرها ، ما هو غريب عن ذلك الموت الذي الإنسان فيه بعد الموت ، بل تلك حضرته وذلك محله ، فلم يبق العلم الغريب عن ذلك الوطن إلا ما كان يشتغل به في الدنيا من علم الطلاق والنكاح والمباعدة ونحو ذلك وعلوم الأحكام المتعلقة بالدنيا ليس للأخرّة تعلق بها أبداً ، فإنه بالموت يفارقها ، فهذه العلوم الغريبة عن موطن الآخرة وكالهندسة والهيئة ما لا تقع له إلا في الدنيا وإن كان فيها أجر من حيث نيته ، فاخير الرابع إليه منها قصده ونيته ، لا عين العلم فإنه يتبع معلومه ، ومعلومه في الدنيا لا الآخرة ، فكأنه يقول في رؤياه : لو اشتغلنا ، وقال : شغلنا بهذا العلم الغريب عن هذا الوطن بالعلم الذي يليق به ويطلبه هذا الموضع كنا على خير كثير ، ولو كان علمه بأسرار العبادة وما يتعلق بالجنب الآخرى لم يكن غريباً ؛ لأنّه موطنه ، والغريب إنما هي لفارق الوطن ، فإياك أن تحجب عن طلب العلوم الإلهية والأخروية ، وخذ من علوم الشريعة بقدر ما تمس الحاجة إليه « وقل رب زدني علماً »^(١) .

(٤٤٦) مطر الكردي البادراني^(٢)

نسبة إلى بادران قرية بأرض العراق ، من أكابر العارفين وجلة مشايخ العراقيين ، كان صوفياً عارفاً راجياً خائفاً ، زاهداً عابداً ، لطيف الذات حسن الصفات . بديع الخلق والخلق ، سالكاً في السلوك أوضح المناهج والطرق ، وكان الغالب عليه السكر .

(١) سورة طه : الآية ١١٤ .

(٢) طبقات الشعراوي ١٢٧/١ : والبهانى ٢/٢٦٥ - ٢٦٦ .

(ومن كلامه) : لذة النفوس في مناجاة القدس ، ولذة الأرواح الشرب بكأس المحبة من أيدي عرائس الفتح اللدنى في خلوة الوصول على بساط المشاهدة ، ولذة الأسرار مطالعة نسيم الحياة الدائمة ، والوصول إلى حقائق الغيوب بضمائر القلوب . مات رضي الله عنه ، وقبره بها ظاهر يزار .

(٤٤٧) موسى بن ماهين الذهلي المازديني ^(١)

من أكابر مشايخ العراق وأحد أركان الطريق ، أثني عليه العارف الجيلاني ، رضي الله عنه ، وغيره ، وقصد من الآفاق لحل المشكلات وتكشف الحفيات .

(ومن كراماته) أنه كان إذا مس الحديد بيده لأن حتى يصير كاللبان ، وإذا قال للطفل : اقرأ سورة كذا قرأها ولا يزال بعدها ينطق ، ولما مات ووضع باللحد نهض قائما يصلى واتسع اللحد جهاراً والمحفار وغيره ينظرون ، مات باردين ^(٢) وأثنى عليه الأكابر وأسفوا على موته .

(٤٤٨) مفرج المذوب الصاحي ^(٣)

الشهور كالخوارق العظيمة الشأن ، كان عبدا حبشا واصطفاه الله بلا أسباب معلومة ولا مقدمات معهودة ، أخذه عن حسه المعهود أخذة شديدة ، وأقام فيها ستة أشهر ما يتناول طعاما ولا شرابا ، فضريه سيده ضربا مبرحاً فما أثر ، فظن أنه مجنون ، فقيده وغاب فوجد القيد في ناحية وهو في أخرى ، فحبسه فوجده خارج الحبس . فلما تكاثرت عليه كراماته أحضروا له فراخا

(١) طبقات الشعراني ١٢٠ / ١؛ والنبهانى ٢ / ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) قلعة مشهورة على جبل الجزيرة ، ياقوت ، معجم البلدان ٥ / ٢٩.

(٣) النبهانى ٢ / ٢٦٧ عن الإمام الياقونى .

ودود اغنى بحالك عن حرامك ويطاعتكم عن معصيتك ويفضلوك عن سواك ،
قال : من ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث
لا يحتسب ، وله قصيدة جليلة الفوائد عظيمة المقاصد ذكر فيها أسراراً جمة
للفاتحة منها .

إذا ما كنت ملتمساً لرزرق	ونيل القصد من عبد وحر
وتطفى بالذى ترجو سريعاً	وتؤمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فإن فيها	لأملت سراً أى سر
تلازم درسها عقبى عشاء	وفى صبح وفى ظهر وعصر
وعقبى مغرب فى كل ليل	إلى التسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عز وجاه	وعظم مهابة وعلو قدر
وستر لا تغيره الليالي	بحادثة من النقصان تجرى
وتوفيق وأفراح دواماً	وتؤمن من مخاوف كل شر
ومن عرى وجوع وانقطاع	ومن بطش لذى نهى وأمر

مات الإمام الغزالى ، رضى الله عنه ، عن خمس وخمسين سنة ، قال
النوى ، رضى الله عنه فى « بستانه » عن شيخه البلاطى ، رضى الله عنه :
أحصيت كتب الغزالى ، رضى الله عنه ، التى صنفها ووزعت على عمره فخص
كل يوم أربعة كراسيس .

قال بعضهم : ورؤى فى النوم فسئل عن حاله ، فقال : لو لا هذا العلم
الغريب لكننا على خير كثير .

قال العارف ابن عربى ، رضى الله عنه : فتأولها علماء الرسوم على ما
كان عليه من علم هذا الطريق ، وقصد إبليس بهذا الطريق الذى زينه لهم أن

مشوية فقال لها : طيرى فطارت فأطلقوه ، فتواترت كراماته وكثرت بركاته ،
وقصد للزيارة من الأقطار الكبار .

حرف الياء المثلثة تحت

(٤٤٩) يحيى بن حى الشهاب السهروردى^(١)

كذا سماه بعضهم : عمر شهاب الدين السهروردي ، وهو صاحب التصانيف المشهورة ، قال ابن خلkan : كان شافعى المذهب واتهم بانحلال العقيدة ، وقال الآمدى : اجتمعت به فرأيت علمه أكبر من عقله .

وقال غيره : كان أوحد زمانه فى علم الحكمة ، عارفا بالتصوف ، ماهراً فى أصول الفقه ، مفرط الذكاء عجيب القرىحة ، متقد الذهن فصيحاً مفوهاً ، طاف البلاد على طريق الفقر والتجريد بحيث كان عليه دلق وعلى رأسه فوطة مفتولة ومعه إبريق وعكاز لا يزيد على ذلك ، وقدم حلب فناظر أهلها واستهتر بهم وشطح وتهتك بكلمات الحكماء والصوفية وجهر بذلك ، فأجمعوا علي كيده وربوا فتاوى وكتبوا عليها بإهدار دمه ، فقتله الملك الظاهر غازى بعد اختصاصه به بأمر عمه صلاح الدين ، فقيل : خنق وقيل : حبس مكان ومنع الطعام والشراب حتى مات ، وقيل : سلخ فأملأى على بعض طلبه قصيدة من نظمه ارجحها كل بيت منها قاعدة لعلم من علوم الحكمة يستخرج من جميع قوانينه وأساليبه ، وذلك بحلب سنة ست وثمانين وخمسين وعمره ست وثلاثون سنة .

ومن تصانيفه كتاب حكمة الأشراق والألواح العمادية ، والتلقیحات فى أصول علم الشافعية ، والتلويحات اللوحية والعرشية والمطراحات والمقاويمات وهياكل النور والمعارج وغير ذلك ، وهو المراد بالشهاب المقتول حيث أطلقه علماء

(١) وهو السهروردى المقتول ، المتوفى سنة ٥٨٦ هـ ، انظر ترجمته فى ابن أبي أصبيعة ، عيون الأنبا ، ١٦٧/٢ ، وكحالة ، معجم المؤلفين ٣١٠/٧ .

الحكمة والأصول .

(ومن كلامه) : من صبر نفسه عن الشهوات ملكها ، ومن ملكها أمكنه أن يعتزل الناس ، ومن اعتزلهم قلت همومه ، ومن قلت همومه قلت فكرته ، ومن قلت فكرته حسنت عبادته . ومن حسنت عبادته اتصلت نفسه بالروحانيات ، ومن اتصلت نفسه بها انصبعت بنور الحق ، وإذا انصبعت به أقبلت جواهر النفوس الإنسانية على مراده كيف كان . ومن نظمه :

أبداً تحنُّ إلينكم الأرواح ووصلكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تستاقكم وإلى لذيد وصالكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح

(٤٥٠) يحيى بن بخان

حال العارف ابن عربى رضى الله عنه ، كان من رعوس الزهاد ، وأكابر العباد ، وكان أولاً ملك تلمسان ، وكان فى زمانه رجل فقيه عابد منقطع عن أهل تونس يقال له : أبو عبد الله التونسي ، فركب الملك يحيى يوماً فى خدمته وحشمه فمر عليه وعليه ثياب فاخرة فوقف فسلم عليه وقال : يا شيخ ، هذه الثياب التى أنا لابسها تجوز الصلاة فيها ، فضحك له الملك ، فقال له : مم تضحك ؟ فقال : من سخف فعلك وجهلك بنفسك ، مالك شبيه عندى إلا الكلب يتمرغ فى دم الجيفة وأكلها وقذارتها ، فإذا جاء يبول رفع رجله حتى لا يصبه البول وأنت وعاء مليء حراماً وتسأل عن الثياب ، فنزل عن دابته وخرج عن الملك ولزم خدمة الشيخ فأمسكه ثلاثة أيام ثم جاءه بحبل فقال : أيها الملك : فرغت أيام الضيافة ، قم فاحتطب ، فكان يدخل السوق بالخطب على رأسه والناس

ينظرون ويبكون فيبيعه ويتحققون ويتصدق ، ولم يزل في بلده كذلك حتى درج ودفن بها فكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون الدعاء يقول : التمسوه من يحيى ابن بُغَان ، فإنه ملك تزهد وانقطع إلى الله تعالى .

(٤٥١) يوسف بن يخلف الكومي^(١)

شيخ العارف ابن عربى رضى الله عنه ، كان يلى المقام رفيع الهمة والاهتمام ، وكان من شأنه إذا رأى مريضاً وأهله وخصه بذكر مخصوص لينال حالة مخصوصة ومقاماً خاصاً ، فمات قبل تحصيله ، وحيل بينه وبين ذلك المقام بالموت الذى لولاه نال بذلك الذكر المنزلة الإلهية التى يستحقها رب ذلك المقام شرع الشيخ فى العمل الموصلى إلى ذلك المقام نيابة عن المريض الذى مات ، فإذا استوفاه ، أحضر ذلك الميت إحضار من مثله فى خياله بصورته التى كان عليها ، وألبس تلك الصورة المثلثة ذلك الأمر وسائل الله تعالى أن يبقى ذلك عليه ، فيحصل تلبس ذلك الميت ذلك المقام على أتم وجوهه منة من الله وفضلاً .

قال العارف ابن عربى ، رضى الله عنه : هذا مذهب شيخنا المذكور ، وما أعني أحداً من مشايخى سواه ، فانتفعت به فى الرياضة وانتفع بنا فى مواجهته ، فكان لى تلميذاً وأستاداً ، وكنت له مثل ذلك ، وكان الناس يتعجبون من ذلك ، ولا يعرف واحد منهم سببه ، وذلك سنة ست وثمانين وخمسة ، فإنه كان قد تقدم فنحى على رياضتى ، وهو مقام خطر ، فأقام الله على بتحصيل الرياضة على يد هذا الشيخ ، جزاه عنى خيراً .

(١) يوسف بن أبى يعقوب (٤٥٢)

ابن يوسف بن الحسين الهمданى أبو يعقوب

نزيل مرو ، أحد الأولياء الأكابر ، تفقه فى مذهب الإمام الشافعى ، رضى الله عنه ، على صاحب التنبىء وقدمه على صغر سنہ ، وسمع الخطيب وغيره ، ثم انقطع وتزهد وتعبد ، واجتمع فى رياطه بپرو خلق كثیر ، وعقد له مجلس الوعظ والتذکير ببغداد .

وله كرامات كثيرة منها ، أن رجلا من جماعته خرج عنه وصار يقع فيه ما هو برىء منه ، فقال الشيخ : هذا رجل يقتل فقتل ، وقعد يوماً للوعظ ، فقام إليه فقيه يعرف بابن السقاء وسألة عن مسألة وآداه فقال له : اجلس فإني أجد منك رائحة الكفر ، ولعلك قوت على غير الإسلام ، فقدم نصرانى أرسله طاغية الروم إلى الخليفة فمشى ابن السقا إليه وسألة أن يصحبه فصحبه ، وقال : يقع لى أن يترك دين الإسلام ويدخل فى دينكم ، فتوجه معه إلى الروم وتنصر ومات هناك بعد أن كان حافظاً للقرآن مجوداً ، ورآه رجل هناك على دكة مريضاً فسألة : هل القرآن على حفظه ؟ قال : ما ذكر منه إلا آية واحدة « ربي يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين »^(٢) .

سأل الله الثبات على الإسلام والإيمان ، بمنه وكرمه آمين .

مات الشيخ الصالح ، صاحب الأحوال والكرامات سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، ذكره السمعانى .

(١) الشذرات ٤/١١٠؛ والنبهانى ٢/٢٨٩ - ٢٩١؛ والبغدادى ، هدية العارفين ٢/٥٥٢؛ ومعجم المؤلفين لكتاب الله ١٣/٢٧٩.

(٢) سورة الحجر : الآية ٢ .

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١٩	الباب الأول فی سیرته صلى الله عليه وسلم من ولادته إلى وفاته
٢٤	الباب الثاني فی صفاته الطاهرة فی صفاته الباطنة وأخلاقه الظاهرة
٢٥	الباب الثالث فی آدابه الباهرة فی معجزاته فی خصائصه فی كلامه فی ذکر شيء من أدعیته فی وفاته الطبقة الأولى
٣١	الباب الرابع
٣٣	الباب الخامس
٣٥	الباب السادس
٤٢	الباب السابع
٤٧	الباب الثامن
٥٠	(١) الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٢) الإمام عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق (٣) الإمام عثمان بن عفان الملقب بذى التورين (٤) الإمام على بن أبي طالب حرف الهمزة
٧٩	(٥) أبيُّ بن كعب (٦) أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصارى (٧) أبو ذرَّ الغفارى (٨) أبو هريرة عبد الرحمن أو عبد شمس أو غير ذلك (٩) أبو موسى الأشعري (١٠) أبو عبيدة عامر بن الجراح
٨٠	
٨٣	
٨٤	
٨٦	
٨٧	

رقم الصفحة	الموضوع
٨٨	حرف الباء الموحدة
	(١١) بلال الحبشي المؤذن
	حرف الثاء المثلثة فوق
٩٠	(١٢) قيم الدارى
	حرف الجيم
٩١	(١٣) جعفر بن أبي طالب
	حرف الحاء المهملة
٩٢	(١٤) حذيفة بن اليمان
٩٤	(١٥) الحسن بن على بن أبي طالب
١٠٠	(١٦) الحسين بن على بن أبي طالب
	حرف السين المهملة
١٠٦	(١٧) سعيد بن عامر الجمحى القرشى
١٠٧	(١٨) سعد بن زبي وقاص
١٠٨	(١٩) سلمان الفارسي
	حرف الشين المعجمة
١١٢	(٢٠) شداد بن أوس - أخو حسان بن ثابت
	حرف الصاد المهملة
١١٣	(٢١) صهيب بن سنان الرومى
	حرف العين المهملة
١١٤	(٢٢) عاصم بن ثابت الانصاري
١١٥	(٢٣) عامر بن فهيرة
١١٦	(٢٤) عامر بن ربيعة

رقم الصفحة**الموضوع**

- ١١٧ (٢٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب
 ١٢٠ (٢٦) عبد الله بن عمرو بن العاص
 ١٢١ (٢٧) عبد الله بن مسعود
 ١٢٤ (٢٨) عبد الله بن عباس
 ١٢٧ (٢٩) عبد الله بن الزبير
 ١٢٩ (٣٠) عبد الله بن جحش الأسدى
 ١٣٠ (٣١) عبد الله بن رواحة الأنصارى العقى
 ١٣١ (٣٢) عبد الله ذو النجادين
 ١٣٢ (٣٣) عتبة بن غزوان
 ١٣٣ (٣٤) عثمان بن مظعون
 ١٣٤ (٣٥) عمار بن ياسر أبو اليقطان
 ١٣٥ (٣٦) عمير بن سعد الأنصارى

حرف الميم

- ١٣٦ (٣٧) مصعب بن عمير الدارى
 ١٣٧ (٣٨) معاذ بن جبل
 ١٣٨ (٣٩) المقداد بن الأسود الكندى

الطبقة الثانية**حرف الهمزة**

- ١٤٢ (٤٠) إبراهيم بن أدهم
 ١٤٩ (٤١) إبراهيم الشيمى بن يزيد الكونى
 ١٥٠ (٤٢) إبراهيم بن يزيد التخعى
 ١٥١ (٤٣) أسلم بن زيد الجهنى
 ١٥٢ (٤٤) أوس بن عامر

رقم الصفحة	الموضوع
١٥٥	(٤٥) أبو الجوزاء أوس بن عبد الله
١٥٦	(٤٦) أبو ادريس الخولاني
١٥٧	(٤٧) أبو بكر بن عياش
١٥٨	(٤٨) أبورجاء العطاردي
١٥٩	(٤٩) أبو حازم سلمة بن دينار
١٦٠	(٥٠) أبو عمран الجوني
١٦١	(٥١) أبو عاصم البصري
١٦٢	(٥٢) أبو عبيدة الخواص
١٦٣	(٥٣) أبو مسلم الخولاني
١٦٤	(٥٤) أبو عثمان الخراسانى
١٦٥	(٥٥) أبو ريحانه عبد الله بن مطر
١٦٦	(٥٦) أبو حبيب البدوى
١٦٧	(٥٧) أبو أيوب السختيانى
١٦٨	(٥٨) آمنة الرملية
١٦٩	(٥٩) أم حسان الكوفية
١٧٠	(٦٠) أم سفيان الشورى
١٧١	(٦١) أخت الفضيل
١٧٢	(٦٢) أمة الله زوجة رياح القيسى
١٧٣	(٦٣) أم هارون
١٧٤	(٦٤) أم البنين
١٧٥	(٦٥) أم طلق
١٧٦	(٦٦) ألوف الموصية
١٧٧	(٦٧) آمنة بنت أبي المودع الموصية

الموضوع

رقم الصفحة

حرف الباء الموحدة

- | | | |
|-----|-------|-------------------------------|
| ١٧٠ | | (٦٨) بديل بن ميسرة العقيلي |
| ١٧٠ | | (٦٩) بشر بن منصور |
| ١٧١ | | (٧٠) بكر بن عبد الله المزنى |
| ١٧٢ | | (٧١) بكر بن عمر الناجي |
| ١٧٣ | | (٧٢) بلال بن سعد |
| ١٧٣ | | (٧٣) بردة الصرميه |
| ١٧٤ | | (٧٤) بحيرة العابدة |

حرف الشاء المثلثة

- | | | |
|-----|-------|---------------------|
| ١٧٤ | | (٧٥) ثابت بن اسلم |
|-----|-------|---------------------|

حرف الجيم

- | | | |
|-----|-------|--------------------|
| ١٧٦ | | (٧٦) جابر بن زيد |
| ١٧٧ | | (٧٧) جعفر الصادق |

حرف الحاء المهملة

- | | | |
|-----|-------|-------------------------------|
| ١٨٠ | | (٧٨) حاتم الأصم |
| ١٨١ | | (٧٩) الحسن البصري |
| ١٨٦ | | (٨٠) الحسن بن صالح الكوفى |
| ١٨٦ | | (٨١) حبيب الفارسي العجمى |
| ١٨٨ | | (٨٢) حذيفة بن قتادة المرعشى |
| ١٨٩ | | (٨٣) حماد بن سلمة |
| ١٨٩ | | (٨٤) حماد بن زيد |
| ١٩٠ | | (٨٥) حبيبة العدوية |

رقم الصفحة	الموضوع
١٩٠	حرف الخاء / المعجمة ٨٦) خالد بن عبد الله البصري
١٩١	٨٧) خالد بن معدان الكلاعي
١٩١	٨٨) خيثمة بن عبد الرحمن الكوفي
١٩٢	حرف الدال / المهملة ٨٩) داود بن نصر الطائي
١٩٦	حرف الراء / المهملة ٩٠) رياح بن عمرو القيسى
١٩٧	٩١) الريبع بن خيثم
١٩٨	٩٢) الريبع بن راشد
١٩٩	٩٣) الريبع بن عبد الرحمن
١٩٩	٩٤) ريعى بن خراش
٢٠٠	٩٥) رزين بن حبش أبو مريم
٢٠٠	٩٦) رابعة العدوية
٢٠٤	٩٧) رابعة بنت اسماعيل
٢٠٦	٩٨) رقية الموصلىة
٢٠٦	٩٩) ريحانة المجنونة
٢٠٧	حرف الزاي ١٠٠) زراة بن أوفى الحرشى
٢٠٨	حرف السين / المهملة ١٠١) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
٢٠٩	١٠٢) سلام بن أبي مطیع
٢٠٩	١٠٣) سابق المجنون

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠٩	(١٠٤) سعيد بن المسيب
٢١١	(١٠٥) سعيد بن جبير الكوفي الأسدى
٢١٢	(١٠٦) سفيان بن سعيد الشورى
٢١٦	(١٠٧) سفيان بن عبيدة الكوفي
٢١٨	(١٠٨) سليمان الخواص
٢١٨	(١٠٩) سليمان بن طرخان
٢١٩	(١١٠) سليمان بن العتّمر
٢٢٠	(١١١) سليمان بن دينار
	حرف الشين المعجمة
٢٢٠	(١١٢) شريح الكندي
٢٢١	(١١٣) شعبة بن حجاج
٢٢١	(١١٤) شقيق بن ابراهيم البلخي
٢٢٤	(١١٥) شقيق بن سلمة الأسدى
٢٢٤	(١١٦) شميط بن عجلان
٢٢٥	(١١٧) شيبان الراعى
٢٢٧	(١١٨) شعوانة العابدة الزاهدة
	حرف الصاد المهملة
٢٢٨	(١١٩) صالح بن بشر المري
٢٢٨	(١٢٠) صفوان بن سليم
٢٢٩	(١٢١) صفوان بن محرز المازنى
٢٢٩	(١٢٢) صلة بن أشيم العدوى
٢٣٠	(١٢٣) ضيغم بن ملك

رقم الصفحة**الموضوع****حرف الطاء / المهملة**

٢٣١ (١٢٤) طاوس بن كيسان

٢٣٣ (١٢٥) طلحة بن مصرف الهمданى

حرف العين / المهملة

٢٣٤ (١٢٦) عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العتبرى

٢٣٦ (١٢٧) عبد العزيز بن أبي رواد

٢٣٦ (١٢٨) عبد الله بن ثوب

٢٣٧ (١٢٩) عبد الله بن غالب

٢٣٧ (١٣٠) عبد الله بن زيد الجرمى

٢٣٩ (١٣١) عبد الله بن عون

٢٣٩ (١٣٢) عبد الله بن المبارك

٢٤٢ (١٣٣) عبد الله الصورى

٢٤٢ (١٣٤) عبد الله بن عبد العزيز العمري

٢٤٣ (١٣٥) عبد الله بن عمرو الأوزاعى

٢٤٤ (١٣٦) عبد العزيز بن سلمان

٢٤٥ (١٣٧) عبد الواحد البصري

٢٤٧ (١٣٨) عبيد بن عمير

٢٤٨ (١٣٩) عتبة الغلام

٢٥٠ (١٤٠) عروة بن الزبير بن العوام

٢٥١ (١٤١) علقمة بن قيس الهمدانى

٢٥١ (١٤٢) العلاء بن زياد

٢٥٢ (١٤٣) على بن الحسين بن على بن أبي طالب

٢٥٥ (١٤٤) على بن الفضيل التميمي

رقم الصفحة	الموضوع
٢٥٥	(١٤٥) عمران القصير
٢٥٦	(١٤٦) على بن بكار الشامي
٢٥٦	(١٤٧) عمر بن عبد العزيز
٢٦٠	(١٤٨) عمر بن عتبة بن فرقد الكوفي
٢٦١	(١٤٩) عمرو بن قيس الملائى
٢٦٢	(١٥٠) عون بن عبد الله بن عتبة المسعودي
٢٦٣	(١٥١) عاتكة العدوية
٢٦٤	(١٥٢) عائشة بنت جعفر الصادق
٢٦٤	(١٥٣) عبيدة بنت أبي كلاب
٢٦٥	(١٥٤) عفيرة البصرية
٢٦٦	(١٥٥) عمرة زوجة حبيب
حرف الفاء	
٢٦٦	(١٥٦) فرقد السيخى
٢٦٧	(١٥٧) الفضيل بن عياض
٢٧٢	(١٥٨) فتح بن سعيد الموصلى
حرف القاف	
٢٧٣	(١٥٩) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
٢٧٤	(١٦٠) قتادة بن دعامة الدوسى أبو الخطاب
٢٧٤	(١٦١) فاسمة بن زهير
حرف الكاف	
٢٧٥	(١٦٢) كعب الأحبار أبو اسحاق الحميرى
حرف الميم	
٢٧٧	(١٦٣) مالك بن دينار

رقم الصفحة	الموضوع
٢٨٢	(١٦٤) الإمام مالك بن أنس
٢٨٥	(١٦٥) مجاهد بن جبر
٢٨٦	(١٦٦) محمد بن سيرين
٢٨٧	(١٦٧) محمد بن كعب القرظى
٢٨٨	(١٦٨) محمد بن واسع
٢٩٠	(١٦٩) محمد بن صبح
٢٩٢	(١٧٠) محمد بن النضر الحارشى
٢٩٤	(١٧١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
٢٩٤	(١٧٢) محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين
٢٩٥	(١٧٣) محمد بن المنكدر القرشى الثيمى
٢٩٦	(١٧٤) محمد بن يوسف الأصبهانى
٢٩٧	(١٧٥) مخلد بن الحسين
٢٩٧	(١٧٦) مسروق بن عبد الرحمن الهمданى
٢٩٨	(١٧٧) مسلم بن يسار
٢٩٩	(١٧٨) مطرف بن عبد الله بن الشخير
٣٠١	(١٧٩) مسعر
٣٠٣	(١٨٠) معاوية بن قرة
٣٠٣	(١٨١) مكحول الدمشقى
٣٠٤	(١٨٢) المنذر بن مالك
٣٠٤	(١٨٣) منصور بن زادان
٣٠٥	(١٨٤) منصور المعتمر
٣٠٦	(١٨٥) مورق العجلى أبو المعتمر البصرى
٣٠٧	(١٨٦) موسى الكاظم بن جعفر الصادق

رقم الصفحة	الموضوع
٣٠٨	(١٨٧) ميمون بن مهران
٣٠٩	(١٨٨) ماجدة بنت عبد الله العدوية القرشية
٣٠٩	(١٨٩) معاذة بنت عبد الله العدوية المصرية
٣١٠	(١٩٠) مريم المصرية
٣١١	(١٩١) موفقة الموصلىة
٣١٢	(١٩٢) ميمونة السوداء المجنونة العاقلة
٣١٢	(١٩٣) ميمونة السوداء
	حرف النون
٣١٢	(١٩٤) النعمان بن ثابت أبو حنيفة
	حرف الهاء
٣١٥	(١٩٥) هارون بن رياض الأسيدي
٣١٥	(١٩٦) هرم بن حبان
	حرف الواو
٣١٦	(١٩٧) وكيع بن الجراح الرواس
٣١٧	(١٩٨) وهب بن منبه
٣١٩	(١٩٩) وهيب بن الورد المكي المخزومي
	حرف الياء المثلثة تحت
٣٢١	(٢٠٠) يحيى بن أبي كثير
٣٢٢	(٢٠١) يحيى بن سعيد القطان البصري
٣٢٢	(٢٠٢) يزيد بن عبد الله الشخير أخو مطرف
٣٢٣	(٢٠٣) يزيد بن أبان الرقاشي
٣٢٣	(٢٠٤) اليمان بن معاوية
٣٢٤	(٢٠٥) يوسف بن أسباط

الموضوع

الطبقة الثالثة

حرف الهمزة

رقم الصفحة	
٣٢٨	(٢٠٦) إبراهيم بن أحمد الخواص
٣٣٣	(٢٠٧) إبراهيم بن سعد العلوى
٣٣٥	(٢٠٨) إبراهيم الهروى المعروف بستنبه
٣٣٦	(٢٠٩) إبراهيم بن على المخسانى
٣٣٧	(٢١٠) إبراهيم بن بشير الحربى
٣٣٧	(٢١١) إبراهيم الخراز
٣٤١	(٢١٢) إبراهيم بن داود ابو اسحاق
٣٤٢	(٢١٣) أحمد بن حنبل
٣٤٥	(٢١٤) أحمد بن محمد النورى
٣٤٨	(٢١٥) أحمد بن أبي اورد
٣٤٩	(٢١٦) أحمد بن محمد بن مسروق
٣٥٠	(٢١٧) أحمد بن عاصم
٣٥١	(٢١٨) أحمد بن خضروية البلخي
٣٥٢	(٢١٩) أحمد بن أبي الحوارى
٣٥٦	(٢٢٠) أحم بن أبي نصر الخزاعى
٣٥٧	(٢٢١) أبووارheim السائج
٣٥٨	(٢٢٢) ابو تراب النخشى
٣٦١	(٢٢٣) ابو جعر المحولى
٣٦٢	(٢٢٤) أبو بكر الهلالى
٣٦٢	(٢٢٥) او يعقوب الهاشمى
٣٦٣	(٢٢٦) أبو اقاسم المنادى

رقم الصفحة	الموضوع
٣٦٣	(٢٢٧) أبو حمزة اخراسانى
٣٦٥	(٢٢٨) أبو عبد الله الدببلى
٣٦٥	(٢٢٩) أبو الأسو المكى
٣٦٥	(٢٣٠) أبو الأسو ادرعى
٣٦٥	(٢٣١) أبو هاشم الزاهد
٣٦٦	(٢٣٢) أبو شعيب البرائى
٣٦٦	(٢٣٣) اسماعيل بن يوسف الديلمى
٣٦٧	(٢٣٤) اسرافي المغربي
٣٦٧	(٢٣٥) أيوب الحمال
٣٦٨	(٢٣٦) أم هارون الشامية
	حرف الباء الموحدة
٣٦٨	(٢٣٧) بشر بن الحارث
٣٧٤	(٢٣٨) بقى بن مخلد
٣٧٥	(٢٣٩) بهلول المجنون
	حرف الجيم
٣٧٦	(٢٤٠) جبلة بن محمود ابن عبد الرحمن الصدفي أبو يوسف الأفريقي
٣٧٦	(٢٤١) الجنيد أو القاسم بن محمد
	حرف الحاء
٣٨٩	(٢٤٢) الحارث بن أسد
٣٩٢	(٢٤٣) حاتم البليخى المعروف بحاتم الأصم
٣٩٤	(٢٤٤) حمدون القصار النيسابورى
٣٩٦	(٢٤٥) حبيب العجمى
٣٩٦	(٢٤٦) الحسن الفلاس

رقم الصفحة	الموضوع
٣٩٨	حرف الخاء / المعجمة (٢٤٧) خير النساج
٤٠٠	حرف الذال / المعجمة (٢٤٨) ذو النون المصري
٤١٥	حرف الزاي (٢٤٩) زهراء الوالهة
٤١٦	حرف السين / المهملة (٢٥٠) السرى السقطى
٤٢١	(٢٥١) سعيد بن اسماعيل أبو عثمان الحيرى
٤٢٢	(٢٥٢) سعيد بن يزيد النباجى
٤٢٥	(٢٥٣) سعيد بن العباس الرازى
٤٢٧	(٢٥٤) سمنون المحب بن حمزة الخواص
٤٢٩	(٢٥٥) سهل بن عبد الله التسترى
٤٤٠	(٢٥٦) سهل بن عبد الله الفرمان الأصبهانى حرف الشين / المعجمة
٤٤١	(٢٥٧) شقران المغربي حرف الطاء / المهملة
٤٤٢	(٢٥٨) طيفور أبو يزيد البسطامى
٤٥٦	(٢٥٩) الطيب بن إسماعيل الذهلى ويعرف بابن حمدون
٤٥٦	حرف العين / المهملة (٢٦٠) عبد الرحمن بن عطيه بن سليمان الدارانى
٤٦٢	(٢٦١) عبد الله بن خبيق الموصلى

الموضوع

رقم الصفحة

- | | |
|-----|--|
| ٤٦٣ | (٢٦٢) عبد الله بن داود الهمданى
ثم الشعبي المعروف بالخربي |
| ٤٦٤ | (٢٦٣) عبد الله بن محمد الرازى |
| ٤٦٥ | (٢٦٤) على بن الموفق أبو الحسن |
| ٤٦٥ | (٢٦٥) على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق |
| ٤٦٦ | (٢٦٦) على بن سهل الاصبهانى |
| ٤٦٧ | (٢٦٧) على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينورى المشهور |
| ٤٦٨ | (٢٦٨) عمرو بن سلمة المخاد |
| ٤٧٢ | (٢٦٩) عمرو بن عثمان المكى |
| | حرف الفاء |
| ٤٧٣ | (٢٧٠) فتح بن شحرف أبو نصرالكتشى |
| ٤٧٤ | (٢٧١) فاطمة النيسابورية |
| | حرف القاف |
| ٤٧٤ | (٢٧٢) القاسم بن عثمان الجوعى |
| | حرف الميم |
| ٤٧٦ | (٢٧٣) محمد بن أبي الورد |
| ٤٧٧ | (٢٧٤) محمد بن ابراهيم البغدادى |
| ٤٧٨ | (٢٧٥) محمد بن إبراهيم بن حمش |
| ٤٧٨ | (٢٧٦) محمد بن أسلم |
| ٤٧٩ | (٢٧٧) محمد بن منصور الطوسي |
| ٤٨٠ | (٢٧٨) محمد بن ادريس الشافعى |
| ٤٨٥ | (٢٧٩) محمد بن إسماعيل المغربي |
| ٤٨٦ | (٢٨٠) محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطري |

رقم الصفحة	الموضوع
٤٨٧	(٢٨١) محمد بن يوسف البناء
٤٨٧	(٢٨٢) محمد بن المبارك الصورى
٤٨٨	(٢٨٣) مضاء بن عيسى الشافعى
٤٨٨	(٢٨٤) معروف بن فيروز الكرخى
٤٩١	(٢٨٥) مشاذ الدينورى
٤٩٢	(٢٨٦) منصور بن عمار المروزى
	حرف النون
٤٩٤	(٢٨٧) نفيسه بنت الحسن
	حرف الياء المثلثة تحت
٤٩٦	(٢٨٨) يحيى بن معاذ الرازى
	الطبقة الرابعة من الكواكب الدرية
	حرف الهمزة
٥٠٣	(٢٨٩) إبراهيم بن أحمد بن المولد
٥٠٣	(٢٩٠) إبراهيم بن شيبان القرميسيينى
٥٠٥	(٢٩١) إبراهيم بن أحمد الحسbanى
٥٠٦	(٢٩٢) إبراهيم بن محمد أبو القاسم النصر ابادى
٥٠٨	(٢٩٣) إبراهيم الآجرى
٥٠٨	(٢٩٤) أحمد بن حمدان بن على بن سنان
٥٠٩	(٢٩٥) أحمد بن محمد بن أبي سعدان
٥١٠	(٢٩٦) أحمد بن محمد العارف أبو على الروذبادى
٥١٣	(٢٩٧) أحمد بن محمد بن الحسين الجريري
٥١٥	(٢٩٨) أحمد بن محمد أبو سعيد بن الأعرابى البصري
٥١٦	(٢٩٩) أحمد بن محمد الدينورى

الموضوع

رقم الصفحة

٥١٧	(٣٠٠) أحمد بن محمد بن أحمد العباسى الهاشمى.....
٥١٧	(٣٠١) أحمد بن إبراهيم أبو على المسوحي.....
٥١٨	(٣٠٢) أحمد بن جعفر بن هانئ.....
٥١٨	(٣٠٣) أحمد بن سهل البوشنجي.....
٥١٩	(٣٠٤) أحمد الخياط ادبيل الشافعى.....
٥١٩	(٣٠٥) أحمد السبتي المقرىء.....
٥٢٠	(٣٠٦) أحمد بن محمد المقرىء.....
٥٢٠	(٣٠٧) أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى.....
٥٢٢	(٣٠٨) أحمد بن يحيى الجلاع.....
٥٢٣	(٣٠٩) أحمد بن عطاء الروذبارى.....
٥٢٥	(٣١٠) أبو سعيد خلف بن عمر.....
٥٢٦	(٣١١) أبو بكر بن الأبيض.....
٥٢٦	(٣١٢) أبو بكر الفاسى الطمسستانى.....
٥٢٧	(٣١٣) أبو الحنير الأقطع التينانى.....
٥٣٠	(٣٢٤) أبو على الزقاق.....
٥٣٠	(٣١٥) أبو عمرو الدمشقى.....
٥٣١	(٣١٦) أبو الحسين بن بنان.....
٥٣٢	(٣١٧) أبو على المعتوه المجدوب.....
٥٣٣	(٣١٨) أبو العباس السيارى.....
٥٣٤	(٣١٩) أبو القاسم بن أحمد المغربي.....
٥٣٤	(٣٢٠) أبو عبد الله البرانى.....
٥٣٥	(٣٢١) أبو الفتوح القواس.....
٥٣٥	(٣٢٢) أبو أحمد القلانتسى.....

رقم الصفحة	الموضوع
٥٣٥	(٣٢٣) إسماعيل بن نجيد السلمى
٥٣٧	(٣٢٤) إسحاق بن محمد أبو يعقوب النهر جورى حرف الباء
٥٣٨	(٣٢٥) بنان بن محمد الحمال الواسطى
٥٤٠	(٣٢٦) بندار بن الحسين الشيرازى
٥٤١	(٣٢٧) بشر بن بشار المعاشى حرف الجيم
٥٤٢	(٣٢٨) جعفر بن محمد بن نصير الخواص حرف الحاء المهملة
٥٤٤	(٣٢٩) الحسين بن منصور الحلاج البيضاوى
٥٤٨	(٣٣٠) الحسن بن محمد
٥٤٩	(٣٣١) الحسين بن عبد الله الصبيحى البصرى
٥٥٠	(٣٣٢) الحسن بن أحمد الكاتب المعدى البصرى
٥٥١	(٣٣٣) الحسين بن على بن بزدانيار
٥٥٢	(٣٣٤) الحسين بن على الجوزجانى حرف الدال المهملة
٥٥٣	(٣٣٥) دلف بن جحدر حرف الدال المهملة
٥٦١	(٣٣٦) دينار العابد حرف الراء المهملة
٥٦١	(٣٣٧) رويم بن أحمد حرف الزاي المهملة
٥٦٣	(٣٣٨) زهير بن نعيم البابى

رقم الصفحة	الموضوع
٥٦٤	(٣٣٩) زكريا بن الصلت حرف السين المهملة
٥٦٤	(٣٤٠) سعيد بن سلام حرف الشين المعجمة
٥٦٦	(٣٤١) شاه بن شجاع الكرمانى حرف الطاء المهملة
٥٦٩	(٣٤٢) طاهر المقدسى
٥٦٩	(٣٤٣) طاهر باشاذ التحوى حرف العين المهملة
٥٧٠	(٣٤٤) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازى الشعوانى
٥٧١	(٣٤٥) عبد الله بن محمد المرتعش النيسابورى
٥٧٢	(٣٤٦) عبد الله الراسبوى البغدادى
٥٧٣	(٣٤٧) عبد الله بن طاهر الأبهري
٥٧٤	(٣٤٨) على بن إبراهيم الحصري
٥٧٥	(٣٤٩) على بن بندار الصوفى
٥٧٧	(٣٥٠) على بن محمد بن سهل أبو الحسن الدينورى
٥٧٧	(٣٥١) على بن سهل
٥٧٩	(٣٥٢) على بن محمد المzin الصغير البغدادى
٥٨٠	(٣٥٣) على بن محمد بن بشار أبو الحسن الزاهد
٥٨٠	(٣٥٤) على بن هند القرشى الفارسى
٥٨١	(٣٥٥) عائشة بنت أبي عثمان سعيد الحيرى النيسابورى
	حرف الميم
٥٨١	(٣٥٦) محمد بن عمر



رقم الصفحة	الموضوع
٥٨٢	(٣٥٧) محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري
٥٨٣	(٣٥٨) محمد بن أحمد بن جعفر النيسابوري
٥٨٤	(٣٥٩) محمد بن أحمد بن حمدون القراز
٥٨٤	(٣٦٠) محمد بن أحمد بن محمد المقرئ
٥٨٤	(٣٦١) محمد بن داود الدينوري أبو بكر
٥٨٦	(٣٦٢) محمد بن عبد الخالق الدينوري
٥٨٦	(٣٦٣) محمد بن علي بن الحسن الترمذى الصوفى الشافعى
٥٨٩	(٣٦٤) محمد بن سليمان
٥٩٠	(٣٦٥) محمد بن محمد بن إسماعيل
٥٩٢	(٣٦٦) محمد بن إسحاق
٥٩٢	(٣٦٧) محمد بن الحسين الخشوعى
٥٩٣	(٣٦٨) محمد بن يعقوب القرجى
٥٩٤	(٣٦٩) محمد بن خفيف الضبى الشيرازى الشافعى
٥٩٧	(٣٧٠) محمد بن علي بن جعفر أبو بكر الكتانى البغدادى
٦٠٠	(٣٧١) محمد بن عليان النسوى
٦٠٠	(٣٧٢) محمد بن الفضل بن العباس البلاخي
٦٠١	(٣٧٣) محمد بن الحسن التروغبلى
٦٠٢	(٣٧٤) محمد بن سعد الوراق
٦٠٣	(٣٧٥) محمد بن عبد الجبار النفرى
٦٠٤	(٣٧٦) محمد بن عبد الوهاب الثقفى
٦٠٦	(٣٧٧) محمد بن منازل النيسابوري
٦٠٧	(٣٧٨) محمد بن أحمد بن سيد حمدوه
٦٠٨	(٣٧٩) محمد بن موسى أبو بكر الواسطى

رقم الصفحة	الموضوع
٦٣٥	(٣٩٨) الفضل بن محمد الفرمذى
٦٣٦	(٣٩٩) فضل الله بن أحمد الميهنى
٦٣٧	حرف الميم
٦٣٨	(٤٠٠) محمد بن الحسين الراذانى
٦٣٨	(٤٠١) محمد بن الحسين بن موسى الأزدي
٦٤٠	(٤٠٢) المظفر بن آزادشير العبادى
٦٤١	الطبقة السادسة
	حرف المهمزة
٦٤٢	(٤٠٣) أبو إسحاق إبراهيم بن طريف
٦٤٣	(٤٠٤) أبو السعود بن شبل البغدادى
٦٤٤	(٤٠٥) أبو يعزى يكتور بن عبد الرحمن بن سيمون الدكالى المغرى
٦٤٥	(٤٠٦) أبو بكر النابلسى
٦٤٦	(٤٠٧) أحمد بن أبي الخير المعروف بالصياد اليمنى
٦٤٧	(٤٠٨) أحمد بن الحسين أبو القاسم
٦٤٨	(٤٠٩) أحمد بن محمد الطوسي
٦٤٩	(٤١٠) أحمد بن على بن يحيى بن حازم بن رفاعة
٦٥٠	(٤١١) أبو العباس بن العريف الصنهاجى
٦٥١	(٤١٢) أبو عبد الله الفووال المغرى
٦٥٢	(٤١٣) أبو القاسم الزاهد المعروف بالأقطع
	حرف الاءاء الموحد
٦٦٣	(٤١٤) بقا بن بطو

رقم الصفحة	الموضوع
٦١١	(٣٨٠) محمد بن يوسف بن معدان البناء
٦١٢	(٣٨١) محمد بن يوسف
٦١٦	(٣٨٢) محفوظ بن محمد
٦١٦	(٣٨٣) مظفر القرميسينى
	الطبقة الخامسة
	حرف الالف
٦١٨	(٣٨٤) أبو اسحق القرشى الهاشمى
٦١٩	(٣٨٥) إبراهيم بن على بن يوسف الفيروزابادى
٦٢٢	(٣٨٦) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو أسحاق النيسابورى
	حرف الحاء المهملة
٦٢٣	(٣٨٧) الحسن بن على الأستاذ أبو على الدقاد
٦٢٦	(٣٨٨) الحسن بن بشر الجوهري
	حرف العين المهملة
٦٢٧	(٣٨٩) عبد الله بن محمد بن على الانصارى
٦٢٨	(٣٩٠) عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن أبو سعيد القشيرى
٦٢٨	(٣٩١) عبد الرحمن بن عبد الكريم القشيرى
٦٢٩	(٣٩٢) عبد الكريم بن هوازن النيسابورى
٦٣١	(٣٩٣) عبد المحسن بن أحمد الورادى
٦٣١	(٣٩٤) على بن الحسن الخلعى
٦٣٢	(٣٩٥) على بن الخطاب الجذيرى
٦٣٣	
٦٣٥	(٣٩٦) على بن عمر القزوينى الشافعى
	حرف الغين / المعجمة
٦٣٥	(٣٩٧) غوث البغدادى

رقم الصفحة	الموضوع
٦٦٣	حرف الجيم
(٤١٥) جاكيز الكروبي العراقي	
٦٦٤	حرف الحاء المهملة
(٤١٦) حسن بن عتيق القسطلاني	
٦٦٥	حرف الشين / المعجمة
(٤١٧) شعيب المغربي الشيخ أبو مدين	
٦٧٠	حرف الطاء المهملة
(٤١٨) طاهر بن شعيب ابن فضل الله أبو الفتح اليهني الصوفى	
٦٧١	حرف العين / المهملة
(٤١٩) عبد الله المغافر المغربي	
٦٧٢	(٤٢٠) عبد الله بن محمد بن عبد الجبار
٦٧٢	(٤٢١) عبد الرحمن بن على الدمشقي المخوqi السليمي الشافعى
٦٧٣	(٤٢٢) عبد الرحيم بن عبد الكريم
٦٧٤	(٤٢٣) عبد القاهر بن عبد الله
٦٧٦	(٤٢٤) عبد القادر بن موسى بن يحيى الجيلانى الحنبلي
٦٨٢	(٤٢٥) عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمى الأفريقي
٦٨٣	(٤٢٦) عبد الرحيم بن أحمد بن حجرون
٦٨٤	(٤٢٧) عبد الملك الطبرى

رقم الصفحة	الموضوع
٦٨٥	(٤٢٨) عثمان بنمرزوق القرشى
٦٨٧	(٤٢٩) عدى بن مسافر
٦٨٨	(٤٣٠) عقيل المنيخي
٦٨٩	(٤٣١) على بن إبراهيم الأنصارى
٦٩١	(٤٣٢) على بن أحمد الزيدى العلوى
٦٩٢	(٤٣٣) على الكردى الدمشقى
٦٩٣	(٤٣٤) على بن وهب السنجاري
٦٩٤	(٤٣٥) على بن الهيتى
حرف القاف	
٦٩٦	(٤٣٦) القاسم بن محمد البصري
٦٩٧	(٤٣٧) قضيب البيان الموصلى
حرف الميم	
٦٩٩	(٤٣٨) ماجد الكردى
٦٩٩	(٤٣٩) محمد الحصار المغربي الفاسي
٦٩٦	(٤٤٠) محمد بن الفضل
٦٩٧	(٤٤١) محمد الأونى
٦٩٨	(٤٤٢) محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو عبد الله القرشى
٧٠١	(٤٤٣) محمد بن الموفق الخبوشانى

رقم الصفحة	الموضوع
٧٠٣	(٤٤٤) محمد بن رسلان
٧٠٣	(٤٤٥) الإمام الغزالى ابن محمد الطوسي
٧١٢	(٤٤٦) مطر الكردى البادرانى
٧١٣	(٤٤٧) موسى بن ماهين النذلى الماردينى
٧١٣	(٤٤٨) مفرج المجنوب الصاحى
	حرف الياء المثلثة تحت
٧١٤	(٤٤٩) يحيى بن حى الشهاد السهروردى
٧١٥	(٤٥٠) يحيى بن بagan
٧١٦	(٤٥١) يوسف بن يخلف الكومى
٧١٧	(٤٥٢) يوسف بن أىوب